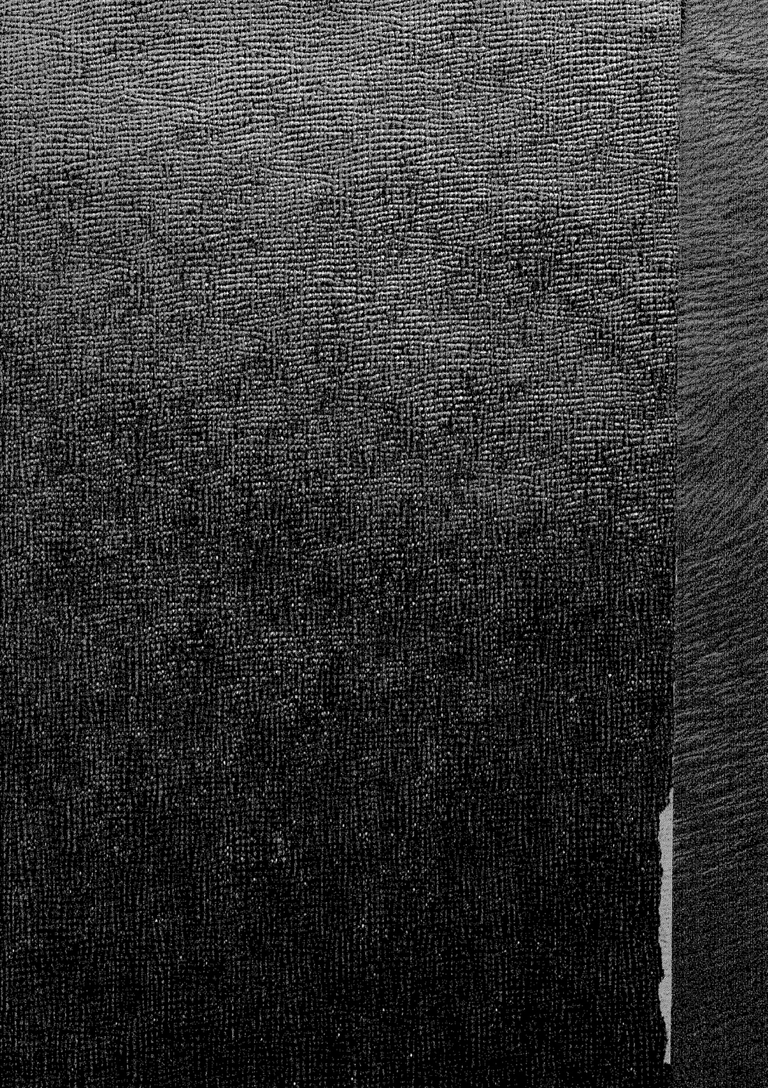




تراثنا



تأليف

أبى الفرج الأصبهانى على بن الحسين

٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

الجزء الحادى عشر

مصور عن طبعة دار الكتب

طبعة كاملة الأجزاء معها فهرس
جامع وتصويبات واستدراكات

وزارة الثقافة والارشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الحادى عشر

من كتاب الأغانى

١٦٢
―
٩

أخبار النابغة ونسبه

نسب النابغة

النابغة اسمه زِيادُ بن معاوية بن ضِبَاب بن جَنَاب[1] بن يَرْبوع بن غَيْظ بن مُرَّةَ ابن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفانَ بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلانَ بن مُضَر. ويُكْنَى أبا أُمَامَةَ[2]. وذكر أهل الرِّواية أنه إنما لُقِّب النّابغةَ لقوله:

* فقد نَبَغتْ لهم منّا شؤونُ *

من الطبقة الأولى

وهو أحد الأشراف الذين غَضَّ الشعرُ منهم. وهو من الطبقة الأولى المقدَّمين على سائر الشعراء.

سأل عمر بن الخطاب عن شعر فلما أخبر أنه له قال إنه أشعر العرب

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحَبيب بن نَصْر المُهَلَّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا أبو نُعَيْم قال حدّثنا شَرِيكٌ عن مُجَاهِد عن الشَّعْبيّ عن رِبْعِيّ ابن حِرَاش قال:

---

(١) فى شرح التبريزى للعلقات العشر: «جابر بن يربوع» بدل «جناب بن يربوع».

(٢) ويكنى أيضا: «أبا ثمامة». كنى بابنتيه أمامة وثمامة. (راجع شرح المعلقات العشر للتبريزى وكتاب الشعر والشعراء).

قال عمر : يامعشر غطفانَ ، مَن الّذى يقول :

أتيتُك عارياً خَلَقاً ثِيابِى * على خَوْفٍ تُظَنُّ بِىَ الظُّنونُ

قلنا : النابغة . قال : ذاك أشعرُ شعرائكم .

أخبرنى أحمد وحبيب قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عُبَيْد بن جَنّاد قال حدّثنا مَعْن بن عبد الرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السُّلَمىّ عن جدّه عن الشَّعبىّ قال : قال عمر : مَنْ أشعرُ الناس؟ قالوا : أنت أعلمُ يا أمير المؤمنين . قال : مَنِ الّذى يقول :

إلّا سليمانَ إذ قال الإله له [1] * قُمْ فى البَرِيّة فاحْدُدْها عن الفَنَدِ [2]

وخَبِّرِ [3] الجنّ أنّى قد أذِنتُ لهم * يبنُون تَدْمُرَ [4] بالصُّفّاح [5] والعمدِ

قالوا : النابغة . قال : فمن الذى يقول :

أتيتُك عارياً خَلَقاً ثيابى * على خوفٍ تُظَنُّ بِىَ الظنونُ

قالوا : النابغة . قال : فَمَنِ الذى يقول :

حلفتُ فلم أترك لنفسك رِيبةً * وليس وراءَ اللهِ للمرء مَذْهَبُ

لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنّى خِيانةً * لَمُبْلِغُك الواشِى أغشُّ وأكْذَبُ

(١) ويروى : « إذ قال المليك » . (والروايات المشار اليها هنا وفيما يأتى عن شرح التبريزى للعلقات العشر) . (٢) فاحددها : فامنعها . ويروى : «فازجرها» . والفند : الخطأ .

(٣) فى جـ وديوانه وشرح التبريزى : « وخيس الجن إنى الخ » أى ذللهم . (٤) تدمر : مدينة قديمة مشهورة كانت ببرية الشام . وكانوا يزعمون أنها مما بنته الجن لسليمان عليه السلام .

(٥) الصفاح (بالضم) : حجارة دقاق عراض ، واحدها صفاحة . والعمد (بفتحتين وبضمتين) : جمع عمود .

ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخًا لا تَلُمُّهُ(١) * على شَعَثٍ أىّ الرجالِ المُهَذَّبُ

قالوا : النابغة . قال : فهو أشعر العرب .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدّثنا عمر بن ابى زائدة عن الشَّعْبىّ قال : ذُكِر الشِّعْرُ عند عمر، ثم ذكَر مثلَه .

سئل ابن عباس عن أشعر الناس فأمر أبا الاسود بالجواب لذكره

٥ أخبرنى أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنى علىّ بن محمد عن المدائنىّ عن عبد الله بن الحسن عن عمر بن الحُبَاب عن أبى المؤمّل قال :

قام رجلٌ الى ابن عبّاس فقال : أىُّ الناس أشعر ؟ فقال ابن عباس : أخْبِرْه يا أبا الأسود الدُّؤَلىّ، قال الذى يقول :

فإنّكَ كاللّيـلِ الذى هو مُدْرِكى * و إنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأَى(٢) عنك واسعُ

حوار فى شعره فى مجلس الجنيد ابن عبد الرحمن

١٠ أخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبى عن جرير بن شَرِيك ابن جَرِير بن عبد الله البَجَلىّ قال : كنّا عند الجُنَيْد بن عبد الرحمن بخُرَاسان وعنده بنو مُرة وجلساؤه من الناس، فتذاكروا شعرَ النابغة حتى أنشدوا قوله :

فإنّك كاللّيـل الذى هو مدركى * و إن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسع

فقال شيخٌ من بنى مُرّة : ما الّذى رأى فى النُّعْمان حيث يقول له هذا ! وهل كان

١٥ النُّعمان إلا على مَنْظَرةٍ من مَناظر الحِيرة ! وقالت ذلك القيسيّةُ فأكثروا . فنظر إلىّ

١٦٣ / ٩

(١) استبق الصاحب : عفا عن زلله فاستبق مودّته . ولمّ الأمر : جمعه وأصلحه . والشعث (بالفتح و بالتحريك) : انتشار الأمر وفساده ؛ يقال : لمّ الله شعثه يلمه لمًّا أى جمع ما تفرّق من أموره وأصلحه . وقوله «أى الرجال المهذب» يقول : وأى الناس لا تكون فيه خصلة غير مرضية .

(٢) المنتأى : اسم مكان من انتأى اذا بعد .

الجُنَيْد وقال : يا أبا خالد ! لا يَهُولنّك قولُ هؤلاء الأعاريض[1] ! . فأقسم بالله أنْ لو عاينوا من النُّعمان ماعاين صاحبُهم لقالوا أكثر مما قال ، ولكنهم قالوا ماتسمع وهم آمنون .

كان يجلس للشعراء بعكاظ فمدح شعر الخنساء وحواره مع حسان

أخبرني حبيب بن نَصْر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو بكر العُلَيْميّ قال حدّثني عبد الملك بن قُرَيْب[2] قال :

كان يُضْرَب للنابغة قُبّةٌ من أَدَم بسوق عُكَاظ ، فتأتيه الشعراء فتعْرِض عليه أشعارَها . قال : وأوّل من أنشده الأعشى ثم حسّانُ بن ثابت ثم أنشدتْه الشعراء، ثم أنشدتْه الخَنْساءُ بنت عمرو بن الشّرِيد :

وإنّ صخرًا لَتَأْتَمُّ الهُداةُ به * كأنّه عَلَمٌ في رأسه نارُ

فقال : والله لولا أنّ أبا بَصِير أنشدني آنِفًا لقلتُ إنك أشعر الجنّ والإنس . فقام حسّان فقال : والله لأنا أشعرُ منكَ ومن أبيك ! . فقال له النابغة : يآبنَ أخي، أنت لا تُحسن أن تقول :

فإنّكَ كالليل الذي هو مُدْرِكي * وإن خِلتُ أنّ المنتأى عنك واسع

خَطَاطِيفُ[3] حُجْنٌ في حِبالٍ مَتِينةٍ * تُمَدّ بها أيدٍ إليك نَوَازِعُ

قال : فخَنَس[4] حسّان لقوله .

---

(١) كذا في الأصول . ولعلها : « هؤلاء الأعاريب » .

(٢) عبد الملك بن قريب : هو اسم الأصمعي الراوية المشهور .

(٣) الخطاطيف : جمع خطاف (بالضم) . وخطاف البئر: حديدة حجناء تستخرج بها الدلاء وغيرها . وحجن : معوجة ، واحدها أحجن والأنثى حجناء . ونوازع : جواذب . يقول : لك خطاطيف هذه صفتها أجرّبها اليك . وهذا تمثيل . يريد أنه في قبضة يده وأنه لا مفرّ له منه .

(٤) خنس : انقبض، أو رجع وتنحى .

تذاكر قوم الشعر وهم فى الصحراء فاذا هم بجنى يقول إنه أشعر الناس

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نَصْر المهلّبىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا الأصمعىّ قال حدّثنا أبو عمرو بن العَلاء قال قال فلان لرجل سمّاه فأنسيتُه :

بينا نحن نسير بين أنْقاءٍ[1] من الأرض تذاكرنا الشعرَ، فاذا راكبٌ أطَيْلِس[2] يقول: أشعرُ الناسِ زِياد بن معاوية، ثم تملّس[3] فلم نَرَه .

فضله أبو عمرو على زهير

أخبرنى أحمد قال حدّثنا عمر قال حدثنا الأصمعىّ قال سمعتُ أبا عمرو يقول: ما كان ينبغى للنابغة إلا أن يكون زُهَيْرٌ أجيراً له .

سأل عبد الملك عن شعر له فى اعتذاره للنعمان وقال إنه أشعر العرب

أخبرنى أحمد قال حدّثنا عمر قال عمرو بن المُنْتَشِر المُرادىّ :

وفَدْنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه، فقام رجلٌ فاعتذر من أمرٍ وحلف عليه . فقال له عبد الملك : ما كنتَ حَرِيًّا أن تفعل ولا تعتذر . ثم أقبل على أهل الشأم فقال : أيّكم يَروِى من اعتذار النابغة الى النعمان :

حلفتُ فلم أترك لنفسك رِيبةً * وليس وراء الله للمرء مذهبُ

فلم يجد فيهم من يَرْويه، فأقبل علىّ فقال : أتَرْويه ؟ قلت نعم! فأنشدتُه القصيدةَ كلَّها، فقال : هذا أشعر العرب .

سئل حماد بم تقدم النابغة فأجاب

أخبرنا حَبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال : قال معاوية بن بكر الباهلىّ قلتُ لحمّاد الراوية : بِمَ تقدّم النابغةُ ؟ قال : باكتفائك بالبيت الواحد من شعره ، لابل بنصف بيت ، لابل بربع بيت ، مثل قوله :

(١) الأنقاء : جمع نقا وهو القطعة من الرمل تنقاد محدودبة . ويقال فى تثنيته نقوان ونقيان .

(٢) أطيلس : تصغير أطلس، وهو ما فى لونه غبرة الى السواد . (٣) تملس : تملص وأفلت .

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً * وليس وراء الله للمرء مذهب .

[كُلُّ نصفٍ يُغنيك عن صاحبه، وقوله : "أىّ الرجال المهذَّبُ" ربع بيت يُغنيك عن غيره[1]] .

وهذه القصيدة العينيّة[2] يقولها فى النُّعمان بن المُنْذِر يعتذر اليه بها وبعِدّة قصائد قالها فيه تُذْكَرُ فى مواضعها . ولقد اختلفت الرُّواة فى السبب الذى دعاه الى ذلك . ٥

كان أثيرا عند النعمان فدخل على زوجته المتجردة فوصفها

فأخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة عن أبى عُبَيْدة وغيره من علمائهم :

١٦٤
٩

انّ النابغة كان كبيرا[3] عند النُّعمان خاصًّا به وكان من نُدَمائه وأهل أُنْسه ؛ فرأى زوجته المتجرّدة يومًا وغَشِيها تشبيهًا[4] بالفُجَاءة ، فسقط نَصيفُها واستترت بيدها وذراعها ، فكادت ذراعُها تستر وجهها لعَبَالتها وغِلَظها ؛ فقال قصيدته التى أوّلها :

أمِنَ آلِ مَيّةَ رائحٌ[5] أو مُغْتَدِى * عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزَوَّدِ

زعَم البوارحُ أنّ رِحلَتَنا غدًا * وبذاك تَنْعابُ الغُرابِ الأسودِ

لا مرحبًا بغدٍ ولا أهلًا به * إن كان تفريقُ الأحبّة فى غدِ

أزِفَ التَّرَحُّلُ غيرَ أنّ رِكابَنا * لمّا تَزُلْ برِحالنا وكأنْ قدِ

فى إثْرِ غانيةٍ رمتْك بسَهْمِها * فأصاب قلبَك غيرَ أنْ لم تُقْصِدِ[6] ١٥

بالدُّرّ والياقوتِ زُيِّنَ نحرُها * ومُفَصَّلٍ من لؤلؤٍ وزَبَرْجَدِ

(١) التكملة عن شرح الديوان للوزير أبى بكر عاصم بن أيوب البطليوسى . (٢) هى قصيدته التى مطلعها : عفا ذو حسا من فرتنى فالفوارع * فجنبا أريك فالتلاع الدوافع

(٣) فى ب ، أ : « كثيرا » . ولعل صوابه : « كان أثيرا عند النعمان ... الخ » .

(٤) لعله « شبيها بالفجاءة » أى غشيها غشيانا شبيها بالمفاجأة . (٥) رائح : خبر لمحذوف ، والتقدير : أمن آل مية أنت رائح ، كما قال الأصمعى . ٢٠

(٦) تقصد : تقتل ؛ يقال : أقصد الشىء إذا ضربه أو رماه فمات مكانه .

عروضه من الكامل . وغنّاه أبو كامل من رواية حَبَش ثقيلًا أوّل بالبنصر . وغنّاه الغَريض من روايته ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى . وغنّاه ابن سُرَيج من رواية إسحاق ثقيلًا أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى .

قوله : أمن آل ميّة : يخاطب نفسه كالمُسْتَثْبِت . وعجلان : من العجلة، نصبه على الحال . والزاد فى هذا الموضع : ما كان من تسليم وردّ تحيّة . والبوارح : ما جاء من مَيَامِنِك إلى مَيَاسِرِك فولّاك مَيَاسِره . والسانح ما جاء من مياسرك فولّاك ميامنه ؛ حكى ذلك أبو عُبَيْدة عن رُؤْبة وقد سأله يونس عنه . وأهل نَجْدٍ يتشاءمون بالبوارح، وغيرُهم من العرب تتشاءم بالسانح وتتيمّن بالبارح؛ ومنهم من لا يرى ذلك شيئا؛ قال بعضهم[1] :

ولقد غدوتُ وكنتُ لا * أغدو على واقٍ[2] وحاتِمْ

فإذا الأشائمُ كالأيا * مِنِ والأيامنُ كالأشائمْ

وتنعابُ الغراب: صياحه؛ يقال : نَعَبَ الغرابُ يَنْعَبُ نَعِيبًا ونَعَبانًا ، والتنعاب تَفْعالٌ من هذا . وكان النابغة قال فى هذا البيت : "وبذاك خبّرنا الغُرَابُ الأسودُ" ثم ورد يَثْرِبَ فسمعه يُغَنَّى فيه، فبان له الإقواءُ، فغيّره فى مواضع من شعره .

(١) هو مرقش السدوسى؛ وقيل : إنه لخزز (بضم ففتح) بن لوزان . (عن لسان العرب) .

(٢) الواق (وزان القاضى) هنا : الصرد (بضم ففتح) وهو طائر فوق العصفور كانت العرب تتطير بصوته . والحاتم هنا : الغراب الأسود . وقبل البيتين :

لا يمنعنك من بغا * ء الخير تعقاد التمائم

وبعدهما :

وكذاك لا خير ولا * شر على أحد بدائم

قد خط ذلك فى الزبو * ر الأوليات القدائم

الزبور : الكتب؛ واحدها زبر (بالكسر) . (راجع لسان العرب مادتى وق وحتم) .

كان يقوى فلما ذهب الى يثرب تبين له هذا العيب فأصلحه

وأخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق قرأتُ على أبى :

قال أبو عُبَيْدة : كان فَحْلانِ من الشعراء يُقْوِيان : النابغةُ و بِشْرُ بن أبى خَازِم . فأمّا النابغةُ فدخل يَثْرِبَ فهابُوه أن يقولوا له لحنتَ وأ كفأتَ(١)، فدَعَوْا قَيْنةً وأمروها أن تغنّىَ فى شعره ففعلتْ . فلما سمِع الغناء و"غير مزوَّد" و"الغرابُ الأسودُ" و بان له ذلك فى اللحن فَطَنَ لموضع الخطأ فلم يَعُـدْ . وأمّا بِشْر بن أبى خَازِم فقال له أخوه سَوَادةُ : إنّك تُقْوِى ، قال : وما ذاك ؟ قال : قولُك :

* و يَنْسِى مثلَ ما نُسِيتْ جُذَامُ(٢) *

ثم قلت بعده "إلى البلد الشآمِ" . ففطن فلم يَعُدْ .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدّثنـا عمر بن شَبّة قال حدّثنـا خَلّاد الأرقط وغيرُه من علمـائنا قالوا :

كان النابغةُ يقول : إنّ فى شعرى لعاهةً ما أقِفُ عليها . فلمّا قدِم المدينة غُنِّى فى شعره؛ فلمّا سمِـع قولَه : "واتّقتْنا باليد" و "يكاد من اللَّطافة يُعْقَدُ" تبيّن له لمّـا مُدّتْ "باليد" فصارت الكسرة ياء ومُدّتْ "يُعْقَدُ" فصارت الضمّة كالواو؛ ففطَن فغيّره وجعله :

* عَنَمٌ على أغصانِه لم يُعْقَدِ *

(١) الإكفاء فى الشعر عنـد العرب : الفساد فى قوافيـه باختلاف الحركات أو الحروف القريبة المخارج بأن يكون روىّ القافية ميما ثم يجئ الروىّ فى بعض القصيدة نونا . والإكفاء عند أهل العروض : اختلاف إعراب القوافى . (٢) فى الأصول : * أمن الأحلام إذ صحبى نيام * والتصويب من خزانة الأدب (ج ٢ ص ٢٦٢) ؛ فان الشطر الأوّل فى الأصول من الرمل ، والثانى من الوافر . وتمام البيت الأوّل :

ألم تر أن طول الدهر يسلى * وينسى مثل ما نسيت جذام

وتمام البيت الثانى :

وكانوا قومنا فبغوا علينـا * فسقناهم الى البـــلد الشآم

١٦٥ / ٩

وكان يقول : وردتُ يَثْرِبَ وفى شعرى بعضُ العاهة، فصدَرْتُ عنها وأنا أشْعَرُ الناس . وقوله لا مَرْحَبًا : لا سعةً، ونصبُه هاهنا شبيهٌ بالمصدر، كأنه قال لا رَحُبَ رُحْبًا ولا أهَلَ أهْلًا . وأَزِفَ : قَرُبَ .

قال : وقال فى قصيدته هذه يذكر ما نظر إليه من المتجرِّدة وسَتْرِها وجهَها بذراعها :

٥

صـــوت

سقَط النَّصِيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه * فتناولَتْـه واتَّقَتْنا باليَـدِ

بمُخَضَّب رَخْصٍ كأنّ بَنانَه * عَنَمٌ على أغصانِه لم يُعْقَـدِ

ويفاحِمٍ رَجْلٍ أَثِيثٍ نبتُـه * كالكَرْمِ مالَ على الدِّعَامِ المُسْنَدِ

نظرتْ إليك بحاجةٍ لم تَقْضِها * نَظَرَ السَّقِيمِ إلى وُجوه العُـوَّدِ

١٠

غنّاه ٱبن سُرَيْج، ولحنُه من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو . والنَّصيف : الخِمار، والجمع أَنْصِفةٌ ونُصُفٌ . والعَنَم، فيما ذكر أبو عُبَيْدة، يَسارِيعُ[1] حُمْرٌ تكون فى البقل فى الربيع . وقال الأصمعىّ : العنم : شجر يَخْضَرّ ويَنْعَم[2] نبتُه . والفاحم : الشديد السواد . والرَّجْل : الذى ليس بجَعْد . والأثيثُ : المتكاثِف، قال ٱمرؤ القيس :

* أثيثٍ[3] كقِنْوِ النخلة المُتَعَثْكِلِ *

١٥

ويقال : شَعَرٌ رَجَلٌ ورَجِلٌ . ويُرْوَى :

* ورنتْ إلىّ بمقلتىْ مكحولةٍ *

(١) اليساريع : جمع يسروع (بضم الياء وفتحها ، ويقال فيها أسروع بضم الهمزة وفتحها) وهى دودة حمراء تكون فى البقل، تشبه بها الأصابع . (٢) نعم العود (من باب فرح) : اخضرّ ونضر .

(٣) صدر البيت : * وفرع يغشى المتن أسود فاحم *

٢٠

والفرع : الشعر الطويل . والمتن : الظهر . والقنو : العذق (وهو من النخل كالعنقود من العنب) . والمتعثكل : ذو العثاكيل (الشماريخ) .

والمكحولة : البقرة . وقوله : لم تَقْضها : يعنى المرأة أى لم تقدر على الكلام من مخافة أهلها ، فهى كالسّقيم الذى ينظر الى من يعوده .

غنّاه ابن سُرَيْج خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة .

وأخبرنا محمد بن العبّاس اليَزِيدىّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنا العُمَرِىّ قال : ٥

قال صالح بن حسان إنه كان مخنثا

قال الهَيْثم بن عَدِىّ قال لى صالح بن حَسّان : كان والله النابغةُ مُخَنَّثا . قلت : وما عِلْمُك به؟ أرأيتَه قط ؟ قال : لا والله !. قلت : أفَأُخْبِرتَ عنه؟ قال لا . قلت : فما عِلْمُك به ؟ قال : أمَا سمعتَ قولَه :

سقَط النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه * فتناولَتْه واتَّقَتْنا باليدِ ١٠

لا والله ما أحسنَ هذه الإشارة ولا هذا القولَ إلا مُخَنَّثٌ .

هربه من النعمان الى ملوك غسان واختلاف الرواة فى سببه

قال : فأنشدها النابغةُ مُرَّةَ بنَ سعد القُرَيْعِىّ ، فأنشدها مُرّةُ النُّعمانَ ، فامتلأ غضبًا فأوعد النابغةَ وتهدده ، فهرَب منه فأتى قومَه ، ثم شخَص الى ملوك غَسّان بالشأم فآمتدحهم . وقيل : إنّ عِصام بن شَهْبَرٍ الجَرْمِىّ حاجبَ النُّعمان أنذره[1] وعرّفه ما يُريده النُّعمان ، وكان صديقَه ، فهرَب . وعِصامٌ الذى يقول فيه الراجز : ١٥

نَفْسُ عِصامٍ سَوّدتْ عِصامَا * وعلّمتْه الكَرَّ والإقدامَا
* وجعلتْه مَلِكًا هُمَامَا *

---

(١) أنذره : أعلمه .

وقال مَنْ رويتُ عنه خبرَ النابغة : إنّ السببَ فى هَرَبه من النّعمان أنّ عبد القيس بن خُفَاف التّميمىّ ومُرّة بن سَعْد[1] بن قُرَيْع السّعْدىّ عمِلا هجاءً فى النّعمان على لسانه، وأنشدا النّعمانَ منه أبياتًا يقال فيها :

مَلِكٌ يُلاعِبُ أُمَّه وقَطِينَه * رِخْوُ المَفَاصِلِ أيْرُه كالمِرْوَدِ

٥ ومنه :

قبّح اللهُ ثم ثَنَّى بِلَعْنٍ * وارثَ الصائغ الجَبَانَ الجَهُولَا

مَنْ يَضُرُّ الأدنَى ويَعْجِزُ عن ضَرِّ الأقاصِى ومَنْ يَخُون الحليلا

يجمع الجيشَ ذا الألوفِ ويغزو * ثم لا يَرْزَأُ العَدُوَّ فَتيلا

١٦٦ / ٩٠

يعنى بوارث الصائغ النّعمانَ؛ وكان جدُّه لأمّه صائغا بفَدَكَ[2] يقال له عطيّة . وأمّ ١٠ النّعمان سَلْمَى بنت عَطِيّة .

فأخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنى عمى عُبَيد الله عن ابن حَبِيبَ عن ابن الأعرابىّ عن المفضَّل : أنّ مُرّة بن سَعْد القُرَيعىّ الذى وشَى بالنابغة كان له سيفٌ قاطع يقال له ذوالرِّيقة من كثرة فِرِنْده وجوهره، فذكره النابغةُ للنعمان، فأخذه . فاضطغن ذلك القُرَيعىّ حتى وشَى به الى النّعمان وحرّضه عليه .

١٥ وأخبرنا الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن محمد بن سَلّام عن يونس ابن حَبيب عن أبى عمرو بن العَلَاء، وأخبرنا إبراهيم بن أيُّوب عن ابن قُتَيْبة، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شَبّة، قالوا جميعا :

---

(١) فى خزانة الأدب (ج ١ ص ٣٧١ و ٤٢٧) وشرح لديوانه : «ابن ربيعة» بدل «ابن سعد» .

(٢) فدك : قرية بالحجاز من نواحى خيبر .

إن الذى من أجله هرب النابغةُ من النعمان أنه كان والمُنَخَّلُ بن عُبَيْد بن عامر اليَشْكُرىّ جالسين عنده، وكان النعمان دميمًا أبرش[١] قبيح المَنْظَر، وكان المنخّل بن عُبَيْد من أجمل العرب، وكان يُرْمَى بالمتجرِّدة زوجة النعمان، ويتحدث العربُ أن ابنى النعمان منها كانا من المنخّل. فقال النعمان للنابغة: يا أبا أُمامةَ، صِفِ المتجرِّدةَ فى شعرك؛ فقال قصيدته التى وصفها فيها ووصف بطنها وروادفها وفرجها. فلحقتِ المنخّلَ من ذلك غَيْرةٌ، فقال للنعمان: ما يستطيع أن يقول هذا الشعرَ إلا مَنْ جرّبه. فوقر ذلك فى نفس النعمان، وبلغ النابغةَ فخافه فهرب فصار فى غسّان.

كان المنخل اليشكرى يهوى هندا بنت عمرو ابن هند فتغزل فيها فقتله

قالوا: وكان المنخّل يهوَى هندًا بنت عَمْرو بن هند، وفيها يقول:

صــــوت

ولقد دخلتُ على الفتا * ةِ الخِدْرَ فى اليومِ المَطِيرِ

الكاعبِ الحسناءِ ترْ * فُلُ فى الدِّمَقْسِ وفى الحريرِ

فدفعتُها[٢] فتدافعتْ * مَشْىَ القَطَاةِ الى الغديرِ

ولثمتُها فتنفّستْ * كتنفُّس الظَّبْىِ البَهِيرِ[٣]

— غنّاه إبراهيم المَوْصِلىّ من رواية عمرو بن بانة ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى على مذهب إسحاق —

(١) الأبرش: الذى فى لونه اختلاف بأن تكون نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو نحو ذلك.

(٢) فى الأغانى فى ترجمة المنخل اليشكرى (ج ١٨ ص ١٥٤ طبعة بلاق): «دافعتها». وفى رواية هذه القصيدة هنا وفى ترجمة المنخل فيما سيأتى فى الأغانى وفى كتاب الشعر والشعراء اختلاف فى بعض الكلمات سنشير الى بعضه هاهنا. (٣) البهير: الذى تتابع نفسه من الإعياء والتعب؛ يقال: انبهر وبهر (مبنيا لمجهول) فهو مبهور وبهير. ورواية البيت فى كتاب الشعر والشعراء:

وعطفتها فتعطفت * كتعطف الظبى الغرير

وَبَدَتْ[1] وقالت يا مُنَخَّـ * ـلُ ما بجسمك من فُتورِ؟

ما مَسَّ جِسْمِى غيرُ حُبِّـ * ـك فاهْدَئى[2] عنِّى وسِيرِى

ولقد شَرِبْتُ من المُدَا * مةِ بالكبيرِ وبالصغيرِ

فاذا سَكِرْتُ فإنّنى * رَبُّ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ[3]

وإذا صحوتُ فإنّنى * ربُّ الشُّوَيْهةِ والبعيرِ

ياهِنْدُ هل من نائلٍ * ياهندُ للعانِى الأسِيرِ

وأحِبُّها وتُحِبُّنى * وتُحِبُّ[4] ناقتُها بعيرى

ـــ وقال حمّاد بن إسحاق عن أبيه فى كتاب أغانى ٱبن مِسْجَح: فى هذا الصوت لمالك ومَعْبَد وٱبنِ سُرَيج وٱبن مُحْرِز والغَرِيض وٱبن مِسْجَح لكلهم فيه ألحانٌ ـــ قال:

١٠ فبلغ عمرًا خبرُ المنخَّل فأخذه فقتله. وقال المنخل قبل أن يقتله وهو محبوس فى يده يَحُضّ قومه على طلب الثأر به:

١٦٧/٩

طُلَّ وَسْطَ العِرَاقِ قَتْلِى بِلَا جُرْ * مٍ وقَوْمِى يُنَتِّجون السِّخالَا

رجع الخبر الى سِياقه. قالوا جميعا: فلمّا صار النابغة الى غَسّانَ نزل بعمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبى شِمْر[5] ـــ وأمّ الحارث

١٥ الأعرج مَارِيَةُ بنت ظالم بن وَهْب بن الحارث بن مُعَاوِيَةَ بن ثَوْر بن مُرتِع[6] الكِنْدِيّة

---

(١) فى ترجمة المنخل: «ورنت». وفى كتاب الشعر والشعراء: «فترت». (٢) كذا فى حـ، أ، وترجمة المنخل فيا يأتى وكتاب الشعر والشعراء. وفى سائر الأصول هنا: «فاعزبى».

(٣) الخورنق والسدير: قصران، وقيل: هما نهران. (٤) فى ترجمة المنخل وكتاب الشعر والشعراء: «ويحب». (٥) يقال فيه أيضا شمر (بكسر أوله وسكون ثانيه). (راجع

٢٠ خزانة الأدب ج ١ ص ٣٧١). (٦) ضبطه الحافظ فى التبصير كمحسن، وضبطه الصاغانى فى العباب كمحدّث. (عن القاموس وشرحه).

وهى ذات القُرْطين اللّذين يُضْرَب بهما المثل فيقال لِما يُغْلَى به الثمن «[خُذْه ولو] (١) بقُرْطَىْ مَارِيَةَ» . وأُختها هند الهنود امرأة حُجْرٍ آكلِ المُرَار . وإيّاها عنَى حسّان بقوله فى جَبَلة بن الأيْهَم :

أولادُ جَفْنَةَ حولَ قبرِ أبيهمُ * قبر ابن مَارِيَةَ الجَوَادِ المُفْضِلِ

مدح عمرو بن الحارث الأصغر الغسانى وأخاه النعمان

ولذلك خبر يأتى فى موضعه — فمدحه النابغةُ ومدح أخاه النُّعْمان . ولم يزل مقيمًا مع عمرو حتى مات ، وملك أخوه النُّعْمان ، فصار معه الى أن استطلعه (٢) النُّعمان فعاد اليه . فممّا مدَح به عمرًا قولُه :

صــوت

كِلِينِى لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ (٣) نَاصِبِ * ولَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِىءِ الكواكبِ

وصَدْرٍ أراحَ الليلُ عازِبَ هَمِّه * تضاعفَ فيه الحُزْنُ من كلِّ جانبِ

تَقَاعَسَ حتى قلتُ ليس بمُنْقَضٍ * وليس الذى يَهْدِى النجومَ بآئبِ

علىّ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ بعد نعمةٍ * لوالده ليست بذاتِ عَقَارِبِ

عروضه من الطويل . غنّى فى البيتين الأوّلين ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاقَ من رواية عمرو . وغنّى فيه الأَبْجَر من رواية حَبَش ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى . وغنّى مالكٌ فى البيت الرابع ثانىَ ثقيلٍ بالسبابة فى مجرى الوسطى من رواية هارونَ بنِ محمد بن عبد الملك الزيّات . وغنى فى الأربعةِ الأبياتِ عبد الله ابن العبّاس الرَّبيعىّ مَاخُورِيًّا عن حَبَش ، وغنّى فيها طُوَيْس رَمَلًا بالوسطى بحكايتين عن حَبَش .

---

(١) التكملة عن كتب الأمثال . (٢) استطلعه : طلب طلوعه اليه . يريد : استقدمه اليه .

(٣) أميمة : تصغير أمامة وهى بنته . وأقاسيه : أكابده وأعالج طوله .

هكذا رُوِى قولُه "يا أُمَيْمَةَ" مفتوحَ الهاء . قال الخليل : من عادة العرب أن تنادى المؤنّث بالترخيم فتقول يا أُمَيْمَ ويا عَزَّ ويا سَلْمَ، فلمّا لم يُرَخِّم لحاجته الى الترخيم (١) أجراها على لفظها مُرَخَّمةً (٢) وأتى بها بالفتح . وكِلِينى أى دَعِينى . ووكَلْتُه الى كذا أَكِلُه وِكالة (٣) . وناصب: مُتْعِب (٤) . وبطىء الكواكب أى قد طال حتى إن كواكبه لا تجرى ولا تَغُور . أراح : ردّ . يقال أراح الرجلُ إبلَه أى ردّها . فيقول : ردّ هذا الليلُ إلىّ ما عَزَب من هَمِّى بالنهار؛ لأنه يتعلّل نهارًا بمحادثة الناس والتشاغل بغير الفكر، فإذا خلا بالليل راح اليه همُّه . وتقاعس تأخّر؛ وأصلُ التقاعس الرجوعُ الى خَلْفٍ القَهْقَرى ، فشبّه الليلَ فى طُوله بالمُتقاعِس . والذى يَهْدِى النجومَ أوّلُها (٥) ، شبهها بهواديها . وقوله "ليست بذات عقارب" أى لا يكدّرها ولا يَمُنُّها .

---

(١) لعل صوابه : «لحاجته الى ترك الترخيم» لأن الترخيم هنا يفسد وزن الشعر .

(٢) هذا رأى الجمهور ، قالوا : إن أمية مرخم ، والأصل يا أميم ، ثم دخلت الهاء غير معتد بها ، وفتحت لأنها وقعت موقع ما يستحق الفتح وهو ما قبل هاء التأنيث . وفيه آراء أخرى مبسوطة فى كتب النحو . (٣) الذى فى كتب اللغة أنه يقال : وكل الأمر إليه يكله وكلا ووكولا إذا سلمه إليه وتركه، ووكله إلى نفسه وكلا ووكولا . والوكالة (بالفتح وبالكسر أيضا) : اسم من التوكيل .

(٤) أى فناصب بمعنى منصب من النصب (بالتحريك) وهو التعب جىء به على طرح الزوائد . وحمله سيبويه على النسب أى ذو نصب، كما يقال : طريق خائف أى ذو خوف . وقال أبو عمرو : همّ ناصب من قولك نصب به الهم أى حل . وقال ابن الأعرابى : نصب له الهم إذا كان لا يفارقه . (راجع خزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ٣٧٠، وشروح ديوان النابغة) . (٥) فى هذه الجملة غموض، قد يرجع الى سهو النساخ عن بعض الكلام . ومعنى «وليس الذى يهدى النجوم بآئب» ، كما فى شروح الديوان، أن الذى يهدى النجوم ما يتقدّمها ؛ اذ هادى كل شىء ما يتقدّمه . فقيل المراد به أوّل النجوم، ومعنى كونه غير آئب : غير راجع الى مسقطه ومغيبه . وقيل المراد بهادى النجوم الشمس لأنها تتقدّم النجوم فى المغيب، ومعنى كونها غير آئبة : غير راجعة الى مشرقها ؛ فكأنه ليل لا نهار بعده . ويروى : « وليس الذى يرعى النجوم ... » .

ومما يغنّى فيه من هذه القصيدة :

حلفتُ يمينًا غيرَ ذى، مَثْنَوِيَّةٍ (١) * ولا عِلْمَ إلّا حسنَ ظَنٍّ بصاحبِ (٢)

لئن كان للقبرَين قبرٍ بِجِلّقٍ (٣) * وقبرٍ بصَيْدَاءَ الذى عند حارِبِ

وللحارثِ الجَفْنىّ سيّدِ قومِه (٤) * لَيَلْتَمِسَنْ بالجيش دارَ المُحارِبِ

ــ غنّاه إسحاقُ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهبه من رواية عمرو بن بانةَ عنه ومن رواية حَبَش . وغنّاه ابن سُرَيْج ثانىَ ثقيلٍ بالبنصر . يقول : ليس لى علمٌ بما يكون من صاحبى إلا أنّى أُحسِن الظنَّ به . وقوله "لئن كان للقبرين" يعنى لئن كان عمرٌو ابنًا للمدفونَيْن فى هذين القبرين، يعنى قبر أبيه وجدّه وهما الحارث الأكبر والحارث الأعرج ، لَيَلْتَمِسَنّ جيشُه دارَ المُحارِب له؛ يحرّضه بذلك . ويُروى "أرضَ المحارب" ــ

١٦٨ / ٩

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ سيوفَهم * بهنّ فُلُولٌ (٥) من قِرَاع الكتائبِ

إذا استُنْزِلوا عنهنّ (٦) للطعن أرقَلوا * الى الموت إرقالَ الجِمالِ المَصاعِبِ

(١) غير ذى مثنوية : حال من فاعل حلفت أى لم أستثن فيها . (٢) رواية ديوان النابغة وشروحه : «إلا حسن ظن» بتنكير الظن . (٣) جلق (بكسر الجيم وتشديد اللام مكسورة أو مفتوحة) : موضع بالشام، قيل : هو اسم مدينة دمشق نفسها، وقيل : اسم لكورة الغوطة كلها، وقيل موضع بقرية من قرى دمشق . وصيداء : مدينة على ساحل بحر الشام شرقى صور بينهما ستة فراسخ . وحارب : موضع . (٤) الحارث الجفنى : هو الحارث بن أبى شمر الجفنى الغسانى .

(٥) الفلول : الثلوم . والقراع : المجالدة، يقال : قارعه مقارعة وقراعا . والكتيبة : الجيش أو القطعة منه . وهذا الضرب من الاستثناء يسميه أصحاب البديع تأكيد المدح بما يشبه الذم، ومثله :

فتى كملت أخلاقه غير أنه * جواد فما يبقى من المال باقيا

(٦) الضمير فى «عنهن» للخيل فى قوله :

* على عارفات للطعان عوابس *

وهو وارد فى الديوان قبل هذا البيت مباشرة .

صوت

لهم شِيمةٌ لم يُعطِها اللهُ غيرَهم * من النَّاس والأحلامُ غيرُ عَوَازب

على عارفاتٍ للطِّعانِ عَوَابِس * بهنّ كلومٌ بين دامٍ وجالبِ

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ سيوفَهم * بهن فلولٌ من قِراع الكتائب

اذا استُنْزِلوا عنهنّ للطعن أرْقَلوا * إلى الموت إرقالَ الجمال المصاعب

حَبَوْتُ بها غَسّانَ إذ كنتُ لاحقًا * بقومى وإذ أعيتْ علىّ مَذَاهبي

وجدت فى كتابٍ لهارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات فى البيتين والثالث (١) والرابع لحنًا منسوبا الى مَعْبَد من خفيف الرمل بالوسطى . وأحسبه من لحن يحيى المكّىّ . الشِّيمة : الطبيعة، وجمعها شِيَمٌ . غير عوازب أى لا تعزُب أحلامهم فتنفُذ عنهم . وعارفات للطعان أى صابرات عليه قد عُوِّدت أن يُحَارَب عليها . وعوابس كوالح . وجالب أى عليه جُلْبة وهى قِشْرة تكون على الجرح ؛ يقال جَلَب الجرحُ يَجْلُب جلوبًا وأجلب إجلابا . والإرقال : مشيٌ يُشبه الخَبَبَ سريعٌ . والمصاعب واحدها مُصْعَبٌ وهو الفحل الذى لم يَمْسَسْه الحبل وإنما يُقْتَنَى للفِحْلة ، ويقال له قَرْمٌ ومُقْرَمٌ . وقوله "حبوت بها" يعنى بالقصيدة . وروى أبو عُبيدة "إذ كنت لاحقًا بقومٍ" وقال : يعنى إذ كنت لاحقًا بغيركم أى بقوم آخرين ، فكنتم أحقّ بالمدح منهم .

قالوا : فنظر الى النعمان بن الحارث أخى عمرو وهو يومئذ غلامٌ فقال :

هذا غلامٌ حَسَنٌ وجهُه * مُقتبِلُ الخيرِ سريعُ التَّمَام

للحارث الأكبرِ والحارثِ الـ * أصغرِ والأعْرَجِ خيرِ الأنام (٢)

(١) كذا فى الأصول (؟) . (٢) كذا فى كتاب الشعر والشعراء وخزانة الأدب . وفى الأصول هنا وفيما يأتى : « والحارث خير الأنام » .

ثم لهند ولهند فقد * أسرع فى الخيرات منه إمام (١)
خمسةُ آباءٍ وهُمْ ما هُمُ * هُمْ خيرُ من يشرب صوبَ الغَمام (٢)

غنّاه حُنَيْنٌ خفيفَ رملٍ بالبنصر عن حَبَش .

فضله الشعبى على الأخطل فى مواجهته فى مجلس عبد الملك

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا هارون بن عبد الله الزُّبيرىّ قال حدّثنا شيخ يُكْنَى أبا داود عن الشعبىّ قال :

دخلت على عبد الملك بن مَرْوانَ وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه . فقلتُ حين دخلتُ : عامرُ بن شَرَاحيل الشَّعْبىّ . فقال (٣) : على عِلْمٍ ما أذِنّا لك . فقلت فى نفسى : خذ واحدةً على وافد أهل العراق . فسأل عبدُ الملك الأخطلَ : مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين . فقلت لعبد الملك : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ فتبسّم وقال : هذا الأخطل . فقلت فى نفسى : خُذْها ثِنْتين على وافد أهل العراق ، فقلت : أشعرُ منك الذى يقول :

١٦٩ / ٩

هذا غلامٌ حسنٌ وجهه * مُستقبِلُ الخيرِ سريع التَّمامْ
للحارثِ الأكبرِ والحارث الْ * أصغرِ والأعرج خير الأنام
خمسةُ آباءٍ وهُمْ ما هُمُ * هم خير من يشرب ماء الغمام

— والشعر للنابغة — فقال الأخطل : إنّ أمير المؤمنين إنما سألنى عن أشعر أهل زمانه ، ولو سألنى عن أشعر أهل الجاهليّة لكنتُ حَرِيًّا أن أقول كما قلتَ أو شبيهًا به . فقلت فى نفسى : خذها ثلاثًا على وافد أهل العراق . (يعنى أنه أخطأ ثلاث مرات) . ونسخت هذا الخبر من كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز ولم أسمعه من

(١) فى كتاب الشعر والشعراء وخزانة الأدب :

... ... وقد * يجمع فى الروضات ماء الغمام

(٢) فى هذين المصدرين : « يشرب صفو المدام » . (٣) أى الأخطل .

أحد، ووجدته أتمّ مما رأيتُ فى كل موضع، فأتيتُ به فى هذا الموضع و إن لم يكن من خاصّ خبر النابغة لأنه أليقُ به . قال أحمد بن الحارث الخزاز حدّثنى المدائنىّ عن عبد الملك بن مسلم قال :

كتب عبدُ الملك الى الحجّاج : إنه ليس شىءٌ من لذّة الدنيا إلّا وقد أصبتُ منه، ولم يكن عندى شىء ألذّه إلا مناقلة الإخوان للحديث . وقِبَلك عامرٌ الشّعْبىّ، فآبعثْ به إلىّ يحدّثُنى . فدعا الحجّاجُ الشعبىَّ فجهّزه و بعث به إليه وقرّظه وأطراه فى كتابه . فخرج الشعبىّ، حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب: استأذِنْ لى . قال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا عامر الشعبىّ . قال : حيّاك الله ! ثم نَهض فأجلسنى على كرسيّه . فلم يلبث أن خرج إلىّ فقال : ادخُلْ يرحمُك الله . فدخلت، فإذا عبد الملك جالس على كرسىّ و بين يديه رجل أبيض الرأس واللّحية على كرسىّ، فسلّمتُ فرَدّ علىّ السلام، ثم أومأ إلىّ بقضيبه فقعدتُ عن يساره، ثم أقبل على الذى بين يديه فقال : وَيْحَك! مَن أشعرُ الناس؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين . قال الشعبىّ : فأظلم علىّ ما بينى و بين عبد الملك، فلم أصبر أن قلتُ : ومَنْ هذا يا أمير المؤمنين الذى يزعم أنه أشعر الناس؟! — قال : فعجب عبد الملك من عجلتى قبل أن يسألنى عن حالى — قال : هذا الأخطل . فقلت : يا أخطل ! أشعرُ والله منك الذى يقول :

هذا غلامٌ حسنٌ وجهُه * مستقبِلُ الخير سريع التّمامْ

للحارث الأكبرِ والحارث الـ * أصغر والأعرج خيرِ الأنام

ثم لهند ولهند فقد * أسرع فى الخيرات منه إمام

خمسة آباءٍ وهُمْ ما هُمُ * هُمْ خيرُ من يشرب صوبَ الغمام

فردّدتها حتى حفظها عبد الملك . فقال الأخطل : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ قال : هذا الشعبيّ. قال فقال: صدَق والله يا أمير المؤمنين، النابغةُ واللهِ أشعرُ منّى. فقال الشعبيّ : ثم أَقبل علىّ فقال : كيف أنت يا شعبيّ؟ قلت: بخير يا أمير المؤمنين فلا زلتَ به . ثم ذهبتُ لأضَعَ معَاذِيرِى لما كان من خِلافى على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ؛ فقال : مَهْ (٢) ! إنّا لا نحتاج إلى هذا المنطق ولا تراه منّا فى قول ولا فعل حتى تفارقَنا . ثم أقبل علىّ فقال: ما تقول فى النابغة؟ قال قلت : يا أمير المؤمنين ، قد فضّله عمرُ بن الخطّاب فى غير موطن على الشعراء أجمعين، وببابه وفدُ غَطَفَانَ فقال : يا معشر غطفان، أىُّ شعرائكم الذى يقول :

حَلَفتُ فلم أترك لنفسك رِيبةً * وليس وراء الله للمرء مَذْهَبُ
لئن كنتَ قد بُلِّغْتَ عنّى خِيانةً * لَمُبْلِغُكَ الواشى أغشُّ وأكْذَبُ
ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخًا لا تَلُمُّه * على شَعَثٍ أىُّ الرجالِ المهذَّب

قالوا : النابغةُ يا أمير المؤمنين . قال : فأيُّكم الذى يقول :

فإنكَ كاللّيل الذى هو مُدْرِكى * وإن خلتُ أنَّ المنتأى عنك واسعُ
خَطَاطِيفُ حُجْنٌ فى حبالٍ متينةٍ * تَمُدّ بها أيدٍ إليك نوازع

قالوا : النابغةُ . قال : فأيُّكم الذى يقول :

الى ابن مُحَرِّقٍ أعملتُ نفسى * وراحلتى وقد هَدَتِ (٣) العيونُ
أتيتك عاريًا خَلَقًا ثِيابى * على خوفٍ تُظَنُّ بِىَ الظُّنونُ
فألفيتُ الأمانةَ لم تَخُنْها * كذلك كان نُوحٌ لا يخون

(١) كذا فى أمالى السيد المرتضى (ج ٣ ص ١٠٢ الطبعة الأولى بمطبعة السعادة بالقاهرة) . وفى الأصول : « ... خلاف عن الحجاج » . (٢) مه : اسم فعل بمعنى اكفف .
(٣) أصله « هدأت » بالهمز، فسهلت الهمزة ثم حذفت لالتقاء الساكنين .

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : هذا أشعر شعرائكم . قال : ثم أقبل على الأخطل فقال : أتحبّ أنّ لك قِياضًا[(١)] بشعرك شعرَ أحدٍ من العرب أو تحبّ[(٢)] أنك قلته ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، إلّا أنى وددتُ أن كنتُ قلتُ أبياتًا قالها رجل منّا ، كان والله ما علمتُ مُغْدَفَ[(٣)] القِناع قليل السَّماع قصيرَ الذِّراع . قال : وما قال ؟ فأنشد قصيدته :

إنّا مُحيّوكَ فاسْلَمْ أيُّها الطَّلَلُ * وإن بَليتَ وإن طالت بكَ الطِّيَلُ[(٤)]

ليس الجديدُ به تبقَى بَشاشتُه[(٥)] * إلا قليلًا ولا ذو خُلّةٍ يصِلُ

والعيشُ لا عيشَ إلّا ما تَقَرُّ به * عينٌ ولا حالَ إلّا سوف تنتقل

إن تَرْجعى من أبى عثمانَ مُنْجِحةً[(٦)] * فقد يَهون على المُسْتَنْجِح العمل

والناسُ مَنْ يَلْقَ خيرًا قائلون له * ما يشتهى ولأُمِّ المخطئ الهَبَلُ

قد يُدْرِكُ المُتَأنّى بعضَ حاجته * وقد يكون مع المستعجِل الزلل

حتى أتى على آخرها . قال الشعبىّ : فقلت : قد قال القَطَامىّ أفضلَ من هذا . قال : وما قال ؟ قلت قال :

طَرَقتْ جَنُوبُ رِحالَنا من مَطْرَقٍ * ما كنت أحسَبها قريبَ المُعْنَقِ[(٧)]

(١) كذا فى جـ وأمالى السيد المرتضى . وفى سائر الأصول : « نياطا » وهو تحريف .

(٢) كذا فى أمالى السيد المرتضى . وفى الأصول : « أم تحب » .

(٣) كذا فى أمالى السيد المرتضى . وقد وردت هذه الكلمة فى الأصول محرفة ؛ ففى بعضها : « مفرق القناع » ، وفى بعضها : « مغرف القناع » . وإغداف القناع : ارساله على الوجه .

(٤) الطلل : ما شخص من آثار الديار . والطيل : جمع طيلة وهى الدهر .

(٥) الضمير فى « به » للدهر فى بيت قبل هذا البيت وهو :

كانت منازل منا قد نحل بها * حتى تغير دهر خائن خبل

(٦) الخطاب لناقته . ومنجحة : ظافرة . والمستنجح : طالب النجاح .

(٧) فى الأصول : «قريب المعنق» . والتصويب من ديوان القطامى وأمالى السيد المرتضى ولسان العرب . والمعنق : المكان الذى أعنقت منه . يقول : لم أظن أنها تقدر على أن تعنق وتسرع من هذا المكان . والعنق : ضرب من السير سريع ؛ يقال عانق وأعنق إذا أسرع .

قطعتْ اليك بمثل جيدِ جَدايةٍ[1] * حَسَنٍ مُعَـــلَّقُ تُومَتَيْه مُطَوَّقِ
ومُصَرَّعِين من الكَلَال كأنما * شَرِبوا الغَبُوقَ[2] من الرَّحيق المُعْرَقِ
متوسِّدين ذراعَ كلِّ نَجيبـةٍ * ومُفَرَّجٍ عُرَقِ المَقَـذِّ مُنَوَّقِ[3]
وجَثَتْ[4] على رُكَبٍ تَهُدّ بها الصَّفَا * وعلى كَلَاكِلَ كالنَّقيلِ المُطْرَقِ
وإذا سمِعْنَ الى هَمَاهِمِ رُفْقـةٍ[5] * ومن النجوم غوابِرٌ[6] لم تَخْفِـقِ
جعلتْ تُميلُ خدودَها آذانُهـا * طَرَبًا بهنّ الى حُداء السُّـوَّقِ
كالمُنْصِتاتِ الى الغِناء سمِعْنَه * من رائعٍ لقلوبهن مُشَـوِّقِ
وإذا نظرْنَ الى الطريق رأينه * لَهِقًا[7] كشاكلة الحصـان الأبلقِ
وإذا تخلَّف بعدهنّ لحاجةٍ * حادٍ يُشَسِّعُ[8] نَعْـلَه لم يَلْحَقِ

(١) الجداية (بالفتح ويكسر) : الغزال . والتومة (بالضم) : اللؤلؤة ، والقرط فيه حبة كبيرة . (٢) فى الأصول : "سمروا الغبوق من الرحيق المغبق" . والتصويب من الديوان ولسان العرب (مادة عرق) . وفيهما «الطلاء» بدل الرحيق . والكلال : الإعياء والتعب . والغبوق : ما يشرب بالعشى ، وهو أيضا الشرب بالعشى . والرحيق : من أسماء الخمر . والمعرق : القليل الماء ؛ يقال : أعرقت الكأس وعرّقتها (بتشديد الراء) إذا أقللت ماءها . (٣) فى لسان العرب (مادة فرج) : «زمام كل نجيبة» : والنجيبة من الإبل : الكريمة . والمفرج : ما بان مرفقه عن إبطه ، وهى صفة ممدوحة فى الابل . والمقذ : ما خلف الأذن . وعرق (بضم ففتح) : كثير العرق . وبعير منوّق : مذلل كأنه ناقة ، أو هو الذى قد اختير وتُنوّق فيه . (٤) جثا يجثو وجثى يجثى جثوا وجثيا (على فعول فيهما) : جلس على ركبتيه . والصفا : جمع صفاة وهى الحجر الصلد الضخم . والكلاكل : الصدور ، واحدها كلكل . والنقيل : رقاع النعل والخف ، واحدتها نقيلة . والمطرق : الذى وضع بعضه فوق بعض ، أى هى شديدة كأنها نعال مرقعة . (٥) رواية الديوان : «فاذا سمعن هماهما من رفقة» . والهماهم : جمع همهمة وهى الكلام الخفى أو ترديد الصوت فى الصدر . (٦) كذا فى الديوان . وغوابر : بواق . تخفق : تغيب . وفى الأصول : «غوائر لم تلحق» . (٧) كذا فى ح والديوان . وفى سائر الأصول : «كهفا» وهو تحريف . واللهق (بكسر الهاء وفتحها) : الشديد البياض . والشاكلة : الخاصرة . والأبلق من الخيل : الذى ارتفع تحجيله الى فخذيه . (٨) شسع نعله (بالتشديد) : جعل لها شسعا . ومثله شسع (بالتخفيف) وأشسع . والشسع (بالكسر) : أحد سيور النعل ، وهو الذى يدخل بين الأصبعين ويدخل طرفه فى الثقب الذى فى صدر النعل .

وإذا يصيبك والحوادث جمّةٌ * حدثٌ حذاك إلى أخيك الأوثق

لئن الهمومُ عن الفؤاد تفرقتْ (١) * وخلا التكلّمُ للسان المُطْلَق

قال : فقال عبد الملك : هـذا والله أشعرُ، ثكلت القطاميَّ أمُّه ! . قال : فالتفت إلىّ الأخطل فقال : يا شعبىّ ، إن لك فنوناً فى الأحاديث ، وإنما لنا فنٌّ واحد، فإن رأيت ألّا تحملنى على أكتاف قومك فأدعهم حرَضًا (٢) ! . فقلت : لا أعرض لك فى شىء من الشعر أبدًا، فأقِلْنى فى هـذه المرّة . قال : مَنْ يتكفّل بك ؟ قلت : أمير المؤمنين . فقال عبد الملك : هو علىّ ألّا يعرض لك أبدا، ثم قال : يا شعبىّ ، أىُّ نساء الجاهليّة أشعر؟ قلت : خنْساء . قال : ولِمَ فضّلتَها على غيرها؟ قلت : لقولها :

وقائلةٍ والنَّعْشُ (٣) قدفات خَطْوَها * لِتُدْركه يالَهْفَ نفسى على صخْرِ

ألا ثكلتْ أمُّ الذين غـدَوْا به * إلى القبر! ماذا يحملون إلى القبر

فقال عبد الملك : أشعرُ منها والله التى تقول (٤) :

مُهَفْهَفُ الكَشْحِ (٥) والسربالِ منخرقٌ * عنه القميصُ لسيْرِ الليـل محتقرُ

(١) كذا فى الديوان، وفيه «تفرجت» بدل «تفرقت» . وجواب القسم فى البيت الذى بعده وهو :

لأعلقن على المطى قصائدا * أذر الرواة بها طويل المنطق

وفى الأصول : «ليت الهموم ...» . (٢) الحرض (بالتحريك) الردىء من الناس . يريد : أجعلهم بهجائى من أراذل الناس . والحرض يوصف به المفرد مذكرا ومؤنثا والمثنى والجمع بلفظ واحد لأنه مصدر . ويقال رجل حرِض (بكسر الراء) وحارض ؛ وهذان الوصفان يؤنثان ويثنيان ويجمعان .

(٣) فى الأصول : «والناس» . والتصويب من أمالى السيد المرتضى (ج ٣ ص ١٠٥) .

(٤) هى ليلى أخت المنتشر بن وهب الباهلى — وقيل الدعجاء أخته — ترثيه بقصيدة منها هذان البيتان . والذى فى الكامل للمبرد أن هذين البيتين من قصيدة لأعشى باهلة يرثى بها المنتشر هذا .

(٥) مهفهف الكشح : ضامره . ومهفهفة السربال : رقته وخفته . ومنخرق عنه القميص أى «لا يبالى كيف كانت ثيابه لأنه لا يزين نفسه ، إنما يزين حسبه ويصون كرمه . وقيل معناه أنه غليظ المناكب ، وإذا كان كذلك أسرع الخرق إلى قميصه . وقيل : أرادت أنه كثير الغزوات متصل الأسفار؛ فقميصه منخرق لذلك» . بهذا شرح أبو زكريا التبريزى قول ليلى الأخيلية فى ديوان الحماسة :

ومخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما

لا يأمَنُ الناسُ مُمْساه ومُصْبَحَهُ * فى كلِّ فَجٍّ وإن لم يَغْزُ يُنْتَظَرُ (١)

ثم قال : يا شعبىّ ، لعلّك شَقَّ عليك ما سمعتَ . قلت : إى والله يا أمير المؤمنين أشدَّ المشقّة . إنى أُحدّثك منذ شهرين لم أُفِدْك (٢) إلا أبياتَ النابغة فى الغلام . قال : يا شعبىّ ، إنما أعلمتك هذا لأنه بلغنى أنّ أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ، يقولون : إنْ كانوا غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم والرواية ؛ وأهلُ الشام أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق ؛ ثم ردّ علىّ الأبياتَ أبياتَ لَيْلَى (٣) حتى حفظتها ، ولم أزل عنده ؛ فكنتُ أوّلَ داخل وآخرَ خارج . قال : فمكثتُ كذلك سنين (٤) ، وجعلنى فى ألفين من العطاء وعشرين رجلا من ولدى وأهل بيتى فى ألفين ألفين ؛ فبعثنى الى أخيه عبد العزيز بن مَرْوان بمصر وكتب اليه : يا أخى ، إنى قد بعثت اليك الشعبىّ ، فانظر هل رأيتَ مثلَه قطُّ ؟! ثم أذِن لى فانصرفت .

حديث حسان عنه حين وسنبعلى النعمان

أخبرنى الحسين بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المَدائنىّ ، وأخبرنى ببعضه أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنى عمر بن شَبّة عن أبى بكر الهُذَلىّ قال :

---

(١) رواية الكامل للشطر الأوّل من البيت الأوّل :

* مهفهف أهضم الكشحين منخرق *

والشطر الثانى من البيت الثانى :

* من كل أوب وإن لم يأت ينتظر *

(٢) كذا فى جـ ، وأمالى السيد المرتضى . و « لم أفدك » جملة حالية . وفى ا ، م : « إلا أفدك إلا ... » وفى ب ، س : « إنى إن أحدثك » بزيادة « إن » قبل « أحدثك » .

(٣) تراجع الحاشية رقم ٤ من ص ٢٥ من هذا الجزء .

(٤) فى جـ : « سنتين » .

قال حَسّان بن ثابت : قَدِمت على النُّعْمان بن المُنْذِر وقد آمتدحتُه ، فأتيت حاجبه عِصَامَ بن شَهْبَرٍ فجلستُ اليه ؛ فقال : إنى لأَرَى عربيًّا ، أفمن الحجاز أنت ؟ قلتُ نعم . قال : فكُنْ قَحْطانيّا . فقلت : فأنا قحطانىّ . قال : فكن يَثْرِبيًّا . قلتُ : فأنا يثربىّ . قال : فكن خَزْرَجيًّا . قلت : فأنا خزرجىّ . قال : فكن حَسّان بن ثابت . قلت : فأنا هو . قال : أجئتَ بمِدْحة الملك؟ قلت نعم . قال : فإنى أُرشدك : إذا دخلتَ إليه فإنه يسألك عن جَبَلَةَ بن الأَيْهَم ويسُبّه ، فإيّاك أن تساعده على ذلك ، ولكن أَمِرَّ ذكره إمرارًا لا تُوافِقُ فيه ولا تُخالِف ، وقل : ما دخول مثلى أيُّها الملك بينك و بين جبلةَ وهو منك وأنت منه !. و إن دعاك إلى الطعام فلا تُؤاكِلْه ؛ فإن أقسم عليك فأَصِبْ منه اليسيرَ إصابةَ بارٍّ قَسَمَه مُتَشَرِّف بمؤاكلته لا أكلَ جائعٍ سَغِبٍ ، ولا تُطِلْ محادثتَه ، ولا تبدأْه بإخبارٍ عن شيء حتى يكون هو السائلَ لك ، ولا تُطِل الإقامةَ فى مجلسه . فقلت : أحسنَ اللهُ رِفْدَك! قد أوصيتَ واعيًا . ودخل ثم خرج إلىّ فقال لى : ادخُلْ . فدخلتُ فسلّمت وحيّيت تحيّةَ الملوك . فجارانى من أمر جَبَلةَ ما قاله عِصَامٌ كأنه كان حاضرا ، وأجبتُ بما أمرنى ، ثم آستأذنتُه فى الإنشاد فأذِن لى فأنشدته . ثم دعا بالطعام ، ففعلتُ ما أمرنى عِصَامٌ به ، و بالشراب ففعلتُ مثلَ ذلك . فأمر لى بجائزة سنيّة وخرجت . فقال لى عصام : بَقِيتْ علىّ واحدةٌ لم أُوصِك بها ؛ قد بلغنى أنّ النابغة الذُّبْيانىّ قَدِم عليه[1] ، و إذا قدم فليس لأحد منه حظٌّ سواه ؛ فٱستأذِنْ حينئذ وانْصرِف مُكرَّمًا خير من أن تنصرف مجفُوًّا ؛ فأقمتُ ببابه شهرا . ثم قدم عليه الفَزَاريّانِ وكان بينهما و بين النعمان دُخْلُلٌ (أى خاصّة) وكان معهما النابغة قد استجار بهما

(١) لعله « قادم عليه » .

وسألها مسألة النعمان أن يرضى عنه . فضرب عليهما قُبّة من أدَم، ولم يشعر بأن النابغة معهما . ودسّ النابغةُ قَيْنةً تغنّيه بشعره :

* يادارمَيّةَ بالعَلْياء فالسَّنَدِ *

فلمّا سمع الشعرَ قال : أُقسم بالله إنه لشعر النابغة ! وسأل عنه فأُخبِر أنه مع الفَزارِيَّيْن ، فكلّماه فيه فأمّنه .

وقال أبو زيد عمر بن شَبَّة فى خبره : لمّا صار معهما إلى النعمان كان يُرسل إليهما بطيب وألْطاف مع قَيْنة من إمائه، فكانا يأمُرانها أن تبدأ بالنابغة قبلهما . فذكرتْ ذلك للنُّعمان، فعلم أنّه النابغة . ثم ألقى عليها شعرَه هذا وسألها أن تغنّيه به إذا أخذتْ فيه الخمرُ، ففعلتْ فأطربته، فقال : هذا شعرعُلْوِىٌّ[1] هذا شعر النابغة ! . قال : ثم خرج فى غِبّ سماء، فعارضه الفَزاريّان والنابغةُ بينهما قد خُضِب بحنّاء فَقَنَأ[2] خِضابُه . فلما رآه النُّعمان قال : هى بدَم كانت أحرَى أن تُخْضَب . فقال الفَزاريّان : أبيتَ اللّعنَ ! لا تثريبَ[3]، قد أجَرْناه ، والعفوُ أجمل . فأمّنه واستنشده أشعارَه . فعند ذلك قال حسّان بن ثابت : فحسَدته على ثلاث لا أدرى على أيّتهن كنتُ له أشدَّ حسدًا : على إدناء النُّعمان له بعد المباعدة ومسامرته له و إصغائه[4] إليه ، أم على جَوْدة شعره، أم على مائة بعير من عَصافيره[5] أمر له بها .

قال أبو عُبَيْدة : قيل لأبى عمرو : أفمِنْ مخافته امتدحه وأتاه بعد هَرَبه منه أم لغير ذلك ؟ فقال : لا لعمرُ الله ما لمخافته فعل ، إنْ كان لآمناً من أن يوجّه النعمانُ له

---

(١) علوى (بالضم) : نسبة الى العالية على غير القياس ، وهى ما فوق نجد الى أرض تهامة الى ما وراء مكة وقرى بظاهر المدينة . (٢) فى الأصول : «فأفنا» . والتصويب من كتب اللغة . وقنوء الخضاب : اشتداد حمرته . (٣) التثريب : اللوم والتعيير بالذنب والتذكير به . (٤) فى ح : «ومسايرته له» . (٥) العصافير : إبل نجائب كانت للملوك .

جيشا ، وما كانت عشيرتُه لِتُسلِمَه لأوّل وَهْلة ، ولكنه رغِب فى عطاياه وعصافيره .
وكان النابغةُ يأكل ويشرب فى آنية الفضّة والذهب من عطايا النعمان وأبيه وجدّه ،
لا يستعمل غيرَ ذلك . وقيل : إنّ السبب فى رجوعه إلى النُّعمان بعد هَرَبه منه أنه
بلغه أنه عليلٌ لا يُرْجَى ، فأقلقه ذلك ولم يملك الصبرَ على البعد عنه مع علّته وما خافه
٥ عليه وأشفق من حدوثه به ، فصار إليه وألفاه محمولاً[1] على سريره يُنْقَل ما بين الغَمْر
وقصور الحِيرة . فقال لِعصَام بن شَهْبَر حاجبه — فيما أخبرنا به اليزيدىّ عن عمّه
عُبَيد الله وابن حبيب عن ابن الأعرابىّ عن المُفَضَّل — :

رجوعه الى النعمان حين بلغه أنه عليل وشعره فى عصام

صوت

ألم أُقسِمْ عليكَ لَتُخْبِرَنِّى * أمحمولٌ على النَّعْش الهُمَامُ
١٠ فإنّى لا ألومُك فى دخولى * ولكن ما وراءكَ يا عِصَامُ
فإنْ يَهْلِكْ أبو قابُوسَ[2] يَهْلِكْ * ربيعُ النَّاسِ والشهرُ الحرامُ
ونُمْسِكْ[3] بعده بِذِنَابِ عيشٍ * أجَبِّ الظهر ليس له سَنَامُ

غنّاه حُنَيْنٌ ثقيلًا أوّلَ بالبنصر عن حَبَش .

١٧٣ / ٩

قال أبو عُبَيْدة : كانت ملوك العرب إذا مرِض أحدهم حملتْه الرجالُ على
١٥ أكتافها يتعاقبونه ، فيكون كذلك على أكتاف الرجال ؛ لأنه عندهم أوطأ من الأرض .

(١) فى الأصول : «محموما على سريره» وهو تحريف .

(٢) أبو قابوس : كنية النعمان بن المنذر . (٣) نمسك معطوف على جواب الشرط فى البيت الذى قبله ، فيجوز فيه الجزم بالعطف ، والنصب بأن مقدرة ، والرفع على الاستئناف . ويروى : « ونأخذ بعده » . وذناب كل شىء (بكسر أوّله) : عقبه ومؤخره . وأجب الظهر : مقطوع السنام ، كأن سنامه قد جب أى قطع من أصله ؛ يقال : بعير أجب ، وناقة جباء . يقول : ونمسك بعده بطرف
٢٠ عيش قليل الخير بمنزلة البعير المهزول الذى ذهب سنامه وانقطع لشدة هزاله . والأحسن فى « الظهر » الجر بالاضافة ، ويجوز فى مثله الرفع على قبح ، والنصب على ضعف . قال ابن مالك فى الكافية :

والرفع والنصب حكوا والجرا * فى قول من قال أجب الظهرا

وقـــوله :

* فإنى لا ألومُك فى دخولى *

أى لا ألومك فى ترك الإذن لى فى الدخول ، ولكن أَخْبِرْنى بكُنْه أمره . وقوله :

* ربيع الناس والشهر الحرامُ *

يريد أنه كالربيع فى الخِصْب لمُجْتَدِيه ، وكالشهر الحرام لجاره ، لا يُوصَل إلى من أجاره ٥
كما لا يُوصَل فى الشهر الحرام إلى أحد .

مما يغنى فيــه من شــعره

صـــــوت

رأيتُـك تَرْعانى بعينٍ بصيرةٍ (١) * وتبعث حُرّاسًا علىّ وناظرا (٢)

فآليتُ لا آتيك إن كنتُ مُجْرِمًا (٣) * ولا أبتغى جارًا سواك مجاورا

وأهلى فداءٌ لامرئ إن أتيتَه (٤) * تقبّل معروفى (٥) وسدّ المَفاقرا (٦) ١٠

ألا أبْلِـغ النُّعمانَ حيث لَقِيتَه * وأهدَى له اللهُ الغيوثَ البواكرا

غنّاه خُلَيْدُ الوادى (٧) رملًا بالبنصر من رواية حَبَش .

---

(١) ترعانى : تحرسنى وتحفظنى . (٢) فى شرح لديوانه (طبع المطبعة الوهبيــة بمصر سنة ١٢٩٣ هـ) : «وناصرا» . (٣) آليت : أقسمت . ومجرما : مذنبا ؛ يقال : جرم فهو جارم ، وأجرم فهو مجرم . يقول : أقسمت لا آتيك حتى أعتبك وأرضيك . ويروى «محرما» بالحاء ١٥ المهملة . أى لا آتيك ومعى حرمة من أحد . وقيــل : معنى «محــرم» داخل فى الشهر الحرام ، ومن دخل فى الشهر الحرام أمن . أى لا آتيك فى الشهر الحرام من خوفك ولكنى آتيك فى شهور الحل وأنا آمن بأمانك . (٤) فى بعض نسخ الديوان : «إذ أتيته» . قال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسى : رواية الطوسى « إذ أتيته » وفسره فقــال : « إذ لما مضى ، وهو الآن غائب عنه ؛ فأخبر باتيانه إياه فيا مضى وإحسانه إليه » . (٥) يريد بمعروفه الذى تقبله ثناءه عليه ومدحه إياه . ٢٠

(٦) يقال : سدّ الله مفاقره أى أغناه وسد وجوه فقره ، لا واحد له من لفظه ؛ وقيل : هو جمع فقر على غير قياس ، كحسن ومحاسن .

(٧) هو خليد بن عتيك أحد المغنين بوادى القرى . (راجع ص ٢٨٠ س ١٢ ج ٦ من هذه الطبعة) .

ومما يُغَنَّى فيه من قصائد النابغة التي يعتذر فيها إلى النعمان :

صــــوت

يادارَ مَيَّةَ بالعَلْياء فالسَّنَدِ * أقْوَتْ وطال عليها سالفُ الأَمَدِ
وقفتُ فيها أُصَيلانًا أُسائلها * أعْيَتْ جوابًا وما بالرَّبْع من أحدِ
إلّا الأواريَّ لَأْيًا ما أُبَيِّنُها * والنُّؤْىُ كالحَوْض بالمظلومة الجَلَدِ
رَدّتْ عليه أقاصيه ولبَّده * ضَرْبُ الوليدةِ بالمِسْحاةِ في الثَّأَدِ[1]
خَلَّتْ سبيلَ أَتِيٍّ كان يحبِسه * ورفَّعته إلى السَّجْفين فالنَّضَدِ
أضحتْ خَلاءً وأضحى أهلُها احْتَمَلوا * أَخْنَى عليها الذى أَخْنَى على لُبَدِ

الغناء لمَعْبَد ثقيلٌ أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لجَميلةَ ثانى ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو وحَبَش .

قال الأصمعىّ : قوله "يا دار ميّة" يريد يأهلَ دارِ مَيَّة، كما قال امرؤ القيس :

* ألَا عِمْ صَبَاحًا أيُّها الطَّلَلُ البالى *

يريد أهلَ الطلل . وقال الفرّاء . إنما نادى الدار لا أهلَها أسفًا عليها وتشوّقا إلى أهلها وتَمَنِّيَه أن تكون أهلا . والعلياء: المكان المرتفع بناؤه؛ يقال من ذلك عَلَا يَعْلُو وعَلِيَ يَعْلَى، مثلُ حَلَا يَحْلُو وحَلِيَ يَحْلَى، وسَلَا يَسْلُو وسَلِيَ يَسْلَى . والسَّنَد: سَنَد الجبل وهو ارتفاعه حيث يُسْنَد فيه أى يُصْعَد. أقْوَتْ : أقفرتْ وخَلَتْ من أهلها . وقال أبو عُبَيْدة فى قوله يادار مَيَّة ثم قال أقْوَتْ ولم يقل أقْوَيْتِ : إنّ من شأن العرب أن يخاطبوا الشيء ثم يتركوه ويَكُفّوا عنه . وروى الأصمعىّ "أُصَيْلانًا"[2] وهو

(١) الكلام على حذف مضاف أى فى موضع الثأد ، وموضع الثأد التراب الندى المبلول ، وهو إذا ضرب بالمسحاة التصق بعضه ببعض وانخفض . (٢) ويروى « أصيلالا » بإبدال النون لاما . ويروى « أصيلا كى أسائلها » . ويروى « طو يلا كى أسائلها » .

تصغير أُصْلَان[1] . ويُروى «عَيَّتْ جوابًا»[2] أى عَيِيَتْ بالجواب . والأَوَارِىّ : جمع آرِىّ[3] .
ولَأْيًا : بُطْئًا . والمظلومة : التى لم يكن فيها أثرٌ لحفر أهلها فيها حوضا ، وظُلْمُهم
إيّاها إحداثُهم فيها ما لم يكن فيها . شبّه النُّؤْىَ بذلك الحوض لاستدارته . والجَلَد :
الأرض الصُّلْبة الغليظة من غير حجارة . وإنما جعلها جَلَدًا لأنّ الحفر فيها لا يسهل .
وقوله «رَدّتْ عليه أقاصيه»[4] يعنى أَمَةً فعلتْ ذلك ، أضمرها ولم يكن جرى لها ذكر. ٥
وأقاصيه : يعنى أقاصى النُّؤْىِ على أدناه ليرتفع . ولَبّده : طَأْمَنه[5] . والوليدة : الأَمَةُ
الشابّة . والثَّأْد : النَّدَى . والسبيل : الطريق . والأَتِىّ : النهر المحفور ، والأَتِىّ :
السيل من حيث كان . يقول : لمّا أُفسدتْ طريقُ الأَتِىّ سهّلت له طريقًا حتى ١٧٤/٩
جرى . ورفّعتــه أى قدّمتِ الحفر إلى موضع السِّجْفين ، وليس رَفّعتْــه هاهنا من
ارتفاع العُــلُوّ[6] . والسِّجْفان : ســتْران رقيقان يكونان فى مُقَدَّم البيت . والنَّضَد : ١٠

(١) أصلان : قيــل : إنه جمع أصيل وهو العشى ، كرغيف ورغفان . ورد هــذا القــول بأنه لو كان جمع كثرة لمــا صح تصغيره ؛ إذ يدل بصيغته على التكثير وبتصغيره على التقليــل ؛ فيكون المرء مكثرا مقللا ، وهذا لا يكون ، وأن الصحيح أنه مفرد بنى من الأصيل على وزن الغفران والكلان .

(٢) هذه هى الرواية الصحيحة ؛ يقــال : عىّ بالجواب (بالإدغام) وعيى بالجواب (بالتصحيح) . وأما أعيا ففى المشى ؛ يقال : أعيا الرجل فى المشى فهو معى . وفى لسان العرب فى الكلام على هذا البيت : «ولا ينشد أعيت جوابا» . ١٥

(٣) الآرىّ : الآخية التى تشدّ بها الدابة .

(٤) ويروى : «ردت» بضم الراء بالبناء للمفعول . وتنبنى على هــذه الرواية ضرورة تسكين الياء فى «أقاصيه» ، وضرورة إضمار الفاعل من غير أن يجرى له ذكر .

(٥) طأمنه : خفضــه وسكنه .

(٦) قال البطليوسى فى شرحه لديوانه : «معنى البيت أن الأمة لمــا خافت من السيل على بيتها خلت سبيل المــاء فى الأتى بتنقيتها له من التراب كأنه كان انكبس فكنسته ومحت ما فيه من مدر وغير ذلك ممــا كان يحبس المــاء فيه حتى بلغت بحفرها الى موضع السجفين ... والمــاء فى رفعتــه تعود على النؤى أى قدمت النؤى حتى بلغت الى سجفى البيت لتق السجفين ومتاع البيت من السيل» . ٢٠

ما نُضِد من المَتاع . وأخْنَى : أفْسد[1] . ولُبَد : آخر نسور لُقْمان التى اختار أن يُعمَّر مثلَ أعمارها؛ وله حديث ليس هذا موضعه .

صـــوت

أسرَتْ[2] عليه من الجَوْزاءِ سارِيةٌ * تُزجِى الشَّمالُ عليه جامدَ البَرَدِ[3]

فارتاعَ من صَوْتِ كَلَّابٍ فباتَ له * طَوْعُ الشَّوامِتِ من خَوْفٍ ومن صَرَدِ

فبَثَّهُنّ[4] عليه وآستمرّ به * صُمْعُ الكُعوبِ بَرِيّاتٌ من الحَرَدِ

وكان ضُمْرانُ[5] منه حيثُ يُوزِعُهُ * طَعْنَ المُعارِكِ عند المُحْجَرِ النَّجُدِ

شَكَّ الفَرِيصةَ بالمِدْرَى فأنْفَذَها * طَعْنَ المُبَيْطِرِ إذ يَشْفِى من العَضَدِ

غنى فيه إبراهيم الموصلىّ هَزَجًا بالبنصر من رواية عمرو بن بانةَ . وفيه لحن لمالك .

يعنى أنّ سحابةً مرّتْ عليه ليلًا وأن أنواء الجَوْزاء أسْرَتْ عليه بها . وتُزجِى : تسوق وتَدْفَع . عَلَيْه أى على الثور[6] . والكَلّاب : صاحب الكِلَاب . وقوله "بات له طَوْعَ

(١) قال التبريزى فى شرح المعلقات : « أخنى : فيه قولان ، أحدهما أن المعنى : أتى عليها . والقول الآخر، وهو الجيد ، أن المعنى أفسد ؛ لأن الخنا الفساد والنقصان » .

(٢) هذه رواية الأصمعى ؛ ويروى أيضا : «سرت» بدون ألف وهى المناسبة لقوله «سارية» . ويرى الأصمعى أنه جاء باللغتين . (٣) البرد (بالتحريك) : حب الغمام .

(٤) بثهن : فرقهن . وفاعل «استمر» «صمع الكعوب» أى مضت به كعوبه الصمع ، يريد أنه جدّ وأسرع . (٥) ضمران : اسم كلب ؛ وكان الزياشى يرويه بالفتح عن الأصمعى . ويوزعه : يغريه . أى كان الكلب من الثور بالمكان الذى يغريه الكلاب ؛ كما تقول للرجل : أنا حيث تحب . ونصب طعن بمحذوف أى طعنه طعن المعارك . والمعارك : المقاتل . يريد أنه لما دنا الكلب من الثور طعنه الثور فنشب فى قرنه . وإذًا ففى الكلام إيجاز بالحذف . (٦) الثور المذكور فى قوله : «كأن رحلى ... الخ» البيتين الآتيين، وهما مذكوران فى الديوان قبل هذا البيت .

الشوامت " أى بات له ما يَسُرّ الشوامتَ اللّواتى شَمِتْنَ به (١) . وصُمْعُ الكعوب : يعنى قوائمَه أنها لازقةٌ محدَّدة الأطراف ليست برَهِلاتٍ . وأصلُ الصَّمع رِقّة الشيء ولطافته . والحَرَدُ (٢) : داء يعيبه ؛ يقال بعيرٌ أحْرَدُ، وناقةٌ حَرْداءُ . والمُحْجَرُ : المُلْجأ . والنَّجُدُ (٣) : الشجاع . والفَرِيصةُ : مَرْجع الكَتِف الى الخاصرة . والمِدْرَى : القَرْن . والمُبَيْطِر : البَيْطار . والعَضَدُ : داء يأخذ فى العَضُد .

وفى لحن إبراهيم الموصلىّ بعد " فارتاع من صوت كَلّابٍ " :

كأنّ رَحْلِي وقد زالَ النّهارُ بنا * يومَ الجَلِيلِ على مُسْتأنِسٍ (٤) وَحَدِ

مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أكارِعُه * طاوِى المَصِيرِ كسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرَدِ

قال الأصمعىّ : زال النهارُ بنا أى انتصف . و" بنا " هاهنا فى موضع " علينا " . ومَنْ روى " مُسْتَوْجِس " فإنه يعنى أنه قد أوْجَس (٥) شيئا خافه فهو يَسْتَوْجِس . والجليل (٦) : الثُّمام ، واحدته جَلِيلةٌ . ووَجْرة : طَرَف السِّيّ (٧) وهى فلاة بين مَرّان وذات عِرْق وهى

(١) هذا الشرح الذى ذكره المؤلف إنما هو على رواية «طوع الشوامت» بالرفع . قال ابن السكيت فى بيان هذه الرواية : يقول بات له ما أطاع شامته من البرد والخوف أى بات له ماتشتهى شوامته . قال : وسرورها به هو طوعها ؛ ومن ذلك يقال : اللهم لا تطيعن بى شامتا أى لا تفعل بى ما يحب فتكون كأنك أطعته . ويروى «طوع الشوامت» بالنصب . والشوامت على هذه الرواية هى القوائم ، واحدتها شامتة . يقول : فبات له الثور طوع شوامته أى قوائمه أى بات قائما . (راجع لسان العرب فى مادة شمت) .

(٢) الحرد : استرخاء عصب فى يدى البعير من شد العقال وربما كان خلقة . وإذا كان به هذا الداء نفض يديه وضرب بهما الأرض ضربا شديدا .

(٣) هذا على رواية ضم الجيم ، وهو حينئذ صفة للعارك . ويروى «النجد» بكسر الجيم وصفا من النجد (بالتحريك) وهو العرق من عمل أو كرب أو غيره . وهو على هذه الرواية يكون وصفا للحجر ، أى المحجر المكروب .

(٤) قال ابن الأعرابى : الاستئناس : النظر والتوجس كأنه يخاف الإنس .

(٥) فى الأصول : «عاقه» وهو تحريف .

(٦) والجليل أيضا : اسم موضع ينبت فيه الثمام ، ولعله هو المراد .

(٧) السىّ (بكسر أوله) : موضع بتلك الجهة التى ذكرها المؤلف .

ستون ميلًا يجتمع فيها الوحش . ومَوْشِيّ أكارعُه أى إنه أبيض فى قوائمه نُقَطٌ سُودٌ وفى وجهه سُفْعَةٌ[1] . وطاوِى المَصير : ضامر . والمَصِير المِعَى ، وجمعه المُصْران . والفَرَدُ : المنقطع القرينِ ؛ يقال : فَرَدٌ وفَرِدٌ وفُرُدٌ .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ قال :

غنّى مُخَارِقٌ يوماً بين يدى الرشيد :

* سرت عليه من الجوزاء ساريةٌ *

فلمّا بلغ إلى قوله :

* فآرتاعَ من صوت كَلّابٍ فبات له *

قال : فارتاعُ (بضم العين) ؛ فأردتُ أن أرُدّ عليه خطأه ، ثم خِفتُ أن يغضب الرشيد ويظنّ أنّى حسدته على منزلته منه وأردت إسقاطَه . فالتفت اليه بعضُ مَنْ حضر — أظنّه قال محمد بن عمر الرومىّ — فقال له : ويلك يا مخارق ! أتغنّى بمثل هذا الخطأ القبيح لسُوقةٍ فضلًا عن الملوك ! ويلك ! لو قلتَ : "فارتاعَ" كان أخفَّ على اللسان وأسهلَ من قولك "فارتاعُ". فخجِل مُخارق، وكُفِيتُ ما أردته بغيرى. قال : وكان مخارق لحّانا .

ومنها :

صوت

قالت ألَا لَيْتَما هذا الحَمامُ[2] لنا * إلى حمامتنا ونِصْفُهُ فقَدِ
يَحُفُّه جانِبَا نِيقٍ وتُتْبِعُه * مثلَ الزُّجاجة لم تُكْحَلْ من الرَّمَدِ

(١) السفعة : السواد أو هى سواد مشرب حمرة .

(٢) يروى بنصب الحمام على أن "ليت" عاملة ، ويروى بالرفع على أنها مكفوفة عن العمل بها .

فَحَسَبُوه فَأَلْفَوْه كما حَسِبتْ(١) * تسعًا وتسعين لم تنقُص ولم تَزِدِ

فكَمّلتْ مائةً فيها حمامتُها * وأسرعتْ حِسْبةً فى ذلك العدد

غنّاه ابن سُرَيْج خفيفَ ثقيلٍ عن الهشامىّ . هذا خبرٌ رُوِى عن زَرْقاء اليَمَامة(٢)، ويُروَى عن بنت الخُسّ(٣) .

أخذ معنى لزرقاء اليمامة

حدّثنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال سمعت أبا العباس محمد بن الحسن الأحول يقول : هذا أخذه النابغة من زرقاء اليمامة، قالت :

ليت الحمامَ لِيَهْ * ونِصْفَه قَدِيَهْ(٤)

الى حَمَامَتِيَهْ * تَمّ الحمامُ مِيَهْ

فسلَخه النابغة . وقال الأصمعىّ : سمعت أُناسا من أهل البادية يتحدّثون أنّ بنت الخُسّ كانت قاعدةً فى جَوَارٍ، فمرّ بها قَطًا واردٌ فى مَضِيقٍ من الجبل، فقالت :

ياليتَ ذا القَطَا لِيَهْ * ومثلَ نِصْفِ مَعِيَهْ

إلى قَطَاةِ أهْلِيَهْ * إذًا لنا قَطًا مِيَهْ

وأُتبعت فعُدّتْ على الماء فاذا هى ستٌّ وستّون . وقوله : «فَقَدْ» أى فَحَسْبُ . ويَحُفّه(٥) أى يكون من ناحية هذا الثَّمَد؛ يقال : حَفّ القومُ بالرجل أى اكتنفوه .

(١) ويروى : « كما زعمت » . (٢) زرقاء اليمامة : امرأة من بقايا طسم وجديس كانت حديدة النظر وكانوا يزعمون أنها تبصر مسيرة ثلاثة أيام . (٣) بنت الخس : امرأة من إياد كانت مشهورة بالفصاحة، اسمها هند، وقيل : جمعة . (٤) قديه : حسبى، والهاء الساكنة للسكت .

(٥) يريد الشاعر أن جانبى الجبل أحاطا بالحمام فكان الحمام بينهما . قال الأصمعىّ : « إذا كان الحمام بين جانبى نيق ضاق عليه فركب بعضه بعضا فكان أشدّ لعده وحزره ، وإذا كان فى موضع واسع كان أسهل لعده؛ فكان أحكم لها إذ أصابته فى هذه الحال » . وبهذا يعلم ما فى الأصول لشرح كلمة « يحفه » [illegible]

والنِّيق : الجبل. ومثل الزجاجة : يريد عينًا صافية كصفاء الزجاجة . الحِسْبة : الهيئة التي تُحسَب؛ يقال : ما أحسَنَ حِسْبَتَه، مثل الجِلْسة واللِّبْسة والرِّكْبة .

ومنها :

صــــوت

نُبِّئْتُ أنّ أبا قابُوسَ أوعَــدَني * ولا قَــرارَ على زَأْرٍ من الأسَدِ
مَهْلًا فِـــداءٌ لك الأقوامُ كلُّهــمُ * وما أُثَمِّرُ من مالٍ ومن ولد
إنْ كنتُ قلتُ الذي بُلِّغْتَ مُعْتَمِدًا * إذًا فلا رفعتْ سَــوْطِي إليَّ يدي
هـذا الثناءُ فإنْ تَسْـمَعْ به حَسَنًا * فلم أُعَرِّضْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ

غنّاه الهُذَليّ، ولحنه من الثقيل الأوّل عن الهشاميّ. أُثَمِّر : أُصلح وأجمع . والزَّأْر: صياح الأسد؛ يقال : زأر زئيرا وهو الزأر . والصَّفَد(١) : العطيّة؛ يقال : أَصْفده يُصْفِده إصفادًا إذا أعطاه، وصَفَده يَصْفِده صَفْدًا(٢) إذا أوثقه .

رواية أخرى في حديث حسان عنه حين وفد على النعمان

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني الصَّلْت بن مسعود قال حدّثنا أحمد بن شَبَّوَيْهِ عن سليمان بن صالح عن عبد الله ابن المبارك عن فُلَيْح بن سليمان عن رجل قد سمّاه عن حسّان بن ثابت، ونسخت من كتاب ابن أبي خَيْثَمةَ عن أبيه عن مُصْعَب الزبيريّ قال قال حسّان بن ثابت، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي يوسف بن محمد عن عمه إسماعيل ابن أبي محمد قال قال أبو عمرو الشيبانيّ قال حسان بن ثابت — وقد جمعتُ رواياتهم وذكرت اختلافهم فيها، وأكثرُ اللفظ للجوهريّ — قال : خرجتُ إلى النُّعْمان بن المنذر، فلَقِيت رجلًا — وقال اليزيديّ في خبره : فلقيتُ صائغًا من أهل فَدَك — فلما رآني

١٧٦
٩

(١) ويقال فيه أيضا الصفد (بسكون الفاء) .

(٢) ومثله صفده تصفيدا .

قال : كن يثْرِبيًّا، فقلت : الأمر كذلك . قال : كن خَزْرَجيًّا، قلت : أنا خزرجىّ .
قال : كن نجّاريًّا، قلت : أنا نجّارىّ . قال : كن حسّان بن ثابت، قلت : أنا هو .
فقال : أين تريد ؟ قلت : إلى هذا الملك . قال : تريد أن أُسَدِّدك إلى أين
تذهب ومَنْ تريد ؟ قلت نعم . قال : إن لى به علمًا وخُبْرا . قلت : فأعْلِمْنى ذلك .
قال : فإنك إذا جئته متروكٌ شهرًا قبل أن يُرسل إليك ثم عسى أن يسأل عنك رأسَ
الشهر، ثم إنك متروكٌ آخَر بعد المسألة ثم عسى أن يُؤْذَن لك . فإنْ أنت خلوتَ[1] به
وأعْجبْتَه فأنت مصيبٌ منه خيرا، فأقِمْ ما أقمتَ ، فإن رأيت أبا أُمَامة فاظْعَنْ ، فلا شىء
لك عنده . قال : فقدِمت ففعل بى ما قال الرجل ثم أذِن لى وأصبتُ منه مالًا كثيرا
ونادمتُه وأكلت معه . فبينا أنا على ذلك وأنا معه فى قُبّة له إذا رجلٌ يرتجز حولها :

أصمُّ أم يسمع ربُّ القُبّهْ * يا أوهبَ الناس لِعَنْسٍ[2] صُلْبَهْ
ضَرَّابةٍ بالمِشْفَرِ الأذِبَّهْ[3] * ذات هِبَابٍ[4] فى يديها جُلْبَهْ[5]
* فى لَاحِبٍ[6] كأنّه الأطِبَّهْ *

— وفى رواية اليزيدىّ " فى يديها خَذْبة[7] " أى طول واضطراب . والأطِبّة : جمع
طِبَاب[8] وهو الشِّراك يجمع فيه بين الأديمين فى الخَرْز . وقال عمر بن شَبّة فى خبره : قال

(١) فى الأصول : « خلوته » . والذى فى كتب اللغة أنه يقال : خلا الرجل بصاحبه واليه ومعه، اذا اجتمع معه فى خلوة .

(٢) فى ب، م : « لعيس » . والعنس : الناقة القوية . والعيس من الإبل : التى تضرب الى الصفرة أو هى البيض مع شقرة يسيرة، واحدها أعيس والأنثى عيساء . (٣) الأذبة : جمع قلة لذباب . (٤) الهباب (بالكسر) : النشاط والسرعة؛ يقال : هب يهب (بالكسر) هبا وهبوبا وهبابا إذا نشط وأسرع . وفى الأصول : « ذات هيات » وهو تصحيف . (٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « خلبة » بالخاء المعجمة . (٦) اللاحب : الطريق الواضح .
(٧) فى أكثر الأصول : « جذبة » . والتصويب من ا، م . (٨) طباب : جمع طبابة (بكسر الطاء) ومعناها ما ذكره المؤلف فى تفسير جمعها .

فُلَيح بن سليمان : أخذت هذا الرجز عن ابن دَأْب — قال فقال : أليس بأبى أمامة ؟
قالوا بلى . قال : فَأْذَنوا له . ودخل فحيّاه وشرب معه . ثم وردت النَّعَمُ السُّودُ،
ولم يكن لأحد من العرب بعيرٌ أسود يُعْرَف مكانُهُ ولا يفتحل أحدٌ بعيراً أسود غير
النعمان . فآستأذنه فى أن يُنشده كلمته على الباء ، فأذن له أن يُنشده قصيدته التى
يقول فيها :

٥ فإنّك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ * إذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكبُ

ووردت عليه مائةٌ من الإبل السُّود الكَلْبيّة فيها رِعاؤها و بيتها وكلبُها ، فقال : شأنَك
بها يا أبا أُمامة ، فهى لك بما فيها . قال حسّان . فما أصابنى حسدٌ فى موضع
ما أصابنى يومئذ ، وما أدرى أيّما كنتُ أحْسَدَ له عليه : ألِمَا أسمع من فضل
شعره ، أم ما أرى من جزيل عطائه ؛ فجمعتُ جَرَامِيزى(١) وركبت إلى بلادى . وقد
١٠ روى الواقدىّ عن محمد بن صالح الخبر فذكر أن حسّان قدم على جَبَلة بن أبى شَمِر ؛
ولعله غلط . أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنى عمّى يوسف قال حدّثنى
عمّى إسماعيل عن الواقدىّ عن محمد بن صالح قال :

كان حسّان بن ثابت يقدَم على جَبَلة بن الأَيْهَم سنةً ويُقيم سنةً فى أهله .
فقال : لو وفدتُ على الحارث ، فإن له قرابةً ورَحِماً بصاحبى ، وهو أبذل الناس
١٥ لمعروف ، وقد يئس منّى أن أقدَم عليه لِمَا يعرف من انقطاعى الى جَبَلة . فخرجتُ
فى السنة التى كنت أُقيم فيها بالمدينة حتى قدمت على الحارث وقد هيّأت مديحا .
فقال لى حاجبه وكان لى ناصحا : إنّ الملك قد سُرّ بقدومك عليه ، وهو لا يَدَعُك
حتى تذكُرَ جَبَلةَ . فإيّاك أن تقع فيه فإنه يختبرك ، فإنّك إن وقعتَ فيه زهد فيك ،
وإن ذكرتَ محاسنَه ثقُل عليه ، فلا تبتدئ بذكره ، فإنْ سألك عنه فلا تُطْنِب

١٧٧ / ٩

٢٠ (١) يقال : جمع فلان اليه جراميزه اذا رفع ما انتشر من ثيابه ثم مضى .

فى الثناء عليه ولا تعبه، امسح ذكره مسحا وجاوزه . وإنه سوف يدعوك الى الطعام وهو يثقل عليه أن يؤكل طعامه أو يشرب شرابه، فلا تضع يدك فى شىء حتى يدعوك اليه . قال : فشكرت له ذلك . ثم دعانى فسألنى عن البلاد والناس وعن عيشنا فى الحجاز وكيف ما بيننا من الحرب، وكل ذلك أخبره، حتى انتهى الى ذكر جبلة فقال : كيف تجد جبلة ، فقد انقطعت اليه وتركتنا؟ فقلت له : إنما جبلة منك وأنت منه؛ فلم أجر معه فى مدح ولا ذم، وفعلت فى الطعام والشراب كما قال لى الحاجب . قال : ثم قال لى الحاجب : قد بلغنى قدوم النابغة وهو صديقه وآنس به ، وهو قبيح أن يجفوك بعد البر، فاستأذنه من الآن فهو أحسن . فاستأذنته فأذن لى وأمر لى بخمسمائة دينار وكسا وحملان[1] ، فقبضتها وانصرفت الى أهلى .

صــــوت

ملوك وإخوان اذا ما لقيتهم * أحكم فى أموالهم وأقرب

ولكننى كنت امرأ لى جانب * من الأرض فيه مستراد ومطلب

الغناء لإبراهيم ثقيل أول . الجانب هنا : المتسع من الأرض . والمستراد : المختلف يذهب فيه ويجىء؛ ويقال : راد الرجل لأهله إذا خرج رائدا لهم فى طلب الكلا ونحوه . ثم ذكر مستراده فقال : "ملوك وإخوان" .

ومن القصيدة العينية :

صــــوت

عفا ذو حسا من فرتنا فالفوارع * بجنبا أريك فالتلاع الدوافع[2]

(١) الحملان (بالضم) : دواب الحمل فى الهبة خاصة . (٢) عفا : درس وامحى؛ يقال : عفت الدار، وعفت الريح الدار، فهو لازم ومتعد . وذو حسا وأريك : موضعان . وفرتنا : اسم امرأة . والفوارع : تلال مشرفات المسايل . وفى الأصول : «فالتوازع» والتصويب من نسخ الديوان . والتلاع : جمع تلعة، وهى هنا : مجرى الماء من أعلى الوادى الى بطون الأرض . والدوافع : التى تدفع بالماء الى الوادى .

فَمُجْتَمَعُ الأشْراج غَيَّرَ رَسْمَها * مَصَايِفُ مَرَّتْ بعدنا وَمَرَابِعُ[1]

توهَّمتُ آياتٍ لها فعرفتُها * لِستّةِ[2] أعوامٍ وذا العامُ سابعُ

رَمَادٌ ككُحْل العين مَا إنْ أُبِينُه[3] * ونُؤْيٌ كجِذْم الحوض أَثْلَمُ خاشع

غنّاه مَعْبَدٌ من رواية حَبَش رملاً بالبنصر .

صوت

آذنتنا ببينها أسماءُ * رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ

بعد عَهْدٍ لها ببُرْقة شَمَّا * ءَ فأدْنَى ديارِها الخَلْصاءُ

عروضه من الخفيف . آذنتنا : أعلمتنا . والبَيْنُ : الفرقة . والثاوى : المقيم ؛ يقال ثَوَى ثَوَاءً . والبُرْقة : أرض ذات رمل وطين . وشَمّاء والخَلْصاء : موضعان . الشعر للحارث بن حِلِّزَةَ اليَشْكُرِىّ . والغناء لمعبد ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو ، ومن الناس من ينسبه الى حُنَيْن .

---

(١) الأشراج : جمع شرج (بالفتح ويجمع جمع كثرة على شراج وشروج) وهو مجرى الماء من الحرار الى السهولة . والمصايف : جمع مصيف من الصيف ، ومثله المرابع من الربيع . أى غير رسمها ما يحدث فى المصايف والمرابع من رياح وأمطار ، أو غيره تعاقبهما عليها وطول اختلافهما .

(٢) اللام هنا بمعنى «بعد» أى بعد ستة أعوام .

(٣) فى بعض نسخ الديوان : «لأيا أبينه» أى أبينه بعد جهد ومشقة . والنؤى : حفير حول الخيمة ليحجز عنها الماء . وجذم كل شىء : أصله . ذكر الشاعر فى هذا البيت بعض الآيات التى توهمها فعرف بها الدار ، وهى رماد ككحل العين فى سواده وقلته ، ونؤى متثلم متكسر قد ذهب شخصه ولم يبق منه الا ما يبقى من الحوض اذا تهدّم .

أخبار الحارث بن حِلِّزة ونسبه

نسب الحارث بن حلزة

هو الحارث بن حِلِّزة بن مَكْرُوه بن يَزِيد(1) بن عبد الله بن مالك بن عَبْد بن سَعْد ابن جُشَم بن عاصم بن ذُبْيانَ بن كِنَانة بن يَشْكُرَ بن بَكْر بن وائل بن قَاسِط بن هِنْب ابن أَفْصَى بن دُعْمِىّ بن جَدِيلَةَ بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزَار .

١٧٨ / ٩

السبب فى قول قصيدته المعلقة

قال أبو عمرو الشيبانىّ : كان من خبر هـذه القصيدة والسبب الذى دعا الحارثَ إلى قولها أنّ عمرو بن هِنْـد الملك، وكان جبّارا عظيمَ الشأن والمُلْك، لمـّا جمع بَكْرًا وتَغْلِبَ ابنى وائل وأصلح بينهم، أخذ من الحَيَّيْن رُهُنًا من كلّ حىٍّ مائةَ غلام ليكفّ بعضَهم عن بعض؛ فكان أولئك الرُّهُن يكونون معه فى مسيره ويغزُون معه؛ فأصابتهم سَمُومٌ فى بعض مَسِيرهم فهلَك عامّة التَّغْلَبِيِّين وسلِم البَكْرِيّون . فقالت تَغْلِب لبكر : أَعطُونا دِيَاتِ أبنائنا ؛ فإن ذلك لكم لازم ، فأبت بكر بن وائل . فاجتمعت تَغْلِب الى عمرو بن كُلْثوم وأخبروه بالقصـة . فقال عمرو [ابن كلثوم لتَغْلِب : بِمَنْ ترون بكْرًا تَعْصِب أمرَها اليـوم؟ قالوا : بمن عسى إلّا برجل من أولاد ثَعْلَبَـة . قال عمرو](2) : أرى والله الأمرَ سينجلى عن أحمر أَصْلَجَ(3) أَصَمَّ من بنى يَشْكُرَ . فجاءت بكْرٌ بالنُّعمان بن هَرِمٍ أحد بنى ثَعْلَبَة بن غَنْم بن يَشْكُر، وجاءت تَغْلِب بعمرو بن كُلْثوم . فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هَرِم : يا أَصَمّ ! جاءت بك أولاد ثَعْلَبَة تُناضل عنهـم وهم يفخَرون عليك! . فقال النُّعْمان : وعلى مَنْ أظلّت

---

(1) فى شرح المعلقات العشر للتبريزى : «بديد» . (2) الزيادة من شرح المعلقات السبع لابن الأنبارى (نسـخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٣ أدب ش) وشرح المعلقات العشر للتبريزى . (3) فى شرحى ابن الأنبارى والتبريزى للملقات : «أصلع» . والأصلج : الأصم، والأصلج فى لغة بعض قيس : الأصلع .

السماءُ كلُّها يفخَرون ثم لا يُنْكَر ذلك . فقال عمرو بن كلثوم له : أمّا والله لو لَطَمتُك لطمةً ما أخذوا لك بها . فقال له النُّعمان : والله لو فعلتَ ما أَفْلَتَّ بها قَيْسَ أَيْرِ أبيك . فغضب عمرو بن هند وكان يؤثر بني تَغْلِب على بكر، فقال: يا جارية[1] أَعْطِيه لَحْياً[2] بلسان أُنْثَى (أى سُبِّيه بلسانك) . فقال : أيها الملك أَعطِ ذلك أحبَّ أهلِك إليك . فقال : يا نُعْمان أيسرُّك أنّى أبوك ؟ قال : لا ! ولكن وَدِدتُ أنك أمّى .
فغضِب عمرو بن هند غضبًا شديدا حتى همّ بالنُّعْمان . وقام الحارث بن حِلِّزة فارتجل قصيدته هذه ارتجالًا، توكّأً على قوسه وأنشدها وانتظم[3] كفّه وهو لايشعر من الغضب حتى فرَغ منها . قال ابن الكلبيّ : أنشد الحارثُ عمرَو بن هند هذه القصيدة وكان به وَضَحٌ[4]، فقيل لعمرو بن هند : إنّ به وضحا، فأمر أن يُجْعَل بينه وبينه سِتْرٌ . فلمّا تكلّم أُعجِب بمنطقه، فلم يزل عمرو يقول: أَدْنُوه أَدنوه حتى أمر بطرح السِّتر وأقعده معه قريباً منه لإعجابه به . هذه رواية أبى عمرو . وذكر الأصمعيُّ نحوًا من ذلك وقال : أخذ منهم ثمانين غلاماً من كل حىّ وأصلح بينهم بذى المَجَاز[5] ، وذكر أنّ الغلمان من بنى تَغلِب كانوا معه فى حرب فأُصيبوا . وقال فى خبره : إنّ الحارث بن حلِّزة لمّا ارتجل هذه القصيدة بين يدى عمرو قام عمرو بن كلثوم فارتجل قصيدته :

* قِفِى قبل التفرّق ياظَعِيناَ *

وغيرُ الأصمعيِّ يُنكر ذلك ويُنكر أنه السبب فى قول عمرو بن كلثوم .

---

(١) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : « ياحارثة » وهو تصحيف .
(٢) فى الأصول : « لحنا » بالنون، والتصويب من شرح المعلقات العشر للتبريزى وشرح المعلقات السبع لابن الأنبارى . والعبارة فيهما : «أعطيه لحيا بلسان . يقول : الحيه» .
(٣) كذا فى ح وشرحى ابن الأنبارى والتبريزى للمعلقات . وانتظم هنا : طعن . يريد : وجرح كفه . وفى م : «وانقط» . وفى سائر الأصول : «وانتظم» . (٤) الوضح هنا : البرص .
(٥) ذو المجاز : موضع سوق من أسواق العرب بعرفة .

وذكر ابن الكلبيّ عن أبيه أنّ الصلح كان بين بَكْر وتَغْلِب عند المنذر بن ماء السماء، وكان قد شرَط : أىُّ رجلٍ وُجد قتيلا فى دار قومٍ فهم ضامنون لدمه، وإنْ وُجد بين مَحَلَّتين قِيسَ ما بينهما فيُنْظَر أقربُهما إليه فتضمّن ذلك القتيل. وكان الذى وَلِى ذلك واحتمى لبنى تغلب قَيْس بن شَرَاحيل بن مُرَّة بن هَمّام. ثم إنّ المنذر أخذ من الحَيَّيْن أشرافَهم وأعلامهم فبعث بهم إلى مكة؛ فشرَط بعضَهم على بعض وتواثقوا على ألّا يُبقِى واحد منهم لصاحبه غائلةً ولا يطلبه بشىء مما كان من الآخر من الدِّماء. وبعث المنذرُ معهم رجلًا من بنى تميم يقال له الغَلّاق. وفى ذلك يقول الحارث بن حِلِّزة :

فهلّا سَعَيْتَ لصُلْح الصّديق * كصُلح ابن مَارِيَةَ الأقصمِ(1)
وقَيْسٌ تدارَكَ بَكْرَ العِرَاقِ * وتَغْلِبَ من شرِّها الأعظمِ
وبيتُ شَرَاحيلَ فى وائلٍ * مكانَ الثُّرَيّا من الأنجُمِ
فأصلَح ما أفسدوا بينهم * كذلك فِعْلُ الفتى الأكرمِ

— ابن مارية هو قيس بن شَراحيل. ومارية أمّه بنت الصبّاح بن شيبان من بنى هند —. فلبثوا كذلك ماشاء الله، وقد أخذ المنذر من الفريقين رُهُنًا بأحداثهم؛ فمتى الْتَوَى أحد منهم بحقّ صاحبه أقاد من الرُّهُن. فسرّح النُّعْمان بن المنذر ركبًا من بنى تغلب الى جبل طَيِّئ فى أمر من أمره؛ فنزلوا بالطرفة(2) وهى لبنى شَيْبان وتَيْم اللات. فذكروا أنهم أجلَوْهم عن الماء وحملوهم على المَفَازة، فمات القومُ عطشًا. فلما بلغ ذلك بنى تَغْلِب غضبوا وأتوا عمرو بن هند فاستعدَوْه على بكر، وقالوا : غدَرتم ونقضتم العهد وانتهكتم الحُرْمة وسَفكتم الدِّماء، وقالت بكر : أنتم الذين فعلتم ذلك،

(1) الأقصم : المكسور الثنية من النصف.

(2) لم نجد هذا الاسم فى كتب البلدان.

قذفتمونا بالعَضِيهة[1] وسمّعتم الناسَ بها، وهتكتم الحجاب والسّتر بادّعائكم الباطلَ علينا. قد سقيناهم إذ وردوا، وحملناهم على الطريق إذ خرجوا، فهل علينا إذ حار القوم وضلّوا! . ويصدّق ذلك قولُ الحارث بن حِلِّزة:

لم يَغُـرُّوكُمُ غُرورًا ولكن * يرفَعُ[2] الآلُ جَرْمَهم والضَّحاءُ

كان أبو عمرو الشيبانى يعجب لارتجاله معلقتـه فى موقف واحد، وشرح أبيات منها

٥ وقال يعقوب بن السِّكِّيت: كان أبو عمرو الشيبانيّ يعجَب لارتجال الحارث هذه القصيدة فى موقف واحد ويقول: لو قالها فى حول لم يُلَمْ. قال: وقد جمع فيها ذكر عِدّةٍ من أيّام العرب عيّر ببعضها بنى تغلب تصريحا، وعرّض ببعضها لعمرو بن هند؛ فمن ذلك قولُه:

أعلينا جُنَاحُ كِنْـدةَ أن يغـ * ـنَمَ غازيهـمُ ومنّا الجـزاءُ

١٠ قال: وكانت كنـدة قد كسَرت الخراج على الملك، فبعث إليهـم رجالا من بنى تغلب يطالبونهم بذلك، فقُتِلوا ولم يُدْرَكْ بثأرهم؛ فعـيّرهم بذلك. هكذا ذكر الأصمعيّ. وذكر غيره أنّ كِنْدةَ غزتهم فقتلت وسَبَتْ واستاقت، فلم يكن فى ذلك منهم شيءٌ[3] ولا أدركوا ثأرا. قال: وهكذا البيت الذى يليه وهو:

أم علينا جَرّى[4] قُضَاعةَ أم ليـ * ـس علينا فيما جَنَـوْا أنداءُ[5]

---

١٥ (١) العضيهة: الإفك والبهتان والقالة القبيحة. (٢) فى الأصول: «يدفع» بالدال، والتصويب من المعلقات. والآل: السراب، وهو ما يرى كالماء نهارا بين السماء والأرض يرفع الشخوص. وقيل: الآل ما كان فى الضحى والعشى، والسراب ما كان نصف النهار. والضحاء: ارتفاع النهار. يقول: ما أتوكم على غرة وإنما أتوكم نهارا ظاهرين وأنتم ترونهم، يرفع الآل أشخاصهم ويكشفها الضحاء. ويروى: «يرفع الآل شخصهم»، ويروى: «جمعهم». (٣) فى الأصول هنا: «تغيير» بدل «شيء». وقد تكررت هذه العبارة بعد ثلاثة أسطر، فأثبتناها هنا كما وردت هناك.

٢٠ (٤) الجرى (ويمد): الجناية. (٥) وردت هذه الكلمة محرفة فى الأصول بين «أثواء» و«أنواء» و«أفراء»، والتصويب من المعلقات. والأنداء: جمع ندى، وهو هنا ما يلحق الإنسان من الشر؛ يقال: ما لحقنى من فلان ندى أى شر، وما نديَنى من فلان شيء أكرهه أى ما بلَّنى ولا أصابنى.

فإنه عيّره بأن قضاعة كانت غزت بنى تغلب ففعلت بهم فِعْلَ كِنْدة، ولم يكن منهم فى ذلك شىء ولا أدركوا منهم ثأرا . قال : وقوله :

أم علينا جَرّى حَنِيفةَ أم ما * جَمَّعتْ من مُحارِبٍ غَبْراءُ(١)

قال : وكانت حَنيفة محالفةً لتغلبَ على بكر، فأذكر الحارثُ عمروَ بن هند بهذا البيت قَتْلَ شِمْر بن عمرو الحنفىِّ أحدِ بنى سُحَيْم المنذرَ بنَ ماء السماء غِيلةً لمّا حارب الحارثَ بن جَبَلةَ الغسّانىَّ، وبعث الحارثُ الى المنذر بمائة غلام تحت لواء شِمْر هذا يسأله الأمانَ على أن يخرج له عن مُلكه ويكونَ من قِبَله ؛ فركَن المنذرُ الى ذلك وأقام الغِلْمانُ معه ، فاغتاله شِمْر بن عمرو الحنفىّ فقتله غِيلةً ، وتفرّق مَنْ كان مع المنذر، وانتهبوا عسكرَه. فحرّضه بذلك على حلفاء بنى تغلب بنى حَنيفة. قال وقوله :

وثمانون من تميم بأيديـ * ـهمْ رِماحٌ صدورُهنّ القَضاءُ(٢)

يعنى عمرًا أحدَ بنى سعد [بن زيد] مناة ، خرج فى ثمانين رجلا من تميم فأغار على قوم من بنى قَطَنٍ من تَغْلِب يقال لهم بنو رِزَاحٍ كانوا يسكنون أرضًا تعرف بنَطَاعِ قريبةً من البَحْرَيْن، فقتل فيهم وأخذ أموالًا كثيرة، فلم يُدْرَك منه بثأر . قال : وقوله :

ثمّ خيلٌ من بعد ذاك مع الغَلّاق لا رأفةٌ ولا إبقاءُ(٣)

قال : الغَلّاق صاحب هجائن النُّعْمان بن المنذر، وكان من بنى حنظلة بن زيد مناة تميميًّا .

---

(١) غبراء أى جماعة غبراء، يريد الفقراء والصعاليك ؛ وقيل لهم غبراء لما عليهم من أثر الفقر والضر. يريد : أم ما جمعت صعاليك محارب . والغبراء أيضا : الأرض ؛ ويقال للفقراء بنو غبراء ؛ لأنهم لا مأوى لهم إلا الصحراء وما أشبهها . (٢) القضاء هنا : الموت .

(٣) يريد : ثم غزتهم من بعد بنى تميم خيل مع الغلاق فقتلت فيهم ولم يدرك منها بثأر . ومعنى قوله : لا رأفة ولا إبقاء أى ليس لأصحاب الغلاق رأفة بهم ولا إبقاء عليهم .

وكان عمرو بن هند دعا بنى تَغْلِب بعد قتل المنذر إلى الطلب بثأره من غَسّان؛ فامتنعوا وقالوا : لا نُطيع أحدًا من بنى المنذر أبدا ! أيظنُّ ابن هند أنّا له رِعَاء ! . فغضب عمرو بن هند وجمع جموعا كثيرة من العرب؛ فلما اجتمعتْ آلى ألّا يغزوَ قبل تَغْلِب أحدا؛ فغزاهم فقتل منهم قومًا، ثم استعطفه مَنْ معه لهم واستوهبوه
٥ جريرتَهم، فأمسك عن بقيّتهم، وطُلّت(١) دماء القتلى. فذلك قول الحارث :

مَنْ أصابوا من تَغْلِبِيٍّ فمطلو * لٌ عليــه إذا تــولّى العَفَاء(٢)

ثم اعتدّ على عمرو بحسن بلاء بَكْرٍ عنده فقال :

مَنْ لنـا عنـــده من الخير آيا * تٌ ثلاثٌ فى كلّهن القضـاءُ(٣)
آيةٌ شارِقُ(٤) الشّـــقيقة إذ جا * ءوا جميعًا لكل حىٍّ لِواءُ
١٠ حولَ قَيسٍ مُستَلْئِمين(٥) بكَبْشٍ * قَــرَظِىٍّ كأنه عَبْــلاءُ
فرَدَدْناهـم(٦) بضَـــرب كما يخـ * ـرج من خُرْبة المَزَاد المـاءُ
ثم حُجْــرًا(٧) أعنى ابنَ أمّ قَطامٍ * وله فارســـيَّةٌ(٨) خضـــراءُ

(١) طل دمه : أهدر ولم يثأر به؛ يقال : طل دمه وأطل مبنيين للفعول. وجوز أبو عبيدة والكسائى أن يقال : طل دمه مبنيا للفاعل. (٢) فى الأصول : «عليهم» والتصويب من المعلقات. ويروى :
١٥ «إذا أصيب» بدل «إذا تولى». وعليه العفاء : دعاء. والعفاء هنا : الدروس والهلاك؛ أى ينسى فيصير كالشىء الدارس. (٣) الآيات : العلامات. وقوله «فى كلهن القضاء» أى فى كلهن يقضى لنا بولاء الملك. (٤) شارق : جاء من قبل المشرق. (٥) المستلئم : لابس اللأمة وهى الدرع. والمراد بالكبش هنا الرئيس. وقرظىّ : نسبة الى البلاد التى ينبت بها القرظ وهى اليمن. والعبلاء : الصخرة البيضاء. (٦) ويروى : «فجبهناهم» أى تلقينا بجباههم
٢٠ بضرب ... الخ. والخربة هاهنا : عزلاء المزادة (القربة) وهى مسيل الماء منها. فشبه خروج الدم ونزوه من الجروح التى يصيبونهم بها بخروج الماء من أفواه القرب وثقوبها. (٧) نصب حجر بالنسق على الضمير المنصوب فى «فرددناهم» أى ثم رددنا حجرا. (٨) فارسية : يريد كتيبة سلاحها من عمل فارس. ووصفها بالخضرة لكثرة ما تحمل من سلاح.

أَسَــدٌ فى اللِّقاء ذو أشبالٍ[1] * وربيــعٌ إن شَــنَّعتْ غبراء[2]

فرددناهُــمُ بطعنٍ كما تُنْـ * ـهَزُ[3] فى جُمَّــة الطَّوِىِّ الدِّلاء

وفَكَكْنا غُلَّ امرئ القيس عنه * بعــد ما طال حَبْسُــه والعناء

وأقَــدْناه[4] رَبَّ غَسَّان بالمُنْـ * ـذِرِ كَرْهاً وما تُكالُ[5] الدِّماء

وفديناهُــمُ بتســعةِ أمــلا * كٍ كرامٍ أسلابُهم[6] أغــلاء

[ومع الجَوْنِ جَوْنِ[7] آل بنى الأوْ * سِ عَنُــودٌ[8] كأنها دَفْــواء]

يعنى بهذه الأيّام أيّاما كانت كلها لبكر مع المنــذر؛ فمنها يوم الشَّقيقة وهم قوم من شيبان جاءوا مع قيس بن مَعْدِيكَرِب ومعه جمع عظيم من أهل اليمن يُغيرون على إبل لعمرو بن هند، فردّتهم بنو يشكر وقتلوا فيهم، ولم يوصل الى شىء من إبل عمرو بن هنــد . ومنها يومٌ غزا حُجْر الكِنْدىّ، وهو حُجْــر بن أُمِّ قَطَام، امرأَ القيس وهو

(١) ويروى : « ورد هموس » والورد : الذى يضرب لونه الى الحمــرة . والهموس : المختال الذى يخفى وطأه حتى يأخذ فريسته . (٢) شنعت : جاءت بأمر شنيع . والغبراء هنا : الســنة التى لا مطر بهــا . (٣) نهــز الدلاء : تحريكها لتمتلئ ؛ يقــال : نهزت بالدلو فى البئر إذا ضربت بها فى المــاء لتمتلئ، ونهزتها إذا نزعت بها . والجمة (بالفتح) : المكان الذى يجتمع فيه المــاء ، والجمة (بالضم) : المــاء الكثير أو معظم المــاء . والطوىّ : البئر المطوية ؛ أى المبنية بالحجارة . (٤) أقدت القاتل بالقتيل : قتلته به . ورب غسان : ملكها . (٥) فى الأصول : «وما تطل الدماء» ، والتصــويب من المعلقات . ومعنى « وما تكال الدماء » أى لا تحصى لكثرتهــا ، أو لا يقام لهــا كيل ولا وزن فتذهب هدرا . ويروى : «إذ ما تكال» . (٦) الأسلاب : جمع سلب (بالتحريك) وهو ما يكون مع القوم من ثياب وسلاح ودواب . وأغلاء : غالية . (٧) أثبتنا هذا البيت زيادة على ما فى الأصــول لأن المؤلف سيتعرّض له فى شرحه . (٨) عنود : يريد هنا كتيبة ، كأنها تعند فى سيرها أى تطغى وتجور عن القصد . والدفواء : المــائلة . والدفواء : العقاب لعوج منقارها . فيحتمــل أنه يريد : كأنها مائلة من بغيها ، أو كأنها عقاب لأنهــا تنقض على العــدو كما تنقض العقاب على الصــيد .

ماء السماء بن المنذر، لقيه ومع حُجْر جمعٌ كثير من كندة، وكانت بكر مع امرئ القيس، فخرجت الى حُجْر فردّته وقتلت جنودَه . وقوله :

* ففككنا غُلَّ امرئ القيس عنه *

وكانت غسّان أسرته يوم قتلِ المنذرِ أبيه، فأغارت بكر بن وائل على بعض بَوَادِى الشام فقتلوا ملِكا من ملوك غسّان واستنقذوا امرأ القيس بن المنذر، وأخذ عمرو ابن هند بنتًا لذلك الملك يقال لها مَيْسُون . وقوله : "وفديناهُمُ بتسعة ..." يعنى بنى حُجْر آكلِ المُرَار . وكان المنذر وجّه خيلًا من بكر فى طلب بنى حُجْر، فظفرت بهم بكر بن وائل فأتَوْا المنذرَ بهم وهم تسعة، فأمر بذبحهم فى ظاهر الحيرة فذُبحوا بمكان يقال له جَفْر الأملاك . قال: والجون جون آل بنى الأوْس: ملكٌ من ملوك كِنْدة وهو ابن عم قيس بن مَعْدِيكَرِبَ . وكان الجون جاء ليمنع بنى آكل المُرَار ومعه كتيبةٌ خَشْناء، فحاربته بكرٌ فهزَموه، وأخذوا بنى الجون فجاءوا بهم الى المنذر فقتلهم.

١٨١ / ٩

قال : فلمّا فرَغ الحارث من هذه القصيدة حكَم عمرو بن هند أنه لا يلزم بكرَ ابنَ وائل ما حدث على رهائن تَغْلِبَ؛ فتفرّقوا على هذه الحال . ثم لم يزل فى نفسه من ذلك شىء حتى همّ باستخدام أُمّ عمرو بن كُلْثوم تعرّضًا لهم وإذلالًا؛ فقتله عمرو بن كلثوم . وخبره يُذْكَر هناك .

قصيدة له دالية

قال يعقوب بن السِّكِّيت أنشدنى النَّضْر بن شُمَيْل للحارث بن حِلِّزة — وكان يستحسنها ويستجيدها ويقول : لله دَرّه ما أشعره — :

صـــوت

مَنْ حاكمٌ بينى وبيـ * ـن الدَّهْر مالَ علىّ عَمْدَا

أودَى بسادتنا وقـد * تركوا لنا حَلَقًا وجُرْدا[1]

(١) الحلق هنا : الدروع . والجرد : الخيل القصيرة الشعر، واحدها أجرد .

خيــلى وفارسُها وربِّ أبيك كان أعزَّ فقــدا

فلو انّ ما يأوِى إلىَّ أصاب من ثَهْلانَ[1] هَدّا

فَضَعِى قِناعَك إنّ رَيْـ * ـبَ الدَّهرِ قد أفنى مَعَدّا

فلَكَم رأيتُ معاشرًا * قــد جمّعوا مالًا ووُلْدا

وهُــمُ زَبَابٌ[2] حائــرٌ * لاتَسْمَعُ[3] الآذانُ رَعْـدا

فَعِش بجَــدٍّ[4] لا يَضرْ * كَ النُّوكُ ما لاقيت جَدّا

والعَيْشُ خــيرٌ فى ظِلَا * لِ النُّوكِ ممن عاش كَدّا[5]

فى البيت الأوّل من القصيدة والبيتين الأخيرين خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى لعبد الله بن العبّاس الرَّبيعىّ، ومن الناس من ينسبه إلى بَابويه .

صــــوت

ألَا هُبِّى[6] بِصَحْنِكِ فاصْبَحِينا * ولا تُبْقِى خمــورَ الأنْدَرِينا

---

(١) ثهلان : جبل . (٢) الزباب : ضرب من الفأرة لا تسمع ، يشبه بها الجاهل ، والواحدة زبابة . (٣) أى لا تسمع آذانها الرعد لما بها من صمم . (٤) الجد (بفتح الجيم) : الحظ . والنوك (بالضم وبالفتح) : الحمق . ويحتمل أن يكون الأصل : «عيشن بجد» الخ .

(٥) استشهد أصحاب المعانى بهذا البيت على الايجاز المخل . إذ هو يريد أن العيش الناعم فى ظل النوك خير من العيش الشاق فى ظل العقل ؛ وألفاظ البيت لا تفى بهذا المعنى .

(٦) هبى : قومى من نومك ؛ يقال : هب من نومه هبا اذا انتبه وقام من مضجعه . والصحن : القدح الواسع الضخم . واصبحينا : اسقينا الصبوح وهو شراب الغداة . وأندرين : قرية كانت جنوبى حلب فى طرف البرية وكانت من القرى الشهيرة بالخمر . وقد قال اللغويون فيها غير هذا القول أقوالا كثيرة فندها جميعا ياقوت فى كتابه معجم البلدان .

مُشَعْشَعَةً[(١)] كأنَّ الحُصَّ فيها * إذا ما الماءُ خالطها سَخِينَا[(٢)]

عروضه من الوافر . الشعر لعمرو بن كُلْثوم التَّغْلِبِيّ . والغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّل بالخنصر فى مجرى الوسطى من روايته . وفيه لإبراهيم ثانى ثقيل بالوسطى عن عمرو .

---

(١) مشعشعة : ممزوجة بالماء وأرقّ مزجها . وهى منصوبة على أنها مفعول « اصبحينا » أو على أنها حال من « خمور الأندرين » أو بدل منها ؛ ويجوز الرفع على تقدير هى مشعشعة . والحص (بالضم) : الورس (نبت أصفر باليمن) أو هو الزعفران . شبه صفرتها بصفرته .

(٢) سخينا : حال من الماء ؛ قال أبو عمرو الشيبانى : كانوا يسخنون لها الماء ثم يمزجونها به ، أو نعت لمحذوف ، والمعنى : فاسقينا شرابا سخينا . وقيل : إنّ « سخينا » فعل وفاعل أى جدنا . وفى فعل « سخا » لغات ؛ يقال : سخِى يسخَى (وزان فرح) سخا وسخوة ، وسخا يسخو ، وسخا يسخى (وزان فتح) سخاء ، وسخو يسخو (وزان كرم) سخاء وسخوّا وسخاوة .

نسب عمرو بن كلثوم وخبره

ب عمرو بن [كل]ثوم من قبل أبويه

هو عمرو بن كُلْثوم بن مالك بن عَتّاب بن سَعْد بن زُهَيْر بن جُشَم [بن بكر][1] بن حُبَيْب بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلِبَ بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِىّ ابن جَدِيلةَ بن أَسَــد بن رَبِيعة بن نِزَار بن مَعَدّ بن عَدْنان. وأُمّ عمرو بن كُلْثوم ليلى بنت مُهَلْهِل أخى كُلَيْب، وأُمّها بنت بعج[2] بن عتبة بن سعد بن زُهَيْر.

أخبرنى محمــد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنى العُكْلِىّ[3] عن العبّاس بن هِشَام عن أبيه عن خِرَاش بن إسمـاعيل عن رجل من بنى تَغْلِب ثم من بنى عَتّاب قال: سمعت الأَخْذَر — وكان نَسّابة — يقول:

١٨٢ / ٩

لمّـا تزوّج مُهَلْهِلٌ بنتَ بعج بن عُتْبة أُهدِيتْ[4] اليه، فولدت له ليلى بنت مُهَلْهِل. فقال مهلهل لامرأته هند: اقتُليها. فأمرتْ خادمًا لها أن تُغَيِّبها عنها. فلمّـا نام هَتَف به هاتفٌ يقول:

كم من فـتًى يُؤَمَّلْ * وسَــيِّدٍ شَمَــرْدَلْ[5]
وعُــدَّةٍ لا تُجْهَــلْ * فى بطن بنت مهلهلْ

واستيقظ فقال: ياهند أين بنتى؟ قالت: قتلتُها. قال: كَلّا وإلٰه ربيعة! — فكان أوّلَ من حلف بها — فآصدُقينى، فأخبرتْه. فقال: أَحْسِنى غِذاءها. فتزوّجها كُلْثوم ابن مالك بن عَتّاب. فلما حملت بعمرو بن كلثوم قالت: إنّه أتانى آتٍ فى المنام فقال:

رؤيا أمه مناما حملها به

(١) زيادة عن خزانة الأدب (ج ١ ص ٥١٩) وشرح التبريزى للملقات وكتاب المعارف لابن قتيبة وشرح ديوان المفضليات لأبى محمد الأنبارى. (٢) لم نوفق لضبط هذا الاسم. والذى فى خزانة الأدب: «هند بنت عتيبة» بحذف "بعج" وتصغير "عتبة". (٣) فى الأصول: «... حدّثنى العكلىّ بن العباس». (٤) هدى العروس الى زوجها وأهداها: زفها اليه. (٥) الشمردل: القوى الفتىّ الحسن الخلق.

يا لَكِ ليلى من وَلَدْ * يُقْـــدِمُ إقدامَ الأسَــدْ
من جُشَمٍ فيه العَدَدْ * أقولُ قِيــلًا لافَنَــدْ

فولدت غلامًا فسمّته عمرًا . فلما أتت عليه سنةٌ قالت أتانى ذلك الآتى فى الليل أعرِفه، فأشار إلى الصبىّ وقال :

٥ إنّى زعيــمٌ لكِ أُمَّ عَمْرِو * بمـاجِدِ الجَـدِّ كريمِ النَّجْـرِ(١)
أشجَـعَ من ذى لِبَدٍ(٢) هِزَبْرِ(٣) * وَقَّاصِ أقرانٍ(٣) شديدِ الأَسْرِ(٤)
* يسودُهم فى خمسةٍ وعشرِ *

قال الأَخْذر : فكان كما قال ساد وهو ابن خمسة عشر، ومات وله مائة وخمسون سنة .

قصة قتله لعمرو ابن هند

قال أبو عمرو حدّثنى أَسَدُ بن عمر الحَنَفىّ وكُرْد بن السِّمْعِىّ وغيرُهما، وقال ١٠ ابن الكلبى حدّثنى أبى وشَرْقِىُّ بن القَطامِىّ، وأخبرنا إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيْبة :

أنّ عمرو بن هند قال ذات يوم لنُدَمائه : هل تعلمون أحدًا من العرب تأنف أُمُّه من خدمة أُمّى ؟ فقالوا : نعم ! أُمُّ عمرو بن كُلْثوم . قال : ولِمَ؟ قالوا : لأنّ أباها مُهَلْهِلُ بنُ ربيعة ، وعمّها كُلَيْب وائل أعزُّ العرب، وبَعْلها كُلْثوم بن مالك أفرسُ العرب، وابنها عمرو وهو سيِّد قومه . فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن ١٥ كُلْثوم يستزيره ويسأله أن يُزِيرأُمَّه أُمَّه . فأقبل عمرٌو من الجزيرة إلى الحيرة فى جماعة بنى تَغْلِب، وأقبلت ليلى بنت مُهَلْهِل فى ظُعُن من بنى تَغْلِب . وأمر عمرو ابن هند برواقه فضُرِب فيما بين الحيرة والفُرَات، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا فى وجوه بنى تغلب . فدخل عمرو بن كُلْثوم على عمرو بن هند فى رُِواقه،

(١) النجر : الأصل . (٢) اللبدة : شعر الأسد الذى على كتفيه . والهزبر : من أسماء ٢٠ الأسد . (٣) وردت هذه الكلمة محرّفة فى الأصول . والتصويب من خزانة الأدب . والوقص : الكسر والدق . (٤) شديد الأسر : معصوب الخلق غير مسترخ .

ودخلت ليلى وهند فى قُبّة من جانب الرِّواق . وكانت هند عمّةَ امرئ القيس بن حُجْر الشاعر، وكانت أمُّ ليلى بنت مُهَلْهِل بنتَ أخى فاطمة بنت ربيعة التى هى أمّ امرئ القيس، وبينهما هذا النسب . وقد كان عمرو بن هند أمر أُمّه أن تُنَحّى الخدمَ اذا دعا بالطُّرَف وتستخدمَ ليلى . فدعا عمرو بمائدةٍ ثم دعا بالطُّرَف . فقالت هند : ناوِلينى ياليلى ذلك الطَّبَق . فقالت ليلى : لِتَقُمْ صاحبة الحاجة إلى حاجتها . ٥
فأعادت عليها وألحّتْ . فصاحت ليلى : وَا ذُلّاهْ! يالَتَغْلِب ! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدّمُ فى وجهه ، ونظر اليه عمرو بن هند فعرَف الشرَّ فى وجهه ، فوثب عمرو بن كُلْثوم إلى سيف لعمرو بن هند مُعَلّقٍ بالرِّواق ليس هناك سيفٌ غيره ، فضرب به رأس عمرو بن هند، ونادى فى بنى تغلب، فانتهبوا ما فى الرِّواق وساقوا نجائبه ، وساروا نحوَ الجزيرة . ففى ذلك يقول عمرو بن كُلْثوم :

* أَلَا هُبِّى بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينا *

تعظيم تغلب قصيدته المعلقة

وكان قام بها خطيبًا بسوق عُكَاظ وقام بها فى موسم مكة . وبنو تَغْلِب تعظِّمها جِدًّا ويرويها صغارُهم وكبارُهم، حتى هُجُوا بذلك ، قال بعض شعراء بكر بن وائل : ١٨٣/٩

أَلْهَى بنى تَغْلِبٍ عن كل مَكْرُمةٍ * قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثومِ
يَرْوُونها[1] أبدًا مذ كان أوّلُهم * ياللرجالِ لِشعْرٍ غيرِ مسئومِ ١٥

فخر شعراء تغلب بقتله عمرو بن هند

وقال الفرزدق يردّ على جرير فى هجائه الأخطلَ :

ما ضَرَّ تَغْلِبَ وائلٍ أهجوتَها * أم بُلْتَ حيث تَنَاطَحَ البحرانِ
قومٌ هُمُ قتلوا ابنَ هندٍ عَنْوةً * عمرًا وهم قَسَطوا[2] على النُّعْمانِ

(١) ويروى : « يفاخرون بها » .
(٢) قسطوا : جاروا ؛ يقال : أقسط اذا عدل، وقسط اذا جار . ٢٠

وقال أُفْنونٌ[1] صُرَيْمٌ التَّغْلِبيّ يفخر بفعل عمرو بن كُلْثوم في قصيدةٍ له :

لَعَمْرُكَ ماعمْرُو بن هند وقد دعا * لتخـدُمَ[2] ليلى أمَّـه بمـوفَّقِ

فقام ابنُ كُلْثومٍ إلى السيف مُصْلِتًا[3] * فأمسـك من نَدْمانه[4] بالمُخَنَّقِ

وجلّله عمْرٌو على الرأس ضربةً * بذي شُطَبٍ[5] صافي الحديدة رَوْنَقِ

إخوته وعقبه

٥ قال : وكان لعمرو أخ يقال له مُرّة بن كُلْثوم، فقتل المُنْذِرَ بن النُّعمان وأخاه. وإيّاه عَنَى الأخطلُ بقوله لجرير :

أبني كُلَيْبٍ إنّ عَمّيَّ اللّذا[6] * قتلا الملوكَ وفكّكا الأغلالا

وكان لعمرو بن كلثوم ابن يقال له عَبَّاد، وهو قاتل بِشْر بن عمرو بن عُدَس. ولعمرو ابن كُلْثوم عَقِبٌ باق، ومنهم كُلْثومُ[7] بن عمرو العَتّابيّ الشاعر صاحب الرسائل .

أغار على بني تميم ثم انتهى الى بني حنيفة فأسره يزيد ابن عمرو ثم أطلقه فمدحه

١٠ أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن الحسن الأحْوَل عن ابن الأعرابيّ قال :

أغار عمرو بن كُلْثومَ التغلبيّ على بني تميم ثم مرّ من غَزْوِه ذلك على حيٍّ من بني قَيْس بن ثَعْلبـة، فملأ يديه منهم وأصاب أسارى وسَبايا؛ وكان فيمن أصاب

(١) أفنون : لقب صريم بن معشر بن ذهـل بن تيم بن عمرو بن تغلب ، توفي بالألاهة (موضـع) ١٥ وله في وفاته بهـا قصـة ذكرها ياقوت في معجم البلدان . وفي الأصـول : « أفنون بن صريم » بزيادة « ابن » وهو تحريف . (راجع النقائض ص ٨٨٦ طبع أوربا والقاموس وشرحه ومعجم البلدان لياقوت في كلامه على الألاهة) . (٢) في الأصول : « لتخدم أمي أمه » والتصويب من النقائض . (٣) أصلت السيف : جرّده من غمده؛ فهـو مصلت (بكسر اللام) والسيف مصلت (بفتحها) . (٤) الندمان (بفتح النون) : الذي ينادمك على الشراب . والمخنق : ٢٠ موضع حبل الخنق من العنق . (٥) شطب السيف : طرائقه في متنه من شدّة بريقه، الواحدة شطبة . والرونق : ماء السيف وصفاؤه وحسنه . (٦) أي اللذان، لحذف النون تخفيفا .

(٧) له ترجمة في الأغاني في أوّل الجزء الثاني عشر من طبعة بلاق .

أحمد بن جَنْدَل السَّعْدى"، ثم انتهى إلى بنى حَنيفة باليَمَامة وفيهم أناس من عِجل، فسمع به (١) أهلُ حَجْر (٢)، فكان أوّلَ من أتاه من بنى حنيفة بنو سُحَيم عليهم يزيد بن عمرو ابن شِمْر. فلما رآهم عمرو بن كُلْثوم ارتجز فقال :

مَنْ عاذَ منّى بعـدَها فلا اجْتَبَرْ * ولا سقى المـاءَ ولا أرعَى الشَّجَرْ

بنـو لُجَيْمٍ (٣) وجعاسيسُ (٤) مُضَرْ * بجـانب الدَّوِّ (٥) يُدَهْدُون العَكَرْ

فانتهى اليه يزيد بن عمرو فطعنَه فصرَعه عن فرسه وأسَره . وكان يزيد شديدًا جسيما، فشدّه فى القِدّ وقال له : أنت الذى تقول :

متى تُعْقَدْ (٦) قَرينتُنا بحَبْـلٍ * تَجُذّ الحبلَ أو تَقِصِ القَرينا

أمَا إنّى سأقرِنك إلى ناقتى هذه فأطرُدُكما (٧) جميعا . فنادى عمرو بن كلثوم يا لَربيعةَ ! أَمُثْلةٌ ! . قال: فاجتمعت بنو لُجَيم (٨) فنَهَوْه ولم يكن يريد ذلك به . فسار به حتّى أتى قَصْرًا بحَجْرٍ من قصورهم، وضرب عليـه قُبّة ونحَر له وكساه وحمَله على نجيبه وسقاه الخمر . فلمـا أخذتْ برأسه تغنّى :

(١) فى الأصول : « فسمع بها » ، وظاهر أن مرجع الضمير عمرو بن كلثوم .

(٢) حجـر (بالفتح) : عاصمة اليمـامة . (٣) هو لجيم بن صعب ، وحنيفة أبو القبيلة أحد أولاده . وسياق الكلام قبله يرجح أن يكون الخطاب لبنى سحيم . فلعل "لجيا" محرف عن "سحيم" .

(٤) الجعاسيس : اللئام الخـلق والخلق ، والواحد جعسوس . (٥) الدوّ : الفـلاة . و يدهدون : يدحرجون و يقلبون ؛ يقال : دهدى الشيء إذا قلب بعضـه على بعض ، مثـل دهدهه . والعكر (بالتحريك) درديّ كل شيء . وفى جـ : « يدهون » وفى أ ، م : « لجانب الدوّ يدهون » . وفى ب ، س : « يديهون » وكله تحـريف ؛ إذ الظاهر أنه يريد أن يذم هؤلاء القوم فوصـفهم بأنهم يعملون فى أحقر الأشياء، ولا شأن لهم ولا خطر . (٦) رواية المعلقات فى عدة نسخ « متى نعقد » بالنون . والقرينة : التى تقرن إلى غيرها أى تربط مع غيرها بحبل . وتجذ : تقطع ، وهو مجزوم فى جواب الشرط ، فيجوز فيه الكسر لالتقاء الساكنين وهو المختار، والفتح للتخفيف ، والضم اتباعا لضمة ما قبله . وتقص : تكسر ؛ يقال : وقص عنقه يقصها وقصا إذا كسرها ودقها . (٧) طرد الإبل : ساقها .

(٨) تقدّم أن « لجيا » جد أعلى لهم ، وأن الجد الذى ينتسبون اليه « سحيم » .

أأجمعَ صُحْبتى السَّحَرَ ارتحالَا * ولم أشعُرْ ببَيْنٍ منك هَالَا (١)

ولم أرَ مثلَ هالةَ فى مَعَدٍّ * أُشَبِّه حسنَها إلّا الهِلالا

ألَا أبلغْ بنى جُشَمَ بنِ بكرٍ * وتَغْلِبَ كلَّما أتيا حِلالا (٢)

بأنّ الماجدَ القرْمَ ابنَ عمرٍو * غداةَ نَطَاعِ (٣) قد صدَق القِتالا

كتيبتُه (٤) مُلَمْلَمَةٌ رَدَاحٌ * إذا يرمونها تُفْنِى النِّبالا

جزى اللهُ الأغرَّ يزيدَ خيرًا * ولقّاه المَسَرَّةَ والجَمالا

بمأخذِه ابنَ كُلْثومِ بنِ عَمْرٍو * يزيدَ الخيرِ نازَلَه نِزَالا

بجمعٍ من بنى قُرّانَ (٥) صِيدٍ * يُجِيلون الطِّعانَ إذا أجالا

يزيد يقدم السفراء حتى (٦) * يُرَوِّى صَدْرَها الأَسَلَ النِّهالا

١٤/١

حواره مع عمرو ابن أبى حجر الغسانى حين مر ببنى تغلب فلم يكرموه

١٠ أخبرنى علىّ بن سليمان قال أخبرنا الأحْوَل عن ابن الأعرابىّ قال :

زعموا أنّ بنى تَغْلِبَ حاربوا المُنْذِرَ بنَ ماء السماء فلحِقوا بالشام خوفًا منه . فمرّ بهم عَمْرو بن أبى حُجْر (٧) الغَسّانى ، فتلقّاه عمرو بن كُلْثوم . فقال له : يا عَمْرو ، ما منع

(١) يريد : ياهالة . (٢) حلال : جمع حلة (بالكسر) وهى جماعة بيوت الناس ، ومجتمع القوم . (٣) نطاع : أرض ، وقد ذكرها المؤلف فى صفحة ٤٦ من هذا الجزء . (٤) الكتيبة : الجيش ١٥ أو فرقة منه . وململة : مجتمعة . ورداح : ثقيلة جرارة . (٥) قران حصن باليمامة ، نسب اليه أهله كأنه أب لهم . (راجع شرح ديوان المفضليات لأبى محمد الأنبارى ص ٤٣٤ طبعة مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٢٠م) . (٦) كذا فى الأصول . ولم نوفق لوجه الصواب فيه .

(٧) فى كتاب الكامل لابن الأثير أنه الحارث ابن أبى شمر الغسانى . وسياق هذا الخبر فيه أتم وأوضح مما هنا . وأحسب أن مصدر الغموض والاضطراب فى الأغانى هنا سقوط كلام من النساخ . ونص الخبر ٢٠ فى كتاب الكامل : « ...... لخرج ملك غسان بالشام وهو الحارث بن أبى شمر الغسانى ، فر بأفاريق من تغلب فلم يستقبلوه . وركب عمرو بن كلثوم التغلبى فلقيه فقال له : ما منع قومك أن يتلقونى ؟ ! فقال : لم يعلموا بمرورك . فقال : لئن رجعت لأغزونهم غزوة تتركهم أيقاظا لقدومى . فقال عمرو : ما استيقظ قوم قط إلا نبل رأيهم وعزت جماعتهم ؛ فلا توقظن نائمهم . فقال : كأنك تتوعدنى بهم ! أما والله لتعلمن اذا نالت (بليلها أجالت) غطاريف غسان الخيل فى دياركم أن أيقاظ قومك سينامون نومة لاحلم فيها : ٢٥ تجتث أصولهم وينفى فلهم الى اليابس الجرد والنازح الثمد . ثم رجع عمرو بن كلثوم عنه وجمع قومه وقال : ألا فاعلم ... الخ » .

قومَك أن يتلقَّونى ؟! فقال له : ياعمرو ياخيرَ الفتْيان ، فإن قومى لم يستيقظوا لحربٍ قطُّ إلا علَا فيها أمرُهم واشتدَّ شأنُهم ومَنَعوا ما وراء ظهورهم . فقال له : أيقاظُ نَوْمةٍ(١) ليس فيها حُلم ، أجتثّ فيها أصولَهم ، وأنفى فَلَّهم(٢) إلى اليابس الجَرِد ، والنازح الثَّمَد .

فانصرف عمرو بن كلثوم وهو يقول :

ألَا فاعــلمْ أبيْتَ اللَّعنَ أنّا * على عَمْــدٍ سنأتى ما نُريدُ ٥

تَعــلَّمْ أنّ مَحْمَلَنـا ثقيــلٌ * وأنّ زنادَ كبتنـا(٣) شــديد

وأنّا ليس حَىٌّ من مَعَدٍّ * يُوازينا إذا لُبِس الحــديدُ

هجاؤه للنعمان بن المنذر

قال : وقال ابن الأعرابىّ : بلغ عمرو بن كُلْثوم أنّ النعمان بن المُنْذِر يتوعّده ، فدعا كاتبًا من العرب فكتب إليه :

ألَا أبلِــغ النُّعْمانَ عنّى رسالةً * فَمَدْحُكَ حَوْلِىٌّ وذَمُّك قارِحُ(٤) ١٠

متى تَلْقَنى(٥) فى تَغْلِبَ ابنةِ وائلٍ * وأشياعها ترقَى إليك المسالحُ

وهجا النُّعْمانَ بنَ المنذر هجاءً كثيرا ، منه قوله يعيِّره بأُمّه سُلَيْمَى :

حَلَّتْ سُلَيْمَى بِخَبْتٍ(٦) بعد فِرْتَاجٍ * وقد تكونُ قديمًــا فى بنى ناجِ

(١) فى الأصول : « أيقاظى » بياء فى آخرها . (٢) الفل : القوم المنهزمون . والجرد (بالتحريك) : من الأرض ما لا ينبت . والثمد (بالفتح و بالتحريك) : الماء القليل الذى لا مادّ له . ١٥ والنازح : الذى نفد ماؤه ؛ يقال نزحنا البئر ، ونزحت البئر ، فهو لازم متعدّ . يريد أنه ينفى المنهزمين منهم الى أرض لا نبات فيها ولا ماء . (٣) كذا فى جـ . والكبة (بالفتح) : الحملة فى الحرب والدفعة فى القتال ، وكبة كل شىء شدته ودفعته مثل كبة الشتاء والجرى . وفى أ ، م : «وأن زناد كتبنا» بتقديم التاء المثناة من فوق على الباء الموحدة . وفى ب ، س : «زناد كتيبتنا» بزيادة تاء قبل النون . وأحسب أن صوابه : « وأن ذياد كبتنا شديد » أى أن دفع حملتنا فى القتال شديد لا يطاق . (٤) الحولى : ٢٠ ما أتى عليه حول . والقارح من ذى الحافر : الذى شق نابه . وهو فى السنة الأولى حولى ثم ثنى ثم رباع ثم قارح . (٥) المسالح : جمع مسلحة ، وهى القوم ذوو السلاح . (٦) الخبت : المطمئن من الأرض ، واسم لعدة مواضع . وفرتاج (بكسر الفاء) : موضع . و بنو ناج : بطن من عدوان .

إذ لا تُرَجَّى سُلَيْمَى أن يكونَ لها * مَنْ بالخَوَرْنَق من قَيْنٍ ونَسَّاج

ولا يكونَ على أبوابها حَرَسٌ * كما تلفَّف قِبْطِىٌّ بِدِيباج

تمشِى بِعِدْلَيْنِ من لُؤْمٍ ومَنْقَصةٍ * مَشْىَ المقيَّدِ فى اليَنْبُوتِ[1] والحاج

قال وقال فى النعمان :

٥ لحا الله أدنانا إلى اللُّؤْمِ زُلْفةً[2] * وألأَمَنا خالًا وأعجَزَنا أبَا

وأجْدَرَنا أن ينفُخَ الكِيرَ خالُه * يصوغُ القُروطَ والشُّنوفَ بِيَثْرِبَا

وفاته ونصيحته لبنيه

أخبرنى الحسين بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن سَعيد الدِّمَشْقىّ قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثنى علىّ بن المُغيرة عن ابن الكلبىّ عن رجل من النَّمِر بن قاسط قال :

١٠ لمّا حضرت عمرَو بنَ كلثومٍ الوفاةُ وقد أتت عليه خمسون ومائةُ سنة، جمع بنيه فقال : يا بَنِىَّ، قد بلغتُ من العمر ما لم يبلُغْه أحدٌ من آبائى، ولابدّ أن ينزل بى ما نزل بهم من الموت . و إنى والله ما عيّرت أحدًا بشىء إلا عُيِّرتُ بمثله، إن كان حقًّا فحقًّا، و إن كان باطلًا فباطلا . ومَنْ سَبَّ سُبَّ؛ فكُفُّوا عن الشتم فإنه أسلمُ لكم، وأَحْسِنوا جِوارَكم يحسُن ثناؤكم، وٱمنعوا من ضَيْم الغريب؛ فربَّ رجلٍ خيرٌ ١٥ من ألف، ورَدٌّ خيرٌ من خُلْف . و إذا حُدِّثتم فَعُوا، و إذا حدّثتم فأوجِزوا؛ فإن مع الإكثار تكون الأهذار[3] . وأشجعُ القوم العَطُوفُ بعد الكَرّ، كما أنّ أكرم المنايا

(١٨٥/٩)

(١) فى أكثر الأصول : «اليابوت» . وفى ج : «اليلبوت» ؛ وكلاهما تحريف . واليَنبوت : نبات، وهو ضربان، أحدهما ذو شوك، وهو المراد هنا . والحاج : الشوك أو ضرب منه . يريد أنها تمشى مثقلة بما تحمل من لؤم ومنقصة كما يمشى المقيد فى هذين الضربين من الشوك .

٢٠ (٢) الزلفة (بالضم) — ومثلها الزلفى والزلف (بالتحريك) — : القربة والدرجة والمنزلة .

(٣) الأهذار : جمع هذر (بالتحريك) وهو سقط الكلام .

القتل . ولا خير فيمن لا رَوِيّةَ له عند الغَضَب، ولا مَنْ إذا عُوتِب لم يُعْتِب[1] . ومن الناس مَنْ لا يُرْجَى خيرُه، ولا يُخَافُ شرُّه؛ فبَكْؤُه[2] خيرٌ من دَرِّه، وعقوقُه خيرٌ من بِرِّه . ولا تتزوّجوا فى حَيِّكم فإنه يؤدّى الى قبيح البُغْض .

صــــوت

لِمَنِ الديارُ ببُرْقةِ الرَّوْحانِ[3] * إذ لا نَبِيعُ زمانَنا بزمانِ ٥

صَدَعَ الغوانى إذ رَمَيْنَ فؤادَه * صَدْعَ الزُّجاجة ما لذاك تَدَانِى

إن زرتُ أهلَكِ لم أُنَوَّلْ حاجةً * وإذا هجرتُكِ شَفَّنى هِجْرانى

الشعر لجرير يهجو الأخطلَ ويردّ عليه حكومتَه التى حكم بها للفرزدق عليه . والغناء، فيما ذكره علىّ بن يحيى المنجِّم فى كتابه الذى لقّبه بالمحدَث، لمَعْبَد ثقيلٌ أوّل بالوسطى، وذكر الهشامىّ أنّه لحُنَيْن، قال ويقال : إنه لمعبد . وفيه ليزيدَ حَوْراء ١٠ لحنٌ ذكره عبد الملك بن موسى عنه، وقال : لا أدرى أهو الثقيل الأوّل أم خفيف الرمل . وذكر حَبَشٌ أنّ الثقيلَ الأوّل للغَرِيض وأنّ خفيفَ الرمل بالبنصر للدَّلَّال .

---

(١) الإعتاب : رجوع المعتوب عليه الى ما يرضى العاتب، والاسم منه العتبى .

(٢) أصل البكء : قلة اللبن أو انقطاعه ؛ يقال : بكأت الناقة أو الشاة تبكأ بكئا (من باب فتح) وبكؤت تبكؤ (من باب كرم) بكاءة وبكوءا . والمعنى المراد : فمنعه خير من عطائه . ١٥

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٦٣ من هذا الجزء .

٢/١٠

ذكر الخبر عن السبب فى اتصال الهجاء بين جرير والأخطل

سبب التهاجى بين جرير والأخطل

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العبّاس اليزيدىّ قالا حدّثنا أبو سعيد السكّرىّ عن محمد بن حبيبَ عن أبى عُبَيْدة وعن أبى غسّان دَمَاذٍ عن أبى عُبَيْدة، وأخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا أبو ذَكْوان القاسم بن إسماعيل قال حدّثنا أبو غسّان عن أبى عُبَيْدة، وأخبرنا الصُّولىّ عن إبراهيم بن المُعَلَّى الباهلىّ عن الطوسىّ عن ابن الأعرابىّ وأبى عمرو الشيبانىّ، وقد جمعتُ رواياتهم. قال أبو عبيدة حدّثنى عامر بن مالك المِسْمَعِىّ قال:

كان الذى هاج التهاجىَ بين جريرٍ والأخطل أنّه لمّا بلغ الأخطلَ تَهَاجِى جرير والفرزدق قال لابنه مالكٍ — وهو أكبر ولده وبه كان يُكْنَى —: انْحَدِرْ إلى العراق حتّى تسمع منهما وتأتيَنى بخبرهما. فانحدر مالكٌ حتى لقيهما وسمع منهما ثم أتى أباه، فقال له: كيف وجدتّهما؟ قال: وجدتُ جريراً يغرِف من بَحْر، ووجدت الفرزدق ينحِت من صخر. فقال الأخطلُ: الذى يغرِف من بحرٍ أشعرُهما؛ وقال يفضِّل جريراً على الفرزدق:

إنّى قضيتُ قضاءً غيرَ ذى جَنَفٍ * لمّا سمعتُ ولمّا جاءنى الخَبَرُ
أنّ الفرزدقَ قد شالت نَعَامتُهُ * وعضّه حيّةٌ من قومه ذَكَرُ

وفى رواية ابن الأعرابىّ «قد سالَ الفُرَاتُ به». قال أبو عُبَيْدة: ثم إن بِشْرَ بن مَرْوان دخل الكوفة، فقدِم عليه الأخطلُ، فبعَث إليه محمدُ بن عُمَيْر بن عُطَارِد بن حاجِب بن زُرَارة بألف درهم وكُسْوة وبَغْلة وخَمْر، وقال له: لا تُعِنْ على شاعرِنا،

واهجُ هذا الكلبَ الذى يهجو بنى دارم ؛ فإنك قد قضيتَ على صاحبنا ، فقُل أبياتاً واقضِ لصاحبنا عليه . فقال الأخطل :

أجريرُ إنّكَ والذى تسمو له * كأَسيفةٍ(١) فَخَرتْ بحِدْجِ حَصَانِ

عَمِلتْ لربّتها فلمّا عُولِيتْ(٢) * نَسَلتْ تعارضها مع الرُّكبانِ

أتعُدُّ مأثرةً لغيرك فخرُها * وثناؤها فى سالف الأزمانِ

تاجُ(٣) الملوكِ وفخرُهم فى دارمٍ * أيّامَ يَرْبُوعٌ(٤) مع الرُّعيانِ

وهى طويلة يقول فيها :

فٱخسأْ إليك كُلَيْبُ إنّ مُجاشعاً * وأبا الفوارس نَهْشَلًا أخَوانِ

سبقوا أباك بكلّ أغْلَى(٥) تَلْعةٍ * فى المجد عند مَواقف الرُّكبانِ

قومٌ إذا خَطَرتْ عليك قُرومُهم * ألقتْكَ بين كَلاكِلٍ وجِرانِ(٦)

وإذا وضعتَ أباكَ فى ميزانهم * رجَحوا وشال أبوك فى الميزانِ(٧)

(١) الأسيفة : الأمة . والحدج (بالكسر) : مركب من مراكب النساء يشبه المحفة . والحصان العفيفة . ويعنى بها هنا الحرة لمقابلتها للأمة . (٢) فى ديوان الأخطل : "حلت". وربتها : سيدتها . وعوليت : رفعت أى حملت على مركب . ونسلت : أسرعت فى المشى ؛ وقيل : أصل النسلان للذئب ثم استعمل فى غيره . (٣) رواية الديوان :

* فى دارم تاج الملوك وصهرها *

(٤) يربوع : جدّ لجرير .

(٥) فى الديوان : « جمع تلعة » .

(٦) القرم (بالفتح) : الفحل من الإبل ، ويستعمل فى السيد المعظم من الرجال على التشبيه . والكلاكل : الصدور . والجران : باطن عنق البعير أو مقدمه من مذبحه إلى منحره .

(٧) شولان الميزان (بالتحريك) : ارتفاع إحدى كفتيه ؛ ويستعمل فى المفاخرة على التمثيل ؛ يقال : فاخرت فلانا فشال ميزانه أو شال فى ميزانه ، أى فخرته وغلبته .

وقال جرير يَرُدّ حكومة الأخطل :

لِمَنِ الدِّيارُ بِبُرْقَةِ الرَّوْحانِ (١) * إذ لا نَبِيعُ زمانَنا بزمانِ

وهى طويلة يقول فيها :

ياذَا الغباوة (٢) إنّ بِشْرًا قد قَضَى * ألّا تجوزَ حكومةُ النَّشْوانِ (٣)

فدَعُوا الحكومة لَسْتُمُ من أهلها * إنّ الحكومةَ فى بنى شيبان

قتلوا كُلَيبَكُمُ بِلِقْحَةِ جارِهِم * يا خُزْرَ تَغْلِبَ لستُمُ بِهِجانِ (٤)

قصيدة للأخطل وشرح بعض كلماتها

ومما غُنِّى فيه من نقائض جرير والأخطل :

صوت

أناخُوا فجَرُّوا شاصِياتٍ كأنّها * رجالٌ من السُّودان لم يَتَسَرْبَلُوا

فقلتُ اصْبَحُونى (٥) لا أبًا لأبيكمُ * وما وضعوا الأثقالَ إلّا ليفعلوا

تَمُرُّ بها الأيدى سَنِيحا وبارِحًا * وتُرْفَعُ (٦) باللّهُمَّ حَىِّ وتُنْزَلُ

الشاصيات : الشائلات القوائم من امتلائها . وعَنَى بالشاصيات ها هنا الزِّقاق ، لأنها إذا امتلأت شالت أكارعُها ؛ يقال : شَصَا برجله اذا رفعها، وشَصَا ببصره إذا شَخَص ؛ قال الراجز يصف الشاخص .

(١) برقة الروحان : روضة باليمامة . وفى الأصول هنا : « ببرقة الريحان » والتصويب من الأغانى (ج ٥ ص ١٨٦ من هذه الطبعة) والنقائض ومعجم البلدان لياقوت .

(٢) كذا فى كل الأصول هنا . وقد أثبت فى الجزء الثامن : « ياذ العباءة » . (راجع فيه الحاشية رقم ٥ ص ١٧) . (٣) فى الأصول : « النسوان » بالسين المهملة وهو تصحيف .

(٤) اللقحة : الناقة الحلوب . والخزر (بالضم) : جمع أخزر . والخزر : صغر العين وضيقها . والهجان : البيض الكرام . يشير فى هذا البيت إلى مقتل كليب بن ربيعة وسببه .

(٥) صبحه : سقاه الصبوح وهو الشراب بالغداة . والأثقال : الأمتعة ، واحدها ثقل (بالتحريك) .

(٦) فى بعض الأصول : "وترفعها بالم" وهو تحريف . يعنى أنه يسمى عليها بذكر الله فى رفعها وإنزالها . ويروى : « وتوضع .. .. وتحمل » .

وبَقَرٍ نِمَاصٍ[1] * يَنْظُرْنَ من خَصَاصِ[2]

بأعينٍ شَوَاصِى * كفِلَقِ[3] الرَّصاصِ

والسانح والسنيح : ما جاء عن يمينك يريد شِمالك . والبارح : ما جاء عن شِمالك يريد يمينك . والجابِهُ : ما جاء من أمامك مواجهًا لك . والقَعيدُ والخَفِيفُ : ما جاء من ورائك . شبّه دَوْرَ الكأس واختلافَها بينهم بالسوانح والبوارح . الشعر للأخطل . ٥
والغناء لمالك ، فيه لحنان كلاهما له ، أحدُهما رَمَلٌ بالبنصر فى مجراها فى الأبيات الثلاثة على الوِلَاء من رواية إسحاق ، والآخر خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى فى الثالث ثم الأوّل والثانى عن عمرو . وذكر عمرو أنّ الرملَ أيضا لابن سُرَيْج وأنه بالوسطى . وفيه لإبراهيم رملٌ بالبنصر فى الأوّل والثانى عن الهشامىّ وعمرو . وفيه لابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو والهشامىّ . ١٠

ومنها :

صــوت

خَفَّ القَطِينُ فراحُوا منك أو بَكَرُوا * وأزعجتْهم نَوًى فى صَرْفِها غِيَرُ

كأنّنى شاربٌ يوم استُبِدَّ بهم * من قَرْقَفٍ ضُمِّنَتْها حِمصُ[4] أو جَدَرُ

جادت بها من ذوات القارِ مُتْرَعَةٌ * كَلْفاءُ يَنْحَتُّ من خُرْطومها المَدَرُ ١٥

يا قاتلَ اللهُ وَصْلَ الغانياتِ إذا * أيقنَّ أنّك ممن قد زَهَا الكِبَرُ

أعْرَضْنَ لمّا حَنَى قَوْسِى مُوَتِّرُها * وابيضَّ بعد سواد اللِّمّة الشَّعَرُ

---

(١) نماص : ضامرات البطون ، الواحد نمصان (بفتح الخاء وضمها) للذكر ، ونمصانة للمؤنث .

(٢) الخصاص : الخروق ، واحدها خصاصة .

(٣) فى الأصول : «تعلق بالرصاص» . والتصويب من لسان العرب (مادة شصا) . وفيه زيادة عما هنا : هى : * يارب بهر شاص * وموضعه فى أول الرجز . ٢٠

(٤) حمص : مدينة مشهورة بالشام بين دمشق وحلب فى نصف الطريق . وجدر : قرية بين حمص وسلمية تنسب اليها الخمر .

استُبِدَّ بهم أى عُلِيَ[1] عليهم . والقَرْقَفُ : التى تأخذ شاربَها رِعدة لشدّتها . والكَلْفاءُ : الخابيةُ فى لونها كَلَفٌ[2] . وقوله "زَهَا الكِبَرُ" يعنى استخفّه وأضعفه؛ يقال : زَهَاه وازْدَهَاه . وقال أبو عُبَيْدة : الأصل فى زَهَاهُ رَفَعه؛ فكأنه أراد أنه رفعه فى علوّ سنّه عما يُرِدْنَ منه . واللّمّة : الشعر المجتمع .

٥ الشعر للأخطل يمدح عبد الملك بن مَرْوان ويهجو قَيْسًا وبنى كُلَيْب ، ويقول فيها :

أمّا كُلَيْبُ بنُ يَرْبُوعٍ فليس لها * عند التفاخُرِ[3] إيرادٌ ولا صَدَرُ

مُخَلَّفُون ويقضِى الناسُ أمرَهُمُ * وهُمْ بغَيْبٍ وفى عَمْيَاءَ ما شَعَرُوا

مُلَطَّمُون بأعقارِ[4] الحِيَاضِ فما * ينفكُّ من دارِمِيٍّ فيهمُ أثَرُ

١٠ بئس الصُّحاةُ[5] وبئس الشَّرْبُ شَرْبُهُمُ * إذا جرى فيهمُ المُزّاءُ والسَّكَرُ

قومٌ تناهتْ إليهم كلُّ مُخْزِيَةٍ * وكلُّ فاحشةٍ سُبَّتْ بها مُضَرُ

الآكلون خبيثَ الزّادِ وحدَهُمُ * والسائلونَ بظَهْرِ الغَيْبِ ما الخَبَرُ

وهذه القصيدة من فاخر شعر الأخطل ومقدّمه ومما غُلِّب فيه على جرير . وقد احتاج جريرٌ إلى سلخ[6] بيته هذا الأخير فردّه عليه بعينه فى نقيضة هذه القصيدة ، وضمّنه

١٥ بيتين من شعره فقال :

---

(١) فى الأصول : «علا عليهم» وهو تحريف . يعنى أنهم غلبوا على أمرهم .

(٢) الكلف : حمرة كدرة ، أو هو لون بين السواد والحمرة .

(٣) فى الديوان : «عند التفارط» . والتفارط : التقدم فى طلب الماء . (٤) الأعقار : جمع عقر (بالضم) وهو مؤخر الحوض حيث تقف الإبل إذا وردت ، أو هو مقام الشاربة منه .

٢٠ (٥) كذا فى الديوان . وهو يريد أن يذم بنى يربوع فى حال سكرهم اذا شربوا وصحوهم . وفى الأصول : «بئس الصحاب» . والمزاء (بالضم) : من أسماء الخمر؛ سميت بذلك للذعها اللسان .

(٦) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «نسخ بيته» .

الآكلون خبيثَ الزّادِ وحدَهمُ * والنازلون إذا وَاراهمُ الخَمَرُ(١)

والطاعنون على العَمْياء إن رحَلوا * والسائلون بظهر الغيب ما الخبر

وفى هذه القصيدة يقول الأخطلُ يمدَح عبدَ الملك :

إلى امرئ لا تُعَرِّينا(٢) نوافلُه * أظْفَره الله فَلْيَهْنِئْ له الظَّفَر

الخائضُ الغَمْر والميمون طائرُه * خليفةُ الله يُستَسْقى به المطرُ

والهَمُّ بعند نَجِيِّ النفس يَبْعَثُه(٣) * بالحَزْم والأَصْمَعانِ(٤) القلبُ والحَذَرُ

وما الفُرَاتُ إذا جاشتْ غواربُه * فى حافَتَيْه وفى أوساطه العُشَرُ(٥)

وزعزعتْه(٦) رياحُ الصَّيفِ(٧) واضطربتْ * فوق الجَآجئِ(٨) من آذيِّه غُدُرُ

مُسحَنفِرٌ(٩) من جبالِ الرومِ(١٠) يستُره * منها أكافيفُ(١١) فيها دونه زَوَرُ

---

(١) الخمر (بالتحريك) : ما واراك من شجر وغيره .

(٢) كذا فى الديوان . وفى أكثر الأصول : "لا تعدينا" . وفى حـ : "لا يعدينا" .

(٣) فى الأصول : "بلغته" والتصويب من الديوان .

(٤) فى الأصول : "والأصمعين" والتصويب من الديوان ؛ إذ المعنى المراد : والأصمعان القلب والحذر يبعثانه أيضا . والقلب الأصمع : الذكى المتوقد الفطن ، وكذلك يوصف بالصمع الرأى الحازم .

(٥) جاشت : هاجت . والغوارب : المتون ؛ يريد أمواجه وأعاليه . وفى الديوان : «حواليه» وهى أمواجه . والعشر : شجر .

(٦) زعزعته : حركته ، وقيل حركته تحريكا شديدا ، وفى الديوان : «ذعذعته» بالذال المعجمة ، وهما بمعنى واحد . (٧) فى الأصول : «رياح الطير» والتصويب من الديوان .

(٨) الجآجئ : الصدور ، واحدها جؤجؤ . والآذىّ : الموج . والغدر : جمع غدير . وفى الأصول عذر (بعين مهملة وذال معجمة) والتصويب من الديوان . (٩) مسحنفر : سريع الجرى .

(١٠) فى الأصول : «من بلاد الروم» والتصويب من الديوان ولسان العرب .

(١١) فى الأصول : «أكاليف» والتصويب من الديوان ولسان العرب (مادة كفف) . وأكافيف الجبل : حيوده أى حروفه الناتئة فى أعراضه . والزور (بالتحريك) : الميل . يصف الفرات وجريه فى جبال الروم المطلة عليه حتى يشق بلاد العراق .

٥/١٠

يومًا بأجودَ منه حين تسألُهُ * ولا بأجهرَ[1] منه حين يُجتهَرُ
فى نَبْعةٍ[2] من قُريشٍ يَعْصِبون بها[3] * ما إن يُوازَى بأعلَى نَبْتِها الشجرُ
خُشْدٌ على الخير عيَافو الخَنَا أُنُفٌ * إذا أَلَمَّتْ بهم مكروهةٌ صبَروا
لا يَسْتقِلّ[4] ذوو الأضغانِ حربَهمُ * ولا يُبيِّنُ فى عِيدانهم خَوَرُ
شُمْسُ[5] العداوةِ حتى يُستَقادَ لهم * وأعظمُ الناسِ أحلامًا إذا قَدَروا

مدح الرشيد بيتا للأخطل

أخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنا علىّ بن الصبّاح عن أبيه :

أنّ الرشيد قال لجماعة من أهله وجُلسائه : أىُّ بيت مُدِح به الخلفاءُ منّا ومن بنى أُميّةَ أفخرُ ؟ فقالوا وأكثروا . فقال الرشيد : أمْدَحُ بيتٍ وأفخرُه قولُ ابن النّصرانيّة فى عبد الملك :

شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم * وأعظمُ الناسِ أحلامًا إذا قَدَروا

مدح آدم بن عمر ابن عبد العزيز بيتا للأخطل فى مجلس المهدى فأغضبه

أخبرنى الحسن قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنى أحمد بن الحارث عن المدائنىّ قال :

قال المهدى يومًا وبين يديه مَرْوان بن أبى حَفْصة : أين ما تقوله فينا من قولك فى أمير المؤمنين المنصور :

(١) فى الأصول : « بأجهد » والتصويب من الديوان . أى بأعظم ولا أحسن مرآة منه ؛ يقال جهرت فلانا واجتهرته إذا رأيته عظيما حسن المرآة فى عينك . (٢) النبع : ضرب من الشجر وهو من أجوده . (٣) هذه رواية الديوان . وفى الأصول : « يعصمون بها » . ويعصبون بها : يطيفون بها ويلزمونها . (٤) استقل الشىء : حمله . يريد أن خصومهم لا يستطيعون أن ينهضوا بحربهم . ويبين : يتضح ويظهر . (٥) شمس : جمع شموس ، وهو من الرجال العسر فى عداوته الشديد الخلاف على من عانده . والأصل فى هذا الجمع أن يكون مضموم العين ، ويجوز فيه التسكين كما ورد فى البيت هنا .

لهُ لَحَظاتٌ عن حِفافَىْ سَرِيرِه * إذا كرّها فيها عِقابٌ ونائلُ

فاعترضه آدم بن عمر بن عبد العزيز فقال : هيهاتَ والله يا أمير المؤمنين أن يقول هذا ولا ابنُ هَرْمة كما قال الأخطل :

شُمْسُ العَداوةِ حتى يُسْتقاد لهم * وأعظمُ الناسِ أحلامًا إذا قَدَرُوا

قال : فغضب المهدىّ حتى استشاط وقال : كذَب والله ابنُ النَّصرانيّة العاضّ بَظْرِ أُمّه وكذبتَ ياعاضّ بَظْرِ أُمّك ! والله لولا أن يقال : إنى خَفَرتُ[1] بك لعرفتك مَنْ أكثرُ شعرا ! خذوا برجل ابن الفاعلة فأَخرِجوه عنّى ! فأخرَجوه على تلك الحال، وجعل يشتُمه وهو يُجَرّ ويقول : يا بنَ الفاعلة ! أراها فى رءوسكم وأنفسكم ! .

صوت

إنّى أَرِقتُ ولم يَأْرَقْ معى صاحِ * لِمُسْتَكِفٍّ بُعَيْدَ النَّومِ لَوّاحِ

دانٍ مُسِفٍّ فُوَيقَ الأرضِ هَيْدَبُهُ * يكاد يدفعه مَنْ قام بالرّاحِ

عَروضه من البسيط . الشعر لأَوْس بن حَجَر — وهكذا رواه الأصمعىّ ، أخبرنا بذلك اليزيدىّ عن الرِّياشىّ عنه ، ووافقه بعض الكوفيين ، وغير هؤلاء يرويه لعَبِيد بن الأبرص — والغناء لإبراهيم الموصلىّ ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . ولحسين بن مُحْرِز لحنٌ فى البيت الثانى وبعده :

إنْ أَشْرَبِ الخمرَ أو أُغْلِ بها ثمنًا * فلا مَحالةَ يومًا أنّنى صاحِ

وطريقته خفيف رمل بالوسطى.

(١) كذا فى الأصول . والذى فى كتب اللغة أنه يقال : خفرت فلانا وخفرت به اذا أجرته وكفلته ، وأخفرته اذا غدرته ، و يقال خفرت ذمته اذا لم يوف بها .

قوله : مُسْتَكِفّ : يعنى مستديرا ، وكلُّ طُرّة كِفّة . أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ قال سمعت أبا مهدىّ يقول وهو يصف شُجَاعًا[1] عرض له فى طريقه : تبعنى شُجاعٌ من هذه الشُّجعان ، فمرّ خلفى كأنه سهمٌ زالج ، فحِدتُ عنه ، واستكفّ كأنه كُفّةُ حابِل ، فرميته فنظرت ثلاثة أثنائه[2] . وكذلك يقال كُفّة الحابل وكِفّة الميزان بالكسر ، والأولى مضمومة[3] . ولوّاح : من قولهم لاحَ يلوحُ إذا ظهر . ومسفّ : قد أسَفّ على وجه الأرض إذا صار عليها أو قرُب منها أو دنا إليها ؛ ومن هذا يقال : أسَفّ الطائر إذا طار على وجه الأرض ؛ و يقال ذلك للسهم أيضا . وهَيْدَبُه : الذى تراه كالمتعلّق بالسحاب . يقول : هذا السحاب يكاد من قام أن يمسّه و يدفعه براحته لقربه من الأرض ؛ وهو أحسن ما وُصِف به السحاب .

(١) الشجاع (بضم الشين وكسرها ، و جمعه شجعان بضم الشين وكسرها) : الحيـة الذكر ، أو الحية مطلقا ، أو هو ضرب من الحيات . (٢) أثناء الحية : مطاويها إذا تحوّت وتثنت ، واحدها ثنى (بالكسر) . و يقال أيضا مثانى الحية ، جمع مثناة (بفتح الميم وكسرها) .

(٣) لأهل اللغة فى ضبط كلمة "كفة" فى معانيها المختلفة آراء كثيرة مبسوطة فى كتاب لسان العرب وغيره .

ذكر أَوْس بن حَجَرٍ وشىء من أخباره

نسب أوس بن حجر

وقد اختُلِف فى نسبه. فقال الأصمعى، فيما أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيدىّ عن الرياشى عنه: هو أَوْس بن حَجَرِ بن مالك بن حَزْن بن عُقَيْل بن خَلَف بن نُمَيْر. وقال ابن حبيب، فيما ذكره السكّرىّ عنه: هو أوس بن حجر من شعراء الجاهلية وفحولها. وذكر أبو عُبَيْدة أنه من الطبقة الثالثة، وقرنه بالحُطَيْئة ونابغة بنى جَعْدة.

منزلته فى الشعر

فأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال قال أبو عبيدة حدّثنا يونس عن(١) أبى عمرو قال:

كان أَوْسٌ شاعرَ مضر حتى أسقطه النابغةُ وزُهَيْر، فهو شاعر تميم فى الجاهلية غير مُدَافَع.

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا الأصمعىّ قال سمعت أبا عمرو يقول: كان أَوْس بن حَجَرٍ فَحْلَ الشعراء، فلما نشأ النابغةُ طأطأ منه. وأمّا الكلبىّ فإنه زعم أنّ من هذه الطبقة لَبِيدَ بن رَبيعةَ والشَّمّاخ بن ضِرَار. قال: وتميمٌ إلى الآن مقيمةٌ على تقديم أَوْس. قال: ومنهم من يقول بتقديم عَدِىّ؛ وأنشد لحارثةَ بن بَدْرٍ الغُدَانىّ:

والشِّعْرُ كان مَبِيتُه ومَظَلُّهُ * عند العِبَادىّ الذى لا يُجْهَلُ

وقال يعقوب بن سليمان قال حمّاد: أدركتُ رجالًا من بنى تميم لا يفضّلون على عدىّ فى الشعر أحدا.

أخبرنى اليزيدىّ عن الرِّياشىّ عن الأصمعىّ قال: تميم تروى هذه القصيدةَ الحائيّة لعَبِيد، وذلك غلطٌ، ومن الناس من يخلطها بقصيدته التى على وزنها ورويّها لتشابههما.

(١) فى الأصول: «حدّثنا يونس بن أبى عمرو ...» وهو تحريف.

تمثلت فتاة أعرابية بشعره في السحاب

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السُّكّريّ قال حدّثنا عليّ ابن الصبّاح قال حدّثني عُبَيد الله بن الحسين بن المسوّد بن وَرْدان مولى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :

خرج أعرابيٌّ مكفوف ومعه ابنةُ عمٍّ له لِرَعْيِ غنمٍ لهما . فقال الشيخ : أجد ريحَ النَّسيم قد دنا ، فارفعي رأسك فآنظُري . فقالت : أراها كأنها رَبْرَبُ معزًى هَزْلَى . قال : آرْعَيْ واحذَري . ثم قال لها بعد ساعة : إني أجد ريح النسيم قد دنا ، فارفعي رأسك فآنظُري . قالت : أراها كأنها بِغالٌ دُهْمٌ تجرّ جِلالَها . قال : آرْعَيْ واحذَري . ثم مكث ساعةً ثم قال : إني لأجد ريح النسيم قد دنا ، فآنظُري . قالت : أراها كأنها بطن حمارٍ أَصْحَر . فقال : آرْعَيْ واحذَري . ثم مكث ساعةً فقال : إني لأجد ريح النسيم ، فما ترين ؟ قالت : أراها كما قال الشاعر :

دَانٍ مُسِفٌّ فُوَيقَ الأرضِ هيدبُه * يكاد يدفعه مَن قام بالراحِ
كأنما بين أعلاه وأسفَلِه * رَيْطٌ مُنَشَّرةٌ أو ضوءُ مصباحِ
فمَنْ بمَحْفِله كمَن بنَجْوتِه * والمُستَكِنّ كمَنْ يمشي بِقِرْواحِ

٧/١٠

فقال : آنْجِي لا أبالكِ ! فما انقضى كلامُه حتى هطلت السماء عليهما .

البيت الثاني من هذه الأبيات ليس من رواية ابن حبيب ولا الأصمعيّ .

معنى قول الجارية "كأنها بطن حمار أصحر" : تعني أنه أبيض فيه حمرة . والصحرة لونٌ كذلك . وقوله : "فمَنْ بمَحْفِله كمَن بنجوته" : يعني مَنْ هو بحيث احتفل السيلُ — واحتفالُ كل شيء مُعْظَمُه — كمَن في نجوته . وقد رُوي "بمَحْفِشه" ، وهما واحد ، ومعناهما مجرى معظم السيل . يقول : فمَنْ هو في هذا الموضع منه كمَن بنَجْوته (أي ناحية عنه) سواءٌ لكثرة المطر . والقِرْواح : الفضاء ؛

يقال قِرْواحٌ وقِرْياحٌ . ويقال فى معنى المحفش : حَفَشت الأوديةُ إذا سالت ، وتحفّشت المرأة على ولدها إذا قامت عليه .

كان يسير ليلا فصرعته ناقته ، فأكرمه فضالة ابن كلدة ، فمدحه

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى علىّ بن أبى عامر السَّهْمِىُّ المِصْرِىُّ قال حدّثنى أبو يوسف الأصبهانىّ قال حدّثنى أبو محمد الباهلىّ عن الأصمعىّ ، وذكر هذا الخبر أيضا التَّوَّزىّ عن أبى عُبَيدة ، فجمعت روايتيهما ، قالا :

كان أَوْس بن حجر غَزِلًا مُغْرَمًا بالنساء ، فخرج فى سفر ، حتى إذا كان بأرض بنى أَسَدٍ بين شَرْجٍ وناظِرَةَ (١) ، فبينا هو يسير ظلامًا إذ جالت به ناقته فصرعته فاندقّت فخذاه فبات مكانَه ، حتى إذا أصبح غَدَا جَوَارِى الحىّ يجتنين الكَمْأة وغيرَها من نبات الأرض والناسُ فى ربيع . فبينا هنّ كذلك إذ بَصُرن بناقته تجول وقد علِق زمامها فى شجرة وأبصرنه مُلْقًى ، ففزِعن فهَرَبن . فدعا بجارية منهن فقال لها : مَنْ أنتِ؟ قالت : أنا حَلِيمةُ بنت فَضَالةَ بن كَلَدَةَ ، وكانت أصغرَهن ، فأعطاها حَجَرًا وقال لها : اذهبى إلى أبيك فقولى له : آبنُ هذا يُقرِئك السلام . فأخبرته فقال : يا بُنَيّة ، لقد أتيتِ أباكِ بمدح طويل أو هجاء طويل . ثم احتمل هو وأهلُه حتى بنى عليه بيتَه حيث صُرِع وقال : والله لا أتحوّل أبدًا حتى تبرأ ؛ وكانت حليمة تقوم عليه حتى استقلّ . فقال أوس بن حجر فى ذلك :

جُدِلتُ (٢) على ليلةٍ ساهره * بصحراءِ شَرْجٍ إلى ناظره
تُزاد (٣) لَيَالىّ فى طُولها * فليست بطَلْقٍ ولا ساكره
أنوءُ برجلٍ بها ذِهْنُها (٤) * وأعيتْ بها أُختُها الغابرة

(١) شرج وناظرة : موضعان . (٢) الجدل : الصرع ؛ يقال : جدله جدلا وجدّله تجديلا فانجدل وتجدّل . وفى الأصول والديوان : «خذلت» وظاهر أنه تصحيف . (٣) ليلة طلق وطلقة : طيبة لا حرّ فيها ولا برد ولا مطر ولا قر ؛ ويقال : يوم طلق . وليلة ساكرة : ساكنة الريح ؛ يقال : سكرت الريح تسكر (على وزان قعد) سكورا وسكرانا إذا سكنت بعد الهبوب . (٤) كذا فى اللسان (فى مادة ذهن) . والذهن : القوة . والغابرة : الباقية . وفى الأصول والديوان : ...دهيا... العاثره .

وقال في حليمة :

لَعَمْـرُكَ مَا مَلَّتْ ثَوَاءَ ثَوِيِّها(١) * حليمةُ إذ أَلْقَى مَرَاسِيَ مُقْعَدِ(٢)

ولكن تَلَقَّتْ باليـدينِ ضَمَانَتِي(٣) * وحَلَّ بشَرْجٍ مِ القبائلِ(٤) عُوَّدِي

ولم تُلْهِها(٥) تلك التكاليفُ إنّها * كما شئتَ من أكرومةٍ وتَخَرُّدِ(٦)

سأجزيكِ أو يَجْزِيكِ عنِّي مُثَوِّبٌ(٧) * وقَصْرُكِ(٨) أنْ يُثْنَى عليكِ وتُحْمَدِي ٥

رثى فضالة بن كلدة حين مات

قالا : ثم مات فَضَالةُ بن كَلَدَةَ، وكان يكنى أبا دُلَيْجة، فقال فيه أَوْس بن حَجَرٍ يرثيه :

يا عينُ لا بدّ من سَكْبٍ وتَهْمالِ * على فَضَالةَ جَلِّ الرُّزْءُ والعالِي

ويروى "عينِيّ". العالى : الأمر العظيم الغالب . وهى طويلة جدّا . وفيها مما يغنّى فيه :

صـــوت

أبا دُلَيْجةَ مَنْ تُوصِى بأرمـلةٍ * أم مَنْ لأشعثَ(٩) ذى طِمْرَيْنِ مِمْحَالِ

أبا دُلَيْجةَ مَنْ يكفى العشيرةَ إذ * أمسَوْا من الأمر فى لَبْسٍ وبَلْبالِ

لا زالَ مِسْكٌ ورَيْحانٌ له أَرَجٌ * على صَدَاكَ(١٠) بصافى اللّونِ سَلْسَالِ

(١) الثواء : الإقامة . والثوىّ هنا : الضيف. (٢) المقعد : الذى به داء يقعده . وفى بعض الأصول والديوان : «مقعدى» بياء فى آخره . (٣) الضمانة : الداء فى الجسد من كبر أو بلاء أو غير ذلك . ومثل الضمانة الضمان والضمن (بالتحريك) والضمنة (بالضم) ؛ يقال : رجل ضمن (بالتحريك) لا يثنى ولا يجمع لأنه وصف بالمصدر، ورجل ضمِن (بكسر عينه) وضمين؛ وهذان الوصفان يثنيان ويجمعان ؛ وجمع الأوّل : ضمنون ، والثانى : ضمنى . (٤) أى من القبائل . وفى الأصول : «فالقبائل» والتصويب من الديوان . (٥) يقال : لهى عن الشىء يلهى (وزان فرح) اذا كف عنه وتركه . يريد : لم يجعلها تتركه ما تلاقيه فى القيام عليه من تكاليف . (٦) التخرد : الحياء والخفر ؛ يقال : خردت الفتاة خردا (من باب فرح) وتخرّدت . (٧) المثوب هنا : الذى يعطى المحسن ثواب ما عمل ؛ يقال : أثابه الله وأثوبه وثوّبه . (٨) قصرك : غايتك وكفايتك ؛ ومثله قصارك وقصاراك (بضم القاف فيهما) .

(٩) رجل أشعث : مغبر الرأس متلبد الشعر أو منتشره لقلة تعهده بالدهن والاستحداد . والطمر : الثوب الخلق . وممحال : مجدب . يريد أنه فقير . (١٠) الصدى هنا : جثة الميت فى قبره . وبصافى اللون أى مع صافى اللون ؛ يريد الماء . والدعاء للقبور بالسقيا معروف عند العرب .

غنّى فيه دَحْمان خفيفَ رمل بالوسطى عن عمرو . وذكر حبش أنّ فيه لابن عائشة رَمَلًا بالوسطى عن عمرو . وذكر حبش أنّ فيه لابن عائشة رملًا بالبنصر، ولداود ابن العباس ثانى ثقيل ، ولابن جامع خفيف ثقيل .

ومن فاضل مراثيه إياه ونادرها قوله :

أيّتُها النفسُ أَجْمِلِي جَزَعَا * إنّ الذى تَكْرَهين قد وقعا

إنّ الذى جَمَّع السماحةَ والـ * نَّجْدَةَ والحزمَ والقُوَى جُمَعا

المُخلِفَ المُتْلِفَ المُرَزَّأَ لم[1] * يُمْتَعْ بضَعْفٍ ولم يَمُتْ طَبِعَا

أَوْدَى وهل تنفع الإشاحةُ مِنْ[2] * شىءٍ لمن قد يُحاول البِدَعَا

وهى قصيدة أيضا يمدحه بها فى حياته و يرثيه بعد وفاته . وله فيه قصائد غير هذه .

صـــوت

رأيتُ زُهَيْرًا تحت كَلْكَلِ خالدٍ * فأقبلتُ أسعى كالعَجُولِ أُبادِرُ

فشَلَّتْ يمينى يوم أضربُ خالدًا * و يمنعه منى الحديدُ المُظَاهَرُ

عروضه من الطويل . الشعر لوَرْقاء بن زُهَيْر . والغناء لكَرْدَمٍ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى فى مجراها عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانة أنه لمعبد، وذكر إسحاق أنه ينسبه إلى معبد من لا يعلم ، و روى عن أبيه عن سِيَاط عن يونس أنه أخذه من كَرْدَمٍ وأعلمه أن الصنعة فيه له .

(١) المخلف المتلف : يريد أنه يتلف ما له كرما ، و يخلفه تجددة ؛ كما قال آخر :

* فأتلف ذاك متلاف كسوب *

والمرزأ : الذى تناله الرزيات فى ماله لما يعطى ويسأل . والإمتاع : الاقامة . يقول : لم يقم وهو ضعيف . والطبع : الدنس . وأصل الطبع (بالتحريك) الوسخ والصدأ يغشيان السيف وغيره . وقد استعير لما يغشى النفس من الخلال الذميمة . (٢) أودى هلك . والإشاحة : الحذر . يقول : هل ينفع الحذر والخوف شيئا لمن يحاول دفع الموت . وعبر عن محاولة دفع الموت بمحاولة البدع ، إذ محاولة دفع الموت بدعة . وفى الأصول : « لمن قد يحاول النزعا » . والتصويب من لسان العرب (مادة شيح) والكامل للبرد (ص ٧٣٠ طبعة أوربا) .

خبر وَرْقاءَ بن زُهَير ونسبُه وقصة شعره هذا

نسب ورقاء بن زهير

هو وَرْقاء بن زُهَير بن جَذِيمة بن رَواحةَ بن رَبيعةَ بن مازِن بن الحارث بن قُطَيْعَة بن عَبْس[1] بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان، يقوله لمّا قتل خالد بن جعفر بن كِلَاب بن رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعةَ بن مُعاويةَ بن بكر بن هَوَازِن بن منصور ابن عِكْرِمةَ بن خَصَفَةَ[2]، أباه زُهَيرَ بن جَذِيمة. وكان السبب فى ذلك — فيما أخبرنى به أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحَبِيبُ بن نَصْر قالا حدّثنا عمر بن شَبّة، ونسخت بعضَ هذا الخبر عن الأَثْرَم ورواية ابن الكلبىّ، وأضفتُ بعضَ الروايات إلى بعض إلّا ما أفردته وجليته عن راويه. قال أبو عُبَيدة حدّثنى عبد الحميد بن عبد الواحد ابن عاصم بن عبد الله بن رافع بن مالك بن عَبْد بن جُلْهُمَة بن حَذَاق بن يَرْبوع بن سَعْد بن تَغْلِب بن سَعْد بن عَوْف بن جِلّان بن غَنْم بن أَعْصُر، قال حدّثنى أبى عبد الواحد وعمّى صَفْوانُ ابنا عاصم عن أبيهما عاصم بن عبد الله عمّن أدرك شَأْسَ ابنَ زُهَيْر. قال: كان مولد عاصم قبل مبعث النبىّ صلى الله عليه وسلم، وكان عاصم جاهليًّا. قال: وقال عبد الحميد حدّثنى سيّار بن عمرو أحد بنى عُبَيد بن سَعْد ابن عَوْف بن جِلّان بن غَنْم — قال أبو عبيدة: وكان أَعْلَمَ غَنِيٍّ[3] — عن شيوخهم —:

مقتل شأس بن زهير أخيه والبحث عن قاتله ثم محاولة الثأر منه

أن شَأْسَ بن زُهَيْر بن جَذِيمةَ أقبل من عند ملك — قال أبو عُبَيدة: أُراه النعمان — وكان بينه وبين زُهَير صِهْر — قال أبو عبيدة: ثم حدّثنى مرّة أخرى قال: كانت ابنةُ زُهَيْر عنده — فأقبل شأس بن زُهَيْر من عنده وقد حَبَاه أفضلَ

(١) كذا فى كتاب المعارف لابن قتيبة والقاموس. وفى الأصول: «قطيعة بن قيس».
(٢) فى الأصول: «حفصة» وهو تحريف.
(٣) كذا فى ﺟ. وفى سائر الأصول: «وكان بلغنى عن شيوخهم» وهو تحريف.

الحُبْوَةَ مِسْكًا وكُسًّا وقُطُفًا وطَنَافِسَ ، فأناخ ناقتَه فى يوم شَمَالٍ وقَرٍّ على رَدْهةٍ(١) فى جبلٍ ورِيَاحُ بنُ الأسَكِّ(٢) أحدُ بنى رباع بن عبيد بن سَعْد بن عَوْف بن جِلّان على الرَّدْهة ليس غيرُ بيتِه بالجبل ؛ فانشأ شأس يغتسل بين الناقة والبيت ؛ فآستدبره رِياحٌ فأَهْوَى له بسهم فبَتَر به صُلْبَه . قال أبو عُبَيْدة وحدّثنى رجل يُخَيَّل إلىّ أنه أبو يحيى الغَنَوِىّ قال : ورد شأس وقد حباه الملك بِحُبوةٍ فيها قطيفةٌ حمراء ذات هُدْب وطِيبٌ ، فورَد مَنْعِجًا(٣) وعليه خِباءٌ مُلْقًى لرِيَاح بن الأسَكّ فيه أهلُه فى الظَّهيرة ؛ فألقى ثيابَه بفِنائه ثم قعد يُهَرِيقُ عليه الماء ، والمرأة قريبةٌ منه (يعنى امرأة رِياح) فإذا هو مثل الثور الأبيض . فقال رياح لآمرأته : أَنْطِينِى(٤) قَوْسى ؛ فمدّتْ إليه قوسه وسهمًا ، وانتزعت المرأة نَصْلَه لئلا يقتله ؛ فأهوى بجَـلانَ إليه فوضع السهم فى مُسْتَدَقّ الصُّلْب بين فَقَارتين ففصلهما ، ونخرّ ساقطا ؛ وحفَر له حَفَرًا فهدَمه عليه ، ونحر جمله وأكله . قال : وقال عبد الحميد : أكل رَكُوبتَه وأولج متاعَه بيتَه . وقال عبد الحميد : وفُقِد شَأْسٌ وقُصَّ أثرُهُ ونُشِد ، وركبوا الى الملك فسألوه عن حاله . فقال لهم الملك : حبوته وسرَّحته . فقالوا : وما متّعته به ؟ قال : مِسْكٌ وكُسًّا ونُطُوع وقُطُفٌ . فأقبلوا يقصُّون أثره فلم تَتّضح لهم سبيلُه . فمكثوا كذلك ما شاء الله ، لا أدرى كم ، حتى رأوا آمرأة رِيَاحٍ باعت بعُكَاظ قطيفةً حمراء أو بعض ما كان من خِبَاء الملك ، فعُرِفتْ وتيقّنوا أن رياحًا ثَأرُهم . قال أبو عُبَيْدة : وزعم الآخر قال : نَشَد(٥) زُهَيرُ بن جَذِيمةَ الناسَ ، فانقطع ذكرُه على مَنْعِج وَسْطَ غَنِىّ ، ثم أصابت الناسَ جائحةٌ وجوعٌ ، فنحر زُهَير ناقةً(٦) ، فأعطى آمرأةً شَطِيَّها(٧)

(١) الردهة (بالفتح) : النقرة فى الجبل أو فى الصخر يستنقع فيها الماء . (٢) فى كتاب الكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٤١١) : «رياح بن الأشل» . (٣) منعج (بفتح فسكون فكسر) : موضع . (٤) فى أ ، م : «أعطينى» . وأنطينى لغة فى أعطينى . (٥) يريد : سأل الناس . (٦) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «ناقته» . (٧) شطيها : جانبى سنامها .

فقال : اشترى لى الهُدْبَ والطِّيبَ . فخرجتْ بذلك الشحم والسَّنام تبيعه حتى دَفَعتْ (١)
إلى امرأة رِياح، فقالت : إنّ معى شحمًا أبيعه فى الهُدْبِ والطِّيب، فاشترت المرأة
منها . فأتت المرأةُ زهيراً بذلك، فعرف الهُدْبَ . فأتى زهير غَنِيًّا، فقالوا: نعم! قتله
رياح بن الأسَكّ ، ونحن بُرَءاء منه . وقد لحق بخاله من بنى الطَّاح و بنى أسـد بن
خُزَيْمة ، فكان يكون اللَّيلَ عنده ويظهر فى أَبَانَ (٢) إذا أحسّ الصبحَ ، يرمى الأَرْوى (٣)؛
إلى أن أصبح ذاتَ يوم وهو عنده وعَبْسٌ تَرِيغُه (٤) . فركب خالُه جملاً وجعله على كِفْلٍ (٥)
وراءه . فبينا هو كذلك إذ دَنَتْ (٦) ، فقالوا : هذه خيل عَبْس تطلبك . فطَمَر (٧) فى قاع
شجرٍ فحفر فى أصل سُوقه . ولقيت الخيل خالَه فقالوا : هل كان معك أحد ؟ قال
لا . فقالوا : ما هذا المَرْكَبُ وراءك ؟ لَتُخْبِرَنّا أو لَنَقتلنّك ! قال : لا كَذِبَ، هو
رياح فى ذلك القاع . فلما دَنَوْا منـه قال الحُصَيْنان : يا بنى عَبْس دَعُونا وثأرَنا ،
فخَنَسوا (٨) عنهما . فأخذ رياح نَعْلَين من سِبْتٍ (٩) فصيّرهما على صدره حِيالَ كبده، ونادى :
هذا غيرُ الكَما الذى تبغيان . فحمل عليــه أحدهما فطعنه، فأزالت النعـلُ الرمحَ إلى
حيث شاكلته، ورماه رياحٌ مُوَلِّياً بجُذَمٍ (١٠) صُلْبَة . قال : ثم جاء الآخر فطعنه فلم يُغْنِ
شيئا، ورماه مُوَلِّيا فصرَعه . فقالت عَبْسٌ : أين تذهبون إلى هــذا ! والله ليقتلنّ
منكم عَدَدَ مَرَاميـه ، وقد جرحاه فسيموت . قال : وأخذ رياح رُمْحَيْهِما وسَلَبَيْهما
وخرج حتى سَنَد إلى أبانَ . فأتتـه عجوزٌ وهو يَسْتَدْمِى (١١) على الحوض ليشرب منه

(١) دفعت : انتهت . (٢) أبان : جبل . (٣) الأروى : اسم جمع للأُروية وهى
أنثى الوعول . (٤) تريغه : تطلبه . (٥) الكفل (بالكسر) : شىء مستدير يتخذ من الخرق
ونحوها و يوضـع على سنام البعير . (٦) كذا فى الأصول . ولعل صوابه : « إذ دنت الخيل
فقالوا هذه ... الخ » . (٧) طمر : معناها هنا استخفى . (٨) خنسوا : تأخروا وتنحوا .
(٩) السبت (بالكسر) : الجلد المدبوغ . (١٠) جذمه : قطعه سرعة .
(١١) يستدمى : يطأطئ رأسه يقطر منه الدم .

وقالت : استأسرتحىّ ، فقال : جنّبينى حتى أشرب . قال : فأبتْ ولم تَنْتَه . فلما غلبته أخذ مشقَصًا(٢) وكَنّع(٣) به كُرْسُوعَىْ يديها . قال فقال عبد الحميد : فلما استبان لزهير بن جَذيمة أن رِياحًا ثأرُه قال يرثى شأسا :

رثاء زهير بن جذيمة لابنه شأس

بكيتُ لشأس حين خُبِّرتُ أنه * بماء غَنِىٍّ آخرَ اللّيل يُسْلَبُ
لقد كان مأتاهُ الرِّداهَ لحَتفِه * وما كان لولا غِرّةُ اللّيل يُغلَبُ
قتيل غَنِىٍّ ليس شَكْلٌ كشكله * كذاك لَعَمْرِى الحَيْنُ للمرء يُجْلَبُ
سأبكى عليه إن بكيتُ بعَبْرَةٍ * وحُقَّ لِشأسٍ عَبْرَةٌ حين تُسْكَبُ
وحزنٍ عليه ما حَيِيتُ وعَولةٍ * على مثل ضوء البدر أو هو أعجبُ
إذا سِيمَ ضَيْمًا(٤) كان للضيم منكرًا * وكان لدى الهيجاء يُخْشَى ويُرْهَبُ
وإنْ صوّتَ الداعى إلى الخير مَرّةً * أجاب لِمَا يدعو له حين يُكْرَبُ(٥)
ففرّج عنه ثم كان وَلِيَّه * فقلبى عليه لو بدا القلبُ مُلْهَبُ

وقال زُهَيْر بن جَذِيمة حين قُتِل شأسٌ : شأس وما شأس ! والبأس وما البأس ! لولا مقتلُ شأس، لم يكن بيننا بأس . قال : ثم انصرف إلى قومه، فكان لا يَقْدِر على غَنَوِىٍّ إلا قتله .

قال عبد الحميد : فغزتْ بنو عَبْس غَنِيًّا قبل أن يطلبوا قَوَدًا أو ديةً مع أخى شأس الحُصَيْن بن زُهَيْر بن جَذيمة والحُصَيْن بن أُسَيد بن جَذيمة ابن أخى زُهير، فقيل

(١) جنّبينى : ابعدى عنى ؛ يقال : جنبه تجنيبا وتجنبه وجانبه وتجانبه واجتنبه إذا بعد عنه . وفى الأصول : «اجنبينى» بزيادة الألف، وهو تحريف . ويقال : جنبه الشىء يجنبه (من باب نصر)، وجنّبه إياه تجنيبا ، وأجنبه إياه، إذا نحاه عنه . (٢) المشقص : نصل عريض أو هو سهم فيه ذلك النصل . (٣) كنّع (بالتضعيف) : قطع . وفى بعض الأصول : «كتع» بالتاء، وهو تصحيف . (٤) سامه الأمر : كلفه إياه، وأكثر ما يستعمل فى العذاب والشر والظلم . (٥) يكرب : يصيبه الكرب، وهو الحزن والغم الذى يأخذ بالنفس .

ذلك لغنىّ؛ فقالت لرياح : انجُ، لعلنا نُصالح على شيء أو نُرضيهم بدية وفِداء، فخرج رياح رَديفًا لرجل من بنى كِلاب — وزعم أبو حيّة النُّمَيْرىّ أنه من بنى جَعْد[1] — وكان معهما صُحَيْفَةٌ فيها آرابُ لَحْمٍ[2]، لا يَرَيان إلا أنهما قد خالفا وجهةَ القوم، فأوجفا أيديَهما فى الصُّحَيْفة فأخذ كل واحد منهما وَذْرةً[3] ليأكلها، مترادفين لا يَقْدِران على النزول. قال : فمرّ فوق رءوسهما صُرَدٌ[4] فصَرْصَرَ، فألقيا اللحمَ وأمسكا بأيديهما وقالا : ما هذا ! ثم عادا إلى مثل ذلك فأخذ كل واحد منهما عظمًا، ومرّ الصُّرَدُ فوق رءوسهما فصرصر، فألقيا العظمين وأمسكا بأيديهما وقالا : ما هذا ! ثم عادا الثالثة فأخذ كل واحد منهما قطعة، فمرّ الصُّرَد فوق رءوسهما فصرصر، فألقيا القطعتين[5]؛ حتى فعلا ذلك ثلاث مرات، فاذا هما بالقوم أدنى ظَلَمٍ[6] (وأدنى ظَلَمٍ أى أدنى شيء) وقد كانا يظنّان أنهما قد خالفا وجهة القوم. فقال صاحبه لرياح : اذْهَبْ فإنى آتى القوم أُشاغلهم عنك وأُحدّثهم حتى تُعجِزَهم ثم ماضٍ إن تركونى. فانحدر رِياحٌ عن عَجُز الجمل فأخذ أدراجَه[7] وعدا أثر الراحلة حتى أتى ضَفّةً[8] فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب فولج فيه، ثم أخذ نَعْلَيْه فجعل إحداهما على سُرّته والأخرى على صَفْنِه[9] ثم شدّ عليهما العمامة، ومضى صاحبه حتى لقى القوم، فسألوه فحدّثهم وقال : هذه غَنِىٌّ كاملة وقد دنوت منهم، فصدّقوه وخلَّوْا سِرْبَه[10]. فلما ولّى رأوا مركب الرجل خلفه،

(١) لم نجد فى المظانّ «بنى جعد». فلعله «من بنى جعدة».

(٢) آراب لحم : قطع لحم. وفى الأصول : «أداب لحم» وهو تحريف. (٣) كذا فى ج. والوذرة (بالفتح وبحرك) : القطعة الصغيرة من اللحم لا عظم فيها؛ وقيل : هى ما قطع من اللحم مجتمعا عرضا بغير طول. وفى سائر الأصول : «وضرة» وهو تحريف. (٤) الصرد : طائر أبقع ضخم الرأس يكون فى الشجر، نصفه أبيض ونصفه أسود، وهو من سباع الطير، ضخم المنقار عظيم البرثن؛ كانت العرب تتطير من صوته. (٥) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول : «العظمين». (٦) فى الأصول : «وأدنى ظلام» وظاهر أنه تحريف؛ إذ هو ما قبله، وكرره المؤلف ليفسره. (٧) الأدراج : الطرق.

(٨) الضفة : جانب النهر والوادى. (٩) الصفن (بالتحريك وبالفتح) : وعاء الخصية.

(١٠) السرب (بالفتح وهو الأرجح، وقال أبو عمرو بالكسر) : الطريق.

فقالوا : مَن الذى كان خلفك ؟ فقال : لا مَكْذُبَةَ ! ذلك رياح فى الأوّل من السَّمُرات . فقال الحُصَيْنان لمن معهما : قِفُوا علينا حتى نعلم عِلْمه فقد أمكننا الله من ثأرنا ، ولم يُريدا أن يَشْرَكهما فيه أحد ، فمضيا ووقف القوم عنهما . قالوا قال رياح : فاذا هما ينقُلان فرسيهما ، فما زالا يُريغانى ، فابتدرانى فرميتُ الأول فبترت صُلْبَه ، وطعننى الآخر قبل أن أرميه وأراد السُّرّة فأصاب الرَّبَلة [1] ، ومرّ الفرس يَهْوِى به ، فأستدبرتُه بسهم فرشقته به صلبَه فآنفقر مُنْحَنَى الأوصال ، وقد بترتُ صُلْبَيْهما . قال أبو عبيدة قال أبو حيّة : بل قال رياح : استدبرتُه بسهم وقد خرجتْ قدمه فقطعتُها ، فكأنما نُشِرتْ بمنشار . قال عبد الحميد : وندّ فرساهما فلحقا [2] بالقوم . قال رياح : فأخذت رمحيهما فخرجتُ بهما حتى أتيت رملةً فسَنَدتُ فغرزتُ الرمحين فيها ثم انحدرتُ . قال : وطلبه القوم ، حتى إذا رُفِع لهم الرمحان لم يَقْرَبوهما عَلِم الله حتى وجدوا أثر رياح خارجا قد فات . وانطلق رياح خارجاً حتى ورد رَدْهةً عليها بيت أنمار بن بَغِيض وفيه امرأةٌ ولها ابنان قريبان منها وجملٌ لها راتع فى الجبل ، وقد مات رياح عطشا . فلمّا رأته يستدمى طَمِعتْ فيه ورجتْ أن يأتيها ابناها ، فقالت له : استأسِرْ . فقال لها : دَعِينى ويحك أشرب ، فأبت . فأخذ حديدة إمّا سِكِّينًا وإمّا مِشْقَصًا فجذم به رَوَاهِشها [3] فماتت ، وعبّ فى الماء حتى نَهِل [4] ثم توجّه إلى قومه . فقال رياح فيها وفى الحُصَيْنين :

قالت لِيَ اسْتأْسِرْ لِتَكْتِفَنى * حِينًا ويعلو قولُها قولى
ولَأنتَ أجرأُ من أُسَامَةَ [5] أو * منّى غداةَ وقفتُ للخيل

(١) الربلة (بالفتح وبالتحريك وهو الأفصح) : باطن الفخذ . (٢) فى الأصول : «فلحقتا» .
(٣) الرواهش : العصب الذى فى ظاهر الذراع ، وقيل : هى عصب وعروق فى باطن الذراع ، واحدها راهشة وراهش . (٤) نهل هنا : روى . (٥) أسامة : اسم علم للأسد .

إذا الحُصَيْنُ لدى الحُصَيْنِ كما * عَدَلَ الرِّجازةُ جانبَ المَيْلِ

قال الأثرم: الرِّجازة شيءٌ يكون مع المرأة فى هودجها، فإذا مال أحدُ الجانبين وضعته في الناحية الأخرى ليعتدل . قال أبو عُبَيدة: يعني حُصَيْنَ بنَ زُهَيرِ بن جَذِيمةَ، وحُصَيْن بن أَسِيدِ بن جَذِيمةَ وهو ابن عمه. قال أبو عبيدة قال عبد الحميد: والله لقد سمعتُ هذا الحديث على ما حدّثتك به منذ ستّين سنة. قال عبد الحميد: وما سمعتُ أنّ بني عَبْسٍ أدركوا بواحد منهم ولا اقتادوا ولا أندروا، ولا سمعتُ فيه من الشعر لنا ولا لغيرنا فى الجاهلية بأكثرِ مما أنشدتُك . وإلى هذا انتهى حديثُنا وحديثُه، ولا والله ما قَتَل خالدُ بنُ جعفر زُهَيرَ بن جَذِيمةَ فى حربنا، غيرَ أنّ الكُمَيتَ بنَ زيد الأسَديّ، وكانت له أُمّان من غَنِيّ، ذكر من مقتل أخواله من غَنِيّ في بني عَبْس[(1)] ومَنْ قَتَلُوا من بني نُمَيْر بنِ عامر في كلمة له واحدة؛ فلعلّه لهذا الحديث قالها وذكر إذراكاتِهم وذكرَ قَتْلَ شَبِيب بن سالم النُّمَيْرِيّ، فقال فى ذلك:

أنا ابنُ غَنِيٍّ والداىَ كلاهما * لأُمَّيْنِ فيهم فى الفُروعِ وفى الأصلِ
هم استودعوا هوى شبيبَ بن سالمٍ[(2)] * وهم عدلوا بين الحُصَيْنَيْنِ بالنَّبلِ
وهم قتلوا شَأْسَ المُلوكِ ورغَّموا * أباه زُهَيرًا بالمَذَلّةِ والثُّكْلِ
فما أدركتْ فيهم جَذِيمةُ وَتْرَها * بما قَوَدٍ يومًا لدنيا ولا عَقْلِ

قال أبو عبيدة: فذكر عبد الحميد أنه أتى عليهم هُنَيْهةٌ من الدهر لا أدري كم وقتُ ذلك بعد انصرام أمر شأس. قال: فما زادوا على هذا فهو باطل. قال الأثرم: هُنَيْئةٌ من الدهر وهُنَيْهةٌ وبُرهةٌ وحِقْبةٌ بمعنى الدهر.

(1) فى ب، سد: «ذكر من قتل من أخواله ...».
(2) كذا ورد هذا الشطر فى الأصول. ولم نهتد فيه الى وجه نطمئن اليه.

مَقْتَل زُهَيْرِ بنِ جَذِيمَةَ العَبْسِىّ

قتله خالد بن جعفر

قتله خالدُ بن جعفر بن كِلَاب. قال أبو عُبَيْدَةَ قال أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِىّ: كان بين آنصراف حديثِ شأْس وحديثِ قَتْلِ خالدِ بن جعفرٍ زُهَيْرَ بنَ جَذِيمةَ ما بين العشرين سنةً إلى الثلاثين سنةً. قال أبو عُبَيْدَةَ: وهَوَازِنُ بنُ منصور لا تَرَى زُهَيْرَ بن جَذِيمة إلّا رَبًّا[1]. قال: وهَوَازِنُ يومئذ لا خيرَ فيها، ولم تَكْثُرْ[2] عامرُ بنُ صَعْصَعَةَ بعدُ، فهم أذلُّ من يَدٍ فى رَحِمٍ[3]، وإنّما هم رِعاءُ الشَّاءِ فى الجبال. قال: وكان زُهَيْرٌ يَعْشِرُهم[4]، وكان إذا كان أيّام عُكَاظَ أتاها زهيرٌ ويأتيها النّاسُ من كل وجه، فتأتيه هوازنُ بالإتاوة التى كانت له فى أعناقهم فيأتونه بالسَّمْنِ والأَقِطِ والغنم؛ وذلك بعد ما خلع ذلك من أبى الجَنَاد أخى بنى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم. ثم إذا تفرّق الناسُ عن عُكَاظ نزل زُهيرٌ بالنفرات[5].

تعظيم هوازن له

قال أبو عُبيدةَ عن عبد الحميد وأبى حَيَّة النُّمَيرى قالا: فأتته عجوزٌ رَهِيشٌ[6] من بنى نَصْر بن معاوية بن بكر بن هوازن — وقال أبو حيّة: بل أتته عجوز من هوازن — بسمن فى نِحْيٍ، واعتذرتْ اليه وشَكَت السنين التى تتابعن على الناس. فذاقه فلم يرضَ طَعْمَه، فدعها[7] بقَوْسٍ فى يده عُطُلٍ[8] فى صدرها، فآستلقتْ لحلاوة القفَا[9] فبدتْ

(١) الرب هنا: الملك والسيد. (٢) فى الأصول: «ولم يلبث عامر بن صعصعة بعد فهم أذل ... الخ». والتصويب من خزانة الأدب (ج ٤ ص ٣٧٧) وأمالى السيد المرتضى (ج ١ ص ١٥٢). (٣) هذا مثل يضرب فى الضعف والهوان. (٤) يعشرهم: يأخذ عشر أموالهم. وفى الأصول: «يعزهم» والتصويب من خزانة الأدب. (٥) فى حـ: «النقرات». وظاهر أنه هنا اسم مكان، ولم نجده فى مظانه. (٦) عجوز رهيش: ضعيفة أو مهزولة. (٧) دعها: دفعها بعنف. (٨) قوس عطل: لا وتر عليها. (٩) حلاوة القفا (بفتح الحاء وضمها): وسطه.

عورتها ؛ فغضب من ذلك هوازنُ وحقدت[1] عليه إلى ما كان فى صدرها من الغيظ والدمن[2] وأوحرها[3] من الحسك[4] . قال : وقد أمرت[5] عامرُ بن صعصعة يومئذ ، فآلى خالدُ بن جعفر فقال : والله لأجعلنّ ذراعى وراء عنقه حتى أُقتَلَ أو يُقتَلَ . قال : وفى ذلك يقول خالد بن جعفر بن كلاب :

حلف خالد بن جعفر أن يقتله وشعره فى ذلك

أديرونى إدارتكم[6] فإنّى * وحذفة كالشَّجا تحت الوريد
مُقَرَّبةٌ أُسَوِّيها بجزءٍ[7] * وأُلحفها ردائى فى الجليد
وأوصى الرّاعيين ليُؤثراها * لها لبنَ الخليّة[8] والصّعود
تراها فى الغزاة وهنّ شُعْثٌ * كقُلْبِ[9] العاج فى الرّسغ الجديد
يبيتُ رباطُها بالليل كفّى * على عود الحشيش وغير عود
لعلَّ الله[10] يمكّننى[11] عليها * جهارًا من زُهيرٍ أو أُسيد
فإمّا تثقفونى فاقتلونى * فمن أثقف فليس إلى خلود

(١) فى الأصول : « واصمدت عليه » . (٢) الدمن هنا : الأحقاد . (٣) أوحرها : جعلها توحر أى تغضب وتحقد . (٤) كذا فى ج . والحسك هنا : العداوة والحقد . وفى سائر الأصول : « من الحسد » . (٥) أمرت : كثرت . وفى الأصول . « وتذامرت ... » . والتصويب من أمالى السيد المرتضى . (٦) فى كتاب نسب الخيل وأمالى السيد المرتضى وخزانة الأدب : «أريغونى إراغتكم» . والإراغة : الطلب . يقول : افعلوا ما شئتم فإنى وفرسى غصة فى حلوق الأعداء . (٧) فى الأصول : « بجز » والتصويب من كتاب نسب الخيل . وجزء : اسم ابن له ، وبه كان يكنى . (٨) الخلية : الناقة تنتج وهى غزيرة ، فيجر ولدها من تحتها فيجعل تحت أخرى وتخلى هى للحلب . ولأهل اللغة فى معنى الخلية أقوال أخرى غير هذا . والصعود : الناقة التى تخدج (تسقط) ولدها لغير تمام ، فتعطف على ولد عام أوّل أو ولد غيرها فتدرّ عليه . (٩) القلب : السوار . والجديد : صفة للقلب . (١٠) روى بجر الله ؛ واستشهد بهذا البيت النحويون على أن «لعل» قد يجر بها . (١١) كذا فى كتاب نسب الخيل وأمالى السيد المرتضى وخزانة الأدب . وفى الأصول « يفردنى » . ولعله محرف عن « يقدرنى » كما ورد فى خزانة الأدب فى رواية أخرى .

وقيس فى المعارك غادرته * قنابلى فى فوارس كالأسود

ويربوع بن غيظ يوم ساق * تركناهم بجارية وبيد (١)

تركت لها نساء بنى عظيم * أرامل ما تحن إلى وليد (٢)

يلذن بحارث جزعا عليه * يقلن لحارث لولا تسود (٣)

ومن بنى الطويل قارعات * تبيد المخزيات ولا تبيد

وحكت بركها (٤) ببنى جحاش * وقد أجروا إليها من بعيد

تركت ابنى جذيمة فى مكر * ونصرا قد تركت لها شهودى

وصف مقتله وما كان قبله من حوادث.

١٣/١٠

قال أبو الجنيدة حدثنا أبو سرار الغنوى قال: كان زهير رجلا عدوسا (٥)، فانتقل من قومه ببنيه وبنى أخويه زنباع وأسيد بركبة يريغ الغيث فى عشراوات (٦) له وشول. قال: وبنو عامر قريب منهم ولا يشعر بهم. قال عبد الحميد وأبو حية: بل بنو عامر بدمخ (٧) وزهير بالنفرات وبينهم ليلتان أو ثلاث. قال فقال أبو سرار: فأتى الحارث بنى عامر، والله ما تغير طعم اللبن الذى زوده (٨) الحارث بن عمرو بن الشريد السلمى

(١) كذا فى الأصول. ولعل صوابها: «بجارية وئيد». والجارية الوئيد: الفتاة التى تدفن حية. ويكون المعنى أنهم تركوا يربوع بن غيظ قتيلا كالفتاة الوئيد. وقد ورد بعض أبيات من هذه القصيدة فيما يأتى (ص ٩٤ من هذا الجزء) وفى روايتها هنالك اختلاف عن روايتها هنا.

(٢) الرواية فيما سيأتى «يشتكين» وهى الأنسب بالمقام، كما يفهم من سياق الكلام هناك.

(٣) فى هذا البيت والذى بعده إقواء. (٤) البرك: الصدر. يريد: نزلت بهم.

(٥) عدوسا: قويا على سير الليل. (٦) العشراء من النوق: التى مضى لحملها عشرة أشهر، ثم لا يزال يطلق عليها هذا الاسم إلى ما بعد الوضع؛ فهى بعد الوضع عشراء أيضا. قال ابن الأثير: وقد اتسع فى هذا حتى قيل لكل حامل عشراء. والشول: جمع شائلة على غير قياس، وهى الناقة التى أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر فخف لبنها وارتفع ضرعها. (٧) دمخ: جبل.

(٨) فى الأصول: «زودت الحارث» بالتاء، وهو تحريف؛ إذ ليس فى الكلام هنا ما يرجع إليه الضمير.

حتى أتى بني عامر فأخبرهم . قال أبو عُبيدة أخبرني سليمان بن المُزَاحِم المازنيّ عن أبيه قال : بل كانت بنو عامر بالحريثة[1] وزهير بالنفرات ، وكانت تُمَاضِرُ بنت عَمْرو ابن الشَّريد بن رِيَاح بن يَقَظَة بن عُصَيَّة بن خُفَاف السُّلَميّ امرأة زُهَير بن جَذِيمة وهي أُمُّ وَلَده . فمرّ بها أخوها الحارث بن عمرو . فقال زُهَيرٌ لبنيه : إنّ هذا الحمار لطليعةٌ عليكم فأَوْثِقوه . فقالت أختُه لبنيها : أيزوركم خالكم فتُوثِقوه وتجرمُوه ! فخلُّوه . فقالت تُمَاضِرُ لأخيها الحارث : إنه لَيَرِيبُني [اكْتِئَابُك وقُروبُك ، فلا يأخذنّ فيك] ما قال زهير ، فإنه رجل بَيْذَارةٌ غَيْذارةٌ شَنُوءةٌ[2] . قال : ثم حلبوا له وَطْبًا وأخذوا منه يمينًا ألّا يُخْبِرَ عنهم ولا يُنْذِرَ بهم أحدًا . قال أبو عبيدة : وزعم أبو حَيّة النُّميريّ أنه لمّا أتوه بقِراهم أراهم أنه يشربه في الظُّلمة وجعل يَهْوِي به إلى جيبه فيَصُبُّه بين سِرْباله وصَدْره أسفًا وغيظا . قال : وكان الذي حلَب له الوَطْبَ وقَرَاه الحارثَ بنَ زُهَير ، وبه سُمِّيَ . قال : فخرج يطير حتّى أتى عامرًا عند ناديهم ، فأتى حَاذَةً[3] أو شجرةً غيرَها فألقى الوطبَ تحتها والقومُ ينظرون ، ثم قال : أيّتها الشجرةُ الذليلةُ اشربي من هذا اللّبن فانظُري ما طَعْمُه . فقال أهلُ المجلس : هذا رجلٌ مأخوذٌ عليه [عَهْدٌ] وهو يُخبركم خبراً . فأتوه فإذا هو الحارثُ ابن عمرو ، وذاقوا اللّبن فإذا هو حُلْوٌ لم يقرُص بعدُ ، فقالوا : إنه لَيُخْبِرُنا أنّ طَلِبَنا قريبٌ . فركب معه ستّة فوارسَ لينظروا ما الخبرُ ، وهُمْ خالدُ بنُ جعفر بن كِلاب على حَذْفَةَ ، وحُنْدُجُ بن البَكّاء ، ومعاويةُ بن عُبادةَ بن عُقَيل فارسُ الهَرّار وهو الأخيل جدّ ليلى الأخيلية — قال : والأُخَيْلُ هو معاوية ، قال : وهو يومئذ غلامٌ له ذؤابتان ، وكان

(١) في ا ، م : «بالحريثة» . ولم نجد هذا الاسم في مظانه . (٢) ورد بعض هذه الكلمات في الأصول محرفا تحريفا شنيعا . والتكملة والتصويب من أمالي السيد المرتضى . والاكتئاب هنا : الغم . والقروب : السكوت . وقال الأثرم : «والبيذارة : الكثير الكلام . والغيذارة : السيئ الخلق» . والشنوءة المبغض . (راجع أمالي السيد المرتضى) . (٣) الحاذة : واحدة الحاذ ، وهو ضرب من الشجر .

أصغرَ مَنْ ركب — وثلاثةُ فوارسَ من سائر بنى عامر، فاقتصّوا أثَر السير، حتى إذا رأوا إبلَ بنى جَذِيمة نزلوا عن الخيل. فقالت النساء: إنا لنَرَى حَرَجةً [1] من عِضَاهٍ أو غابةَ رِماح بمكان لم نكن نرى به شيئا، ثم راحت الرِّعاء فأخبروا بمثل ما للنساء. قال: وأخبرت راعيةُ أُسيدِ بنِ جَذِيمةَ أُسيدًا بمثل ذلك، فأتى أُسيدٌ أخاه زهيرًا فأخبره بما أخبرته به الرّاعية وقال: إنما رأتْ خيلَ بنى عامر ورِماحَها. فقال زُهير: "كلُّ أزبَّ [2] نَفورٌ" — فذهبتْ مثلا، وكان أُسيدٌ كثيرَ الشَّعر خناسيا [3] — وأينَ بنو عامر! أمّا بنو كِلاب فكالحيّة إن تركتَها تركتْك، وإن وطِئتها عضّتك. وأمّا بنو كَعْب فإنهم يَصيدون اللأْيَ (يريد الثور الوحشىّ). وأمّا بنو نُمَيْر فإنهم يَرْعَوْن إبلَهم [4] فى رءوس الجبال. وأمّا بنو هِلال فيبيعون العِطْر. قال: فتحمّل عامّة بنى رواحةَ، وآلى زُهير لا يبرَح مكانَه حتى يُصبح. وتحمّل مَنْ كان معه غيرَ ابنيه ورَقْاء والحارث. قال: وكان لزهير رَبِيئةٌ [5] من الجنّ فحدّثه [6] ببعض أمرهم حتى أصبح، وكانت له مِظَلّةُ دَوْحٍ يربِط فيها أفراسَه لا تَرِيمُه [7] حَذَرًا من الحوادث. قال: فلمّا أصبح صهَلت فرسٌ منها حين أحسّت بالخيل وهى القعساء. فقال زُهَيْر: مالها؟! فقال رَبِيئته: أحسّت الخيل فصهَلت إليهن. فلم تُؤْذِنْهم [8] بهم إلا والخيلُ دَوَانِس [9]

---

(١) الحرجة: الغيضة أى الشجر الكثير الملتف. والعضاه من الشجر: كل ماله شوك، وقيل هو أعظم الشجر. (٢) الزبب: كثرة الشعر وطوله. والبعير الأزب، وهو الذى يكثر شعر حاجبيه، ينفر إذا ضربت الريح شعرات حاجبيه. (٣) كذا فى الأصول، ولم نجد لها معنى. فلعل «خناسيا» محرفة عن «جبان» أو ما يشبهها. (٤) فى حـ: «يرعون البهم». (٥) ربيئة: طليعة يستطلع له الأشياء ويخبره بها. (٦) فى الأصول: «فحدثته». (٧) لا تريمه: لا تبرحه. (٨) تؤذنهم: تعلمهم. (٩) يقال: أتتهم الخيل دوائس، أى يتبع بعضها بعضا. والمحاضير: جمع محضير أو محضار وهو الشديد الحضر (بالضم) أى العدو. وفى الأصول: «دواس محاضر» وظاهر أنه تحريف.

مَحَاضيرُ بالقوم غَدِيّةً . فقال زُهير وظنّ أنهم أهلُ اليمن : يا أُسيدُ ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين تُعَمّى حديثَهم منذُ اللّيلة . قال : وركب أسيدُ فمضى ناجيا . قال : ووثب زُهير وكان شيخًا نبيلًا(١) فتذَرّ القَعْساء فرسَه ، وهو يومئذ شيخٌ قد بَدُنَ وهو يومئذ عَقُوقٌ مُتّهِمٌ ، واعرَورى(٢) ورقاءُ والحارثُ ابناه فرسَيْهما ، ثم خالفوا جهةَ مالِهم ليُعَمّوا على بني عامر مكانَ مالِهم فلا يأخذوه . فهتَف هاتفٌ من بني عامر : يالَيَحامِر — يريد يحامر وهو شِعارٌ لأهل اليمن — لأنْ يُعَمّى على الجَذَميّين(٣) من القوم . فقال زُهَير : هذه اليمن ، قد علمتُ أنها أهلُ اليمن ! وقال لابنه ورقاء : أُنظُرْ يا ورقاء ما ترَى ؟ قال ورقاء : أرَى فارسًا على شقراء يجْهَدها ويَكُدُّها بالسَّوْط قد ألحّ عليها (يعني خالدا) . فقال زهير : "شيئًا(٤) مّا يُريد السَّوْطُ الى الشَّقْراء" فذهبتْ مثلا ، وقال في المرة الثانية : "شيئًا مّا يطلبُ السَّوْطُ الى الشقراء" وهي حَذْفةُ فرسُ خالد بن جعفر ، والفارس خالدُ بن جعفر . قال : وكانت الشقراء من خيل غَنِيّ . قال : وتمرّدت(٥) القَعْساء بزُهير ، وجعل خالدٌ يقول : لانجوتُ إن نجا مُجَدَّعٌ (يعني زهيرا) . فلمّا تَمَعّطت(٦) القعساءُ بزهير ولم تتعلّق بها حَذْفةُ ، قال خالد لمعاوية الأخْيَل بن عُبادة وكان على الهَزّار (حِصَان أعْوَج)(٧) : أدْرِكْ مُعَاوِيَ ، فأدرك معاويةُ زهيرا ، وجعل ابناه ورقاءُ والحارثُ يُوَطِّشَان(٨) عنه (أي عن أبيهما) . قال فقال خالد : اطْعُنْ يا معاوية

(١) نبيلا هنا : جسيما . وتذرّ فرسه : وثب عليها فركبها ، وقيل : ركبها من خلفها . (٢) اعرورى فلان فرسه : ركبه عريانا أي ليس عليه سرج . (٣) نسبة الى « جذيمة » . وفي الأصول : « الجذيميين » . (٤) « ما » زائدة . وهو يضرب لمن طلب حاجة وجعل يدنو من قضائها والفراغ منها . (٥) تمردت هنا : طغت وجاوزت الحد في عدوها . (٦) التمعط هنا : ضرب من العدو . وفي لسان العرب : « التمعط في حضر الفرس أن يمد ضبعيه حتى لا يجد مزيدا ويحبس رجليه حتى لا يجد مزيدا للحاق ، ويكون ذلك منه في غير الاختلاط (الغضب) يلمخ بيديه ويضرح برجليه في اجتماعهما كالسابح » . (٧) في الأصول : « حصان عوج » . والأعوج من الخيل : ما اعوجت قوائمه ، ويستحب ذلك فيها . (٨) يوطشان : يدفعان .

فى نَسَاها ، فطعَن فى إحدى رِجْلَيها فآنخذلت القعساءُ بعضَ الآنخذال وهى فى ذلك تَمَعَّطُ . فقال زُهَير : اطْعُنِ الأُخرى ، يَكِيده بذلك لكى تستوى رجلاها فتَحَامَلَ[1] . فناداه خالد : يا مُعاوية أفذُّ طَعْنَتك (أى اطْعُنْ مكاناً واحداً) ، فشَعْشَع الرُّمْح فى رجلها فآنخذلتْ . قال : ولَحِقه خالدٌ على حَذْفَة فجعل يدَه وراءَ عُنق زُهَير ، فاستخفّ به عن الفرس حتى قلَبه ، وخرّ خالدٌ فوقع فوقه ، ورفع المِغْفَرَ عن رأس زهير وقال : يا لَعَامرٍ اقتلونا معا ! فعرَفوا أنّهم بنو عامر . فقال ورقاء : وَا آنقطاعَ ظَهْراهْ ! إنها لبنو عامر ! سائرَ اليوم . وقال غيره : فقال بعضُ بنى جَذِيمة : وَا آنقطاع ظَهْرِى ! . قال : ولحِق حُنْدُج بن البَكّاء وقد حسَر خالدٌ المِغْفَرَ عن رأس زُهَير فقال : نَحِّ رأسَك يا أبا جَزْءٍ ، لم يَحِنْ[2] يومُك . قال : فنحّى خالدٌ رأسَه وضرب حُنْدُجٌ رأسَ زهير ، وضربَ ورقاءُ بنُ زهير رأسَ خالدٍ بالسيف وعليه دِرْعَانِ ، وكان أشْجَرَ[3] العينين ، أزَبَّ أقمرَ ، مثلَ الفالج ، فلم يُغْنِ شيئا . قال : وأجْهَضَ[4] ابنا زُهَيرٍ القومَ عن زُهير فآنتزعاه مُرْتَثًّا . فقال خالدٌ حين استنقذ زهيرًا ابناه : وَالهفتاهْ ! قد كنتُ أظنّ أن هذا المَخْرَجَ سَيَسْعُكُمْ[5] ! ولام حُنْدُجا . فقال حُندج وكان بلجلاَلته[6] غصة إذا تكلم : السيفُ حديدٌ ، والساعدُ شديدٌ ، وقد ضربتُه ورجلاى متمكّنتان فى الركابين وسمعتُ السيفَ قال قَبْ حين وقع برأسه ، ورأيتُ على ظُبَته مثلَ تَمْرِ المُرَارِ ، وذقتُه فكان حُلْوًا .

(١) أى فتتحامل ، فحذفت التاء . (٢) وردت هذه الكلمة محرفة فى الأصول بين لم « يجز » و « لم يحز » . (٣) شجرة العين أن يخالط بياضها حمرة . وأزب : كثير الشعر . والقمرة : لون الى الخضرة ، أو هى بياض فيه كدرة . والفالج هنا : الجمل الضخم ذو السنامين . (٤) أى نحياهم عنه وغلباهم عليه . والمرتث : الذى يحمل من المعركة وبه رمق . (٥) كذا فى ب ، وفى سائر الأصول : « سينفعكم » . (٦) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب : « بلجلاجلابه غصة ... » . ولعل صوابه : « وكان بلجلاجا به غصة اذا تكلم » . والبلجلاج : الذى يجول لسانه فى شدقه فلا يبين كلامه .

فقال خالد : قتلته بأبى أنت ! . ونظر بنو زهير فإذا الضربةُ قد بلغتْ الدِّماغ . ونُهِى بنو زهير أن يسقوا أباهم الماءَ، فآستسقاهم فمنعوه حتى نُهِكَ عَطَشًا . قال : وذلك أنّ المأموم[1] يُخافُ عليه الماءُ، حتى بلغ منه العطشُ،[2] فجعل يَهْتِف : أَمِيتٌ أنا عطشًا،[3] وينادى : يا ورقاء — قال أبو حيّة : فجعل ينادى يا شأس — فلمّا رأوا ذلك سقوه فمات لثالثة . فقال ورقاء بن زُهَير :

شعر ورقاء بن زهير حين قتل والده

رأيتُ زُهَيرًا تحت كَلْكَلِ خالدٍ * فأقبلتُ أسعى كالعَجُولِ[4] أُبادِرُ

إلى بَطَلَيْنِ يَنْهَضانِ كلاهما * يُرِيغانِ نَصْلَ السَّيفِ والسيفُ نادِرُ[5]

فشَلَّتْ يمينى إذ ضربتُ ابنَ جعفرٍ * وأجزره منِّى الحديدُ المُظاهَرُ

قال أبو عبيدة : وسمعتُ أبا عمرو بن العلاء يُنشد هذا البيت فيها :

وشَلَّتْ يمينى يوم أضربُ خالدًا * وشَلَّ بَنَاناها وشَلَّ الخَناصِرُ

قال أبو عبيدة : وأنشدنى أبو سرّار أيضا فيها :

فياليتنى من قبلِ أيّامِ خالدٍ * ويومِ زُهَيرٍ لم تَلِدْنى تُماضِرُ

تماضر بنت عمرو بن الشَّريد بن رِيَاح بن يَقَظَة بن عُصَيّة بن خُفَاف السُّلَمىّ امرأة زُهير بن جَذِيمة . قال أبو عُبيدة : أنشدنى أبو سرّار[6] فيها :

لَعَمْرِى لقد بُشِّرتُ بى إذ وَلَدْتِنى * فماذا الذى رَدَّتْ عليكِ البشائرُ

شعر خالد بن يمن على هوازن بقتله زهير

وقال خالد بن جعفر يَمُنّ على هوازن بقتله زهيرًا ويصدّق الحديث — قال أبو عبيدة أنشدنيه مالك بن عامر بن عبد الله بن بِشْر بن عامر مُلاعِب الأسنّة — :

(١) المأموم : الذى أصيب فى أم رأسه . وأم الرأس : الدماغ . (٢) فى الأصول : « حتى بلغه العطش » . (٣) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « أمية أنا عطش » وهو تحريف . (٤) العجول من النساء والإبل : الواله التى فقدت ولدها الثكلى لعجلتها فى جيئتها وذهابها جزعا . (٥) أراغ الشىء : طلبه وأراده . ونادر : ساقط . (٦) فى جميع الأصول هنا : « أبو يسار » . وقد ورد هذا الاسم فى هذه القصة أكثر من مرة كما وضعناه .

بل كيف تكفُرنى هوازنُ بعدما * أعتقتُهـم فتوالَدُوا أحـرارا

وقتلتُ ربَّهُـمُ زهيرًا بعـد ما * جدع الأنوف وأكثر الأوتارا (١)

وجعلتُ حَزْنَ بِلَادِهم وجبالِهم * أرضًا فضـاءً سهلةً وعشـارا

وجعلتُ مَهْرَ بناتهـم ودمائهم * عَقْـلَ الملوكِ هجائنًـا أبكارا (٢)

قال أبو عبيدة: ألَا ترى أنه ذكر فى شعره أنّ زهيرا كان ربَّهم وقد كان جدّعهم، وأنه قتله من أجلهم لا من أجل غَنِيٍّ، وأن غَنِيًّا (٣) ليسوا من ذلك فى ذكرٍ ولا لهم فيه معنًى.

شعر لورقاء بن زهير

قال: وقال وَرْقاء بن زُهَيْر:

أمّا كِلَابٌ فإنّا لا نُسـالِمُها * حتى يُسالمَ ذِئبَ الثَّـلَّةِ (٤) الرَّاعِى

بنو جَذِيمةَ حاموا حول سَيِّدهم * إلّا أُسيِّدًا نجا إذ ثوَّب الداعى

شعر للفرزدق ينعى فيه على بنى عبس ضربة ورقاء خالدا

قال: ثم نعَى الفَرَزْدَقُ على بنى عَبْس ضربةَ ورقاء خالدًا، واعتذر بها الى سليمان بن عبد الملك فقال:

إنْ يَكُ سيفٌ خانَ أو قَدَرٌ أبَى (٥) * لتأخير نَفْسٍ حَتْفُها غيرُ شاهدِ

فسيفُ بنى عَبْسٍ وقد ضربوا به * نَبَا بيَدَىْ وَرْقاءَ عن رأس خالد

كذاك سيوفُ الهندِ تنبو ظُبَاتُها * وتقطَع أحيانًا مناطَ القلائدِ

ولو شِئتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنْقِه * الى عَلَقٍ (٦) تحت الشَّراسيف جامدِ

(١) كذا فى حـ وكتاب الكامل لابن الأثير. وفى أكثر الاصول: «وأكثر الأوزارا».
(٢) فى كتاب الكامل لابن الأثير: «وبكارا». (٣) فى الأصول: «وأن غنيا ليس...».
(٤) الثلة (بالفتح): الجماعة من الغنم، أما الثلة (بالضم) فالجماعة من الناس. (٥) كذا فى حـ والنقائض (ص ٣٨٤) وفيه الخرم، وهو حذف الحرف المتحرك من أول البيت، ويقع فى أوّل القصيدة. وفى سائر الأصول:

* فان يك سيف خان أو قدر أتى *

(٦) العلق: الدم ما كان، وقيل هو الدم الجامد الغليظ. والشراسيف: أطراف الأضلاع، واحدها شرسوف.

قال : وكان ضَلَعُ بنى عَبْس مع جرير، فقال الفرزدق فيهم هذه الأبيات . هذه رواية أبى عُبَيدة .

رواية الأصمعى لمقتل زهير وابنه شاس

١٦/١٠

وأمّا الأصمعىّ فإنه ذكر، فيما رواه الأثرمُ عنه ، قال حدّثنى غيرُ واحد من الأعراب أنّ سبب مقتل زُهَيْرٍ العبسىّ أنّ ابنه شأس بن زهير وفَد إلى بعض الملوك فرجع ومعه حِباءٌ[1] قد حُبِى به ، فمرّ بأبياتٍ من بنى عامر بن صَعْصَعة وأبياتٍ من بنى غَنِيٍّ على ماء لبنى عامرٍ أو غيرهم — الشكّ من الأصمعىّ — . قال : فاغتسل ، فناداه الغَنَوِىّ : اسْتَتِرْ، فلم يَحْفِلْ بما قال . فقال : استترْ ويحك ! البيوت بين يديك ؛ فلم يحفِل . فرماه الغنوىّ رِياحُ بن الأسَكّ بسهمٍ أو ضربه فقتله والحىُّ خُلُوفٌ[2]، فأتبعه أصحاب شأس وهم فى عِدّة ، فركب الفلاةَ واتّبعوه فرهقوه[3] ، فقتل حُصَيْنًا[4] وأخاه حُصَيْنًا ، ثم نجا على وجهه حتى أدركه العطشُ، فلجأ إلى منزل عجوزٍ من بنى إنسانٍ (وبنو إنسان حىٌّ من بنى جُشَم) . فقالت له العجوز : لا تَبْرَحْ حتى يأتى بَنِيَّ فيأسِروك . قال الأصمعىّ : فأخبرنى مُخْبِرانِ اختلفا ، فقال أحدهما : إنه أخذ سِكِّينًا فقطع عَصَبَتَىْ يديها ، وقال الآخر : أخذ حجرًا فشدَخ به رأسها ، ثم أنشأ يقول :

ولأنتَ أشْجَعُ من أسامةَ أو * مِنِّى غداةَ وقفتُ للخَيْلِ

إذِ الحُصَيْنُ لدى الحُصَيْنِ كما[5] * عَدَلَ الرِّجازةُ جانبَ المَيْلِ

وإذا أُنَهْنِهُها[6] لأَقتلَها * جاشتْ لِيَغْلِبَ قولُها قولى

(١) الحباء : العطاء . (٢) خلوف : غيب . (٣) رهقوه : غشوه ولحقوه .
(٤) هو ابن عمه، كما تقدّم . (٥) فى الأصول هنا : «عدل الحصين لدى الحصين ... » . وقد تقدّمت هذه الأبيات فى ص ٨٠ من هذا الجزء مع اختلاف فى الرواية . (٦) نهنهه : زجره وكفه . ولفته عن كذا : صرفه ولواه، مثل لفته عنه . وجاشت : هاجت وغلت كما تجيش القدر .

قال : فضرب الزمانُ ضَرَبانَه[1] ، فالتقى خالد بن جعفر بن كِلاب و زُهَير بن جَذِيمة العَبْسى . فقال خالد لزهير : أمَا آن لك أن تشتفى وتَكُفّ ؟ — قال الأصمعىّ : يعنى مما قتل بشأس — قال : فأغلظ له زُهَيرٌ وحقره . قال الأصمعىّ : وأخبرنى طَلْحةُ ابن محمد بن سَعيد بن المُسَيِّب أنّ ذلك الكلام بينهما كان بعُكَاظ عند قريش . فلما حقره زهير وسبّه قال خالد : عسى إن كان ! يتهدّده . ثم قال : اللّهمّ أَمْكِنْ يدى هذه الشقراءَ القصيرةَ من عُنق زهير بن جَذِيمة ثم أعِنّى عليه . فقال زهير : اللهم أَمْكِنْ يدى هذه البيضاءَ الطويلةَ من عُنق خالد ثم خلِّ بيننا . فقالت قريش : هلكتَ والله يا زُهير ! . فقال : انكم والله الذين لا علمَ لكم .

قال الأصمعىّ : ثم نرجع إلى حديث العَبْسيِّين والعامريِّين ، و بعضه من حديث أبى عمرو بن العَلاء . قال : فجاء[2] أخو امرأة زُهَير — وكانت امرأته فاطمةَ بنتَ الشَّرِيد السُّلَميّة ، وهى أُمّ قَيْس بن زُهَير ، وكان زهيرٌ قد أساء إليهم فى شىء — فجاء أخواها إلى بنى عامر فقال : هل لكم فى زُهير بن جَذِيمة يَنْتَجِع إبلَه ليس معه إلا أخوه أُسَيد بن جَذِيمة وعبدٌ راعٍ لإبله ! وجئتكم من عنده ، وهذا لبنٌ حلبوه لى . فذاقوه فإذا هو ليس بحازر[3] ، فعلموا أنه قريبٌ . فخرج حُنْدُج بن البَكّاء وخالدُ بن جعفر ومعاوية بن عُبادة بن عُقَيل[4] ، ليس على أحدهم درعٌ غيرَ خالد كانت عليه درعٌ أعاره إيّاها عمرو بن يَرْبوع الغَنَوىّ ، وكانت درعَ ابن الأجْلَح المُرادىّ[5] كان قتله فأخذها منه ، وكان يقال لها ذاتُ الأزِمّة ، وإنما سميت بذلك لأنها كانت لها عُرًى تُعلَّق فضولُها

(١) يقولون : ضرب الدهر ضربانه ، ومن ضرباته ، ومن ضَرْبه اذا ذهب بعضه .

(٢) فى الأصول : « لجاءه » ولا يستقيم بها الكلام . (٣) فى ب ، س : « بحائر » .

(٤) فى الأصول هنا : « وعمرو بن عُبادة بن عقيل » . والتصويب مما تقدّم فى ص ٨٥ و ٨٧ .

(٥) فى ب ، س : « المرارى » .

بها إذا أراد أن يشتّرها . قال : فطلعوا . فقال أُسيد بن جذيمة — قال الأصمعىّ :
وكان أُسيدُ شيخًا كبيرا، وكان كثير شعر الوجه والجسد — : أُتيتَ وربِّ الكعبة .
فقال زهير : « كُلُّ أَزَبَّ نَفُورٌ » فذهبتْ مثلًا . فلم يشعُر بهم زهيرٌ إلّا فى سَوادِ
الليل، فركب فرسَه ثم وجّهها ، فلحقه قوم أحدُهم حندج أو العقيلى — واختلفوا
فيهما — فطعن فَخِذَ الفرس طعنةً خفيفةً ، ثم أراد أن يطعن الرِّجلَ الصحيحةَ ،
فناداه خالدٌ : يا فلان لا تفعل فيستويا ؛ أَقْبِلْ على السقيمة . قال : فطعنها فانخذلت
الفرس فأدركوه . فلما أدركوه رمى بنفسه ، وعانقه خالدٌ فقال : اقتلونى ومُجدعا! .
فجاء حندج — وكان أعجمَ اللسان — فقال لخالد وهو فوق زهير : نَحِّ رأسَك
يا أبا جَزْء ، فنحّى رأسه ، فضرب حندج زهيرا ضربةً على دَهَش ، ثم ركبوا وتركوه .
قال فقال خالد : ويحك يا حنـدج ما صنعت ؟ فقال : ساعدى شديد، وسيفى
حديد، وضربته ضربةً فقال السيف قَبْ ، وخرج عليه مثل تمرة المرار، فطعمته
فوجدته حلوًا (يعنى دماغه) . قال : إن كنتَ صدقتَ فقد قتلته . قال : فجاء
قومُ زُهَيْرٍ فاحتملوه ومنعوه الماءَ كراهةَ أن يبتلّ دماغُه فيموت . فقال : يا آل غطفان
أأموت عطَشًا ! فسُقِىَ فمات ، وذلك بعد أيّام . ففى ذلك يقول وَرْقاء بن زُهَيْر
وكان قد ضَرَبَ خالدًا ضربةً فلم يصنع شيئا ، فقال :

رأيتُ زهــيرًا تحت كَلْكَلِ خالدٍ * فأقبلتُ أسعى كالعَجول أُبادِرُ
إلى بطلَيْنِ ينهضانِ كلاهمـا * يُريدان نَصْلَ السيفِ والسيفُ نادِرُ

قال الأصمعىّ : فضرب الدهرُ من ضرْبانه إلى أن التقى خالدُ بن جعفر والحارث
ابن ظالم .

ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كلاب

مقتل خالد بن جعفر وسببه

قتله الحارث بن ظالم المُرّىّ . قال أبو عُبيدة : كان الذى هاج من الأمر بين الحارث بن ظالم وخالد بن جعفر أنّ خالد بن جعفر أغار على رَهْط الحارث بن ظالم من بنى يَرْبُوع بن غَيْظ بن مُرّة وهم فى وادٍ يقال له حُرَاضٌ، فقتل الرجالَ حتى أسرع (١) ، والحارثُ يومئذ غلام، وبَقِيت النساء . وزعموا أنّ ظالمًا هلك فى تلك الوقعة من جِرَاحةٍ أصابته يومئذ . وكانت نساء بنى ذُبْيان لا يحلُبن النَّعَم، فلمّا بَقِين بغير رجال طَفِقن يدعون الحارثَ ، فيشُدّ عِصَابَ (٢) الناقة ثم يحلُبنها ، ويبكين رجالَهن ويبكى الحارثُ معهن ، فنشأ على بُغْض خالد . وأردف ذلك قتلُ خالدٍ زُهَيرَ ابنَ جَذِيمة؛ فآستحقّ العداوةَ فى غَطَفانَ . فقال خالد بن جعفر فى تلك الوَقْعة :

تركتُ نساءَ يَرْبُوعِ بنِ غَيْظ (٣) * أراملَ يشتكين إلى وَلِيدِ
يَقُلْنَ لحارثٍ جَزَعًا عليه * لك الخيراتُ مالك لا تسودُ
تركتُ بَنِى جَذِيمةَ فى مَكَرٍّ * ونصرًا قد تركتُ لدى الشهودِ
ومنّى سوف تأتى قارعاتٌ * تَبِيدُ المخزياتُ ولا تَبِيدُ
وقيس ابن المعارِك غادرتْه * قَنَاتِى فى فوارسَ كالأسودِ
وحلّتْ بِرَكْهَا ببنى بِجَاشٍ * وقد مَدُّوا إليها من بَعِيدِ
وحىّ بنى سبيعٍ يومَ ساقٍ (٤) * تركناهم بكارِيةٍ وبِيدِ

(١) كذا فى الأصول ، ولعل صوابها ، «حتى أسرف» . (٢) عصاب الناقة : ما تشدّ به لتدر؛ يقال : عصب الناقة يعصبها عصبا وعصابا اذا شد فخذيها أو أدنى منخريها بحبل لتدر . و يقال للحبل الذى تشد به عصاب . (٣) تقدّمت هذه الأبيات ضمن أبيات من هذه القصيدة فى صفحة ٨٣ مع اختلاف فى بعض الكلمات . (٤) راجع الحاشية رقم ١ من صفحة ٨٤ من هذا الجزء .

قال أبو عُبَيدة . فمكث خالدُ بن جعفر بُرْهةً (١) من دهره، حتى كان (٢) من أمره وأمر زُهير بن جَذِيمة ما كان، وخالدٌ يومئذ رأسُ هَوَازِنَ . فلمّا آستحقّ عداوةَ عَبْس وذُبْيان أتى النُّعمان بن المُنْذِر (٣) مَلِكَ الحِيرة لينظر ما قَدْرُه عنده، وأتاه بفرس؛ فألفى عنده الحارثَ بن ظالم قد أهدى له فرسًا فقال: أبَيْتَ اللَّعْنَ، نَعِمَ صباحُك، وأهلي فداؤك! هذا فرسٌ من خيل بني مُرّةَ (٤)، فلن تُؤْتَى (٥) بفرسٍ يَشُقّ غُبارَه، إن لم تَنْسُبْه (٦) ٥ آنْتَسب، كنتُ آرتبطته لغزو بني عامر بن صَعْصَعةَ، فلمّا أكرمتَ خالدًا أهديتُه إليك . وقام الربيع بن زِيَاد العبسيّ فقال : أبَيْتَ اللَّعْنَ ! نَعِمَ صباحُك ، وأهلي فداؤك ! هذا فرسٌ من خيلِ بني عامر آرتبطتُ أباه عشرين سنةً لم يُخْفِق في غَزْوةٍ ولم يعتلِك في سَفَرٍ (٧)، وفضلُه على هذين الفرسين كفضل بني عامرٍ على غيرهم . قال: فغضِب النُّعمان عند ذلك وقال : يا مَعْشَرَ قَيْسٍ، أرى خيلَكم أشباهًا (٨) ! أين اللواتي ١٠ كأنّ أذنابَها شِقَاقُ أعْلامٍ (٩)، وكأنّ مَنَاخِرَها وِجارُ (١٠) الضِّبَاع، وكأنّ عيونَها بَغَايَا النساء،

١٨/١٠

(١) البرهة (بالضم وبالفتح) : المدّة الطويلة . (٢) في الأصول : «حتى اذا كان» بزيادة «إذا» . وظاهر أن الكلام لا يستقيم بها . (٣) الذي في الكامل لابن الأثير أن الملك الذي اجتمع عنده خالد بن جعفر والحارث بن ظالم ثم قتل الحارث خالدا في جواره ثم قتل ابنه بعد ذلك فأخذ يطارد الحارث لقتله ابنه ومن استجار به ، هو النعمان بن امرئ القيس ملك الحيرة . ١٥ ثم قال ابن الأثير بعد كلام كثير : وقيل إن الملك الذي قتل ابنه كان الأسود بن المنذر . ومن هذا نفهم معنى إلحاح الأسود في مطاردة الحارث في صفحة ١٠٦ وما بعدها ؛ فان ذلك بناء على هذا القول الآخر .
(٤) في الأصول : «من خيل بني قرة» وهو تحريف ؛ إذ هو يفتخر بخيله وخيل آبائه من بني مرة .
(٥) في الأصول : «نؤتى» بالنون . (٦) كذا في جـ . وفي سائر الأصول : «إن لم ننسبه» بالنون . (٧) لعل صوابه : «... ولم يعتلل» . (٨) في أكثر الأصول : «أي خيلكم أشباهنا» . والتصويب من جـ . (٩) في الأصول الخطية جميعا : «شقاق الحلام» . والشقاق : جمع شقة وهي نصف الشيء أو القطعة منه اذا شق . والشقاق أيضا : جمع الشقة (بالضم) ضرب من الثياب معروف ، وهي السبيبة المستطيلة . (١٠) الوجار (بالفتح وبالكسر) : ٢٠ جحر الضبع وغيرها . وكان ينبغي أن يكون «وجر الضباع» أو «أوجرة الضباع» ليكون تشبيه جمع بجمع .

رِقاقُ المُسْتَطْعَمِ[1]، تُعَالِكُ[2] اللُّجُمَ في أشداقها، تدورُ على مَذَاوِدِها[3] كأنما يَقْضَمْنَ[4] حَصًى.
قال خالد : زعم الحارث — أبيتَ اللعنَ — أن تلك الخيلَ خيلُه وخيلُ آبائه .
فغضب النعمان عند ذلك على الحارث بن ظالم . فلمّا أمسَوا اجتمعوا عند قينة من أهل الحيرة يقال لها بنت عفزر يشربون . فقال خالد : تغنّي :

دارٌ لهندٍ والرَّبابِ وفَرْتَنَى * ولَمِيسَ قَبْلَ[5] حوادثِ الأيّامِ

وهنّ خالات الحارث بن ظالم، فغضب الحارث بن ظالم حتى امتلأ غيظًا وغضبًا، وقال : ما تزال تُتْبِعُ أُولَى بأخرة! . قال أبو عبيدة : ثم إنّ النعمان بن المنذر دعاهم بعد ذلك وقدّم لهم تمرًا، فطفِق خالدُ بن جعفر يأكل ويُلقِي نوى ما يأكل من التمر بين يَدَيِ الحارث، فلمّا فرغ القوم قال خالد بن جعفر : أبيتَ اللعن! أنظر إلى ما بين يدي الحارث بن ظالم من النَّوَى! ما ترك لنا تمرًا إلّا أكله . فقال الحارث : أمّا أنا فأكلتُ التمرَ وألقيتُ النَّوَى، وأمّا أنت فأكلتَه بنواه . فغضب خالد وكان لا يُنَازَع، فقال : أتُنازِعني يا حارثُ وقد قتلتُ حاضرتَك وتركتك يتيمًا في حُجُور النساء! . فقال الحارث : ذلك يومٌ لم أشهَدْه، وأنا مُغْنٍ اليومَ بمكاني . قال خالد : فهلّا تشكُرُ لي إذ قتلتُ زهيرَ بنَ جَذِيمةَ وجعلتُك سيّدَ غَطَفانَ! . قال : بلى أشكُرك على ذلك . فخرج الحارث بن ظالم إلى بنت عفزر، فشرب عندها وقال لها تغنّي[6] :

تعلَّمْ أبيتَ اللعنَ أنّي فاتكٌ * من اليومِ أو مِنْ بعدِه بآبنِ جعفرِ

(1) مستطعم الفرس : جحفلته وما حولها . (2) كذا في ب، س . ولم نجد في معجمات اللغة التي بين أيدينا هذا الفعل من علك . وفي الأصول الخطية : «تهالك اللجم ...» . (3) المذاود : جمع مذود (بوزان منبر) وهو معتلف الدابة . وفي الأصول : «على مداودها» بالدال المهملة وهو تصحيف . (4) القضم : الأكل بأطراف الأسنان أو هو أكل الشيء اليابس .
(5) في الأصول : «قول حوادث الأيام» . والتصويب للأستاذ المرحوم الشنقيطي في نسخته الخاصة من طبع بلاق . (6) الذي في ج : «فشرب عندها ثم تغنى وقال» .

أخالدُ قد نَبَّهْتَنى غيرَ نائمٍ * فلا تأمَنَنْ فتكى يدَ الدهرِ واحْذَرِ
أعيَّرْتنى أنْ نِلْتَ منّا فوارسًا * غداةَ حُرَاضٍ مثلَ جِنّانِ عَبْقَرِ (١)
أصابهمُ الدهرُ الخَتُورُ بخَتْرِه (٢) * ومَنْ لا يَقِ اللهُ الحوادثَ يَعْثُرِ
فعلّك يومًا أن تنوء بضربةٍ * بكفّ فتًى من قومه غيرِ جيدرِ (٣)
يُغِصّ بها عُلْيا هَوازنَ. والمُنَى * لقاءُ أبى جَزْءٍ (٤) بأبيضَ مِبْتَرِ

قال : فبلغ خالدَ بنَ جعفرٍ قولُه فلم يَحْفِلْ به . فقال عبد الله بن جَعْدَةَ — وهو ابن أُخت خالد، وكان رجلَ قَيْسٍ رأيًا — لابنه : يا بُنَىّ ائتِ أبا جَزْءٍ فأَخبِرْه أنّ الحارث بن ظالم سفيهٌ موتور، فأَخْفِ مَبِيتَك الليلةَ؛ فإنه قد غلبه الشرابُ . فإنْ أبيتَ فاْجعل بينك و بينه رجلًا لِيَحْرُسَك . فوضعوا رجلًا بإزائه، ونام ابن جَعْدَةَ دون الرجل، وخالدٌ من خَلْفِ الرجل . وعرف أنّ ابن عُتْبَةَ وابنَ جعدةَ يحرُسان خالدا . فأقبل الحارثُ فانتهى إلى ابن جَعْدَة فتعدّاه، ومضى إلى الرجل وهو يحسبه خالدًا فعجَنه بكَلْكَلِه حتى كسَره وجعل يَكْدِمُه (٥) لا يعقل ، فخلّى عنه والرجل تحته، ومضى إلى خالد وهو نائم، فضربه بالسَّيف حتى قتله . فقال لعُروة (٦) : أَخْبِرِ الناسَ أنّى قتلتُ خالدًا . وقال فى ذلك :

أَلَا سائلِ النُّعمانَ إن كنتَ سائلًا * وَحىَّ كِلَابٍ هل فتكتُ بخالدِ
عَشَوْتُ عليه (٧) وابنُ جَعْدَةَ دونه * وعُرْوةُ يَكْلَا (٨) عمَّه غيرَ راقدِ

(١) عبقر : موضع بالبادية كانت العرب تزعم أنه كثير الجن . (٢) الختر : الخديعة أو هو أسوأ الغدر وأقبحه . (٣) غير جيدر : غير قصير . (٤) أبو جزء : كنية خالد بن جعفر . وأبيض مبتر أى سيف قاطع . (٥) الكدم : العض والتأثير بحديدة ونحوها . وفى الأصول الخطية : «يكرمه» . وفى ب، س : «وجعل يكلمه» . (٦) هو عروة بن عتبة وهو ابن أخى خالد بن جعفر، كما يفهم من الشعر الذى بعده . (٧) فى أ ، م : «عشوت اليه» . (٨) يكلا : يحفظ و يحرس . وهو مهموز . ولو ترك همزه جاز أن يقال فيه يكلا مثل يخشى (كما ورد هنا) و يكلو مثل يدعو . كذلك قال الفراء . (لسان العرب فى مادة كلأ) .

وقد نَصَبا رَجْلًا (١) فباشرتُ جَوْزَه * بكَلْكَلِ مَخْشِىٍّ العــداوةِ حاردِ
فأضربُه بالسَّيف يأفوخَ (٢) رأسِه * فصمَّم حتى نال نُوطَ القــلائدِ
وأفلتَ عبــدُ الله منِّى بذُعْرِه * وعُرْوةُ من بعد ابنِ جَعْدةَ شاهدى

فلمّا أبتْ غَطَفانُ أن تُجيره غَضِبتْ لذلك بنو عَبْس . و بعث اليه قيس بن زُهَير بن جَذِيمةَ بهذه الأبيات :

شعر قيس بن زهير للحارث حين قتل خالدا وإجابته له

جزاك الله خيرًا مِنْ خَليــلٍ * شفَى من ذى تُبولتِه (٣) الخليــلا
أزحتَ بها جوًى ودَخِيلَ حُزْنٍ * تَمَخَّخَ (٤) أعظُمِى زمنًــا طــويلا
كســوتَ الجعفرىَّ أبا جُزَىْءٍ * ولم تَحْفِــلْ به سـيفًا صَـقِيلا
أبأتَ (٥) به زُهَــيْرَ بَنِى بَغِيــصٍ * وكــنتَ لِمثلِها ولهــا حَمُولا
كشفتَ له القِناعَ وكنتَ ممن * يُجَــلِّى العــارَ والأمرَ الجليــلا

فأجابه الحارث بن ظالم :

أتانى عن قُيَيس بنى زُهَــيْرٍ * مقالةُ كاذبٍ ذكــر التُّبُــولَا
فــلو كــنتم كما قلــتم لكنتم * لقــاتلِ ثارِكم حِرْزًا أصــيلا
ولكن قلــتمُ جَاوِزْ سِـــوَانَا * فقــد جَلَّلْتَنا حَــدَثًا جليـــلا
ولــو كانوا همُ قتــلوا أخاكم * لَمَــا طردوا الذى قتَــل القَتِيلا

إباء غطفان جوار الحارث ولحوقه ببنى تميم وطلب بنى عامر له

قال أبو عُبَيدةَ : فلمّــا منعته غَطَفانُ لَحِق بحاجب بن زُرَارةَ ، فأجاره ووعده أن يمنعــه من بنى عامر . وبلَغ بنى عامر مكانُه فى بنى تميم ، فساروا فى عُلْيَــا هوازنَ .

(١) الرجل (بسكون الجيم) : لغة فى الرجل (بضمها) . وجوز كل شىء : وسطه . وحارد : غاضب .
(٢) اليأفوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره ، وهو الموضع الذى يتحرك من رأس الطفل . وصمم : مضى . ونوط : جمع نياط . ونياط كل شى معلقه . وفى الأصول : «نيط القلائد» وهو تحريف .
(٣) التبولة : جمع تَبل (بالفتح) وهو هنا الثأر . (٤) تمخخ العظم : أخرج مخه .
(٥) أبأت القاتل بالقتيل . قتلته به . والظاهر أن فى الكلام قلبا ، أى أبأته بزهير بنى بغيض .

فلمّا كانوا قريباً من القوم فى أوّل وادٍ من أوديتهم، خرج رجلٌ من بنى غَنِىّ ببعض البَوادِى، فإذا هو بآمرأةٍ من بنى تميم ثم من بنى حَنْظلةَ تجتنى الكَمْأةَ، فأخذها فسألها عن الخبر، فأخبرتْه بمكان الحارثِ بن ظالم عنـد حاجب بن زُرارةَ وما وعده من نُصْرته ومَنْعه. فآنطلق بها الغَنَوِىّ الى رَحْلِه، فآنسلّت فى وسطِ من الليل، فأتى الغنوىُّ

٥ الأَحْوَصَ بن جعفر، فأخبره أنّ المرأة قد ذهبتْ وقال: هى مُنْذِرةٌ عليك. فقال له الأحوصُ: ومتى عَهْدُك بها؟ قال: عَهْدِى بها والمَنِىّ يقطُر من فَرْجها. قال: وأبيك إنّ عهدَك بها لقريبٌ. وتبِع المرأةَ عامرُ بن مالك يَقُصّ أثرها حتى آنتهى إلى بنى زُرارةَ والمرأةُ عند حاجب وهو يقول لهـا: أَخْبِرِينى أىُّ قومٍ أخذوك؟ قالت: أخذنى قومٌ يُقْبِلون بوجوه الظِّباء، ويُدْبِرون بأعجاز النِّساء. قال: أولئك بنو عامر. قال:

١٠ فحدّثينى مَنْ فى القوم؟ قالت: رأيتُهم يَغْدُون على شـيخ كبير لا ينظر بمأْقَيْه[(1)] حتى يرفعوا له من حاجبَيْه. قال: ذلك الأَحْوَصُ بن جعفر. قالت: ورأيت شاباً شديد الخَلْق، كأنّ شعر ساعديه حَلَقُ الدِّرْع يَعْذِم[(2)] القَوْمَ بلسانه عَذْمَ الفرس العَضُوض. قال: ذلك عُتْبةُ بن بَشِـير بن خالد. قالت: ورأيت كهلًا إذا أقبل معه فتيانٌ[(3)]، يُشْرِف القومُ إليه، فإذا نطَق أَنصتوا. قال: ذلك عَمْرو بن خُوَيْلِد، والفَتَيانِ آبناه

١٥ زُرْعةُ ويَزِيدُ. قالت: ورأيتُ شاباً طويلًا حسنًا، إذا تكلّم بكلمةٍ أنصتوا لهـا ثم يَؤُلُّون[(4)] إليه كما تؤُلُّ الشَّوْلُ[(5)] إلى فَحْلها. قال: ذلك عامر بن مالك. قال أبو عبيدة: فدعا حاجبٌ الحارثَ بنَ ظالم فأخبره برأيه وخَبَرِ القوم وقال: يا بن ظالم، هؤلاء بنو عامر قد أتَوْك، فما أنتَ صانع؟ قال الحارث: ذلك إليك، إن شئتَ أقمتُ

(١) المأق: لغة فى موق العين وهو مؤخرها أو مقدّمها. (٢) العذم: العض. والمراد

٢٠ بـه ذم اللسان اللوم والتعنيف. (٣) ظاهر أن فى الكلام نقصا، وتقدير الكلام: «... اذا أقبل أقبل معه فتيان» أو «... كان معه فتيان». (٤) الأل: السرعة. (٥) الشول: جمع شائلة وهى الناقة التى خف لبنها وارتفع ضرعها.

فقاتلتُ القومَ[(١)]، وإن شئتَ تنحّيتُ . قال حاجب : تَنَحَّ عنّى غيرَ ملوم . فغضب الحارث من ذلك وقال :

شعر الحارث حين أمره حاجب بالتنحى ورد حاجب عليه

لَعَمْرِى لقد جاورتُ فى حَىّ وائلٍ * ومِنْ وائلٍ جاورتُ فى حَىّ تَغْلِبِ

فأصبحتُ فى حىّ الأراقم لم يَقُلْ * لِىَ القومُ يا حارِ بنَ ظالمٍ اَذْهَبِ

وقد كان ظَنّى إذ عقلتُ إليكُمُ * بنى عُدُسٍ ظَنّى بأصحاب يَثْرِبِ

غَداةَ أتاهم تُبَّــعٌ فى جُنــودِهِ * فلم يُسْلِمُوا المرين[(٢)] من حىّ يَحْصَبِ

فإنْ تَكُ فى عُلْيَــا هَوازِنَ شَوْكَةٌ * تُخَافُ ففيكم حَدُّ نابٍ ومِخْلَبِ

وإن يَمْنَعِ المَــرْءُ الزُّرارِىُّ جارَه * فأَعْجِبْ بها من حاجبٍ ثم أَعْجِبِ

فغضب حاجب فقال :

لَعَمْرُ أبيــك الخَيْرِ يا حارِ إننى * لَأَمْنَعُ جاراً من كُلَيْبِ بن وائلِ

وقد علِم الحىُّ المَعَــدّىُّ أنّنــا * على ذاك كُنّا فى الخُطوبِ الأوائلِ

وأنّا إذا ما خاف جارٌ[(٣)] ظُلَامةً * لبِســنا له ثَوْبَىْ وَفاءٍ ونائــلِ

وأنّ تميــماً لم تُحارِبْ قبــيلةً * من النّاس إلا أُولِعتْ بالكواهلِ

ولو حار بَتْنــا عامرٌ يا بنَ ظالمٍ * لعَضّتْ علينا عامرٌ بالأنامــلِ

ولَاسْتيقنتْ عُلْيَــا هَوازِنَ أنّنا * سنُوطِئها فى دارها بالقنــابِلِ[(٤)]

ولكنّنى لا أبعثُ الحربَ ظالمــاً * ولو هِجْتُهــا لم أُلْفَ شَحْمةَ آكلِ

---

(١) فى الأصول الخطية : «فقابلت» بالباء الموحدة . (٢) كذا فى الأصول . وإن صحت هــذه الحروف فلعل صوابه « المرأين » مثنى المرء، أو لعل « المرين » جمع مرى (نسبة الى مرة) بحذف ياء النسب، كما يقال أشعرون جمع أشعرى . ولم نهتد الى هذه الحادثة التى يشير اليها الحارث بن ظالم فيما رجعنا اليه من المظان . (٣) فى الأصول الخطيــة : «إذا ما خاف جاء ظلامة» . وفى س، ب : « إذا ما جاء جاء ... » . وقد أثبتناه كما ترى لاستقامة المعنى به مع مناسبته لسياق الكلام .

(٤) فى الأصول : « القبائل » . والتصويب للأستاذ المرحوم الشنقيطى فى نسخته . والقنابل : الجماعات من الخيل والناس، الواحدة قنبلة وقنبل (بالفتح فيهما) .

قال : فتنحّى الحارث بن ظالم عن بنى زُرارة فلحق بعَرُوض اليمامة . ودعا مَعْبَدًا ولَقيطًا ابنَىْ زُرارة فقال : سِيرَا فى الظُّعُن ، فموعدُكما رَحْرَحان ، فإنّا مقيمون فى حامية الخيل حتى تأتينا بنو عامر . وخرج عامر بن مالك الى قومه بالخبر . فقالوا : ما ترى؟ قال : أن تَدَعَهم بمكانهم ونَسْبِقَهم الى الظُّعُن . قال : فلقُوها برَحْرَحان ، فاقتتلوا قتالاً شديدًا فأصابوها ، وأُسِرَ معبدٌ وجُرِح لَقِيطٌ . فبعثوا بمَعْبَد الى رجلٍ بالطائف كان يعذِّب الأسرى ، فقطّعه إرْبًا إرْبًا حتى قتله . وقال عامر بن مالك (١) يَرُدّ على حاجب قوله :

شعر لعامر بن مالك يرد به على حاجب

أَلِكْني (٢) الى المرءِ الزُّرارىِّ حاجبٍ * رئيسِ تميمٍ فى الخطوب الأوائلِ

وفارسِها فى كلِّ يومِ كريهةٍ * وخيرِ تميمٍ بين حافٍ وناعلِ

لَعَمْرى لقد دافعتُ عن حىِّ مالكٍ * شآبيبَ (٣) من حَرْبٍ تَلَقَّحُ (٤) حائلِ

على كلِّ جَرْداءِ السَّرَاةِ طِمِرَّةٍ * وأَجْرَدَ (٥) خَوّارِ العِنانِ مُناقِلِ

نصحتُ له إذ قلتُ إنْ كنتَ لاحقًا * بقومٍ فلا تَعْدِلْ بأبناء وائلِ

٢١ / ١٠

(١) فى الأصول : « عمرو بن مالك » والتصويب للمرحوم الشنقيطى فى نسخته .

(٢) ألكنى الى فلان أى كن رسولى اليه . يقال : ألك بين القوم ألكا وألوكا إذا ترسل . والاسم منه الألوك والألوكة والمألكة والمألك (بضم اللام فيهما) بمعنى الرسالة . فاذا عدّيته بالهمزة قلت ألكته اليه برسالة . والأصل فيه «أألكته» بهمزتين ، فأخرت الهمزة بعد اللام وخففت بنقل حركتها الى ما قبلها وحذفت . فان أمرت من هذا الفعل المتعدى بالهمزة قلت ألكنى اليها برسالة . وكان مقتضى هذا اللفظ أن يكون معناه أرسلنى اليها برسالة ، إلا أنه جاء على القلب ؛ إذ المعنى : كن رسولى اليها بهذه الرسالة . (عن لسان العرب فى مادة ألك) . (٣) كذا فى حـ . وفى أكثر الأصول : «سبائب» وهو تحريف . والشآبيب : جمع شؤبوب . وشؤبوب كل شىء : حده ، أو الدفعة منه . (٤) يقال : تلقحت الناقة اذا شالت بذنبها لترى أنها لاقح وهى ليست كذلك . وحائل : غير حامل . (٥) الأجرد من الخيل : القصير الشعر ، والخيل تمدح بذلك . والسراة : الظهر . والطمرة : أنثى الطمر (و يقال فيه الطمرير والطمرور) وهو الفرس الجواد ، أو المشمر الخلق ، أو المستفز للوثب والعدو ، أو الطويل القوائم الخفيف . وفرس خوار العنان : سهل المعطف (أى إذا عطف كان لينا سهل الانقياد) . والمناقل من الخيل : الذى يتق فى عدوه الحجارة وهو أن يضع يده ورجله على غير حجر لحسن نقله فى الحجارة .

ولو أَلجأته عُصبةٌ تَغْلِبيّةٌ[1] * لَسِرْنا اليهم بالقنا والقَنابِل[2]
ولو رُمْتُمُ أن تمنعوه رأيتمُ * هناك أمورًا غَيُّها غيرُ طائِل
لشابَ وليدُ الحىّ قبل مَشيبِه * وعَضّت تميمٌ كلُّها بالأنامِل
وقامتْ رجالٌ منكمُ خِنْدِفيّةٌ * يُنادون جهرًا ليتَنا لم نُقاتِل

قتل الحارث لابن النعمان

قال : فخرج الحارث بن ظالم من فَوْره ذلك حتى أتى سَلْمَى بنتَ ظالم وفى حِجْرها ابن النُّعمان، فقال لها : إنه لن يُجيرَنى من النُّعمان إلا تَحَرُّمى بآبنه، فآدفعيه إلىّ . وقد كان النُّعمان بعث الى جاراتٍ للحارث بن ظالم فسباهنّ ؛ فدعاه ذلك الى قتل الغلام فقتله . فوثب النُّعمان على عمّ الحارث بن ظالم فقال له : لأقتلنّك أو لتأتينّى بآبن أخيك . فآعتذر اليه فخلّى عنه . فأقبل ينطلق فقال :

أخذ النعمان عم الحارث فاعتذر اليه فخلى عنه، وقال شعرا

يا حارِ إنّى[3] أخَيا من مُخبّأةٍ * وأنت أجرأُ من ذى لِبْدةٍ ضارِى[4]
قد كان بيتىَ فيكم بالعَلاءِ فقد * أحلَلْتَ بيتىَ بين السَّيل والنارِ
مهما أَخَفْكَ على شىءٍ تجىء به * فلم أَخَفْكَ على أمثالها حارِ
ولم أَخَفْكَ على لَيْثٍ تُخاتِله[5] * عَبْلِ الذّراعَيْنِ للأقرانِ هَصّارِ
وقد علمتُ بأنّى لن يُنَجّيَنى * مما فعلتَ سوى الإقرارِ بالعار
فقد عدَوْتَ على النُّعمانِ ظالمةً * فى قتل طِفْلٍ كمثل البَدْرِ مِعْطارِ[6]
فآعلمْ بأنّك منه غيرُ مُنفَلِتٍ * وقد عدوتَ على ضِرْغامةٍ[7] شارِى

(١) ألجأته هنا : عصمته . (٢) القنابل : الجماعات من الناس ومن الخيل الواحدة قنبلة وقنبل (بالفتح فيهما) . (٣) فى الأصول : «إنك» . والتصويب للرحوم الشنقيطى فى نسخته . (٤) الضارى من السباع : الذى يضرى بالصيد و يلهج بالفرائس . (٥) فى الأصول : «تختله» وهو تحريف . وتخاتله : تخادعه . (٦) معطار : يتعهد بالطيب و يكثر له منه . وهذا كناية عن أنه ابن نعمة وترف . (٧) الضرغامة : الأسد، والرجل الشجاع ، فاما أن يكون على تشبيهه بالأسد أو أن ذلك أصل فيه . شارى : وصف من شرى يشرى (وزان فرح) إذا غضب ولج فى الأمر .

شعر للحارث في قتله ابن النعمان

وقال الحارث بن ظالم فى ذلك :

قِفَا فَاسْمَعَا أُخْبِرْكُمَا إذْ سألتما * مُحَارِبُ مَوْلاهُ، وثَكْلانُ نادمُ (١)

حَسِبْتَ أبا قابُوسَ أنك سابِقِى * ولمّا تَذُقْ ثَكْلى وأنفُكَ راغمُ (٢)

أَخُصْيَى حِمَارٍ بات يَكْدِمُ نَجْمَةً * أتُؤْكَلُ جارَاتِى وجارُكَ سالم (٣)

تمنّيته جهرًا على غير رِيبةٍ * أحاديثُ طَسْمٍ، إنما أنت حالم (٤)

فإنْ تكُ أذوادًا أُصِبتَ ونسوةً * فهذا ابنُ سَلْمَى أمْرُه متفاقم (٥) (٦) (٧)

علوتُ بذى الحَيّاتِ مَفْرِقَ رَأْسِه * وكان سِلاحِى تجتويه الجماجم (٨) (٩)

---

(١) شرح المؤلف هذا البيت فيما سيأتى (صفحة ١٠٨) .

(٢) سيأتى فى الأصول ص ١٠٨ : «... فائت * ولما تذق ثكلا» . وفى ديوان المفضليات : «... سالم * ولما تصب ذلا» . وفى الكامل لابن الأثير : « ... مخفرى * ولما تذق ثكلا» . وهذا البيت يرجح أن يكون الملك الذى قتل الحارث ابنه وقتل خالد بن جعفر فى جواره هو النعمان بن المنذر؛ فان «أبا قابوس» كنية له . لكن الأصمعى قال عن هذا البيت إنه ليس من القصيدة؛ لأن المقتول ابن عمرو بن الحارث جدّ النعمان الذى كان يكنى أبا قابوس، والمقتول الغلام عم أبى قابوس . (عن شرح ابن الانبارى لديوان المفضليات صفحة ٦١٦ طبع مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٢٠م) . و يلاحظ أن كلام الأصمعى هذا لا يتفق مع ماورد فى شعر الحارث الذى رواه صاحب الأغانى فى هذا المقام من توجيه الخطاب الى «النعمان» . (وراجع الحاشية ٣ صفحة ٩٥ من هذا الجزء) . (٣) يكدم : يعض بأدنى الفم . والنجم من النبات ما لا ساق له ، والشجر ماله ساق طال أوقصر. ونجمة هنا : واحدة النجم وهو ضرب من النبت يقال له الثيل . شبهه بخصيى الحمار لتحقيره وتصغيره ، أو أنه مشنج الوجه منقبضه كخصيى الحمار إذا كدم نجمة ، وذلك لصلابتها . (راجع شرح ديوان المفضليات) . (٤) فى ج : «أحادث طسم» . وفى سائر الأصول : «أحارث ظلما» وهو تحريف . وأحاديث طسم : يقال لما لا أصل له . تقول لمن يخبرك بما لا أصل له : « أحاديث طسم وأحلامها » . وطسم : إحدى قبائل العرب البائدة .

(٥) الذود : القطيع من الابل الثلاث إلى التسع أو ما بين الثلاث إلى العشر، وفيه أقوال أخرى . ولا يكون إلا من الاناث . (٦) كذا فى أ ، م والكامل لابن الأثير . وفى سائر الأصول : * فان تك أذواد أصبن ونسوه * (٧) كذا فى كل الأصول هنا . وفى أ ، م فيما يأتى (صفحة ١٠٨) : «رأسه» وهى رواية المفضليات والكامل لابن الأثير . (٨) ذو الحيات : اسم سيف الحارث، كانت على سيفه تماثيل حيات . (٩) كذا فى ديوان المفضليات . وفى شرحه : «وقال يعقوب تجتويه لا يوافقها . يقال اجتويت بلدة كذا اذا لم توافقنى» . وفى الأصول والكامل لابن الأثير . «تحتويه» بالحاء .

فتكتُ به فتكًا كفتكى بخالدٍ * وهل يركب المكروهَ إلا الأكارمُ
بدأتُ بهذى ثم أَثْنِي بمثلها * وثالثةٍ (٢) تبيضّ منها المَقادمُ
شَفَيْتُ غَلِيلَ (٣) الصدرِ منه بضربةٍ * كذلك يأبى المُغْضَبون القَماقِمُ (٤)

فقال النعمان بن المنذر : ما يعنى بالثالثة غيرى . قال سِنان بن أبى حارثة المُرِّىّ - وهو يومئذ رأسُ غَطَفانَ - : أَبَيْتَ اللعْنَ ! والله ماذِمّةُ الحارث لنا بذمّة، ولا جارُه لنا بجار، ولو أمّنته ما أمّناه . فبلغ ابنَ ظالم قولُ سِنانِ بن أبى حارثةَ، فقال فى ذلك :

شعر للحارث يخاطب به النعمان

أَلَا أَبْلِغ النُّعمانَ عنّى رسالةً * فكيف بخَطّابِ الخُطُوبِ الأعاظمِ
وأنت طَوِيلُ البَغْيِ أَبْلَخُ (٥) مُعْوِرٌ (٦) * فَزُوعٌ إذا ما خِيفَ إحْدَى العَظائمِ
فما غَرّه والمرءُ يُدْرِكُ وِتْرَهُ * بأرْوَعَ ماضى الهَمِّ من آل ظالمِ
أخى ثِقَةٍ ماضِى الجَنانِ مُشَيَّعٍ (٧) * كَمِيشِ التَّوالى (٨) عند صِدْقِ العَزائمِ
فأُقْسِم لولا مَنْ تعرّض دونه * لَعُولِى بِهِنْدِىّ الحديدةِ صارمِ
فأقْتُلُ أقوامًا لِئامًا أذِلّةً * يَعَضُّون من غَيْظٍ أصولَ الأباهمِ
تمنّى سِنانٌ ضَلّةً أن يُخِيفَنى * ويأمَنَ، ما هذا بفعل المُسالمِ
تمنّيتَ جهدًا أن تَضِيعَ ظُلامتى * كذبتَ وربِّ الراقصاتِ (٩) الرَّواسمِ
يمين آمرئٍ لم يَرْضَعِ اللُّؤمَ ثَدْيَه * ولم تتكنّفه عروقُ الألائمِ

(١) رواية المفضليات والكامل لابن الأثير والأصول فيما سيأتى :
* فتكتُ به كما فتكت بخالد *

(٢) ويروى : «وثالثة» بالرفع . (٣) فى الأصول : «عليك» وهو تحريف . (٤) القماقم : جمع قمقام، وهو من الرجال : السيد الكثير الخير الواسع الفضل . (٥) الأبلخ : المتكبر فى نفسه الجرىء على ما يأتى من الفجور . وفى ب، د : «أبلح» بالحاء المهملة . وفى سائر الأصول : «أبلج» بالجيم . والأبلج (بالجيم) وصف مدح فلا يناسب المهجو هنا . (٦) معور : قبيح السريرة، أو مريب . (٧) المشيع : الشجاع، لأن قلبه لا يخذله فكأنه يشيعه، أو لأن نفسه تشيعه على ما يقدم عليه . ومثله تشايعه — أى تتبعه وتشجعه .
(٨) كميش التوالى : يريد أنه مشمر جادّ . وتوالى كل شىء : أواخره . (٩) رقص الإبل : ضرب من سيرها وهو الخبب . والرسيم : ضرب من سيرها أيضا وهو فوق الذميل . والذميل : سير لين .

أخذ مصدق النعمان إبلا لدهيث فاستجارت بالحارث فردها إليها

قال : فأمّنه النعمان ، وأقام حيناً ، ثم إنّ مصدّقا للنعمان أخذ إبلًا لامرأة من بنى مُرّة يقال لها دَيْهَثُ ، فأتت الحارثَ فعلقت دَلْوَها بداوه ومعها بُنَىٌّ لها ، فقالت : أبا ليلى ! إنى أتيتُك مُضافةً [1] . فقال الحارث : إذا أورد القومُ النَّعَمَ فنادِى بأعلى صَوْتِك :

دَعَــوْتِ بالله ولم تُراعِى [2] * ذلك راعيـك فنِعْمَ الرّاعِى

٥ وتلك ذودُ الحارثِ الكسّاعِ [3] * يمشى لهـا بصارمٍ قطّـاعِ

* يَشْفِى به [4] مَجامعَ الصُّدّاعِ *

وخرج الحارث فى أثرها يقول :

أنا أبو ليلَى وسَيْفِى المَعْلُوبْ [5] * كم قد أَجَرْنا من حَريبٍ محروب

وكم رَدَدْنا من سَليبٍ مسلوبْ * وطَعنَـةٍ طعنتُها بالمنصوب

١٠ * ذاك جهيزُ الموت عند المكروبْ *

ثم قال لها : لا تَرِدَنّ عليك ناقةٌ ولا بعيرٌ تَعْرِفينه إلا أخذْتِيه ففعلتْ ، فأتت على لَقُوحٍ لها يحلبُها حَبَشىٌّ ، فقالت : يا أبا ليلى ! هــذه لى . فقال الحبشىّ : كذبتِ . فقال الحارثُ : أرسِلْها لا أُمَّ لك ! فضرط الحبشىّ . فقال الحارث : "اِسْتُ الحالبِ أعلم" ، فسارتْ مثلا . قال أبوعُبَيْدَةَ : ففى ذلك يقول فى الإســلام الفرزدقُ :

١٥ كما كان أَوْفَى إذ يُنادِى ابنُ دَيْهَثٍ * وصِرمتُــهُ [6] كالمَغْنَمِ المُتَنَهَّبِ

فقام أبو ليلَى اليــه ابنُ ظـالِمٍ * وكان متى ما يَسْلُلِ السَّيْفَ يَضْرِبِ

وما كان جارًا غيرَ دَلْوٍ تعلّقتْ * بحَبْلَيْنِ فى [7] مُسْتَحْصِدِ القِدِّ مُكْرَبِ

(١) مضافة : ملجأة . (٢) فى الأصول : * ذلك داعيك فنعم الداعى * بالدال . والتصويب للرحوم الشنقيطى فى نسخته . وسيأتى هذا الشطر بعــد قليل فى رجز آخر صحيحا .

٢٠ (٣) الكسع : الضرب على الدبر ؛ يقال : ولى القوم فكسعهم بالسيف ، إذا اتبع أدبارهم فضربهم به .

(٤) فى الأصول : «بها» ومرجع الضمير السيف الصارم فى الشطر الذى قبل هذا الشطر .

(٥) المعلوب : اسم سيف له . (٦) الصرمة هنا : القطعة من الإبل . (٧) فى ديوان الفرزدق (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦٠٥ أدب) : « فى مستحصد الحبل » . والمستحصد : الذى أحكم فتله . والمكرب : المشدود بالكرب (بالتحريك) وهو حبل يشد

٢٥ على عراقى الدلو ثم يثنى و يثلث . وفى ديوان الفرزدق : « والمكرب العقد الذى على عرقوة الدلو » .

خروج الحارث الى صديق له من كندة

قال أبو عُبَيدة حدّثنى أبو محمد عِصامٌ العِجْلىّ قال : فلمّا قتل الحارثُ بنُ ظالمٍ خالدَ بن جعفر فى جِوار الملك خرج هاربًا حتى أتى صديقًا له من كِندة يُحلّ شُعَبَى — قال : شُعَبَى غير ممدود — فلمّا ألحّ الأسْوَدُ(١) فى طلب الحارث قال له الكِنْدىّ : ما أرى لك نجاةً إلّا أن أُلحقك بحضرموت ببلاد اليمن فلا يُوصَل اليك . فسار معه يوماً وليلةً ، فلمّا غرّبه(٢) قال : إنّى أنقطع ببلاد اليمن فأغترِبُ بها ، وقد بَرِئتْ منك خَفارتى . فرجع حتّى أتى أرضَ بكر بن وائل ، فلجأ الى بنى عِجْل بن لُجَيْم ، فنزل على زَبّان فأجاره وضرب عليه قُبّة . وفى ذلك يقول العِجْلىّ :

لجوءه الى بنى عجل ابن لجيم

ونحن منَعْنا بالرِّماح ابنَ ظالمٍ * فظلّ يغنّى آمناً فى خِبائنا

٢٣/١٠

قال أبو عبيدة : فجاءته بنو ذُهْل بن ثعلبةَ وبنو عَمْرو بن شَيْبان فقالوا : أَخْرِجْ هذا المشئومَ من بين أَظْهُرِنا ، لا يَعُرُّنا بشرّ ؛ فإنّا لا طاقةَ لنا بالمَلْحاء(٣) (والملحاء كَتيبةُ الأَسْوَد) فأبتْ عِجْلٌ أن تُخْفِره(٤) ، فقاتلوه فآمتنعتْ بنو عِجْل . فقال الحارث بن ظالم فى الكِنْدىّ وفيهم :

يكلّفُنى الكِنْدىُّ سَيْرَ تَنُوفةٍ * أكابدُ فيها كلَّ ذِى صُبّةٍ مُثْرِى

— الصُّبّة : قطعةٌ من الغنم أو بقيّة منها —

وأقبلَ دُونى جَمْعُ ذُهْلٍ كأنّنى * خَلَاةٌ(٥) لِذُهْلٍ والزّعانِيفِ من عَمْرِو

ودُونِىَ رَكْبٌ من لُجَيْمٍ مُصَمِّمٌ * وزَبّانُ جارِى والخَفِيرُ على بَكْرِ

لَعَمْرِىَ لا أخشَى ظُلَامةَ ظالمٍ * وسَعْدُ بن عِجْلٍ مُجْمِعون على نَصْرِى

(١) راجع الحاشية ٣ صفحة ٩٥ من هذا الجزء . (٢) غرّبه : نحاه عن بلاده وأبعده .
(٣) فى بعض الأصول : «بالملجأ» وهو تحريف . (٤) الإخفار : الغدر ونقض العهد .
(٥) الخلاة : واحدة الخلى وهو الرطب من الحشيش . يقول : أقبل دونى هؤلاء القوم كأنى خلاة يأخذها الآخذ كيف شاء ، والواقع أنى فى عز ومنعة .

قال أبو عبيدة : ثم قال لهم الحارثُ : إنّي قد اشتهر أمرِى فيكم ومكانى، وأنا راحلٌ عنكم . فارتحل فلحِقَ بطَيِّئٍ . فقال الحارثُ فى ذلك :

لحوقه بطيء

لَعَمْرِى لقد حلّتْ بِيَ اليومَ ناقتى * إلى ناصرٍ من طَيِّئٍ غيرِ خاذلِ

فأصبحتُ جارًا للمَجَرَّةِ منهمُ * على باذخٍ يعلو على المُتَطاوِلِ

قال أبو عبيدة وحدّثنى أبو حَيّة أنّ الأسوَدَ حين قتل الحارثُ خالدًا سأل عن أمرٍ يبلُغ منه. فقال له عُرْوةُ بن عُتْبةَ : إنّ له جاراتٍ من بَلِيِّ بن عَمْرٍو، ولا أراك تنالُ منه شيئا أغيظَ له من أَخْذهنّ وأَخْذِ أموالهنّ، فبعث الأسْوَدُ فأخذهنّ واستاق أموالهنّ . فبلَغ ذلك الحارثَ، فخرج من الحِينِ فانساب فى غُمارِ الناس حتى عرَف موضع جاراتِه ومَرْعَى إبلهنّ، فأتى الإبلَ فوجد حالبين يحلُبان ناقةً لهنّ يقال لها اللِّفَاع، وكانت لبونًا كأغزرِ الإبل ، إذا حُلِبتْ اجترّت، ودمعتْ عيناها، وأصغتْ برأسها[1]، وتَفَاجَتْ[2] تَفاجَّ البائل، وهجمتْ فى المِحْلَب هَجْمًا حتى تُسنِّمه[3]، وتجاوبت أحاليلُها[4] بالشَّخْبِ هَثًّا[5] وهثيا حتى تَصُفَّ بين ثلاثةِ محالِبَ[6] . فصاح الحارثُ بهما ورجز فقال :

أخذ الأسود أموال جارات له فردها هو اليهن

إذا سَمِعْتِ حَنّةَ اللِّفَاعِ * فادْعِى أبا لَيْلَى ولا تُرَاعِى

ذلك راعيكِ فنِعْمَ الرّاعِى * يُجْبِكِ رَحْبَ البَاعِ والذِّراعِ

* مُنَطَّقًا[7] بصارمٍ قطّاعِ *

(١) كذا فى الأصول . و يلاحظ أن «أصغى» يتعدّى بنفسه . فلعل صوابه : «صغت برأسها» أو «أصغت رأسها» . (٢) تفاجت : باعدت ما بين رجليها . (٣) تسنمه : تملؤه حتى يصير فوقه مثل السنام . (٤) الأحاليل : جمع إحليل، وهو هنا مخرج اللبن من الضرع . والشخب (بالفتح) : صوت اللبن عند الحلب . والشخب (بالفتح و بالضم) : ما يخرج من الضرع من اللبن . وقيل : الشخب (بالضم) : ما امتد من اللبن حين يحلب متصلا بين الإناء والطبى . (٥) كذا فى الأصول الخطية . وفى ب، س : «هشا وهشيا» . والهث : اختلاط الصوت فى حرب أو صخب . والمراد هنا اختلاط أصوات الأحاليل عند الحلب . أما « الهثيم » أو « الهشيم » فلم نهتد لوجه الصواب فيه .

(٦) أى حتى تملأ ثلاثة محالب فيصف أحدها بعد الآخر . (٧) منطقا : مشدودا فى وسطه .

خَلِّيا عنها! فعرَفاه فضَرط البائنُ. فقال الحارثُ: "اِسْتُ الضارِطِ أعْلَمُ"[1] فذهبتْ مثلا — قال الأَثْرَم: البائن الحالبُ الأيمنُ، والمستعلِي الحالبُ الأيْسَرُ — ثم عَمَد الى أموال جاراته والى جاراته فجمعهنّ وردّ أموالَهن وسار معهنّ حتى آستلاهنّ (أى أنقذهنّ).

رواية أخرى فى قتله بن الملك

قال أبو عُبَيْدَةَ: ولحِق الحارثُ ببلاد قومه مختفيًا. وكانت أُخته سَلْمَى بنتُ ظالم عند سِنَانِ بن أبى حارثةَ المُرِّىّ. قال أبو عُبيدة: وكان الأسْوَدُ بن المُنْذِر قد تبنّى سِنانُ بن أبى حارثةَ المُرِّىُّ ابنَه شُرَحْبِيلَ، فكانت سَلْمَى بنتُ كثيرِ بن رَبِيعة من بنى غَنْم بن دُودانَ[2] امرأةَ سِنَانِ بن أبى حارثةَ المُرِّىِّ تُرضعه وهى أُمّ هَرِمٍ، وكان هَرِمٌ غَنِيًّا يقدِر على ما يُعطى سائليه. فجاء الحارثُ، وقد كان آندسّ فى بلاد غَطَفانَ، فآستعار سَرْجَ سِنانٍ، ولا يعلم سنانٌ، وهم نُزولٌ بالشَّرَبَّةِ، فأتى به سَلْمَى ابنةَ ظالمٍ فقال: يقول لك بَعْلُك: ابْعثِي بابن الملك مع الحارثِ حتى أستامِنَ له ويَتَخفَّرَ به، وهذا سرجُه آية اليك. فزيّنته ثم دفعتْه الى الحارث، فأتى بالغلام ناحيةً من الشَّرَبَّةِ فقتَله، ثم أنشأ يقول:

٢٤ / ١٠

قِفَا فآسْمَعا أُخْبِرْكما إذ سألتُما * مُحارِبُ مولاه، وثُكْلانُ نادمُ[3]

— ثكلان نادم: يعنى الأسْوَدَ لأنه قُتِل ابنُه شُرَحْبِيل. مُحارِبُ مولاه: يعنى الحارث نفسَه. ومولاه: سِنَانٌ —

أَخُصْيَيْ حِمَارٍ باتَ يَكْدِمُ نجمةً * أَتُؤْكَلُ جاراتى وجارُك سالمُ
حَسِبتَ أبيتَ اللَّعْنَ أنك فائتٌ * ولمّا تَذُقْ ثُكْلًا وأنفُك راغمُ
فإن تك أذوادًا أصبتَ ونسوةً * فهذا ابنُ سَلْمَى رأسُه مُتفاقِمُ

---

(١) ويروى: «است البائن أعلم».
(٢) فى الأصول: «... غنم بن وردان». والتصويب للرحوم الأستاذ الشنقيطى فى نسخته.
(٣) تقدّمت هذه الأبيات فى صفحة ١٠٣ من هذا الجزء، فلتراجع الحواشى التى كتبت عليها.

علوتُ بذى الحَيّاتِ مَفْرِقَ رأسه * وكان سِلاحى تجتويه الجماجم
فتكتُ به كما فتكتُ بخالدٍ * ولا يركب المكروهَ إلّا الأكارم
بدأتُ بتلك وأنثيتُ بهذه * وثالثةٍ تبيضّ منها المَقادِمُ

قال : ففى ذلك يقول عَقِيلُ بن عُلَّفَةَ فى الإسلام وهو من بنى يَرْبُوع بن غَيْظ بن مُرّةَ لمّا هاجى شَبِيبَ بنَ البَرْصاء، وأبوه يزيدُ، وهو من بنى نُشْبةَ بن غَيْظ بن مُرّة ابنُ عَمّ سِنانِ بن أبى حارثة، فعيّره بقتلِ الحارثِ بن ظالمٍ شُرَحْبِيلَ لأنه رَبِيبُ بنى حارثةَ بن مُرّةَ[1] بن نُشْبةَ بن غَيْظ رَهْطِ شَبِيبٍ، ففى ذلك يقول عَقِيلٌ :

قتلنا شُرَحْبِيلاً رَبِيبَ أبيكم * بناصيةِ المَغْلُوب ضاحيةً غصبا[2]
فلم تُنْكِرُوا أن يَغْمِزَ القومُ جارَكم * بإحدَى الدَّواهى ثم لم تَطْلُعوا نَقْبا[3]

قال أبو عُبيدة : وهرب الحارثُ، فغزا الأسودُ بنى ذُبْيان إذ نقضوا العهد وبنى أَسَد بشَطِّ أُرِيك . قال أبو عبيدة : وسألته عنه فقال : هما أُرِيكانِ الأسودُ والأبيض، ولا أدرى بأيّهما كانت الوَقْعةُ . قال أبو عُبيدةَ وقال آخرون : إنّ سَلْمَى امرأةَ سِنَانٍ التى أخذ الحارثُ شُرَحْبِيلَ من عندها من بنى أَسَد . قال : فإنّما غزا الأسودُ بنى أَسَدٍ لدفع الأسَديّةِ سَلْمَى ابنَه الى الحارث، فقتل فيهم قتلاً ذَرِيعًا وسَبَى وآستاق أموالَهم . وفى ذلك يقول [الأعشى ميمون] :

وشُيوخٍ صَرْعَى بشَطَّىْ أُرِيكٍ[4] * ونساءٍ كأنهن السَّعالِى[5]

(١) فى الأصول : « ... بنى حارثة فعيره نشبة بن غيظ ... » وهو تحريف .
(٢) فى الأصول : « بناحية المغلوب ضاحية غضبا » . وقد رجحنا ما وضعناه لدلالة سياق الكلام عليه . والمغلوب : سيف الحارث بن ظالم . وضاحية : علانية وجهرا . (٣) النقب : الطريق، أو الطريق الضيق فى الجبل . ويظهر أنه كنى بعدم طلوع النقب عن عدم السعى فى طلب الثأر .
(٤) موضع هذا البيت من القصيدة بعد قوله « رب رفد » البيت الآتى ؛ فشيوخ مجرور بالعطف على المجرور برب فى البيت الذى قبل هذا البيت فى القصيدة . ويروى « وشيوخ حربى » جمع حريب ؛ يقال حرب فلان ماله أى سلبه فهو محروب وحريب . (٥) السعالى : جمع سعلاة (بكسر السين) ويقال فيها سعلا (بالمد وبالقصر)، وهى الغول أو ساحرة الجن . وإذا كانت المرأة قبيحة الوجه سيئة الخلق شبهت بالسعلاة .

من نَوَاصِى دُودَانَ إذ نقضوا العهـ * ـدَ وذُبْيـانَ والهِجَانِ الغَـوالى
رُبَّ رَفْـدٍ هَرَقْته ذلك اليـو * مَ وأَسْرَى من مَعْشَرٍ أَقْتـالِ (١)
هـؤلا ثم هؤلا كُلًّا أحْذَيْـ * ـتَ نِعـالًا مَحْـذُوَّةً بمِثَـالِ
وأرى مَنْ عصاكَ أصبح مخذو * لًا وكَعْبُ الذى يُطيعك عالى

وجود نعل شرحبيل بن الأسود فى بنى محارب وتعذيب الأسود لهم

قال : ووُجد نعلُ شرَحْبِيلَ عند أَضَاخٍ . وهو من الشَّرَبَّةِ فى بنى مُحَارِب بن خَصَفَةَ (٢) ابن قَيس عَيْلانَ . قال : فأحمى لهم الأسودُ الصَّفَا التى بصحراء أَضَاخٍ وقال لهم : إنّى أَحذِيكم نِعالًا ، فأمشاهم على الصَّفَا المُحْمَى فتساقط لحمُ أقدامهم . فلمّا كان الإسلام قتل جَوْشَنٌ الكِنْدىُّ رجلًا من بنى مُحارِبٍ فأُقِيد به جوشنٌ بالمدينة . وكان الكِندىُّ من رهط عبّاس بن يزيد الكندىّ ، فهجا بنى مُحارِبٍ فعيّرهم بتحريق الأسودِ أقدامَهم فقال :

على عَهْدِ كِسْرى نَعَّلتكم ملوكُنا * صَـفًا من أَضَاخٍ حاميًا يتلهّبُ

قال أبو عُبيدة : وصار ذلك مثلًا يتوعّد به الشعراءُ مَنْ هجَوْه ويحذِّرونهم مثلَ ذلك . ومن ذلك أن ابن عَتّـابٍ (٣) الكلبى ورَد على بنى النوس (٤) من جَديلةِ طيّئٍ ، فسرَقوا سهامًا له ، فقال يحذِّرهم :

(١) الرفد (بالفتح و بالكسر) هنا : القدح الضخم . والمعنى المراد « رب قتل » فان إراقة الرفد يكنى به عن الموت ؛ قال الزمخشرى فى أساس البلاغة : « وهريق رفد فلان إذا قتل ، كما يقال : صفرت وطابه وكفئت جفنته » . وقال شارح ديوان الأعشى : « أبو عبيـدة : رب رفد أهرقته ، بالف . أى رب رجل كانت له إبل يحلبها فاستقتها فذهب ما كان يحلبـه فى الرفد ، والرفد القـدح بمـا فيه » . والأقتال : جمع قتل (بالكسر) وهو العدوّ ، والشبيه فى القتال ؛ وبكلا المعنيين فسر البيت . و يروى : « من معشر أقيال » . والقيل : الملك ، أو الملك من ملوك حمير ، أو هو من دون الملك الأعلى .

(٢) فى ب ، س ، حـ : « حفصة » وهو تحريف .

(٣) الذى فى خزانة الأدب (ج ٤ ص ١٨٣) : « ابن عباد الكلابى » .

(٤) كذا فى الأصول . وفى خزانة الأدب : « بنى البوس » . ولم نجد هـذا الاسم فى جديلة طيئ ولا فى غيرها . فلعل صوابه « بنى الأوس » ؛ فان من فروع جديلة طيئ بنى الأوس .

بنى النوس رُدُّوا أَسْهُمِى إنّ أَسهُمِى * كَنَعْلِ شُرَحْبِيلَ الّتى فى مُحَارِبِ (١)

وقال فى الجاهليّة ابنُ أُمّ كَهْف الطائىُّ فى مَدْحِه لمالكِ بن حِمَارٍ الشَّمْخيّ (٢)، فذكر نعل شُرَحْبِيلَ فقال :

ومولاكَ الذى قتل ابنَ سَلْمَى * عَلانِيَةً شُرَحْبِيلَ ابنِ نَعْلِ

٥ لأنه لولا النعل لم يُعْرَف، وإنما عُرِف بما صنع أبوه ببنى مُحَارِبٍ من أجل نعله التى وُجِدت فى بنى مُحَارِبٍ .

أخذ الأسود لسنان بن أبى حارثة الذى قتل ابنه عنده واعتذار الحارث ابن سفيان عنه

قال أبو عُبَيدةَ : وأخذ الأسودُ سِنَانَ بنَ أبى حارثةَ، فأتاه الحارثُ بن سَفْيانَ أحدُ بنى الصارِد (٣)، وهو الحارثُ بنُ سُفْيانَ بنِ مُرّةَ بن عَوْف بن الحارث بن سفيان أخو سَيّارِ بن عمرو بن جابر الفَزَارىّ لأمّه ، فاعتذر الى الأسْوَدِ أن يكون سِنانُ بن ١٠ أبى حارثةَ علِم أو اطّلع ، ولقد كان أَطْرَدَ الحارثَ من بلاد غَطَفانَ ، وقال : علىّ دِيَةُ ابنِك ألفُ بَعِيرٍ دِيَةُ الملوك، فحمّلها إيّاه وخلّى عن سِنانٍ، فأدّى الى الأسْوَدِ منها ثمانَمائةِ بعيرٍ ثم مات . فقال سيّار بن عمرو أخوه لأُمّه : أنا أقوم فيما بَقِى مقام الحارثِ بن سُفْيان . فلم يرضَ به الأسودُ . فرهَنه سَيّارٌ قَوْسَه، فأدّى البقيّة . فلمّا مدح قُرَادُ بن حَنَشٍ الصارِدىُّ (٤) بنى فَزَارةَ جَعَل الحَمَالةَ كلّها لسَيّار بن عمرو فقال :

١٥ ونحن رَهَنّا القَوْسَ ثمّتَ فُودِيَتْ * بألفٍ على ظَهْرِ الفَزَارِىّ أَقْرَعَا (٥)

بعَشْرِ مِئِينٍ للملوكِ سَعَى بها (٦) * لِيُوفِىَ سَيّارُ بنُ عمرٍو فأَسْرَعا

---

(١) فى الأصول : «الذى» . والتصويب من خزانة الأدب . (٢) فى ب، س : «حماد» بالدال المهملة وهو تحريف . (٣) فى الأصول : «بنى الصادر» وهو تحريف . (راجع كتاب الاشتقاق لابن دريد صفحة ١٧٦ ولسان العرب فى مادة صرد) . (٤) فى الأصول : «قراد بن حبش ٢٠ الصادرى» وهو تحريف . (٥) بألف أقرع أى تام . (٦) فى الأصول : «بعشر ملوك للملوك سفالها» والتصويب من خزانة الأدب (ج٣ ص ٣٠٤) . وقد صححها المرحوم الشنقيطى : «سعى لها» .

رَمَيْنَا صَفَاهُ بالمِئينَ فأصبحتْ * ثَنَايَاه[(١)] للساعين فى المجْد مَهْيَعَا

قال ويقال : بل قالها رَبيعُ بن قَعْنَبٍ، فردّ عليه قُرَادٌ فقال :

ما كان ثَعْلَبُ ذِى عاجٍ[(٢)] لِيَحْمِلَها * ولا الفَزَارىُّ جُوفَانُ بن جُوفانِ[(٣)]

لكن تَضَمَّنَها ألْفًا فأخرجها * على تَكَالِيفها حارِ[(٤)] بنُ سُفْيانِ

وقال عُوَيْفُ القَوَافِى بن عُيَيْنَةَ بن حِصْنِ بن حُذَيْفَةَ بن بَدْرٍ فى الإسلام يفخر على ٥
أبى منظور الوَبْرِىّ حين هاجاه أحد بنى وَبْرِ بن كِلَابٍ :

فهل وجدتم حاملًا كَحَامِلِى * إذ رَهَنَ القَوْسَ بألفٍ كامل

بِدِيَةِ ابنِ المَلِكِ الحُلَاحِلِ * فافتكّها من قبلِ عامٍ قابلِ

* سَيَّارُ المُوفِى بها ذو السائلِ[(٥)] *

٢٦/١٠

لحوق الحارث ببنى دارم

قال أبو عُبيدة : فلمّا قتل الحارثُ شُرَحْبِيلَ لحِق ببنى دَارِمٍ فلجأ الى بنى ضَمْرةَ. ١٠
قال : وبنو عبد الله بن دارمٍ يقولون : بل جاور مَعْبَدَ بن زُرَارَةَ فأجاره، بجرّ جُوارُه
يومَ رَحْرَحانَ، وجرّ يومُ رحرحان يومَ جَبَلَةَ . وطلبه الأسودُ بن المُنْذِرِ بخُفْرَته[(٦)] .

---

(١) الثنايا : جمع ثنية وهى طريق العقبة ؛ من ذلك قولهم : فلان طلاع الثنايا، إذا كان ساميا لمعالى الأمور . والمهيع : الطريق الواسع الواضح . والظاهر أنه يريد أن يقول : إنما حملناه من التكاليف ما حملناه فاحتملها، حتى أصبحت سبيله فى ذلك سبيلا لمبتغى المجد . (٢) ذو عاج : واد ١٥
فى بلاد قيس . (٣) الجوفان (بالضم) : أير الحمار . ولعله نبز الفزارىّ بذلك لما كانت تعير به فزارة من أكل الجوفان؛ قال سالم بن دارة :

لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك واكتبها بأسيار

لا تأمننه ولا تأمن بوائقه * بعد الذى امتل أير العير فى النار

امتله : وضعه فى الملة . ويقول فيها : ٢٠

أطعمتم الضيف جوفانا مخاتلة * فلا سقاكم إلهى الخالق البارى

(٤) يريد : حارث بن سفيان . والترخيم فى غير النداء يأتى فى الشعر قليلا . (٥) كذا فى الأصول. ولعل صوابها : «ذو النائل» . والنائل : العطاء . (٦) الخفرة (بالضم) : الذمة .

فلمّا بلغه نزولُه بنى دارمٍ أرسل فيه إليهم أن يُسلموه فأبَوْا . فقال يَمُنّ على بنى قَطَنِ ابن نَهْشَلِ بن دَارِمٍ بمـا كان من النُّعْمان بن المُنْذِر فى أمر بنى رشيّة وهى رُمَيْلَةُ حين طلبهم من لَقِيطِ بن زُرَارةَ حتى آستنقذهم . ورشيّة أَمَةٌ[1] كانت لزُرارةَ بن عُدُس بن زيد المُجَاشِعِىّ ، فوطِئها رجلٌ من بنى نَهْشَلٍ فأولدها ، وكان زُرارةُ يأتى بنى نَهْشَلٍ يطلبُ الغِلْمةَ التى ولَدتْ ، وولدتِ الأَشْهَبَ بن رُمَيْلةَ والرِّبابَ بن رُمَيْلةَ وغيرَهما ، وكانوا يُسْمِعونه ما يكره ، فيرجِـع الى ولده فيقول : أَسْمَعنى بنو عمّى خيرًا وقالوا : سنبعَث بهم إليك عاجلًا ، حتى مات زُرَارةُ . فقام لَقِيطٌ آبنُه بأمرهم ، فلمّـا أتاهم أسمعوه ما كرِه ، ووقع بينهم شرٌّ . فذهب النهشلىّ إلى الملك فقال : أبيْتَ اللّعْنَ ! لا تصِلُنى وتصِـلُ قومى بأفضلَ من طِلْبَتِك إلى لَقِيطٍ الغِلْمـةَ ليَكُفَّ عنّى . فدعاه فشرِب معه ، ثم آستوهبهم منه فوهبهم له . فقال الأَسْوَدُ بن المُنْذِر فى ذلك :

كَأَيِّنْ لنـا من نِعْمَةٍ فى رِقابكم * بنِى قَطَنٍ فضـلًا عليكم وأَنْعُمَا

وكَمْ مِنّـةٍ كانتْ لنـا فى بُيوتكم * وقَتْلِ كَرِيمٍ لم تَعُدُّوه مغرَمَا

فإنكمُ لا تمنَعون آبنَ ظالمٍ * ولم يمس بالأيدِى الوَشيجَ المُقوَّما[2]

فأجابه ضَمْرةُ بن ضَمْرةَ فقال :

سَنَمْنَـع جارًا عائذًا فى بيوتكم[3] * بأسيافنا حتى يؤوبَ مُسَـلَّمَا

إذا ما دَعَوْنا دارمًا حالَ دونَه * عَوَابِسُ يَعْلُكْنَ الشَّكِيمَ المُعَجَّمَا[4]

(١) تقدّم فى ترجمة الأشهب بن رميلة (ج ٩ ص ٢٦٩ من هـذه الطبعة) أنها كانت أمة لخالد بن مالك بن ربعى ... (فليراجع ما هناك) . (٢) ورد هذا البيت هكذا بالأصول . والوشيج : شجر الرماح ، أو هو من القنا أصلبه . والمقوّم هنا : الذى أزيل عوجه . (٣) لعله : «فى بيوتنا» .

(٤) علكه : لاكه وحركه فى فيـه . والشكيمة من اللجام : الحـديدة المعترضة فى الفم . والمعجم : المعضوض .

ولو كنتَ حربًا(١) ماوردتَ طُوَيْلِعاً * ولا حَوْفَه إلّا خَميساً عَرَمْرَمَا

تركتَ بنى ماءِ السماء وفِعْلَهـم * وأشبهتَ تَيْسًا بالحجازِ مُزَنَّمـا(٢)

ولن أذكُرَ النُّعمانَ إلّا بصالِح * فإنّ له فضـلًا علينـا وأنعُمَا(٣)

قال : وبلَغ ذلك بنى عامر، فخرج الأحوصُ غازيًا لبنى دَارِم طالبًا بدم أخيه خالدِ بن جعفر حين انطوَوْا على الحارث وقاموا دونه ، فغزاهم فالتقَوْا بَرَحْرَحانَ، فهُزِمتْ بنو دَارِم، وأُسِرَ مَعْبَـدُ بن زُرَارةَ ، فٱنطلقوا به حتى مات فى أيديهـم ، وحديثُه فى يوم رحرحان يأتى بعدُ .

أسـر بنى قيس وبنى هزان للحارث وحديثه معهـم

ثم أَسَر بنو هِزّانَ الحـارثَ بنَ ظالم . وقال أبو عُبَيْـدةَ : خرج الحـارثُ من عندهم ، فجعل يطوف فى البلاد حتى سـقَط فى ناحيةٍ من بلاد ربيعة ، ووضَـع سِلَاحَه وهو فى فَلَاةٍ ليس فيهـا أثرٌ ونام ، فمرّ به نَفَـرٌ من بنى قَيْس ابن ثَعْلَبـةَ ومعهم قومٌ من بنى هِزّانَ من عَنَزةَ وهو نائمٌ ، فأخذوا فرسَـه وسلاحَه ثم أوثقوه، فٱنتبه وقد شدّوه فلا يَملِك من نفسه شيئاً . فسألوه مَنْ أنت؟ فلم يخبرهم وطوَى عنهم الخبر،فضربوه ليقتلوه على أن يُخبرهم مَن هو فلم يفعل . فٱشتراه القيسيّون مِنَ الهِزّانيّين بزِقِّ خمرٍ وشاة — ويقال:ٱشتراه رجلٌ من بنى سعد بإغلاق(٤)

(١) ورد هذا البيت فى الأصول هكذا :

ولو كنت حوا ما وردت طو يلعا * ولا حـومة إلا خميسا عرمرما

وصوّبنا ما فيه من تحريف عن معجم البلدان لياقوت فى كلامه على طو يلع ولسان العرب (فى مادة حوف) .
ورواية البيت فى معجم البلدان :

فلو كنت حربا ما بلغت طو يلعـا * ولا جـوفه .... الخ

وفى لسان العرب : « ... ما طلعت طو يلعا * ولا حوفه ... » . وحوف الوادى : حرفه وناحيته . ثم قال : «ويروى جوفه ، وجوّه» . والحرب : العدوّ المحارب . وطويلع : ماء أو واد . والخميس : الجيش . والعرمرم : الكثير . (٢) المزنم من الشاء : ماله هنة معلقة فى حلقه تحت لحيته ، وخص بعضهم به العنز . والمزنم أيضا : الذى تقطع أذنه وتترك له زنمة . (٣) رواية اللسان (وقد ذكر هذا البيت والذى قبله فى مادة زنم) : * فان له عندى يديا وأنعما * ويدىّ (على وزن فعول وفعيل مثل كلاب وكليب) : جمع يد بمعنى النعمة . (٤) اغلاق الرهن : ايجابه للرتهن اذا لم يفك . والمراد هنا اعطاه من باعه بكرة وعشرين من الشاء .

بَكْرة وعشرين من الشاء — ثم آنطلقوا به إلى بلادهم . فقالوا له : مَنْ أنت ؟ وما حالُك؟ فلم يُخبرهم . فضربوه ليموت فأبَى . قال: وهو قريبٌ من اليمامة . قال: فبينا هُمْ على تلك الحال وهم يُريغونه ضربًا مَرّةً وتَهدُّدًا أخرى ولِينًا مَرّةً ليخبرهم[1] بحاله وهو يأبى، حتى مَلُّوه، فتركوه فى قَيْده حتى آنفلت ليلًا، فتوجّه نحو اليمامة وهى قريبٌ منه ، فلقِىَ غِلْمةً يلعبون، فنظر إلى غلامٍ منهم أخْلَقِهم للخير عنده فقال : مَنْ أنت؟ قال : أنا بُجَيْرُ بن أبْجَرَ العِجْلىّ ، وله ذُؤابةٌ يومئذ وأمّه امرأةُ قَتادةَ بن مَسْلَمةَ الحنفىّ . فأتاه وأخذ بِحِقْوَيْه وآلتزمه وقال : أنا لك جارٌ . فيقال : إنّ عِجْلًا أجارتْه فى هذا اليوم لا فى اليوم الأوّل الذى ذكرناه فى أوّل الحديث . فأتى الغلامُ أباه فأخبره وأجاره وقال : ائتِ عَمّك قَتادةَ بن مَسْلَمةَ الحنفىّ فأَخْبِرْه؛ فأتى قتادةَ فأَخبره فأجاره .

قال أبو عُبَيدةَ : وأمّا فِراسٌ[2] فزعم أنه أَفلت من بنى قَيْسٍ فأقبل شَدًّا حتى أتى اليمامةَ، وآتّبعوه حتى آنتهى إلى نادى بنى حَنيفةَ وفيه قَتادةُ بن مَسْلَمةَ . فلمّا رأوه يهْوِى نحوَهم قال : إنّ هذا لخائفٌ ، وبَصُر بالقوم خَلْفَه فصاح به : الحِصْنَ الحِصنَ ! فأقبل حتى ولَجَ الحِصْنَ . وجاءت بنو قيس، فحال دونه وقال : لو أخذتموه قبل دخوله الحِصْنَ لأسلمتُه إليكم ، فأمّا إذ تحرّم بى فلا سبيلَ إليه . قال فقالوا : أسيرُنا آشتريناه بأموالنا، وما هو لك بجارٍ ولا تعرِفه، وإنما أتاك هاربًا من أيدينا، ونحن قومُك وجيرتُك . قال : أمّا أن أسلمه أبدًا فلا يكون ذلك ، ولكن اختاروا منّى: إن شئتم فآنظُروا ما آشتريتموه به فخذوه منّى، وإن شئتم أعطيتُه سلاحًا كاملًا وحملتُه على فرس ودَعُوه حتى يقطعَ الوادىَ بينى وبينه ثم دُونَكُموه . فقالوا: رَضِينا . فقال ذلك للحارث فقال نعم . فألبسه سِلاحًا كاملًا وحمله على فرسه وقال له: إنْ أفلتّهم فرُدَّ إلىّ الفرسَ والسلاحُ لك . قال : فخرج ، وتركوه حتى جاز الوادىَ ،

(١) جواب « بينا » فى هذه الجملة لم يصرح به . (٢) فى الأصول هنا : « فراش » بالشين المعجمة وهو تصحيف . وفراس الذى يروى عنه أبو عبيدة هو أبو المختار فراس بن خندق القيسى .

ثم اتّبعوه ليأخذوه، فلم يزل يُقاتلهم ويُطاردهم حتى ورد بلادَ بنى قُشَيْر، وهو قريبٌ من اليمامة أيضا بينهما أقلُّ من يوم . فلمّا صار الى بلاد بنى قُشَيْر يئسوا منه فرجعوا عنه . وعرّفه بنو قُشَيْر فانْطَوَوْا عليه وأكرموه . وردّ الى قتادة بن مَسْلَمة فرسه وأرسل اليه بمائة من الإبل، لا أدرى أأعطاه إيّاها بنو قُشَيْر من أموالهم ليكافئَ بها قتادةَ أم كانت له، لم يُفسّر أبو عُبَيدة أمرَها ولا سألتُه عنها . فقال الحارثُ بن ظالم فى ابنَىْ حُلَاكةَ وهما من الذين باعوه من القَيْسِيِّين وفيما كان من أمره — قال أبو عُبيدة : ويقال أسره راعيانِ من بنى هِزّانَ يقال لهما ابنا حُلَاكةَ — :

أبلغْ لديكَ بنى قَيْسٍ مُغَلْغَلةً * أنّى أُقَسَّمُ فى هِزّانَ أرباعَا

ابنَا حُلَاكةَ باعانى بلا ثَمَنٍ * وباع ذو آلِ هِزّانٍ بما باعا

يا ابنَىْ حُلَاكةَ لمّا تأخُذا ثمنى * حتّى أُقَسَّمَ أفراسًا وأدراعا

قتادةُ الخَيْرِ نالتنى حَذِيَّتُه[1] * وكان قِدْمًا إلى الخيراتِ طَلّاعا

وقال فى ذلك أيضا :

همّتْ عُكَابةُ أن تَضِيمَ بِلجيا[2] * فأبتْ بُجَيْمٌ ما تقول عُكَابَهْ

فاسْقِ بُجَيْرًا من رَحيقٍ مُدامةٍ * واسْقِ الخفيرَ وطَهِّرِى أثوابَهْ

جاءتْ حَنيفةُ قبل جَيْئةِ يَشْكُرٍ * كُلًّا وجَدْنا أوْفياءَ[3] ذُؤابَهْ

مروره برجل من بنى أسد

وزعم أبو عُبَيْدةَ أنّ الحارثَ لمّا هُزِمتْ بنو تميم يوم رَحْرَحانَ مرّ برجلٍ من بنى أَسَدِ بن خُزَيْمةَ، فقال : يا حارِ إنك مشئومٌ وقد فعلتَ ما فعلت، فانظُرْ إذا كنتَ بمكانِ كذا وكذا من بُرْقةِ رَحْرَحانَ فإنّ لى به جملًا أحمرَ فلا تَعرِضْ له . وإنما يعرّض

(١) الحذية : العطية . (٢) لجيم : اسم القبيلة بضم اللام وفتح الجيم وسكون الياء ؛ وبهذا لا يتزن الشعر . فلعل الشاعر تصرف فيه فشدد الياء . (٣) فى ب ، س : «أربياء ذؤابة» . وفى الأصول المخطوطة : «أرفياء» . ولعله يريد أنه وجد كلا الفريقين أوفياء له لأنهم أجاروه، وهم سادة فى قومهم . يقال فلان ذؤابة قومه وهم ذؤابة قومهم وذوائبهم اذا كانوا سادتهم وأشرافهم .

له ويكره أن يصرّح فيبلغَ الأسودَ فيأخذَه . فلمّا كان الحارثُ بذلك المكانِ أخذ الجملَ فنجا عليه ، وإذا هو لا يُسَايَرُ مِنْ أمامه ولا يُسْبَقُ مِنْ ورائه . فبلغ ذلك الأسودَ، فأخذ الأسودُ الأسديَّ وناسًا من قومه . وبلغ ذلك الحارثَ بنَ ظالم فقال كأنه يهجوهم لئلا يتّهمهم الأسودُ :

٥ أرانِي الله بالنَّعَمِ المُنَدّى(١) * ببُرقةِ رَحْرَحانَ وقد أرانِي
لِحَيِّ الأنكدِينَ وحيِّ عَبْسٍ * وحيِّ نَعَامةٍ وبني غُدَانِ

قال : فلمّا بلغ قولُه الأسودَ خلّى عنهم . ولحق الحارثُ بمكّة وانتمى إلى قريش؛ وذلك قولُه :

لحوقه بمكة وانتماؤه الى قريش

وما قَوْمِي(٢) بثَعْلَبةَ بنِ سَعْدٍ * ولا بفَزَارةَ الشُّعْرِ الرِّقابَا
١٠ وقَوْمِي إنْ سألتَ بنو لُؤَيٍّ * بمكّةَ علّموا مُضَرَ الضِّرَابَا

قال : فزوّده وحمله رَوَاحةُ الجُمَحيُّ على ناقة؛ فذلك قولُه :

وهَشَّ رَوَاحةُ الجُمَحيُّ رَحْلِي * بناجيةٍ(٣) ولم يَطْلُبْ ثَوَابَا
كأنّ الرَّحْلَ والأنساعَ منها * وميثَرتي(٤) كُسِينَ أَقَبَّ جَابَا

(١) كذا في س وخزانة الأدب (ج ١ ص ٢٣٦) ؛ وقد ورد هذا البيت فيها أول أبيات ستة
١٥ منسوبة لمالك بن نويرة ؛ وكذلك صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطي في نسخته . وتندية الإبل : أن يوردها الرجل الماء حتى تشرب قليلا ثم يجيء بها حتى ترعى ساعة ثم يردها الى الماء . وفي سائر الأصول : « المبدى » بالباء . يقال : أبديت الإبل وبديتها (بتشديد الدال) اذا أبرزتها الى موضع الكلأ .

(٢) في الأصول فيما سيأتي (صفحة ١٢٥) وديوان المفضليات (ص ٦١٩) والشواهد الكبرى للعيني : «فما قومي» بالفاء . والشعر : جمع أشعر ؛ يقال رجل أشعر اذا كان كثير شعر الجسد . وقد استشهد
٢٠ النحويون بهذا البيت على نصب « الرقاب » بعد الصفة المشبهة على التشبيه بالمفعول به ، أو أنه تمييز على مذهب من يجيز في التمييز أن يكون معرفة .

(٣) الناجية : الناقة السريعة تنجو بمن ركبها .

(٤) الأنساع : جمع نسع (بالكسر) وهو سير مضفور تشدّ به الرحال . والميثرة هنا : وطاء محشو يوضع على رحل البعير تحت الراكب . والأقب : الضامر . والجاب (يهمز ولا يهمز) : القوي الغليظ . يريد : كأن رحله وأدواته وضعت على عير وحشي أو ثور وحشي لقوّة الناقة التي رحل عليها وسرعتها .

بالشام عند من غسان ومقتله

— يروى "حَشّ" و"هَشّ" وهما لغتان . وحَشّ سَوّى — قال: فلحق الحارثُ بالشام بملك من ملوك غسّان — يقال [هو] (١) النعمان، و يقال بل هو يزيد بن عمرو الغسّانى — فأجاره . وكانت للملك ناقةٌ مُحْماةٌ فى عُنقها مُدْيةٌ و زِنادٌ وصُرّةُ مِلح، و إنما يختبر بذلك رعيّته هل يجترئ عليه أحدٌ منهم . ومع الحارث آمرأتان، فوَحِمتْ إحدى آمرأتيه — قال أبو عبيدة : وأصابت الناسَ سَنَةٌ شديدةٌ — فطلبتِ الشَّحْمَ اليه . قال : ويحكِ! وأنّى لى بالشحم والوَدَك! فألحت عليه، فعمَد إلى الناقة فأدخلها بطنَ وادٍ فلَبَّ فى سَبِلَتها (٢) (اى طعن) (٣). فأكلتِ آمرأتُه ورفعتْ ما بقى من الشحم فى عُكّتها . قال : وفُقِدَتِ الناقةُ فوُجِدتْ نَحيرًا لم يُؤْخَذْ منها إلا السَّنَامُ، فأعلموا ذلك الملكَ، وخفِى عليهم مَنْ فعله . فأرسلَ إلى الخِمْسِ التَّغْلِبىّ — وكان كاهنًا — فقال : مَنْ نحر الناقة؟ فذكر أنّ الحارثَ نحرها . فتذمّم (٤) الملكُ وكذّب عنه . فقال : إن أردتَ أن تعلم عِلْمَ ذلك فدُسّ آمرأةً تطلب إلى آمرأته شحمًا، ففعل . فدخل الحارثُ وقد أخرجتِ آمرأتُه اليهـا شحمًا، فعرف (٥) الداء فقتلها ودفنهـا فى بيته . فلمّا فُقِدَتِ المرأةُ قال الخِمْسُ: غالَها ما غالَ الناقة، فإنْ كره الملكُ أن يفتّشه عن ذلك فليأمُرْ بالرحيل، فإذا ارتحل بُحِث بيتُه، ففعل . واستثار الخِمْسُ مكانَ بيته، فوثب عليه الحارثُ فقتله، فأخذ الحـارثُ فحُبِس . فاستسقى ماءً فأتاه رجلٌ بمـاء فقال : أتشرَبُ؟ فأنشأ الحارث يقول :

لقد قال لى عنـد المجاهِدِ (٦) صاحبى * وقد حِيلَ دونَ العَيْش (٧) هل أنت شاربُ
وَدِدْتُ بأطـرافِ البَنَـانِ لَوَ انّنِى * بذى أُرْوَنَى ترمى ورائى الثعـالبُ

(١) زيادة وضعها الشنقيطى، وهى ضرورية . (٢) سبلة البعير هنا : ثغرة نحره . (٣) يقال : لب البعير إذا ضرب به فى لبته أى طعنه فى منحره . (٤) تذمم : استنكف . (٥) فى ب، س : « فعرف الرأى » . (٦) المجاهد : الشدائد . (٧) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « دون الميش » . والميش : الخلط ، كخلط الشعر بالصوف، والصدق بالكذب، والهزل بالجد، واللبن الحلو باللبن الحامض، وهو لا يتفق مع السياق هنا .

— الثعالب : من مُرّةَ وهم رُماةٌ . أَرْوَني : مكانٌ . وقال مَرّةً أخرى : الثعالب بنو ثَعْلبة . يقول : كانوا يرمون عنّى ويقومون بأمرى — قال : فأمر الملك بقتله. فقال : إنك قد أجرتَنى فلا تَغْدِرْني [1] . فقال : لا ضيرَ! إن غَدَرْتُ بكَ مرّةً فقد غدرت بى مرارًا . فأمر مالكَ بنَ الخِمْس التغلبيّ أن يقتلَه بأبيه . فقال : يابنَ شَرّ الأظماء أنت تقتلنى! فقتله . وقال ابن الكلبيّ : لمّا قام ابن الخِمس إلى الحارث ليقتلَه قال : مَنْ أنت ؟ قال : ابنُ الخِمْس . قال : أنت ابنُ شَرّ الأظماء . قال : وأنت ابنُ شرّ الأسماء؛ فقتله . فقال رجلٌ من ضرى [2] — وهم حَىٌّ من جُرْهُم — يرثى الحارثَ بن ظالم :

يا حارِ حِنِّيّــا [3] * حُــرًّا قُطَامِيّا

ما كنت تِرْعِيّا [4] * فى البيت ضُجْعِيّا

أَدْعِى [5] لُبَـاخِيّا [6] * مُمَــلَّأً عِيّــا

وأخذ ابنُ الخِمْس سيفَ الحارثِ بنِ ظالم المغلوبَ ، فأتى به سُوقَ عُكَاظَ فى الحَرَم ، فجعل يَعْرِضه على البيع ويقول : هذا سيفُ الحارث بن ظالم . فاسْتَرْآه [7] إيّاه قيسُ بن زُهَيْر بن جَذِيمةَ فأراه إيّاه، فعلاه به حتى قتله فى الحَرَم . فقال قيس بن زُهَير [8] يرثى الحارثَ بن ظالم :

(١) يقال غدره ، وغدر به . (٢) فى أ ، م : «من فرس» . ولم نجد هاتين الكلمتين فى أسماء القبائل . (٣) كذا فى الأصول . ولعل حنيا : منسوب الى الحن (بكسر الحاء) وهو حىّ أو ضرب من الجن . والقطامى (قيس يفتحون القاف وسائر العرب يضمون) : الصقر، ويستعمل فى غير الصقر على التشبيه به . (٤) الترعى ومثله الترعية (بكسر التاء وضمها وتشديد الياء) : الذى يجيد رعية الإبل ؛ لأنه يحسن الالتماس والارتياد للكلأ ، وهذا من عمل أصاغر النـاس لا السادة والأشراف . والضجعى بكسر (الضاد وضمها) : الذى يلزم البيت لا يكاد يبرح منزله ولا ينهض لمكرمة .

(٥) لعلها «تدعى» لأن الظاهر أنه خطاب للحارث . (٦) لباخى : ضخم كثير اللحم .

(٧) استرآه إياه : طلب اليه أن يريه إياه . وفى الأصول : «فاشتراه» وهو تصحيف .

(٨) كذا فى س . وفى سائر الأصول : «قيس بن زحك» .

ما قَصَرتْ[(1)] من حاضنٍ سِتْرَ بَيْتِها * أَبَرَّ وأوْفَى منــك حَارِ بنَ ظَالِمِ
أعزَّ وأحْمَى[(2)] عنــد جارٍ وذِمَّــةٍ * وأضْرَبَ فى كابٍ من النَّقْـعِ قاتِمِ

هــذه رواية أبى عُبَيدةَ والبَصْريّين . وأمّا الكوفيون فإنهم يذكرون أنّ النُّعمان بن المنذر هو الذى قتله . أخبرنى بذلك علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سَعيد عن محمد بن حَبِيب عن آبن الأعرابىّ عن المُفَضَّل قال :

لمّــا هرَب الحارثُ إلى مكة أسِفَ النُّعمانُ بنُ المُنْــذِرِ على فَوْته إيّاه ، فلَطُفَ[(3)] له وراسَله وأعطاه الأمانَ ، وأشهد على نفسه وجوهَ العرب من رَبِيعةَ ومُضَرَ واليمن أنه لا يطلبــه بذَحْلٍ ولا يسوءه فى حال ، وأرسل به مع جماعةٍ لِيَسْكُنَ الحــارثُ اليهم ، وأمرهم أن يتكفّلوا له بالوفاء ويَضْمَنوا له عنه أنه لا يَهِيجه ، ففعلوا ذلك . وسكَن اليه الحارث ، فأتى النعمانَ وهو فى قصر بنى مُقَاتِل ، فقال للحاجب : آستأذِنْ لى ، والناسُ يومئذ عند النعمان متوافرون ، فآستأذن له ، فقال النعمان : ائذَنْ له وخُذْ سيفَه . فقال له : ضَعْ سيفَك وآدخُلْ . فقال الحارث : ولِمَ أضَعُه؟ قال : ضَعْه ، فلا بأسَ عليك . فلمّا ألحّ عليه وضعه ودخل ومعه الأمانُ . فلمّا دخل قال : أنْعِمْ صباحًا أَبَيْتَ اللّعْنَ . قال : لا أنعمَ الله صباحَك ! . فقال الحارث : هذا كتابك ! . قال النُّعمان : كتابى والله ما أُنكره ، أنا كتبتُه لك ، وقد غَدَرْتَ وفتكتَ مِرارًا ، فلا ضَيْرَ أن غَدَرتُ بك مرّة . ثم نادى : مَنْ يقتل هذا؟ فقام ابن الخِمْس التغلبىّ — وكان الحارثُ فتَك بأبيه — فقال : أنا أقتله . وذكر باقىَ الخبر فى قصّته مع ابن الخِمْس [مثلَ] ما ذكر أبو عُبَيدة .

(١) قصر الستر : أرخاه . ولعل نصب « أبر » على حذف الجار؛ أى ما أرخت حاضن ستر بيتها على أبر وأوفى منك ... الخ . (٢) فى أ ، م : «وأوفى» . (٣) فى أساس البلاغة أنه يقال فى الملاينــة « آلطف له فى القول » .

خبر الحارث وعمرو بن الإطْنابة

وإنما ذُكر هاهنا لاتّصاله بمَقْتَل خالدِ بن جعفر، ولأنّ فيما تَناقَضاه من الأشعار أغانىَ صالحٌ ذِكرُها فى هذا الموضع .

٣٠
١٠

غضب عمرو بن الإطنابة على الحارث لقتله خالدا وشعره فى ذلك

قال أبو عُبَيدَة : كان عَمْرو بن الإطْنابة الخزرجىُّ مَلِكَ الحجاز، ولمّا بلغه قتلُ الحارثِ بن ظالم خالدَ بنَ جعفرٍ، وكان خالدٌ مصافياً له ، غَضِب لذلك غضباً شديداً ، وقال : والله لو لَقِيَ الحارثُ خالداً وهو يقْظانُ لَمَا نظر اليه ، ولكنه قتلَه نائماً ، ولو أتانى لعرَف قَدْرَه ، ثم دعا بشرابه ووضع التاج على رأسه ودعا بقِيانه ، فتغنَّيْنَ له :

عَلِّلانى وعَلِّلا صاحِبيَّا * وٱسْقِيانى من المُرَوَّقِ رِيّا (١)
إنّ فينا القِيانَ يَعْزِفْنَ بالدُّ * فِّ لِفِتْيانِنا وعيشاً رَخِيّا (٢)
يَتَبارَيْنَ فى النَّعيم ويَصْبُبْـ * ـنَ خِلالَ القُرونِ مِسْكاً ذَكِيّا
إنّما هَمُّهنّ أنْ يَتَحلَّيْـ * ـنَ سُموطاً وسُنْبُلاً فارِسيّا
من سُموطِ المَرْجانِ فُصِّلَ بالشَّذْ * رِ فأَحْسِنْ بحَلْيِهنّ حُلِيّا
وفتًى يَضرِب الكَتيبةَ بالسَّيْـ * ـفِ إذا كانتِ السيوفُ عِصِيّا
إنّنا لا نُسَرُّ فى غير نَجْدٍ * إنّ فينا بها فتًى خَزْرَجِيّا
يدفَع الضَّيْمَ والظُّلامةَ عنها * فتَجافَى عنه لنا يامَنِيّا
أَبْلِغِ الحارثَ بنَ ظالمٍ الرِّعْـ * ـديدَ والناذرَ النُّذُورَ عَلَيّا
أنّما يَقْتُلُ النِّيامَ ولا يقـ (٣) * ـتلُ يَقْظانَ ذا سلاحٍ كَمِيّا (٤)

(١) المروق من الشراب : المصفى . (٢) العيش الرخى : الناعم . (٣) فى كتاب سيبويه : « أنما تقتل ... ... » بتاء الخطاب . (٤) الكمىّ : الشجاع المتكمى فى سلاحه ، لأنه كمى نفسه أى سترها بالدرع والبيضة ، والجمع كماة ، كأنهم جمعوا كاميا مثل قاض وقضاة .

وَمعِى شِكّتِى[1] مَعَابِلُ كالجمـ * ـرِ وأعددتُ صارماً مَشْرَفيّا

لو هبطتَ البلادَ أَنْسيتُكَ القتـ[2] * ـلَ كما يُنْسِئُ النَّسِئُ النَّسِيّا

مسير الحارث الى عمرو وانخذال عمرو عنه وشعر الحارث فى ذلك

قال : فلمّا بلغ الحارثَ شعرُه هذا ازداد حَنَقاً وغيظاً ، فسار حتى أتى ديارَ بنى الخَزْرَج ، ثم دنا من قُبّة عَمْرو بن الإطْنَابةِ ، ثم نادى : أيها الملك أغِثْنى فإنى جارٌ مكثورٌ[3] وخُذْ سِلاحك ، فأجابه وخرج معه . حتى إذا برز له عطَف عليه الحارثُ وقال : أنا أبو لَيْلَى ! فاعتركا مَلِيّاً من اللّيل . وخشِى عمرٌو أن يقتلَه الحارثُ فقال له : يا حارِ ، إنى شيخٌ كبيرٌ وإنّى تعترينى سِنَةٌ ، فهل لك فى تأخير هذا الأمر إلى غدٍ ؟ فقال : هيهاتَ ! ومَنْ لى به فى غدٍ ! فتجاولا ساعةً ، ثم ألقى عمرٌو الرُّمْحَ من يده وقال : ياحارِ ألم أُخْبِرْك أنّ النُّعَاسَ قد يغلبنى ! قد سقَط رمحى فاكْفُفْ ، فكفّ . قال : أنظِرْنى إلى غدٍ . قال : لا أفعل . قال : فدَعْنِى آخُذْ رُمْحِى . قال : خُذْه . قال : أخشَى أن تُعْجِلَنى عنه أو تفتِكَ بى إذا أردتُ أخْذَه . قال : وذِمّة ظالِمٍ لا أعجلتُك ولا قاتلتُك ولا فتكتُ بك حتى تأخذَه . قال : وذِمّةِ الإطْنابةِ لا آخذُه ولا أقاتلك . فانصرف الحارثُ إلى قومه وقال مُجِيباً له :

اِعْزِفَا لى بلَـذّةٍ قَيْنَتَيّا * قبلَ أن يبكرَ المنونُ عَلَيّا

قبلَ أن يُبْكِرَ العواذلُ إنّى * كنتُ قِدماً لأمْرِهنّ عَصِيّا

ما أُبالِى أراشداً فاصْبَحَانِى * حَسِبتْنِى عَوَاذِلى أم غَوِيّا

بعدَ ألّا أُصِرّ لله إثماً * فى حياتى ولا أخونَ صَفِيّا

---

(١) فى ج : « ومعى شكتى » . وفى سائر الأصول : « ومعى مشتكى معابل ... » . والشكة : السلاح . والمعابل : جمع معبلة (بكسر الميم) وهى نصل طويل عريض . والمشرفى من السيوف : المنسوب الى المشارف ، وهى قرى من أرض اليمن ، وقيل من بلاد العرب تدنو من الريف .

(٢) كذا ورد هذا البيت . (٣) مكثور : كثر أعداؤه أى غلبوه بكثرتهم .

من سُلافٍ كأنها دمُ ظَبْيٍ[1] * فى زُجَاجٍ تخالُه رَازِقِيّا[2]

بلغتْنا مقالةُ المرءِ عمرٍو * فأنِفْنا وكان ذاك بَدِيّا

قد هَمَمْنا بقتلِه إذ بَرَزْنا * ولَقِيناه ذا سلاحٍ كَمِيّا

غيرَ ما نائمٍ تعلَّل بالحُلْـ * ـمِ مُعِدًّا بكفِّه مَشْرَفِيّا

فَمَنَنَّا عليه بعد عُلُوٍّ * بوفاءٍ وكنتُ قِدْمًا وَفِيّا

ورجعنا بالصَّفْحِ عنه وكان الـ * ـمَنُّ منا عليه بعدُ تَلِيّا

٣١/١٠

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

الغناء فى شعر عمرو والحارث

منها فى شعر عمرو بن الإطنابة :

صوت

عَلِّلانى وعَلِّلا صاحِبَيّا * وٱسْقِيانى مِنَ المُرَوَّقِ رِيّا

إنّ فينا القِيانَ يعزِفن بالدفّ * لفِتْيانِنا وعيشًا رَخِيّا

غنّته عَزّةُ المَيْلاءُ من رواية حمّاد عن أبيه خفيفَ رملٍ بالوسطى . قال حمّاد أخبرنى أبى قال بلغنى أنّ معبدًا قال : دخلتُ على جَميلةَ وعندها عَزّةُ الميلاءُ تغنّيها لحنًا فى شِعْر عمرو بن الإطنابةِ الخزرجىّ :

* علِّلانى وعلِّلا صاحبيّا *

على مِعْزَفةٍ[3] لها وقد أَسَنّت، فما سمعتُ قطُّ مثلَها وذهبتْ بعقلى وفتنتنى، فقلت : هذا وهى كبيرة مُسِنّةٌ ! فكيف بها لو أدركتُها وهى شابّة ! وجعلتُ أَعجَب منها .

(١) يصف الخمر بطيب الريح ، فشبهها بدم الظبى وهو المسك ؛ فان المسك من دماء الظباء .

(٢) الرازقى : الكتان أو ثياب بيض تتخذ منه ، والرازقى أيضا : ضرب من عنب الطائف أبيض طويل الحب . (٣) المعزفة : آلة العزف . وفى الأصول : «معرفة» بالراء المهملة وهو تصحيف .

ومنها فى شعر الحارث بن ظالم :

صــــوت

ما أُبالى إذا ٱصطبحتُ ثلاثاً * أرشيداً حَسِبْتَنى أم غَوِيّاً

مِن سُلَافٍ كأنها دمُ ظَبْيٍ * فى زُجاجٍ تخالُه رازِقِيّا

غنّاه فُلَيْحُ بن أبى العَوْراء رملًا بالبنصر عن عمرو بن بانة . وغنّاه ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالخنصر من رواية حَبَش . ٥

ومنها :

صــــوت

بلغتْنا مقالةُ المرءِ عمرٍو * فأنِفْنا وكان ذاك بَدِيّا

قد همَمْنا بقتلِه إذ برَزْنا * ولَقِيناه ذا سَلاحٍ كَمِيّا ١٠

غنّاه مالكٌ خفيفَ رملٍ بالبنصر من رواية حبش، وذكر إسحاق فى مُجَرَّده أنّ الغناء فى هذين البيتين ليونس الكاتب، ولم يَنْسُب الطريقة ولا جَنَّسها .

* * *

يوم رحرحان الثانى والسبب فيه

ونذكر ها هنا خبر رَحْرَحانَ ويومَ قتله إذ كان مقتَلُ الحارث وخبرُه خبرَهما ١٥

أخبرنى علىّ بن سليمان ومحمد بن العبّاس اليَزيدىّ فى كتاب النقائض قالا قال أبو سَعيد الحسنُ بن الحسين السُّكّرىّ عن محمد بن حَبيبَ عن أبى عُبَيْدَة قال :

كان من خبر رَحْرَحانَ الثانى[(1)] أنّ الحارثَ بنَ ظالمٍ المُرّىّ لمّا قتل خالدَ بن جعفر ابنِ كلابٍ غَدْراً عند النُّعمان بن المُنْذِر بالحِيرة هرَب فأتى زُرَارةَ بن عُدُس فكان

(١) يوم رحرحان الأوّل كان بين دارم وعامر بن صعصعة . (راجع الحاشية رقم ١ ص ٢١ ج ٥ من هذه الطبعة من الأغانى) . ٢٠

عنده ، وكان قوم الحارث قد تشاءموا به فلاموه ، وكَرِه أن يكون لقومه زَعْمٌ عليه
و — الزعم المِنّة — فلم يَزَل فى بنى تميم عند زُرَارةَ حتى لحِق بقُرَيْش . وكان يقال : إنّ (١) ٣٢/١٠
مُرّةَ بن عَوْفٍ من لُؤَىّ بن غالب ، وهو قول الحارث بن ظالم ينتمى إلى قريش :

رفعتُ السَّيْفَ إذ قالوا قُرَيْشٌ * وبيَّنْتُ الشَّمائـلَ والقِبَابَا (٢)
فما قَوْمِى بثَعْلَبةَ بنِ سَعْدٍ * ولا بفَزارةَ الشُّعْرِ الرِّقابَا ٥

وأتاهم لذلك النَّسَب ، فكان عند عبد الله بن جُدْعانَ . فخرجتْ بنو عامر إلى
الحارثِ بن ظالم حيث لجأ إلى زُرَارةَ وعليهم الأحْوَصُ بنُ جعفر ، فأصابوا امرأةً
من بنى تميم وجدوها تَحْتَطِب ، وكان [فى] رأس الخيل التى خرجتْ فى طلب (٣)
الحارث بن ظالم شُرَيْحُ بنُ الأحْوَص ، وأصابوا غِلْماناً يجتنُون الكَمْأةَ . وكان
١٠ الذى أصاب تلك المرأةَ رجلًا من غَنِىّ ، فأرادتْ بنو عامر أخْذَها منه ، فقال
الأحوصُ : لا تأخذوا أُخَيذةَ خالى . وكانت أُمُّ جعفر (يعنى أبا الأحوص) (٤)
خَبِيّةَ بنتَ رِيَاح [الغَنَوِىّ] وهى إحدى المُنْجِبات . ويقال : أَتَى شُرَيْحُ بن (٣)

(١) عبارة النقائض : « وكان يقال إن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان هو مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب ، وهو قول الحارث بن ظالم حين انتهى الى قريش . رفعت السيف ... الخ » .

١٥ (٢) كذا فى ديوان المفضليات والنقائض . وفى الأصول : « والعتابا » ما عدا ج فان الإعجام فيها غير واضح . يقول : أظهرت لهم ما تجن صدورنا وتشتمل عليه أحشاؤنا من الود المكنون . ومعنى رفعت السيف : أريت الناس زوال الخلاف بيننا وأن آلة الحرب موضوعة فينا مستغنى عنها . (عن هامش المفضليات طبع مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٢٠ م نقلا عن شرح المرزوقى للفضليات نسخة برلين) . ورواية المفضليات : «رفعت الرمح ... وشبهت ... » . (٣) الزيادة من النقائض

٢٠ (طبعة أوربا صفحة ١٠٦١) . (٤) وردت هذه العبارة فى الأصول هكذا : « وكانت أم جعفر خبية يعنى أبا الأحوص بنت رياح » . وظاهر أن النساخ قد وضعوا « خبية » فى غير موضعها . وعبارة النقائض : « وكانت أم بنى جعفر خبية بنت رياح الغنوى ... » .

الأحْوَص بتلك المرأة [اليه] (١)، فسألها عن بنى تميم، فأخبرتهم أنهم لحِقوا [بقومهم] (١) حين بلَغهم مجيئكم. فدفَعها الأحوصُ الى الغنوىّ فقال: اعْفِجْها (٢) الليلةَ واحْذَرْ أن تنفلت. فوَطِئها الغنوىُّ ثم نام، فذهبتْ على وجهها. فلمّا أصبح دعَوْا بها فوجدوها قد ذهبتْ. فسألوه عنها فقال: هذا حِرِى رَطْباً من زُبّها. وكانت المرأة يقال لها حنظلة (٣)، وهى بنت أخى زُرَارةَ بن عُدُس. فأتتْ قومَها، فسألها عمُّها زُرارةُ عمّا رأتْ، فلم تستطع أن تَنْطِق. فقال بعضهم: اسقُوها ماءً حاراً فإن قلبها قد بَرَد من الفَرَق، ففعلوا وتركوها حتى اطمأنّت. فقالت: يا عَمِّ! أخذنى القومُ أمْسِ وهم فيما أرَى يُريدونكم، فاحْذَرْ أنت وقومُك. فقال: لا بأسَ عليكِ يا بنتَ أخى، فلا تَذْعَرِى قومَكِ ولا تُرَوِّعيهم، وأخبِرِينى ما هيئةُ [القوم وما] (١) نَعْتُهم. قالت: أخذنى قومٌ يُقْبِلون بوجوه الظِّباء، ويُدْبِرون بأعجاز النِّساء. قال زُرارة: أولئك بنو عامر، فمَنْ رأيتِ فيهم؟ قالت: رأيتُ رجلًا قد سقَط حاجباه على عينيه فهو يرفَع حاجبيه، صغيرَ العينين، عن أمره يَصْدُرون. قال: ذاك الأحْوَصُ بن جعفر. قالت: ورأيتُ رجلًا قليل المَنْطِق، إذا تكلّم اجتمع القومُ لمَنْطِقه كما تجتمع الإبلُ لِفَحْلها، وهو من أحسن الناس وجهًا، ومعه ابنانِ له لا يُدْبِر أبدًا إلّا وهما يَتْبَعانه، ولا يُقْبِل إلّا وهما بين يديه. قال: ذلك مالكُ بن جعفر، وابناه عامرٌ وطُفَيْلٌ. قالت: ورأيتُ رجلًا أبيضَ هِلْقامةً جَسِيماً — والهلقامة الأفوه (٤) —. قال: ذلك رَبِيعةُ بن عبد الله ابن أبى بكر بن كِلَاب. [قالتْ: ورأيتُ رجلًا أسْوَدَ أخْنَسَ قصيرًا، إذا تكلّم عَذَمَ (٥) القوم عَذْمَ المنخوس. قال: ذلك رَبِيعةُ بن قُرْط بن عَبْد بن أبى بكر بن كِلَاب] (١).

(١) التكملة من النقائض. (٢) كذا فى ب، س والمفج: الجماع. وفى سائر الأصول: «اعجفها» وهو تحريف. وفى النقائض: «اكفتها» أى ضمها اليك. (٣) فى النقائض «حنطلة». (٤) الأفوه: العظيم الفم. (٥) أصل العذم: العض، والمراد هنا اللوم.

قالت : ورأيتُ رجلاً صغيرَ العينين ، أقرنَ الحاجبين ، كثيرَ شَعَرِ السَّبلَةِ ، يسيل لُعَابُه على لِحْيته إذا تكلَّم . قال : ذلك حُنْدُجُ بن البَكّاء . قالت : ورأيتُ رجلاً صغيرَ العينين ، ضيِّق الجَبْهةِ طويلاً ، يقود فرسًا له ، معه جَفيرٌ لا يُجاوزُ يدَه . قال : ذلك ربيعةُ بن عقيل . قالت : ورأيتُ رجلاً آدَمَ ، معه ابنانِ له حَسَنَا الوجهِ

٥ أصهبانِ ، إذا أقبلا نظر القومُ اليهما [حتى ينتهيا ، وإذا أدبرا نظروا إليهما](١) . قال : ذلك عمرو بن خُوَيْلِدِ بنِ نُفَيْلِ بن عمرو بن كِلاَبٍ ، وآبناه يزيدُ وزُرْعةُ . ويقال قالت : ورأيتُ فيهم رَجُلَيْنِ أحمَرَيْنِ جسيمَيْنِ ذَوَىْ غدائرَ لا يَفْترِقانِ فى مَمْشًى ولا مَجْلِس ، فاذا أدبرا اتّبعهما القوم بأبصارهم ، وإذا أقبلا لم يزالوا ينظرون اليهما حتى يجلسا . قال : ذانك خُوَيلِدٌ وخالد ابنا نُفَيْلٍ . قالت : ورأيتُ رجلاً آدَمَ جسيماً

٣٣/١٠

١٠ كأنّ رأسَه مجزُّ(٢) غَضْورةٍ — والغضورةُ : حشيشٌ دُقَاقٌ خَشِنٌ قائم يكون بمكة . تريد أنّ شعرَه قائم خَشِنٌ كأنه حشيشٌ قد جُزَّ — . قال : ذلك عَوْفُ بن الأحْوَص . قالت : ورأيتُ رجلاً كأنّ شعرَ فَخِذَيْه حَلَقُ الدُّروع . قال : ذلك شُرَيْحُ بن الأحْوَص . قالت : ورأيتُ رجلاً أسمرَ(٣) طويلاً يجول فى القوم كأنه غريبٌ . [قال : ذلك عبد الله بن جَعْدَةَ . ويقال قالت : ورأيتُ رجلاً كثيرَ شعرِ الرأس ، صَخَّاباً لا يَدَعُ

١٥ طائفةً من القوم إلّا أصخبها](١) . قال : ذلك عبد الله بن جعدة بن كَعْب بن رَبيعةَ ابن عامر بن صَعْصَعةَ .

أسر معبد بن زرارة ومقتله

فسارتْ بنو عامر نحوَهم ، والتقوا برَحْرَحانَ ، وأُسِر يومئذ مَعْبَدُ بن زُرَارةَ ، أَسَره عامرُ بن مالكٍ ، واشترك فى أَسْرِه طُفَيْلُ بن مالك ورجلٌ من غَنِيٍّ يقال له أبو عُمَيْلةَ وهو عِصْمةُ بن وَهْبٍ وكان أخا طُفَيْلِ بن مالك من الرَّضاعة . وكان مَعْبَدُ

٢٠ (١) التكملة من النقائض . (٢) فى الأصول : «مجن غضورة» . والتصويب من النقائض .
(٣) فى النقائض : « أشم طويلا » .

ابن زُرَارَةَ [رجلًا كثيرَ المـال . فوفَد لَقِيطُ بن زُرَارَةَ](١) على عامر بن مالك فى الشهر الحـرام وهو رَجَبٌ ، وكانت مُضَرُ تدعوه الأصمّ ؛ لأنهـم كانوا لا يَتَنَادَوْنَ فيـه يا لَفُلَانٍ و يا لفـلانٍ، ولا يَتَغَازَوْنَ ولا يَتنـادَوْنَ فيه بالشِّعاراتِ(٢) ، وهو أيضـا مُنْصِلُ الأَلِّ . والأَلُّ : الأسِـنّةُ؛ كانوا إذا دخل رَجَبٌ أنصلوا(٣) الأسِنّةَ من الرِّماح حتى يخرجَ الشهر . وسأل لقيطٌ عامرًا أن يُطْلِق أخاه . فقـال : أمّا حِصَّتى فقـد وهبتُها لك ، ولكن أرْضِ أخى وحَلِيفِى اللَّذَيْنِ اشـتركا فيه . فجعل لَقِيطٌ لكلّ واحدٍ مائةً من الإبل ، فَرَضِيا وأتيـا عامرًا فأخبراه . فقـال عامرٌ لِلَقِيط : دُونَك أخاك ، فأطْلَقَ عنـه . فلمّـا أُطْلِقَ فكَّر لَقِيطٌ فى نفســه فقال : أعطيهم مائتى بعيرٍ ثم تكون لهم النعمةُ علىّ بعـد ذلك ! لا والله لا أفعل ذلك ! ورجع الى عامر فقـال : إنّ أبى زُرَارةَ نهـانى أن أزيد على مائةٍ دِيَةِ مُضَرَ ، فإنْ أنتم رَضِيتم أعطيتُكم مائةً من الإبل . فقالوا : لا حاجةَ لنا فى ذلك؛ فانصرف لقيطٌ . فقال له مَعْبَدٌ : مالى يُخرِجنى من أيديهم . فأبى ذلك عليـه فقال : إذًا يقتسم العربُ بنى زُرَارةَ . فقال معبدٌ لعامر بن مالك : يا عامر! أنشُدُك اللهَ لمّـا خَلَّيْتَ سبيلى ، فإنمـا يريد ابنُ الحمراء أن يأكلَ كلَّ مالى ــ ولم تكن أمُّه أمَّ لقيط ــ . فقال له عامر : أبعَدك الله! إنْ لم يُشْفِقْ عليك أخوك فأنا أحَقُّ ألّا أُشْفِقَ عليك . فعمَدوا الى مَعْبَدٍ فشَدُّوا عليـه القِدَّ و بعثوا به الى الطائف، فلم يَزَلْ به حتى مات . فذلك قولُ شُرَيْحِ بن الأحوَص :

لَقِيـطُ وأنت آمرؤٌ ماجدٌ * ولكنّ حِلْمَـكَ لا يَهْتَـدِى

(١) فى الأصول : « وكان معبـد بن زرارة أغار على عامر بن مالك ... » . والتكملة والتصويب من النقائض .
(٢) كذا فى حـ والنقائض . وشـعار القوم : علامتهم واصـطلاحهم الذى يتنادون به فى الحرب . وكان شعار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوهم : « يا منصور أمت أمت » . وفى سائر الأصول : « بالثارات » .
(٣) أنصل السنان من الرمح : أزاله عنه .

وَلَمَّا أَمِنْتَ وساغ الشَّرا * بُ واحتلّ بيتك فى ثَهْمَدِ (١)

رفعتَ برجليك فوق الفِرَا * شِ تُهدِى القصائدَ فى مَعْبَد

وأسلمتَه عند جِدِّ القِتَالِ * وتبخل بالمالِ أن تَفْتَدِى (٢)

شعر لعوف بن عطية يعير لقيطا

وقال فى ذلك عَوْفُ بن عَطِيّة بن الخَرِع (٣) التَّيْمىُّ يعيِّر لقيطَ بنَ زُرَارَةَ :

٥ هَلَّا فوارِسَ رَحْرَحانَ هَجَوْتَهم * عُشَرًا تَنَاوَحُ فى سَرَارَةِ وَادِ (٤)

لا تأكلُ الإبِلُ الغِراثُ نَبَاتَه * ما إن يقومُ عِمادُه بعِمَادِ (٥)

هَلَّا كَرَرْتَ على أُخَيِّكَ (٦) مَعْبَدٍ * والعامرىُّ يقودُه بصِفَادِ

وذكرتَ من لَبَنِ المُحَلَّقِ شَرْبَةً * والخيلُ تعدو بالصِّفَاحِ بَدَادِ

ـــ بَدَادِ (٧) : متفرقة . والصِّفَاحُ : موضع . والمحلَّق : موسومة بحَلَقٍ على وجوهها .

١٠ يقول ذكرتَ لبنها، يعنى إبلَه ـــ

٣٤/١٠

لو كنتَ إذ لا تستطيعُ (٨) فديتَه * بِهِجَانِ أُدْمٍ طارفٍ وتِلَادِ

---

(١) ثهمد : جبل أحمر فارد بديار غنىّ .

(٢) فى الأصول : « يفتدى » بالمثناة من تحت . والتصويب من النقائض .

(٣) فى الأصول : « الجزع » بجيم وزاى معجمة وهو تصحيف .

١٥ (٤) العشر : من العضاه ، وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو، وهو عريض الورق ، ينبت صعدا فى السماء . وتناوح : تتقابل . وسرارة الوادى : وسطه وهى أفضل موضع فيه . يهجو فوارس رحرحان وهم قوم لقيط بن زرارة بأنهم لهم مظهر وليس لهم مخبر مثل عشر سرارة الوادى .

(٥) أى هو أضعف العماد . والغراث : الجياع . يصف فى هذا البيت الشجر الذى ذكره بأنه كريه وضعيف . ويروى : « إذ لا يقوم » و « أو لا يقوم » . (النقائض صفحة ٢٢٨) .

٢٠ (٦) كررت : رجعت . ويروى : «على ابن أمك» . قال أبو عبيدة : «وإنست أمهما واحدة ولكن لهما أمهات تجمعهما فوق ذلك» . (٧) كلمة « بداد » مبنية على الكسر .

(٨) كذا فى جـ والنقائض . وفى سائر الأصول : « يستطيع » بياء مثناة من تحت .

لكنْ تَرَكْتَهُ فى عَميقٍ قَعْرُها * جَزَرًا لخامعةٍ[1] وطيرٍ عوَادِ

لو كنتَ مُسْتَحِيًا[2] لعِرْضِك مرّةً * قاتلتَ أو لَفَدَيْتَ بالأذواد[3]

وفيها يقول نابغةُ بنى جَعْدَةَ :

هَلّا سألتَ بيومَىْ رَحْرَحانَ وقد * ظَنّتْ هَوَازِنُ أنّ العِزّ[4] قد زَالَا

ما قاله الشعراء فى وقعة رحرحان

وفيها يقول مِقْدامٌ أخو [بنى][5] عُدُس بن زَيْدٍ[6] فى الإسلام، وقتلتْ بنو طُهَيّةَ ابنًا للقَعْقَاع بن مَعْبَد، فتَوادَوْا[7] فأخذتْ بنو طُهَيّةَ منهم الفَضْلَ :

وأنتم بنــو ماءِ السماءِ زعمتمُ * ومات أبوكم يا بَنِى مَعْبَدٍ هَزْلَا

وقال المُخَبَّلُ السَّعْدىُّ يذكر مَعْبَدًا :

فإنْ تَكُ نالتْنا كُلَيْبٌ بِقِرّةٍ * فيومُك فيهم بالمصيفةِ أَبْرَدُ

هم قَتَلُوا يومَ المصيفةِ مالكًا * وشاطَ[8] بأيديهم لَقِيطٌ ومَعْبَدُ

وفيها يقول عِيَاضُ بن مَرْثَد بن أُسَيْد بن قُرَيْط بن لَبِيد فى الإسلام :

نحن أَسَرْنا مَعْبَدًا يوم مَعْبَدٍ * فما ٱفْتَكَّ حتى مات من شِدّة الأَسْرِ

ونحن قتلنا بالصَّفَا بعد مَعْبَدٍ * أخاه بأطرافِ الرُّدَيْنِيّةِ السُّمْرِ

---

(١) الخامعة : الضبع، لأنها تخمع (تعرج) إذا مشت . ورواية النقائض وخزانة الأدب : « لجيألة » . وجيألة (ومثلها جيأل) : اسم علم للضبع . (٢) مستحيا : مستبقيا، وهو وصف من «استحى» لغة فى «استحيا» . (٣) الذود : القطيع من الإبل، ولا يكون إلا من الاناث . واختلف فى مقدار الذود، فقيل من ثلاث الى تسع، وقيل من ثلاث الى خمس عشرة، وقيل فيه غير ذلك .

(٤) فى جـ : « العسر » بمهملتين . وفى سائر الأصول : « القر » والتصويب من الأغانى (ج ٥ ص ١٥ من هذه الطبعة) . وفى النقائض : «أن الغى» . (٥) الزيادة عن النقائض .

(٦) فى أكثر الأصول : « ابن يزيد » والتصويب عن جـ والنقائض .

(٧) فى الأصول : « فتنادوا فأجابت » . والتصويب عن النقائض . وتوادوا أى دفع كل من الفريقين ديات قتلى الآخر . (٨) شاط هنا : هلك .

***

وهذا يوم شِعْبِ جَبَلَةَ :

قال أبو عُبَيدةَ : وأمّا يوم جبلةَ ، وكان من عِظَام أيّام العرب ،وكان عِظَامُ أيّام العرب ثلاثةً : يوم كُلَابِ[1] رَبيعةَ[2] ،ويوم جَبَلَةَ ،ويومَ ذِى قارٍ[3] . وكان الذى هاج يوم جَبَلةَ أنّ بنى عَبْسِ بن بَغِيضٍ حين خرجوا هاربين من بنى ذُبْيانَ بن بَغِيضٍ وحاربوا[4]

السبب فى يوم جبلة

(١) كانت هذه الأيام كذلك لكثرة من كان فيها من المقاتلين . (٢) كذا فى الأصول . وعبارة النقائض : « وكانت عظام أيام العرب ثلاثة أيام يوم الكلاب ، ويوم ذى قار لربيعة ، ويوم جبـلة » . والكلاب : ماء لبنى تميم بين الكوفة والبصرة ، بين أدناه وأقصاه مسيرة يوم ، أعلاه مما يلى اليمن وأســفله مما يلى العراق . وللعرب فى الكلاب يومان عظيمان : الأوّل كان بين شرحبيل وسلمة ابنى الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار، وهو جدّ امرئ القيس الشاعر . وذلك أن الحارث كان قد فرق أولاده ملوكا على القبائل . فلما مات تفاسد ما بين القبائل ، فوقعت حرب بين ابنه شرحبيل ومعه بكر والرباب و بنو يربوع ، وابنه سلمة ومعه تغلب والنمر وبهراء ، فقتل شرحبيل يومئذ وانهزمت شيعته .

وأما يوم الكلاب الثانى فان بنى تميم كانوا أغاروا على لطيمة (عير تحمـل طيبا) لكسرى ؛ فأوقع بهم كسرى بهجر حتى وهنوا ؛ و يقال لهذا اليوم يوم الصفقة . فخشيت تميم أن تغير عليهم القبائل لما صاروا اليه من ضعف ، فتشاوروا فيا بينهم فرأوا أن يلتجئوا الى الكلاب ليستجموا فيه ، وهم آمنون أن تقطع اليهم الصحارى التى دونه إذ كان الوقت قيظا . فرآهم فى هذا المكان من دل بنى الحارث بن عبد المدان عليهم ، فجمعوا لهم ، فكان بينهم ذلك اليوم المشهور الذى انتصرت فيه تميم على المغيرين عليها . وفى هذا اليوم أسر عبد يغوث ثم قتل ، وقال فى أسره قصيدته التى مطلعها :

أيا راكبا إما عرضت فبلغن * نداماى من نجران أن لا تلاقيا

(٣) ذو قار : واد متاخم لســواد العراق . و يوم ذى قار المعدود من عظام أيام العرب كان بين قبائل بكر بن وائل من العرب وكسرى ملك الفرس . وسببه أن النعمان بن المنذر لما قتل عدى بن زيد دس له ابنه زيد عند كسرى (راجع تفصيل كل هذا فى ترجمة عدى بن زيد فى الأغانى ج ٢ ص ٩٧ من هذه الطبعـة) فطلب كسرى النعمان ، فخشيه واستودع حرمه وأمواله وسلاحه عنـد هانئ بن قبيصة بن هانئ ابن مسعود، ثم ذهب الى كسرى فقتله ، ثم طالب كسرى هانئ بن قبيصة بودائعه فامتنع ، فكان ذلك سبب يوم ذى قار المشهور بين قبائل بكر من العرب والفرس وكان الظفر فيه للعرب . (٤) فى الأصول : « حيث » والتصويب من النقائض .

قومهم خرجوا مُتَلَدِّدِين (١) . فقال الربيع بن زِيَادٍ العَبْسىّ : أمَا والله لأرمينّ العربَ بحجَرها ، اقصِدوا لبَنِي عامر (٢) ؛ فخرج حتى نزل مَضيقًا من وادى بنى عامر ثم قال : امكُثوا . فخرج ربيعٌ وعامر (٣) آبنا زِيادٍ والحارثُ (٤) بن خُلَيْفٍ حتى نزلوا على ربيعةَ بن شَكَلِ بن كَعْبِ بن الحَرِيش ، وكان العَقْدُ (٥) من بنى عامر الى [بنى] (٦) كعب بن ربيعة [وكانت الرياسة فى بنى كلاب بن ربيعة] (٦) . فقال ربيعةُ بن شَكَلٍ : يا بنى عَبْسٍ ، شأنُكم (٧) جليلٌ ، وذَحْلُكم الذى يُطْلَبُ منكم عظيمٌ ، وأنا أعلم والله أنّ هذه الحربَ أعزُّ حربٍ (٨) حاربتْها العربُ قطُّ . ولا والله ما بُدٌّ من بنى كلَابٍ ، فأمْهِلُونى حتى أستطلعَ طِلْعَ قومى . فخرج فى قَوْمٍ من بنى كَعْبٍ حتى جاءوا (٩) بنى كلَابٍ ، فلقيهم عَوْفُ بن الأحْوَص فقال : يا قومِ ، أطِيعُونى فى هذا الطَّرَف من غَطَفانَ ، فاقتُلوهم (١٠) واَغْنَمُوهم لا تُفْلِحْ غَطَفانُ بعده أبدًا . ووالله إنْ تَزِيدون علَى أن تَسمَنوهم وتمنَعوهم ثم يَصيروا لقومكم أعداء . فأبَوْا عليه ، وانقلبوا حتى نزلوا على الأحوص بن جعفر فذكروا له من أمرهم (١١) . فقال لربيعةَ بن شَكَلٍ : أظْلَلْتَهم ظِلَّك وأطعمتَهم طعامَك؟ قال نعم . قال : قد والله أجرتَ القومَ! . فأنزَلُوا القومَ وَسْطَهم بُحبوحةَ دارِهم .

وذكر بِشْرُ بن عبد الله بن حَيّان الكِلَابىّ أنّ عَبْسًا لمّا حاربتْ قومها أتَوْا بنى عامر وأرادوا عبدَ الله بن جَعْدةَ وابنَ الحَرِيش ليصيروا حلفاءَهم دون كلَابٍ ؛ فأتى قيسُ بن زهيرٍ وأقبل نحو بنى جعفر هو والربيع بن زِيادٍ حتى آنتهيا الى الأحوص

(١) التلدد : التلفت يمينا وشمالا تحيرا . (٢) فى ب ، س : «بنى عامر» .
(٣) فى النقائض : «عمارة» بدل «عامر» . (٤) كذا فى حـ والنقائض . وفى سائر الأصول : «خلف» . (٥) فى الأصول : «الحارث» والتصويب من النقائض والقاموس وشرحه (فى مادة حرش) . وسيأتى كذلك فى الأصول بعد أسطر (٦) الزيادة من النقائض .
(٧) كذا فى حـ والنقائض . وفى سائر الأصول : «شانئكم» وهو تحريف .
(٨) كذا فى حـ والنقائض . وفى سائر الأصول : «أعز حرب ما حاربتها العرب قط» .
(٩) فى الأصول : «حتى جازوا» . والتصويب من النقائض . (١٠) كذا فى النقائض وفى الأصول : «فاقطعوهم» . (١١) فى حـ : «فذكروا له ما أمرهم» .

[جالسا قدامَ بيتِه] (١) . فقال قَيْسٌ للربيع : إنه لا حِلْفَ ولا ثِقَةَ دون أن أنتهِيَ الى هذا الشيخ . فتقدّم اليه قيسٌ فأخذ بمجامع ثوبه من وَرَاءُ فقال : هذا مقامُ العائذِ بك ! قتلتم أبى لمـا أخذتُ له عَقْلًا ولا قتلتُ به أحدًا، وقد أتيتُك لِتُجيرَنا . فقال الأحْوَص: نعم ! أنا لك جارٌ مما أُجير منه نفسي. وعَوْفُ بنُ الأحوص عن ذلك غائبٌ .

٥ فلما سمع عوفٌ بذلك أتى الأحوصَ وعنده بنو جعفرٍ فقال : يا مَعْشَرَ بنى جعفر، أَطِيعُونى اليومَ وٱعْصُونى أبدًا ، وإنْ كنتُ واللهِ فيكم مَعْصِيًّا . إنّهـم والله لو لَقُوا بنى ذُبيان لَوَلَّوْكم أطرافَ الأسِنّةِ إذا نَكَهُوا فى أفواههم بكلامٍ ! . فٱبْدءوا بهم فٱقتلوهم وٱجعلوهم مثلَ البُرْغوثِ دِماغُه [فى] (٢) دَمِه . فأبَوْا عليـه وحالفوهم . فقال (٣) : واللهِ لا أدخل فى هذا الحِلْفِ ! . قال : وسمِعتْ بهم حيث قرّ قرارُهم بنو ذُبْيانَ، فحشَدوا

١٠ وٱستعدُّوا وخرجوا وعليهم حِصْنُ بن حُذَيْفَــةَ بن بَدْرٍ ومعه الحَلِيفانِ أَسَــدٌ وذُبيان يطلبون بدم حُذَيْفةَ، وأقبــل معهم شُرَحْبِيلُ (٤) بن أخضر بن الجَوْنِ ـــ والجَوْنُ هو معاوية، سمى بذلك لشدّة سواده ـــ ابن آكِلِ المُرَار الكندىّ فى جَمْعٍ من كِنْدَةَ، وأقبلت بنو حَنْظَلَةَ بن مالكٍ والرِّبَابُ عليهم [لَقِيطُ بن زُرَارَةَ] (٢) يطلبون بدم مَعْبَدِ بن زُرَارة ويَثْرِبِىِّ بن عُدُسٍ، وأقبل معهم حسّانُ (٥) بن عمرو بن الجَوْنِ فى جَمْعٍ عظيمٍ من

١٥ كِنْدةَ وغيرِهم ، فأقبلوا إليهم (٦) بوَضائع (٧) كانت تكون بالحِيرةِ مع الملوك وهم الرابطةُ . وكان فى الرِّباب رجلٌ من أشرافهم يقال له النُّعْمان بن قَهْوَسٍ التَّيْمىُّ، وكان معه لِواء مَنْ سار الى جَبَلَةَ، وكان من فُرسان العرب، وله تقول دَخْتَنُوسُ بنت لَقِيطِ بن زُرَارةَ يومئذ :

---

(١) ما بين المربعين ورد فى الأصول مكانه : « قـد لم يفته » فألصق النساخ الألف بالميم وصحفوا « بيته » . والتصويب من النقائض . (٢) التكملة من النقائض . (٣) فى الأصول : « فقال رجل لا أدخل ... » . والتصويب من النقائض . (٤) ذ النقائض : « وأقبل معهم معاوية بن شرحبيل ... » . (٥) كذا فى النقائض . ويؤيده ماورد فى شعر نابغة بنى جعدة الآتى . وفى الأصول هنا : « كيسان» . (٦) كذا فى النقائض . وفى أ ، م : «اليه» . وفى سائر الأصول : «عليه» . (٧) الوضائع هنا : قوم من الجند يوضعون فى كورة لا يغزون منها .

٢٠

شعر لدختنوس بنت لقيط تعير ابن قهوس

فَــرَّ ابنُ قَهْوَسٍ الشُّــجَا * عُ بكَــفِّه رُمْحٌ مِتَــلُّ

يعــدُو به خَاظِى البَضِيـ(١) * ـعِ كأنّه سِمْــعٌ أزَلُّ(٢)

إنّك مِنْ تَيْمٍ فَــدَعْ * غَطَفانَ إن ساروا وحلُّوا

— مِتَلٌّ : مستقيم، يُتَلُّ(٣) به كلُّ شىء . الخاظى : الشىءُ المُكْتَنِز . والسِّمْعُ : ولدُ الضَّبُعِ [من الذِّئب](٤) . والعِسْبارُ : ولدُ الذِّئب من الكلبة — .

لا مِنْــكَ عِــدُّهُم ولا * آباكَ إن هَلَكُوا وذَلُّوا

فَخْــرَ البَغِىِّ(٥) بِحِــدْجِ ربَّـ * ـتِها إذا النّــاسُ استقلُّوا

لا حِدْجُها رَكِبتْ ولا * لِرَغَالٍ(٦) فيــه مُسْــتَظَلُّ

ولقــد رأيتُ أباكَ وَسْـ * ـطَ القَوْمِ يرْبِقُ(٧) أو يَجُلُّ

مُتَقَــلِّدًا رِبَقَ الفُــرَا * رِ كأنه فى الجِيــدِ غُلُّ

— يَجُلّ : يلقُط البَعَرَ . والفُرَار : أولادُ الغنم، واحدُها فُرَارَةَ — . قال : وكان معهم رؤساء بنى تميم : حاجِبُ بن زُرَارةَ ولَقِيطُ بن زرارة وعمرُو بن عمرٍو وعُتَيبةُ(٨) بن الحارث بن شِهَابٍ، وتبِعهم غُثَاءٌ من غُثاء الناس يُريدون الغنيمةَ، فجمعوا جمعاً لم يكن فى الجاهلية قطُّ مثلهُ أكثر كثرةً، فلم تَشُكَّ العربُ فى هلاك بنى عامر . [فجاءوا](٩) حتى مرّوا ببنى سَعْد

(١) البضيع : اللحم . (٢) أزل : أرسح أى قليل لحم الفخذين .

(٣) يتل : يصرع . (٤) التكلة من النقائض . (٥) البغى هنا : الأمة، وفى غير هذا الموضع الفاجرة . والحدج (بالكسر) : مركب من مراكب النساء يشبه المحفة . وربتها : سيدتها .

(٦) وردت هذه الكلمة فى الأصول محرفة، بين « لرغاء فيها » و « لرعاء فيها » و « لوعاء فيها » . والتصويب من النقائض ولسان العرب (فى مادة رغل) ورغال : الأمة . (٧) فى الأصول المخطوطة « يبرق » . وفى ب، س : « يبزو » . والتصويب من النقائض . ويربق : يشد البهيمة بالربقة وهى عروة فى حبل تشد بها البهيمة . (٨) فى الأصول : « ... وعمرو بن عمرو بن عيينة والحارث ابن شهاب » . والتصويب من النقائض . (٩) الزيادة عن النقائض .

ابن زيدِ مَنَاةَ، فقالوا لهم : سِيرُوا معنا الى بنى عامر . فقالت لهم بنو سَعْد : ما كنّا
لنسيرَ معكم ونحن نزعم أنّ عامر بنَ صعصعة ابنُ سَعْدِ [بن زيدِ مَنَاةَ][1] . فقالوا : أمّا إذ
أبيتم أن تسيروا معنا[2] فاكتُموا علينا . فقالوا : أمّا هذا فنَعَمْ . فلمّا سمعتْ بنو عامر

تشاور بنى عامر فى أمرهم

بمسيرهم اجتمعوا الى الأحْوَص بن جعفر، وهو يومئذ شيخٌ كبيرٌ قد وقع حاجباه على
٥ عينيه وقد ترك الغَزْوَ غيرَ أنه يُدبِّرُ أمرَ النّـاس ، وكان مُجَرَّباً حازماً ميمونَ النَّقِيبة ،
فأخبروه الخبر . فقال لهم الأحوصُ : قد كَبِرْتُ، فـا أستطيع أن أجىء بالحَزْمِ وقد
ذهب الرأى منّى . ولكنّى إذا سمعتُ عرفتُ ، فأجْمِعُوا آراءكم ثم بِيتُوا ليلتَكم هذه
ثم اغْدُوا علىّ فاعْرِضوا علىّ آراءكم، ففعلوا . فلمّا أصبحوا غَدَوْا عليه، فوُضِعتْ له
عَباءةٌ بِفنائه فجلس عليها . ورفع حاجبيه عن عينيه بعِصَابةٍ ثم قال: هاتُوا ما عندكم .
١٠ فقال قَيْسُ بن زُهَيْرٍ العَبْسىُّ : باتَ فى كِنانتى الليلةَ مائةُ رأيٍ . فقال له الأحوصُ :
يكفينا منها رأىٌ واحدٌ حازمٌ صَلِيبٌ مُصيبٌ ، هاتِ فانْثُرْ كِنانتَك . فجعل يَعرِض
كلّ رأيٍ رآه حتى أنْفَدَ . فقال له الأحوصُ : ما أرى باتَ فى كِنانتك الليلةَ رأىٌ
واحدٌ! . وعرَض الناسُ آراءهم حتى أنفدوا . فقال: ما أسمع شيئا وقد صِرْتم الىّ،
اِحملوا[3] أثقالَكم وضُعفاءكم ففعلوا، ثم قال : احْمِلوا ظُعُنَكم فحملوها، ثم قال : اركَبوا
١٥ فرِكبوا، وجعلوه فى مِحَفّةٍ، وقال: انطلِقوا حتى تُعْلُوا فى اليمين[4]، فإنْ أدركَكم أحدٌ كَرَرْتم
عليه، و إنْ أعجزتموهم مضيتم . فسار الناسُ حتى أتَوْا وادىَ بِحَارٍ[5] ضَحْوةً، فإذا الناسُ
يرجِع بعضُهم على بعض . فقال الأحْوَصُ: ما هذا؟ قيل: هذا عمرُو بن عبدِ الله بن

---

(١) الزيادة من النقائض . (٢) كذا فى النقائض . وفى الأصول : « أن تصيروا ... » .
(٣) كذا فى النقائض . وفى الأصول : «اجمعوا» . (٤) لعله «فى اليمن» ؛ فان الوادى
٢٠ الذى أتوه ضحوة وهو وادى بحار يقال انه من بلاد اليمن . (راجع معجم البلدان فى بحار) .
(٥) فى الأصول : « وادى نجار » . والتصويب من النقائض ومعجم البلدان لياقوت .

جَعْدةَ فى فِتْيانٍ[1] من بنى عامرٍ يَعْقِرون[2] بمن أجاز بهم و يقطَعون بالنّساء حَوَايَاهنّ[3] .
فقال الأحوص : قدِّمونى ، فقدّموه حتى وقف عليهم فقال : ما هذا الذى تصنَعون؟! قال عمْرو : أردتَ أن تَفْضَحنا وتُخْرِجَنا هارِبين من بِلَادِنا ونحن أعزُّ العرب، وأكثرُهم[4] عددًا وجَلَدًا وأحَدُّهم[4] شوكةً ! تُريد أن تجعلنا مَوَالِىَ فى العرب إذ خرجتَ بنا هاربًا[5] ! . قال : فكيف أفعلُ وقد جاءنا ما لا طاقةَ لنا به ! فما الرأى؟
قال : تَرجِعُ الى شِعْبِ جَبَلَةَ فتُحْرِزُ النساءَ والضَّعَفَةَ والذَّرارىَّ والأموالَ فى رأسه ونكونُ فى وَسَطه ففيه تَمَلٌّ[6] (أى خِصْبٌ وماء) . فإنْ أقام مَنْ جاءك أسفلَ أقاموا على غيرِ ماء ولا مُقامَ لهم، وإن صَعِدوا عليك قاتلتَهم من فوق رءوسهم بالحجارة، فكنتَ فى حِرْزٍ وكانوا فى غيرِ حِرْزٍ، وكنتَ على قِتالهم أقْوَى منهم على قتالك . قال : هذا والله الرأى، فأين كان هذا عنك حين آستشرتُ الناسَ؟ قال : إنما جاءنى الآن .
قال الأحوص للناس : ارْجِعوا فرَجَعوا . ففى ذلك يقول نابغةُ بنى جَعْدةَ :

ونحن حَبَسْنا الحىَّ عبْسًا وعامرًا * لحسّانَ وابنِ الجَوْنِ إذ قِيلَ أقْبِلَا
وقد صَعِدتْ وادى بِحَارٍ[7] نساؤهم * كإصْعادِ نَسْرٍ[8] لا يرومون منزِلَا
عَطَفْنا لهم عَطْفَ الضَّرُوسِ فصادفوا * من الهَضْبة الحمراءِ عِزًّا ومَعْقِلا[9]

دخولهم شعب جبلة

— الضَّروس : الناقة العَضُوضُ[10] — فدخلوا شِعْبَ جَبَلَةَ . وجبلة : هَضْبةٌ حمراء بين

(١) كذا فى جـ والنقائض . وفى سائر الأصول : « قدم فى فتيان » بزيادة كلمة «قدم» وهى لا موضع لها هنا . (٢) فى الأصول : «يعدون» . والتصويب من النقائض . (٣) الحوايا : جمع حوية وهى مركب من مراكب النساء . (٤) كذا فى النقائض . وفى الأصول الخطية : «وأكثره عددا وجلدا وأحده شوكة» . وفى ب، س : «وأكثر... وأحدّ...» بدون ضمير . (٥) فى ا، م، حـ : «هرابا» جمع هارب . (٦) فى الأصول : «ففيه تمثل» . والتصويب من النقائض .
(٧) فى النقائض ومعجم البلدان : «عن ذى بحار» . وراجع الحاشية الخامسة فى الصفحة السابقة .
(٨) فى الأصول : «لإصعاد سير» . والتصويب من النقائض ومعجم البلدان . (٩) كذا فى جـ والنقائض ومعجم البلدان . وفى سائر الأصول : «ومفضلا» وهو تحريف . (١٠) الضروس : الناقة الحديثة النتاج . وإنما سميت ضروسا لأنه يعتريها عند نتاجها عضاض أياما حذارا على ولدها ثم يذهب عنها .

٣٧/١٠

الشَّرِيف والشَّرَف . والشَّرَيْف : ماءٌ لبني نُمَير . والشَّرَفُ : ماءٌ لبني كلاب .
وجبلةُ : جبلٌ عظيم له شِعْبٌ عظيمٌ واسعٌ، لا يُؤتَى الجبلُ إلا من قِبَل الشِّعْب، (١) (٢)
والشِّعب مُتَقاربُ [المَدْخَلِ] وداخلُه مُتَّسِعٌ، و به اليومَ عُرَيْنَةُ من بَجِيلةَ . فدخلتْ (٣)
بنو عامرٍ شِعبًا منــه يقال له مُسَلَّحٌ، فحصّنوا النساء والذرارىَّ والأموالَ فى رأس
الجبل، وحَلّــوا الإبل عن المــاء، واقتسموا الشِّعْبَ بالقِــداح فأُقْرِعَ بين القبائل ٥
فى شَظَاياه، فخرجت بنو تمــيم ومعهم بارِقٌ (حىٌّ من الأَزْدِ حُلَفاءُ يومئذ لبنى نُمَيْر. (٤)
وبارقٌ هو سَــعْدُ بن عَدِىّ بن حارِثةَ بن عَمْــرو مُزَيْقِيــاء بنِ عامرٍ ماءِ السماء . (٥)
وسُمّى مُزَيْقِياء لأنه كان يمزّق عليــه كلَّ يومٍ حُلّةً) فولجوا الخَلِيفَ (والخَلِيفُ :
الطريق بين الشِّعْبَين شِبْهُ الزُّقاق) لأنّ سَهْمَهم تخلّف . وفيه يقول مُعَقِّرُ بن أَوْس (٦)
ابن حِمَارٍ البارقىُّ : ١٠

ونحن الأيمنون بنو نُمَيْرٍ * يَسِيلُ بنا أَمامَهمُ الخَلِيفُ (٧)

قال : وكان مُعَقِّرٌ يومئذ شيخًا كبيرًا أعمَى ومعه ابنةٌ له تقود به جملَه . [فجعل يقول
لها :] من أسْهلَ من الناس؟ فتخبره وتقول هؤلاء بنو فلان، وهؤلاء بنو فلان، حتى (٨) (٩)
إذا تناهى الناسُ قال: اهْبِطى، لا يزال هذا الشِّعْبُ مَنِيعًا سائرَ هذا اليوم، وهبط. (١٠)
وكانت كَبْشَةُ بنتُ عُرْوَةَ الرَّحَّالِ بن عُتْبَةَ بن جعفرِ بن كِلَابٍ يومئذ حاملاً بعامر بن ١٥
الطُّفَيْل، فقالت : وَيْلَكم يا بنى عامرٍ ارْفَعُونى! فوالله إنّ فى بطنى لَعِزَّ بنى عامر .

(١) فى النقائض : «طويل» . (٢) فى الأصول : «لا ترى الجبل ... » . والتصويب من النقائض . (٣) التكلة من النقائض . (٤) فى الأصول : «بالقداح والقرع بين القبائل فى شكاياه» والتصويب من النقائض . والشظايا : القطع من رءوس الجبال، الواحدة شظية .
(٥) فى الأصول : « ... عمرو بن مزيقياء بن عامر بن ماء السماء » . ومزيقياء لقب عمرو، وماء السماء لقب عامر . (٦) الزقاق : الطريق الضيق . (٧) فى الأصول : «يسير» . والتصويب من النقائض . (٨) فى الأصول : « ... جمله من أسفل من الناس» والتكلة والتصويب من النقائض . (٩) عبارة النقائض : « فتخبره وهو يقول هؤلاء بنو فلان حتى إذا تناموا قال اهبطى ... الخ » . (١٠) فى النقائض : «وهبط الناس» . ٢٠

فصفُّوا[1] القِسِىَّ على عَوَاتِقِهم ثم حملوها حتى أَثْوَوْها بالقُنَّة (يقال قُنَّةٌ وقِنَانٌ). فزعموا أنها ولدتْ عامرًا يوم فرَغ الناسُ من القتال . فشَهِدتْ بنو عامر كلُّها جَبَلَةَ إلّا هِلالَ ابن عامرٍ وعامرَ بن رَبيعةَ بنِ عامرٍ، وشهدها مع بنى عامرٍ من العرب بنو عَبْس ابن رِفَاعةَ بنِ الحارثِ بن بُهْثةَ بن سُلَيْمٍ وكان لهم بأسٌ وحَزْمٌ وعليهم مِرْداسُ بن أبى عامرٍ، وهو أبو العبّاس بن مِرْداسٍ. وكانت بنو عَبْس بن رِفاعة حلفاءَ[2] بنى عمرو ابن كِلَابٍ . وزعم بعضُ[3] بنى عامرٍ أنّ مِرداسًا كان مع أخواله [غَنِيٍّ][4]، و[كانتْ][4] أُمُّه فاطمةَ بنتَ جَلْهَمةَ الغَنَوِيّةَ . وشَهِدتْها غَنِيٌّ وباهلةُ وناسٌ من بنى سَعْدِ ابن بكرٍ وقبائلُ بَجِيلةَ كلُّها إلا قَسْرًا[5] لحربٍ كانت بين قَسْرٍ وقومِها ، فارتحلت بَجِيلَةُ فتفرّقت فى بُطون بنى عامرٍ، فكانت عَادِيةُ بنُ عامرٍ بن قُدادٍ من بَجيلةَ فى بنى عامرِ بن رَبيعةَ ، وكانت شُحْمَةُ[6] من بَجِيلةَ فى بنى جعفرِ بنِ كِلابٍ — ويقال : عمرو بن كلاب — وكانت عُرَيْنَةُ من بَجِيلةَ فى عمرو بنِ كِلابٍ ، وكانت بنو قَيْس كُبَّةَ (لفَرَسٍ يقال لها كُبَّةُ) من بَجِيلةَ فى بنى عامر بن ربيعة، وكانت فِتْيانُ[7] فى بنى عامر بن ربيعةَ ، وبنو قُطَيْعةَ[8] من بَجِيلةَ فى بنى أبى بكر ابن كِلَابٍ، ونَصِيبُ[9] بن عبد الله من بَجِيلةَ [فى بنى نُمَيْرٍ، وكانت ثعلبةُ والخطّامُ من بَجِيلةَ][4] فى بنى عامر بن ربيعة ، وبنو عمرو بن مُعاويةَ بن زيد من بَجِيلةَ فى بنى أبى بكر بنِ كِلَابٍ معهم يومئذ نَفيرٌ من عُكْلٍ ، فبلغ جَمْعُهم ثلاثين ألفًا . وعَمِىَ

من شهد الوقعة من القبائل

تفرق بجيلة فى بطون بنى عامر

(١) فى النقائض : «فوضعوا» . (٢) فى النقائض : «...حلفاء فى بنى عامر بن كلاب» .
(٣) فى النقائض : «وزعم بعضهم» . (٤) الزيادة من النقائض . (٥) فى الأصول : « ... إلا قشيرا لحرب كانت بين قيس وقومها ... » والتصويب من النقائض والقاموس .
(٦) فى الأصول : «شمة» بالشين المعجمة . والتصويب من النقائض والقاموس ومعجم ما استعجم للبكرى .
(٧) فى أكثر الأصول : «قينان» والتصويب من جـ والقاموس ومعجم ما استعجم . وفى النقائض بدل هذه العبارة : «وكانت بنو عامر بن معاوية بن زيد من بجيلة فى بنى عامر بن ربيعة» . (٨) فى الأصول : «وبنو قطيفة» بالفاء ، وهو تحريف . (٩) كذا ورد هذا الاسم مضبوطا فى النقائض . وورد فى «معجم ما استعجم» (ج ١ ص ٤٠) مضبوطا بضم أوله وفتح ثانيه . وقد سموا نصيبا مكبرا ومصغرا .

ما فعله كرب بن صفوان لتميم وأسد

على بنى عامر الخَبَرُ، فجعلوا لا يدرون ما قُرْبُ القَوْمِ من بُعْدِهم . وأقبلت تميمٌ وأَسَدٌ وذُبْيان ولِفُّهم نحو جَبَلة، فلقُوا كَرِبَ بنَ صَفْوان بن شِجْنةَ بن عُطَارِد بن عَوْف بن كَعْب بن سَعْدِ بن زيدِ مَنَاةَ، فقالوا له : أين تذهبُ ؟ أتريد أن تُنْذِرَ بنا بنى عامر ؟ قال لا . قالوا : فأَعْطِنا عهدًا ومَوْثِقًا ألّا تفعلَ ؛ فأعطاهم فخلَّوْا سبيلَه . فمضى مُسْرِعًا على فَرَسٍ له عُرْيٍ[1]، حتى إذا نظر إلى مَجْلِس بنى عامر وفيهم الأَحْوَصُ نزل تحت شجرةٍ حيثُ يَرَوْنه ؛ فأرسلوا اليـه يدعُونه ، قال : لستُ فاعلًا، ولكن إذا رحلتُ فأْتُوا منزلى فإنّ الخبر فيه. فلما جاءوا منزلَه[2] إذا فيه تُرابٌ فى صُرَّةٍ وشَوْكٌ قد كسِرَ رءوسه وفرّق جِهَتَه، وإذا حَنْظَلَةٌ موضوعةٌ. وإذا وَطْبٌ معلّق فيه لَبَنٌ . فقال الأحوصُ : هذا رجلٌ قد أُخِذَ عليه المواثيقُ ألّا يتكلّمَ، وهو يُخبركم أنّ القومَ مثلُ التُّراب كثرةً ، وأنّ شوكتَهم كليلةٌ [وهم متفرِّقون][3]، وجاءتكم بنـو حَنْظَلةَ . أُنظُروا ما فى الوَطْب، فٱصْطَبُوه فإذا فيــه لبنٌ حَزَرٌ (قَرَصٌ)[4] . فقال : القومُ منكم على قَــدْرِ حِلَابِ اللّبنِ إلى أن يَحْزُرَ . فقال رجلٌ من بنى يَرْبُوع — ويقال قالتــه دَخْتَنُوس بنتُ لَقيط بن زُرارةَ — :

كَرِبُ بنَ صَفْوانَ بنِ شِجْنةَ لم يَدَعْ * مِن دَارِمٍ أحدًا ولا مِن نَهْشَلِ
أجعلتَ يَرْبوعًا كقَــوْرةِ دائرٍ * ولَتَحْلِفَنْ بالله أنْ لم تفعـلِ

وذلك قولُ عامر بن الطُّفَيْل بعد جَبَلَةَ بحِين :

أَلَا أَبْلِغْ لديكَ جُمُـوعَ سَـعْدٍ[5] * فبِيتُــوا لن نَهِيجَكُمُ نِيَامَا
نَصَحْـتُمْ بالمَغِيبِ ولم تُعِينُــوا[6] * علينـــا إنكم كنتم كِرَامَا

(١) فى جـ والنقائض : «عربى» بدل «عرى» . وفرس عرى لا سرج عليه .
(٢) فى النقائض : «فلما رحل جاءوا منزله فاذا ... الخ» . (٣) التكلة من النقائض .
(٤) فى الأصول : «فاذا فيه لبن جبن قارص» إلا جـ ففيها «قرص» على الصحة . والتصويب من النقائض . (٥) كذا فى النقائض . ويرجحه أن كرب بن صفوان المقول فيه هذا الشعر ينتهى نسبه الى سعد . وفى الأصول : «جموع تيم» . (٦) فى الأصول : «ولن تغيبوا» . والتصويب من النقائض .

ولو كنتم مع ابن الجون كنتم * كمن أودى وأصبح قد ألاما

صعود بنى عامر الشعب وتشاور أعدائهم فى الصعود إليهم

فلما استيقنت[1] بنو عامر بإقبالهم صعدوا الشعب، وأمر الأحوص بالإبل التى ظمئت قبل ذلك فقال: اعقلوها كل بعير بعقالين [فى][2] يديه جميعا. وأصبح لقيط والناس نزول به، وكانت مشورتهم إلى لقيط؛ فاستقبلهم جمل عود أجرب أحذ[3] أعصل كاشر عن أنيابه؛ فقال الحزاة من بنى أسد — والحازى العائف[4] — اعقروه. فقال لقيط: والله لا يعقر حتى يكون فحل إبلى غدا[5]. — وكان البعير من عصافير المنذر التى أخذها قرة بن هبيرة[6] بن عامر بن سلمة بن قشير. والعصافير: إبل كانت للملوك نجائب — ثم استقبلهم معاوية بن عبادة بن عقيل وكان أعسر فقال:

أنا الغلام الأعسر * الخير فى والشر

* والشر فى أكثر[7] *

فتشاءمت بنو أسد وقالوا: ارجعوا عنهم وأطيعونا. فرجعت بنو أسد فلم تشهد جبلة مع لقيط إلا نفيرا يسيرا، منهم شأس بن أبى بلى[8] أبو عمرو بن شأس الشاعر، ومعقل بن عامر بن موألة[9] المالكى. وقال الناس للقيط: ما ترى؟ فقال: أرى أن تصعدوا إليهم. فقال شأس: لا تدخلوا على بنى عامر؛ فإنى أعلم الناس بهم، قد قاتلتهم وقاتلونى وهزمتهم وهزمونى، فما رأيت قوما قط أقلق بمنزل من بنى عامر!

(١) كذا فى النقائض. وفى الأصول: «فلما استثبت ...». (٢) التكملة من النقائض.

(٣) العود هنا: المسن من الإبل. والأحذ هنا: خفيف شعر الذنب، أو قصير الذنب. والأعصل: الملتوى الذنب. (٤) فى الأصول: «فقال الحزارة من بنى أسد والحازر القائف» إلا جـ «ففيها الحازى» على الصحة، وهو تحريف. والعائف: الذى يزجر الطير. (٥) فى أ، م، جـ: «فحل أبى غدا». وفى ب، س: «محل أبى غدا». والتصويب من النقائض، وفيها «نذرا» بدل كلمة «غدا». (٦) فى الأصول: «قرة بن زهير». والتصويب من النقائض وتاريخ الطبرى.

(٧) كذا فى النقائض. وفى الأصول: «والضر فى ...». (٨) فى الأصول: «... شأس ابن أبى ليلى ...» والتصويب من النقائض وشرح التبريزى لديوان الحماسة ص ١٣٩ طبع مدينة بن سنة ١٨٢٨م). (٩) فى الأصول: «موالكة». والتصويب من النقائض وكتب اللغة.

والله ما وجدتُ لهم مَثَلًا إلّا الشُّجَاعَ؛ فإنه لا يَقِرّ فى جُحْره قَلَقًا، وسيخرُجون اليكم . والله لئن يَتِمّ[(١)] هذه الليلةَ لا تشعُرون بهم إلّا وهم مُنْحَدِرون عليكم . فقال لَقيطٌ . والله لَنَدْخُلَنّ عليهم . فأتَوْهم وقد أخذوا حِذْرَهم . وجعل الأحْوَصُ ابنَه شُرَيْحًا على تَعْبِئَة الناس . فأقبل لقيطٌ وأصحابُه مُدِلّين فأسندوا[(٢)] الى الجبل حتى ذرّت الشمس . فصعد لَقيطٌ فى الناس وأخذ بحافَتَى الشَّجْنِ[(٣)] . فقالت بنوعامر للأحوص : قد أتَوْك . فقال : دَعُوهم . حتى إذا نَصَفُوا الجبلَ وانتشروا فيه، قال الأحْوَصُ : حُلُّوا عُقُلَ الإبل ثم احدِروها واتْبَعُوا آثارَها[(٤)]، ولْيَتْبَعْ كُلَّ رجلٍ منكم بعيرَه بحجرين أو ثلاثة؛ ففعلوا ثم صاحوا بها، فلم يَفْجأ الناسَ إلّا الإبلُ تُريد الماءَ والمَرْعَى، وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنَّبْل؛ وأقبلت الإبلُ تَحْطِمُ كُلَّ شىء مَرّتْ به، وجعل البعيرُ يُدَهْدِى بيديه[(٥)] كذا وكذا حجرًا . وقد كان لقيطٌ وأصحابه سَخِروا منهم حين صنعوا بالإبل ما صنعوا . فقال رجلٌ من بنى أَسَد :

زعمتَ أنّ العِيرَ لا تُقاتِلُ * بَلَى إذا تَقَعْقَعَ[(٦)] الرحائلُ
واختلف الهِنْدِىُّ والذوابلُ * وقالتِ الأبطالُ مَنْ يُنازِلُ
* بَلَى وفيها حَسَبٌ ونائلُ *

فانحطّ الناس مُنهزمين من الجبل حتى السَّهْلِ[(٧)] . فلمّا بلغ الناسُ السَّهْلَ لم يكن لأحدٍ منهم هِمّةٌ إلا أن يذهب على وجهه؛ فجعلت بنو عامر يقتلونهم و يصرعونهم بالسيوف فى آثارهم، فانهزموا شرّ الهزيمة . فجعل رجلٌ من بنى عامرٍ يومئذ يرتجز و يقول :

صعود بنى تميم الجبل ودفع بنى عامر لهم

شعر لبعض بنى عامر فى الوقعة

(١) كذا فى النقائض . وفى الأصول : « لئن نمتم ... » . (٢) أسندوا الى الجبل : اعتمدوا عليه . يقال : سند وتساند وأسند الى الشىء واستند اذا اعتمد عليه . (٣) الشجن (بالفتح) : أعلى الوادى . وفى النقائض : « بحافتى الشعب » . (٤) فى النقائض : « أدبارها » . (٥) كذا فى النقائض . وفى الأصول : « بصدره » . (٦) كذا فى النقائض . وفى الأصول : « إذا ما قعقع » . وتقعقع الشىء : اضطرب وتحرك . والرحائل : جمع رحالة وهى السرج من جلود لا خشب فيه يتخذ للركض الشديد . (٧) فى الأصول : « فى الجبل » . والتصويب من النقائض .

لم أرَ يوماً مثــلَ يومِ جَبَلَهْ * يــوم أتتنا أَسَــدٌ وحَنْظَلَهْ
وَغَطفانُ والمــلوكُ أزفَـلَهْ (١) * نَضْرِبُهـــم بقُضُبٍ مُنْتَخَـلَه (٢)
لم تَعْدُ أن أَفرش عنها الصَّقَلَهْ (٣) * حتى حَدَوْناهم حُدَاءَ الزَّوْمَـلَه (٤)

وجعل مَعْقِل بن عامر (٥) يرتجز و يقول :

نحن حُمَاةُ الشِّعْبِ (٦) يومَ جبله * بكلِّ عَضْبٍ صارمٍ ومِعْبَـلَهْ
* وهَيْكَلٍ نَهْدٍ معًا (٧) وهَيْكَلَهْ *

المِعْبلةُ : السهمُ إذا كان نصلُه عريضًا فهو مِعْبلةٌ ، والرقيقُ : القُطْبَةُ .

صد بنى تميم لبنى عامر

وخرجت بنو تميم من الخليف على الخيل فكَرْكَرُوا الناسَ (يعنى ردّوهم) وانقطع شُرَيْحُ بن الأحوص فى فرسان حتى أخذ الجُرْفَ فقاتل الناسَ قتالاً شديدا هناك ، وجعل لقيطٌ يومئـذ (٨) وهو على بِرْذَوْنٍ له مُجَفَّفٍ (٩) بديباج أعطاه إيّاه كِسْرَى — وكان أوّلَ عربىٍّ جَفَّف — يقول :

عَرَفْتُكُمْ والدمعُ مِ العَيْنِ يَكِفْ (١٠) * لفـارسٍ أتلفتمــوه ما خُـلِف
إنّ النَّشِـيلَ والشِّـوَاءَ والرُّغُف * والقَيْنَةَ الحسناءَ والكأسَ الأُنُف (١١)

---

(١) الأزفلة : الجماعة . وفى الأصول « أرفلة » بالراء . والتصويب من النقائض .
(٢) منتخلة : مختارة . (٣) أفرش عنه : أقلع . والصقلة : جمع صاقل ، من صقل السيف اذا جلاه . يريد أنها حديثة الجلاء . (٤) الزوملة : الإبل . وفى الأصول : «حتى حدوناهم حداء الرفله» . والتصويب من النقائض . (٥) فى الأصول : «معقل بن عامر» . والتصويب من النقائض . (٦) كذا فى النقائض . وفى الأصول : «نحن سماة الخيل» .
(٧) هيكل هنا : ضخم . والنهد من الخيل : كثيراللحم حسن الجسم مع ارتفاع . (٨) فى الأصول الخطية : "وجعل لقيط يومئذ وهو الحارث على برذون له ..." بزيادة "الحارث" . وفى النقائض : "وجعل لقيط وهو يومئذ على الجرف على برذون ..." (٩) مجفف : عليه تجفاف (بفتح التاء وكسرها) وهو شىء يتخذ من حديد أو غيره يجعل على ظهر الفرس ليقيه الأذى ، وقد يلبسه الانسان أيضا .
(١٠) كذا فى النقائض . و يكف : يسيل . وفى الأصول : «بالعين يكف» . (١١) النشيل هنا : اللحم المطبوخ ، أو الذى ينشل من القدر قبل النضج ، واللبن ساعة يحلب . والشواء (بالكسر و يضم) : ما شوى من اللحم وغيره أى عرض لحرارة النار فنضج وصلح للأكل . والكأس الأنف : التى لم يشرب بها قبل ذلك .

وَصَــفْوَةَ القِــدْرِ وتَعْجِيلَ اللَّقَفْ[1] * للطاعنـينَ الخيلَ والخيـلُ قُطُفْ[2]

وجعل لا يمرّ به أحدٌ من الجيش إلّا قال [له][3]: أنت والله قتلتَنا وشَتَّمْتَنا[4]. فجعل يقولُ:

يا قَوْمِ قــد أحرقتمــونى باللَّوْمْ * ولم أُقاتِلْ عامِرًا قبــلَ اليَــوْمْ

فاليــومَ إذ قاتلتُهــم فــلا لَوْمْ * تَقَــدَّموا وقَــدِّمونى للقَــوْمْ

٥ شَــتّانَ هــذا والعنــاقُ والنَّوْمْ * والمَضْجَعُ البارِدُ فى ظِلِّ الدَّوْمْ

وقال شأس بن أبى بُلَيٍّ[5] يجيبه:

لكنْ أنا قاتلتُها قبــلَ اليَــوْمْ * إذ كنتُ لا تُعْصَى أُمورى فى القَوْمْ

وجعل لقيطٌ يقول: مَن كَرَّ فله خمسون ناقةً، وجعل يقول:

أَكُلُّكُمْ يَزْجُرُكُمْ أَرْحِبْ هَــلَا[6] * ولن تَرَوْهُ الدَّهْرَ إلّا مُقْبِــلَا

١٠ يَحْمِــلُ زَغْفًــا ورَئِيسًا[7] جَحْفَــلَا * وســائلًا فى أهــله ما فعــلا

وجعل يقول أيضا:

أَشْــقَرُ[8] إنْ لم تَتَقَــدَّمْ تُنْحَرِ * وإنْ تَأَخَّرْ عن هِيَــاجٍ تُعْقَرِ

ثم عاد يقول:

* إنّ الشِّواءَ والنَّشِيلَ والرُّغُفْ *

---

١٥ (١) اللقف: يريد به ما يلقف ويتناول من الطعام. وفى بعض الأصول: «وتعجيل الففف» بفاءين.

(٢) كذا فى النقائض. وقطف: جمع قطوف وهو المتقارب الخطو أو البطىء من الدواب. وفى الأصول الخطية: «جنف» وفى ب، س: «جفف» وهو تحريف. (٣) زيادة عن النقائض. (٤) كذا فى النقائض. وفى الأصول: «وشاتمتنا». (٥) راجع الحاشية الثامنة من صفحة ١٤٠ المتقدمة. (٦) فى الأصول: «ورحب هلا». والتصويب من النقائض، وفيها:

٢٠ «أكلهم يزجره». وأرحب وهلا: مما تزجر به الخيل؛ يقال للخيل: أرحب وأرحبى أى توسعى وتباعدى وتنحى. وهلا أى اسكنى وقرى. (٧) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «ربيا» بدل «رئيسا». ورواية هذا الشطر فى النقائض: * يقود جيشا ورئيسا جحفلا * وليس فيها الشطر الأخير. والزغف والزغفة (وتحرك الغين فيهما): الدرع المحكمة أو اللينة، والجمع الزغف (بالفتح) كالواحد. (٨) أشقر: اسم فرسه يخاطبه.

٤٠/١٠

فأجابه شُرَيْحُ بن الأحوص :

إن كنتَ ذا صدْقٍ فاَقْحِمْهُ الجُرُفْ * وقرِّب الأشقرَ حتى تعترفْ

* وجوهَنا إنّا بنو البِيضِ العُطُفْ [1]

سقوط لقيط فى الموقعة

و بينه و بينه جُرُفٌ منكَرٌ، فضرب لَقيطٌ فرسَه وأقحمه عليه الجُرُفَ، فطعنه شُرَيْحٌ [فسقط] [2]. وقد اختلفوا فى ذلك، فذكروا أنّ الذى طعنه جَزْءُ بن خالد بن جعفر، وبنو عُقَيْلٍ تزعم أنّ عَوْفَ بنَ المُنتَفِق العُقَيْلىّ قتله يومئذ وأنشأ يقول :

ظلّتْ تلومُ لِما بها عِرْسِى [3] * جَهْلًا وأنتِ حَليمةٌ أمسِ

إنْ تقتلوا بِكْرِى وصاحبَه * فلقد شَفَيْتُ بسيفه نفسى

فقتلتُه فى الشِّعْبِ أوّلَ فارسٍ [4] * فى الشَّرْقِ قبلَ ترحّلِ الشمس

فزعموا أن عَوْفًا هذا قتل يومئذ ستّةَ نفرٍ، وقُتل ابنٌ له وابنُ أخٍ له. وأمّا العلماء فلا يَشُكّون أنّ شُرَيحًا قتله، وارْتُثَّ وبه طَعَناتٌ — والارتثاث أن يُحمَل وهو مجروح، فإنْ حُمِل ميّتًا فليس بمرتثّ — فبقى يومًا ثم مات. فجعل لقيطٌ يقول عند موته :

ياليتَ شعرى عنكِ دَخْتَنُوسُ * إذا أتاكِ الخبرُ المَرْسُوسُ [5]

أتحلِقُ القُرُونَ أم تَمِيسُ * لا بَلْ تَمِيسُ إنّها عَرُوسُ

دَخْتَنُوسُ بنت لَقِيطِ بن زُرارة، وكانت تحت عمرو بن عمرو بن عُدُسٍ. وجعلت بنو عبسٍ [6] يضربونه وهو ميت، فقالت دَخْتَنُوسُ :

(١) العطف : جمع عطوف، وهو وصف من عطف عليه يعطف عطفا إذا رجع عليه بما يكره أوله بما يريد. (٢) زيادة عن النقائض. (٣) العرس : الزوجة. وفى البيت التفات من الغيبة الى الخطاب. (٤) وردت هذه الكلمة فى الأصول محرفة، ففى ب، س : «فقتلته فى الشعب وافرسى» وفى ا، م : «فى الشعرى وفارس» وفى جـ : «أو فارس». والتصويب من النقائض.
(٥) المرسوس : اسم مفعول من قولهم : رس له الخبر اذا ذكره له. (٦) فى الأصول : «بنو عامر» والتصويب من النقائض، و يؤيده ما فى الشعر الذى بعده.

شـعر لدختنوس في أبيها

أَلَا يالَهَا الوَيْلاتُ وَيْلاتُ مَنْ بَكَى * لضَرْبِ بنى عَبْس لَقيطًا وقد قَضَى

لقــد ضربوا وجهًا عليــه مَهابَةٌ * وما تَحفِلُ الصُّمُّ الجنادلُ مَنْ رَدَى[1]

فـلو أنّـكم كنتم غــداة لَقِيتُمُ * لقيطًا صَبرتُم لِلأَسِــنَّةِ والقَنَا[2]

غَدَرْتُم ولكن كنتمُ مِثْلَ خُضَّبٍ[3] * أصابَ[4] لها القَنَّاصُ من جانب الشَّرَى

فما ثَأْرُه فيكم ولكنَّ ثأره * شُرَيْحٌ وأردته الأسِنَّةُ إذ هَوَى[5]

فإن تُعْقِبِ الأيامُ من عامرٍ يكُنْ[6] * عليهم حَرِيقًا لا يُرامُ إذا سما

ليجزيهم[7] بالقتــل قتْلًا مُضَــعَّفًا * وما فى دِماء الحُمْس ياما لُ مِنْ بوا[8]

ولـو قتلتنا غالبٌ كان قتلُها * علينـا من العـار المجدَّع للعُـلا

لقد صَبَرتْ للموت كعبٌ وحافظت * كِلابٌ وما أنتم هنـاكَ لمن رأى

١٠ وقالت دَخْتَنُوس أيضا :

لعمرى لئن لاقت من الشرّ دارمٌ[9] * عناءً لقــد آبتْ حميــدًا ضِرابُهَا

فما جَبُنوا بالشِّعب إذ صَبَرتْ لهم * ربيعــةُ يُدْعَى كَعْبُها وكِلابُها

٤١ / ١٠

(١) فى ب، س، جـ : «وما تحمل الضيم الجنادل» . وفى أ، م : «وما تحمل الصم الجنادل» والتصويب من النقائض . وردى هنا : رمى . (٢) كذا فى النقائض . وفى الأصـول : ١٥ «ضربتم بالأسنة» . وجواب «لو» محذوف ؛ أى لأصابكم منا القتل الذريع . (٣) الخضب : النعام . والظليم الخاضب : الذى احمرت ساقاه من أكل الربيع . (٤) فى الأصول : «أضاءت» . والتصويب من النقائض ؛ وفيها : «أصاب له» . وأصاب هنا : سقط ونزل ضد أصعد . والشرى : موضـع . (٥) فى الأصول : «أأردته الأســنة أو هوى» . والتصويب من النقائض . (٦) كذا فى النقائض . وفى الأصـول : «... من فارس تكن * عليكم ... ... » . ٢٠ (٧) فى ب، س : «ليجزيكم» . (٨) البواء (بالمد، وقصرهنا الشعر) : السواء والتكافؤ ؛ يقال فلان بواء فلان اذا كان كفؤه اذا قتل به . (٩) كذا فى النقائض . وفى الأصول :

لعمرى لقد لاقت من الشق دارم * عناء وقـد آبت حميــدا ضرابها

وفى أ، م : «من النسق» مكان «من الشق» .

عَصُوا(١) بسيوف الهند واعتكرتْ لهم(٢) * براكاءُ موتٍ لا يطير غرابُها

براكاءُ: مُباركةُ القتال وهو الجِدُّ فى القتال. يقال للرجل إذا وقع فى خطب لا يطير غرابُه(٣). وقالت دختنوس:

بَكَرَ النَّعِيُّ بخير خِنْـ * ـدِفَ كَهلِها وشبابِها

وبخيرِها نَسَبًا إذا * عُدَّتْ الى أنسابِها

فرّت(٤) بنو أسدٍ حُرُو(٥) * دَ الطيرِ عن أربابِها

لم يَحْفِلوا نَسَبًا ولم * يَلْوُوا(٦) لفىء عُقابِها

من قتل فى الموقعة ومن نجا وأخبارهم

وقُتِل يومئذ قُرَيْطُ بن مَعْبَد بن زُرارة، وزيدُ بن عمرو بن عُدُس قتله الحارث ابن الأبرص بن ربيعة بن عامر بن عُقَيْل، وقُتِل الفَلَتانُ بن المنذر [بن سَلْمى(٧) ابن جَنْدَلِ بن نَهْشَلٍ، وقُتل أبو إيَاس بن حَرْمَلةَ بن جَعْدةَ بن العَجْلانِ] بن حَشْوَرَةَ ابن عَجَبِ بن ثَعْلَبةَ بن سَعْدِ بن ذُبيانَ وهو يقول:

أقْدِمْ قَطِينُ(٨) إنهم بنو عَبْسْ * المَعْشَرُ الحِلّةُ فى القومِ الحُمُسْ

(١) يقال: عصا بالسيف يعصو، وعصى به يعصى (وزان فرح) إذا أخذه أخذ العصا أو ضرب به ضربه بها. (٢) كذا فى النقائض. واعتكرت: اختلط سوادها واشتد من النقع المثار. وفى بعض الأصول: «واعتقلت». وفى بعضها: «واعتلقت». (٣) ظاهر أن فى العبارة حذفا من النساخ. ومقتضى السياق أن تكون العبارة هكذا: «يقال للرجل اذا وقع فى ضيق شديد: وقع فلان فى خطب لا يطير غرابه». (٤) فى الأصول: «قرت» والتصويب من النقائض.

(٥) كذا فى النقائض. والحرود: التنحى. وقد وردت هذه الكلمة فى الأصول محرفة؛ ففى بعض الأصول: «ونخر الطير». وفى بعضها: «وبجزء الطير» وفى بعضها: «ونحوه الطير».

(٦) كذا ورد هذا البيت فى النقائض. وورد فى الأصول محرفا هكذا:

لم يجهلوا كسبا ولم * يأذوا لفىء عقابها

ولعل المراد بالعقاب هنا: الراية. (٧) التكملة من النقائض. (٨) فى النقائض: «أقدم قطيب». ومن أسماء خيلهم «قطيب» مكبرا ومصغرا؛ كما فى القاموس. وفى كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها «صدام» وذكر هذا البيت.

الحـلّة [1] : لم يكونوا يتشدّدون فى دينهم . قال : واستُلحم [2] [عمرُو بن] حَسْحَاس بن [3] وَهْب بن أعياء بن طَرِيف الأَسَدِىّ، فاستنقذه [مَعْقِلُ بن] عامرِ بن مَوْءَلَة فداواه وكساه . فقال معقل فى ذلك :

يَدِيتُ [4] على ابن حَسْحَاس بن وَهْب * بأسفلِ ذى الجَذَاة يَدَ الكريم

قَصَرْتُ [5] له من الدّهماءِ لمّا * شهِدتُ وغاب مَنْ لَهُ مِنْ حميم

ولو أنّى أشاء لكنتُ منه * مكانَ الفرقَدَيْنِ من النُّجوم

أُخبّره بأن الجُرْحَ يُشْوِى * وأنّك فوق عِجْلِزَةٍ [6] جَمُومِ

يقول : إن الجرح الذى بك شَوًى لم يُصب منك مقتلا —

ذكرتُ تَعِلّةَ الفتيان يومًا * وإلحاقَ المَلامةِ بالمُلِيم

قال : وحمل معاوية بن يزيد الفزارىّ [7] فأخذ كَبْشَة بنت المجّاج بن معاوية بن قُشَيْر، وكانت عند مالك بن خَفَاجة بن عمرو بن عُقَيْل، فحمل معاوية بن خفاجة أخو [8] مالكٍ على معاوية بن يزيد فقتله واستنقذ كبشة، وقال : يا بنى عامر، إنهم

---

(١) عبارة النقائض : «الحمس قريش وما ولدت من قبائل العرب يتشدّدون فى دينهم ، والحلة لم يكونوا كذلك» . (٢) استلحم الرجل (بالبناء للمجهول) : روهق فى القتال واحتوشه العدو . (٣) فى الأصول : «واستلحم حسحاس بن مرة بن أعياء ...» والتكملة والتصويب من النقائض، ويؤيده الشعر الذى بعده . (٤) يديت : اتخذت عنده يدا، والأكثر فى اتخاذ اليد أن يقال أيديت بالألف ؛ أما يديت فقليل . ويقال يديت فلانا اذا أصبت يده ؛ وهذا مطرد فى سائر الأعضاء . وذو الجذاة (بفتح الجيم وكسرها كما فى كتاب معجم ما استعجم البكرى) : موضع . (٥) كذا فى النقائض . وفى ء : «من لك من حميم» . وفى أ، م : «من كد حميم» . وفى س : «على كرا الحيم» . وفى ب : «من كرمن حميم» وفى معجم البلدان (فى كلامه على الجذاة بالجيم والدال المهملة) : «عن دار الحميم» . (٦) العجلزة (بكسر العين واللام لهجة قيس، وبفتحهما لهجة تميم) : الشديدة الخلق القوية، توصف بها النوق والخيل، وفى الخيل أعرف . والجموم من الخيل : الذى اذا ذهب منه إحضار جاءه إحضار، يوصف به المذكر والمؤنث . (٧) فى النقائض : «بدر» بدل «يزيد» . (٨) فى الأصول «أبو مالك» . والتصويب من النقائض .

يموتون، وقد كان قيل لهم إنهم لا يموتون[1]. ونزل حسّان بن عامر بن الجَوْن[2] وصاح: يا آل كِندَة! فحمل عليه شُرَيح بن الأحوَص؛ فاعترض دون ابن الجَوْن رجلٌ من كِندَة يقال له حَوْشَبٌ، فضربه شُرَيح بن الأحوص فى رأسه فانكسر السيف فيه، فخرج يعدو بنِصْف السيف[3] وكان مما رغَب الناس[4] مكانُه. وشدّ طُفَيْلُ بن مالك بن جعفر فأسر حسّان بن الجون. وشدّ عوف بن الأحوص على معاوية بن الجون فأسره وجزّ ناصيته وأعتقه على الثواب. فلقيته بنو عَبْس، فأخذه قيس بن زُهَير فقتله. فأتاهم عوف فقال: قتلتم طليق فأَحْيُوه أو ائتونى بمِلْكٍ مثلِه. فتخوّفت بنو عبس شرَّه وكان مَهيبًا، فقالوا: أَمْهِلْنا. فانطلقوا حتى أتَوْا أبا بَرَاء عامرَ بن مالك بن جعفر يستغيثونه على عوف. فقال: دُونَكم سَلْمَى بنَ مالك فإنه نديمه وصديقُه — وكانا مشتبهين أحمرَين أشقرين[5] ضخمةً أنوفهما، وكان فى سَلْمَى حياء — [فأتَوْه[6]] فقال: سأكلّم لكم طُفَيلًا حتى يأخذ أخاه فإنه لا يُجيكم من عوف إلّا ذلك، وايمُ الله ليأتينّ شَحِيحًا. فانطلقوا إليه. فقال طفيلٌ: قد أتَوْنى بك، ما أعرفَنِى بما جئتُم له! أتيتمونى تُريدون منِّى ابنَ الجَوْن تُقيدون به من عَوْف، خُذُوه، فأعطاهم إيّاه؛ فأتَوْا به عوفًا فجزّ ناصيته وأعتقه[7]؛ فسُمِّى الجَزّازَ. فذلك قول نافع بن الخَنْجَر[8] بن الحَكَم بن عُقَيل بن طُفَيْل بن مالك فى الإسلام:

(١) عبارة النقائض: «يا بنى عامر إنهم يموتون، أجد: وقد يروى أنه قال إنهم لا يموتون».
(٢) فى النقائض: «عمرو». (٣) فى النقائض: «بقصدة السيف».
(٤) فى الأصول: «رعب الناس» بالعين المهملة. والتصويب من النقائض.
(٥) كذا فى النقائض. وفى بعض الأصول: «أحوين أشعرين». وفى بعضها: «أحوين أشعرين». (٦) التكملة من النقائض. (٧) هذه عبارة النقائض. وعبارة الأصول: «فأتوه بجز...». (٨) كذا فى النقائض، وقد سمت العرب خنجرا. وفى أ، م: «نافع ابن الخنجرة» بجيمين. وفى سائر الأصول: «نافع بن الخنجرة بن الحكيم ...».

قَضَيْنا الجَوْنَ عن عَبْسٍ وكانت * مَنِيَّــةُ[1] مَعْبَــدٍ فينا هُــزَالَا

قال : وشهدها لَبِيدُ بن رَبِيعةَ بن مالكُ بن جعفر وهو ابنُ تسع سنين، و يقال : كان ابن بِضْعَ عَشْرةَ سنة، وعامرُ بن مالك يقول له : اليومَ يَتِمْتَ من أبيـك إن قُتِلَ أعمامك . وقُتل يومئذ زُهَيْر بن عمرو بن معاوية. وُجِدَ مقتـولاً بين ظَهْرانَىْ

٥ صفوف بنى عامر حيث لم يبلُغ القِتـالَ[2] ؛ وهو معاوية الضِّبَاب بنُ كِلَاب . فقال أخوه حُصَيْنٌ للذى قتله :

يا ضَـبُعًا عثواءَ لا تَسْتَانِسي[3] * تلتقم الهَبْرَ مِنَ السَّقْبِ الرَّذِى[4]

أقســم بالله وما حَجَّتْ بَلِي[5] * [وما على العُزَّى تَعِــزُّه غَنِي

وقد حلفتُ عند مَنْحَرِ الهَدَى[6]] * أُعْطِيكُمُ[7] غيرَ صُــدور المَشْرَفِي

---

١٠ (١) كذا فى النقائض . وفى أكثر الأصول : « صنيعة معبــد » . وفى جـ : « منيعة معبد » .

(٢) كذا فى جـ والنقائض . وفى سائر الأصول : « ... لم يبلغ القتال هو ومعاوية الضباب... » وهو تحريف . (٣) فى جـ : « عشواء لاستا. فسى » . وفى سـائر الأصول : « عشواء لستر ما نسى » . والتصويب من النقائض . والضبع العثواء : الكثيرة الشعر . والعثا : لون الى السواد مع كثرة شعر . (٤) كذا فى النقائض . وورد هذا الشطر مضطربا فى الأصول ؛ ففى جـ ، ب ،

١٥ س : « تلتهيم الهـبر من الشعب الذوى » . وفى أ ، م : « تلتهــم الخبز من السقب الردى » . والهبر : قطع اللحم . والسقب : ولد الناقة أو هو ساعة يولد . والرذى (بالذال المعجمة) : المهـزول الهالك . والردى : الهالك . (٥) بلى : قبيلة من العرب . (٦) فى الأصول بدل هذين الشطرين : « وما على العدى من الهدى » والتكملة والتصويب من النقائض . والعزى : شجرة من السمر كانت لغطفان يعبدونها وكانوا بنوا عليها بيتا وأقاموا عليها سدنة ، فبعث إليها رسـول الله صلى الله

٢٠ عليه وسلم خالد بن الوليد فهدم البيت وأحرق السمرة وهو يقول :

يا عز كفرانك لا سـبحانك * إنى رأيت الله قــد أهانك

وغنى : قبيلة من غطفان . والهدى (بفتح أوله وكسر ثانيه وتشديد الياء مثل الهدى بالفتح) : ما يهدى لمكة من النعم . (٧) يريد : لا أعطيكم . وحذف « لا » النافية فى مثل هــذا الموضع كثير ، وهى أن تكون داخلة على فعل مضارع وقبلها قسم .

فليس مثلى عن زُهَيْرٍ بَغِى * هو الشُّجاعُ والخطيبُ اللَّوْذَعِى
والفارسُ الحازمُ والشهمُ الأبى * والحاملُ الثِّقْلَ إذا يَنزِلُ بِى

وذكروا أن طُفَيْل بن مالك لمّا رأى القتال يوم جَبلةَ قال : وَيْلَكم ! وأين نَعَمُ هؤلاء ! فأغار على نَعَمِ عمرٍو وإخوته وهم من بنى عبد الله بن غَطَفان ثم من بنى الثَّرْمَاء، فاستاق ألفَ بعير. فلقيه عُبَيْدةُ بن مالك فاستجداه، فأعطاه مائةَ بعير، وقال : كأنّى بك قد لَقِيتَ ظَبْيَانَ بن مُرّةَ بن خالد فقال لك : أعطاك من ألفه مائةً ! جئتَ مُغْضَبا. فلقِىَ عُبَيْدةُ ظَبْيانَ، فقال له : كم أعطاك ؟ قال : مائة . فقال : أمائةً من ألف ! فغضب عُبَيدةُ . قال : وذُكِرَ أن عُبَيدةَ تسرّع يومئذ إلى القتال، فنهاه أخواه عامر وطُفَيْل أن يفعل حتى يرى مُقاتَلاً، فعصاهما وتقدّم، فطعنه رجل[1] فى كتفه حتى خرج السِّنانُ من فوق ثَدْيه فاستمسك فيه السنان. فأتى طُفَيلاً فقال له : دُونَك السِّنانَ فانْزِعْه ، فأبى أن يفعل ذلك غضبًا. فأتى عامرًا فلم يَنْزِعْه منه غضبًا، فأتى سَلْمَى[2] بن مالك فانتزعه منه، وأُلقِى جريحًا مع النساء حتى فرغ القومُ من القتال . وقتلت بنو عامر يومئذ من تميم ثلاثين[3] غلامًا أغْرَلَ[4] . وخرج حاجبُ ابن زُرارة منهزمًا ، وتبعه الزَّهْدَمانِ زَهْدَمٌ وقَيْسٌ ابنا حَزْنِ بن وَهْب بن عُوَيْمر بن رَوَاحةَ العَبْسيّان، فجعلا يطرُدان حاجبًا ويقولان له : استأسرْ وقد قدَرا عليه، فيقول : مَنْ أنتما ؟ فيقولان : الزَّهْدَمانِ، فيقول : لا أستأسرُ اليومَ[5] لِمُولَيَيْن . فبينما هم كذلك إذ أدركهم مالكٌ ذُو الرُّقَيْبة بن سَلَمةَ بن قُشَيْر، فقال لحاجب : استأسرْ . قال :

(١) فى الأصول : «فطعنه رجل منهم» . وكلمة «منهم» ليست فى النقائض ولا معنى لها فى السياق .
(٢) فى الأصول «سالم» . والتصويب من النقائض .
(٣) فى النقائض : «ثمانين غلاما» .
(٤) فى الأصول : «أعزل» . والتصويب من النقائض . وأغرل : أقلف لم تقطع غرلته . يريد أنهم كانوا صغارا .
(٥) فى النقائض : «الدهر» .

ومَنْ أنت ؟ قال : أنا مالكٌ ذو الرُّقيبة . فقال : أفعلُ . فلَعَمْرِى ما أدركتَنى حتى كدتُ أن أكونَ عبدًا . فألقَ اليه رمحه، واعتنقه زهدمٌ فألقاه عن فرسه . فصاح حاجبٌ : يا غَوْثاهْ . [وندر السيف][1]، وجعل زَهْـدَمٌ يَرِيغ[2] قائم السيف . فنزل مالكٌ فاقتلع زهدمًا عن حاجب . فمضى زهدمٌ وأخوه حتى أتيا قَيْسَ بن زُهَيْرِ بن جَذِيمَةَ فقالا : أخذ مالكٌ أسيرَنا من أيدينا . قال : ومَنْ أسيرُكما ؟ قالا : حاجبُ ابن زُرَارةَ . فخرج قيس يتمثّـل قولَ حَنْظَلةَ بن الشَّرْقِىّ القَيْـنىّ أبى الطَّمَحَانِ رافعًا صوتَه يقول :

أجَـدُّ بنى الشَّرْقىّ أُولِـعَ أنَّنى * متى أسْتَجِرْ جارًا وإنْ عزَّ يَغْدِرِ
إذا قلتُ أوفَى أدركتْـه دَرُوكَةٌ * فيا مُوزِعَ الجِـيرانِ بالغَىِّ أقْصِرِ

حتى وقف على بنى عامر فقال : إنّ صاحبكم أخذ أسيرنا . قالوا : مَنْ صاحبُنا ؟ قال : مالك ذو الرُّقيبة أخذ حاجبًـا من الزَّهْدَمَيْنِ . فجاءهم مالك فقال : لم آخذه منهما ، ولكنه استأسَرَ لى وتركهما . فلم يبرحوا حتى حكّموا حاجبًـا فى ذلك وهو فى بيت ذى الرُّقَيبـة، فقالوا : مَنْ أسَرك يا حاجب ؟ فقال : أمّا مَنْ ردّنى عن قَصْدِى ومنعنى أن أنجو ورأى منّى عورةً فتركها فالزهدمان . وأمّا الذى استأسرتُ له فمالكٌ، فحكّمونى فى نفسى . قال له القوم : قد جعلنا إليك الحُكْمَ فى نفسك . فقال : أمّا مالكٌ فله ألْفُ ناقة، وللزهدمين مائةٌ . فكان بين قَيْس بن زهير وبين الزهدمين مُغَاضبةٌ [بعد ذلك][1]، فقال قَيْسٌ :

جَزَانى الزهدمانِ جزاءَ سَوْءٍ * وكنتُ المرءَ يُجْـزَى بالكَرَامهْ
وقد دافعتُ قد عَلِمتْ مَعَدٌّ * بنى قُـرْطٍ وعَمُّهم قُـدَامهْ

(١) زيادة عن النقائض . (٢) يريغ : يطلب . وفى الأصل « يراوغ » . والتصويب من النقائض .

رَكِبْتُ بهم طريقَ الحقِّ حَتَّى * أَتَيْتُهُم(١) بها مائةً ظُلَامَهْ

وقال جرير فى ذلك :

ويومَ الشِّعْبِ قد تركوا لَقِيطًا * كأنَّ عليه حُلَّةَ أُرْجُوانِ(٢)

وكُلُّ(٣) حاجبٌ بَشَمامِ(٤) حَوْلًا * فَحَكَّمَ ذا الرُّقَيْبَةِ وهو عانِى

وأمّا عمرو بن[عمرو بن]عُدُس فأفلتَ يومئذ. فزعمتْ بنو سُلَيْمٍ أنّ الخيل عُرِضتْ على مِرْدَاس بن أبى عامرٍ يوم جَبَلةَ ، وكان أبْصَرَ الناس بالخيل ، فعُرِضتْ عليه فرسٌ لغلامٍ من بنى كِلَاب ، فقال : واللهِ لإِ أعجزها ولا أدركها ذكرٌ ولا أنثى ؛ فهذا رِدَائى بها وخَمْسٌ وعشرون ناقةً . فلمّا انهزم الناس يوم جَبَلةَ خرج الكِلابىّ على فرسه تلك يطلب عمرو بن عمرو . قال(٥) الكِلَابىّ : فراكضتُه نهارًا على السَّوَاء ، واللهِ ما علمتُ أنه سبقنى بمقدارِ أَعْرفه ، ثم زاد(٦) مكانُه ونقصتُ . فقلت : قُمِر والله مِرْداسٌ . وهَوَى عمرو إلى فرسه فضرَبها(٧) بالسَّوْط فانكشفتْ ، فإذا هى خُنْثَى ، لا ذَكَرٌ ولا أنثى ، فأخبرتُهم أنّى سُبِقْتُ . فقالوا : قُمِر السُّلَمِىُّ . فقلت لا . ثم أخبرتُهم الخبرَ . فقال مِرداس :

تَمَطَّتْ كُمَيْتٌ كالهِرَاوةِ ضامرٌ * لعَمْرِو بن عَمْرٍو بعد ما مُسَّ باليَدِ

(١) فى أكثر الأصول : «أتيتهم بها» والتصويب من جـ والنقائض . (٢) الأرجوان : صبغ أحمر شديد الحمرة . (٣) وردت هذه الكلمة فى الأصول محرفة ، والتصويب من النقائض .

(٤) شمام : موضع ، ويروى بالكسر على البناء مثل قطام ، وبالفتح على أنه لا ينصرف .

(٥) كذا فى النقائض . وفى الأصول : «وقال الكلابى» بزيادة الواو . (٦) فى الأصول : «ثم ذلك مكانه ونهضت» . والتصويب من النقائض . (٧) فى جـ والنقائض : «ويهوى عمرو الى فرسه فيضربها ... » .

فلولا مَدَى الخُنْثَى وبُعْدُ جِرائِهـا * لَقَاظَ ضعيفَ النَّهْضِ حَقَّ مُقَيَّد[1]

تذكَّر رُبْطًا[2] بالعراقِ وراحـــةً * وقد خَفَق الأسيافُ فوق المُقَلَّد[3]

وزعم علماء بنى عامر أنه[4] لمّا انهزم الناس خرجت بنو عامر وحُلفاؤهم فى آثارهم يقتُلون ويأسِرون ويسلُبون ، فلحق قَيْسُ بن المُنتَفِق بن عامر [بن عُقَيْل][5] بن عُقَيْلٍ عمرَو ابن عمرو فأسره . فأقبل الحارثُ بن الأبْرَص بن رَبيعةَ بن عُقَيْلٍ فى سَرَعان الخيل[6] ، فرآه عمرو مقبلًا فقال لقيس : إن أدركنى الحارثُ قتلنى وفاتك ما تلتمس عندى ، فهل أنت محسن إلىّ و إلى نفسك ! تَجُزّ ناصيتى فتجعلها فى كِنَانتك ، ولك العهدُ لأفِيَنَّ لك ، ففعل . وأدركهما الحارثُ وهو ينـادى قيسًا و يقول : أَقْتُلْ أُقتل . فلحق عمرو بقومه . فلمّا كان الشهر الحـرام[7] خرج قَيْسٌ إلى عمرو يستثيبه ، وتبعه الحارث بن الأبرص حتّى قدما على عمرو بن عمرو ، فأمر عمرو بن عمرو ابنةَ أخيه آمنة[8] بنت زيد بن عمرو فقال : اضربى على قيس الذى أنعم على عمّك هذه القُبَّة . وقد كان الحارث قتـل أباها زيدًا يوم جبلة . فجاءت بالقُبّـة فرأت الحارثَ أهْيَأهما[9] وأجملَهما ، فظنّته قَيْسًا فضربت القُبّة على رأســه وهى تقول : هــذا والله رجلٌ

(١) كذا فى حـ والنقائض (صفحة ٦٧١) . ولعله يريد : لولا سرعة الخنثى لوقع أسـيرا فأقام مدّة القيظ ضعيف النهض حق مقيد ، أى مقيدا حق التقييد . وورد هذا الشطر فى سائر الأصول محرفا . ويروى هذا البيت فى النقائض (صفحة ٤٠٩) :

فلولا مدى الخنثى وطول جرائها * لرحت بطيء المشى حق مقيـد

(٢) فى حـ : «ربطا» والربط (بضمتين وسكنت عينه هنا ، وهذا التسكين جائز فى مثل هذا الجمع ، والواحد ربيط) : جماعات الخيل (٣) خفوق السيف اضطرابه . والمقلد : موضع القلادة من العنق . وموضع نجاد السيف على المنكبين . (٤) هــذه عبارة النقائض . وفى حـ : « وزعم علماء بنى أنه » . وفى أكثر الأصول : « وزعم علماؤنا أنهم لما انهزم الناس ... » .

(٥) الزيادة من النقائض . (٦) سرعان الخيل (بفتح الراء وسكونها) : أوائلها .

(٧) كذا فى النقائض . وفى الأصول : « فى الشهر الحرام » بزيادة « فى » .

(٨) فى النقائض «أمية» . (٩) فى الأصول : « أحياهما » . والتصويب من النقائض .

لم يُطْلِع الدَّهْرَ عليه بما اطَّلَعَ به علىّ. فلمّا رجعت إلى عمّها عمرو قال: يابْنةَ أخى، عَلَى مَنْ ضربتِ القُبّة؟ فنعتتْ له نَعْتَ الحارث. فقال: ضربتِها والله على رجلٍ قتَل أباك وأمَر بقتل عمّك. فجزعتْ مما قال لها عمُّها. فقال الحارث بن الأبرص:

أمَا تَدْرِين يابْنةَ آلِ زَيْدٍ * أُمَيْنُ(1) بما أجَنّ اليومَ صدرى
فكم من فارسٍ لم تُرْزَئيـــه * فَتَى الفتيانِ فى عِيصٍ وقصرِ(2) ٥
رأيتُ مكانَه فصددتُ عنه * فأعيا أمرُه وشددتُ أزرى
لقــد آمرتُه فعصَى إمَارِى * بأمِّ عزيمةٍ(3) فى جَنْبِ عمرو
أمرتُ به لتَخْمُشَ(4) حَنَّتَاهُ * فضيّع أمرَه قيسٌ وأمرى.

الحَنّة: الزوجة. يقال حَنّتُه، وطَلّتُه(5). ثم إن عمرًا قال: يا حار، ما الذى جاء بك! فوالله ما لك عندى نِعمةٌ، ولقد كنتَ سيّئَ الرأى فىّ، قتلتَ(6) أخى وأمرتَ ١٠ بقتلى. فقال: بل كففتُ [عنك](7)، ولو شئت إذ أدركتُك لقتلتك. قال: ما لك عندى من يد، ثم تذمّم منه فأعطاه مائةً من الإبل، ثم انطلق فذهب الحارث. فلمّا جاء عمرًا(8) قيسٌ أعطاه إبلًا كثيرةً، فخرج قيسٌ بها، حتى إذا دنا من أهله سمع به

(1) أمين: مصغر آمنة تصغير ترخيم. وفى النقائض: «أمىّ» كروايته الأولى.
(2) كذا فى الأصول. وفى النقائض (فى صفحة ٦٧٢): «فى عيص ويسر»، وفى ٤٠٩ ١٥ «أخى الفتيان فى عرف ونكر». (3) فى الأصول: «بأم غوية». والتصويب من النقائض (ص ٦٧٢). وفى ٤٠٩ منها «بأم حزامة». يشير بهذا الى قوله لقيس بن المنتفق حين أسر عمرو ابن عمرو: اقتل اقتل، فأبى قيس أن يقتله. (4) الخمش: الخدش فى الوجه، وقد يستعمل فى سائر الجسد. يريد: ليقتل فتبكى عليه حنتاه فتخمشا وجوههن من كثرة الدم لها.
(5) فى الأصول: «كلته» وهو تحريف. (6) فى الأصول: «وقتلت» بزيادة ٢٠ الواو وليست فى النقائض. (7) زيادة من النقائض. (8) عبارة النقائض: «فلما خلا عمرو بقيس ...».

الحارثُ بنُ الأبرص فخرج فى فوارس من بنى أبيه حتى عرّض لقيس فأخذ ما كان معه . فلمّا أتى قيسٌ بنى أبيه بنى المنتفق اجتمعوا اليه وأرادوا الخروج . فقال : مَهْلًا ! لا تقاتلوا إخوتكم ؛ فإنه يُوشك أن يرجع وأن يؤول إلى الحق فإنه رجل حَسُودٌ . فلمّا رأى الحارثُ أن قيسًا قد كفّ عنه ردّ اليه ما أخذ منه .

٥ وأمّا عُتَيْبةُ بن الحارث بن شِهَاب فإنه أُسر يومئذ فقُيِّد فى القِدّ ، وكان يبول على قِدّه حتى عفِن . فلمّا دخل الشهر الحرام هرَب فأفلتَ منهم بغير فِداء .

وغَنِم مرداس بن أبى عامر(١) غنائمَ وأخذ رجلًا فأخذ منه مائةَ(٢) ناقة، فانتزعها منه بنو أبى بكر بن كِلاب ؛ فخرج مرداسٌ إلى يزيد بن الصَّعِق ، وكان له خليلًا ، فانتهى اليه مرداس وهو يقول :

١٠ لعمرُك ما ترجو مَعَدٌّ ربيعَها * رجائى يزيدًا بل رجائى أكثرُ
يزيد بن عمرو خيرُ مَنْ شَدّ ناقةً * بأقتادها(٣) إذا الرياحُ تُصَرْصِرُ
تداعت بنــو بكر علىّ كأنّما * تداعت علىّ بالأحِـزّة(٤) بربرُ
تداعَوْا(٥) علىّ أن رأونى بخَـلْوةٍ * وأنتم بأُحْدان(٦) الفَوارس أبصرُ

٤٥ / ١٠

(١) فى الأصول : « أبى غاز » ، والتصويب من النقائض ومن نسخة المرحوم الشنقيطى .

١٥ (٢) فى الأصول : « وأخذ رجلا ومائة ناقة » والتصويب من النقائض . (٣) الأقتاد : جمع قتد (بالتحريك وبالكسر) وهو خشب الرحل أو كل أداة الرحل . وفى ب ، س : «أو اقتادها» وهو تحريف . (٤) كذا فى النقائض . والأحزة : جمع حزيز ، وهو ما غلظ من الأرض وانقاد . وفى جـ : « بالأخرة » (بالخاء المعجمة والراء المهملة) جمع خرير ، وهو المكان المنهبط بين الربوتين ينقاد . وفى سائر الأصول : « بالأخيرة » وهو تحريف : وبربر : جيل من الناس .

٢٠ (٥) كذا فى النقائض . وفى الأصول : « تداعت » . والتناسب بين الضمائر فى البيت أولى .
(٦) كذا فى جـ والنقائض . ووردت هذه الكلمة محرفة فى سائر الأصول . وأحدان : جمع واحد كراكب وركبان ؛ يقال فيه وحدان على الأصل ، وأحدان بقلب الواو همزة .

ويروى "بوشمدان" . فركب يزيد حتى أخذ الإبل من بنى أبى بكر فردّها إليه . فطرقه البكريّون فسقوه الخمر حتى سكر، ثم سألوه الإبلَ فأعطاهم إيّاها . فلمّا أصبح ندم، فخرج إلى يزيد فوجد الخبر قد جاءه. فقال له يزيد: أصاحٍ أنت أم سكران؟! فانصرف فاطّرد إبلًا من إبل بنى جعفر فذهب بها وأنشأ يقول :

أجُنّ بليلَى[1] قلبُه أم تذكّرا * منازلَ منها حولَ قُرَّى ومَحْضَرا ٥

تخُرّ الهَدَالُ[2] فوق خَيْماتِ أهلِها * ويُرْسُون حِسًّا بالعِقال[3] مُؤَطَّرا

ــ الحِسّ : الفرس الخفيفة . والمؤطّر : المعطوف ــ

سآبَى وأستغنِى كما قد أمرتَنى * وأصرِفُ عنك العُسْرَ لستُ بأفقرا

وإنّ سُلَيْماً والحجازَ مكانُها * متى آتِهم أجِدْ لبيتىَ مَهْجَرا

ــ المَهْجَرُ : الموضع الصالح؛ يقال : هذا أهجر من هذا إذا كان أجْوَد [منه] وأصلح ــ ١٠

يُفَرِّج عنّى حَدُّهم[4] وعَديدُهم * وأُسْرِج لِبِذْى خارجيًّا مُصَدَّرا[5]

قَصَرْتُ عليه الحالبَيْنِ بجُوده[6] * إذا ما عدا بلّ الحِزامَ وأمطرا

ــ الحالبين : الراعيين . يقول احتبستهما ــ

نَجُدُّ إبلًا إنّ العِتاب[7] كما ترى * على خَذَمٍ[8] ثم آرِمْ للنصر جعفرا ١٥

(١) فى الأصول : «أحن بليل» والتصويب من النقائض ومعجم البلدان فى كلامه على «محضر» . وقرى ومحضر : موضعان . (٢) فى أكثر الأصول : «تحن الهزال» . وفى جـ : «تحن الهدال» . وما أثبتناه عن النقائض . والهدال هنا ضرب من الشجر يكون بالحجاز له ورق عراض ، أو هو ما تدلى من الأغصان . (٣) فى الأصول : «بالفعال» والتصويب من النقائض .

(٤) كذا فى النقائض . والحدّ هنا الشوكة والقوة . وفى الأصول : «عدهم» . (٥) المصدّر من الخيل : السابق . (٦) المراد بالجود هنا العرق . (٧) كذا فى الأصول والنقائض ! . ٢٠

(٨) الخذم (بالتحريك) : السرعة فى السير . وفى النقائض : «ادع» بدل «ارم» .

فإنّ بأكناف البحار[1] الى المَــلا ... وذى النخل مَضحىً إن صحَوتَ[2] ومَسكَرَا

وأرعَى من الأظلاف[3] أثلًا وحَمْضةً[4] * وترعَى من الأطـواء أثلًا وعرعرا

وانصرف يومئذ سنانُ بن أبى حارثة المرّىّ فى بنى ذُبيان على حاميته، فلحق بهم معاويةُ بن الصُّموت بن الكامل[5] الكلابىّ، وكان يسمّى الأسَــدَ الجدَّعَ. ومعــه حَرملةُ العُكلىّ ونفرٌ من النّاس، فلحق بسنان بن أبى حارثة ومالكِ بن حمار الفزارىّ فى ســبعين فارسًا من بنى ذُبيان. فقال سنانٌ: يامالكُ كُرَّ واحمِنا ولك خَوْلةُ بنت سنانٍ ابنتى أزوِّجُكها. فكرَّ مالكٌ فقتل معاوية، ثم اتّبعه حرملةُ العُكلىّ وهو يقول:

لأىّ يومٍ يُخبَأ المرءُ السَّعهْ * مُودَّعٌ ولا تَرَى فيه الدَّعهْ[6]

فكرّ عليه مالكٌ فقتله، ثم اتّبعه رجلٌ من بنى كلاب، فكرّ عليه مالك فقتله، ثم اتّبعه رجلان من قَيس كُبّةَ من بَجيلةَ، فكرّ عليهما فقتلهما. ومضى مالكٌ وأصحابُه. فقال مالك فى ذلك:

---

(١) كذا فى النقائض. وفى جـ، ب، س: «فان بأكناف الرحال» وفى أ، م: «فان بأكناف النجار». وكلاهما تحريف. والبحار: جمع بحرة (بالفتح) وهى الفجوة من الأرض تتسع، أو هى الوادى الصغير يكون فى الأرض الغليظة، أو هى الروضة العظيمة مع سعة. والملا: الأرض الواسعة أو الفلاة. (٢) كذا فى النقائض. وفى الأصول: «إن سمعت». (٣) فى النقائض: «من الأكلاء». والأظلاف: جمع ظلف (بالتحريك) وهو ما غلظ من الأرض وصلب.

(٤) كذا فى النقائض. ولعل المراد بالحمضة الحمض لحقته هاء التأنيث. والحمض من النبات: كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له. وفى جـ: «وخضمة» بالضاد المعجمة. وفى أ، م: «وخصمة» بالصاد المهملة. وفى ب، س: «وخطمة». (٥) كذا فى أكثر الأصول. وفى جـ: «الكاهن». وفى النقائض: «الكاهل». ولم نهتد لوجه الصواب فيه.

(٦) فى الأصول: «ولا يرى فيها الدعة» والتصويب من النقائض. والمودّع: المترف المنعم. والدعة هنا: الخفض فى العيش والراحة. يقول: هو مترف منعم ولا ترى عليه آثار النعمة.

ولقد صَدَدْتُ عن الغَنيمة حَزْمَلًا * ولَقِيتُــه لَدَدًا[1] وخيــلى تَطْــرُدُ
أقبلتُــه[2] صَــدْرَ الأغرّ وصارمًا * ذَكَرًا نخــرّ على اليَـدَيْنِ الأبعــدُ
وابنَ الصموت تركتُ حين لَقِيتُه * فى صــدر مارنةٍ يقوم ويقعــد
وٱبنا ربيــعةَ فى الغُبَــارِ كلاهما * وٱبنَا غــنِيٍّ عامرٌ والأســودُ[3]
حتى تنفّس بعــد نَكْظٍ مُجْحَرًا[4] * أذهبتُ عنــه والفَــرَائصُ تُرْعَدُ

— النكظ الجهد . قال : —

يعــدو ببَزِّى[5] سابحٌ ذو مَيْعــةٍ * نَهْــدُ المَرَاكلِ ذُو تَليــلٍ أقود

فخطب اليه مالكٌ خَوْلَةَ فأبى أن يزوّجه .

وأمّا بنــو جعفر فيزعمون أن عُرْوةَ الرَّحّال بن عُتْبةَ بن جعفر وجد سِــنَانَ بنَ أبى حارثةَ وابنَيْه هَرِمًا ويزيدَ على غَديرٍ قد كاد العطش أن يُهْلِكَهم، بجزّ نَوَاصيَهم وأعتقهم . ثم إن عُرْوةَ أتى سنانًا بعد ذلك يَستثيبه ثوابًا يرضاه [فلم يثبه شيئًا][6] . فقال عروة فى ذلك :

أَلَا مَنْ مبلــغٌ عنّى سِــنَانًا * أُلُوكًا لا أريد بهــا عِتَابَا
أفى الخَضْراءِ تَقسِمُ هَجْمَتَيْكم[7] * وعُرْوةُ لم يُثَبْ الا التُّرَابَا

(١) وردت هذه الكلمة فى الأصول مضطربة؛ ففى ب، س : «لدا» . وفى ا، م : «لدوا» . وفى جـ : «للدا» . والتصويب من النقائض، والرواية فيها : «و بغيته لددا» . واللدد : مصدر لددت فلانا ألده إذا خصمته وجادلته . (٢) أقبلت الشيء الشيءَ : جعلته قبالته . (٣) رواية النقائض :

وابنا بجيلة فى الغبار كلاهما وابن الغنى وعامر والأســود

(٤) المجحر : المضطر الملجأ . (٥) فى الأصول : «يعدو ببز» بدون الياء . والتصويب من النقائض . والسابح : الفرس الحسن مدّ اليدين فى الجرى . وميعة كل شيء : أوّله وأنشطه . والنهد : الجسم المرتفع . ومركل الدابة : حيث يركله الراكب برجله ليحثه على السير . والتليل : العنق . والأقود : إن كان وصفا لنهــد فهو المنقاد الذليل، و إن كان وصفا لتليل فهو الطويل، و يكون فى البيت إقواء .

(٦) زيادة عن النقائض . (٧) الخضراء من الناس : سوادهم ومعظمهم . والهجمة : القطعة الضخمة من الإبل واختلف فى مقدارها على عدة أقوال .

فلو كان الحافرُ طاوعونى * غداةَ الشِّعْبِ لم تَذُقِ[1] الشَّرَابا

أتجزى القَيْنَ نِعْمَتَها عليكم * ولا تَجْـزِى بنعمتها كِلَابا

وأمّا بنو عامر فيزعمون أن سِنَانًا انصرف ذاتَ يوم هو وناسٌ من طيِّئ وغيرهم قبل الوَقْعة، فبلغه أنّ بنى عامر يقولون : منَنّا عليه؛ فأنشأ يقول :

والله ما مَنُّوا ولكن شِكَّتِى[2] * منَّتْ وحادرةُ المَنَا كِبِ صِلْدِمُ

بمُجرِيرِ شول[3] يومَ يُدْعَى عامرٌ * لا عاجزٌ وَرَعٌ[4] ولا مستسـلِمُ

وأمّا بارقٌ فتدّعى أسْرَ سِـنَانٍ يومئذ على الثَّواب، ثم أتَوْه فلم يصنَع بهم خيرًا. فقال معقِّر بن أَوْس بن حِمَار البارقىّ :

متى تكُ فى ذُبْيـانَ منك صنيعةٌ * فلا تَحْمَدَنْها الدّهرَ بعـد سِنَانِ

يَظَـلُّ يُمَنِّينَا بحسنِ ثوابِه[5] * لـكم مائةٌ يحـدو بهـا فرسَانِ

مَخاضٌ أُوَدِّيهـا وجـلّ لقائم[6] * وأكرِمُ مثـوى منـكمُ مَنْ أتانى

(١) فى الأصول : « يذق » بالياء المثناة من تحت . والتصويب من النقائض .

(٢) الشكّة : السلاح . وحادرة المناكب : غليظتها . والمناكب : جمع منكب (بكسر الكاف) وهو من الإنسان وغيره مجتمع رأس الكتف والعضد . وقد عللوا ورود الجمع فى مثل هذا فقال اللحيانى : هو من الواحد الذى يفرّق فيجعل جمعا ، والعرب تفعل هذا كثيرا . وقياس قول سيبويه أن يكونوا ذهبوا فى ذلك الى تعظيم العضو ، كأنهم جعلوا كل طائفة منه منكبا . وصلدم : صلب شديد أو هو شديد الحافر . ويلحظ أن «حادرة المناكب» وصف لأنثى ، «وصلدما» وصف مذكر ، والأنثى «صلدمة» بهاء التأنيث .

(٣) فى جـ : « بمجزير سول » . وفى النقائض : « بمجزير شول » بحاء مهملة وزايين معجمتين . وقد أثبتنا ما ورد فيه .

(٤) الورع : الجبان ، والضعيف فى رأيه وعقله وبدنه .

(٥) فى أكثر الأصول : « يظل فيناى محسن بثوابه » والتصويب من جـ والنقائض .

(٦) ورد هذا الشطر فى النقائض هكذا :

* مخاض أؤديها لقائم مائة *

جئناه للنُّعمَى فكان ثوابَه * رَغوثٌ ووَطْبا حازرٍ مَذِقانْ (١)
وظلّ ثلاثاً يسأل الحيّ ما يرى * يُؤامرهم (٢) فينا له أملانِ
فإن كنتَ هذا الدهرَ لابدّ شاكرًا * فلا تثقنْ بالشكر فى غَطَفان (٣)

تاريخ يوم جبلة

قال : وكان جَبَلةُ قبل الإسلام بتسع (٤) وخمسين سنة قبل مَوْلِد النبيّ صلّى الله عليه وسلم بتسع عشرة سنة . ووُلد النبيّ صلى الله عليه وسلم عامَ الفيل ، ثم أوحى الله اليه بعد أربعين سنة ، وقُبض وهو آبن ثلاث وستّين سنة ، وقدم عليه عامرُ بن الطُّفَيل فى السنة التى قُبض فيها صلّى الله عليه وسلم ، قال : وهو آبن ثمانين سنة . وقال المعقِّر بن أوس بن حِمارٍ البارقيّ حليفُ بنى نُمَيْر بن عامر :

ما قيل فى هذا اليوم من الشعر

أمنْ آل شَعْثاءَ (٥) الحُمولُ البواكرُ * مع الليل أم (٦) زالتْ قُبيلَ الأباعرُ (٧)
وحلّت سُلَيْمَى فى هضابٍ وأيكةٍ * فليس عليها يومَ ذلك قادر
وألقتْ عصاها واستقرّت بها النّوَى * كما قرّ عيناً بالإياب المسافر
وصبّحها أملاكُها بكتيبةٍ * عليها إذا أمستْ من الله ناظرُ

(١) فى أكثر الأصول : « رغوثا ووطبا خازرا » والتصويب من ج والنقائض . والمراد بالرغوث هنا : ذات اللبن . والوطب : سقاء اللبن . والحازر : الحامض . والمذق : اللبن المخلوط بالماء . يقال : مذقت اللبن أمذقه مذقا (من باب نصر) إذا خلطته بالماء ، فاللبن ممذوق ومذيق ومذق (بفتح فكسر) الأخيرة على النسب . (٢) يؤامرهم : يشاورهم . (٣) كذا ورد هذا البيت فى الأصول . وروايته فى النقائض :

فان كنت هذا الدهر لابدّ منعما * فلا تبغين الشكر فى غطفان

والمعنى على هذه الرواية واضح ؛ إذ هو يقول : إن كنت لابدّ منعما فى دهرك على أحد فلا تنعم على أحد من غطفان ؛ فانهم قوم يكفرون النعمة و يجحدون الصنيع . وظاهر أن الغموض فى رواية الأصل يرجع الى تحريف فيها . (٤) فى النقائض : « بسبع » . (٥) فى ب ، س : « آل شعفاء » بالفاء، وهو تحريف . (٦) فى الأصول : « أن زالت » والتصويب من النقائض. (٧) كذا فى ج والنقائض . وفى سائر الأصول : « الأعاصر » وهو تحريف .

٤٧ / ١٠

معاويةُ بنُ الجون ذُبيانُ حولَه ٭ وحسّانُ فى جمع الرِّباب مُكاثِرُ

فمرّوا بأطناب البيوت فردّهم[1] ٭ رجالٌ بأطراف الرماح مساعرُ[2]

وقد جمعوا جمعًا كأنّ زُهاءه ٭ جرادٌ هوى فى هَبْوةٍ متطايرُ[3]

فباتوا لنا ضيفًا وبتنا بنعمةٍ ٭ لنا مُسمِعاتٌ بالدُّفوف وسامرُ

ولم نَقْرِهم شيئًا ولكنْ قصدُهم ٭ صَبوحٌ لدينا مَطلَعَ الشمس حازرُ[4]

صبحناهمُ عند الشروق كتائبًا[5] ٭ كأركان سَلْمَى شَبْرُها متواترُ

كأنّ نَعامَ الدَّوّ باضَ عليهمُ[6] ٭ وأعينُهم تحت الحبيك جواحرُ[7]

— الحبيكُ فى البَيْض إحكام عملها وطرائقها —

من الضارِ بين الكَبْش[8] يمشون مُقدَمًا ٭ إذا غصّ بالريق القليلِ الحناجرُ

١٠ وظنّ سَراةُ القوم ألّا يُقتَّلوا[9] ٭ إذا دُعيتْ بالسَّفْح[10] عبسٌ وعامرُ

(١) الأطناب : حبال تشدّ بها البيوت . والمراد بأطناب البيوت هنا : أطرافها ونواحيها ؛ ومن ذلك الحديث : « مابين طنبي المدينة أحوج منى إليها » أى ما بين طرفيها . والمراد بالبيوت هنا الخيام التى تشدّ بالأطناب . (٢) مساعر : جمع مسعر (بكسر الميم وفتح العين) يقال : فلان مسعر حرب ، اذا كان يؤرثها ، فتحمى به الحرب . (٣) الهبوة : الغبار الثائر . (٤) فى الأصول :

١٥ ولم يغرهم شيئا ولكن قصدهم ٭ صبوح لنا من مطلع الشمس خازر

والتصويب من النقائض . وحازر : حامض . (٥) الكتائب : فرق الجيش ، واحدها كتيبة . وسلمى هنا : جبل فى بلاد طيء . والشبر : الإعطاء . ومتواتر : متتابع . يصف الكتائب بالضخامة كأنها أركان جبل سلمى المعروف . والمراد باعطائها المتواتر : فتكها المتواصل .

(٦) يريد تشبيه ما على رءوسهم من بيض الحديد ببيض النعام . (٧) جواحر : غائرات .

٢٠ وفى ب ، س : « جواحر » وهو تحريف . (٨) كبش القوم : رئيسهم وسيدهم أو هو حاميهم والمنظور اليه فيهم . (٩) فى جـ والنقائض : «أن لن يقتلوا» . (١٠) فى الأصول : « بالصفح » والتصويب من النقائض . وسفح الجبل : أسفله حيث يسفح فيه الماء . ولعله يعنى به مكانا بعينه .

ضربنا حَبِيكَ البَيْض فى غَمْر لُجَّة[1] * فلم يبقَ فى الناجين منهم مفاخرُ

ولم ينجُ إلّا مَنْ يكون طِمِرَّهُ[2] * يُوَائلُ أو نَهْدٌ مُلِحٌ مُثَابِرُ

هوَى زَهْدَمٌ تحت الغُبَار لحاجبٍ * كما انقضّ أقنَى[3] ذوجناحين ماهرُ[4]

هما بطلان يَعْثُران كلاهما * أراد رِئاس[5] السيف والسيف نادر

ولا فضلَ إلا أن يكون جَراءةٌ * وذُبيانُ[6] تسمو والرءوس حواسرُ

ينوءُ وَكَفَّا زَهْدَمٍ من ورائه * وقد عَلِقتْ ما بينهن الأظافرُ

يفرِّج عنّا كلَّ ثَغْرٍ نخافُه * مِسَحٌّ كسِرْحان القَصيمةِ ضامرُ[7]

— القصيمة من الرمل: ما أنبتت الغَضَى والرِّمْث —

وكلُّ طَمُوحٍ فى العِنَان كأنّها * إذا اغتمست فى الماء فَتْخاءُ كاسرُ[8]

لها ناهضٌ[9] فى المهد قد مَهَدتْ له * كما مَهَدتْ[10] للبَعْل حسناءُ عاقرُ

---

(١) فى النقائض : «فلم ينج فى الناجين» . (٢) فى أكثر الأصول : «بطمره * بوائل» والتصويب من حـ والنقائض . والطمر : الفرس الجواد ، أو المستفز للوثب ، أو هو الطويل القوائم الخفيف . و يوائل : يبادر الى ملجأ لينجو . والنهد : القوى الضخم . يقال فرس نهد ، وشاب نهد .

(٣) القنا : نتوء فى وسط قصبة الأنف و إشراف ، وقيل : هو فى الصقر والبازى اعوجاج فى المنقار .

(٤) فى ا ، م : "قاهر" . (٥) وردت هذه الكلمة محرفة فى الأصول ؛ ففى حـ : « إذا أرد بأس السيف » . وفى سائر الأصول . إذا ردّ بأس السيف » . والتصويب من النقائض . ورئاس السيف مقبضه . ونادر : ساقط . يقول : ان كل واحد منهما يطلب رئاس السيف لقتل صاحبه . (٦) فى النقائض . « وذو بدنين والرءوس » . والبدن هنا الدرع .

(٧) فى النقائض : "جاسر" . والمسح : الفرس الجواد السريع كأنه يصب الجرى صبا ، شبه بالمطر فى سرعة انصبابه . والسرحان : الذئب . (٨) الفتخاء الكاسر : العقاب . والفتخ (بالتحريك) : اللين فى المفاصل وغيرها . والعقاب اذا انحطت كسرت جناحيها وغمزتهما ، وهذا لا يكون الا من اللين ، فهى فتخاء . (٩) الناهض : الفرخ الذى وفر جناحاه حتى المتقل للنهوض .

(١٠) فى الأصول : « نهدت » والتصويب من النقائض .

— وبهذا البيت سُمّى مُعَقِّراً واسمه سُفْيان بن أَوْس . وإنما خَصّ العاقرَ لأنها أقلُّ دَلًّا[1] على الزوج من الوَلُودِ فهى تصنعَ له وتُدَاريه —

تخافُ نِساءٌ يبتـدِرنَ حليلَها * مُحَـرَّدةً[2] قـد حَرَّدَتْهـا الضرائرُ

وقال عامر بن الطُّفَيْلِ بعد ذلك بدَهْرٍ :

ويومَ الجَمعِ لاقينا لَقيطًا * كَسَوْنَا رأسَه عَضْباً حُسَامَا[3]

أَسَـرْنا حاجبًا فثوَى بِقِدٍّ[4] * ولم تترك لنسوته سَـوَامَا

وجَمْعُ الجَوْنِ[5] إذ دَلَفُوا إلينا * صَبَحْنَا جَمْعَهم جيشًا لُهَامَا[6]

وقال لَبِيدُ بن رَبِيعةَ فى ذلك :

وهُمُ حُماةُ الشِّعْبِ يومَ تواكلتْ * أَسَـدٌ وذُبْيَـانُ الصَّفَا وتميمُ

فَارتَثَّ[7] كَلْماهم عَشيّةَ هَزْمِهِم * حَيٌّ[8] بمُنعَرَجِ المَسِيلِ مُقِـيمُ

تم اليومُ والحمد لله .

* * *

صـــوت

أيُجهَـــل ما يُؤْتَى إلى فتياتكم * وأنتم رجالٌ فيكم عَـدَدُ النَّمْلِ

فلـو أَنَّنـا كنّا رجالًا وكنـتُمُ * نساءً حِجالٍ لم نُقِـرَّ[9] بذا الفعلِ

(١) فى حـ والنقائض : «دالة» . (٢) التحريد هنا : من الحرد بمعنى الغيظ والغضب ؛ أى إن ضرائرها أغضبنها وغظنها . (٣) العضب : السيف . وحسام : قاطع . (٤) كذا فى حـ والنقائض . وفى سائر الأصول : «بقيد» . والقِدّ (بالكسر) : سير يقد من جلد غير مدبوغ . والسوام : الابل الراعية . يريد أنه لم يترك للنساء مالا . (٥) فى الأصول : «وجمع الحزم» . والتصويب من النقائض . (٦) وردت هذه الكلمة فى الأصول محرفة ؛ ففى حـ : «كيا هاما» . وفى سائر الأصول : «بكبال هاما» . والتصويب من النقائض . واللهام : الكثير . (٧) الارتثاث : أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أثخنته الجراح . والكلمى : جمع كليم وهو الجريح . (٨) فى ب ، س : «حتى» وهو تحريف . (٩) كذا فى حـ وكل الأصول فيما يأتى (ص ١٦٦) . وفى سائر الأصول هنا : «لم نغر» . وفى كتاب الصبح المنير فى شعر أبى بصير (ص ٧٤ طبع مطبعة آدلف هولزهوسن بيانة) : «لا نقر على الذل» .

الشعر لَعفيرةَ بنت عِفَارٍ (١) — وقيل بنت عبّاد — الجَديسيّة التى يقال لها الشَّمُوس . والغناء لعَرِيبَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق فى مجرى البنصر . وفيه لحنٌ من الثقيل الأوّل قديم .

عمليق ملك طسم وجديس وسبب قتله

أخبرنى بهذا الشعر والسبب الذى من أجله قِيل علىّ بن سليمان الأخفش عن السُّكَّرىّ عن محمد بن حبيبَ عن آبن الأعرابى عن المُفَضّل أن عِمْليقًا مَلِكَ طَسْمِ ابن لَاوَذَ بنِ إرَمَ بن سامِ بن نُوحٍ عليه السلامُ، وجَدِيس بن لَاوَذَ بنِ إرَم بن سام ابن نوح عليه السلام ، وكانت منازلهم فى موضع اليَمَامة (٢) ، كان فى أوّل مملكته قد تمادَى فى الظّلم والغَشْم والسِّيرة بغير الحقّ ، وأنّ آمرأةً من جَدِيس كان يقال لها هُزَيْلَةُ ، وكان لها زوج يقال له قرقس (٣) ، فطلّقها وأراد أخْذَ ولدها منها ، فخاصمته الى عِمْليقٍ ، فقالت : "أيها الملك إنّى حملته تسعا ، ووضعته دَفْعًا ، وأرضعته شَفْعًا ، حتى إذا تمّتْ أوصالُه ، ودنا فِصالُه ، أراد أن يأخذَه منّى كَرْهًا ، ويتركَنى من بعده وَرْهَا (٤)" . فقال لزوجها : ما حُجّتُك؟ قال : "حُجّتى أيها الملك أنّى قد أعطيتُها المَهْر كاملا ، ولم أُصِبْ منها طائلا ، إلّا وليدًا خاملا (٥) ، فأفعَلْ ما كنتَ فاعلا" . فأمَر بالغلام أن يُنْتَزَع منهما جميعًا ويُجْعلَ فى غِلْمانه ، وقال لهُزَيلة : «آبْغِيه ولدًا ،

احتكام امرأة من جديس وزوجها اليه

---

(١) كذا فى الصبح المنير ونسخة من الكامل لابن الأثير أشير اليها فى ذيل النسخة المطبوعة فى أوربا (ج ١ ص ١٠٢) . وفى الأصول . بنت «عفان» . (٢) فى الأصول الخطية : «وكان...» بزيادة الواو وهو تحريف . (٣) كذا فى حـ . وفى أ ، م : «فرس» . وفى ب ، س : «ماشق» . ولم نهتد اليه . (٤) كذا فى الأصول وكتاب الكامل لابن الأثير . والورهاء (بالمد وقصرت هنا للسجع) : الخرقاء . وفى نسخة من كتاب الكامل لابن الأثير أشير اليها فى ذيل النسخة المطبوعة فى أوربا : «ولهى» . والوله : الحزن وذهاب العقل لفقدان الحبيب . وهذه الرواية هى المناسبة هنا . (٥) فى الأصول : «حاملا» بالحاء المهملة ، والتصويب من الكامل لابن الأثير والصبح المنير .

ولا تَنْكحى أحدًا، وأَجْزِيه صَفَدًا[1] » . فقالت هزيلة : « أمّا النكاح فإنمـا يكون بالمَهْر، وأمّا السِّفَاح فإنما يكون بالقَهْر، وما لى فيهما من أمر» . فلمـا سمع ذلك عِمْليقٌ أمر بأن تباعَ هى وزوجها، فيُعْطَى زوجُها خُمُسَ ثمنها، وتُعْطَى هُزَيلةُ عُشْرَ ثمن زوجها . فأنشأتْ تقول :

٥ أتينـا أخا طسم ليحكم بيننـا * فأنفـذ حكما فى هزيلة ظالمـا
لَعَمْرِى لقد حُكِّمْتَ لا مُتَوَرِّعًا * ولا كنتَ فيما تُبرِمُ[2] الحكم عالمـا
نَدِمتُ ولم أنْدَمْ وأنّى بِعَـثْرتى[3] * وأصبح بعلى فى الحكومة نادِما

أمر ألا تزوج بكر من جديس حتى يفترعها

فلمّا سمع عمليقٌ قولها أمر ألّا تزوج بِكْرٌ من جَدِيسٍ وتُهْدَى الى زوجها حتّى يفترعها هو قبـل زوجها ، فلقُوا من ذلك بلاءً وجهـدًا وذُلًّا . فلم يزل يفعل هـذا حتى ١٠ زُوِّجت الشَّمُوس وهى عَفِيرةُ بنت عَبّـاد أخت الأسْوَد الذى وقَع[4] الى جبل طيِّئٍ فقتلته طيِّئٌ وسكنوا الجبل مِن بعده . فلمّا أرادوا حَمْلَها الى زوجها ٱنطلقوا بها الى عِمليقٍ لينالَها قبله ، ومعها القِيانُ يتغنَّين :

إبْدِى[5] بِعِمْليقٍ وقُـومِى فَارْكَبِى * وبَادِرِى الصُّبْحَ لأمرٍ مُعْجِبِ
فسوف تَلقَيْنَ الذى لم تطلُـبى * وما لِبِكْرٍ عنـده[6] من مَهْرَبِ

تحريض عفيرة بنت عباد قومها عليـه

١٥ فلمّا أنْ دخلتْ عليه ٱفترعها وخلّى سبيلَها . فخرجتْ إلى قومها فى دِمائها شاقّة درْعَها من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ والدّمُ يسيل وهى فى أقبح مَنْظَرٍ، وهى تقول :

لا أحـدٌ أذَلّ مِن جَدِيسِ * أهكذا يُفْعَـلُ بالعَـرُوسِ

٤٩/١٠

(١) الصفد (بالتحريك) : العطاء . (٢) فى الأصول : « يبرم » بالياء المثناة من تحت . وفى الكامل لابن الأثير : « فيمن يبرم » . وفى الصبح المنير : « ممن يبرم » . (٣) كذا فى حـ والكامل لابن الأثير . وفى ب ، س : « لعترتى » . وفى أ ، م : «قدمت ولم أندم وأنى بعترتى» . ٢٠ وكلاهما تحريف . (٤) فى ب ، س : «دفع» . (٥) ابدى : أمر للانثى من « بدأ » مع تسهيل الهمزة . (٦) فى الصبح المنير : « بعد ذا » .

يرضَى بهـذا يا لَقـومِى حُرٌّ (١) * أَهْدَى وقد أعطَى وسِيقَ المَهْرُ
لأخـذةُ المـوتِ كذا لنفسه * خيرٌ من أنْ يُفْعَلَ ذا بعِـرْسِه

وقالت تحرّض قومها فيما أُتِىَ اليها :

أيَجْمُـلُ ما يُؤْتَى الى فَتَيَاتِكم * وأنتم رجالٌ فيكم عَدَدُ النَّمْـلِ
وتُصْبِـحُ تمشِى فى الدِّماء (٢) عَفِـيرةً (٣) * جِهاراً وزُفّتْ فى النساء الى بعل
ولو أننـا كنا رجالًا وكنتم * نسـاءً لَكُنَّا لا نُقِـرّ بذا الفعل
فمـوتُوا كِرامًا أو أميتـوا عَدُوّكم * ودِبُّوا لنار الحرب بالحَطَبِ الجَزْلِ
وإلا تَخَـلُّوا بطنَهـا وتحمّـلوا * الى بَلَدٍ قَفْـرٍ ومُوتوا من الهُزْلِ
فلَلبينُ خـيرٌ من مُقَامٍ (٤) على أذًى * ولَلْمَوْتُ خير من مُقَامٍ على الذُّلّ
وإن أنتمُ لم تغضَبوا بعـدَ هـذه * فكونوا نساءً لا تُعاب من الكُحْلِ (٥)
ودونكمُ طِيبَ العـروس فإنمـا * خُلِقتم لأثواب العـروس وللغِسْلِ (٦)
فبُعْدًا وسُحْقًـا للذى ليس دافعًـا * ويختال يمشى بيننا مِشْيةَ الفَحْلِ

ائتمار جديس للغدر به وبقومه

فلمّـا سمع الأسود أخوها ذلك وكان سـيِّدا مُطاعا قال لقومه : يا معشر جَدِيس ! إن هؤلاء القـوم ليسوا بأعزَّ منكم فى داركم إلا بما كان من مُلْك صاحبهم علينا وعليهـم ، ولولا عجزُنا وإدهانُنا (٧) ما كان له فضلٌ علينا . ولو امتنعنا لكان لنا منـه النَّصَفُ (٨) . فأطيعونى فيما آمرُكم به ، فإنّه عِزُّ الدهر، وذهابُ ذلّ العمر . وٱقْبَلوا

(١) فى الكامل : * يرضَى بذا يا قـوم بعل حر *
(٢) فى جـ : « فى الدجا » . وفى سائر الأصول : « فى الرعاء » . والتصويب من كتاب الكامل لابن الأثير والصبح المنير . (٣) هـذه رواية الكامل . وفى الأصول : « عفيرة زفت » . وفى الصبح المنير : « عشية زفت » . (٤) كذا فى جـ وكتاب الكامل والصبح المنير . وفى سائر الأصول : « من تماد » . (٥) فى الصبح المنير : « لا تغنى عن الكحل » . (٦) كذا فى جـ وكتاب الكامل . وفى سائر الأصول : « وللنسل » . والغسل (بالكسر) : ما يغتسل به .
(٧) الإدهان : المصانعة واللين مثل المداهنة . (٨) النصف (بالتحريك) : إعطاء الحق مثل النصفة والإنصاف .

رأيى . قال : وقد أحمى جديسًا ما سمعوا من قولها فقالوا : نطيعك، ولكنّ القومَ أكثر وأحمى وأقوى . قال فإنّى أصنع للملك طعامًا ثم أدعوهم له جميعا . فإذا جاءوا يرفُلون فى الحُلَلِ ثُرنا الى سيوفنا وهم غارّون[1] فأهمدناهم بها . قالوا : نفعل . فصنع طعامًا كثيرا وخرج به الى ظهر بلدهم، ودعا عمليقًا وسأله أن يتغدى عنده هو وأهل
٥ بيته، فأجابه[2] الى ذلك وخرج اليه مع أهله يرفُلون فى الحلى والحُلَل. حتى إذا أخذوا مجالسهم ومدّوا أيديهم الى الطعام، أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم، فشدّ الأسود على عمليق فقتله، وكلُّ رجل منهم على جليسه حتى أماتوهم . فلمّا فرغوا من الأشراف شدّوا على السِّفْلةِ فلم يَدَعوا منهم أحدًا . فقال الأسود فى ذلك :

ذُوقى ببغيك ياطَسْمُ مجلّلةً * فقد أتيتِ لَعَمْرِى أعجبَ العجبِ
١٠ إنّا أبينا[3] فلم ننفكّ نقتُلهم * والبَغْىُ هيّج منّا سَورةَ الغضبِ
ولن يعودَ علينا بغيُهم أبدًا * ولن يكونوا كذى أَنْفٍ ولا ذنبِ
وإن رَعَيْتم لنا قُرْبَى مُؤكَّدةً * كنّا الأقاربَ فى الأرحام والنسبِ

غزوة حسان بن تبع لجديس وهروب الأسود وقتل طيئ له
٥٠
١٠

ثم إن بقيّة طسم لجئوا الى حسّان بن تُبّع، فغزا جديسًا فقتلها وأخرب بلادها . فهرب الأسود قاتل عمليق، فأقام بجبلى طيِّئ قبل نزول طيئ إيّاهما . وكانت طيئ
١٥ تسكن الجُرْفَ من أرض اليمن، وهو اليومَ مَحَلّةُ مُراد وهَمدان، وكان سيِّدُهم يومئذ أسامة بن لؤىّ بن الغَوْث بن طيِّئ، وكان الوادى مَسْبَعَةً، وهم قليلٌ عَدَدُهم، وقد كان ينتابهم بعيرٌ فى أزمان الخريف ولم يُدْرَ أين يذهب ولم يَرَوْه الى قابِلٍ، وكانت

---

(١) الغارّ : الغافل . وأهمدناهم : أمتناهم .   (٢) فى الأصول : « فأجابهم » .
(٣) كذا فى ج . وفى سائر الأصول : « أتينا » .

الأَزْدُ قد خرجتْ من اليمن أيام العَرِم(1)، فآستوحشت طيِّئ(2) لذلك وقالت : قد ظعن إخواننا فصاروا الى الأرياف . فلما همّوا بالظَّعْنِ قالوا لأُسامة : إنّ هذا البعير يأتينا من بلدِ رِيفٍ وخِصْبٍ، وإنّا لنرى فى بَعَره النّوى . فلو أننا نتعهّده عند انصرافه فشخَصنا معه لكنّا نُصيب مكانًا خيرًا من مكاننا هذا . فأَجمَعُوا أمرَهم على ذلك . فلمّا كان الخريف جاء البعيرُ فضرب فى إبلهم، فلمّا انصرف احتملوا واتّبعوه يسيرون بسيره و يبيتون حيث يبيت حتى هبَط على الجبلين . فقال أُسامة بن لؤىّ :

اِجْعَلْ طَـرِيبًا كحبيبٍ يُنْسَى(3) * لكـلِّ قَـوْمٍ مُصْبَحٌ ومُمْسَى

قال : وطَرِيبٌ(4) اسم الموضع الذى كانوا ينزلون به . فهجمت طيّئ على النخل فى الشِّعاب وعلى مواشٍ كثيرة، و إذا هم برجلٍ فى شِعْبٍ من تلك الشِّعاب وهو الأسود بن عَبّاد، فهالَهم ما رأَوْا من عِظَم خَلْقه وتخوّفوه، وقد نزلوا ناحيةً من الأرض واستبرؤوها هل يرون بها أحدًا غيرَه فلم يَرَوْا . فقال أُسامة بن لؤىّ لآبن له يقال له الغَوْث : أىْ بُنَىّ ! إنّ قومك قد عرَفوا فضلَك عليهم فى الجَلَد والبأس والرمى، فإن كَفَيْتَنا هذا الرجل سُدْتَ قومَك آخرَ الدهر، وكنت الذى أنزلتَنا هذا البلد . فآنطلق الغوث حتى أتى الرجلَ فكلّمه وساءله . فعجِب الأسود من صِغَر خَلْق الغوث فقال له : من أين أقبلتم ؟ قال : من اليمن، وأخبره خبرَ البعير ومجيئهم معه،

(1) كذا فى جـ وقد صححها كذلك المرحوم الشنقيطى فى نسخته الخاصة من طبعة بلاق . وفى سائر الأصول : « أيام الصرم » وهو تحريف . (2) فى الأصول « بلى » والتصويب من نسخة الشنقيطى . (3) كذا صححه المرحوم الشنقيطى فى نسخته . وفى الأصول : « جعلت طريفا كحب يسا » وفى جـ : « ينسى » وهو تحريف . وفى كتاب « صفة جزيرة العرب » لأبى محمد الحسن بن أحمد الهمدانى صفحة ٢٥٣ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٤ م : « وطريب موضع طيّئ الذى انجعوا منه الى الجبلين » . (4) فى الأصول : « وطريف » وهو تحريف كما تقدّم .

وأنهم رهبوا ما رأوا من عِظَم خَلْقه وصِغَرهم عنه . وشغلوه بالكلام ، فرماه الغَوْثُ بسهم فقتله ، وأقامت طيّئ بالجبلين بعده ، فهم هنالك الى اليوم .

***

صــــوت

٥ إذا قبّـل الإنسانُ آخرَ يشتهى ٭ ثنـاياه لم يَحْرَجْ وكان له أجرا

فإن زاد زاد اللهُ فى حَسَــناته ٭ مثاقيلَ يمحو الله عنه بهـا وِزْرا

الشعر لرجل من عُذْرةَ . والغناء لعَريبَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

حديث عمر بن أبى ربيعة عن صاحبه الجعد بن مهجع العذرى

نسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن موسى بن حمّاد قال ذكر الرِّياشىّ قال قال حَمّاد الراوية . أتيتُ مكةَ فجلستُ فى حَلْقة فيها عمرُ بن أبى رَبيعةَ ، فتذاكروا ١٠ من العُذْريّين ، فقال عمر بن أبى ربيعة : كان لى صديقٌ من عُذْرةَ يقال له الجَعْدُ ابن مِهْجَع ، وكان أحدَ بنى سَلَامانَ ، وكان يَلْقَى مثل الذى ألقى من الصَّبابة بالنساء والوجد بهن ، على أنه كان لا عاهرَ الخَلْوة ولا سَريعَ السَّلْوة ، وكان يُوافى الموسمَ فى كلّ سنة ؛ فإذا راث[1] عن وقته تَرَجّمْتُ[2] عنه الأخبارَ ، وتوكفّتُ له الأسفارَ حتى يقدَم . فغمّنى ذاتَ سـنة إبطاؤه حتى قـدِم حُجّاج عُذْرةَ ، فأتيتُ القومَ أنْشُـد صاحبى ، ١٥ وإذا غلامٌ قد تنفّس الصُّعَداء ثم قال : أعَنْ أبى المُسْهِر تسأل ؟ قلت : عنه أسأل وإيّاه أردتُ . قال : هيهاتَ هيهات ! أصبح والله أبو المُسْهِر لا مُؤْيِساً فيُهْمَـل ولا مرجوّا فيعلَّل ، أصبح والله كما قال القائل :

٥١/١٠

لَعَمْرُك ما حُبّى لأسمـاء تاركى ٭ أعيشُ ولا أقضِى به فأموت

(١) راث : أبطأ . (٢) ترجمت : تظننت ، من الرجم بمعنى الظن والحدس . وتوكفت ٢٠ توقعت وانتظرت . والأسفار : جماعة المسافرين ؛ يقال قوم أسفار ، وسفار (بضم السين وتشديد الفاء) وسفر (بفتح فسكون) ، وسافرة .

قال قلت : وما الذى به ؟ قال : مثل الذى بك من تهوّركما فى الضّلال ، وجرّكما أذيالَ الخَسَار ، فكأنكما لم تسمَعا بجَنّة ولا نار . قلت : مَنْ أنت منـه يابنَ أخى ؟ قال : أخوه . قلت : أمّا واللهِ يابن أخى ما يمنعك أن تسلُك مَسْلَكَ أخيك من الأدب وأن تركب منه مركبه إلا أنّك وأخاك كالبُرْدِ والبِجَادِ لا تَرْقَعُه ولا يَرْقَعُك ، ثم صرَفتُ وجهَ ناقتى وأنا أقول :

أرائحـــةٌ حُجّـاجُ عُذْرَةَ وِجْهـــةً * ولَمَّا يَرُحْ فى القوم جَعْدُ بنُ مِهْجَعِ

خليلانِ نشكو ما نُلَاقِى من الهوى * متى ما يَقُلْ أَسْمَعْ وإن قلتُ يَسمعِ

ألا ليت شـعرى أىُّ شىءٍ أصابه * فلى زَفَراتٌ هِجْنَ ما بين أضلُعى

فـــلا يُبْعِـــدَنْكَ الله خِلًّا فإننى * ســـألقَى كما لاقيتَ فى كلِّ مَصْرَعِ

ثم انطلقتُ حتى وقفت موقفى من عَرَفات . فبينا أنا كذلك إذ أنا بإنسان قد تغيّر لونُه وساءت هيئته ، فأدنى ناقتَـه من ناقتى حتى خالف بين أعناقهما ، ثم عانقنى وبكى حتى اشتدّ بكاؤه . فقلت : ما وراءك ؟ فقال : بَرْحُ العَذْل ، وطُولُ المَطْلِ ، ثم أنشأ يقول :

لئن كانت عُدَيّةُ ذاتَ لُبٍّ * لقـــد علمتْ بأنّ الحبّ داء

ألم تنظُـرْ إلى تغيــير جسمى * وأنّى لا يفــارقُــنى البكــاء

ولـو أنّى تـكلّفتُ الذى بى * لقَفَّ(١) الكَلْمُ وٱنكشف الغطـاء

فإنّ معاشرى ورجال قـــومى * حُتُوفُهُــــم الصَّبــابةُ واللقــاء

إذا العُــذْرِىُّ مات خَلِىَّ ذَرْعٍ * فـــذاك العبـــدُ يبكيه الرِّشاء

(١) قف : يبس ، يريد التأم . يقول : لو أنى حاولت الذى بى وتكلفته لسهل على أن أبرأ منه ، ولكنه قدر من الله لا محيص منه .

فقلت : يا أبا المُسْهِر إنها ساعةٌ تُضْرَب إليها أكباد الإبل من شَرْق الأرض وغَرْبها. فلو دعوتَ الله كنتَ قَمِنًا أن تظفَر بحاجتك وأن تُنْصَر على عدُوِّك . قال: فتركني وأقبل على الدعاء . فلمّا نزلت الشمسُ للغروب وهمّ الناسُ أن يُفيضوا سمعتُه يتكلّم بشيء، فأصغيتُ إليه، فإذا هو يقول :

٥ يا رَبَّ كلِّ غَدْوةٍ ورَوْحـــةْ * من مُحْرِمٍ يشكو الضُّحَى ولَوْحَهْ

* أنت حسيبُ الخَلْق يومَ الدَّوْحهْ *

الجعد بن مهجع يذكر لعمر سبب عشقه ومسعى عمر في زواجه ممن عشقها

فقلت له : وما يوم الدوحة ؟ قال : والله لأُخبرنّك ولو لم تسألني . فيمّمنا نحو مُزْدَلِفة. فأقبل عليّ وقال : إني رجلٌ ذو مال كثيرٍ من نَعَمٍ وشَاءٍ، وذو المال لا يُصدِره ولا يُرْوِيه الثِّمادُ[1] . وقَطَرَ الغيثُ[2] أرضَ كَلْبٍ، فانتجعتُ أخوالي منهم ،

١٠ فأوسعوا لي عن صدر المجلس وسَقَوْني جُمَّةَ[3] الماء، وكنتُ فيهم في خير أخوال . ثم إني عزمتُ على موافقة إبلي بماءٍ لهم يقال له الحَوْذانُ؛ فركبتُ فرسي وسَمَطتُ[4] خَلْفي شرابًا كان أهداه إليّ بعضهم ثم مضيت، حتى إذا كنت بين الحيّ ومَرْعَى النَّعَم رُفِعتْ[5] لي دَوْحةٌ عظيمةٌ ، فنزلتُ عن فرسي وشددته بغصن من أغصانها وجلستُ في ظِلّها . فبينا أنا كذلك إذ سطع غبارٌ من ناحية الحيّ ورُفِعتْ لي شخوصٌ

١٥ ثلاثةٌ، ثم تبيّنتُ فإذا فارس يطرُد مِسْحَلًا[6] وأتانًا، فتأمّلته فإذا عليه درعٌ أصفرُ وعمامةُ خزٍّ سوداءُ، وإذا فُروع شعره تضرب خَصْرَيه، فقلت : غُلامٌ حديثُ عهدٍ بعُرْسٍ أعجلته لذّةُ الصيد فترك ثوبَه ولبس ثوب امرأته . فما جاز عليّ إلا يسيرًا حتى طعَن المِسْحَلَ وثَنّى طعنةً للأتان فصرَعهما، وأقبل راجعًا نحوي وهو يقول :

٥٢ / ١٠

(١) الثماد : جمع ثمد (بالتحريك وبالفتح) وهو الماء القليل الذي لا مادّ له . (٢) كذا في جـ . وفي سائر الأصول : « ونضر الغيث » وهو تحريف . (٣) جمة الماء (بالضم) : معظمه .

٢٠ (٤) سمط هنا : علق . (٥) رفع لي الشيء : أبصرته من بعيد . (٦) المسحل : الحمار الوحشي . والأتان : الحمارة الوحشية .

تَطْعُنُهم سُلْكَى ومخلوجةً * كَرَّكَ لأْمَيْنِ على نابِلِ (١)

فقلت : إنك قد تَعِبتَ وأتعبتَ ، فلو نزلتَ ! فثنى رجلَه فنزل فشدّ فرَسَه بغصن من أغصان الشجرة وألقى رمحه وأقبل حتى جلس ، فجعل يحدّثنى حديثا ذكرتُ به قولَ أبى ذُؤَيب :

وإنّ حديثًا منكِ لو تَبْذُلِينَه * جَنَى النَّحْلِ فى ألبان عُوذٍ مَطَافِلِ (٢)

فقمتُ إلى فرسى فأصلحتُ من أمره ثم رجعتُ ، وقد حَسَر العمامةَ عن رأسه ، فإذا غلامٌ كأنّ وجهه الدينارُ المنقوش . فقلت : سبحانَك اللّهُمَّ ! ما أعظمَ قُدْرتَك وأحسنَ صَنْعتَك ! . فقال : مِمّ ذاك ؟ قلت : مما راعنى من جمالك وبَهرنى من نُورك . قال : وما الذى يروعُك من حبيس التُّراب ، وأكيل الدوابّ ، ثم لا يدرى أينعَم بعد ذلك أم ييأس . قلت : لا يصنَع الله بك إلّا خيرًا . ثم تحدّثنا ساعة ، فأقبل علىّ وقال : ماهذا الذى أرى قد سَمَطْتَ فى سَرْجِك ؟ قلتُ : شرابٌ أهداه الىّ بعضُ أهلك ، فهل لك فيه من أَرَبٍ ؟ قال : أنت وذاك . فأتيتُه به ، فشرب

---

(١) البيت لامرئ القيس . والسلكى : الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه . والمخلوجة : الطعنة المعوجة عن يمين وشمال . واللام : السهم عليه ريش لؤام . واللؤام من الريش : ما يلائم بعضه بعضا ، وهو ما كان بطن القذة منه يلى ظهر الأخرى ، وهو أجود ما يكون . فإذا التق بطنان أو ظهران فهو لغاب ولغب . والنابل : صاحب النبل . يصف الطعن بأنه كان يذهب فيهم و يرجع سريعا كما ترد سهمين على رام رمى بهما . وقيل سئل امرؤالقيس وهو يشرب مع علقمة بن عبدة عن معنى قوله « كرك لأمين » فقال : مررت بنابل وصاحبه يناوله الريش لؤاما وظهارا ، فما رأيت أسرع منه فشبهت به . وقال القتيبى : إنما هو « كر كلامين » أى تكرير كلام بمعنى قول القائل للرامى : إرم ارم ، أى ليس بين الطعن والطعن إلا بمقدار ارم ارم . وقال زيد بن كندة : يريد أنه يطعن طعنتين مختلفتين و يوالى بينهما كما يوالى هذا القائل بين هاتين الكلمتين . (راجع لسان العرب فى المواد خلج وسلك ولأم ، وشرح ديوان امرئ القيس للوزير أبى بكر عاصم بن أيوب) . (٢) عوذ : جمع عائذ وهى الحديثة النتاج إلى خمسة عشر يوما أو نحوها ثم هى بعد ذلك مطفل .

منه وجعل ينكت أحياناً بالسَّوط على ثناياه، فجعل والله يتبيّن فى ظلّ السوط فيهن .
فقلت : مهلًا فإنى خائفٌ أن تكسِرهنّ . فقال : ولِمَ ؟ قلت : لأنهن رِقاقٌ وهنّ
عِذابٌ . قال : ثم رفَع عقيرتَه يتغنّى :

إذا قبّـل الإنسانُ آخر يشتهى . ثناياه لَمْ يأثمْ وكان له أجْرَا
فإن زاد زاد الله فى حَسَـناته * مثاقيلَ يمحو الله عنه بهـا الوِزْرَا

ثم قام إلى فرسه فأصلح من أمره ثم رجع . قال : فبرقتْ لى بارقةٌ تحت الدِّرْع .
فإذا ثَدْىٌ كأنه حُقّ عاجٍ . فقلت : نَشَدْتُك الله أَمْرأةٌ ؟ قالت : إى والله إلّا أنّى
أكره العشيرَ وأحِبّ الغزَل . ثم جلستْ فجعلتْ تشرَب معى ما أفقد من أنسها شيئًا
حتى نظـرتُ الى عينيها كأنّهما عينـا مَهاةٍ مذعورة . فوالله ما راعَنى إلّا مَيْلُهـا على
١٠ الدوحة سَكْرَى . فزُيِّن لى والله الغَـدْرُ وحَسُنَ فى عينى، ثم إنّ الله عصَمنى منـه،
فجلستُ مُجْرةً منها . فما لبثتْ إلّا يسيرًا حتى انتبهتْ فَزِعةً، فلاثت عِمامتَها برأسها،
وجالت فى مَتْن فرسها، وقالت : جزاك الله عن الصُّحْبة خيرا . قلت : أوَما تزوِّدينى
منك زادًا؟ فناولتنى يدَها، فقبّلتها فشَمِمْتُ والله منها ريحَ المسك المفتوت، فذكرتُ
قول الشاعر :

١٥ كأنهـا إذ تقضّى النوم وانتبهت * سَحَـابةٌ مالها عينٌ ولا أثرُ

قلت : وأين الموعدُ ؟ قالت : إنّ لى إخوةً شُرسًا وأبا غَيُورا . ووالله لأن أَسُرّك
أحبّ إلىّ من أن أضُرّك ، ثم انصرفت . فجعلت أُتبعها بصَرى حتى غابت، فهى
والله يابنَ أبى ربيعة أحلّتنى هـذا المَحَلّ وأبلغتنى . فقلت له : ياأبا المُسْهِر إنّ الغَدْر
بك مع ما تذكر لمليح . فبكى واشتدّ بكاؤه . فقلت : لاتَبْك، فما قلتُ لك ما قلتُ
٢٠ الا مازحًا، ولولم أبلُغ فى حاجتك بمالى لسعيت فى ذلك حتى أقدرَ عليه، فقال لى :

٥٣/١٠

خيرًا. فلمّا آنقضى الموسمُ شددتُ على ناقتى وشدّ على ناقته، ودعوت غلامى فشدّ على بعيرله، وحملتُ عليه قبّة حمراء من أدَمٍ كانت لأبى ربيعة المخزومىّ، وحملتُ معى ألفَ دينـار ومِطْرَفَ خزّ، وانطلقنا حتى أتينا بلادَ كَلْب، فنَشَدْنا عن أبى الجارية فوجدناه فى نادى قومه، وإذا هو سيِّد الحىِّ وإذا الناس حَوْلَه، فوقفتُ على القوم فسلّمت، فردّ الشيخ السلام، ثم قال: مَنِ الرجل؟ قلت: عمر بن أبى ربيعة بن المُغيرة. فقـال: المعروف غيرُ المنكر، فما الذى جاء بك؟ قلت: خاطبًا. قال: الكُفْء والرَّغْبَـةُ. قلت: إنى لم آتِ ذلك لنفسى عن غير زَهَادةٍ فيك ولا جهالةٍ بشَرَفك، ولكنى أتيتُ فى حاجة آبن أختكم العُذْرىّ، وهاهو ذاك. فقال: والله إنّه لكَفِىءُ الحَسب رفيعُ البيت، غيرَ أنّ بناتى لم يَقَعْنَ إلّا فى هذا الحىّ من قُرَيْش. فوجَمتُ لذلك، وعَرف التغـيُّرَ فى وجهى فقال: أمَا إنِّى صانعٌ بك ما لم أصـنعه بغيرك. قلت: وماذاك فمثلى مَنْ شَكَر؟ قال: أخَيِّرها فهى وما آختارت. قلت: ما أنصفتَنى إذ تختار لغيرى وتُولِى الخِيارَ غيرَك. فأشار الىّ العُذْرىُّ أن دَعْه يخيِّرها. فأرسل إليها: إنّ من الأمر كذا وكذا. فأرسلتْ اليه: ماكنتُ لأستبدّ برأى دون القرشىِّ، فالخيـار فى قوله، حكْمه. فقال لى: إنها قد وَلَّتْك أمرَها فآقْضِ ما أنت قاض. فحَمِدْتُ الله عزّ وجلّ وأثنيت عليه وقلت: اشهَدوا أنِّى قد زوّجتها من الجَعْـدِ بن مِهْجَعٍ وأصدقتها هذا الألفَ الدِّينارِ، وجعلت تَكْرِمَتها العبـدَ والبعـيرَ والقبّة، وكسوتُ الشيخ المِطْرَفَ، وسألته أن يبنىَ بهـا عليه فى ليلته. فأرسل الى أُمّها، فقالت: أتَخرُج ابنتى كما تخرج الأَمَةُ! . فقال الشيخ: هَجِّرِى[1] فى جهازها، فـا برحت حتى ضربت القبّة فى وسط الحريم، ثم أُهديتْ اليه ليلًا، وبِتُّ أنا عند الشيخ. فلمّا أصبحتُ أتيت القُبّـة فصحْتُ بصاحبى، فخرج إلىّ وقد أثّر السرور

(١) هجّرى: أى بادرى وأسرعى.

فيه، فقلت : كيف كنتَ بعدى وكيف هى بعدك ؟ فقال لى : أبدتْ لى والله كثيرًا مما كانت أخفته عنّى يوم لَقِيتها . وسألتُها عن ذلك فأنشأتْ تقول :

كتمتُ الهوى لمّا رأيتك جازعًا * وقلتُ فتًى بعضَ الصديق يريد

وأنْ تَطْرَحَنِّي(١) أو تقولَ فُتَيّةٌ * يَضُرّ بها بَرْحُ الهوى فتعود

٥ فورّيتُ عمّا بى وفى داخل الحَشَى * من الوجد بَرْحٌ فاعلَمَنّ شديدُ

فقلت : أقِمْ على أهلك، بارك الله لك فيهم، وانطلقت وأنا أقول :

كفيتُ أخى العذرىَّ ما كان نابَه * وإنى لأعباء النوائب حَمّال

أمَا استحسنتْ منّى المكارمُ والعُلا * إذا طُرِحتْ! إنّى لمالى بَذّال

وقال العذرىّ :

١٠ إذا ما أبو الخطّاب خلّى مكانَه * فأُفٍّ لدُنْيَا ليس من أهلها عُمَرْ

فلا حَىَّ فِتيانُ الحجازين بعدَه * ولا سُقِيتْ أرضُ الحجازين بالمطرْ

صوت

إنّ الخليطَ قدْ ازْمَعوا تَرْكى * فوقفتُ فى عَرَصاتهم أبكى

١٥ جِنّيّةٌ بَرَزتْ لتقتُلَنى * مَطْلِيّةُ الأصداغ بالمسك

عجبًا لمثلكِ لا يكونُ له * خَرْجُ العراقِ ومِنْبَرُ المُلكِ

الشعر لابن قَيْس الرُّقيّات يقوله فى عائشة بنت طلحة. والغناء لمعبد. ثقيلٌ أوّل بالسّبّابة فى مجرى البنصر. والسبب فى قول ابن قيس هذا الشعرَ فيها يُذكَر فى أخبارها إن شاء الله تعالى .

(١) فتحنا الهمزة على تقدير وخشية أن تطرحنى الخ ... أى وكتمت الهوى خشية أن يكون ذلك . وفى الأصول : « يطرحنى أو يقول ... » بالياء المثناة من تحت .

أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها

نسب عائشة بنت طلحة

عائشةُ بنت طَلْحةَ بن عُبَيْد الله بن عُثْمان بن عامر[1] بن عَمْرو بن كَعْب بن سعد ابن تَيْم . وأمّها أُمّ كُلْثُوم بنت أبى بكر الصِّدِّيق . أخبرنى الحسن بن يحيى قال قال حَمّاد قال أبى قال مُصْعَبٌ :

كانت لا تستر وجهها وعتاب مصعب لها فى ذلك

كانت عائشةُ بنت طلحةَ لا تستُر وجهها من أحد . فعاتبها مُصْعَبٌ فى ذلك، فقالت : إنّ الله تبارك وتعالى وَسَمنى بِمِيَسم جمالٍ أحببتُ أن يراه الناسُ و يعرفوا فضلى[2] عليهم، فما كنتُ لأَستُرَه ، ووالله ما فىّ وَصْمةٌ يقدِر أن يذكُرَنى بها أحدٌ . وطالت مُرَادَّةُ مصعبٍ إيّاها فى ذلك . وكانت شَرِسةَ الخلق . قال : وكذلك نساء بنى تيم هنّ أشْرَسُ خَلْقِ الله وأحظَاه[3] عند أزواجهن . وكانت عند الحُسَين ابن علىٍّ صلواتُ الله عليهما أُمّ إسحاق بنتُ طَلْحَة، فكان يقول : والله لَرُبّما حَملتْ ووضعتْ وهى مُصَارِمةٌ لى لا تكلّمنى .

غضبت على مصعب فبعث اليها ابن قيس الرقيات

قال : نالت عائشةُ من مُصْعَبٍ وقالت : عَلَىّ كظَهْر أمّى، وقعدتْ فى غُرفة وهيّأتْ فيها ما يُصلحها . فجَهَد مصعبٌ أن تكلّمه فأبتْ . فبعَث اليها ابنَ قَيْس الرقيّات ، فسألها كلامَه، فقالت : كيف بيمينى ؟ فقال : هاهنا الشَّعْبىُّ فقيهُ أهل العِراق فآستفتيه . فدخل عليها فأخبرتْه، فقال : ليس هذا بشىء . فقالت: أتُحِلُّنى وتخرج خائبًا ! فأمرتْ له بأربعة آلاف درهم . وقال ابن قَيْس الرُّقَيّات لمّا رآها :

---

(١) فى الكتب التى وردت فيها ترجمة طلحة بن عبيد الله مثل كتاب المعارف لابن قتيبة وكتب تراجم الصحابة التى بين أيدينا : «عثمان بن عمرو بن كعب ... الخ» وليس فيها «عامر» . (٢) فى ب، س : « فضله » وهو تحريف . (٣) فى ب، س : « وأحظى عند أزواجهن » وهو تحريف .

جِنِّيَّـــةٌ بَـــرَزَتْ لتقتلنا * مَطْلِيَّةُ الأقراب (١) بالمِسْـك

وذكر باقى الأبيات .

أخبرنى محمـد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا محمد بن إسحاق اليعقوبىّ قال حدّثنا سليمان بن أبى شيخ عن محمد بن الحَكَم قال :

غضبت على مصعب فاسترضاها أشعب فرضيت

كان أشْعَبُ يألَف مصعباً ، فغضبت عليه عائشة بنت طَلْحةَ يوماً ، وكانت من أحبِّ الناس إليه ، فشــكا ذلك الى أشْعَب . فقال : مالى إن رَضِيتْ ؟ قال : حُكْمُك . قال . عشرة آلاف درهم . قال : هى لك . فانطلَق حتى أتى عائشةَ فقال : جُعِلْتُ فِدَاءكِ ! قد علمتِ حُبِّى لك ومَيلى قديماً وحديثاً إليك من غير مَنالةٍ ولا فائدة . وهذه حاجةٌ قد عَرَضتْ تقضين بها حَقِّ وترتهنين بها شُكْرِى . قالت : وما عَنَاكَ؟ قال : قد جعــل لى الأميرُ عشرةَ آلاف درهم إنْ رَضِيتِ عنه . قالت : ويحك ! لا يمكنُنى ذلك . قال : بأبى أنتِ فأرْضَىْ عنه حتى يُعْطِيَنى ثم عُودِى الى ما عوّدك الله من سُوء الخُلُق . فضَحِكتْ منه ورضيتْ عن مصعب . وقد ذكر المدائنىُّ أن هذه القصة كانت لهــا مع عمر بن عبيد الله بن معمر ، وأن الرسول اليها والمخاطِب لهــا بهذه المخاطبة ابن أبى عَتيق .

٥٥ / ١٠

وأخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حماد قال أبى حُدِّثت عن صالح بن حسّان قال :

وصف عزة الميلاء لها ولعائشة بنت عثمان وأم القاسم بنت زكريا

كان بالمدينة امرأة خسناء تُسَمَّى عَزَّةَ المَيْلَاء يألفها الأشراف وغيرُهم من أهل المروءات ، وكانت من أظرف الناس وأعلمهم بأمور النســاء . فأتاها مصعب بن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر وســعيد بن العاص ، فقالوا : إنّا خطَبنا

(١) الأقراب : جمع قرب (بالضم وبضمتين) وهو الخاصرة . وإنما للانسان قربان ، ولكن العرب يتوسعون فى مثل هذا فيجمعونه .

فانظري لنا . فقالت لمصعب : يآبن أبي عبد الله ومَنْ خطبتَ ؟ فقال : عائشة بنت طلحة . فقالت : فأنت يآبن أبي أُحَيْحة ؟ قال : عائشةَ بنت عثمان . قالت : فأنت يآبن الصِّدّيق ؟ قال : أُمّ القاسم بنت زكريّا بن طلحة . قالت : يا جاريةُ هاتي مَنْقَلَيّ (تعني خُفّيها) فلبستْهما وخرجت ومعها خادمٌ لها، فإذا هي بجماعة يزحم بعضُهم بعضا، فقالت : يا جارية أُنظري ما هذا . فنظرتْ ثم رجعت فقالت : امرأةٌ أُخِذَتْ مع رجل . فقالت : داءٌ قديم، امض ويلكِ . فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت : فديتُك ! كُنّا في مَأْدُبة أو مأتم لقريش، نتذاكروا جمال النساء وخَلْقَهن فذكروك، فلم أدرِ كيف أَصِفُك فديتُك . فألقي ثيابَكِ، ففعلتْ فأقبلتْ وأدبرتْ فارتجّ كلُّ شيء منها . فقالت لها عَزّة : خُذي ثوبَك فديتك . فقالت عائشة : قد قضيتُ حاجتَك وبَقِيتْ حاجتي . قالت عَزّة : وما هي بنفسي أنت؟ قالت : تُغَنِّيني صوتًا . فاندفعت تغنّي لحنَها :

صـــوت

خَليليَّ عُوجَا بالمَحَلّةِ من جُمْلِ * وأترابِها بين الأُصَيْفِرِ والحبلِ (١)

نَقِفْ بمغانٍ قد محا رسمَها البِلَى * تَعَاقَبَهَا الأيّام بالريح والوَبْلِ

فلو درَج النملُ الصِّغارُ بجلدها * لأندبَ أعلى جِلْدِها مَدْرَجُ النمْلِ (٢)

وأحسنُ خلق الله جيدًا ومقلةً * تُشَبَّه في النسوان بالشادنِ الطِّفْلِ (٣)

— الشعر لجميل بن عبد الله بن مَعْمَر العُذْرِيّ . والغناء لعزّة الميلاء ثقيلٌ أوّل بالوسطى —

فقامت عائشة فقبّلت ما بين عينيها ودعتْ لها بعشرة أثواب وبطرائف من أنواع

---

(١) لعل صوابها «والحبل» بالحاء المهملة؛ فإننا لم نجد في المظان «الخبل» بالخاء المعجمة من أسماء الأمكنة . (٢) أندب أعلى جلدها : ترك فيه ندوبا . والندب (بالتحريك) : أثر الجرح . (٣) الشادن من أولاد الظباء : الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه . والطفل بالفتح : الناعم الرخص .

الفِضّة وغير ذلك ، فدفعته الى مولاتها فحملته . وأتت النسوةَ على مثل ذلك تقول ذلك لهن، حتى أتتِ القومَ فى السقيفة . فقالوا : ما صنعتِ ؟ فقالت : يا بن أبى عبد الله، أمّا عائشة فلا والله إنْ رأيتُ مثلَها مقبلةً ومدبرةً، محطوطةُ المتنين[1]، عظيمة العجيزة، ممتلئة الترائب[2]، نقيّة الثغر وصَفْحة الوجه، فرعاءُ الشعر[3]، لفّاء الفَخِذين، ممتلئة الصدر، خميصة البطن، ذات عُكَنٍ[4]، ضخمة السُّرّة، مُسَرْوَلَة الساق، يرتجّ ما بين أعلاها الى قدميها . وفيها عيبان ، أمّا أحدهما فيواريه الخِمار ، وأمّا الآخر فيواريه الخُفّ : عِظَمُ القَدَمِ والأُذُن . وكانت عائشة كذلك . ثم قالت عزّة : وأما أنت يا بن أبى أُحيحة فإنى والله ما رأيتُ مثلَ خَلْقِ عائشةَ بنت عثمان لامرأة قطّ، ليس فيها عيب ، والله لكأنما أُفرِغتْ إفراغا، ولكن فى الوجه رَدّة[5]، وإن استشرتنى أشرتُ عليك بوجه تستأنِس به . وأمّا أنت يا بن الصِّدِّيق فوالله ما رأيت مثل أُمّ القاسم، كأنها خُوط[6] بانة تنثنى ، وكأنها جَدْلُ عِنَان ، أو كأنها جانٌّ[7] يتثنّى على رمل ، لو شئتَ أن تعقِد أطرافها لفعلتَ . ولكنها شَخْتَةُ الصدر وأنت عريضُ الصدر، فإذا كان ذلك كان قبيحاً ، لا والله حتى يملأ كلُّ شىء مثلَه . قال : فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهن .

(١) محطوطة المتنين ممدودتهما . والمتنان : جنبتا الظهر، ويقال لهما المتنتان . (٢) الترائب : موضع القلادة أو هى عظام الصدر . (٣) فرعاء الشعر : طويلته . واللفف فى الفخذين : التفافهما أو ضخامتهما واكتناز لحمهما .

(٤) خميصة البطن : ضامرته . والعكن : الأطواء فى البطن من السمن ، الواحدة عكنة (بالضم) .

(٥) الردّة : القبح مع شىء من الجمال . (٦) الخوط : الغصن الناعم .

(٧) كذا فى جـ . والجان هنا : حية كحلاء العينين لا تؤذى . شبهها بالحية فى اللين . وفى سائر الأصول : « أو كأنها خشف » . والخشف (مثلثة الخاء) : ولد الظبية .

أخبرنى الطُّوسىّ وحَرَمىّ عن الزُّبَير عن عمّه، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الزبيرىّ والمدائنىّ، ونسخت بعض هذه الأخبار من كتاب أحمد ابن الحارث عن المدائنىّ وجمعت ذلك، قالوا جميعا :

مها، وخالتها، زواجها من ابن الحارثة وأولادها منه

إنّ أُمّ عائشةَ بنتِ طَلْحةَ أُمّ كلثوم بنتُ أبى بكرٍ الصِّدِّيق، وأمها حبيبة بنت خارجةَ بن زيد بن أبى زُهَير من بنى الخَزْرَج بن الحارث. قالوا: وكانت عائشة بنتُ طلحة تُشَبَّه بعائشة أمّ المؤمنين خالتها. فزوّجتها عائشةُ عبدَ الله بنَ عبد الرحمن ابن أبى بكر وهو ابن أخيها وابنُ خال عائشة بنت طلحة، وهو أبو عُذْرِها[1]، فلم تلد من أحد من أزواجها سواه؛ ولدتْ له عِمران وبه كانت تُكْنَى، وعبدَ الرحمن، وأبا بكر، وطلحةَ، ونفيسةَ وتزوّجها الوليد بن عبد الملك، ولكلّ هؤلاء عَقِبٌ. وكان ابنها طلحةُ من أجواد قريش، وله يقول الحَزِين الدِّيلىُّ :

فإنْ تك يا طَلْحُ أعطيتَنى * عُذافِرةً[2] تَستخِفّ الضِّفارا[3]

فما كان نَفْعُك لى مَرّةً * ولا مَرّتين ولكن مِرارا

أبوك الذى صدّق المصطفى * وسار مع المصطفى حيث سارا

وأُمّك بيضاء تَيْمِيّةٌ * إذا نُسِبَ الناسُ كانوا نُضارا

صارمتها لزوجها وإيلاؤه منها

قال : فصارمت عائشةُ بنتُ طلحةَ زوجَها، وخرجت من دارها غَضْبَى، فمرّت فى المسجد وعليها مِلْحَفةٌ تُريد عائشةَ أُمَّ المؤمنين، فرآها أبو هُرَيرةَ فقال : سبحانَ الله! كأنها من الحُور العِينِ. فمكثت عند عائشة أربعةَ أشهر. وكان زوجُها

(١) أبو عذر المرأة وأبو عذرتها : الذى افتضها وافترعها. (٢) العذافرة : الناقة الشديدة العظيمة. (٣) كذا فى ب، س. والضفار (بفتح الضاد) : ما يشدّ به البعير من الشعر المضفور. أى تستخف زمامها لقوتها. وفى سائر الأصول : «تستخف العفارا». ولعله «القفار» بالقاف بدل العين

قد آلى منها، فأرسلتْ عائشة: إنى أخاف عليك الإيلاءَ[1]. فضَمّها إليه. وكان مُولِيًا منها فقيل له: طَلِّقها، فقال:

يقولون طَلِّقها لأُصبِحَ ثاويًا * مُقيمًا علىّ الهمّ، أحلامُ نائم

وإنّ فِراق أهلِ بَيْتٍ أُحِبّهم * لهم زُلفةٌ عندى لإحدى العظائم

فتوفّى عبدُ الله بعد ذلك وهى عنده، فما فتحتْ فاها عليه، وكانت عائشة أمّ المؤمنين تعدّد عليها هذا فى ذُنوبها التى تعدّدها. ثم تزوّجها بعده مُصْعَبُ بن الزبير، فأمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثلَ ذلك. وبلغ ذلك أخاه فقال: إن مصعبًا قدّم أيْرَه، وأخّر خَيْرَه. فبلغ ذلك من قوله عبدَ الملك بن مَرْوانَ فقال: لكنّه أخّر أيْرَه وخيرَه. وكتب ابن الزبير الى مصعب يؤنّبه على ذلك ويُقسِم عليه أن يلحَق به بمكّة ولا ينزلَ المدينة ولا ينزلَ إلا بالبيداء، وقال له: إنى لأرجو أن تكون الذى يُخْسَف به بالبيداء، فما أمرتُك بنزولها إلا لهذا. وصار إليه وأرضاه من نفسه فأمسك عنه.

زواجها من مصعب ابن الزبير

قال وحدّثنى المدائنىّ عن سُحَيم بن حَفْص قال:

كان مصعب بن الزبير لا يقدِر عليها الا بتَلاحٍ ينالُها منه و بضَرْبها. فشكا ذلك إلى ابن أبى فَرْوةَ كاتبه. فقال له: أنا أكفيك هـذا إن أذِنتَ لى. قال: نعم! افعَلْ ما شئتَ فإنّها أفضلُ شىء نِلْتُه من الدنيا. فأتاها ليلًا ومعه أسْوَدان فاستأذَن عليها. فقالت له: أفى مثل هـذه الساعة! قال نعم. فأدخلتْه. فقال للأسودين: احفِرا هاهنا بئرًا. فقالت له جاريتها: وما تصنع بالبئر؟ قال: شُؤْم

كانت تعاسر مصعبا فاحتال له كاتبه ابن أبى فروة حتى ياسرته

٥٧/١٠

(١) الإيلاء: اليمين، وفى الشرع أن يقسم الزوج ألا يقرب امرأته. وحكمه أن يتربص به أربعة أشهر ثم يوقف، فاما أن يطلق بعد ذلك أو يرجع.

مولاتك، امرنى هذا الفاجرُ أن أدفنها حَيَّةً وهو أسفكُ خلقِ الله لدَمٍ حرامٍ. فقالت عائشة : فأنظِرْنى أذهَبْ إليه . قال : هيهات ! لا سبيلَ إلى ذلك، وقال للأسْوَدَيْنِ: احفِرا . فلمّا رأتِ الجدّ منه بكتْ ثم قالت : يابن أبى فَـرْوة إنك لقاتلى ما منه بدٌّ ؟ قال : نعم، وإنى لأعلم أن الله سيجزيه بعدك ، ولكنه قد غضب وهو كافر الغَضَبِ . قالت : وفى أىِّ شيء غَضَبُه . قال : فى امتناعك عنه ، وقد ظنّ أنك تُبغضينه ونتطلّعين الى غيره فقد جُنّ . فقالت : أَنشُدُك اللهَ إلّا عاودتَه . قال : إنى أخاف أن يقتلَنى. فبكتْ وبكى جوارِيها. فقال : قد رَقَقتُ لك، وحلف أنه يغرِّر بنفسه، ثم قال لها : فما أقول ؟ قالت : تَضْمَنُ عنِّى ألّا أعودَ أبدًا . قال : فما لى عندك؟ قالت : قيامٌ بحقِّك ما عشتُ . قال : فأعطينى المَوَاثيقَ، فأعطته. فقال للأسودين: مَكَانَكما، وأتى مصعبًا فأخبره. فقال له : استوثِقْ منها بالأيمان، ففعلتْ وصلحتْ بعد ذلك لمصعب .

أخبارها مع مصعب

قال : ودخل عليها مصعبٌ يومًا وهى نائمة متصبِّحة (١) ومعه ثمانى لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار، فأنبهها ونثر اللؤلؤ فى حجرها. فقالت له : نومتى كانت أحبَّ الىّ من هذا اللؤلؤ .

قال : وصارمت مصعبًا مرة، فطالت مصارمتها له وشقّ ذلك عليها وعليه ، وكانت لمصعب حرب فخرج اليها ثم عاد وقد ظفر ، فشكت عائشة مصارمته الى مولاة لها . فقالت : الان يصلح أن تخرجى اليه . فخرجتْ فهنّأته بالفتح وجعلت تمسّح التراب عن وجهه . فقال لها مصعب : إنى أُشفق عليك من رائحة الحديد . فقالت : لهو والله عندى أطيب من ريح المسك الأذفر .

---

(١) التصبح : نوم الغداة .

أخبرني ابن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المسْعَز قال :

كان مصعب من أشدّ الناس إعجابًا بعائشة بنت طلحة، ولم يكن لها شبه في زمانها حسنًا ودَماثةً وجمالًا وهيئة ومتانةً وعِفّةً. وإنها دعت يوما نسوةً من قريش فلمّا جئنها أجلستهن في مجلس قد نُضِد فيه الريحان والفواكه والطِّيب [و] المِجْمَرُ[1]، وخلعت على كل امرأة منهن، خِلعةً تامّة من الوَشْي والخزّ ونحوهما، ودعت عَزّةَ الميلاء ففعلت بها مثلَ ذلك وأضعفت، ثم قالت لعزّة : هاتي ياعَزّةُ فغنّينا، فغنّتهن في شعر امرئ القيس :

وثَغْـــرٍ أغرَّ شَتِيتِ النبـاتِ * لذيـذِ المُقَبَّـلِ والمُبْتَسَـمْ

وما ذقتُـه غيرَ ظَنٍّ به * وبالظن يقضي عليك الحَكَمْ

وكان مصعبٌ قريبًا منهن ومعه إخوانٌ له، فقام فانتقل حتى دنا منهن والستورُ مُسْبَلةٌ، فصاح: ياهذه إنّا قد ذُقناه فوجدناه على ماوصفتِ، فبارك الله فيك ياعَزّة ! ثم أرسل الى عائشة : أمّا أنتِ فلا سبيلَ لنا اليك مع مَنْ عندك، وأمّا عزّة فتأذَنين لها أن تغنّينا هذا الصوت ثم تعود اليك، ففعلتْ . وخرجتْ عزّة اليه فغنّته هـذا الصوت مرارًا وكاد مصعب أن يذهب عقـلُه فرحا . ثم قال لهـا : ياعَزّة إنك لَتُحْسِنين القولَ والوصف، وأمَرها بالعَـوْد الى مجلسها، وتحدّث ساعةً مع القوم ثم تفرّقوا .

خطبها بشر بن مروان فتزوجت عمر بن عبيد الله

وقال المدائنيّ، وذكره القَحْذَميّ أيضا في خبره : فلمّا قُتِل مصعبٌ عن عائشة خطبها بِشْرُ بن مروان، وقـدِم عُمَرُ بن عُبَيـدِ الله بن مَعْمَرٍ التيميّ من الشام فنزل

(١) الزيادة عن ح . والمجمر (بكسر فسكون ففتح وبضم فسكون فكسر) : العود الذي يتبخر به .

٥٨/١٠

الكوفة، فبلغه أن بِشْرَ بن مروان خطَبها، فأرسل اليها جاريةً لها وقال: قُولى لأبنة عمّى يقرئك السلامَ ابنُ عمك ويقول لك أنا خيرٌ من هـذا المبسور المطحول، وأنا ابن عمّك وأحقُّ بك، وإن تزوّجتُ بك ملأتُ بيتَك خيرًا، وحِرَك أيْرًا. فتزوّجته فبنى بها بالحيرة ومهدت له سبعةَ أفرشـةٍ عَرْضُها أربعُ أذرُع، فأصبح ليلةَ بنى بها عن تِسْعٍ. قال: فلقيته مولاةٌ لها فقالت: أبا حفص فديتُك! قد كَمُلْتَ فى كل شىء حتى فى هذا.

وقال مصعب فى خبره إن بشرًا بعث اليهـا عُمَرَ بن عُبَيد الله بن معمر يخطبها عليه، فقالت له: يامصارع قلة(١)! أمَا وجد بشرٌ رسولًا الى ابنة عمّك غيرَك! فأين بك عن نفسك؟! قال: أوَتفعلين؟ قالت نعم، فتزوّجها. وقال مصعب الزبيرىّ فى خبره: لمّـا بنى بها عمرُ قال لها: لأقتلنك الليلةَ، فلم يصنَع إلا واحدةً. فقالت له لمّـا أصبح: قُمْ يا قَتَّالُ. قال: وقالت له حينئذ:

قد رأيناك فلم تَحْلُ لنـا * و بلوناك فلم نرض الخبر

وهـذه الحكاية تحـاملٌ من مصعب الزبيرىّ وعصـبيّة. والخبر فى رضاها عنـه والحكاية فى هذا غيرُ ما حكاه وهو ماسبق.

ما كان فى يوم زواجها من عمر ابن عبيد الله

أخبرنى الحسـن بن علىّ قال حدّثنا ابن مهـرويه عن ابن أبى سـعد عن القَحْذَمىّ أنّ عمر بن عبيد الله لمّـا قَدِم الكوفة تزوّج عائشة بنتَ طلحة، فحمل اليهـا ألفَ ألفِ درهم: خمسمائة ألف درهم مهرًا وخمسمائة ألف هـديّة، وقال لمولاتها: لك علىّ ألفُ دينـارٍ إن دخلتُ بها اللّيـلةَ. وأمر بالمـال فحُمِل فأُلقى

(١) كذا فى أكثر الأصول. وفى ب هكذا: «يامصارع فكه». وظاهر أنها تريد أن تؤنبه، بيد أننا لم نهتد الى وجه نطمئن اليه فى هذه الكلمة.

فى الدار وغُطِّى بالثياب . وخرجتْ عائشة فقالت لمولاتها : أهذا فرشٌ أم ثياب ؟ قالت : انظُرِى اليه، فنظرتْ فإذا مالٌ ، فتبسّمت . فقالت : أجزاءُ مَنْ حمل هذا أن يبيت عَزَبًا ! قالت : لا والله ، ولكن لا يجوز دخولُه إلا بعد أن أتزيّن له وأستعدّ . قالت : فِيمَ ذا ! فوجهُك والله أحسنُ من كل زينة، وما تَمُدِّين يدَكِ الى طيب أو ثوب أو مال أو فرش إلا وهو عندك . وقد عزمتُ عليك أن تأذنى له . قالت : افعلى . فذهبتْ اليه فقالت له : بِتْ بنا الليلةَ . فجاءهم عند العشاء الآخرة[1] ، فأُدْنِىَ اليه طعامٌ فأكل الطعامَ كلّه حتى أعْرَى الخِوان ، وغسل يده ، وسأل عن المتوضَّأ فأخبرتُه فتوضّأ، وقام يصلّى حتى ضاق صدرى ونِمْتُ ، ثم قال : أعليكم إذنٌ ؟ قلت : نعم ، فادخُل ، فأدخلتُه وأسبلتُ السِّتْرَ عليهما . فعددتُ له فى بقيّة الليل على قِلّتها سَبْعَ عشرة مرة دخل المتوضّأ فيها . فلمّا أصبحنا وقفتُ على رأسه فقال : أتقولين شيئا ؟ قلت : نعم ! والله ما رأيتُ مثلَك ، أكلتَ أَكْلَ سبعة ، وصلّيت صلاةَ سبعةٍ ، ونِكْتَ نَيْكَ سبعة . فضحك وضرب بيده على مَنْكِبِ عائشة ، فضحكتْ وغطّت وجهها وقالت :

قد رأيناك فلم تحلُ لنا * وبلوناك فلم نرضَ الخبر

ويدلّ أيضا على بطلان خبره أنه لمّا مات ندَبته قائمةً، ولم تندُب أحدًا من أزواجها الا جالسةً فقيل لها فى ذلك، فقالت : إنه كان أكرمَهم علىّ وأمسَّهم رحمًا بى ، وأردتُ ألّا أتزوّج بعده . وكانت نُدْبةُ المرأة زوجَها قائمةً ممّا تفعله من لا تريد أن تتزوّج بعد زوجها . أخبرنى بذلك الحسن بن علىّ عن أحمد بن زُهَيْر ابن حرب عن محمد بن سلّام . وهذا دليل على خلاف ما ذكره مصعب .

---

(١) فى ج ، ب ، س : « الأخيرة » وهو تحريف .

٥٩
――
١٠

ثم رجع الخبر الى سياقة خبرها :

حديث امرأة عنها وقد اختلى بها عمر

قال المدائنىّ فى خبره : قالت آمرأة : كنت عند عائشة بنت طلحةَ ، فقيل لها : قد جاء الأمير ، فتنحّيت ، ودخل عمرُ بن عُبَيد الله ، وكنتُ بحيث أسمع كلامَهما ، فوقع عليها فجاءت بالعجائب ثم خرج ، فقلت لها : أنت فى نفسك وموضعك وشرفك تفعلين هذا ! فقالت : إنا نتشهّى لهذه الفحول بكل ما حرّكها وكلّ ما قدَرنا عليه .

طلبت ضرتها من مولاة لها أن تراها متجردة ثم ندمت أن رأتها

قال المدائنىّ : وحدّثنى مَسْلَمةُ بن مُحَارِب قال :

قالت رَمْلَةُ بنت عبد الله بن خَلَف — وكانت تحت عمر بن عبيد الله بن معمر، وقد ولدت منه ابنَه طلحةَ الجُود — لمولاة لعائشة بنت طلحة : أَرِينى عائشةَ متجرِّدة ولك ألفَا درهم . فأخبرتْ عائشةَ بذلك . قالت : فإنى أتجرّد، فأَعلميها ولا تعرّفيها أنى أعلم . فقامت عائشة كأنها تغتسل ، وأعلمتها فأشرفتْ عليها مقبلةً ومدبرةً ، فأعطتْ رملةُ مولاتَها ألفَىْ درهم ، وقالت : لَوَدِدْت أنى أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرَها . قال : وكانت رملة قد أسنّت ، وكانت حسنةَ الجسم قبيحةَ الوجه عظيمةَ الأنف . وفيها وفى عائشة يقول الشاعر :

إِنْعَمْ بعائشَ عَيْشًا غيرَ ذى رَنَقٍ * وآنبِذْ برملةَ نَبْذَ الجَوْرَبِ الخَلَقِ

ويقال : إنّ رملة قد أسنّت عند عمر بن عُبَيْد الله ، فكانت تجتنبه فى أيّام أقرائها ثم تغتسل ، تُرِيه أنها تحيض ، وذلك بعد انقطاع حَيْضِها . فقال فى ذلك بعضُ الشعراء :

جعل الله كلَّ قَطْرةِ حَيْضٍ * قَطَرتْ منكِ فى حَمَالِيقِ عينى

أخبار لها مع عمر ابن عبيد الله

أخبرنا بذلك الجوهرىّ عن عمر بن شَبَّة .

وذكر هارون بن الزيّات عن أبى مُحَلِّم عن أبى بكر بن عيّاش قال :

قال عمر بن عبيد الله لعائشة بنتِ طلحةَ وقد أصاب منها طِيبَ نَفْسٍ : ما مَرّ بى مثلُ يومِ أبى فُدَيْك[1] . فقالت له : آعْدُدْ أيامَك وآذْكُرْ أفضلَها ، فعدَّ يومَ سِجِسْتانَ ويوم قَطَرِىٍّ بفارس ونحو ذلك . فقالت عائشة . قد تركتَ يوماً لم تكن فى أيّامك أشجعَ منك فيه . قال : وأىّ يوم ؟ قالت : يوم أرْخَتْ عليها وعليك رملةُ السِّتْرَ . تُرِيد قُبْحَ وجهها .

قال : فمكثت عائشة عند عمر بن عبيد الله بن معمر ثمانىَ سنين، ثم مات عنها فى سنة آثنتين وثمانين، فتأيّمتْ بعده، فخطبها جماعةٌ فردّتهم، ولم تتزوج بعده أحداً[2] .

قال المدائنىّ : كان عمر بن عُبيد الله من أشدّ الناس غَيْرةً، فدخل يوماً على عائشة وقد ناله حرٌّ شديد وغبارٌ، فقال لها : انفُضِى الترابَ عنّى . فأخذتْ مِنْديلًا تنفُض به عنه التراب، ثم قالت له : ما رأيتُ الغبارَ على وجه أحدٍ قطُّ كانَ أحسنَ منه على وجه مُصْعَب، قال : فكاد عمر يموت غيظًا .

وقال أحمد بن حمّاد بن جميل حدّثنى القَحْذَمىّ قال .

كانت عائشة بنت طلحة من أشدّ الناس مغايظةً لأزواجها، وكانت تكون لمن يجىء يحدّثها فى رقيق الثياب، فإذا قالوا : قد جاء الأمير ضمّتْ عليها مِطْرَفَها

(١) أبو فديك هو عبد الله بن ثور من بنى قيس بن ثعلبة، كان من الخوارج، فوجه اليه عبد الملك بن مروان سنة ٧٣ ھ عمر بن عبيد الله بن معمر وأمره أن يندب معه من أحب، فندب عشرة آلاف من أهل الكوفة وعشرة الاف من أهل البصرة وسار بهم حتى انتهوا الى البحرين . وهنالك التقوا بأبى فديك وأصحابه، فكانت بينهم وقعة شديدة قتل فيها أبو فديك وكثير من أصحابه، وأسر منهم فريق . (راجع تاريخ الطبرى القسم الثانى صفحة ٨٥٢ ـ ٨٥٣) . (٢) فى جـ، ب، س : «أبداً» .

وقَطَبتْ . وكانت كثيرا ما تَصف لعمر بن عُبَيد الله مصعباً و جمالَه ؛ تَغيظه بذلك فيكاد يموت .

طلبت من الوليد ابن عبد الملك أعوانا حين حجت

وقال المدائنىّ حدّثنى مَسْلَمةُ بن مُحَارِب وعُبيد الله بن فائد ، وأخبرنا به حرمىّ عن الزبير عن عمه ومحمد بن الضحّاك[1] ، قالوا :

٥ دخلتْ عائشة بنتُ طلحةَ على الوليد بن عبد الملك وهو بمكّةَ ، فقالت : ياأميرَ المؤمنين ، مُرْ لى بأعوانٍ . فضمّ اليها قوماً يكونون معها ، فحجّت ومعها ستّون بغلا عليها الهوادجُ والرحائلُ . فعرَض لها عُرْوةُ بن الزُّبير فقال :

٦٠/١٠

عائشُ ياذاتَ البغالِ الستّينْ ⁂ أكُلَّ عامٍ هكذا تَحُجّينْ

فأرسلتْ اليه : نَعَمْ ياعُرَيَّةُ ، فتقدّمْ إن شئتَ ؛ فكفّ عنها . ولم تتزوج حتى ماتت .

حجت مع سكينة بنت الحسين وكانت أحسن آلة وثقلا

١٠ وقال غير المدائنىّ : إن عائشة بنتَ طلحة حجّت وسُكَيْنةَ بنت الحسين عليهما السلام معاً ، وكانت عائشةُ أحسن آلةً وثَقَلاً[2] . فقال حاديها :

عائش يا ذات البغال الستّين ⁂ لا زِلْتِ ما عِشْتِ كذا تَحُجّين

فشقّ ذلك على سُكَيْنةَ ، ونزل حاديها فقال :

عائش هذى ضَرَّةٌ تشكوك ⁂ لولا أبوها ما آهتدى أبوك

١٥ فأمرتْ عائشةُ حاديَها أن يكُفَّ فكَفَّ .

بهرموكبها فى الحج عاتكة بنت يزيد

وقال : إسحاق بن إبراهيم فى خبره حدّثنى محمد بن سَلّام عن يزيد بن عِيَاض قال :

استأذنتْ عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية عبدَ الملك فى الحجّ ، فأذِن لها وقال : ارفعى حوائجك وآستظهرى ؛ فإنّ عائشةَ بنتَ طلحة تَحُجّ ، ففعلتْ فجاءت بهيئة جَهَدتْ

(١) فى ب ، س : «ويحيى بن الضحاك» وهو تحريف . (٢) الثقل (بالتحريك) : المتاع .

فيهـا . فلمّا كانت بين مكة والمدينة إذا مَوْكِبٌ قـد جاء فضغطها وفرّق جماعتها ،
فقالت : أرى هذه عائشةَ بنتَ طلحة ، فسألتْ عنهـا فقالوا : هذه خازنتُها . ثم
جاء موكبٌ آخر أعظم من ذلك فقالوا : عائشةُ عائشةُ ، فضغَطهم ، فسألتْ عنه ،
فقالوا : هذه ماشطتها . ثم جاءت مواكب على هـذا الى سننها[1] . ثم أقبلت كوكبةٌ
فيها ثلثمائة راحلةٍ عليها القِبَابُ والهوادجُ . فقالت عاتكة : ما عند الله خيرٌ وأبقى .

وقال هـارون بن الزيّات حدّثنى قَبِيصةُ عن ٱبن عائشة عن أُمّه عن سـلّامة
مولاة جَدّته أثَيْلَةَ بنت المُغيرةِ بن عبد الله[2] بن مَعْمَرٍ قالت :

كان كبر عجيزتها مثار العجب

زُرْتُ مع مولاتى خالتَها عائشة بنت طلحة وأنا يومئـذ وصيفةٌ[3]، فرأيتُ عجيزتَها
من خلفها وهى جالسةٌ كأنها غيرُها ، فوضعتُ أصبعى عليها لأعلمَ ما هى، فلمّا وجدتْ
مسَّ أصبعى قالت : ما هذا ؟ قلت : جُعِلتُ فداءك ! لم أدرِ ما هو، فجئت لِأنظره .
فضحكت وقالت : ما أكثرَ مَنْ يَعْجَبُ ممـا عَجِبْتِ منه .

إعجاب أبى هريرة بجمالها

وزعم بكر بن عبـد الله بن عاصم مولى عُرَيْنَةَ عن أبيه عن جدّه : أنّ عائشة
نازعتْ زوجها إلى أبى هُرَيْرَةَ ، فوقع خِمـارُها عن وجهها ، فقال أبو هريرة :
سُبحانَ الله! ما أحسنَ ما غَذّاك أهلُك ! لكأنمـا خرجتِ من الجَنّة .

وفدت على هشام فأعجب سامروه بعلمها

قال ابن عائشة وحدّثنى أبى أنّ عائشة بنتَ طلحةَ وَفَدتْ على هشام، فقال لها :
ما أوفَدَك ؟ قالت : حَبَستِ السماءُ المطرَ ، وَمَنع السلطانُ الحقّ . قال : فإنى أَبُلُّ
رَحِمَك وأعرِف حقَّك ، ثم بعث إلى مشايخ بنى أُميّـة فقال : إنّ عائشة عندى،
فاسمُروا عندى الليلةَ فحضروا ، فما تذاكروا شيئًا من أخبار العرب وأشعارها وأيّامها

(١) كذا فى حـ . وفى ب ، سـ : « أى سننها » . وفى أ ، م : « الى يسنها » . وظاهر أن المراد « ثم جاءت مواكب على هـذا السنن » . (٢) كذا فى الاصول . ولعل عبد الله بن معمر أبا المغيرة عم عمر بن عبيد الله بن معمر . (٣) أى جارية شابة .

إلا أفاضتْ معهم فيه ، وما طلَع نجمٌ ولا غارَ إلا سمّته . فقال لها هشام : أمّا الأول فلا أُنكره ، وأمّا النجوم فِمنْ أينَ لك ؟ قالت : أخذتُها عن خالتى عائشة . فأمر لها بمائة ألف درهم وردّها الى المدينة .

مر بها النميرى الشاعر فاستنشدته وخبره معها

أخبرنى عمّى عن الكُرانى عن المُغيرة بن محمد المهلّبى(١) عن محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدّثنى ابن عمران البزّازى قال :

لمّا تأيّمتْ عائشة بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكة سنةً، وبالمدينة سنةً، تخرج الى مالٍ لها بالطائف عظيم وقصر لها فتتنزّه وتجلس فيه بالعشيّات، فتُناضِل بين الرُّماة. فمرّ بها النُّميْرىّ الشاعرُ، فسألتْ عنه فنُسب لها، فقالت: ائتُونى به . فقالت له لمّا أتوها به : أنشدْنى ممّا قلتَ فى زينب(٢) . فامتنع وقال : ابنةُ عمّى وقد صارتْ عظاماً بالية . قالت : أقسمتُ لمّا فعلتَ . فأنشدها قولَه :

نزلْنَ بفخٍّ ثم رُحْنَ عشيّةً * يُلبّين للرحمن مُعتَمِرات(٣)
يُخبّئن أطرافَ الأكُفِّ من التّقى * ويخرجن شَطْرَ الليل مُعتجِرات(٤)
ولمّا رأتْ رَكْبَ النميرىّ أعرضتْ * وكُنّ من أنْ يَلْقينَه حَذِرات
تضوّع مِسْكاً بطنُ نَعْمانَ أنْ مَشَتْ * به زينبٌ فى نِسوة خَفِرات

فقالت : والله ما قلتَ إلّا جميلاً، ولا وصفتَ إلا كرما وطيبا وتُقًى ودينا، أعطُوه ألفَ درهم . فلمّا كانت الجمعةُ الأخرى تعرّض لها، فقالت : علىّ به فجاء . فقالت :

(١) فى الأصول : «عن المغيرة عن محمد المهلبى» وهو تحريف . والمغيرة بن محمد المهلبى ذكر كثيرا فى الأغانى . (٢) هى زينب بنت يوسف أخت الحجاج بن يوسف الثقفى .
(٣) فخ : واد بمكة . وفيه يقول بلال يحن اليه :

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلة * بفخ وعندى إذخر وجليل

والاعتمار : القصد والزيارة ، وهو فى الشرع : زيارة البيت الحرام بشروط مخصوصة معروفة فى كتب الفقه . (٤) الاعتجار : لىّ الثوب على الرأس من غير أن يدار تحت الحنك .

أنشِدْنى من شعرك فى زينب . فقال : أوَ أُنشِدُكِ من قول الحارث فيك ؟ فوثب مَوَاليها ، فقالت : دَعُوه، فإنه أراد أن يَسْتَقِيد لابنة عمّه، هاتِ . فأنشدها :

(١)
ظعَن الأميرُ بأحسنِ الخَلْقِ * وغَدَوْا بلُبِّكَ مَطْلَعَ الشَّرْق

وتَنُوءُ تُثْقِلُها عَجِيزَتُها * نَهْضَ الضعيفِ ينوء بالوَسْقِ

٥ ما صَبَّحتْ زوجًا بطلْعتها * إلّا غَدَا بكواكب الطَّلْقِ

قُرَشِيّةٌ عَبِقَ العبيرُ بها * عَبَقَ الدِّهانِ بجانب الحُقِّ

بيضاءُ من تيمٍ كَلِفتُ بها ، * هذا الجنون وليس بالعشق

قالت : والله ما ذكر إلا جميلا ، ذكر أنّى إذا صبّحت زوجًا بوجهى غَدَا بكواكب الطَّلْق ، وأنى غدوت مع أمير تزوّجنى إلى الشرق . أَعْطُوه ألفَ درهم واكْسُوه ١٠ حُلّتين، ولا تَعُدْ لإتياننا يا نُمَيْرِىُّ .

أخو الحارث بن خالد الصلاة لتتم طوافها

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن أبى خَيْثَمَةَ عن محمد بن سَلّام : أن عبد الملك ولّى الحارثَ بن خالد على مكّة . فأذّن المؤذّن، وخرج للصلاة، فأرسلت اليه عائشةُ بنتُ طلحة : قد بقى من طَوَافى شىءٌ لم آتِه، وكان يتعشّقها، فأمر المؤذّنَ فكَفّ عن الإقامة، ففرغت من طوافها. وبلغ ذلك عبدَ الملك فعزَله. ١٥ فقال : ما أهْوَنَ والله غَضَبَه وعَزْلَه إيّاىَ عَلَىّ عند رِضَاها عنّى .

كانت معناة بعجيزتها

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنى عمر بن شَبّةَ قال :

قال سَلْمُ بن قُتَيْبَةَ : رأيتُ عائشةَ بنتَ طلحة بِمِنًى أو مَسْجِد الخَيْف، فسألتنى مَنْ أنت؟ قلت: سَلْمُ بن قُتَيْبَةَ. فقالت : رَحِم الله مصعباً ! ثم ذهبتْ تقوم ومعها

(١) مرت هذه الأبيات مع اختلاف يسير فى الرواية فى ترجمة الحارث بن خالد المخزومى فى الجزء ٢٠ الثالث صفحة ٣١٩ من هذه الطبعة .

امرأتان تُنْهِضانها، فأعجزَتْها[1] أليتاها من عظمهما، فقالت : إنّى بكما لَمُعَنّاة، فذكرتُ قولَ الحارث :

وتنـوءُ تُثقِلها عَجيزتُها * نَهْضَ الضعيفِ ينوء بالوَسْقِ

وروى هـذا الخبرَ هارون بن الزيّات عن جعفر بن محمد عن أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى أبو عمرو بن خلّاد عن المدائنيّ قال : ٥

٦٢/١٠ قال أبو هُرَيْرة لعائشـة بنت طلحة : ما رأيتُ شـيئًا أحسنَ منك إلّا معاوية أوّلَ يومٍ خطَب على مِنْبَرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : واللهِ لأنا أحسنُ من النار فى الليلة القَرّةِ فى عين المقرور .

خطبها أبان بن سعيد على يد أخيه فأبت

أخبرنى أحمـد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبى شيخ عن محمد ابن الحكم عن عَوانة قال : ١٠

كتب أبانُ بن سَعيد الى أخيه يحيى يخطُب عليه عائشةَ بنتَ طلحة ، ففعل . فقالت ليحيى : ما أنزل أخاك أَيْلَة ؟ قال : أراد العُـزْلة . قالت : اكْتُبْ إلى أخيـك :

حَلَلْتَ مَحَلَّ الضَّبِّ لا أنتَ ضائرٌ * عـدوًّا ولا مستنفَعٌ بك نافعُ

صـــوت ١٥

إذا المـالُ لم يُوجِبْ عليك عطاءَه * صنيعةُ تقوى أو صديقٌ تُوامِقُهْ

منعتَ وبعضُ المنـعِ حَزْمٌ وقُوّةٌ * فـلم يَفْتَلِتْك المـالَ إلّا حقائقُـه[2]

---

(١) فى جـ : « فانخزلت أليتاها » أى انقطعتا وتميزتا كأنهما شىء آخر ؛ قال الأعشى :
* إذا تقوم يكاد الخصر يخزل *

(٢) حقائقه أى حقوقه .

عَرُوضه من الطويل . توامقه : تفاعله من الموامقة ؛ أى تَوَدّه ويودّك ؛ يقال وَمَقْتُه أمِقُه أى أحببتُه . ويفتلتك أى يُخْرِجه من يدك وقبضتك . الشعر لكُثَيِّر . والغناء لمالك بن أبى السَّمْح ، ويقال إنه للهُذَلِىّ . خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر .

سئل ابن عمران الطلحى أن يعاون صيرفيا أفلس فتمثل ببيتين لكثير

أخبرنا محمد بن خَلَف وكيعٌ قال حدّثنا طلحة بن عبد الله قال حدّثنى أبو مَعْمَرٍ عافيةُ بن شَبْبَة قال حدّثنى العُتْبِىُّ قال :

أفلس صَيْرَفِىٌّ بالمدينة ، فخرج قومٌ يسألون له ، فمرُّوا بآبن عِمْرانَ الطَّلْحِىِّ وقد فتح بابَه واجتمع له أصحابُه ، فسألوه ، فقرَع بِمِخْصَرته[1] ثم رفع رأسَه إليهم فقال :

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليكَ عطاءَه * صنيعةُ تَقْوَى أو صَدِيقٌ تُوَامِقُهْ

بَخِلتَ وبعضُ البُخْلِ حَزْمٌ وقوّةٌ * فلَمْ يفتلِتْكَ المالَ إلّا حقائقُه

إنّا والله ما نَحِيدُ عن الحق ، ولا نتدفّق فى الباطل ، وإنّ لنا لحقوقًا تَشغَل فضولَ أموالِنا ، وما كُلُّ مَنْ أفلَس من صَيارِفةِ المدينةِ قَدَرنا أن نَجْبُرَه ، قُومُوا . قال : فقُمْنا نستبق الباب .

سأل أنصارىّ هشاما وكان مسبوقا أن يفرض له فأبى ، فتمثل الأبرش ببيتى كثير

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدىّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّةَ قال حدّثنا أبو مَسْلَمَةَ[2] المَدِينىّ قال أخبرنى أبى قال :

كان رجلٌ من الأنصار من بنى حارثةَ مُمْلِقًا ليس فى ديوانٍ ولا عَطاء ، وكان صديقًا لإبراهيم بن هشام بن إسماعيل . فقال له يوما : إنّ أمير المؤمنين مسابقٌ غدًا بين الخيل ، وقد أمرتُ الحَرَسَ ألّا يَعرِضوا لك حتى تكلّمه . قال : فسبَق هشامًا يومئذ ابنٌ له ، وكان السبق يشتدّ عليه[3] . فعرَض له الأنصارىّ فقال :

(١) المخصرة : ما يختصره الإنسان أى يمسكه ليتوكأ عليه مثل العصا والقضيب والمقرعة .

(٢) فى جـ : « أبو سلمة المدينى » . (٣) هذه عبارة جـ . وفى سائر الأصول : « وكان اذا سبق يشتدّ عليه » .

يا أمير المؤمنين، أنا امرؤ من الأنصار، وقد بلغتُ هذه السنَّ[(١)] ولستُ في ديوان. فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يَفرِضَ لى فَعَلَ. قال: فأقبل عليه هشامٌ فقال: والله لا أفرِض لك حتّى مثل هذه الليلة من السنة المُقبِلة، ثم أقبل على الأبرش فقال: يا أبرش أخطأ أخو الأنصار المسألةَ. فقال: يا أمير المؤمنين، ابن أبى جُمعة يقول:

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليك عطاءَه * صَنيعةُ تَقْوَى أو خليلٌ توامقه

منعتَ وبعضُ المنعِ حزمٌ وقوة * فلم يفتلتك المالَ إلّا حقائقُه

*
* *

من شعر عمرو بن شأس ٦٣/١٠

صوت

فواندَمِي على الشباب وواندَمْ * نَدِمتُ وبان اليومَ منّى بغير ذَمْ

وإذ إخوتى حولى وإذ أنا شامخٌ * وإذ لا أجيب العاذلاتِ من الصَّمَمْ

أرادتْ عِرارًا بالهَوان ومن يُرِدْ * عِرارًا لعمرى بالهوان فقد ظَلَمْ

فإن كنتِ منّى أو تريدين صُحبتى * فكونى له كالسَّمْنِ رُبَّتْ له الأَدَمْ

وإلّا فبِينِى[(٢)] مثلَ ما بان راكبٌ * تيمّمَ خِمْسًا ليس فى وِرْده يَتَمْ

فإنّ عِرارًا إن يكن ذَا شكيمةٍ * تَعافِينَها منه فما أَمْلِكُ الشِّيَمْ

وإنّ عِرارًا إن يكن غيرَ واضحٍ * فإنّى أُحِبّ الجَوْنَ ذَا المَنْكِبِ العَمَمْ

وإنى لأُعطى غَثّها وسمينها * وأَسرِى إذا ما الليلُ ذو الظُّلَم ادْلَهَمّ

حِذارًا على ما كان قَدّم والدى * إذا روّحتهم حَرْجَفٌ تطرُد الصِّرَمْ

عروضه من الطويل. الشعر لعمرو بن شأس الأسدىّ. والغناء فى الأوّل والثانى من الأبيات لمعبد، ثانى ثقيل بالسبّابة فى مجرى الوسطى، عن إسحاق. وذكر عمرو

(١) فى الأصول: «هذا السن» والسن مؤنثة. (٢) ويروى هذا البيت فى ديوان الحماسة:

وإلا فسيرى مثل ما سار راكب * تجشم خمسا ليس فى سيره أمم

والأمم هنا: القرب والقصد.

أن فيهما لمالك خفيف رمل بالبنصر . وفى الثامن والتاسع لابن جامع هزج بالوسطى عن الهشامى وعلىّ بن يحيى ، وفيهما لإبراهيم ماخورىّ بالبنصر من نسخة عمرو الثانية ، ولابن سُرَيج ثانى ثقيل بالبنصر عن حَبَش ، وفيهما رملٌ مجهولٌ وقيل : إنه لسُلَيم . الشامخ : الذى يشمَخ بأنفه زَهْوًا وكِبرًا . وأصل الظلم وضع الشىء فى غير موضعه . والشيمةُ : الطبيعة . رُبّت له : يعني للسَّمن فلا تُفسده[1] . والأَدَمُ جَمْعٌ واحدُها أديمٌ وجمعها أَدَمٌ[2] ، كما يقال أَفِيقٌ وأَفَقٌ[3] . واليَتَمُ[4] : الغفلة والضَّيْعة ، واليتيم مأخوذ من هذا . واليتيم من البهائم : ما آختُلِج عن أُمّه . والعرب تقول : "لا تَخلِج الفَصيلَ عن أُمه ، فإنّ الذئب عالمٌ بمكان الفصيلِ [اليتيم][5]" . ويقال : فلان شديد الشكيمة أى شديد اللسان كثير البيان ؛ ومنه شكيمة اللِّجام ، وجَمْعُها شَكائمُ . قال عُوَيف القَوافِى :

أقولُ لِفتْيانٍ كِرامٍ تَرَوّحُوا * على الجُرْدِ فى أفواههن الشَّكائمُ

والواضح : الأبيض . والجَوْن : الأسود والأبيض أيضا ، وهو من الأضداد . والعَمَمُ : الطويل ؛ يقال رَجُلٌ عَمَمٌ ، وامرأةٌ عَمَمٌ ، ورجلٌ عَميمٌ . وامرأةٌ عَميمةٌ ، ونخلٌ عَميمٌ ، ونبتٌ عميمٌ . والسُّرَى : السيرُ ليلًا . وآدلهمّ : اشتدّ سواده . والحَرْجَفُ : الريح الشديدة الباردة . والصِّرَمُ : جمع صِرمةٍ[6] وهى القِطْعةُ من الإبل . يعنى أن هذه الريح إذا هبّت طَرَد الرعاءُ الإبلَ الى مُرَاحِها وأعطانِها فتسكُن فيها .

---

(١) يريد أن الأدم التى هى أوعية السمن إذا دهنت بالرب ، منعت فساد السمن وزادت فى طيب ريحه . والرب : خلاصة التمر بعد طبخه وعصره . (٢) فى جـ : « وجمعت أدما » . (٣) فى الأصول : « أنيق وأنق » وهو تحريف . والأفيق والأديم كلاهما الجلد المدبوغ . (٤) قيل معنى اليتم هنا الإبطاء . (راجع لسان العرب فى مادة يتم) . (٥) التكملة من لسان العرب (فى مادة يتم) . (٦) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «جمع صريمة» وهو تحريف .

نسب عمرو بن شَأْسٍ وأخباره فى هذا الشعر وغيره

نسب عمرو بن شأس

هو عمرو بن شأس بن عُبَيْد بن ثَعْلبة بن ذُوَيْبة(1) بن مالك بن الحارث بن سعد ابن ثعلبة بن دُودان بن أَسدِ بن خُزَيمة . وهذا الشعر يقوله فى امرأته أُمّ حَسّان وابنه عِرَارِ بن عمرو، وكانت تُؤْذيه وتعيِّره بسواده .

كانت امرأته تؤذى ابنه عرارا وتشتمه ويشتمها، فقال هو شعرا يخاطبها به

٦٤
١٠

٥ وأخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن الحسن الأحوَل قال قال ابن الأعرابىّ :

كانت امرأة عمرو بن شأس من رَهْطِه، ويقال لها أُمُّ(2) حَسّان، واسمها حيّة بنت الحارث بن سعد، وكان له ابن يقال له عِرَارٌ من أَمَةٍ له سوداء، وكانت تعيِّره وتُؤْذِى عِرَارًا وتشتُمه ويشتمها . فلمّا أعيتْ عمرًا قال فيها :

١٠ ديارَ ابنةِ السَّعْدِىِّ هِيهِ(3) تكلَّمى * بدافقةِ الحَوْمانِ فالسَّفْحِ من رَِمْ
لَعَمْرُ ابنةِ السَّعْدِىِّ إنّى لأتّقِى * خلائقَ تُؤْبِى(4) فى الثَّراء وفى العَدَمْ
وقفتُ بها ولم أكن قبلُ أرتجى * إذا الحَبْلُ من إحدى حَبَائبِيَ انصرم
وإنّى لمُزْرٍ(5) بالمَطِىِّ تَنَقُّلِى * عليه وإيقاعِى المُهَنَّدَ بالعِصَمْ
وإنّى لأعطِى غَثَّها وسَمِينَها * وأَسْرِى إذا ما الليلُ ذو الظُّلَمِ ادلهمّ

١٥ (1) الذى فى شرح التبريزى لديوان الحماسة (طبع مدينة بن سنة ١٨٢٨ م ص ١٣٩) : «رويبة» بدل "ذويبة" . (2) كذا فى أ، م . وفى سائر الأصول : «وأمها» . (3) هيه : كلمة استزادة للحديث، مثل إيه . والحومان ورم : موضعان . (4) تؤبى : تعاف وتكره .
(5) مزر : مستخف متهاون . وتنقلى عليه : بدل من المطى . والعصم : القلائد، واحدتها عصمة، والمراد مواضعها . يريد أنه كثير الأسفار كثير الإغارة .

إذا الثلـــجُ أضحى فى الديار كأنه * مَنَـاثِرُ مِلْحٍ فى السُّهول وفى الأَكَمْ[١]
حِذَارًا على ما كان قدّم والدى * إذا روّحتهم حَرْجَفٌ تطرُد الصِّرَمْ
وأتـرك نَدْمانِي يَجُــرّ ثيـابَه * وأوصالَه من غير جُرْحٍ ولا سَقَمْ[٢]
ولكنهـا من ريَّةٍ بعــد ريّةٍ * مُعَتّقَــةٍ صهبـاء راووقُهـا رَذِمْ[٣]
٥ من العانيـات من مُدَامٍ كأنها * مَذَابحُ غِزْلانٍ يَطِيبُ بهـا الشَّمَمْ[٤]
وإذ إخوتى حولى وإذ أنا شـامخٌ * وإذ لا أجيب العاذلات من الصمم
ألم يأتهـا أنّى صحَــوْتُ وأنّنى * تحـالمتُ حتى ما أُعارِم من عَرِمْ[٥]
وأطرقتُ إطراق الشُّجاع ولو يرى * مَسَاغًا لِنَابَيْــه الشجاعُ لقد أَزَمْ[٦]
وقد علمتْ سعدٌ بأنّى عميــدُها * قديمًا وأنّى لستُ أَهْضِم من هضَمْ

١٠ — يقول : لا أظلم أحدًا من قومى وأتهضَّمه[٧] فيطلبنى بمثل ذلك، أى أرفع نفسى عن هذا —

خُزَيْمَــةُ رَدّانِى الفَعَـالَ[٨] ومعشرٌ[٩] * قديمـًا بَنَوْا لى سُورَةَ المَجْدِ والكَرَمْ

(١) مناثر : جمع منثر (وزان مكتب)، وهو اسم مكان من نثر ينثر، وهو يريد كأن الثلج ملح منثور، فشبه مساقط الثلج بمناثر الملح . والأكم (بفتحتين وبضمتين) : جمع أكمة (بفتحتين) وهى دون الجبل .
١٥ (٢) الندمان : الذى يوافقك فى شرابك . والأوصال : المفاصل، واحدها وصل (بكسر الواو وضمها) .
(٣) راووق الخمر : ناجودها الذى تروّق فيه . والرذم (بالتحريك) : اسم من الامتلاء وصف به .
(٤) فى الأصول : « من الغانيات » بالغين المعجمة، وهو تصحيف . والعانيات : الأسيرات، أى هى من المحتبسات فى دنانها . وقوله « كأنها مذابح غزلان » يريد أن يصفها بطيب الريح، حتى كأنها مواضع شق نوافج المسك . (٥) يقال : عرم يعرم (من بابى نصر وضرب) وعرم (بكسر
٢٠ عين الفعل) وعرم (بضمها) عرامة وعراما (بضم أوله) إذا اشتدّ . (٦) الإطراق : السكوت فى سكون . والشجاع هنا : الحية الذكر . وأزم عض ؛ يقال : أزمه يأزمه وعليه (من باب ضرب) إذا عضه . (٧) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « وانهضه » . وهو تحريف .
(٨) ردّانى : ألبسنى . والفعال (بالفتح) : الخير . يريد : ورثنى شمائل الخير . (٩) كذا فى الأصول . وقد أثبتها المرحوم الشيخ سيد بن على المرصفى فى كتابه (أسرار الحماسة) : «ومعشرى» بياء
٢٥ المتكلم، وهى الأنسب بالسياق . وسورة المجد : يريد منزلة المجد . والسورة من البناء : ما حسن وطال .

إذا ما وَرَدْنا المـاءَ كانت حُماتَه * بنو أَسَدٍ يومًا على رَغْمٍ من رغْمْ (١)

أرادتْ عِراراً بالهوانِ ومن يُرِدْ * عِراراً لَعَمْرِى بالهوان فقد ظَلَمْ

لما يئس من الصلح بين امرأته وابنه طلقها ثم ندم وقال شعرا

وذكر باقىَ الأبيات . قال ابن الأعرابىّ وأبو بكر الشَّيْبانىّ : جَهِدَ عمرو بن شَأْسٍ أن يُصلح بين ابنه وامرأته أمّ حَسّان فلم يُمكنه ذلك ، وجعل الشرُّ يزيد بينهما . فلمّا رأى ذلك طلّقها ، ثم ندِم ولام نفسه؛ فقال فى ذلك : ٥

تَذَكَّرَ ذِكْرَى أُمِّ حَسّانَ فاقْشَعَرّ * عـلى دُبُرٍ لَـمّا تَبَيَّنَ ما ائْتَمَرْ (٢)

فكِدتُ أذوقُ الموتَ لوانّ عاشقًا * أَمَرَّ بمُوسَاه الشـواربَ فانتحرْ (٣)

تذكّرتُها وَهْنًا وقد حالَ دونها * رِعانٌ وقِيعانٌ بها الزَّهْرُ والشجرْ (٤)

فكنتُ كذاتِ البَوِّ لـمّا تذكّرتْ * لهـا رُبَعًا حَنّتْ لِمَعْهَـدِه سَحَرْ (٥)

حِفاظًا ولم تَنْزِعْ هواىَ أَثِيمـةٌ * كذلك شأوُ المرءِ يَخْلِجُه القَـدَرْ ١٠

قال ابن الأعرابىّ : الأثيمـة الفعيلة من الإثم ، وهى مرفوعة بفعلها ، كأنه قال : [لم] تنزِع الأثيمةُ هواى . تَخْلِجه : تَصْرِفه . شأوُه : هَمُّه ونيّته . قال وقال فيها أيضا :

---

(١) الرغم (مثلث الراء) هنا : الكره والقسر . ورغم : ذل ؛ يقال رغِم أنف فلان (بفتـح الغين وكسرها وضمها) اذا ذل وانقاد . (٢) دبر كل شيء : آخره . وائتمر هنا : عمل برأيه . والمؤتمر يصيب مرة ويخطئ أخرى . يقول : تذكر أم حسان أخيرا فاقشعر حين تبين له خطأ ما فعل . ١٥

(٣) فى العبارة هنا قلب أى أمر موساه بالشوارب . والشوارب هنا : عروق فى الحلق . والانتحار هنا : قتل المرء نفسه . (٤) الوهن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه ، أو هو حين يدبر الليل ، ومثله الموهن . ورعان : جمع رعن (بالفتح) وهو أنف يتقدم الجبل ، أو الجبل الطويل . والقيعان جمع قاع ، وهو أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . (٥) البو : جلد ولد الناقة أو البقرة يحشى تبنا أو نحوه ثم يقرب الى أمه فتعطف عليه وتدر . والربع (بضم ففتح) : الفصيل ٢٠ ينتج فى الربيع وهو أول النتاج ، فان نتج فى آخره فهو هبع (بضم وفتح) .

ألم تعلمي يا أمَّ حسّانَ أنني * إذا عَبرةٌ نَهنَهتُها[(١)] فتخلّتِ
رجعتُ الى صدرٍ كجَرّةِ حَنتَمٍ[(٢)] * إذا قُرِعتْ صِفرًا من الماء صَلّتِ

٦٥ / ١٠

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَر بن شَبّةَ عن إسحاق بن محمد بن سَلّام، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قُتَيبةَ قال قال ابن سلّام:

خبر ابنه عرار مع عبد الملك حين جاءه رسولا من قبل الحجاج

٥ لمّا قتل الحجاجُ عبدَ الرحمن بن محمد بن الأشعَثِ بعث برأسه مع عِرَار بن عمرو بن شأس الأسَديّ، فلمّا ورد به وأوصل كتابَ الحجاج، جعل عبدُ الملك يتعجّب من بيانه وفصاحته مع سواده، فقال متمثّلا:

وإنّ عِرارًا إن يَكُنْ غيرَ واضحٍ * فإنّي أُحِبُّ الجَونَ ذا المَنكِبِ العَمَمْ

فضحك عرارٌ من قوله ضحكًا غاظ عبدَ الملك؛ فقال له: مِمَّ ضَحِكتَ ويحك؟! قال:
١٠ أتعرف عرارًا يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر؟ قال لا. قال: أنا والله هو. فضحك عبد الملك ثم قال: حَظٌّ وافق كلمةً، وأحسنَ جائزتَه وسرّحه.

قال شعرا في قتل ملك من غسان يقال له عديّ

وقال الطوسيّ: أغار ملكٌ من ملوك غسّان يقال له عَدِيٌّ وهو ابن أخت الحارث بن أبي شِمرٍ الغَسّانيّ على بني أسد، فلقيته بنو سَعْد بن ثعلبةَ بن دُودانَ بالفُرات ورئيسهم ربيعةُ بن حُذارٍ[(٣)]، فاقتتلوا قتالًا شديدا، فقتلت بنو سعدٍ عَدِيًّا،
١٥ اشترك في قتله عمرو وعمير ابنا حُذار أخوا ربيعة، وأُمُّهما امرأة من كِنانةَ يقال لها تُماضِرُ إحدى بني فَرّاس بن غَنْم وهي التي يقال لها مقيِّدة الحمار. فقالت فاختة بنت عديّ:

(١) العبرة: الدمعة قبل أن تفيض. ونهنهتها: كففتها. (٢) في الأصول: «... الى صبر كلسة حنتم». والتصويب من اللسان (في مادة جنتم). والحنتم: جرار خضر تضرب
٢٠ الى الحمرة. وصلت: صوّتت. (٣) وقيل في ضبطه إنه ككتاب.

لَعَمْرُكَ ما خَشِيتُ على عَدِىٍّ * رِماحَ بنى مُقَيِّدة الحِمارِ
ولكنّى خشيتُ على عدىٍّ * رماحَ الجنّ أو إيّاكَ حارِ

— تعنى الحارثَ بن أبى شمر خالَه —

قَتِيلٌ مّا قتيلُ ابنَىْ حُذَارٍ * بعيدُ الهَمِّ طَلّاعُ النِّجارِ

و يروى : «جواب الصحارى» . فقال عمرو بن شأس فى ذلك : ٥

صــــوت

مَتَى تَعْرِفِ العينانِ أطلالَ دِمْنةٍ * لليلَى بأعلى ذى مَعَارِكَ(١) تَدْمَعَا
على النحر والسِّربالِ حتى تَبُلَّه(٢) * سَجُومٌ ولم تَجْزَعْ على الدار مَجْزَعَا
خليلَىَّ عُوجَا اليومَ نَقْضِ لُبَانةً * و إلّا تَعُوجَا اليومَ لا نَنْطَلِقْ مَعَا
و إن تنظُرانى اليومَ أَتْبَعْكما غدًا * قِيادَ الجَنيبِ أو أذلَّ(٣) وأطوعا ١٠

وهى قصيدة . غنّى فى هــذه الأبيات إبراهيم ثقيلاً أوّلَ بالوسطى عن الهشامىّ . والدمنة فى هذا الموضع : آثار الناس وما سوّدوا ، وهى فى غير هذا الموضع الحِقْدُ؛ يقال : فى صدره علَىَّ إحنةٌ ، وتِرَةٌ ، وضَبٌّ ، وحَسِيكةٌ ، ودِمْنــةٌ . وعُوجَا : احبِسا وتَلَبَّثا ، عاجَ يَعُوجُ عِيَاجًا(٤) ، وما أُعِيجُ(٥) بكلامك أى ما ألتفت إليه . واللُّبانة : الحاجة؛

---

(١) ذو معارك : موضع فى ديار بنى تميم . وفى الأصول : « ذى معازل » والتصويب من كتاب معجم ما استعجم وطبقات الشعراء لابن سـلام . (صفحة ٤٧ طبعة مدينـة ليدن سنة ١٩١٦ م) . ١٥

(٢) الضمير المرفوع فى « تبله » وما بعده مراد به العين . وجائز فى مثل هذا المثنى أن يعود الضمير اليه مفردا . وفى طبقات الشعراء « رشاشا » بدل « سجوم » . وقوله : ولم تجزع على الدار، يريد أن تذراف العين بالدموع لم يكن لجزعها على الدار، وإنما كان على أهلها الذين فارقوها .

(٣) رواية طبقات الشعراء : * أذل قيادا من جنيب وأطوعا * ٢٠

(٤) الذى فى القاموس : عاج عوجا ومعاجا . (٥) عين هذا الفعل ياء، وعين الأول واو، وبنو أسد يقولون : ما أعوج بكلامك .

يقال : لى فى كذا لُبَانةٌ ولبونة ولُمَـاسةٌ[1]، ووَطَرٌ، وحَوْجَاء ممدودةً . وقوله «لا ننطلق معا » ، يقول إن لم تقِفَا تأخّرت عنكما فتفرّقنا . وتنظُرانى تُنْظِرانى ؛ يقـال نظرته أنظُره ، وأنظرته أُنظِره إنظارًا ونَظِرةً أيضا إذا أخّرته ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ . والجنيب : المجنوبُ من فرس وغيره ، والجنيب أيضا الذى يشتكى رِئته من شدّة العَطَش .

خطب بنت رجل كان مجاورا له فلما أحس منه امتناعا أراد أن يصيبها سبية ثم ندم وقال شعرا

وقال الطـوسىّ قال الأصمعىّ : جاور رجلٌ من بنى عامر بن صَعْصَعة عمرَو ابن شأس ومعه بنت له من أجمل الناس وأظرفهم ، فخطبها عمرو الى أبيها . فقال أبوها : أمّا ما دمتُ جارًا لكم فلا ، لأنى أكره أن يقول الناس غصبه أمرَه ، ولكن إذا أتيتُ قومى فاخطُبْهـا إلىّ أُزَوِّجْكها . فوجَد عمـرو من ذلك فى نفسه وآعتقد ألّا يتزوّجها أبدًا إلا أن يُصيبها مَسْبِيّةً . فلمّا ارتحـل أبوها همّ عمـرٌو بغزو قومها ، فسار فى أثر أبيها . فلمّا وقعت عينه عليه وظفِر به استحيا من جُواره وما كان بينهما من العهد والميثاق ، فنظر إلى الجارية أمامهم وقد أخرجتْ رأسها من الهَوْدَج تنظُر اليه . فلمّا رآها رجع مُسْتَحْيِيًا متذمِّمًا منهـا . وكان عمرو مع شجاعته ونجدته من أهل الخير ، فقال فى ذلك :

صـــــوت

إذا نحن أدْلَجْنا[2] وأنتِ أمامنـا * كَفَى لمطَـايَانا بوجهــك هاديا

أليس يزيدُ العِيسَ[3] خِفّــةَ أذْرُعٍ * وإن كُنّ حَسْرَى أن تكونى أماميا

(١) لم نجد هذه الكلمة فيا لدينا من كتب اللغة . (٢) الإدلاج : سير الليل .

(٣) العيس من الإبل : البيض مع شقرة يسيرة ، الواحد أعيس وعيساء . والحسرى : جمع حسير وهى الدابة المعيية المتعبة .

ولولا اتّقاءُ اللهِ والعهدُ قد رأى * مَنِيّتَه منّى أبوك اللّياليا
ونحن بنو خيرِ السّباع أَكِيلةً * وأحْرَبِه(١) إذا تنفّس عاديا
بنو أسدٍ وَرْدٍ يَشُقّ بنَابِه * عظامَ الرجالِ لا يُجيب الرّواقيا(٢)
متى تَدْعُ قيسًا أَدْعُ خِنْدِفَ إنّهم * إذا مادُعُوا أسمعتَ ثَمّ الدّواعيا
لنا حاضرٌ لم يَحْضُرِ النّاسَ مثلَه * وبادٍ إذا عدُّوا علينا البَواديا ٥

الغناء لإسحاق الموصلىّ ثانى ثقيل فى الأوّل والثانى من الأبيات ، وفيه لحنٌ قديم .

سئل ابن سيرين عن النسيب فأنشد بيتين من شعره دلالة على جوازه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرَوَيْه قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا الحزامىّ قال حدّثنا مَعْنُ بن عيسى عن رجل عن سُوَيْد بن أبى رُهْم قال : قلت لابن سيرين : ما تقول فى الشعر؟ قال : هو كلامٌ. حَسَنُه حسنٌ، وقبيحُه قبيحٌ . قلتُ : فما تقول فى النّسيبِ؟ قال : لعلك تُريد مثلَ قول الشاعر: ١٠

إذا نحن أدلجنا وأنتِ أمامنا * كفى لمطايانا بوجهك هاديا
أليس يزيد العيسَ خِفّةَ أَذْرُعٍ * وإن كُنّ حَسْرَى أن تكونى أماميا

قال : وأراد بإنشاده إيّاهما أنك قد رأيتَنى أحفَظ هذا الجنسَ وأرويه وأنشدتُك إياه، فلو كان به بأسٌ ما أنشدتُه .

١٥

صوت

فإنْ تكُنِ القتْلَى بَواءً فإنّكم * فتًى ما قتلتم آلَ عَوْفِ بن عامرِ
فتًى كان أَحْيَا من فتاةٍ حَيِيّةٍ * وأشجعَ من لَيْثٍ بخَفّانَ خادرِ

---

(١) وأحربه : يريد أنه أحرب السباع أى أشدها فى الحرب والمقاتلة . والعادى من السباع : الظالم الذى يفترس الناس . (٢) هذا كناية عن أن فريسته لا سبيل الى شفائها وسلامتها . ٢٠

عَرُوضُه من الطويل . البَوَاء بالباء : التكافؤ؛ يقال ما فلانٌ لفلانٍ ببَوَاء، أى ما هو له بكفء أن يُقتَل به . و « ما » فى قولها « فتى ما قتلتم » صلة . وآل عوف نداء . وخَفّان : موضع مشهور . وخادر: مقيم فى مَكْمَنه وغِيله ، وهو مأخوذ من الخِدْر[1] .

٥ الشعر لليلى الأخْيَلية تَرْثِى تَوْبةَ بنَ الحُمَيِّر . والغناء لإسحاق بن إبراهيم الموصلىّ، رملٌ بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر . وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش . وفى هذه القصيدة عدّةُ أغانٍ تُذْكَرُ مع سائر ما قاله توبةُ فى ليلَى وقالت فيه من الشعر عند انقضاء الخبر فى مَقْتَله إن شاء الله تعالى .

٦٧/١٠

(١) من معانى الخدر (بالكسر) : أجمة الأسد ، ومن معانى الخدر (بالفتح) : الإقامة .

ذكر ليلى ونسبها وخبر توبة بن الحُمَيِّر معها وخبر مقتله

نسب ليلى الأخيلية

هى ليلى بنت عبد الله بن الرَّحَّال — وقيل ابن الرحّالة — بن شَدَّاد بن كَعْب بن مُعاوية، وهو الأخْيَل وهو فارسُ الهَرّار[1]، ابن عُبَادةَ بن عُقَيْل بن كَعْب بن رَبِيعة ابن عامر بن صَعْصَعَة . وهى من النساء المُتَقَدِّمات[2] فى الشعر من شعراء الإسلام . ٥

كان توبة بن الحمير يهواها ونسبه

وكان تَوْبةُ بن الحُمَيِّر يهواها . وهو تَوْبةُ بن الحُمَيِّر بن حَزْم بن كَعْب بن خَفَاجة بن عمرو بن عُقَيْل .

أخبرنى ببعض أخبارهما أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ومحمد بن حَبِيب ابن نصر المُهلَّبىّ قالا حدّثنا عبد الله بن أبى سعد الورّاق[3] قال حدّثنا محمد ابن علىّ أبو المُغيرة قال حدّثنا أبى عن أبى عُبَيْدةَ قال حدّثنى أنَيْس بن عمرو العامرىّ قال : ١٠

كان توبةُ بن الحميّر أحدَ بنى الأَسَديّة، وهى عامرة بنت والبةَ بن الحارث، وكان يتعشّق ليلى بنتَ عبد الله بن الرحّالة ويقول فيها الشعر ، فخطبها الى أبيها فأبى أن يزوّجه إيّاها وزوّجها فى بنى الأدْلَع . فجاء يومًا كما كان يجىء لزيارتها، فإذا هى سافرة ولم يرَمنها اليه بشاشةً، فعلم أنّ ذلك لأمرٍ مّا كان ، فرجع الى راحلته فركبها ومضى، وبلَغ بنى الأدْلَع أنّه أتاها فتبعوه ففاتهم . فقال توبة فى ذلك : ١٥

جاءها توبة يوما فسفرت له لتحذره

(١) ورد اسم هذا الفرس فى الأصول هنا محرفا . وقد تقدم فى صفحتى ٨٥ و ٨٧ من هذا الجزء.

(٢) فى أ ، م : « المقدمات» . (٣) فى الأصول هنا : «عبد الله بن عمرو بن أبى سعد الوراق» . وقد ورد كثيرا فى الأجزاء الماضية كما أثبتناه .

نَأَتْــكَ بليـلَى دارُهـا لا تزورُها * وشَـطَّتْ نَوَاهـا واسْتَمَرّ مَرِيرُها [1]

وهى طويلة، يقول فيها :

وكنتُ إذا ماجئتُ ليـلَى تبرقعتْ * فقد رَابَنى منهـا الغَـداةَ سُفُورُها

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال :

٥ كان توبةُ بن الحميّر إذا أتى ليلَى الأخْيَلِيّة خرجتْ اليه فى بُرْقُع . فلمّا شُهِر أمرُه شَكَوْه الى السُّلْطان، فأباحهم دَمَه إن أتاهم . فمكثوا له فى الموضع الذى كان يلقاها فيه . فلمّا علمتْ به خرجتْ سافرةً حتى جلستْ فى طريقه . فلمّا رآها سافرةً فَطِنَ لِمَـا أرادتْ وعلِم أنه قد رُصِد ، وأنها سَفَرتْ لذلك تحذّره، فركض فرسَه فنجا . وذلك قوله :

١٠ وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعتْ * فقـد رابنى منهـا الغداةَ سفورُها

قال أبو عُبَيْـدةَ وحدّثنى غيرُ أُنَيْس أنه كان يُكْثِر زيارتَهـا ، فعاتبه أخوها وقومُها فلم يُعْتِبْ [2]، وشَكَوْه الى قومه فلم يُقْلِـع ، فتظلّموا منه الى السُّلْطان فأهدر دمَه إن أتاهم . وعلمتْ ليلى بذلك، وجاءها زوجُها وكان غيوراً فحلف لئن لم تُعْلِمْـه بمجيئه لَيقتلنّها، ولئن أنذرتْه بذلك لَيقتلنّها . قالت ليلى : وكنت أعرِف الوجهَ الذى

١٥ يجيئنى منه ، فرصَدوه بموضع ورصدته بآخر، فلمّا أقبل لم أقدِرْ على كلامه لليمين ، فسفرتُ وألقيتُ البُرْقُعَ عن رأسى . فلمّا رأى ذلك أنكره فركب راحلته ومضى ففاتهم .

ضافها رجل من بنى كلاب وخبره معها . ومع زوجها

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى أحمد ابن معاوية بن بكر قال حدّثنى أبو زِيادٍ الكِلَابىُّ قال :

(١) يقال : نآه ونأى عنه اذا بعد عنه . وشطت : بعدت . والنوى هنا : الوجه الذى ينويه المسافر

٢٠ من قرب أو بعد، ومثله النية . واستمر : استحكم . والمرير هنا : العزيمة، ومثله المريرة . يقال : استمرت مريرة فلان على كذا اذا استحكم أمره عليه وقويت شكيمته فيه وألفه واعتاده . (٢) أى لم يرضهم .

خرج رجلٌ من بنى كِلَاب ثم من بنى الصحمة (١) يبتغى إبلاً له حتى أَوْحَشَ وأرمل (٢)، ثم أمسى بأرض فنظر الى بيت بوادٍ، فأقبل حتى نزل حيث ينزل الضيفُ، فأبصر امرأة وصِبْيانًا يدورون بالخباء فلم يكلّمه أحدٌ. فلمّا كان بعد هَدْأةٍ من الليل سمع جَرْجَرَةَ إبلٍ رائحةٍ، وسمع فيها صوتَ رجلٍ حتى (٣) جاء بها فأناخها على البيت، ثم تقدّم فسمع الرجلَ يُناجى المرأةَ ويقول: ما هذا السَّوادُ حِذاءَك؟ قالتْ: راكبٌ أناخ بنا حين غابتِ الشمسُ ولم أُكلّمه. فقال لها: كذبتِ، ما هو إلا بعضُ خُلّانك، ونهض يضربها وهى تناشده. قال الرجل: فسمعتُه يقول: والله لا أترك ضَرْبَكِ حتى يأتىَ ضيفُكِ هذا فيُغيثَكِ. فلمّا عِيلَ صبرُها (٤) قالت: يا صاحبَ البعيرِ يارَجُلُ! وأخذ الصحمىّ هِرَاوتَه ثم أقبل يُحْضِرُ (٥) حتى أتاها وهو يضربها، فضربه ثلاث ضَرَبات أو أربعًا، ثم أدركتْه المرأة فقالت: يا عبد الله، مالك ولنا! نَحِّ عنّا نفسَك، فانصرف فجلس على راحلته وأدلج ليلتَه كلَّها وقد ظنّ أنه قتل الرجل وهو لا يدرى مَنِ الحىُّ بعدُ (٦)، حتى أصبح فى أَخْبِيةٍ من الناس، ورأى غَنَمًا فيها أَمَةٌ مولَّدة، فسألها عن أشياء حتى بلَغ به الذكرُ (٧)، فقال: أخبرينى عن أُناس وجدتُهم بشِعْبِ كذا (٨). فضحكَت وقالت: إنك لتسألنى عن شىء وأنت به عالم. فقال: وما ذاك لله بلادُكِ؟ فوالله ما أنا به عالم. قالت: ذاك خِباء ليلَى الأَخْيَلِيّة، وهى أحسنُ الناس وجهًا، وزوجُها رجلٌ غَيُورٌ فهو يعزُب بها عن الناس

(١) فى مختار الأغانى: «من بنى الصمح» وكذلك ورد فى الشعر الآتى: «أنا الصمحىّ» ولم نهتد لوجه الصواب فيه. (٢) أوحش هنا: جاع. وأرمل: نفد زاده. (٣) كلمة «حتى» ليست فى جـ. (٤) فى مختار الأغانى لابن منظور: «فلما عيل صبرها عوّثت وقالت ...».
(٥) فى ب، س: «يحفز» وهو تحريف. والاحضار: العدو. (٦) زاد فى مختار الأغانى: «ولا من الرجل». (٧) كذا فى مختار الأغانى. وفى الأصول: «... بها الذكر».
(٨) كذا فى مختار الأغانى. وفى الأصول: «بشعب كذا وكذا» ولا معنى لتكرار هذه الكلمة.

فلا يَحُلّ بها معهم، والله ما يَقْرَبُها أحدٌ ولا يَضيفها، فكيف نزلتَ أنت بها؟ قال: إنمـا مررتُ فنظـرتُ الى الخباء ولم أَقْرَبْه، وكتَمها الأمرَ. وتحدَّث الناسُ عن رجل نزل بها فضربها زوجُها فضربه الرجلُ ولم يُدْرَ مَنْ هو. فلمّا أُخبر[1] باسم المرأة وأقرّ على نفسه تغنّى بشعر دلّ فيه على نفسه وقال:

٥

أَلَا ياليـلَ أختَ بنى عُقَيْـلٍ * أنا الصَّـخْمِىُّ إنْ لم تَعـرِفِينى

دَعَتْـنى دعوةً فجَـزتُ[2] عنها * بصَكَّاتٍ رفعتُ بهـا يمِيـنى

فإنْ تَـكُ غَيْرةً أُبْرِئْكَ منهـا * وإن تكُ قد جُنِنْتَ فذا جُنونى[3]

سألها الحجاج هل كان بينهما وبين توبة ريبة وجوابها له

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا رشد[4] بن خَنْثَم الهِلالىّ قال حدّثنى أيُّوب ابن عمرو عن رجل يقال له وَرْقاء قال:

١٠

سمعتُ الحَجّاجَ يقول لليلى الأَخْيَلِيّة: إنّ شبابَكِ قد ذهب، واضمحلّ أمرُكِ وأمر توبة؛ فأُقسم عليك إلّا صَدَقْتِنى، هل كانت بينكما رِيبةٌ قَطُّ أو خاطبكِ فى ذلك قطّ؟ فقالت: لا والله أيّها الأمير إلا أنّه قال لى ليلةً وقد خَلَوْنا كلمةً ظننتُ أنه قد خضَع فيها لبعض الأمرِ، فقلتُ له:

وذى حاجةٍ قلنا له لا تَبُحْ بها * فليس إليها ما حَيِيتَ سبيلُ

١٥

لنا صاحبٌ لا ينبغى أن نخونَه * وأنت لأُخرى فارغٌ وحَلِيـلُ[5]

---

(١) فى مختار الأغانى: «فلما أخبر باسم المرأة أقر على نفسه بشعر قاله وهو ...».

(٢) جزت: كففت ودفعت. (٣) فى جـ: «فذو جنون». وكلا الرسمين يستقيم به المعنى. ومعنى البيت: إن كان ما حملك على ضرب زوجك غيرة فأنا أشفيك منها، وإن كان جنونا فأنا ذو جنون يغلب جنونك، أو فهذا الذى رأيته منى جنونى. وفى مختار الأغانى: «فذق جنونى».

٢٠

(٤) لم نعثر على ضبط هذا الاسم، وقد سموا رشدا (بضم فسكون) ورشدا (بالتحريك).

(٥) فى بعض الأصول: «وخليل». وفى كتاب الأمالى لأبى على القالى (ج ١ ص ٨٨ طبع مطبعة دار الكتب المصرية): «صاحب» بدل «فارغ». وحليل المرأة زوجها، وهى حليلته، لأن كليهما يحال الآخر أى يكون معه فى محل واحد.

فلا والله ما سمعت منه رِيبةً بعدها حتى فرّق بيننا الموتُ . قال لها الحجاج : فما كان منه بعد ذلك ؟ قالت : وجّه صاحبًا له الى حاضرنا فقال : إذا أتيتَ الحاضرَ من بنى عُبَادةَ بن عُقَيل فاعْلُ شَرَفًا ثم آهْتِف بهذا البيت :

عفا الله عنها هل أبِيتَنَّ ليلةً * من الدهر لا يَسْرِى الىّ خَيالُها

فلمّا فعل الرجل ذلك عرفتُ المعنى فقلتُ له :

وعنه عفا ربّى وأحسنَ حِفْظَه[1] * عزيزٌ علينا حاجةٌ لا ينالُها

٦٩/١٠

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء ، وهو أجمع فى قصيدة توبة :

* نأتك بليلى دارها لا تزورها *

صــــوت

حمامةَ بطن الوادِيَيْن تَرَنّمى * سقاكِ من الغُرّ الغَوادِى مَطِيرُها ١٠

أبِينى لنا لا زالَ رِيشُكِ ناعمًا * ولا زلتِ فى خَضْراءَ دانٍ بَرِيرُها[2]

وأُشْرِفُ بالقَـوْزِ[3] اليَفَاعِ لعلّنى * أرى نارَ ليلى أو يرانى بصيرُها[4]

وكنتُ إذا ماجئتُ ليلى تبرقعتْ * فقد رابنى منها الغداةَ سُفورُها

علىّ دماءُ البُدْنِ[5] إن كان بَعْلُها * يرى لِىَ ذنبًا غيرَ أنّى أزورُها

وأنّى إذا ما زرتُها قلتُ يا آسْلَمِى * وما كان فى قولى آسْلَمِى ما يَضيرُها ١٥

(١) فى الأمالى : « ... وأحسن حاله * فعزت ... » .

(٢) فى الأمالى : « غض نضيرها » . والبرير : ثمر الأراك . (٣) كذا فى جـ . والقوز : الكثيب من الرمل . واليفاع : المشرف . وفى بعض الأصول « بالغور » بالغين المعجمة ، وفى بعضها الآخر « بالفور » بالفاء وهو تصحيف . (٤) أى أو يرانى البصير المجاور للنار ، فأضاف البصير الى النار لهذه المناسبة . وظاهر أنه يريد بالبصير ليلى . (٥) البدن (بالضم ، وبضمتين أيضا) : جمع بدنة (بالتحريك) وهى الناقة أو البقرة تسمن وتذبح بمكة . ٢٠

وغيَّرنى إن كنتِ لمّا تغيَّرى (١) * هواجرُ تكتنّنها (٢) وأسيرُها

وأدماءَ (٣) من سِرِّ المَهارَى كأنّها * مَهاةُ صُوَارٍ (٤) غيرَ ما مَسَّ كُورُها

قطعتُ بها أجوازَ (٥) كلِّ تنوفةٍ * مَخُوفٍ رَدَاهَا كلّما آستنّ مورُها

ترى ضُعَفاءَ القوم فيها كأنّهم * دَعَاميصُ (٦) ماءٍ نَشَّ (٧) عنها غديرُها

٥ غنّى فى الأربعة الأبيات الأُوَل فُلَيْحُ بن أبى العَوْراء ثانىَ ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو . وغنّى فى الثالث والرابع ابن سُرَيْج رملًا بالوسطى عن الهشامىّ وعلىّ بن يحيى المنجّم ، وذكر غيرُهما أنه لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بَزِيع . وغنّى فيها الهذلىُّ ثقيلًا أوّل بالبنصر عن حَبَش . وغنّى آبن محرز فى « علىّ دماءُ البُدْن » والذى بعده خفيفَ رملٍ بالبنصر عن عمرو . وعن آبن مِسْجَح فى :

١٠ * وغيّرنى إن كنتِ لمّا تغيّرى *

---

(١) تقدّمت هذه الأبيات الأربعة التى أوّلها هذا البيت فى الأغانى (ج ٣ ص ٢٨٠ من هذه الطبعة) . (٢) وردت هذه الكلمة محرفة هاهنا فى الأصول ، والتصويب مما تقدّم فى الجزء الثالث وكتاب منتهى الطلب من أشعار العرب .

(٣) الأدمة فى الإبل : لون مشرب سوادا أو بياضا أو هو البياض الواضح . والمهارى : جمع مهرية وهى ١٥ إبل منسوبة الى مهرة بن حيدان أبى حى من العرب ، وقيل : هى منسوبة الى بلد . وقال الأزهرى : هى نجائب تسبق الخيل . وسرها : محضها وأفضلها . وفى أكثر الأصول هنا : « من حر المهارى » وما أثبتناه هو ما فى جـ والرواية فيما تقدّم . وفى كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب : « من سرالهجان » .

(٤) كذا فى جـ ومنتهى الطلب والرواية فيما تقدّم . وفى سائر الأصول : « مهاة صحار » . والمهاة : البقرة الوحشية . والصوار : قطيع البقر . (٥) أجواز : جمع جوز ، وجوز كل شىء وسطه . ٢٠ والتنوفة : الفلاة التى لا ماء فيها . واستن : هاج وثار . والمور : الغبار تثيره الرياح .

(٦) الدعاميص : دود أسود يكون فى الغدران اذا نشّت . (٧) كذا فى جـ ومنتهى الطلب وفيما تقدّم . وفى سائر الأصول هنا : « جف » . ونش : يبس ونضب .

وما بعده لحنٌ ذكر أنّ عبد الله بن جعفر روّاه الأبياتَ وأمره أن يُغنّىَ بها، أخبرنى بذلك إسماعيل بن يونس الشّيعىّ عن عمر بن شبّة عن إسحاق الموصلىّ عن ابن الكلبىّ فى خبرٍ قد ذكرته فى أخبار ابن مِسجح(١)، وذكر الهشامىّ أن اللحن ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

رأى الأصمعىّ فيا تضمنه شعر لتوبة

حدّثنا أحمد بن عُبَيْد الله بن عمار قال حدّثنى محمد بن يعقوب بالأنبار قال حدّثنى مَنْ أنشد الأصمعىَّ(٢) :

علىّ دماءُ البُدْنِ إن كان زوجُها * يرى لِىَ ذنبًا غيرَ أنّى أزورها

وأنّى اذا ما زرتُها قلت يا اسْلَمى * فهل كان فى قولى اسْلَمى مايَضيرُها

فقال الأصمعىّ : شكوى مظلومٍ، وفعلُ ظالم .

مقتل توبة وسببه وكيف كان

أخبرنى بالسبب فى مقتل توبةَ محمدُ بن الحسن بن دُرَيد إجازةً عن أبى حاتم السِّجِسْتانىّ عن أبى عُبَيدةَ، والحسنُ بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا محمد بن علىّ بن المُغيرة عن أبيه عن أبى عُبيدةَ ، وأخبرنى علىّ ابن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السُّكَّرىّ عن محمد بن حبيبَ عن ابن الأعرابى ، وروايةُ أبى عُبَيْدةَ أتمُّ واللّفظُ له . قال أبو عبيدةَ :

كان الذى هاج مقتلَ توبةَ بنِ الحُمَيِّر بن حَزْم(٣) بن كَعْب بن خَفَاجةَ بن عمرو بن عُقَيل بن كَعْب بن ربيعةَ بن عامر بن صعصعةَ أنّه كان بينه وبين بنى عامر بن عوف بن عُقَيلٍ لِحاءٌ(٤)، ثم إنّ توبةَ شهد بنى خَفاجةَ وبنى عَوْف وهم يختصمون عند همّام ابن مُطرف العُقَيْلىّ فى بعض أمورهم . قال: وكان مَرْوانُ بن الحَكَمِ يومئذ أميراً

(١) راجع الجزء الثالث صفحة ٢٨٠ من هذه الطبعة . (٢) فى الأصول : « من أنشده الأصمعى ... الخ » . (٣) فى ء هنا : «بجون» بدل «حزم» . وفى منتهى الطلب : «حزن» . وفى المختلف والمؤتلف للآمدىّ : «سفيان» . وسيأتى فى صفحة ٢٢٢ : « ... حمير بن ربيعة» وهى رواية أبى عبيدة عن مزرع . (٤) لحاء : مصدر لاحاه ملاحاة ولحاء اذا نازعه .

على المدينة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان ، فاستعمله على صدقات بنى عامر .
قال : فوثب ثور بن أبى سمعان بن كعب بن عامر بن عوف بن عقيل على توبة بن الحمير فضربه بجرز[1] وعلى توبة الدرع والبيضة ، فجرح أنف البيضة وجه توبة . فأمر همام بثور بن أبى سمعان فأقعد بين يدى توبة ، فقال : خذ بحقك يا توبة .
٥ فقال له توبة : ما كان هذا إلا عن أمرك ، وما كان ليجترئ علىّ عند غيرك . وأم همام صوبانة بنت جون[2] بن عامر بن عوف بن عقيل ، فاتهمه توبة لذلك ، فانصرف ولم يقتص منه . فمكثوا غير كثير ، وإن توبة بلغه أن ثور بن أبى سمعان خرج فى نفر من رهطه الى ماء من مياه قومه يقال له قوباء[3] يريدون مالهم[4] بموضع يقال له جرير بتثليث — قال : وبينهما فلاة — فاتبعه توبة فى ناس من أصحابه ، فسأل
١٠ عنه وبحث حتى ذكر له أنه عند رجل من بنى عامر بن عقيل يقال له سارية بن عمير[5] بن أبى عدى وكان صديقا لتوبة . فقال توبة : والله لانطرقهم[6] عند سارية الليلة حتى يخرجوا عنه . فأرادوا أن يخرجوا حين يصبحون . فقال لهم سارية : اُدّرعوا[7] الليل ؛ فإنى لا آمن توبة عليكم الليلة فإنه لا ينام عن طلبكم . قال : فلما تعشوا ادّرعوا الليل فى الفلاة . وأقعد له توبة رجلين فغفل صاحبا توبة . فلما

١٥ (١) الجرز (بالضم) عمود من حديد . (٢) فى مختار الأغانى : «طوبانة بنت حزن» . ولم نهتد لوجه الصواب فيه . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى جـ : «قويا» . وفى مختار الأغانى : «هوفا» . ولم نجد شيئا من هذه الرسوم فى المظان . وفى كتاب صفة جزيرة العرب لأبى محمد الهمدانى : «القوفاء» وردت فى قصيدة لشاعر نجدى يقال له الحزازة العامرى ، وقد كان ذهب مع قومه الى البيت الحرام يستسقون ، فوصف أرضهم بلدا بلدا وواديا واديا وجبلا جبلا ، وورد فى هذه القصيدة
٢٠ بعد «القوفاء» بقليل «تثليث» . فلعل ما فى الأصول محرف عنه . (٤) فى جـ ومختار الأغانى : «يريدون ماء لهم يقال له جرير ...» . (٥) فى مختار الأغانى : «سارية بن عريم ...» .
(٦) فى ب ، س : «والله لأنظرنهم» . (٧) فى جـ ، ب ، س : «ادّرعوا الليلة» .
يقال : ادّرع الليل وتدرعه اذا دخل فيه يسرى ، كأنه لبس ظلمته .

ذهب الليلُ فزِع توبة وقال : لقد افتررتُ الى رجلين ما صنَعا شيئا ، وإنّى لأعلم أنهم لم يُصبحوا بهذه البلاد، فاقتصّ آثارهم، فإذا هو بأثر القوم قد خرجوا، فبعث الى صاحبيه فأتياه، فقال : دُونَكما هذا الجملَ فأوْقِراه من الماء فى مَزَادتَيْه ثم ٱتْبعا أثَرى ، فإنْ خَفِى عليكما أن تُدْرِكانى فإنى سأُنوِّر لكما إن أمسيتما دونى . وخرج توبة فى أثر القوم مسرعًا ، حتى إذا ٱنتصف النهارُ جاوز عَلَمًا يقال له أُفيح[1] فى الغائط . فقال لأصحابه : هل تَرَوْنَ سَمُراتٍ الى جنب قُرون بَقَرٍ؟ — وقرون بقرمكان هنالك — فانّ ذلك مَقِيلُ القوم لم يتجاوزوه فليس وراءه ظِلٌّ[2] . فنظروا فقال قائلٌ : أرى رجلًا يقود بعيرًا[3] كأنه يقوده لصيدٍ . قال توبة : ذلك ابن الحَبْتَرِيّة ، وذلك من أرْمَى مَنْ رمَى . فمَنْ له يختلجه[4] دون القوم فلا يَنْذَرون[5] بنا؟ قال : فقال عبد الله أخو توبة : أنا له . قال : فٱحْذَرْ لا يَضْرِبنّك ، وإن استطعتَ أن تحولَ بينه وبينَ أصحابه فافعل . فخلّى طريقَ فرسه فى غَمْضٍ[6] من الأرض ، ثم دنا منه فحَمَل عليه ، فرماه ٱبن الحَبْتَرِيّة — قال : وبنو الحَبْتَرِ[7] ناسٌ من مَذْحِج فى بنى عُقَيل — فعقَر[8] فرسَ عبدِ الله أخى تَوْبَة واختلّ[9] السهمُ ساقَ عبدِ الله ، فٱنحاز الرجلُ حتى أتى أصحابَه فأنذرَهم، فجمعوا رِكَابَهم وكانت متفرّقةً . قال وغَشِيَهم توبةُ ومَنْ معه، فلمّا رأوا ذلك صَفُّوا رِحالَهم وجعلوا السَّمُراتِ فى نُحورهم وأخذوا سِلاحَهم ودَرَقَهم، وزَحَف اليهم توبةُ، فٱرتمى القومُ لا يُغْنِى أحدٌ منهم شيئا

(١) ضبط الأصمعى « أفيح » بضم أوله وفتح ثانيه ، وضبطه غيره بفتح أوله وكسر ثانيه .
(٢) عبارة مختار الأغانى : « فان ذلك مقيل لم يجاوزه القوم وليس لهم وراءه ظل » .
(٣) فى الأصول : « نرى رجلا يقود بعيرا له ... الخ » والتصويب عن مختار الأغانى .
(٤) يختلجه : ينتزعه . (٥) فلا ينذرون بنا : فلا يعلمون . (٦) الغمض : المطمئن المنخفض من الأرض . (٧) فى الأصول : « وبنو الحبترية » والتصويب من مختار الأغانى .
(٨) فى الأصول : « فعقروا » بضمير الجمع ، وهو تحريف . (٩) اختله السهم : أصابه ونفذه .

فى أحد . ثم إنّ توبةَ وكان يُتَرِّسُ[1] له أخوه عبدُ الله، قال : يا أخى لا تُتَرِّسْ لى ؛ فإنى رأيت ثورًا كثيرًا ما يرفع التُّرسَ ، عسى أن أُوافق منه عند رَفْعه[2] عَرْمَى فأرميَه . قال : ففعل ، فرماه توبةُ على حَلَمةِ ثديه فصرعه . وجال[3] القومُ فغَشِيَهم توبةُ وأصحابُه فوضعوا فيهم السِّلاحَ حتى تركوهم صَرْعَى وهم سبعةُ نفرٍ . ثم إنّ ثورًا قال آنتزِعوا هذا السهمَ عنِّى . قال توبةُ : ما وضعناه لننتزعَه . فقال أصحابُ توبة : انْجُ بنا نأخُذ آثارَنا ونَلْحَقْ راويتَنا ، فقد أخَذْنا ثأْرَنا من هؤلاء وقد مُتْنا عَطَشًا[4] . قال توبةُ : كيف بهؤلاء القومِ الذين لا يَمنَعون ولا يمتنعون ! . فقالوا : ابعدهم الله . قال توبةُ : ما أنا بفاعلٍ وماهم إلّا عشيرتُكم ، ولكن تَجىء[5] الراوية فأضَع لهم ماءً وأغسِلُ عنهم دماءَهم وأُخَيِّلُ[6] عليهم من السِّباع والطير لا تأكلُهم حتى أُوذِنَ قومَهم بهم بعَمِقٍ[7] . فأقام توبةُ حتّى أتته الراويةُ قبل اللّيل، فسقاهم من الماء وغَسَل عنهم الدماء، وجعل فى أساقيهم[8] ماءً، ثم خَيَّل لهم بالثِّياب على الشجر، ثم مضى حتى طرَق من اللّيل ساريةَ بن عُوَيْمِر[9] بن أبى عَدِىّ العُقَيْلِىّ فقال : إنّا قد تركنا رهطًا من قومكم بسَمُراتٍ من قُرون بقر، فأدرِكوهم، فَمَنْ كان حيًّا فداوُوه ، ومَنْ كان مَيِّتًا فآدْفِنوه ، ثم انصرف فلحِق بقومه . وصبّح

(١) يترّس له : يستره بالترس . (٢) فى الأصول : «عند رميه» والتصويب من مختار الأغانى .
(٣) فى الأصول : «وجاء القوم» والتصويب من مختار الأغانى . (٤) كذا فى مختار الأغانى . وعبارة الأصول : «... انج بنا فقد أخذنا ثأرنا ونلق راويتنا فقد متنا عطشا» .
(٥) فى مختار الأغانى : «ولكن حتى تجىء ...» بزيادة «حتى» . (٦) التخييل هنا : وضع خيال على الشىء لتفزع منه السباع ؛ يقال : خيل له ، وخيل عليه . (٧) عمق : موضع . وفى مختار الأغانى : «حتى أوذن قومهم يغمونهم» . (٨) الأساقى : جمع أسقية، والأسقية : جمع سقاء (بالكسر) وهو وعاء الماء . فالأساقى جمع الجمع . وفى مختار الأغانى : «وجعل لهم فى أشنانهم ماء» . والأشنان : جمع شن ، وهو القربة الخلق ، وهى طيبة الماء، لأنه ذهب منها ما يغير ماءها . (٩) تقدم فى صفحة ٢١١ «سارية بن عمير ...» ولم نهتد لوجه الصواب فيه .

سارية القوم فاحتملهم وقد مات ثور بن ابى سمعان ولم يمت غيره . فلم يزل توبة خائفا .
وكان السليل بن ثور المقتول راميا كثير البغى والشر، فأخبر[(1)] بغرّة من توبة وهو بقنة[(2)]
من قنان الشرف يقال لها قنة بنى الحمير، فركب فى نحو ثلاثين فارسا حتى طرقه ، فترقى
توبة ورجل من إخوته فى الجبل ، فأحاطوا بالبيوت ، فناداهم وهو فى الجبل : هأنذا
من تبغون فاجتنبوا[(3)] البيوت . فقالوا : إنكم لن تستطيعوه وهو فى الجبل ، ولكن خذوا
ما استدف[(4)] لكم من ماله ، فأخذوا أفراسا له ولإخوته وانصرفوا . ثم إن توبة غزاهم ،
فمر على أفلت[(5)] بن حزن بن معاوية بن خفاجة ببطن بيشة[(6)] . فقال : ياتوبة أين تريد؟
قال : أريد الصبيان من بنى عوف بن عقيل . قال : لا تفعل فإن القوم قاتلوك ،
فمهلا . قال : لا أقلع عنهم ما عشت ، ثم ضرب بطن فرسه فاستمر به يحضر[(7)] و[هو][(8)]
يرتجز و يقول :

تنجو اذا قيل لها يعاط[(9)] * تنجو بهم من خلل الأمشاط

حتى انتهى الى مكان ، يقال له حجر الراشدة ، ظليل ، أسفله كالعمود ، وأعلاه منتشر ،
فاستظل فيه [هو][(8)] وأصحابه . حتى إذا كان بالهاجرة مرت عليه إبل هبيرة بن السمين أخى

(١) كذا فى مختار الأغانى . وفى الأصول : «وأخبر» . (٢) فى الأصول : «وهم» والتصويب من مختار الأغانى . (٣) فى الأصول : «هذا من تبغون فأجيبوا» والتصويب من مختار الأغانى . (٤) كذا فى جـ . واستدف : تهيأ وأمكن . يقال خذ ما دف لك واستدف ، أى خذ ما تهيأ وأمكن وتسهل . وفى سائر الأصول : «ما استدنى» . (٥) فى الأصول : «قلب بن حزن» والتصويب من مختار الأغانى . (٦) فى الأصول : «يبطن نفسه» . والتصويب من مختار الأغانى .
(٧) كذا فى جـ ومختار الأغانى . والإحضار : عدو سريع . وفى سائر الأصول : «يخطر» .
(٨) زيادة عن مختار الأغانى . (٩) فى الأصول : «ينجو اذا قيل لهم معاط» وفى جـ : «يعاط» صحيحة . والتصويب من مختار الأغانى . وقد ورد البيت فيه هكذا :

تنجو اذا قيل لها نعاط * تنجو ولو من خلل الأمشاط

و يعاط (وزان قطام) : زجر للإبل ، و يزجر به الذئب وغيره . وتنجو : تسرع .

بنى عَوْف بن عُقَيل وارادةً ماءً لهم يقال له طَلُوبُ، فأخذها وخلّى طريقَ رَاعِيها، وقال له : إذا أتيتَ صُـدْغَ البقرة[1] مولاك فأخبِرْه أنّ توبةَ أخذ الإبلَ، ثم انصرف توبةُ [يَطْرُدُ الإبلَ[2]] . قال : فلمّا ورد العبدُ على مولاه فأخبره نادَى فى بنى عَوْف وقال : حَتّامَ هـذا ! . فتعاقدُوا بينهم نحوًا من ثلاثين فارسًا ثم اتّبعوه . ونهضت امرأةٌ من بنى خَثْعَم منْ بنى الهِزّة[3] كانت فى بنى عَوْف وكانت تُؤَخِّذ[4] لهم، فقالت : أرُونى أثَرَه ، فخرجوا بهـا فأرَوْها أثرَه ، فأخذتْ من تُرابه فسافتْـه فقالت : اطلُبوه فإنّه [سَيَحْبِس[2]] عليكم . فطلبوه فسبقهم ، فتَلاوَمُوا [بينهـم[2]] وقالوا : ما نرى له أثرًا ، وما نراه إلا وقـد سبقكم . قال : وخرج توبةُ حتى إذا كان بالمضجَع من أرض بنى كِلاب جعـل نِذَارتَه[5] وحبَس أصحـابَه . حتى إذا كان بشِعْبٍ من هَضْبةٍ يقال لها هِنْـدٌ[6] من كبِد المَضْجِع جعل ابنَ عَمٍّ[7] له يقال له قابضُ ابن عبدالله رَبيئةً [له[2]] على رأس الهَضْبة فقال : انظُرْ إنْ شخَص لك شيء فأعْلِمْنا .

---

(١) فى مختار الأغانى : «ضرع البقرة» . (٢) زيادة عن مختار الأغانى .

(٣) فى مختـار الأغانى : « من بنى الهـدة » . (٤) تؤخذ لهم أى تعالج لهم السحر .

(٥) النذارة : الإنذار . وإذا صح ما فى الأصول فلعله يريد : وضع من ينذره أمر العدو أى وضعه حيث يعلم أمرهم إن قدموا فيخبره بهـم ، فاستعمل النذارة فى المنـذر . وعبارة مختار الأغانى : « ... جعل يحبس أصحابه » . (٦) كذا فى الأصول . وفى كتاب معجم ما استعجم فى الكلام على هيـدة (بالدال المهملة) : « ... ولم تختلف الرواية عن أبى عبيدة فى كتابيه كتاب أيام العـرب وكتاب مقاتل الفرسان أن الهضبة التى قتل فيها توبة اسمها بنت هند، على لفظ اسم المرأة ... » .

(٧) فى الأصول : «ابن عمـة له» . والتصويب من مختار الأغانى . وفى كتاب معجم ما استعجم فى الكلام على هيدة ذكر قول ليلى الأخيلية ترثى توبة :

تخلى عن أبى حرب فولى * بهيدة قابض قبل القتال

ثم قال : «نعنى قابض بن عبد الله المسلم لابن عمه توبة ... » .

فقال عبد الله[1] بن الحُمَيِّر : يا توبةُ إنّك حائنٌ[2]، أذكّرك الله، فوالله ما رأيتُ يومًا أشبهَ بسَمُرات بنى عوف يومَ أدركناهم فى ساعتهم التى أتيناهم فيها منه[3]، فانْجُ إن كان بك نجاةٌ . قال : دَعْنى ، فقد جعلتُ ربيئةً ينظُر لنا . قال : ويَرْجع بنو عوف ابن عُقَيل حين لم يجدوا أثر توبةَ فيلقَوْنَ رجلًا من غَنِىّ، فقالوا له : هل أحسستَ فى مجيئك أثرَ خيلٍ أو أثرَ إبلٍ؟ قال: لا والله. قالوا: كذبتَ وضربوه. فقال: ياقومُ لا تضربونى، فإنى لم أجِدْ أثرًا، ولقد رأيتُ زُهَاءَ كذا وكذا إبلًا مُخوصًا فى هاتيك الهَضْبة ، وما أدرى ما هو . فبعثوا رجلًا منهم يقال له يزيدُ بن رُوَيْبَةَ لينظرَ ما فى الهَضْبة . فأشرف على القوم، فلما رآهم ألْوَى بثوبه لأصحابه حتّى جاءوا، فحَمَل أولُهم على القوم حتى غَشِى[4] توبةَ، وفزِع توبةُ وأخوه الى خيلهما ، فقام توبةُ إلى فرسه فغلبتْه لا يقدِر على أن يُلْجِمَها ولا وقفتْ له ، فخلّى طريقها ، وغَشِيه[4] الرّجلُ فاعتنقه ، فصرَعه توبةُ وهو مدهوشٌ وقد لبِس الدِّرْعَ على السيف فانتزعه ثم أهوى به ليزيد بن رُوَيْبَةَ فاتّقاه بيده فقطع منها ، وجعل يزيدُ يُناشده رَحِمَ صَفيّةَ ، وصفيّة أمٌّ له[5] من بنى خَفاجة . وغَشِى القومُ توبةَ من ورائه فضربوه فقتلوه ، وعَلِقهم عبدُ الله بن الحمَيِّر يَطْعُنهم بالرُّمْح حتى انكسر . قال : فلمّا فرَغوا من توبةَ لَوَوْا على عبد الله بن الحميِّر فضربوا رجلَه فقطعوها . فلمّا وقع بالأرض أشرع سيفَه وحدَه ثم جثا على رُكبتيه وجعل يقول : هَلُمُّوا ، ولم يشعُر القوم بما أصابه . وانصرف بنو عوف بن عُقَيْل ، وولّى قابضٌ منهزمًا حتى لحِق بعبد العزيز بن زُرَارةَ الكلابىّ

(١) فى ب ، س : « عبد الله ابن جسوسا بن الحمير » وهو غلط سببه أن قارئا لنسخة جـ فسر « ربيئة » فقال « أى جاسوسا » فكان التفسير فوق « عبد الله » فظن الناشر أنه أبوه .

(٢) الحائن : الهالك . وفى ب ، س : « حائر » وهو تحريف .

(٣) عبارة مختار الأغانى : « من هذه الساعة من هذا اليوم » . (٤) غشيه هنا : لحقه وأدركه .

(٥) كذا فى مختار الأغانى . وفى الأصول : « وصفية امرأة من بنى خفاجة » .

فأخبره الخبر . قال : فركب عبدُ العزيز حتى أتى توبةَ فدفَنه وضمّ أخاه . ثم ترافع القومُ إلى مَرْوان بن الحكم، فكافأ بين الدّمين[(١)] وحُمِلَت الجِراحاتُ. ونزل بنو عَوْف ابن عُقَيْل[(٢)] الباديةَ ولحِقوا بالجزيرة والشام .

رواية لأبي عبيدة في مقتله وسببه

قال أبو عُبَيدة : وقد كان توبةُ أيضا يُغير زَمَنَ مُعاويةَ بن أبي سُفْيانَ على قُضاعةَ وخَثْعم ومَهْرةَ وبنى الحارث بن كَعْب، وكانت بينهم وبين بنى عُقَيْل مُغاوراتٌ[(٣)]، فكان توبةُ إذا أراد الغارةَ عليهم حمل الماءَ معه في الرَّوايا ثم دفنه في بعض المفازة على مَسيرة يوم منها ؛ فيُصيبُ ما قدَر عليه من إبلهم فيُدخلها المفازةَ فيطلبه[(٤)] القوم، فإذا دخل المفازةَ أعجزهم فلم يقدِروا عليه فآنصرفوا عنه . قال : فمكث كذلك حينا . ثم إنه أغار في المرّة الأولى التي قُتل فيها هو وأخوه[(٥)] عبد الله بن الحميِّر ورجلٌ يقال له قابض ابن أبي عُقَيل[(٦)]، فوجد القومَ قد حَذِروا فآنصرف توبةُ مُخْفِقًا لم يُصبْ شيئا . فمرّ برجل من بنى عَوْف بن عامر بن عُقَيْل مُتَنَحِّيًا[(٧)] عن قومه، فقتله توبةُ وقتل رجلًا كان معه من رَهْطه وآطّرد إبلَهما، ثم خرج عامدًا يريد عبدَ العزيز بن زُرارة بن جَزْء بن سُفيان بن عَوْف بن كِلَاب، وخرج ابنُ عمٍّ لثور بن أبي سِمْعان[(٨)] المقتول، فقال له خُزَيمةُ : صِرْ إلى بنى عَوْف بن عامر بن عُقَيْل فأخْبِرْهم الخبرَ. فركبوا في طلب توبةَ فأدركوه في أرض بنى خَفَاجةَ، وقد أمِن في نفسه فنزَل، وقد كان أسْرَى يومَه وليلتَه، فآستظلّ ببُرْدَيْه وألقى عنه دِرْعَه وخلّى عن فرسه الخَوْصاءِ تتردّد

(١) في جـ : « بين الدميين » . ويقال في تثنية الدم دمان ودميان، وشذ دموان .

(٢) في الأصول : «وبنو عقيل» والتصويب من مختار الأغاني . (٣) في ب، س : «غارات» . (٤) في ب، س : «فيطلبهم» وهو تحريف . (٥) معطوف على فاعل «أغار» .

(٦) تقدّم في صفحة ٢١٥ : «قابض بن عبد الله» . فلعل «أبا عقيل» جدّ من أجداده، أو هو تحريف . (٧) الذي تقدّم في صفحة ٢١٤ أنه «مرت عليه إبل هنيرة بن السمين أخى بنى عوف ابن عقيل» . (٨) في الأصول هنا : « أبي سفيان » وهو تحريف .

٧٣ / ١٠

قريباً[1] منــه ، وجعل قابضًا ربيئةً له ونام ، فأقبلتْ بنو عوف بن عامر مُتقاطرين لئـلّا يَفْطِنَ لهم أحدٌ، فنظر قابض فأبصر رجلًا منهم فأقبل الى توبة فأنبهه . فقال توبةُ: ما رأيتَ؟ قال : رأيتُ شخصَ رجلٍ واحد، فنام ولم يكترث له ، وعاد قابضٌ الى مكانه فغلبتْه عيناه فنام . قال : فأقبل القومُ على تلك الحال فلم يَشْعُرْ بهم قابضٌ حتى غَشُوه ، فلمـا رآهم طار على فرسه . وأقبل القــومُ إلى توبة، وكان أوّلَ من تقــدّم غلامٌ أمردُ على فرس عُرْيٍ[2] يقال له يزيد بن رُوَيْبــةَ بن سالم بن كَعْب بن عَوْف بن عامر بن عُقَيْل؛ ثم تلاه ابن عمّه عبدُ الله بن سالم ثم تتابعوا . فلمّا سمِـع توبةُ وَقْعَ الخيلِ نهَض وهو وَسْنانُ فلبِس دِرْعَه على سيفه ثم صوّت بفرسه الخَوْصاء فأتته، فلمّا أراد أن يركَبها أهوتْ تَرْمَحه[3]، ثلاثَ مرّاتٍ، فلمّا رأى ذلك لطَم وجهَها فأدبرت، وحال القومُ بينــه وبينها . فأخذ رُمْحَه وشــدّ على يزيدَ بن رُوَيْبةَ فطعَنه فأنفذ فخذيه جميعا[4] . وشــدّ على توبة ابن عمّ الغلام عبد الله بن سالم فطعنه فقتله ، وقطعوا رجلَ عبد الله . فلمّـا رجع عبد الله بعد ذلك الى قومه لاموه وقالوا له : فَرَرْتَ عن أخيك ، فقال عبد الله بن الحميّر في ذلك[5] . قال أبو عُبيدة وحدّثنى أيضا مُزَرّع بن عبد الله بن همّام بن مُطَرِّف بن الأعلم قال :

كان أهلُ دارٍ من بنى جُشَم بن بكر بن هَوَازِنَ يقال لهم بنو الشَّرِيد حلفاء لبنى عداد[6] بن خَفاجةَ فى الإسلام ، فكان بينهم وبين خَمِيس بن رَبيعةَ رَهْط قَوْمه قتالٌ على ماءةٍ تُدْعَى الحُلَيْفَةَ وعاقتها بجَدّ بن همّام . قال وشهِد عبدُ الله بن الحميّر ذلك وهو

---

(١) فى جـ : « قريبة منه » . (٢) فى الأصول : « على فرس عربى » . والفرس العرى (بضم العين وسكون الراء) : الذى لا سرج عليه . (٣) ترمحه : ترفسه . (٤) فى أ ، م : « فطعنه فقتله » . (٥) أى قال القصيدة الآتية التى مطلعها : * تأوبنى بمارمة الهموم *
(٦) لم نجد هذا الاسم فى مظانه .

أعرج، عَرِجَ يوم قُتِل توبةُ فلم يُغنِ كثيرَ غَناء. فقالت بنو عُقَيل: لو توبةُ تلقّاهم لبُلُوا [منه](١) بغير أفوق ناصل(٢). فقال عبد الله بن الحُمَيِّر يعتذر إليهم:

قصيدة لعبد الله ابن الحمير يعتذر فيها الى قومه بعد قتل أخيه

تأوّبني(٣) بعارمةَ الهمومُ * كما يعتادُ ذا الدَّيْنِ الغريمُ

كأنّ الهمَّ ليس يُريدُ غيري * ولو أمسَى له نَبَطٌ ورُوم

٥ عَلامَ تقومُ عاذلتي تلومُ * تُؤرِّقني(٤) وما انجابَ الصَّريمُ(٥)

فقلتُ لها رُوَيْدًا كي تَجلَّى * غَواشِي النَّومِ والليلُ البهيمُ

ألمّا تعلمِي أنّي قديمًا * إذا ما شئتُ أعصِي مَنْ يلومُ

وأنّ المرءَ لا يَدرِي إذا ما * يَهُمُّ علامَ تَحمِله الهمومُ

وقد تَعدِي(٦) على الحاجاتِ حَرْفٌ * كرُكْنِ الرَّعْنِ(٧) ذِعْلِبَةٌ عقيمُ

١٠ مُداخَلةُ الفَقارِ وذاتُ لَوْثٍ(٨) * على الحُزّانِ(٩) مُقحِمةٌ غَشُومُ

(١) زيادة عن جـ . (٢) الأفوق من السهام : الذى كسر فوقه وهو مشق الوتر منه . والناصل من السهام : ذو النصل، والذى سقط نصله . والمراد هنا ساقط النصل . ونصل السهم : الحديدة التى فى رأسه . وفى حديث علىّ كرم الله وجهه يؤنب قوما : « ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل » .

(٣) تأوّبني الشىء : رجع إلى ليلا . ويحتمل أن يكون «تأوّبنى» هنا فعلا مضارعا أى تتأوّبنى .

١٥ وعارمة : موضع . وفى الأصول: «بعازبة» والتصويب من كتاب منتهى الطلب . (٤) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «تؤنبنى» . (٥) الصريم : الليل، والصريم : الصبح، ضد . وقد وردت هذه الكلمة فى الأصول محرّفة . وانجاب : انشق . (٦) تعدى : تعين . والحرف هنا : الناقة الصلبة الضامرة، شبهت بحرف الجبل فى الصلابة . (٧) كذا فى جـ وكتاب منتهى الطلب . وفى ب ، س : «كركب الرعن» وفى أ ، م : «كرعب الرعن» وهو تحريف . والرعن الجبل الطويل،

٢٠ وأنف يتقدم الجبل . وذعلبة : سريعة . (٨) فى منتهى الطلب : «مداخلة الفقارة ذات لوث» . واللوث هنا : القوة . (٩) كذا فى جـ ومنتهى الطلب . والحزان (بالضم وبالكسر) : جمع حزيز وهو المكان الغليظ المنقاد . وفى أ ، م : «الحران» بالراء المهملة وهو تصحيف . وفى ب ، س : « الحرات » . جمع حرة وهى أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار . ومن معانى المقحم : البعير الذى يسير فى المفازة من غير راع ولا سائق . ولعل المراد بمقحمة هنا أنها تلق بنفسها فى السير

٢٥ من غير روية . وغشوم : يريد أنها جريئة ماضية تركب رأسها إذا سارت لا يثنيها شىء عن هواها .

كأنّ الرَّحْلَ منها فوق جَأْبٍ[1] * بذاتِ الحاذِ[2] مَعْقِلُه الصَّرِيمُ

طَبَاه بِرِجْلَةِ البَقّارِ[3] برقٌ * فبات الليلَ مُنْتَصِبًا يَشِيمُ

فبينَا ذاك إذ هَبَطَتْ عليه * دَلُوحُ[4] المُزْنِ واهيةٌ هَزِيمُ

تَهُبُّ لها الشَّمالُ فتمتريها[5] * ويَعْقُبُها بنافحةٍ نسيمُ

يُكِبُّ إذا الرَّذاذُ[6] جرى عليه * كما يُصْغِي[7] الى الآسى الأَمِيمُ

إذا ما قال أقْشَعَ جانباهُ * نَشَتْ[8] من كلّ ناحيةٍ غيومُ

فأشْعِرَ[9] ليلَه أرقًا وقُرًّا * يُسَهِّره كما أرِقَ السليمُ

---

(١) الجأب (بالهمز وقد تسهل همزته) : الغليظ الصلب من الحمر الوحشية والثيران الوحشية . وتشبيه الناقة بالحمار الوحشى أو الثور الوحشى فى القوة والصلابة كثير مستفيض فى الشعر العربى القديم .

(٢) الحاذ : ضرب من الشجر واحده حاذة ؛ والحاذ : موضع بنجد . قال طرفة بن العبد :

حيثما قاظوا بنجد وشتوا * حول ذات الحاذ من ثنى وقر

والصريم هنا : القطعة المنقطعة من معظم الرمل ؛ ومثله الصريمة . ويحتمل أنه يريد مكانا بعينه .

(٣) طباه هنا : دعاه أو قاده . ورجلة البقار : موضع . ويشيم : ينظر . (٤) الدلوح من السحاب : كثيرة الماء . والمزن : السحاب أو أبيضه أو ذو الماء . والواهية من السحاب : التى تنبثق بالماء انبثاقا شديدا . وهزيم هنا : تنبعج بالماء لا تستمسك . (٥) تمتريها : تحتلبها أى تنزل ماءها . والنافحة : وصف من نفحت الريح إذا هبت . (٦) كذا فى منتهى الطلب . وفى الأصول : « يلث اذا الرباب » وفى ج : « الرثاث » بمثلثة بدل « الرباب » وكله تحريف . ويكب : يريد أنه يطأطئ رأسه . (٧) كذا فى ج . ومنتهى الطلب . ويصغى يميل . وفى أكثر الأصول « يصفى » بالفاء وهو تصحيف . والآسى : الطبيب . والأميم : المشجوج فى أم رأسه أى دماغه . يصف الجأب بأنه يميل رأسه إذا جرى ماء المطر عليه كما يفعل مشجوج الرأس حين يميل رأسه للطبيب .

(٨) نشت : أصله نشأت ، سهلت الهمزة ثم حذفت لالتقاء الساكنين .

(٩) أى جعل القر والأرق شعارا له فى ليله . ويجوز أن يرفع « ليله » على أن يجعل الأرق والقر شعارا له تجوزا فى الإسناد ، كما يقال نهار فلان صائم ، وليله قائم . والسليم : اللديغ .

أَلَا مَنْ يشتري رِجلًا بِرِجْلٍ * تَخَوَّنَهَا السِّلاحُ فما تَسُوم[1]
تَلومُكَ في القتال بنو عُقَيْلٍ * وكيف قِتالُ أعرَجَ لا يقوم
ولو كنتُ القتيلَ وكان حيًّا * لَقَاتَلَ لا أَلَفُّ[2] ولا سَئوم
ولا جَثَّامَةٌ[3] وَرَعٌ هَيُوبٌ * ولا ضَرَعٌ إذا يُمْسِي[4] جَثُوم

٧٤
١٠

٥ قال : ثم إنّ خَفاجةَ رَهْطَ تَوْبةَ جمعوا لبنى عَوْفِ بن عامر بن عُقَيْل الذين قتلوا توبةَ، فلمّا بلغهم الخبرُ لحقوا ببنى الحارث بن كعب، ثم افترقتْ بنو خَفاجةَ . فلمّا بلغ ذلك بنى عوف رجعوا، فجمعتْ لهم بنو خَفاجةَ أيضًا قبائلَ عُقَيْل . فلمّا رأت ذلك بنو عَوْف بن عامر بن عُقَيْل لحقوا بالجزيرة فنزلوها ؛ وهم رهط إسحاق بن مُسَافِر بن ربيعةَ بن عاصم بن عمرو بن عامر بن عُقَيْل . ثم إنّ بنى عامر بن صعصعة ١٠ صاروا فى أمرهم الى مَرْوان بن الحَكَم وهو والِى المدينةِ لمعاويةَ بن أبى سُفْيان، فقالوا : نَنْشُدُكَ[5] اللهَ أنْ تفرِّقَ جماعتَنا، فعقَل[6] توبةَ وعقَل الآخرينَ مَعاقِلَ العرب مائةً من الإبل ، فأدّتها بنو عامر . قال : فخرجتْ بنو عوف بن عامر قَتَلةُ توبةَ

---

(١) تخوّنها : تنقصها وغيّر حالها . والسوم هنا : سرعة المرّ . (٢) الألف هنا : الثقيل الكثير اللحم ، وهو عيب فى الرجال دون النساء . والألف أيضا المقرون الحاجبين وهو غير مراد هنا . وسئوم : ملول .
١٥ (٣) الجثامة هنا : النؤوم الذى لا ينهض للمكارم أو البليد، والجثامة أيضا : السيد الحليم وهو غير مراد هنا . والورع : الجبان والصغير الضعيف لاغناء عنده . والضرع (بالتحريك) : الضعيف والجبان، يستوى فيه المفرد والجمع ؛ والضرع (بالكسر) : المتذلل الخاضع . والجثوم : الذى يلزم مكانه فلا يبرح والذى يتلبد بالأرض . (٤) كذا فى جـ ومنتهى الطلب . وفى سائر الأصول : « يمشى » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف . (٥) أى نسألك بالله أن تتلافى تفرق
٢٠ جماعتنا . يقال : نشدتك الله وبالله أى سألتك واستحلفتك بالله . (٦) عقل فلانا : وداه أى دفع ديته .

فلحقوا بالجزيرة، فلم يبق بالعالية[1] منهم أحدٌ ، وأقامت بنو رَبيعة بن عُقَيل وعُرْوة ابن عُقَيل وعُبَادةَ بن عُقَيل[2] بمكانهم بالبادية .

رواية أبى عبيدة عن مزرّع فى مقتله وسببه .

قال أبو عُبَيْدةَ وحدّثنا مُزَرِّع[3] بن عمرو بن هَمّام — قال أبو عُبيدة : وكان معى أبو الخَطّاب وغيره — قال : تَوْبةُ ابن حُمَيِّرِ بن رَبيعةَ بن كَعْب بن خَفَاجةَ بن عَمْرِو ابن عُقَيلٍ ، وأمّه زُبَيْدةُ ، فهاج بينه وبين السَّليلِ بن ثَوْرِ بن أبى سِمْعانَ بن عامر ان عَوْف بن عُقَيل كلامٌ، وكان شِرِّيراً ونظيرَ توبةَ فى القُوّة والبأس ، فبلغ الحَـوْرُ[4] (وهو الكلام) إلى أن أوعد كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه ، فالتقى بعد ذلك توبةُ والسَّليلُ على غَديرٍ من ماء السماء ، فرمَى توبةُ السليلَ فقتلـه . ثم إنّ توبةَ أغار ثانيـةً على إبل بنى السَّمين بن كَعْب بن عَوْف بن عُقَيل واردةً ماءَهم فاطّردَها . واتبعوه وهم سبعة نفر : يزيد بن رُوَيْبـةَ ، وعبدُ الله بن سالم ، ومُعَاويةُ بن عبد الله — قال أبو عُبَيدةَ : ولم يذكر غيرَ هؤلاء — فانصرفوا يجنُبون[5] الخيـل يحملون المَزَادَ ، فقصُّوا أثر توبةَ وأصحابه فوجدوهم وقد أخذوا فى المَضْجَع من أرض بنى كِلَاب فى أرض دَمِثةٍ تَرِبةٍ[6] ، فضلّتْ فرسُ توبةَ الخَوْصاءُ من الليل ، فاقام واضطجع حتى أصبح ، وساق أصحابُه الإبلَ ، وهم ثلاثة نَفَرٍ سوى تَوْبةَ : المُحْرِزُ أحدُ بنى عمرو بن كِلَاب ، وقابِضُ[7] بن أبى عُقَيل أحدُ بنى خَفَاجةَ ، وعبد الله بن حُمَيِّر أخو توبةَ لأُمّه وأبيه . فلمّا

(١) العالية : اسم لكل ما كان من جهـة نجد من المدينة من قراها وعمائرها الى تهامة ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهى السافلة . (٢) فى الأصول : « عبادة بن معقل » وهو تحريف .
(٣) تقدّم فى صفحة ٢١٨ : « مزرّع بن عبد الله بن همام » . (٤) الحور : الاسم من المحاورة . يقال : إن فلانا لضعيف الحور ؛ أى المحاورة ، وهى المراجعة فى الكلام . (٥) جنب الدابة : قادها الى جنبه . وفى الأصول : « يجيبون » وهو تصحيف . (٦) فى الأصول : « دمثة » وهو تصحيف . والأرض الدمثة : السهلة اللينة . (٧) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول هنا : « قابض بن عقيل » . (راجع الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢١٧ من هذا الجزء) .

أصبح توبةُ إذا فرسُه الخوصاءُ راتعةٌ أدْنَى ظَلْمٍ(١) قريبةً(٢) منه ليس دونها وجاحٌ(٣) فأشلاها(٤) حتى أتته ، ثم خرج يعـدُو حتى لحِق بأصحابه ، فانتهَوْا الى هَضْبةٍ بكَبِد المَضْجَع ، فآرتقَى توبةُ فوقَها ينظر الطَّلَبَ(٥) ، فرآه القومُ ولم يَرَهم عند طلوع الشمس ، وبالت الخوصاء حين انتهتْ الى الهَضْبة ، فقال القوم : إنه لطائر أو إنسان . فركب يزيدُ

٥ ابن رُوَيْبةَ وكان أحدثَ القوم سِنًّا ، وأُمُّه بنت عَمِّ توبةَ ، فأغار رَكْضًا حتى انتهى الى الهضبة ، فإذا بولُ الفرس وعليه بقيّةٌ من رَغْوته ، وإذا أثرُ توبةَ يعرفونه ، فرجع فخبَّر أصحابَه . وآندفع توبةُ وأصحابُه حتى نزلوا إلى طَرَف هَضْبةٍ يقال لهـا الشَّجْرُ من أرض بنى كِلَاب ، فقالوا بالظَّهيرة ، فلم يَشْعُرْ شَعْرَه إلّا والإبلُ قد نَفَرتْ ، وكانت بَرْكًا(٦) بالهاجرة ، من وَئِيد(٧) الخيل . فوثب توبةُ ، وكان لا يضع السيف ، فصَبَّ الدِّرْعَ

١٠ على السيف متقلِّدَه وَهَلًا ، وداجت(٨) القوم ، فطلب قائمَ السيف فلم يقدر عليه تحت الدِّرع فلم يستطع سَلَّه ، فطار إلى الرُّمح فأخذه ، فأهْوَى به طَعْنًا الى يزيد بن رُوَيْبةَ ، وقد كان يزيد عاهد اللهَ ليقتُلَنَّه أو ليأخُذَنَّه ، فانفذ نَخَذَ يزيدَ ، وآعتنقه يزيدُ فعضَّ بوجنَتَيْه ، وآستدبره عبدُ الله بالسيف ففلَق رأسَ توبة . وهيَّتَ(٩) توبةُ حين آعتوره الرجلان بقابِضٍ : يا قابض فلم يَلْوِ عليه ، ونَزَ قابضٌ [و] الكلابىّ ، وذبَّ عبدُ الله

٧٥ / ١٠

---

١٥ (١) أدنى ظلم أى أدنى شىء . وقد شرح المؤلف هذه الكلمة فيما تقدّم (صفحة ٧٩ من هذا الجزء) .
(٢) فى جـ : «قريبا منه» . (٣) الوجاح (مثلث الأوّل) : الستر . وفى الأصول : «وجاج» بجيمين وهو تصحيف . (٤) أشلى الدابة : دعاها اليه . (٥) الطلب هنا : جمع لطالب .
(٦) البرك هنا : جماعة الإبل الباركة ، الواحد بارك والأنثى باركة . (٧) الوئيد هنا : الصوت العالى الشديد (٨) كذا فى أكثر الأصول . وفى جـ : «ودامت القوم» . وظاهر
٢٠ أن فيـه تحريفا ، ويحتمل أن يكون صوابه : «وزاحف القـوم» أو «وواجه القوم» أو ما يشبه ذلك ، ويحتمل أن يكون محرفا عما يدل على القدوم أو الهجوم على أن يكون «القوم» فاعلا .
(٩) هيت بفلان : صاح به ودعاه .

ابن حُمَيِّر عن أخيه؛ فأهوى له مُعاويةُ بن عبد الله بالسيف فأصاب رُكْبتَه فآختلعتْ (أى سقطتْ) . فأتى قابضٌ من فَوْره ذلك عبدَ العزيز بن زُرارةَ أحدَ بنى أبى بكر ابن كِلَابٍ فقال : قُتِل توبة . فنادى فى قومه، فجاءه أبوه زُرارةُ فقال: أين تريد؟ فقال : قُتِـل توبةُ . فقال أبوه طوط[(١)] سُحْقًا لك ! أتطلب بدم توبةَ أنْ قتلتْـه بنو عُقَيلٍ ظالمـًا لها باغيًا عاديًا عليها ! قال لكنّى أُجنه[(٢)] إذًا . قال أبوه . أمّا هذه فنَعَمْ . فألقى السِّلاحَ وآنطلق حتى أجَنّه، وحمل أخاه عبدَ الله بن حميِّر . قال : فأهلُ البادية يَزعمون أنّ مُحْرِزًا سُحِـر فأُخِذ عن سيفه . فقالت ليلى الأخيلية بنت عبد الله ابن الرّحالة بن شدّاد بن كَعْب بن مُعَاوِيةَ فارس الهرار ابن عُبادة بن عُقَيل :

رثت ليلى توبة بعدّة قصائد

نظـرتُ ورُكْنٌ من ذِقَانَيْنِ دونَه * مَفَاوِزُ حَوْضٍ[(٣)] أىّ نَظْـرةِ ناظـرِ

---

(١) كذا وردت هذه الكلمة فى أكثر الأصول . وفى جـ : « ظلوط » بظاء معجمة فى أوله فطاء مهملة فى آخره . ولم نجد فى معانى هذه الكلمة ما يناسب المقام هنا . والظاهر من السياق أن المراد بهـا التهكم به، أو لعلها من زيادات النساخ . (٢) أجنه : كفنه وستره . (٣) وردت هذه الكلمة محرّفة فى الأصول، بين «دفانين» و «دفاتين» و «دنانين» . والتصويب من معجم ما استعجم . وذقان (بكسر الذال) اسم جبل، وهما جبلان أحدهما لبنى عمرو بن كلاب، والآخر لبنى أبى بكر بن كلاب . (راجع معجم ما استعجم للبكرى) . ورواية هذا البيت فى منتهى الطلب من أشعار العرب :

نظرت ودونى من عماية منكب * وبطن الركاء أى نظـرة ناظر

وفى الكامل للبرد (طبعة أوربا) :

نظرت وركن من بوانة دونـا * وأركان حسمى أى نظرة ناظر

ويجوز فى « أى نظرة ناظر » النصب والرفع، فالنصب على أنه معمول لنظرت، أى نظرت أىّ نظرة ناظر، ومعناه نظرت نظرة كاملة، كما تقول أنت رجل أى رجل، أى أنت رجل كامل فى الرجوليـة . والرفع على القطع والابتداء والمخرج مخرج استفهام، وتقديره أى نظرة هى، كما تقول سبحان الله أى رجل زيد . (راجع الكامل للبرد) . وحوضى هنا : نجد من منازل بنى عقيل، وحوضى أيضا : ماء لبنى طهمان ابن عمرو بن سلمة بن سكن بن قريط بن عبـد بن أبى بكر بن كلاب الى جنب جبل فى ناحيـة الرمل . (راجع معجم البلدان) .

لأُونِسَ(١) إنْ لم يَقْصُرِ الطَّرْفُ عنهمُ(٢) * فلم تَقْصُرِ الأخبارُ والطَّرْفُ قاصرى

فوارسَ أجلى شأوُها عن عَقِيرةٍ * لِعَاقِرِها فيها عَقِيرةُ عاقرِ

ـ شأوها : سُرْعتها وهو الطَّلَقُ(٣) وجريها ، وقال غيره : غايتها . عقيرة : تعنى توبةَ . لعاقرها : تعنى لعاقر توبة ، تُريد يزيدَ بن رُوَيْبَةَ . ووجهٌ(٤) آخر : فى عَقِيرَةٍ عاقرٍ معنى مَدْحٍ أىْ عقيرة كريمة لعاقرها . ووجهٌ آخر : عَقِيرة لعاقرها : فيها الهلاكُ بعقرها ـ

فآنستُ خيلًا بالرَّقِيِّ(٥) مُغِيرةً * سَوَابِقُها(٦) مثلُ القطَا المُتَواترِ

قَتِيلُ بنى عَوْفٍ وأَيْصُرُ(٧) دونَه * قتيلُ بنى عَوْفٍ قتيلُ يُحَابِرِ(٨)

تَوَارَدَه أسيافُهم فكأنّما * تَصَادَرْنَ عن أَقطاعِ(٩) أبيضَ باترِ

---

(١) فى ب ، س : « لآنس » وهو تحريف . (٢) فى منتهى الطلب : « دونهم » .

(٣) الذى فى لسان العرب . « الشأو : الطلق والشوط ، والشأو : الغاية والأمد » .

(٤) ذكر المؤلف فى معنى قوله : « لعاقرها فيها عقيرة عاقر » وجهين ، وهذا الوجه هو الأول ، وهو كقولهم « ثأر منيم » وهو الذى إذا أصابه المثر هدأ واستقر لأنه أصاب كفؤا ، ثم ذكر الوجه الثانى بعد .

(٥) الرقىّ : موضع . (٦) فى منتهى الطلب : « أوائلها » . والمتواتر : الذى يجىء بعضه فى إثر بعض . (٧) كذا فى رغبة الآمل من كتاب الكامل للأستاذ المرحوم سيد بن على المرصفى . وأيصر : موضع ببلاد بنى عقيل ، وقد ورد هذا الاسم أيضا فى شعر ليلى الأخيلية :

ولم يملك الجرد الجياد يقودها * بسرة بين الأشمات فأيصر

وسيأتى هــذا البيت فى قصيدة لليلى فى صفحة ٢٣٢ وفى الأصول المخطوطة : « ويتبرونه » وفوق الواو فى أ ، م همزة . وفى ب ، س : « ويثبر دونه » . وفى منتهى الطلب :

* قتيــل بنى عوف فوارتنا له *

والترة : الثأر . (٨) كذا فى جـ ومنتهى الطلب . ويحابر : قبيلة . وفى سائر الأصول : « قتيل بجابر » . وفى رغبة الآمل من كتاب الكامل : « قتيل لعامر » ، ولعل هذه الرواية هى المناسبة للسياق .

(٩) فى منتهى الطلب : « عن حامى الحديدة » . والأقطاع : جمع قطع (بكسر فسكون) وهو ماقطع من حديد أو غيره . والأبيض الباتر : السيف .

من الهِنْدُوانِيـات فى كلِّ قِطْعـةٍ * دَمٌ زلّ عن أثْرٍ من السّيف ظاهر(١)

أتتْـه المنـايَا دون زَغْفٍ حصينةٍ(٢) * وأسمـرَ خَطِّىٍّ وخَوْصاءَ ضـامرِ

على كلِّ جَرْداء السَّراة(٣) وسابحٍ * دَرَأْنَ(٤) بشُبّاكِ الحديدِ زوافرِ

عَوَابسَ تعـدُو الثّعلبيّـةَ(٥) ضُمَّـرًا * وهُنّ شَـوَاحٍ بالشّكيم الشواجرِ

فـلا يُبْعِـدَنْكَ اللهُ يا توبُ(٦) إنّمـا * لِقـاء المنـايا دارعًا مثـلُ حاسرِ(٧)

فإلّا تَكُ(٨) القَتْـلَى بَوَاءً فإنّـكم * سَتَلْقَوْن يومًا وِرْدُه غيرُ صـادرِ

وإنّ السـليلَ إذ يبـاوِى(٩) قَتِيلَكم * كمرحومةٍ منعَرْكِها غيرِ طـاهرِ

(١) الأثر (بالفتح) والإثر (بالكسر) : فرند السيف ورونقه . وزاد فى لسان العرب «الأثر» بضمتين، وزاد فى القاموس «الأثير» . (٢) الزغف : الدروع المحكمة . والأسمر الخطى : الرمح . والخوصاء الضامر : الفرس . (٣) الجرداء من الخيل : القصيرة الشعر، وهو مدح فى الخيل . والسراة : الظهر . والسابح من الخيل : الحسن مد اليدين فى الجرى . (٤) كذا فى رغبة الآمل . والدرء : الدفع . وفى الأصول : «لهن» . وفى منتهى الطلب : «درأت» . وشباك الحديد هنا : اللجم المشتبكة . وزوافر : مخرجات أنفاسهن . تصف الخيل بسرعة الاندفاع . (٥) الثعلبية : أن يعدو الفرس عدو الكلب . وشواح : فاتحات أفواهها . والشكيم : واحدته شكيمة وهى الحديدة المعترضة فى الفم من اللجام . والشواجر : المشتبكة . وورد هذا البيت فى الأصول هكذا :

عوابس تعـدو التغلبية ضمرا * وهن شواح بالشكيم السواجر

والتصويب من منتهى الطلب ورغبة الآمل ونسخة الشنقيطى . (٦) كذا فى جـ ومنتهى الطلب . وفى سائر الأصول : «فلا يبعدنك الله توبة» . (٧) تريد : إنما لقاء المنايا دارعا مثل لقائها حاسرا .

(٨) فى منتهى الطلب : «فإن تكن القتلى» . (٩) يباوى : يساوى، وأصله الهمز . تريد : إذ يقتـل بقتيلكم . وفى الأصول : «يبارى» وهو تحريف . ومرحومة : بها داء فى الرحم؛ يقال رحمت المرأة (بالبناء للفعول) رحما (بالفتح) إذا أخذها داء فى رحمها فهى تشتكى منه ، ويقال أيضا رحمت رحما (وزان فرح فرحا) فهى رحمـة ، ورحمت (بضم عين الفعل) رحامة فهى رحوم ورحماء . والعرك : الحيض؛ يقال عركت المرأة تعرك (بالضم) عروكا فهى عارك . تقول : إن السليل الذى قتلناه منكم صغير القدر لا يباوى قتيلكم الذى قتلتموه منا؛ فهو مثل المرأة العارك . ويشبه الساقطون من الرجال بالنساء العوارك؛ قال الشاعر :

أفى السـلم أعيارا جفـاء وغلظة * وفى الحرب أمثال النساء العوارك

وفى الأصول : «كمرجومة» بالجيم، وهو تصحيف .

٧٦
١٠

فإن تَكُنِ القَتْلَى بَواءً فإنكم * فَتًى مَا قتلتم آلَ عَوْفِ بن عامرِ
فَتًى لا تَخَطّاه الرِّفَاقُ ولا يرى * لِقِدْرٍ عِيالًا دون جارٍ مُجَاوِرِ
ولا تأخذُ الكُومُ الجِلادُ رِماحَها * لتوبةَ فى نَحْسِ الشّتاء الصَّنَابِرِ (١)
إذا ما رأته قائمًا بسلاحه * تَقَتْه الخِفَافُ بالثّقال البَهَازِرِ (٢)
إذا لم يَجُدْ منها برِسْلٍ فقَصْرُه * ذُرَى المُرْهَفاتِ والقِلَاصِ التَّواجِرِ (٣)
قَرَى سيفَه منها مُشَاشًا وضَيْفَه * سَنَامَ المَهَارِيسِ السِّبَاطِ المَشَافِرِ (٤)
وتَوْبةُ أَحْيَا من فتاةٍ حَيِيّةٍ * وأجرأُ من لَيْثٍ بخَفّانَ خادرِ (٥)

(١) الكوم : جمع كوماء وهى العظيمة السنام من الابل . والجلاد من الابل : الغزيرات اللبن كالمجالد أو مالا لبن لها ولا نتاج . يقال : أخذت الابل رماحها اذا حسنت فى عين صاحبها فامتنع من نحرها نفاسة بها . وأخذ الابل رماحها انما هو على التمثيل . ونحس الشتاء : ريحه الباردة . وصنابر الشتاء : شدّة برده . والصنابر : جمع صنبر (بكسر الصاد وتشديد النون المفتوحة وتكسر ، وسكون الباء) ؛ يقال غداة صنبر . ولعل الصنابر وصف للشتاء باعتبار أيامه ولياليه ، أو وصف لنحس الشتاء على أن يكون المراد بنحس الشتاء جمعا . ورواية البيت فى منتهى الطلب :

ولا تأخذ الابل الزهارى رماحها * لتوبة عن صرف السرى فى الصنابر

(٢) كذا فى جـ ومنتهى الطلب . وفى سائر الأصول : «بسلاحه اتـ*ـقته» . ويقال اتقاه وتقاه (مثل قضى يقضى) بمعنى واحد . والبهازر من الإبل : العظام ، واحدتها بهزرة (بضم الباء والزاى وسكون الهاء بينهما) . (٣) الرسل «بالكسر» : اللبن . والمرهفات الدقيقات . والقلاص : جمع قلوص وهى الشابة من النوق كالجارية من النساء . والتواجر هنا : الابل النافقة فى التجارة وفى السوق . وفى الأصول الخطية : «النواحر» . وفى ب ، س : «النواجر» والتصويب من منتهى الطلب .

(٤) كذا فى جـ ومنتهى الطلب ورغبة الآمل . وفى سائر الأصول «منهن شأما» وهو تحريف . والمشاش : رءوس العظام مثل الركبتين والمرفقين ، الواحدة مشاشة . والمهاريس من الإبل : الجسام الثقال ، سميت بذلك لشدّة وطئها كأنها تهرس ما وطئته وتدقه . وفى الأصول : «البهاريس» والتصويب من منتهى الطلب ورغبة الآمل . وسباط المشافر : طويلتها ، وواحد السباط سبط ككتف . وفى بعض الأصول : «السياط» بالمثناة وهو تصحيف . والمشفر للبعير كالشفة للانسان . (٥) خفان : موضع قرب الكوفة وهو مأسدة . وخادر مقيم .

ونِعمَ الفتى إنْ كان توبةُ فاجــرًا * وفــوق الفتى إنْ كان ليس بفاجر (١)
فــتى يُنْهِــلُ الحاجاتِ ثم يُعِلُّهــا * فيُطلِعُها عنــه ثَنَــايا المَصَــادِرِ

صـــــوت

كأنّ فــتى الفِتْيانِ تَوْبةَ لم يُنِــخْ * قَلائصَ يَفْحَصْنَ الحَصَا بالكَرَاكِرِ (٢)
ولم يَبْنِ أبرادًا عِتــاقًا (٣) لفِتْيَــةٍ * كِرَامٍ ويَرْحَلْ قبــلَ فَىْءِ (٤) الهــواجر

— فى هذين البيتين لحنٌ من الثّقيل الأوّل لمحمد بن إبراهيم قريض وهو من خاصّ صنعته وغنائه —

ولم يَتَجلَّ الصُّبْحُ عنــه وبَطْنُــه * لَطِيفٌ كطَىِّ السِّبِّ (٥) ليس بحادِرِ
فتًى كانَ للمولَى (٦) سَــناءً ورفعةً * وللطارق السارِى قِــرًى غيرَ باسر
ولم يُــدْعَ يومًا للحِفَــاظِ وللنَّــدَا (٧) * وللحَــرْبِ يرمى (٨) نارَهــا بالشرائر

(١) كذا فى منتهى الطلب . وفى الأصول :

* ونعم فتى الدنيا و إن كان فاجرا *

(٢) الكراكر : جمع كركرة (بالكسر) وهى هنا رحى زور البعير أو صدره . (٣) فى الكامل : « أبرادا رقاقا » ثم شرحها المبرد فقال : « تريد الخيام » . (٤) كذا فى جـ والكامل للبرد . ثم قال المبرد : « وقولها : ويرحل قبــل فىء الهواجر، تريد أنه متيقظ ظمان » . وفى سائر الأصول : « قبلهــم فى الهواجر » . (٥) السب : الثوب الرقيق . والحــادر هنا : الغليظ السمين . وفى أكثر الأصول «بحاذر» بالذال المعجمة ؛ والتصويب من جـ ومنتهى الطلب . تصفه بهضم الكشح ، وهو مدح ؛ قال زياد بن منقذ :

يغــدو أمامهم فى كل مربأة * طلاع أنجــدة فى كشحه هضم

ورواية البيت فى منتهى الطلب :

ولم يتخلل الضيف عنــه وبطنه * خميص كطى السبت ليس بحادر

(٦) المولى هنا : ابن العم أو الحليف الذى ينضم إليك فيعز بعزك ويمتنع بمنعتك . و باسر : عابس . وفى رغبــة الآمل « ... قرى غير قاتر » . وغير قاتر : غير ضيق ؛ من قتر عيشه يقتر (بالكسر والضم) قترا وقتورا فهو قاتر ضاق لا يمسك إلا الرمق . (٧) كذا فى جـ ومنتهى الطلب . وفى سائر الأصول : « وللعدا » . (٨) فى منتهى الطلب : « يذكى » .

وللبازلِ الكَوْماءِ يرغو حُوَارُها * وللخيلِ تعدو بالكُمَاةِ المَسَاعِرِ (١)

كأنَّكَ لم تَقْطَعْ (٢) فلاةً ولم تُنِخْ * قِلاصًا لدى فأْوٍ (٣) من الأرض غائرِ (٤)

وتُصْبِحْ بمَوْماةٍ (٥) كأنّ صَرِيفَها * صَرِيفُ خَطَاطِيفِ الصَّرَى فى المَحَاوِرِ

طوتْ نَفْعَها عنّا كِلَابٌ وآسَدَتْ (٦) * بنَا أجْهَلِيها بين غاوٍ وشاعرِ

٥ وقد كان حقًّا أن تقولَ سَرَاتُهم * لَعًا (٧) لأخينا عاليًا (٨) غيرَ عاثرِ

(١) البازل : الناقة التى انشق نابها ؛ وهى ما استكملت السنة الثامنة وطعنت فى التاسعة . وهذا اللفظ مما يستوى فيه المذكر والمؤنث ؛ يقال : ناقة بازل وجمل بازل . والكوماء : الناقة العظيمة السنام . والحوار (بالضم وقد يكسر) : ولد الناقة من حين يوضع الى أن يفطم ، أو هو حوار ساعة تضعه أمه خاصة . والمساعر : جمع مسعر (بكسر الميم وسكون السين وفتح العين) . والمسعر هو الذى يوقد نار الحرب . يقال :

١٠ فلان مسعر حرب اذا كان يؤرثها ، أى تحمى به الحرب . وفى الأصول : «المشاعر» بالشين المعجمة . والتصويب من منتهى الطلب ، وقد صححها كذلك المرحوم الشنقيطى فى نسخته . (٢) فى أكثر الأصول : «كأن لم تكن تقطع» وفى جـ : «كأنما لم تقطع» . والتصويب من منتهى الطلب . (٣) كذا فى جـ . وفى أكثر الأصول : «لدى بأو» وهو تحريف . والفأو : بطن من الأرض تطيف به الرمال . وفى منتهى الطلب «لدى واد» . (٤) فى الأصول : «غابر» بالموحدة وهو تصحيف .

١٥ (٥) فى منتهى الطلب «جنوحا بموماة» . والموماة : المفازة الواسعة أو التى لا ماء فيها ولا أنيس بها . والصريف : الصوت . والخطاطيف : جمع خطاف (بالضم) ، وهو حديدة حجناء تعقل بها البكرة من جانبيها وفيها المحور . والصرى : الماء الذى طال مكثه فتغير . وهذه رواية جـ ومنتهى الطلب . وفى سائر الأصول : «خطاطيف المدى فى المحافر» وهو تحريف . والمحاور : جمع محور وهو الحديدة التى تجمع بين الخطاف والبكرة ، وهو أيضا الخشبة التى تجمع المحالة . (٦) كذا فى جـ ومنتهى

٢٠ الطلب . وفى أ ، م : «وآسرت» . وفى ب ، س : «وأثرت» وكلاهما تحريف . وآسدت : هيجت وأغرت . يقال : آسدت الكلب وأوسدته (بقلب الهمزة واوا) بالصيد إذا أغريته به .

(٧) فى أكثر الاصول : «لما» . والتصويب من جـ ومنتهى الطلب . ولعا : كلمة يدعى بها للعاثر بأن ينتعش . يقال : لعا لفلان عاليا إذا دعى له ، فاذا دعى عليه قيل : لا لعا له .

(٨) فى الأصول : «عائشا» وهو تحريف .

ودَوِّيَّةٍ قَفْرٍ يحارُ بها القَطا * تَخَطَّيْتَها بالنّاعجات الضّوامر (١)

فتَاللهِ تبْنِي بيتَها أُمُّ عاصِمٍ (٢) * على مثله أُخرَى (٣) الليالى الغوابر

فليس شِهَابُ الحربِ توْبةُ بعدَها * بغازٍ ولا غادٍ بركْبٍ مُسَافِر (٤)

وقد كان طَلّاعَ النِّجادِ (٥) وبيِّن الـ * ـلسان ومِدْلاجَ (٦) السُّرَى غيرَ فاتِر

وقد كان قبل الحادثاتِ إذا انتحى (٧) * وسائقَ أو معبوطةً لم يُغادِر ٥

وكنتَ إذا مولاك خاف ظُلَامةً * دعاك ولم يهتِفْ (٨) سواك بناصر

فإنْ يَكُ عبدُ الله آسَى ابنَ أُمّه * وآبَ بأسلاب الكَمِيِّ المُغَاوِر (٩)

وكان (١٠) كذات البَوِّ تَضْرِب عنده * سِباعاً وقد أَلْقَيْنَه فى الجَراجِر (١١)

(١) الدوية، ومثلها الداوية : الفلاة الواسعة المستوية . والناعجات من الابل : البيض الكريمة، أو هى التى يصاد بها نعاج الوحش من الظباء والبقر . والنعج (بفتح فسكون) ضرب من سير الابل سريع . ١٠

(٢) فى منتهى الطلب : « أم عامر » . (٣) فى الأصول : « احدى الليالى » والتصويب من منتهى الطلب . والغوابر هنا : الباقيات . تقول : إن هذه المرأة لا يشتمل بيتها على مثله آخر الدهر؛ فان الدهر بمثله بخيل . (٤) فى بعض الأصول : « مماقر » ، وفى بعضها « مماقر » . والتصويب من منتهى الطلب . (٥) يقال : فلان طلاع النجاد، وطلاع أنجد، وطلاع أنجدة، اذا كان ضابطا للأمور غالبا لها . وقال الجوهرى: يقال فلان طلاع أنجد وطلاع الثنايا ١٥ اذا كان ساميا لمعالى الأمور . (عن لسان العرب) . (٦) فى منتهى الطلب : « ومجذام السرى » .

(٧) انتحى : قصد . والوسيقة : الجماعة من الابل ونحوها كالرفقة من الناس، وصف من الوسق بمعنى الطرد لأنها اذا سرقت طردت معا . والمعبوطة : المذبوحة من غير داء ولا كسر . تريد أنه اذا قصد إبلا مغصوبة أو معبوطة لم يتركها تفلت منه . (٨) كذا فى منتهى الطلب . وفى الأصول : « ولم يعدل » . (٩) آساه هنا : شاركه أو أصابه بخير . والكمى : الشجاع المتكمى فى سلاحه ٢٠ لأنه كمى نفسه أى سترها بالدرع والبيضة، والجمع كماة كأنهم جمعوا كاميا مثل قاض وقضاة . والمغاور : المقاتل الكثير الغارات، ومثله المغوار . (١٠) كذا فى منتهى الطلب . وفى الأصول : « فكان » بالفاء؛ وجواب الشرط إنما هو قوله : « فانك قد فارقته ... » البيت الذى بعده .

(١١) الجراجر : الحلوق .

فإنك قد فارقتَه لك عاذرًا * وأنّى لِحَيٍّ عُذْرُ مَنْ في المَقابِرِ (١)
فأقسمتُ أبكي بعد تَوْبةَ هالكًا (٢) * وأحفِلُ مَنْ نالتْ صروفُ المَقادِرِ
على مثلِ هَمّامٍ ولابنِ مُطَرِّفٍ * لِتَبْكِ (٣) البَواكي أو لِبِشْرِ بن عامرِ
غُلامانِ كانا آستَوْرَدَا كُلَّ سَوْرةٍ (٤) * من المَجْدِ ثم آستوثقا في المَصادرِ
رَبِيعَيْ حَيًا كانا يَفِيضُ نَداهُما * على كُلِّ مغمورٍ نَداهُ (٥) وغامرِ ٥
كأنّ سَنا نارَيْهما كُلَّ شَتْوةٍ * سَنَا البَرْقِ يبدو للعيونِ النواظرِ

وقالت أيضا ترثى توبةَ — عن أُمِّ حُمَيْرٍ، وأُمُّها آبنةُ أخى تَوْبةَ، عن أمِّها . قال أبو عُبَيْدَةَ : أم حُمَيْرٍ أُختُ أبى الجَرّاح العُقَيْلِىّ . قال : وأمها بنت أخى توبة بن حُمَيْر . قال : وكان الأصمعىّ يُعْجَبُ بها — :

أيا عَيْنُ بَكّى توبةَ آبنَ حُمَيِّرٍ * بسَحٍّ كفيضِ الجَدْوَلِ المُتَفَجِّرِ ١٠
لِتَبْكِ عليه من خَفَاجةَ (٦) نِسوةٌ * بماءِ شُؤونِ العَبْرةِ المتحدِّرِ
سَمِعْنَ بهَيْجا (٧) أرهقتْ فذكرنَه * ولا يبعثُ الأحزانَ مثلُ التَّذَكُّرِ

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصول هكذا :

فان تك قد فارقته لك غادرا * وأى لحى غدر من فى المقابر

والتصويب من منتهى الطلب . والشطر الثانى فى منتهى الطلب . ١٥

* وأنى وأنى عذر من فى المقابر *

(٢) فأقسمت أبكى : أى لا أبكى . وحذف «لا» فى مثل هذا كثير . (٣) فى الأصول : « لتبكى » . وفى منتهى الطلب : « تبكى » . (٤) السورة (بالفتح) من المجد : أثره وعلامته وارتفاعه . (٥) فى ب ، س : « تراه » وهو تحريف . (٦) خفاجة : رهط توبة وهو جدّ له . (٧) الهيجا (بالمد والقصر) : الحرب . وأرهقت : أدركت ، أو ألحقت ٢٠ وأغشت ؛ أى جعلت من فيها من المحاربين يغشون خصمهم ويلحقونه . وفى منتهى الطلب : « أضلعت » ؛ أى أثقلت . وفى الكامل للبرد : « أزحفت » .

كأنّ فتى الفتيانِ توبةَ لم يَسِرْ (١) * بنجدٍ ولم يَطْلُعْ مع المُتَغَوِّرِ (٢)

ولم يَرِدِ الماءَ السُّدامَ اذا بَدَا (٣) * سَنَا الصُّبحِ فى بادى الحواشى منوّرِ (٤)

ولم يَغْلِبِ الخَصْمَ الضِّجاجَ ويَمْلأ ال * جِفانَ سَدِيفًا يومَ نَكْباءَ صَرْصَرِ (٥)

ولم يَعْلُ بالجُرْدِ الجيادِ يَقُودُها * بسُرّةَ بين الأشْمَسَاتِ فأيْصُرِ (٦)

وصحراءَ مَوْماةٍ يَحارُ بها القَطَا * قَطَعْتَ على هَوْلِ الجَنَانِ بِمِنْسَرِ (٧) ٥

يقودون قُبًّا كالسّراحينِ لاحَها * سُرَاهُمْ وسَيْرُ الراكبِ المُتَهَجِّرِ (٨)

---

(١) فى الكامل للبرد (ص ٧٣٣ طبعة أوربا) : « لم ينخ » . (٢) كذا فى أ ، م ومنتهى الطلب والكامل . وفى سائر الأصول : « من المتغور» . والمتغور : الذى يأتى الغور . والغور : ما انخفض من الأرض . والنجد : ما أشرف من الأرض . (٣) الماء السدام : القديم المندفن .

(٤) رواية الكامل : « فى أعقاب أخضر مدبر » وهى الرواية الواضحة المعنى . والأخضر هنا : الليل . والعرب تسمى الأسود أخضر . (٥) فى الكامل : « ولم يقدع الخصم الألد » . والقدع . الكف . والألد : الشديد الخصام . والضجاج : مصدر ضاجه مضاجة وضجاجا إذا جادله وشارّه وشاغبه ، والاسم الضجاج (بالفتح) . وهو وصف بالمصدر للمبالغة . والسديف : قطع السنام . والنكباء : الريح التى تنحرف فى مهبها فتجىء بين ريحين . والصرصر : الشديدة الصوت أو البرد .

(٦) ورد فى هذا الشطر تحريف فى الأصول وفى منتهى الطلب . وقد صوّبناه من كتاب معجم ما استعجم ، وفيه : « ولم يملك الجرد » بدل : « ولم يعل بالجرد » . وأشمس (بفتح أوّله وسكون ثانيه وفتح الميم وضمها معا) : جبل فى شق بلاد بنى عقيل . وجمعته ليلى لأنها أرادت الجبل وما يليه من البقاع . كذا ذكر البكرى فى معجمه . وسرة وأيصر : موضعان . (٧) المنسر (وزان منبر ومجلس) هنا : قطعة من الجيش تمر قدّام الجيش الكبير ، وهو أيضا الجماعة من الخيل ، وفى مقدارها عدّة أقوال ، وليس هذا المعنى مرادا هنا . (٨) القب : الدقاق الخصور ، والواحد أقب وقباء . والسراحين : الذئاب واحدها سرحان . ولاحها : غيّرها . والسرى : سير الليل . والمتهجر : الذى يسير فى الهاجرة وهى نصف النهار عند زوال الشمس الى العصر ، والمراد سير النهار ، أى غيرها سير الليل وسير النهار .

فلمّا بدتْ أرضُ العدوّ سَقَيْتَها * مُجَاجَ بَقِيّاتِ المَزَادِ المُقَيَّرِ (١)

ولمّا أهابُوا بالنِّهابِ حَوَيْتَها * بخاظِى البَضِيعِ (٢) كَرُّه غيرُ أعْسَرِ

مُمَرٍّ (٣) كَكَرِّ الأنْدَرِىّ مُثَابِرٍ * إذا ما وَنَيْنَ (٤) مُهْلِبِ (٥) الشَّدِّ مُحْضِرِ

فألوتْ بأعناقٍ طِوَالٍ وراعَها (٦) * صَلاَصِلُ بَيْضٍ سابغٍ وسَنَوَّرِ

ألم تَرَ أنّ العبدَ يقتلُ ربَّه * فيظهرُ جَدُّ العبدِ من غيرِ مَظْهَرِ

قتلتم فتًى لا يُسْقِطُ الرَّوْعُ رُمْحَه * إذا الخيلُ جالت فى قَنًا متكسِّرِ

فيا تَوْبَ لِلهَيْجَا ويا تَوْبُ للنَّدَى * ويا تَوْبُ لِلْمُسْتَنْبِحِ (٧) المتنوِّرِ

ألا رُبَّ مكروبٍ أجَبْتَ ونائلٍ * بذلتَ ومعروفٍ لديكَ ومُنْكَرِ

---

(١) فى أكثر الأصول : « المقبر » والتصويب من حـ ومنتهى الطلب . ورواية منتهى الطلب :

فلما بدت أولى العدوّ سقيتها * صبابة مثلوب المزاد المقير

وسقيتها أى الخيل . والمجاج (بضم الميم) : اسم لما تمجه من فيك . والمزاد : الأسقية ، الواحدة مزادة . والمقير : المطلى بالقار وهو الزفت . (٢) النهاب : جمع نهب وهو الغنيمة . والخاظى : المكتنز اللحم . والبضيع : اللحم . يريد جوادا هذه صفته .

(٣) الممر : اسم مفعول من أمر فلان الحبل إذا أجاد فتله . تريد أنه مجدول الخلق . والكر هنا : الحبل الغليظ أو حبل يصعد به على النخل . والأندرى : المنسوب إلى أندرين قرية كانت بالشام .

(٤) ونين : فترن وضعفن ، تريد الخيل . تصف الجواد بالمثابرة على العدو إذا فترت الخيل التى معه وضعفت . (٥) إلهاب الفرس للشد : متابعته للجرى ؛ يقال : هلب (مثل كتب) الفرس وأهلب إذا تابع جريه . وإحضار الفرس : ارتفاعه فى عدوه . (٦) راعها : أفزعها . وصلاصل البيض : أصواتها ، واحدتها صلصلة . والبيض من الحديد : ما يتقى به الرأس من السلاح ، واحدته بيضة وهى الخوذة . والسنور : جملة السلاح ، وخص بعضهم به الدروع . (٧) المستنبح : الذى يكون فى مضلة فيخرج صوته على مثل نباح الكلب ليسمعه كلب الحى فيتوهمه كلبا فينبح ، فيستدل بنباحه فيهتدى . والمتنور : الذى يبصر النار من بعيد .

وقالت ترثيه :

أقسمتُ أرثِى بعــد توبةَ هالكًا (١) * وأَحْفِـلُ مَنْ دارت عليه الدوائرُ

لَعَمْرُكَ ما بالمـوتِ عارٌ على الفتَى * اذا لم تُصِـبْه فى الحيـاةِ المَعَايرُ

وما أحدٌ حَىٌّ وإنْ عاش سالمًا * بأخْـلَدَ ممن غيّبتـه المقـابر

ومَنْ كان مما يُحْدِثُ الدهرُ جازعًا * فـلا بُدَّ يومًا أن يُرَى وهو صابر

وليس لِذِى عيشٍ عن الموتِ مَقْصَرٌ (٢) * وليس على الأيّامِ والدهــر غابرُ (٣)

ولا الحىُّ مما يُحْدِثُ الدهرُ مُعْتَبٌ (٤) * ولا المَيْتُ إن لم يَصْبِرِ الحىُّ ناشرُ

وكلُّ شـبابٍ أو جديدٍ إلى بِلًى * وكلُّ امرئٍ يومًا إلى الله صائر

وكُلُّ قَرِينَىْ أُلْفَـةٍ لِتَفَـرُّقٍ * شَـتَاتًا وإنْ ضَنّا وطال التَّعاشُرُ

فـلا يُبْعِـدَنْكَ الله حيًّا ومَيِّتًا * أخَا الحرب إن دارتْ عليك الدوائرُ

ويُــرْوَى :

(فـلا يُبْعِدَنْك الله يا توبُ هالكًا * أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر)

فآليتُ لا أنفَـكّ أبكِيك ما دعتْ * على فَنَنٍ ورقاءُ أو طارَ طـائرُ

قتيلُ بنى عَـوْفٍ فيا لَهْفَتَـا له * وما كنتُ إيّاهم عليـه أُحاذر

ولكنما أخشَى عليــه قبيــلةً * لهـا بدروب الــروم بادٍ وحاضرُ

(١) أى أقسمت لا أرثى ... ولا أحفل . وحذف « لا » فى مثل هذا الموضع جائز وكثير .

(٢) تريد : ليس عنه محيد ولا مصرف . (٣) غابر هنا : باق .

(٤) معتب : اسم مفعول ؛ يقال أعتبت فلانا اذا أرضيته . وناشر : وصف من نشر اللازم ؛ يقال : نشر الله الميت ، فنشر الميت ، فهو لازم متعد .

وقالت ترثيه :

كم هاتفٍ بك من باكٍ وباكيةٍ * يا توبُ للضيف إذ تُدْعَى وللجار
وتوبُ للخصم إن جاروا وإن عدلوا[(١)] * وبدّلوا الأمرَ نقضًا بعد إمرار[(٢)]
إن يُصْدِرُوا الأمرَ تُطْلِعْهُ[(٣)] موارِدَه * أو يُورِدوا الأمرَ تُحْلِلْهُ[(٣)] بإصدار

٥ وقالت ترثيه :

هَرَاقتْ بنو عوفٍ دمًا غيرَ واحدٍ * له نَبَأٌ نَجْدِيَّةٌ[(٤)] سيغور
تداعتْ له أفناءُ[(٥)] عوفٍ ولم يكن * له يوم هَضْبِ الرَّدْهَتَيْنِ نصير

وقالت ترثيه :

ياعينُ بَكِّي بدمعٍ دائمِ السَّجَمِ[(٦)] * وأبْكِي لتوبةَ عند الرَّوْعِ والبُهَمِ[(٧)]
١٠ على فتًى من بني سعدٍ[(٨)] فُجِعْتُ به * ماذا أُجِنَّ به في الحُفْرةِ الرَّجَمِ[(٩)]
من كلِّ صافيةٍ صِرْفٍ وقافيةٍ * مثلِ السِّنَانِ وأمرٍ غيرِ مُقْتَسَمِ
ومُصْدِرٍ حين يُعْيِي القومَ مُصْدِرُهم * وجَفْنَةٍ عند نَحْسِ الكوكبِ الشَّبِمِ[(١٠)]

وقالت تعيّر قابضًا :

جزى اللهُ شَرًّا قابضًا بصَنِيعِه * وكلُّ امرئٍ يُجْزَى بما كان ساعيًا

---

١٥ (١) كذا في مختار الأغاني . وفي الأصول : «و إن عندوا» وهو تحريف . (٢) في الأصول : « بعد ابراري » والتصويب من مختار الأغاني . (٣) في مختار الأغاني : « يطلعه » في الموضعين وبضمير الغائب . (٤) في الأصول : «نجدية» . (٥) أفناء الناس : أخلاطهم وهم النزاع من هاهنا وهاهنا . (٦) ظاهر أنها تريد دائم القطران ، فحركت الجيم للشعر . أما السجم (بالتحريك) فهو الماء والدمع . (٧) البهم هنا : مشكلات الأمور، واحدتها بهمة (بالضم) .
٢٠ (٨) يلاحظ أن ليس في نسب توبة المتقدّم «سعد» . وهذا مما يبعث الريب في هذا الشعر . (٩) الرجم (بالتحريك) هنا : القبر . (١٠) كذا في حـ . والشبم : البارد . ونحس الكوكب الشبم كناية من الشتاء . وفي سائر الأصول : « الشئم » بالهمز وهو تصحيف .

دعا قابضًا والمُرْهَفاتُ يَرِدْنَه[1] * فقَبّحْتَ مدعوًّا ولَبّيْكَ داعيا

وقالت لقابض وتَعْذِر عبدَ الله أخا توبةَ[2] :

دعا قابضًا والموتُ يَخْفِق ظِلُّه * وما قابضٌ إذ لم يُجِبْ بنَجِيب

وآسَى عُبَيْدُ الله ثَمَّ ابنَ أمّه * ولو شاء نَجَّى يومَ ذاكَ حَبِيبى

خرج توبة الى الشام فلقيه زنجى وخبره معه

أخبرنى الحسن بن علىّ عن عبد الله بن أبى سَعْد[3] عن أحمد بن مُعاوية بن بكر قال حدّثنى أبو الجرّاح العُقَيْلىّ عن أمّه دِينار بنت خَيْبَرِىّ بن الحُمَيِّر عن توبة بن الحميِّر قال :

خرجتُ إلى الشام ، فبينا أنا أسير ليلةً فى بلادٍ لا أنيس بها ذاتِ شجرٍ نزلتُ لأُريح ، وأخذتُ تُرْسى فألقيتُه فوقى ، وألقيتُ نفسى بين المُضْطَجع والبارك . فلمّا وجدتُ طَعْمَ النَّوْمِ إذا شىءٌ قد تجلّلنى عظيمٌ ثقيلٌ قد بَرَك علىّ ، ونشزتُ[4] عنه ثم قَمَصْتُ منه قِمَاصًا[5] فرميتُ به على وجهه ، وجلستُ إلى راحلتى فانتضيت السيفَ ، ونَهَض نحوى فضربتُه ضربةً انخزل منها ، وعُدْتُ إلى موضعى وأنا لا أدرى ما هو أإنسان أم سَبُعٌ ، فلمّا أصبحتُ إذا هو أسْوَدُ زِنْجىٌّ يضرب برجليه وقد قطعتُ وَسَطَه حتى كدتُ أبريه ، وانتهيتُ إلى ناقةٍ مُنَاخةٍ مُوقَرةٍ ثيابًا من سَلَبه ، وإذا جاريةٌ شابّةٌ ناهدٌ وقد أوثقها وقرَنها بناقته . فسألتها عن خبرها ، فأخبرتنى أنه

(١) فى الكامل : « يشنه » أى يتناولنه . (٢) فى الكامل : « عبيد الله » بالتصغير . وقد ورد كذلك فى البيت الأخير من البيتين الآتيين . ولكنه تقدّم غير مرة فى ترجمة توبة فى الشعر والنثر « عبد الله » . فلعله صغر هنا للشعر . (٣) فى الأصول هنا : « ... الحسن بن على بن عبد الله ابن أبى سعد » وهو تحريف . (٤) فى الأصول : « ونشرت عنه » بالراء المهملة وهو تصحيف . يريد ارتفعت وبعدت . وفى مختار الأغانى : « وثرت عنه » . (٥) القماص (بالضم وبالكسر معا) : الوثب .

قتَـل مولاها وأخذها منـه . فأخذتُ الجميع وعدتُ إلى أهلى . قال أبو الجـرّاح قالت أمّى : وأنا أدركتُها فى الحىّ تخدُم أهلَنا .

حديث معاوية مع ليلى فى توبة

أخبرنا اليزيدىّ عن ثعلب عن آبن الأعرابىّ قال أخبرنا عطّاء بن مُصْعَب القُرَشىّ عن عاصم اللّيْثىّ عن يونس بن حبيبٍ الضّبّىّ عن أبى عمرو بن العلاء قال :

٥ سأل مُعاوِيةُ بن أبى سُفْيانَ ليلى الأخيليّـة عن توبةَ بن الحُمَـيّر فقال : ويحكِ يا ليلى ! أكما يقول الناس كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ليس كلّ ما يقـول الناس حقّا . والناس شجرةُ بَغْيٍ يحسُـدون أهلَ النِّعَم حيث كانوا وعلى من كانت ، ولقد كان يا أمير المؤمنين سَبْطَ البَنَانِ ، حديدَ اللّسان ، شَجًا للأقران ، كريمَ الْمَخْبَر(١) ، عفيف المئزَر ، جميلَ المَنْظَر . وهو يا أميرَ المؤمنين كما قلتُ له . قال : وما قلتِ له ؟

١٠ قالت قلت ولم أتعدّ الحقّ وعلمى فيه :

بَعيـدُ الثّرَى لا يبلُغ القومُ قَعْـرَه * أَلَدُّ مُلِدٌّ(٢) يَغْلِبُ الحـقَّ بَاطِـلُهْ

اذا حلّ رَكْبٌ فى ذَرَاه وظلّه * لِيَمْنَعَهـم ممـا تُخَـافُ نَوازِلُهْ

حماهم بنَصْلِ السّيْف من كلّ فادحٍ(٣) * يخافونه حـتى تموتَ خَصَائلُه(٤)

فقال لها معاويةُ : ويحكِ! يزعُم الناسُ أنه كان عاهرًا خارِبًا(٥) . فقالت من ساعتها .

١٥ مَعَاذَ إلٰهى كان والله سَـيِّدًا * جَوَادًا على العِلّاتِ(٦) جَمًّـا نَوافِلُهْ

أَغَرَّ خَفَاجِيًّا(٧) يرى البُخْلَ سُـبّةً * تَحَلَّبُ كَفّاهُ النّـدَى وأنامِلُهْ

(١) فى الأصول : «كريم المختبر» . (٢) الألد : الكثير الجـدل والخصومة الشحيح الذى لا يزيغ الى الحق . وملد وصف من ألددت بفلان إذا عسرت عليه فى الخصومة . (٣) فى الأصول : « من كل قادح » بالقاف . والفادح هنا : الخطب من خطوب الدهر . (٤) الخصائل :

٢٠ جمع خصيلة ؛ وهى كل لحمة فيها عصب . والظاهر أنها كنت يموت خصائل الفادح عن سكونه وذهابه . (٥) خارب : لص . (٦) على العلات : أى على كل حال من عسره و يسره . (٧) خفاجى : منسوب إلى خفاجة وهو من آباء توبة .

عفيفًا بعيدَ الهَمِّ صُلبًا قناتُه * جميلًا مُحَيَّاهُ قليلًا غوائلُه
وقد علِم الجوعُ الذى بات سارياً * على الضَّيف والجيرانِ أنّك قاتلُه
وأنك رَحْبُ الباع يا تَوْبُ بالقِرَى * إذا مالئيمُ القومِ ضاقت مَنَازِلُه
يَبِيتُ قريرَ العينِ مَنْ بات جارَه * ويُضْحِى بخيرٍ ضيفُه ومُنَازِلُه

فقال لها معاويةُ : ويحكِ يا ليلى ! لقد جُزْتِ بتوبةَ قَدْرَه . فقالت : واللهِ يا أميرَ المؤمنين لو رأيتَه وخبرتَه لعرفتَ أنّى مقصِّرة فى نَعْته وأنّى لا أبلغُ كُنْهَ ما هو أهلُه . فقال لها معاويةُ : مِنْ أىِّ الرجال كان ؟ قالت :

أتتْه المَنَايَا حين تَمّ تَمَامُه * وأقصر عنه كلُّ قِرْنٍ يُطَاوِلُهْ (١)
وكان كليث الغابِ يحمِى عَرِينَه * وترضَى به أشبالُه وحلائلُه
غَضُوبٌ حليمٌ حين يُطْلَبُ حِلْمُه * وسُمٌّ زُعافٌ (٢) لا تُصَابُ مَقَاتِلُه

قال : فأمر لها بجائزةٍ عظيمة وقال لها : خَبِّرينى بأجْوَدِ ما قُلتِ فيه من الشعر . قالت : يا أميرَ المؤمنين ، ما قلتُ فيه شيئًا إلّا والذى فيه من خِصال الخير أكثرُ منه . ولقد أجدتَ حين قلتُ :

جزى اللهُ خيرًا والجزاءُ بكفّه * فتًى من عُقَيْلٍ ساد غيرَ مُكَلَّف
فتًى كانتِ الدُّنيا تهونُ بأَسْرِها * عليه ولا ينفَكُّ جَمَّ التَّصَرُّف
ينالُ عَلِيّاتِ الأُمورِ بهَوْنَةٍ (٣) * إذا هى أعيتْ كلَّ خِرْقٍ مُشَرَّف

(١) فى ب ، س : «يصاوله» . (٢) السم الزعاف (ومثله الذعاف بالذال) : القاتل لساعته . وفى ب ، س : «ذعاق» بالقاف وهو تصحيف . (٣) الهونة : الرفق والسهولة . وأعياه الشئ : أ كله وأعجزه . والخرق (بالكسر) : السخىّ أو الظريف فى سخاوة ، أو الفتى الحسن الكريم الخليقة . ومشرف : جعل له شرف .

هو الذَّوْبُ بل أَرْىُ الخَلَايَا شَبِيهُه (١) * بدِرْياقةٍ من خمر بَيسانَ قَرقَف

فياتَوْبُ مافي العيش خيرٌ ولا نَدًى * يُعَدّ وقد أمسيتَ في تُرْب تَفْنَف (٢)

ومانِلْتُ منك النَّصْفَ حتى ارتمت بك الـ (٣) * ـمنايا بسهم صائب الوقع أعْجَف

فيا أَلْفَ ألفٍ كنتَ حيًّا مُسَلَّمًا * لألقاكَ مثلَ القَسْوَرِ (٤) المُتَطَرِّف

٥ كما كنتَ إذ كنتَ المُنَحَّى من الرَّدَى * إذا الخيلُ جالت بالقَنَا المُتَقَصِّف (٥)

وكم من لَهِيفٍ مُحْجَرٍ (٦) قد أجبتَه * بأبيضَ قَطَّاعِ الضَّرِيبَةِ مُرْهَف

فأنقذتَه والموتُ يُحْرِقُ (٧) نابَه * عليه ولم يُطْعَنْ ولم يُتَنَسَّف

ماكان بين توبة وجميل أمام بثينة

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن ابن أبي سعد قال حُدِّثت عن القَحْذَميّ عن مُحارِب بن غُصَين (٨) العُقَيليّ قال :

١٠ كان توبةُ قد خرج الى الشام، فمرّ ببني عُذْرَةَ، فرأته بُثَينةُ فجعلتْ تنظر اليه، فشقّ ذلك على جميل، وذلك قبل أن يُظهر حبّه لها . فقال له جميل : مَنْ أنت ؟

(١) كذا ورد هذا الشطر في جـ . وفي سائر الأصول :

* هو الذوب بل أسدى الخلايا شبيهة *

وفي معجم البلدان (في الكلام على بيسان) :

١٥ * هو الذوب أو أرى الضحالى شبته *

ولعل صوابه :

* هو الذوب بل أرى الخليات شبته *

والذوب : العسل . والأرى : العسل أيضا . والشوب : الخلط والمزج . والدرياقة : الخمر . وبيسان بلدة كانت بالشام مشهورة بالخمر . والقرقف : الخمر رعد عنها صاحبها . (٢) التفنف هنا : المفازة .

٢٠ (٣) في جـ : «وما نيل» بدل : «وما نلت» . والنصف هنا : إعطاء الحق، مثل الإنصاف والنصف والنصفة (محركين) . والسهم الأعجف : الرقيق . (٤) القسور : الأسد والمتطرف : المغير .

(٥) القنا المتقصف : المتكسر . وجولان الخيل : كناية عن الحرب . (٦) المحجر : المضيق عليه . (٧) حرق الأنياب : حكها بعضها ببعض، وهو كناية عن الغضب والغيظ . وتنسف في الصراع : قبض بيده على خصمه ثم عرض له رجله فعثره . (٨) في أ ، م : « ابن غص » .

٢٥ وفي سائر الأصول : « ابن غضين » بالغين والضاد المعجمتين . وقد سموا غصينا وغصنا .

قال: أنا توبة بن الحميِّر. قال: هل لك فى الصِّراع؟ قال: ذلك إليك، فشدّت عليه بثينةُ مِلْحفةً مُورَّسة[(١)] فأتزر بها، ثم صارعه فصرَعه جميلٌ. ثم قال: هل لك فى النِّضال[(٢)]؟ قال نعم، فناضله فنضَّله جميلٌ. ثم قال له: هل لك فى السِّباق؟ فقال نعم، فسابقه فسبقه جميل. فقال له توبة: يا هذا إنما تفعل هذا بريح هذه الجالسة، ولكن آهبِطْ بنا الوادىَ، فصرَعه توبةُ ونضَّله وسبَقه. ٥

سأل عبد الملك ابن مروان ليلى عما رآه توبة فيها فأجابته

أخبرنا إبراهيم بن أيّوب عن آبن قُتَيْبَة قال:

بلغنى أنّ ليلى الأخيليّة دخلت على عبد الملك بن مَرْوان وقد أسنّت وعجَزَتْ، فقال لها: ما رأى توبةُ فيك حين هَوِيَك؟ قالت: ما رآه الناس فيك حين ولَّوْك. فضحِك عبد الملك حتى بدتْ له سِنٌّ سَوداء كان يُخفيها.

وفود ليلى على الحجاج وحديثه معها

وأخبرنى الحسن بن علىّ عن [ابن] أبى سعد عن أحمد بن رشيد بن حكيم الهِلالىّ عن أيّوب بن عمرو عن رجلٍ من بنى عامر يقال له وَرْقاء قال: ١٠

كنتُ عند الحجّاج بن يوسف، فدخل عليه الآذِنُ فقال: أصلح الله الأمير، بالباب آمرأة تَهْدِر كما يهدِر البعيرُ النادّ[(٣)]. قال: أدْخِلْها. فلمّا دخلت نسَبها فآنتسبتْ له. فقال: ما أتى بك يا ليلَى؟ قالت: إخلافُ النُّجوم[(٤)]، [وقِلّةُ الغيوم[(٥)]]، وكَلَبُ البَرْد[(٦)]، وشِدّة الجَهْد، وكنتَ لنا بعدَ الله الرِّدَّ[(٧)]. قال: فأخبرينى عن الأرض. قالت: الأرض مُقْشَعِرّة[(٨)]، والفِجاجُ مُغْبَرّة، وذو الغِنى مُخْتَلّ، وذو الحَدّ مُنْفَلّ. قال: وما سببُ ذلك؟ ١٥

(١) مصبوغة بالورس وهو نبت أصفر. (٢) النضال: المباراة فى الرمى. ونضله: سبقه فيه.
(٣) الناد: الشارد. (٤) إخلاف النجوم: تريد امتناع المطر. (٥) زيادة من كتاب الأمالى لأبى على القالى. (٦) كلب البرد: شدته. (٧) الرد (بالكسر): الكهف والمعقل.
(٨) اقشعرار الأرض: تقبضها من المحل. والفجاج: جمع فج، وهو كل سعة بين نشازين. ومختل: محتاج، من الخلة (بالفتح) وهى الحاجة. ومنفل: منكسر متثلم. ٢٠

قالت : أصابتْنا سِنُونَ(١) مُجْحِفةٌ مُظْلِمةٌ، لم تَدَعْ لنا فصيلا ولا رُبَعًا، ولم تُبْقِ عافطةً ولا نافطةً؛ فقد أهلكت الرجال، ومزّقت العِيال، وأفسدتِ الأموال، ثم أنشدتْه الأبيات التى ذكرناها مُتَقدِّمًا(٢). وقال فى الخبر : قال الحجّاجُ : هذه التى تقول(٣) :

نحنُ الأخايِلُ لا يزالُ غُلامُنا * حتّى يَدِبَّ على العصا مشهورَا

تبكِى الرِّماحُ إذا فَقَدْنَ أكُفَّنا * جَزَعًا وتَعرِفُنا الرِّفاقُ بُحُورا

ثم قال لها : يا ليلى، أنشِدينا بعضَ شعرِكِ فى تَوْبة، فأنشدتْه قولَها :

لَعَمْرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفتَى * إذا لم تُصِبْه فى الحياةِ المَعايِرُ

وما أحدٌ حَىٌّ وإن عاش سالمًا * بأخلَدَ ممن غيّبته المقابر

فلا الحَىُّ(٤) مما أحدث الدَّهْرُ مُعْتِبٌ * ولا المَيْتُ إنْ لم يَصْبِرِ الحَىُّ ناشرُ

وكلُّ جديدٍ أو شَبابٍ إلى بِلًى * وكلُّ آمرِئٍ يومًا إلى الموت صائر

قتيلُ بنى عَوْفٍ فَيَا لَهْفَتَا له * وما كنتُ إيّاهم عليه أحاذر

ولكنّنى أخشَى عليه قبيلةً * لها بدُروب الشأم بادٍ وحاضر

(١) السنون هنا : القحوط . ومجحفة : قاشرة تجترف المال وتذهب به . وفى كتاب الأمالى : « مباطة » بدل « مظلمة » . والمبلطة : المفقرة، أى تلزق الناس بالبلاط، وهو الأرض المستوية . والفصيل : ولد الناقة أو البقرة اذا فصل من أمه للفطام . وفى كتاب الأمالى : « لم تدع لنا هبعا ... » بضم الهاء وفتح الباء، وهو المناسب لما بعده . والهبع : ما نتج فى الصيف . والربع ما نتج فى الربيع . والعافطة : الضائنة . والنافطة : الماعزة . (٢) لم تتقدّم أبيات تتصل بالحجاج . والذى فى الأمالى أنها أنشدته الأبيات التى أولها :

أحجاج لا يفلل سلاحك إنها الـ * ـمنايا بكفّ الله حيث تَراها

وستأتى هذه الأبيات فى صفحة ٢٤٨ . (٣) فى أ، م : « هذه التى يقول فيها قوله » . وفى سائر الأصول : « هذه التى يقول فيها » . والتصويب من كتاب زهر الآداب للحصرى .

(٤) تقدّمت هذه الأبيات فى صفحة ٢٣٤ مع أبيات أخرى . (فراجع ما كتب على هذا البيت هناك) .

فقال الحجّاج لحاجبه : آذْهَبْ فآقطَعْ لسانَها . فدعا لها بالحجّام ليقطَعَ لسانَها ، فقالت : ويلك ! إنّما قال لك الأميرُ آقطَعْ لسانَها بالصّلة والعطاء ، فآرجِعْ إليه وآستأْذِنْه . فرجع إليه فآستأمره[1] ، فآستشاط عليه وهَمّ بقطع لسانه ، ثم أمَر بها فأُدخلتْ عليه ، فقالت : كادَ وعهدِ الله يقطَع مِقْوَلى ، وأنشدتْه :

حَجّاجُ أنت الذى لا فوقَه أحــدٌ * إلّا الخليفــةُ والمُسْتغْفَرُ الصَّمَدُ ٥
حَجّاجُ أنت سِنانُ الحَرْبِ إن نُهِجتْ[2] * وأنت للنّاسِ فى الداجى لنـا تَقِدُ

أخبرنا الحسن قال حدّثنا عبدُ الله بن أبى سعد قال حدّثنى أبو الحسن ميمون الموصلىّ عن سَـلَمةَ بن أيُّوبَ بن مَسْلَمةَ الهَمْدانىّ قال : كان جدّى عند الحجاج ، فدخلتْ عليه آمرأةٌ بَرْزَةٌ[3] ، فآنتسبتْ له فإذا هى ليلى الأخيليّة . وأخبرنى بهذا الخبر محمـد بن العبّاس اليزيدىّ[4] ، وأخبرنا أحمد بن عبـد العزيز الجوهرى قال : كنتُ ١٠ عند الحجاج . وأخبرنى وكيعٌ عن إسماعيل بن محمد عن المدائنى عن جُوَيْرِيَةَ عن بِشْر[5] ابن عبـد الله بن أبى بكر : أنّ ليلى دخلتْ على الحجّاج ، ثم ذكَر مثلَ الخبر الأوّل ، وزاد فيه : فلمّا قالت :

* غُلامٌ إذا هزّ القَناةَ سقاها *

قال لها : لا تقولى "غلامٌ" ، قولى "هُمَامٌ" . وقال فيه : فأمر لها بمائتين . فقالت : ١٥ زِدْنى ، فقال : آجعلوها ثلاثمائة . فقال بعضُ جُلَسائه : إنّها غَنَمٌ . فقالت : الأميرُ

(١) استأمره : استشاره . (٢) كذا فى الأصول . ونهجت : سلكت . ويخيل إلينا أن هذه الكلمة محرفة عن «لقحت» كما وردت فى الأمالى . ورواية هذا البيت فيه :

حجاج أنت شهاب الحرب إن لقحت * وأنت للنـاس نور فى الدجى يقـد

(٣) المرأة البرزة : المتجاهرة الكهلة الجليلة تبرز للقوم يجلسون إليهـا ويتحدثون وهى عفيفة ، ٢٠ والبرزة أيضا : البارزة المحاسن . (٤) كذا فى أ ، م . وصاحب الأغانى يروى عن محمد بن العباس اليزيدى ، وعن أحمد بن عبد العزيز الجوهرى . وفى سائر الأصول : « ... اليزيدى أخبرنا ابن عبد العزيز الجوهرى » ، وهو تحريف . وظاهر أن فى السند نقصا . (٥) فى أ ، م : «بشير» . ولم نهتد إليه .

أكرمُ من ذلك وأعظمُ قدْرًا من أن يأمرَ لى إلّا بالإبل . قال . فآستحيا وأمر لها بثلاثمائة بعير، وإنما كان أمر لها بغنم لا إبل .

وأخبرنا [به](١) وكيع عن إبراهيم بن إسحاق الصالحىّ عن عمر بن شَبَّة عن عمرو ابن أبى عمرو الشيبانىّ عن أبيه، وقال فيه : ألَا قلتِ مكانَ غُلامٍ هُمَامٌ! وذكر باقىَ الخبر الذى ذكره مَنْ تقدّم ، وقال فيه : فقال لها : أنشدينا ما قُلتِ فى توبةَ، فأنشدته قولَها :

فإنْ تَكُنِ القَتْلَى بَوَاءً(٢) فإنكم * فَتًى مَا قتلتم آلَ عَوْفِ بن عامرِ

فتًى كان أحْيَا من فتاةٍ حَيِيَّةٍ * وأشجعَ من لَيْثٍ بخَفَّانَ خادرِ

أتته المنايا دون دِرْعٍ حَصِينةٍ * وأسْمَرَ خَطِّىٍّ وجَرْداءَ ضامرِ

فنِعْمَ الفتى إنْ كان توبةُ فاجرًا * وفوقَ الفتى إن كان ليس بفاجرِ

كأنّ فتَى الفِتْيانِ تَوْبةَ لم يُنِخْ * قلائصَ يَفْحَصْنَ الحَصَا بالكَراكِرِ

فقال لها أسماء بن خارجة : أيتها المرأة إنك لَتَصِفينَ هذا الرجلَ بشىء ما تعرفه العرب فيه . فقالت : أيها الرجل هل رأيتَ توبة قطُّ ؟ قال لا . فقالت : أمَا والله لو رأيتَه لَوَدِدْتَ أنّ كلَّ عاتقٍ(٣) فى بيتك حاملٌ منه؛ فكأنّما فُقِئَ فى وجه أسماءَ حَبُّ الرُّمّان . فقال له الحجاج : وما كان لك ولها !.

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن أبى سَعْد عن محمد بن علىّ بن المُغيرة قال سمعتُ أبى يقول سمعتُ الأصمعىّ يذكر أنّ الحَجّاجَ أمر لها بعشرة آلاف درهم، وقال لها : هل لكِ من حاجةٍ ؟ قالت : نَعَمْ أصلح اللهُ الأميرَ، تحملنى الى آبن عمّى

(١) تكملة يقتضيها سياق الكلام . (٢) وردت هذه الأبيات فى قصيدة تقدّمت (صفحة ٢٢٤ وما بعدها . فليراجع الكلام عليها هناك) . (٣) العاتق : الشابة .

قُتَيْبة بن مُسْلِمٍ، وهو على خُرَاسانَ يومئذ، فحملها إليه، فأجازها وأقبلتْ راجعةً تُريد البادية، فلمّا كانت بالرَّىّ ماتت، فقُبِرَتْ[1] هناك. هكذا ذكر الأصمعىُّ فى وفاتها وهو غلطٌ. وقد أخبرنى عمّى عن الحَزَنْبَل الأصبهانىّ عمّن أخبره عن المدائنىّ، وأخبرنى الحسن بن علىّ عن آبن مَهْدِىّ عن آبن أبى سَعْدٍ عن محمد بن الحسن النَّخَعىّ عن آبن الخَصِيب الكاتب، واللفظُ فى الخبر للحزنبل، وروايتُه أتمّ:

وفاتها وكيف كانت

أنّ ليلى الأَخيليّة أقبلتْ من سَفَرٍ، فمرّتْ بقبر تَوْبةَ ومعها زوجها وهى فى هَوْدَجٍ لها. فقالت: والله لا أبرَح حتى أُسَلِّم على توبة، فجعل زوجها يمنعها من ذلك وتأبى إلّا أن تُلِمّ به. فلمّا كثُر ذلك منها تركها، فصَعِدتْ أَكَمةً عليها قبرُ توبة، فقالت: السلامُ عليك يا توبةُ، ثم حوّلت وجهها إلى القوم فقالت: ما عَرَفْتُ له كَذِبةً قَطُّ قبلَ هذا. قالوا: وكيف؟ قالت: أليس القائلَ:

صوت

ولو أنّ ليلَى الأَخْيَلِيّةَ سَلَّمتْ * علىّ ودونى تُرْبةٌ[2] وصفائحُ

لَسَلَّمْتُ تسليمَ البَشَاشةِ أو زَقَا[3] * إليها صَدًى من جانب القبر صائحُ

وأُغْبَطُ من ليلَى بما لا أنالُه * ألَا كُلُّ ما قرَّتْ به العينُ صالحُ

فما باله لم يُسَلِّم علىّ كما قال! . وكانت الى جانب القبر بُومةٌ كامنةٌ، فلمّا رأتِ الهودجَ واضطرابَه فَزِعتْ وطارت فى وجه الجمل، فنفَر فرمَى بليلَى على راسها، فماتت من وقتها، فدُفِنتْ الى جنبه. وهذا هو الصحيح من خبر وفاتها.

---

(١) فى ب، س: «فقبرت هناك». (٢) فى جـ: «وفوقى». ويروى «جندل» بدل «تربة». (٣) زقا: صاح. والصدى هنا: طائر كالبومة كانت العرب تزعم أنه يخرج من رأس القتيل و يصيح اسقونى اسقونى حتى يؤخذ بثأره.

غنّى فى الأبياتِ المذكورة آنِفًا حَكَمٌ الوادىّ لَحْنَيْنِ، أحدُهما رملٌ بالوسطى عن عمرو، والآخَرُ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن حَبَشٍ، وقال حبش : وفيها لحنان لجميلة والمَيْلاء رَمَلانِ بالبنصر، وذكر أبو العُبَيْس بن حمدون أنّ الرمل لعُمَر الوادىّ .

كان توبة شريرًا كثير الغارات

٥ قال أبو عُبَيْدَةَ : كان توبةُ شِرِّيرًا كثيرَ الغارةِ على بنى الحارث بن كعب وخَثْعَم وهَمْدانَ، فكان يزور نساءً منهن يتحدّث اليهن، وقال :

أَيَذْهَبُ رَيْعانُ الشَّبابِ ولم أَزُرْ * غرائرَ من هَمْدانَ بِيضًا نُحورُها

قال أبو عبيدة : وكان توبةُ ربّما ارتفع الى بلاد مَهْرَةَ فيُغير عليهم، وبين بلاد مَهْرَةَ و بلاد عُقَيْلٍ مَفازةٌ مُنْكَرَةٌ لا يقطعها الطَّيرُ، وكان يحمل مَزَادَ الماء فيدفن منه ١٠ على مَسِيرةِ كلِّ يوم مزادةً ثم يُغير عليهم فيطلبونه فيركب بهم المفازةَ، وإنما كان يتعمّد حَمَارَّةَ القَيْظِ وشِدّة الحرّ، فإذا ركب المفازةَ رجعوا عنه .

خبر ليلى مع عبد الملك بن مروان حين رآها عند زوجته عاتكة

أخبرنى حَرَمىّ عن الزُّبَيْر عن يحيى بن المِقْدامِ الرَّبَعىّ عن عمّه موسى ابن يعقوب قال :

دخل عبد الملك بن مَرْوان على زَوْجته عاتكةَ بنت يَزِيدَ بن مُعَاويةَ، فرأى ١٥ عندها آمرأةً بدويّةً أنكرها، فقال لها : مَنْ أنت؟ قالت : أنا الوالهةُ الحَرَّى ليلَى الأَخْيَلِيّة . قال : أنت التى تقولين :

٨٣/١٠

أَرِيقتْ جِفانُ[1] آبنِ الخَلِيعِ فأصبحتْ * حِياضُ النَّدَى زَالَتْ[2] بهنّ المراتبُ

(١) تريد أنه قد مات فأريقت جفانه ومات الندى بموته . والخليع : من آباء توبة . وفى شرح القاموس : «وقال ابن الكلبى : ولد ربيعة بن عقيل رباحا وعمرا وعامرا وعويمرا وكعبا وهم الخلعاء» . وكعب أحد هؤلاء الخلعاء من آباء توبة . (٢) كذا فى مختار الأغانى لابن منظور . ٢٠ وفى الأصول : «زلت» .

فعُفَاتُه لهَفَى يطوفون حوله[1] . كما انقضَ عرشُ البئر والوِردُ عاصبُ[2]

قالت : أنا الّتى أقول ذلك . قال: فما أبقَيْتِ لنا؟ قالت: الذى أبقاه الله لك. قال: وما ذاك؟ قالت: نَسبًا قُرَشيًّا، وعيشًا رَخيًّا، وإمْرَةً مُطاعةً . قال: أفرَدْتِه بالكَرَم! قالت : أفردتُه بما أفرده الله به . فقالت عاتكة : إنّها قد جاءت تستعين بنا عليك فى عينٍ تُسْقِيها[3] وتَحميها لها . ولستُ ليزيدَ إن شَفَّعْتَها فى شىء من حاجاتها، لتقديمها أعرابيًّا جِلْفًا على أمير المؤمنين. قال : فوَثَبتْ ليلَى فقامتْ على رِجْلِها واندفعتْ تقول:

سَتَحْمِلُنِى ورَحْلِى ذاتُ وَخْدٍ[4] * عليها بنتُ آباءٍ كِرامِ
إذا جعلتْ سوادَ الشّامِ جَنْبًا * وغُلِّقَ دونَها بابُ اللِّئامِ
فليس بعائدٍ أبدًا إليهم * ذوو الحاجاتِ فى غَلَسِ الظَّلامِ
أعَاتِكُ لو رأيتِ غداةَ بِنّا * عَزاءَ النَّفْسِ عنكم وآعتزامى
إذًا لَعَلِمتِ وآستَيْقَنْتِ أنّى * مُشَيَّعةٌ ولم تُرْعَ ذِمَامِى
أأجعلُ مثلَ توبةَ فى نَدَاهُ * أبا الذِّبّانِ[5] فُوهُ الدَّهْرَ دامِى

---

(١) فى الأصول : * فلهى وعنى بطن قود وحوله *
والتصويب من مختار الأغانى . على أن فيه عيبا فى الوزن وهو حذف الحرف الثالث من « فعولن » ، وهو واقع فى وتد، والأوتاد لا تدخلها العلل والزحافات . وإنما الجائز فى الوتد من « فعولن » حذف أوّله إذا وقع فى أوّل قصيدة . وهذا الحذف يسمى الخرم . على أنه يحتمل أن يكون صوابه « فعفاؤه » (بضم العين وتشديد الفاء) جمع عاف . وهذا الجمع فى «فاعل» وصفا معتل العين نادر؛ يقال قوم غُزًّى وغُزّاء ، جمعا لغاز . والعفاة : طالبو المعروف . واللهف (بالتحريك) : الحزن والتحسر ، والوصف منه لهف (ككتف) ولهيف ولهفان . (٢) المناسب من معانى الورد هنا : الماء المورود . وعاصب هنا : جامع . أى كما انقض عرش البئر وقد جمع الورد المستقين . ويحتمل أن يكون «عاصب» هنا شديدا؛ على أن يكون « الورد » العطش . (٣) تسقيها أى تجعلها لها سقيا .
(٤) كذا فى مختار الأغانى . والوخد : ضرب من السير . وفى الأصول : « ذات رحل » .
(٥) أبو الذبان : كنية عبد الملك بن مروان لشدّة بخره وموت الذباب إذا دنت من فيه . (عن كتاب ما يعول عليه فى المضاف والمضاف إليه) .

مَعَاذَ اللهِ ما عَسَفَتْ(١) بِرَحْلِي * تُغِــذُّ(٢) السَّيْرَ للبلدِ التَّهَامِي(٣)

أَقُلْتِ خليفةٌ فَسِواه أَحْجَى * بِإِمْرَتِه وأَوْلَى باللِّئَـامِ

لِئَـامِ الملكِ حين تُعَدُّ كَعْبٌ(٤) * ذَوو الأخطارِ والخُطَطِ الجِسَامِ

فقيل لها : أيُّ الكَعْبَينِ عَنَيْتِ ؟ قالت : ما أَخَالُ كَعْباً(٥) كَكَعْبِي .

رواية أخرى في وفودها على الحجاج

٥ أخبرنا اليزيدىّ عن الخليل بن أَسَـدٍ عن العُمَرىّ عن الهيثم بن عدىّ عن أبى يعقوب الثَّقفىّ عن عبد الملك بن عُمَيْر عن محمد بن الحَجّاج بن يوسف قال :

بينَا الأميرُ جالسٌ إذ آستُؤْذِن لليلى . فقال الحَجّاج : ومَنْ ليلَى؟ قيل : الأَخيليّة صاحبةُ تَوْبةَ . قال : أَدْخِلوها . فدخلتْ آمرأةٌ طويلةٌ دَعْجاءُ العَيْنَيْن حَسَنةُ المِشْية إلى الفُوهِ(٦) ما هي ، حَسَنةُ الثَّغْر، فسلَّمتْ فردّ الحَجّاج عليها ورحّب بها فدَنَتْ، فقال ١٠ الحجّاج : دَرَاكِ(٧) ضَعْ لهـا وِسادةً يا غلام ، فجلستْ . فقال : ما أَعْمَلَكِ إلينا ؟ قالت : الســلامُ على الأمير، والقضاءُ لحقّــه، والتعرّض لمعروفه . قال : وكيف خلفتِ قومَكِ ؟ قالت : تركتُهم فى حال خِصْبٍ وأَمْنٍ ودَعَةٍ . أمّا الخِصْبُ ففى الأموال والكَلأ . وأمّا الأَمْنُ فقد أَمّنهم الله عزّ وجلّ بك . وأمّا الدعة فقد خامرهم من خَوْفك ما أصلح بينَهم . ثم قالت : ألاَ أُنْشدك؟ فقال : إذا شئتِ . ١٥ فقـالت :

---

(١) عسفت : سارت وخبطت . (٢) فى الأصول : «تعد» بالعين والدال المهملتين، وهو تصحيف . (٣) فى مختار الأغانى : «للبلد الحرام» . (٤) فى الأصول :

... ... تعـد بكر * ذوو الأخطار والخطى الحسام

وفى جـ : « والخطو الحسام » والتصويب من مختار الأغانى .

٢٠ (٥) كعب : من آباء ليلى . (٦) الفوه : سعة الفم . (٧) كذا فى جـ . ودراك : اسم فعل بمعنى أدرك . وفى سائر الأصول : « وراءك » .

[أحجّاجُ إنّ اللهَ أعطاك غايةً * يُقَصِّرُ عنها مَنْ أرادَ مَدَاها] (١)

أحجّاجُ لا يُفْلَلْ سِلَاحُكَ إنّما ال * ـمَنَايَا بكفِّ الله حيث تراها

إذا هبَط الحجّاجُ أرضًا مريضةً * تتبّـعَ أقصَى دائهـا فشفَاها

شَفَاهَا من الدّاء العُضَالِ الّذى بها * غُلَامٌ إذا هَزّ القناةَ سَـقَاها

سَـقَاهَا دِماءَ المـارقينَ وعَلّها * إذا جَمَحتْ يومًا وخِيفَ أذاها

إذا سَمِع الحجّاجُ رِزَّ (٢) كَتِيبةٍ * أعَدّ لهـا قبل النُّزول قِرَاها

أعدّ لهـا مصقولةً فارسـيّةً * بأيدى رِجَالٍ يَحْلُبـون صَرَاها (٣)

أحجّـاجُ لا تُعْطِ العُصاةَ مُنَاهُمُ * ولا اللهُ يُعْطِى للعُصاةِ مُنَاها

ولا كلَّ حَلّافٍ تَقَـلّدَ بيعةً * فأعْظَمَ عهـدَ الله ثم شَرَاها

فقال الحجّاج ليحيى بن مُنْقِذ: لله بلادُها ما أشعرها! . فقال : مالى بشعرها علمٌ . فقال : عَلَيَّ بعُبَيْدَةَ بن مَوْهَبٍ وكان حاجبَـه ، فقال : أنشِديه فأنشدتْه ، فقال : عُبَيدةُ : هذه الشاعرة الكريمةُ ، قد وجب حقُّها . قال : ما أغناها عن شَفَاعتِك! يا غلام مُرْ لها بخمسمائة درهم ؛ واكْسُها خمسـةَ أثواب أحدُها كِسَاءُ خَزٍ . وأدْخِلْها على ٱبنة عمّها هند بنت أسماء فقُلْ لها : حَلّيها . فقالت : أصلح الله الأمير . أضَرّ بنا العَرِيفُ فى الصدقة ، وقد خَرِبت بلادُنا ، وٱنكسرتْ قلوبُنا ، فأخذ خِيارَ المـال . قال : ٱكتبوا لها الى الحَكَم بن أيّوب فليبتعْ لها خمسةَ أجمال وليجعَلْ أحدَها نَجِيبًا (٤) ،

(١) زيادة عن مختار الأغانى . (٢) كذا فى ء والأمالى لأبى على القالى . والرز : الصوت تسمعه من بعيد . وفى سائر الأصول : « صوت كتيبة » . (٣) كذا فى الأمالى : وفيه « مسمومة » بدل « مصقولة » . وفى أ ، م : « يحلبون مراها » وهو تحريف . وفى سائر الاصول : « يحسنون غذاها » . والصرى هنا بقية اللبن . والصرى أيضا : اللبن يبقى فيتغير طعمه .

(٤) النجيب : الكريم .

وآكتبوا الى صاحب اليمامة بعزل العريف الذى شكته. فقال ابن مَوْهَب: أصلح الله الأمير، أأصِلُها؟ قال نعم، فوصلها بأربعمائة درهم، ووصلتها [هند](1) بثلاثمائة درهم، ووصلها محمد بن الحجّاج بوصيفتين .

قال الهيثم: فذكرتُ هذا الحديث لإسحاق بن الجَصّاص فكتبه عنّى، ثم حدّثنى عن حمّاد الراوية قال: لمّا فرغتْ ليلى من شعرها أقبل الحجّاج على جُلَسائه فقال لهم: أتدرون مَنْ هذه؟ قالوا : لا! والله ما رأينا آمرأةً أفصحَ ولا أبلغَ منها ولا أحسنَ إنشادًا . قال : هذه ليلى صاحبة توبة . ثم أقبل عليها فقال لها : بالله يا ليلى أرأيتِ من توبة أمرًا تكرهينه أو سألكِ شيئًا يُعاب؟ قالت : لا والله الذى أسألهُ المغفرةَ ما كان ذلك منه قطّ . فقال : إذا لم يكن فيرحمنا الله وإيّاه .

أخبرنى أحمد(2) بن عبد العزيز الجوهرى عن آبن شَبّةَ عن عبد الله بن محمد ابن حَكيم الطائىّ عن خالد بن سَعيد عن أبيه قال : كنت عند الحجّاج فدخلتْ عليه ليلى الأخيليّة، ثم ذكر مثلَ الخبر الأوّل، وزاد فيه : فلمّا قالت :

* غلامٌ إذا هزّ القناةَ سقاها *

قال : لا تقولى غلامٌ، قولى هُمَامٌ .

صــــوت

سَألَنِى الناسُ أينَ يَعْمِدُ هـذا * قلتُ آتِى فى الدّار قَـرْمًا سَرِيّا

ما قطعتُ البلادَ أسْرى ولا يَمْـ * ـمْتُ إلّا إيّاكَ يا زكـريّا

كَمْ عطـاءٍ ونائلٍ وجزيلٍ * كانَ لى منكمُ هَنيـًا مَريّا

---

(1) التكلة من مختار الأغانى .

(2) فى الأصول : «محمد بن عبد العزيز» . وهو تحريف .

عَرُوضُه من الخفيف ، الشِّعرُ للأُقَيْشر الأسَدىّ . والغناء لدَحْمانَ ، وله فيه لحنانِ ، أحدُهما خفيفُ ثقيلٍ من أصوات قليلةِ الأشباه عن إسحاق ، [والآخر] ثقيلٌ أوّل بالبنصر فى الثالث والثانى عن عمرو ، وذكر يونس أنه للأبجر ولم يجنِّسه ، وذكر الهشامىّ أنّ لحن الأبجر خفيفُ ثقيلٍ ، وأنّ لحن آبن بَلُّوعٍ فى الثالث ثانى ثقيل . وليحيى ابن واصل ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

٥

ذكر الأقيشر وأخباره

نسب الأقيشر واسمه ولقبه وكنيته

٨٥ / ١٠

الأُقَيْشِر : لَقَبٌ [غَلَبَ عليه](١) ؛ لأنه كان أحمرَ الوجه أَقْشَرَ(٢)، وٱسمه المُغِيرةُ بن عبد الله بن مُعْرِض بن عَمْرو بن أَسَد بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَةَ بن إلياس بن مُضَر بن نِزَار . وكان يُكْنَى أبا مُعْرِض، وقد ذكر ذلك فى شعره فى مواضع عِدّة، منها قولُه :

٥ فإنّ أبا مُعْرِض إذ حَسَا * من الرّاحِ كأْسًا على المِنْبَرِ

خَطيبٌ لَبِيبٌ أبو مُعْرِض * فإنْ لِيمَ فى الخَمْرِ لم يَصْبِرِ

وعُمِّرَ عُمْرًا طويلًا، فكان أَقعدَ(٣) بنى أَسَد نَسَبًا، وما أخْلَقَه بأن يكون وُلِد فى الجاهليّة ونشأ فى أوّل الإسلام، لأنّ سِمَاكَ بن مَخْرَمةَ الأسَدِىّ صاحبَ مسجد سِمَاك بالكوفة بناه فى أيام عمر، وكان عُثْمانيًّا، وأهلُ تلك المَحَلّة إلى اليوم كذلك . فيَرْوِى أهلُ

١٠ الكوفة أنّ علىّ بن أبى طالب — صلواتُ الله عليه — لم يُصَلّ فيه، وأهلُ الكوفة إلى اليوم يجتنبونه . وسِمَاكٌ الذى بناه هو سِمَاكُ بن مَخْرَمَةَ بن حُمَيْن بن بَلْث(٤) بن عمرو ابن مُعْرِض بن عمرو بن أَسَد، والأُقيشر أقعدُ(٥) نسبًا منه . وقال الأُقيشر فى ذكر مسجد سِمَاك شعرًا .

---

(١) زيادة عن مختصر الأغانى . وفى الأصول : «الأقيشر لقب به» . (٢) الأقشر : وصف

١٥ من القشر (بالتحريك) وهو شدة الحمرة . (٣) أقعدهم نسبا أى أقلهم آباء الى الجد الأكبر .

(٤) ورد هـذا النسب فى الأصول محرفا؛ ففى جـ : «سماك بن عمير بن ثلب بن عمرو... الخ» . وعمير محرف عن "حمين" و"ثلب" مصحف عن "بلث" . وفى أ، م : «سماك بن حرب بن ثابت ابن عوف بن عمرو بن معرض ...» وفى ب، س : سماك بن عمير بن ثابت بن عمرو...» والتصويب من القاموس (فى مادتى حمن وبلث) ومعجم البلدان (فى مسجد سماك) . (٥) فى الأصول :

٢٠ «أبعد» وهو تحريف .

أخبرنى محمد بن الحسن الكِنْدىّ الكوفىّ قال أخبرنى الحسن بن عُلَيْل العَنَزِىّ عن محمد بن مُعَاوِيَةَ ــ وكنيتُه أبو عبد الله محمد بن معاوية ــ قال : الأُقَيْشِرُ من رَهْط خُرَيْم[1] بن فاتِك الأسدىّ. وخُرَيم إنما نُسِب الى جَدّ أبيه فاتِك، وهو خُرَيْم بن الأخرم [ابن شدّاد][2] ابن عمرو بن فاتِك الأَسَدىّ ، وفاتكُ ابن قُلَيْب ابن عَمْرو بن أَسَد .

قال فى مسجد سماك بالكوفة شعرا ذم فيه بنى دودان ثم ترضاهم ببيت

والأُقيشر هو المُغِيرةُ بن عبد الله بن مُعْرِض بن عمرو بن أَسَد . قال : وهو القائل لمّا بنى سِمَاكُ بن مَخْرَمَةَ مسجده الذى بالكوفة، وهو أكبر مسجدٍ لبنى أَسَد، وهو فى خِطّة بنى نَصْر بن قُعَيْن :

غَضِبتْ دُودانُ من مَسْجِدِنا * وبه يَعْرِفُهم كلُّ أَحَدْ
لو هَدَمْنَا غُدْوةً بُنْيانَه * لَانْمحتْ أسماؤهم طُولَ الأبَدْ
اسْمُهم فيه وهم جِيرانُه * واسْمُه الدَّهْرَ لعمرو بن أَسَدْ
كُلّما صَلَّوْا قَسَمْنَا أَجْرَه * فلَنَا[3] النِّصْفُ على كلِّ جَسَدْ

فحلف بنو دُودانَ لَيَضْرِبُنّه . فأتاهم فقال : قد قلتُ بيتاً محوتُ به كلّ ما قلتُ . قالوا : وما هو يا فاسق؟ قال قلت :

وبنو دُودانَ حَيٌّ سادةٌ * حَلّ بيتُ المَجْدِ فيهم والعَدَدْ

فتركوه .

---

(١) خريم بن فاتك هذا صحابى شهد بدرا . وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الرجل خريم الأسدى لولا طول جمته وإسبال إزاره » . فبلغ ذلك خريما فقطع جمته إلى أذنه ورفع إزاره إلى نصف ساقه .

(٢) زيادة من الكتب التى ترجمت للصحابة رضوان الله عليهم .

(٣) فى الأصول : « فلها » والتصويب من مختار الأغانى . وفيه : « على كل أحد » .

كان خليعا ماجنا مدمنا لشرب الخمر

أخبرنى وكيع عن إسماعيل بن مُجَمِّع عن المدائنىّ قال، وأخبرنى أبو أيّوب المَدِينىّ عن محمد بن سَلّام قال :

كان الأقيشر كُوفيًّا خَليعًا ماجنًا مُدْمِنًا لشُرب الخمر، وهو الذى يقول لنفسه :

فإنّ أبا مُعرِض إذ حَسَا * من الرّاح كأسًا على المِنبَرِ

٥ خطيبٌ لبيبٌ أبو مُعْرِض * فصار خليعًا على المَكْبِرِ (١)

أحَلّ الحرامَ أبو مُعْرِض * فإنْ لِيمَ فى الخمر لم يَصْبِرِ

يُجِلّ (٢) اللّئامَ ويَلْحَى الكرامَ * وإن أقصروا عنه لم يُقْصِرِ

اجتاز على مجلس لبنى عبس فناداه أحدهم بلقبه وكان يغضب منه فهجاه

٨٦/١٠ أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنىّ، وأخبرنى عبد الوهّاب بن عُبَيْد الصّحّاف الكُوفىّ عن قَعْنَب بن مُحْرِز الباهلىّ عن المدائنىّ :

١٠ أنّ الأقيشر مرّ يُرِيدُ الحِيرَةَ (٣)، فآجتاز على مجلس لبنى عَبْس، فناداه أحدُهم : يا أُقيشر، وكان يغضَب منها، فزجَره الأشياخُ، ومضى الأُقَيْشِر ثم عاد اليه ومعه رجلٌ وقال له : قِف معى، فإذا أنشدتُ بيتًا فقُل لى : ولِمَ ذلك، ثم آنصرِف، وخُذْ هذين الدرهمين . فقال له : أنا أصير معك إلى حيث شئتَ يا أبا مُعْرِض ولا أرزؤك شيئًا، قال : فآفعَلْ . فأقبل به حتى أتى مجلسَ القوم، فوقف عليهم ثم تأمّلهم وقد

١٥ عرَف الشابَّ، فأقبل عليه وقال :

أتدعونى الأُقَيْشِرَ ذلك آسمى * وأدعوك آبنَ مُطْفِئةِ السِّراجِ

فقال له الرجل : ولِمَ ذاك ؟ فقال :

تُناجِى خِدْنَها باللّيلِ سِرًّا * وربُّ الناس يعلمُ ما تُناجِى

قال قَعْنَبٌ فى خبره : فلُقِّب ذلك الرجلُ آبنَ مُطْفِئة السراج .

٢٠ (١) وضع هذا الشطر فى ب، س موضع الشطر الذى بعده والذى بعده موضعه . والمكبر (وزان منزل) الكبر فى السن . (٢) فى جـ : «يحب» . (٣) كذا فى مختار الأغانى . وفى الأصول : «بدير الحيرة» .

كتب له أبو الضحاك التيمى شعرا يذمه فرد عليه وتكرر ذلك

وقال قَعْنَبٌ فى خبره عن المدائنىّ أخبرنا به اليزيدىّ عن الخرّاز عن المدائنىّ فى كتاب الجوابات، ولم يروه الباقون :

كان الأقيشر يَكْتَرِى بغلةَ أبى المَضَاء المُكَارِى فيركبها إلى الخمّارين بالحيرة. فركبها يومًا ومضى لحاجته، وعنـد أبى المَضاء رجل من تميم يُكْنَى أبا الضّحّاك، فقال له : مَنْ هذا ؟ قال : الأُقيشر . فأخذ طَبَقَ الميزان وكتب فيه :

عَجِبْتُ لشاعرٍ من حَىِّ سَوْءٍ * ضَئِيلِ الجسمِ مِبْطانٍ هَجِينِ

وقال لأبى المَضَاء : إذا جاء فأقْرِئه هذا . فلمّا جاء أقرأه . فقال له الأُقيشر : ممن هو؟ قال : مِنْ بنى تميم . فكتبَ الأُقيشر تحت كتابه :

فلا أَسَدًا أَسُبُّ ولا تَمِيمًا * وكيف يجوزُ سَبُّ الأكرمينِ

ولكنّ التّيمى حال بينى * وبينَك يا ٱبنَ مُضْرِطةِ العَجِينِ (١)

فهرَب إلى الكوفة فلم يَزِدْ على هذا .

وقال قَعْنَبٌ فى خبره عن المدائنىّ : فجاء التيمى فقرأ ما كتب، فكتب تحته :

يأيها المُبْتَغِى حُشًّا (٢) لحاجته * وجهُ الأُقَيْشِرِ حشٌّ غيرُ ممنوعِ

فلمّا قرأه قال : اللهم إنى أستعديك عليه، وكتب تحته :

إنّى أتانى مقالٌ كنت آمَنُه * جاء من فاحِشٍ فى الناس مخلوعِ

عبدِ العزيز أبو الضحّاك كُنْيَتُه * فيه من اللُّؤْمِ وَهْىٌ غير ممنوعِ

ولم تَبِتْ أُمُّه إلّا مُطَاحَنَةً (٣) * وأن تُؤَاجَر فى سوق المراضيع

(١) يريد أن أمه يستخدمها الناس فى شؤونهم ومنها ملك العجين، فكنى بمضرطة العجين عن أنها خادم . واضراط العجين : مايسمع عند ملكه من صوت . وهذا المعنى واضح فى البيت الثالث من الأبيات العينية الآتية . (٢) الحش هنا : بيت الخلاء . (٣) يريد أن الناس يؤاجرونها لطحن برهم .

ينساب ماء البرايا فى آستها سَرِبًا (١) * كأنما آنساب فى بعض البلاليع
مِنْ ثَمَّ جاءت به والبَظْرُ حَنَّكَه (٢) * كأنه فى آستها تِمْثالُ يُسروع

فلمّا جاءه جزِع ومشى إليه بقوم من بنى تَميم، فطلبوا أن يكُفَّ ففعل. وأمّا عبد الله ابن خَلَف فذكر عن أبى عَمْرو الشيبانىّ أنَّ الأُقيشر قال هذا فى مِسْكين.

٥ والشعر الذى فيه الغناءُ يقوله الأُقيشر فى زكريّا بن طلحة الذى يقال له الفيّاض، وكان مَدّاحا له. ٨٧/١٠

سمع عبد الملك بن مروان شعرا له فى طلحة الفياض فمدحه

أخبرنى الحسن بن علىّ عن العَنزِىّ عن [محمد بن] مُعاوية قال: غَنّتْ جاريةٌ عند عبد الملك بن مَرْوانَ بشعرِ الأُقيشر:

قــرّبَ اللهُ بالسلامِ وحيّا * زَكَرِيّا بنَ طَلْحةَ الفَيّاض
١٠ مَعْدِنُ الضَّيْفِ إنْ أناخوا إليه * بعد أَيْنِ (٣) الطلائحِ الأنقاض
ساهماتُ العيونِ (٤) خوصٌ رَذَايَا * قد براها الكَلالُ بعد اياض (٥)
زادَه خالدُ ابنُ عمِّ أبيــه * مَنصِبًا كان فى العُلا ذا آنتقاض
فَــرْعُ تَيْمٍ من تَيْمِ مُرّةَ حقًّا * قد قضَى ذاك لأبن طلحةَ قاض

(١) سربا: سائلا. (٢) حنكه هنا: أحكمه. واليسروع (بفتح الياء وضمها، ويقال
١٥ فيه الأسروع بضم الهمزة وفتحها أيضا والجمع الأساريع): دودة حمراء الرأس بيضاء الجسد أو هى مخططة بسواد وحمرة. (٣) معدن: اسم من عدن بالمكان إذا أقام به. والأين: التعب. وفى الأصول: «ابن» بالموحدة وهو تصحيف. والطلائح: جمع طليح وطليحة، وهو الذى أعياه السير. وفى الأصول ما عدا جـ: «الطلائع»، وهو تحريف. والأنقاض: جمع نقض (بالكسر) وهو المهزول من السير.
(٤) ساهمات العيون: متغيراتها. والمعروف فى هذا أن يقال ساهم الوجه أى متغيره. قال عنترة:
٢٠ والخيل ساهمة الوجوه كأنما * يسقى فوارسها نقيع الحنظل
وخوص: غائرات العيون، الواحد أخوص وخوصاء. ورذايا: مهزولات، والواحد رذى ورذية.
(٥) كذا فى أكثر الأصول. وفى جـ هكذا: «أباض» بالباء الموحدة. ولم نهتد الى مانطمئن اليه فى هذه الكلمة.

فقال عبد الملك للجارية : وَيْحك ! لمن هذا ؟ قالت : للأُقيشر . قال : هذا المدحُ لا على طَمَعٍ ولا فَرَقٍ، وأشعرُ الناس الأُقيشر .

لقيه الكميت فسمع من شعره وأثنى عليه

وذكر عبد الله بن خَلَف أنّ أبا عمرو الشيبانىّ أخبره أنّ الكُمَيْتَ بن زيد لقِىَ الأُقيشر فى سَفْرةٍ(١)، فقال له : أين تَقْصِدُ يا أبا مُعْرِض ؟ فقال :

سالنى الناس أين يَقْصِدُ هذا * قلتُ آتى فى الدار قَرْمًا سَرِيًّا

وذكر باقىَ الأبيات التى فيها الغناء، فلم يزل الكميت يستعيده إيّاها مراراً، ثم قال: ما كَذَب مَنْ قال إنك أشعرُ الناس .

كان عنينا فقال شعرا فى ضدّ ذلك داعب به رجلا من قيس

أخبرنى عَمِّى عن الكُرَانىّ عن ابن سلّام قال :

كان الأُقيشر عِنِّيناً، وكان لا يأتى النساء، وكان كثيراً ما كان يَصِف ضِدّ ذلك من نفسه . فجلس إليه يومًا رجلٌ من قَيْس، فأنشده الأُقيشر :

ولقد أروح بِمُشْرِفٍ ذى شَعْرةٍ(٢) * عَسِرِ المَكَرَّةِ ماؤه يَتَفَصَّدُ

مَرِجٍ يطيرُ من المِرَاحِ لُعَابُهُ(٣) * ويكاد جِلْدَتُه به تتقدّد

ثم قال للرجل : أتُبْصِرُ الشعرَ ؟ قال نعمْ . قال : فما وصفتُ ؟ قال : فرسًا . قال : أفكنتَ لو رأيتَه رَكِبْتَه ؟ قال : إى والله وأَثْنِى عِطْفَه . فكشَف عن أَيْره وقال : هذا وصفتُ، فقُمْ فاركبْه . فوثب الرجلُ من مجلسه وجعل يقول له : قَبَحك اللهُ من جليسٍ ! سائرَ اليوم .

(١) فى الأصول : «فى سفره» . (٢) فى أ، م : «ذى كرة» . ويتفصد : يسيل . وقد أورد هذين البيتين ومعهما ثالث الخطيب التبريزى فى شرح ديوان الحماسة لأبى تمام هكذا :

ولقد غدوت بمشرف يأفوخه * عسر المكرة ماؤه يتفصد

مرح يمج من المراح لعابه * ويكاد جلد إهابه يتقدد

حتى علوت به مشق ثنية * طورا أغور بها وطورا أنجد

(٣) المراح (وزان كتاب) : اسم من المرح وهو الأشر والنشاط . وتتقدد : تتقطع .

دعاه عابس وهو في جنازة بنت زياد العصفرى لغداء وشراب فقال شعرا

ونسخت من كتاب عبد الله بن خَلَف : حدّثنى أبو عمرو الشيبانىّ قال :

ماتتْ بنتُ زِيَادٍ العُصْفُرِىّ، فخرج الأُقيشر فى جنازتها، فلمّا دفنوها انصرف، فلقيه عابسٌ مولَى عائذِ الله، فقال له : هل لكَ فى غَدَاء وطِلاء (١) أتيتُ به من طِيزَنَابَاذَ (٢) ؟ قال نعم . فذهب به الى منزله فغدّاه وسقاه، فلمّا شرب قال :

٥ فليتَ زِيادًا لا يَزَلْنَ (٣) بَنَاتُه * يَمُتْنَ وأَلْقَى كُلَّما عِشتُ عابسَا

فذلك يومٌ غاب عنِّىَ شَـرُّه * وأنجحتُ فيه بعد ما كنتُ آيِسا

أخذه الشرط من حانة فتخلص منهم برشوة وقال شعرا

ونسخت من كتابه : حدّثنى أبو عمرو قال :

شرب الأُقيشر فى بيت خمّار بالحِيرة، فجاءه الشُّرَط ليأخذوه، فتحرّز منهم وأغلق بابه وقال : لست أشرَب، فما سبيلُكم علىّ ! قالوا : قد رأينا العُسَّ (٤) فى كفّك

١٠ وأنت تشرَب . قال : إنما شَرِبتُ من لبن لِقْحةٍ (٥) لصاحب الدار، فلم يبرَحوا حتى أخذوا منه درهمين . فقال :

إنَّمـا لِقْحَتُنـا بَاطِيَـةٌ * فإذا ما مُزِجتْ كانت عَجَبْ

لَبَنٌ أصـفرُ صافٍ لونُه * يَنْزِع الباسورَ من عَجْبِ الذَّنَبْ

إنما نشرَب من أموالنـا * فَسَلُوا الشُّرطِىَّ ما هذا الغَضَبْ

$\frac{88}{10}$

سأل عبد الملك وفد بنى أسد عنه وقال إنه شاعرهم

١٥ أخبرنى الحسن بن علىّ عن العَنَزِىّ عن محمد بن مُعاوية قال :

دخل وَفْدُ بنى أَسَدٍ على عبد الملك بن مَرْوانَ، فقال : مَنْ شاعرُكم يا بنى أَسَد؟ قالوا : إنّ فينا لشعراءَ ما يرضَى قومُهم أن يفضِّلوا عليهم أحدا . قال لهم : فما

(١) الطلاء : من أسماء الخمر . (٢) طيزناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق . (٣) أثبت الأقيشر هاهنا علامة الجمع فى الفعل وهو غير الفصيح . (٤) العس :
٢٠ القدح العظيم . (٥) اللقحة (بالكسر ويفتح) : الناقة الحلوب .

فعَل الأُقَيْشر؟ قالوا : مات . قال : لم يَمُتْ ، ولكنه مشتغلٌ بعِشقه ، وما أبْعدُ أن يكون شاعرَكم إلّا أنه يُضيع نفسه . أليس هو القائلَ :

يأيُّها السائل عمّا مضَى * مِنْ عِلْم هـذا الزّمن الذاهبِ
إن كنتَ تَبْغِي العلمَ أو أهلَه * أو شاهـدًا يُخْـبِرُ عن غائبِ
فاعتـبِرِ الأرضَ بأسمائها * وآعتبِرِ الصاحبَ بالصاحبِ

سأل جارا له طحانا كان يقرض الناس فلم يعطه فقال فيه شعرا

وذكر عبدُ الله بن خَلَف عن أبي عمرو الشيبانىّ أنّ جارًا للأُقَيْشر طَحّانًا كان يُنسِئ[1] الناسَ يُكْنَى أبا عائشة . فأتاه الأُقَيْشر يسألُه فلم يُعْطِه، فقال له :

يُرِيدُ النساءَ ويأبى الرجالَ * فما لِي وما لأبى عائشـه
أدامَ له الله كَدَّ الرِّجالِ * وأثكله آبنتَـه عائشـه

فأعطاه ما أراد وآستعفاه من أن يزيد شيئا .

تعرض له رجل من هجيم فهجاهم فاستكفوه فكف

سمعتُ من كتاب عُبَيْد الله بن محمد اليزيدىّ بخطّه : قال الهيثم بن عدىّ حدّثنى عَطّاف بن عاصم بن الحَدَثان قال :

مرّ أعرابىٌّ من بنى تميم كان يهزأ بالأُقيشر، فقال له :

أبا مُعْرِض كن أنتَ إن مُتُّ دَافِنِي * إلى جَنْبِ قـبرٍ فيه شِلْوُ المُضَلَّلِ
فعَـلِّىَ أنْ أنجـو من النارِ إنّهـا * تُضَرَّمُ للعبـد اللئيمِ المُبَخَّـلِ
بذلك أوصاها الإلهُ ولم تـزَلْ * تُحَشُّ[2] بأوصالٍ وتُرْبٍ وجَنْـدَلِ
وأنت بحمـدِ الله إن شئتَ مُفْلِتِي * بحَـزْمِك فاحْزِمْ يا أقيشرُ واعْجَـلِ

---

(١) ينسئ الناس : يريد ينسئ الناس الدين أى يقرضهم ويؤخرهم بالدين .

(٢) حش النار أوقدها . والأوصال : المفاصل ، واحدها وصل (بضم أوله وكسره وسكون ثانيه) . والوصل : كل عظم على حدة لا يكسر ولا يخلط بغيره ولا يوصل به غيره . والجندل : الحجارة .

فقال له : ممن أنت؟ قال : من بنى تميم ثم أحد بنى الهُجَيْم بن عمرو بن تميم .
فقال الأُقيشر :

تميمَ بنَ مُرٍّ كَفْكِفُوا عن تعمُّدى * بذُلٍّ فإنّى لستُ بالمتذلِّلِ
أيهزأ بى العبدُ الهُجَيمىُّ ضِلّةً * ومثلى رمى ذا النَّذْرِ[1] المتضلِّلِ
بداهيةٍ دَهْياءَ لا يستطيعها * شماريخُ[2] من أركان سلمى ويَذْبُلِ
وبالله لولا أنّ حِلْمِى زاجِرى * تركتُ تميمًا ضُحْكَةً[3] كلَّ مَحْفِلِ
فكُفّوا رماكم ذو الجلالِ بخِزْيةٍ * تُصَبِّحُكم فى كلِّ جمعٍ ومنزلِ
فأنتم لئامُ الناسِ لا تُنكِرونه * وألأمُكم طُرًّا حُرَيْثُ بنُ جَنْدَلِ

فصار اليه شيوخٌ من بنى الهُجَيم واعتذروا إليه واستكفّوه فكفّ .

شرب مع مقعد وأعمى وغناهم مغن فطربوا فقال هو شعرا

أخبرنى الأخفش قال حدّثنى أبو الفيّاض بن أبى شُرَاعة عن أبيه قال :

شرب الأُقيشر بالحيرة فى بيتٍ فيه خيّاطٌ مُقْعَدٌ ورجلٌ أعمى ، وعندهم مُغَنٍّ مُطْرِب ، فطرب الأُقيشر، فسقاهم من شرابه . فلمّا انتشَوْا وثب الأعمَى يسعى فى حوائجهم ، وقفز الخيّاط المُقْعَد يرقُص على ظَلْعِه[4] ، فجهد فى ذلك كلَّ جهدٍ .
فقال الأقيشر :

89 / 10

---

(١) فى الأصول الخطية : «ذا النذرا» بالنون والذال المعجمة . وفى ب ، س : «ذا الناذر» وهما تحريف . يقال : فلان ذو تدرإ أى ذو حفاظ ومنعة وقوة على أعدائه ومدافعة ، يكون ذلك فى الحرب وفى الخصومة . والمتصلل إن جعل وصفا لذى تدرإ كان جره للمجاورة؛ كما قال امرؤ القيس :

كأنّ ثبيرا فى عرانين وبله * كبير أناس فى بجاد مزمل

وإن جعل وصفا لتدرإ أى حفاظ وقوة كان الوصف به على التجوز، ويكون المعنى : ومثلى رمى ذا الحفاظ الأحمق العنيف .

(٢) الشماريخ هنا : رءوس الجبال ، واحدها شمراخ . وسلمى ويذبل جبلان .

(٣) يريد : صيرتهم ضحكة فى كل محفل . (٤) الظلع : العرج .

ومُقْعَدِ قومٍ قد مشى من شَرَابِنا * وأَعْمَى سَقَيْناه ثلاثًا[(١)] فأبصرا
شرابًا كريحِ العَنْبَرِ الوَرْدِ رِيحُه * ومَسْحوقِ هِنْدِىٍّ من المسكِ أذفرا[(٢)]
من القَتَيَاتِ الغُرِّ مِنْ أرضِ بابلٍ * إذا شَفَّها[(٣)] الحانى من الدَّنّ كبّرا
لها من زُجاجِ الشام عُنْقٌ غريبة * تأنّــق فيهــا صانعٌ وتخــيّرا
ذخائرُ فرعونَ التى جُبِيتْ له * وكلٌّ يُسمَّى بالعَتِيــق مشهَّرا ٥
إذا ما رآها بعــد إنقاء غَسْلِها * تدور علينا صائمُ القوم أفطــرا

كان صاحب شراب وندامى فتفرق أصحابه فقال شعرا

أخبرنا علىّ بن سليمان قال حدّثنى سَوّار قال حدّثنى أبى قال :

كان الأُقيشر صاحبَ شرابٍ ونَدَامَى، فأشخص الحجّاجُ بعضَ نُدَمائه إلى بعض [النواحى][(٤)]، ومات بعضهم، ونَسَك بعضهم، وهَرَب بعضهم؛ فقال فى ذلك :

غُلِبَ الصَّبْرُ فآعترتْنى هُمُومٌ * لِفرَاقِ الثِّقاتِ من إخوانى ١٠
مات هذا وغاب هذا وهذا * دائبٌ فى تِلَاوةِ القُرْآنِ
ولقد كان قبل إظهاره النُّسْـ * ـكَ قديمًا من أظرف الفتيان[(٥)]

شعره فى بغل أبى المضاء وكان يكتريه فيركبه الى الحيرة

وأخبرنى أبو الحسن الأسَدىّ عن العَنزِىّ قال قال ابنُ الكلبىّ حدّثنى سَلَمةُ ابن عبد سُوَاعٍ[(٦)] عن أبيه قال :

كان الأُقيشر لا يسأل أحدًا أكثر من خمســة دراهم، يجعل درهمين فى كِراء بغل الى الحِيرة، ودرهمين للشراب، ودرهما للطعام . وكان له جارٌ يكنى أبا المَضَاء له بغلٌ يُكْرِيه، وكان يُعطيه درهمين ويأخذ بغلَه فيركبه الى الحيرة، حتى يأتى بيت ١٥

(١) فى جـ : « شرابا » . (٢) المسك الأذفر : البالغ الغاية فى الجودة .
(٣) كذا فى الأصول ! . والحانى هنا : بائع الخمر، نسبة الى الحانيــة وهى الحانوت : المكان الذى تباع فيه الخمر، أو نسبة الى الحانة . وخففت ياء النسب للشعر . (٤) زيادة يقتضيها السياق . ٢٠
(٥) فى حـ : «فى أظرف الفتيان» . وفى أ ، م : « فى أظهر الفتيان » .
(٦) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «عبد سراع» بالراء .

الخمّار فينزل عنـده ويَرْبُطه بلجامه وسَرْجه — فيقال إنه أعطى ثمنَه فى الكِرَاء — ثم يجلس فيشرَب حتى يُمْسِي، ثم يركبه وينصرف . فقال فى ذلك :

يابغلُ بغْـلَ أبي المَضاء تعلَّمَنْ * أنّى حلفتُ ولليمين نُذُورُ

لتُعَسِّفَنَّ[1] و إن كَرِهْتَ مَهَامِهـا * فيما أُحِبّ وكلُّ ذاك يسـيرُ

٥ بالرغْمِ يا ولدَ الحمـارِ قطعتَهـا * عمـدًا وأنت مُذَلَّلٌ مصبور

حتى تزور مُسَـمِّعًا[2] فى داره * وترى المُدَامةَ بالأكُفِّ تدورُ

لا يرفَعون بمـا يسوءُك نَعْـرةً * و إذا سَخِطْتَ فخَطْبُ ذاك صغيرُ

خدعته امرأة بأنها أم حنين الخمار وأخذت منه درهمين، فأخذ يهجو أم حنين حتى استرضاه حنين

قال : فأتى يومًا من الأيّام بيت الخمّـار الذى كان يأتيـه فلم يُصادفه فجعل ينتظره، ودخلت الدار آمرأةٌ عِبَادِيّة[3]، فقال لهـا : ما فعل فلان ؟ قالت : مضى

١٠ فى حاجةٍ وأنا آمرأته ، فما تُريد ؟ قال : نبيـذا . قالت بكَمْ ؟ قال : بدرهمين . قالت : هَلُمَّ دِرْهَمَيْك وآنتظِرْنى . قال لا[4] . قالت : فذلك اليك، ومضتْ وتبعها، فدخلت دارًا لهـا بابان وخرجت من أحدهما وتركته . فلمّا طال جلوسه خرج اليه بعضُ أهل الدار، قالوا : وما يُجْلِسك؟ فأخبرهم . فقالوا له : تلك امرأةٌ محتالة يقال لها أمّ حُنَيْنٍ من العِبَادِيِّين . فعلم أنه قد خُدِع ، فآنصرف الى خَمّاره فأخبره بالقصة

١٥ وقال له : أَنْسِئْنى[5] اليوم فآسْقِنى ففعل . وأنشأ الأقيشر يقول :

---

(١) عسف المفازة (بالتشديد) مثل عسفها واعتسفها وتعسفها أى قطعها بغير قصد ولا هـداية . والمهامه : جمع مهمه ، وهو المفازة البعيدة والبلد القفر . (٢) فى جـ : « سميعا » . ويجب أن يكون مشدّد الياء ليستقيم الوزن ، وإنما سمى العرب سميعا (رزان زبير) . (٣) عبادية : نسبة الى العبـاد وهم قبائل شتّى اجتمعوا على النصرانيـة بالحيرة . (٤) يريد : لا أنتظر،

٢٠ أما الدرهمان فيدل سياق الكلام على أنه أعطاهما إياها . (٥) كذا فى جـ . والإنساء والنسيء : التأخير فى الدين وفى العمر . وفى سائر الأصول : « أنشنى اليوم فامنعنى » .

٩٠
١٠

لم يُغَرَّرْ بذاتِ خُفٍّ سِوَانَا * بعد أُختِ العِبَادِ أُمِّ حُنَيْنِ
وَعَدتْنا بدرهمين نبيذًا * أو طِلاءً مُعَجَّلًا غيرَ دَيْنِ
ثم ألوتْ بالدرهمين جميعًا * يا لَقَومِي لِضَيْعَةِ(١) الدرهمين

وذكر هذا الخبرَ عبدُ الله بن خَلَف عن أبى عمرو الشَّيْبانىّ وزاد فيه : أنّ الخمّار كان يسمَّى بحُنَيْنٍ، وأنّ المرأة المحتالة قالت له : إنها أُمّ حُنَيْنٍ الخمّارِ الذى كان يُعامله حتى ٥ أخذتِ الدرهمين ثم هربتْ منه، وذكر الأبياتَ الثلاثةَ التى تقدّمتْ ، و بعدها :

عاهدتْ زوجَها وقد قال إنّى * سوف أغدُو لحاجتى ولِدَيْنِي
فدَعَتْ كالحِصَانِ أبيضَ جَلْدًا * وافرَ الأَيْرِ مُرْسَلَ الخُصْيَتَيْنِ
قال ما أَجْرُ ذا هُدِيتِ فقالت * سوف أُعطيك أجْرَه مرّتين
فابدأِ الآنَ بالسِّفَاحِ فلمّا * ساخَتْه أرضَتْه بالأُخْرَيَيْنِ ١٠
تَلَّها(٢) للجَبِينِ ثُمّ امتطاها * عَالِمُ الأَيْرِ أفْحَجُ(٣) الحالبين
بينما ذاك منهما وهى تحوِى * ظهرَه بالبَنَانِ والمِعْصَمَيْنِ
جاءها زَوْجُها وقد شام فيها * ذا انتصابٍ مُوثَّقَ الأَخْدَعَيْنِ(٤)
فتأسّى وقال وَيْلٌ طويلٌ * لِحُنَيْنٍ من عارِ أُمِّ حُنَيْنِ

قال : فجاء حُنَيْنٌ الخمّار فقال له : يا هذا ما أردتَ بهجائى وهجاء أُمّى؟! . قال: ١٥ أخذتْ منّى درهمين ولم تُعْطِنى شَرابًا . قال : والله ما تعرفك أمّى ولا أخذتْ منك شيئا قطُّ ، فانظُرْ الى أُمّى فإن كانت هى صاحبتَك غَرِمْتُ لك الدرهمين . قال : لا والله ما أعرف غيرَ أُمّ حنين ، ما قالت لى إلّا ذلك ، ولا أهجو إلّا أُمَّ حُنَيْنٍ

---

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « لصعبة الدرهمين » وهو تحريف .

(٢) تلها للجبين : صرعها . يريد أنه قلبها وألقاها على وجهها . (٣) أفحج الحالبين : متباعد ما بينهما . (٤) الأخدعان : عرقان فى جانبى العنق . ٢٠

وابنها ، فإن كانت أُمّك فإيّاها أعني . وإن كانت أمّ حُنَيْنٍ أخرى فإيّاها أعني .
فقال : إذًا لا يفرّق الناسُ بينهما ، قال : فما عَلَيّ إذًا ! أتُرَى درهَمَيَّ يَضيعانِ !
فقال له : هَلُمَّ إذًا أغرمْهما لك وأقمْ ، فدفعهما إليه ، لا بارك الله لك! ففعل .

استكتبه العريان ابن الهيثم من ملحه ثم أرسل له خمسين درهما فاستقلها وهجاه، ثم استرضاه أبوه الهيثم

قال عبد الله وحدّثني أبو عمرو قال :

٥ كان العُرْيان بن الهَيْثَم النَّخعيّ صديقًا للأُقيشر، فقال له : يا أُقيشر إنّي أُريد أن أمتدّ الى الشأم فأَكْتِبْنِي (١) من مُلَحك فأكتبه . فخرج إلى الشأم فأصاب مالًا ، فبعث الى الأُقَيْشر بخمسين درهما ، ففعل (٢) وقال : هاتِ . قال المولى : على أن تهجوَه إذ وَضَع منك ؟ قال نعم ، فأعطاه خمسين درهمًا . وقال الأُقَيْشِرُ :

وسألتَنِي يومَ الرَّحِيلِ قصائدًا * فَمَلأتُهنّ قصائدًا وكتابَا
١٠ إنّي صَدَقْتُك إذ وجدتُك صادقًا * وكَذَبْتَنِي فوجدتَنِي كَذّابا (٣)
وفتحتُ بابًا للخيانة عامدًا * لمّا فتحتَ من الخيانةِ بابا

وكان أبو العُرْيان على الشُّرْطةِ ، فخافه الأُقَيْشِرُ من هجاء ابنه . وبلَغ الهيثمَ هذه الأبياتُ فبعث اليه بخمسمائةِ درهم وسأله الكَفَّ عن ابنه وألّا يُشَهِّره (٤) ، فأخذها وفعل .

خطب رجل من حضرموت امرأة من بنى أسد وسأله عنها فهجاه

١٥ قال أبو عمرو : وخطَب رجلٌ من حَضْرَمَوْتَ امرأةً من بني أَسَد ، فأقبل يسأل عنها وعن حَسَبها وأمّهاتها ، حتى جاء الأُقَيْشِرَ فسأله عنها . فقال له : مِنْ [أَيْنَ] (٥) أنت ؟ قال : من حَضْرَمَوْتَ . فأنشأ يقول :

٩١/١٠

(١) الإكتاب هنا : الاملاء . وفي ب ، س : « فاكتب لي » وهو تحريف .
(٢) كذا في الأصول . والكلام هنا غير واضح ؛ وأحسب أنه وقع بين الأقيشر والمولى رسول العريان
٢٠ حوار سقط من النساخ . (٣) في الأصول : « كاذبا » وهو تحريف . (٤) كذا في جـ .
وفي سائر الأصول : « والاستهزاء » وهو تحريف . (٥) زيادة يقتضيها السياق .

حَضْرَمَوْتٌ فَتَّشَتْ أحسابَنا * وإلينا حضرمَوْتٌ تَنْتَسِبْ
إخوةُ القِرْدِ وهم أعمامُه * بَرِئَتْ منكم إلى الله العَرَبْ

طلبت اليه عمته أن يصلى فقال اختارى إما الصلاة أو الوضوء

أخبرنى الحسن بن علىّ عن أبى أيّوب المدينىّ قال قال أبو طالب الشاعر حدّثنى رجلٌ من بنى أَسَدٍ قال :

سَمِعتُ عَمّة الأُقَيْشِر تقول له يوما : اِتّقِ الله وقُمْ فصَلِّ ، فقال : لا أُصَلِّى . فأكثرت عليه ، فقال : قد أبْرَمْتِنى ، فاختارِى خَصْلةً من خَصْلتَيْنِ : إمّا أنْ أُصَلِّى ولا أتطهّر ، و إمّا أن أتطهّر ولا أُصلِّى . قالت : قَبّحك الله ! فإن لم يكن غيرُ هذا فصَلِّ بلا وضوء .

جاءه شرطى وهو يشرب فخافه وسقاه بأنبوب من ثقب الباب

قال أبو أيّوب : وحُدِّثت أنه شرب يومًا فى بيت خَمّار بالحِيرة ، فجاء شُرَطىٌّ من شُرَط الأمير ليدخل عليه ، فغلّق الباب دونه . فناداه الشُّرَطىّ آسْقِنِى نبيذًا وأنت آمِنٌ . فقال : والله ما آمَنُك ، ولكن هذا ثَقْبٌ فى الباب فآجلِس عنده وأنا أسقيك منه ، ثم وضَع له أُنبوبًا من قَصَبٍ فى الثَّقْب وصَبّ فيه نبيذًا من داخل والشرطىّ يشرَب من خارج الباب حتّى سكِر . فقال الأُقيشر :

سأل الشُّرْطِىُّ[1] أن نَسْقِيَه * فَسَقيناه بأُنبوب القَصَبْ
إنما نشرَب من أموالنا * فسَلُوا الشُّرْطِىَّ ماهذا الغضب

أعطاه قيس بن محمد مالا ونجمه له فكرر ذلك مرارا فرده فهجاه

أخبرنى عَمِّى عن الكُرَانىّ عن قَعْنَب بن المُحرِز ، وحدّثنا[2] محمد بن خَلَف عن أبى أيّوب المدينىّ عن قَعْنَب بن الهَيْثَم بن عَدِىّ[3] قال :

كان قَيْسُ بن محمد بن الأشعَث ضريرَ البصر ، فأتاه الأُقَيْشِر فسأله ، فأمر قَهْرَمانَه[4] فأعطاه ثلاثمائة درهم ، فقال : لا أُريدها جملةً ، ولكن مُرِ القَهْرمانَ أن

(١) فى ب ، س : «سالنى» . (٢) فى أكثر الأصول : «قال حدثنا محمد بن خلف...» . والتصويب من جـ . والمؤلف يروى كثيرا عن محمد بن خلف وكيع عن أبى أيوب المدينى . (٣) لم نجد هذا الاسم فى الرواة . ويخيل الينا أن فى السند تحريفا . (٤) القهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج .

يُعْطِينِى فى كلِّ يومٍ ثلاثةَ دراهمَ حتى تَنْفَد . فكان يأخذها منه ، فيجعل درهمًا لطعامه ، ودرهما لشرابه ، ودرهما لدابّة تحمله الى بيوت الخمّارين . فلمّا نفدت الدراهم أتاه الثانيةَ فسأله فأعطاه وفعل مثلَ ذلك ، وأتاه الثالثةَ فأعطاه وفعل مثلَ ذلك ، وأتاه الرابعةَ فسأله . فقال له قَيْسٌ : لا أبَا لَكَ ! كأنّك قد جعلتَ هذا خَرَاجًا علينا . فانصرَف وهو يقول :

٥

ألم تَرَ قَيْسَ الأَكْمَهَ ابنَ محمد * يقول ولا تلقَاه للخير يَفْعَلُ

رأيتُكَ أعمَى العيْنِ والقلبِ مُمْسِكًا * وما خيرُ أعمى العينِ والقلبِ يبخَلُ

فلو صَمَّ تَمّتْ لَعْنَةُ الله كلُّها * عليه وما فيه من الشرِّ أفضلُ

فقال قيس : لو نجا أحدٌ من الأُقَيْشِر لنجوتُ منه .

كان سكران لحكموه فى الصحابة فقال شعرا

١٠ أخبرنى أبو الحسن الأسدىُّ عن العَنَزِىِّ عن محمد بن مُعَاوِيَةَ قال :

اِختصم قومٌ بالكوفة فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ ، فقالوا : نجعَل بيننا أوّلَ مَنْ يَطْلُع علينا . فطلَع الأُقَيشر عليهم وهو سكرانُ . فقال بعضهم لبعض : أُنظروا مَنْ حَكَّمْنا . فقالوا : يا أبا مُعرِض قد حَكَّمْناك . قال : فيماذا ؟ فأخبروه . فمكث ساعةً ثم أنشأ يقول :

١٥

إذا صَلَّيْتُ خمسًا كلَّ يومٍ * فإنّ الله يغفِر لى فُسوقِى

ولم أُشرِكْ بربِّ الناس شيئًا * فقد أمسكتُ بالحَبْلِ الوثيقِ

وهذا الحقُّ ليس به خَفَاءٌ * ودَعْنِى من بُنَيّاتِ الطَّريقِ[1]

٩٢ / ١٠

(١) بنيات الطريق : الطرق الصغار المتشعبة من الطريق الأعظم . و يضرب بها المثل فيقال : « دع عنك بنيات الطريق » أى عليك بمعظم الأمر ودع الروغان . (عن كتاب مايعول عليه فى المضاف والمضاف إليه) .

٢٠

أعطاه ابن رأس البغل مهر ابنة عم له فدحه فاعترض عليه فأجابه

قال محمد بن معاوية : وتزوج الأقيشر ابنةَ عمٍّ له يقال لها الرَّباب ، على أربعة آلاف درهم ، ويقال على عشرة آلاف درهم ، فأتى قومَه فسألهم فلم يُعطوه شيئا ؛ فأتى ابنَ رأسِ البَغْلِ وهو دُهْقانُ الصِّين وكان مجوسيّا ، فسأله فأعطاه الصَّداقَ . فقال الأقيشر :

كفانى المَجُوسىُّ مَهْرَ الرَّبابِ * فِدًى للمجوسىِّ خالِى وعمّ[1]
شَهِدتُ بأنك رَطْبُ المُشَاشِ[2] * وأنّ أباكَ الجوادُ الخِضَمّ
وأنّك سيِّدُ أهلِ الجحيم * اذا ما تَرَدَّيْتَ فيمن ظَلَمْ
تُجاوِرُ قارونَ فى قَعْرِها * وفِرْعَوْنَ والمُكْتَنَى بالحَكَمْ

فقال له المجوسىّ : وَيْحَك ! سألتَ قومَك فلم يُعطوك وجئتنى فأعطيتُك، فجزيتنى هذا القولَ ولم أُفلِتْ من شِعْرِك وشَرِّك ! قال : أوَ ما ترضَى أنْ جعلتك مع الملوك وفوقَ أبى جَهْلٍ[3] ! . ثم جاء إلى عِكْرِمةَ بن رِبْعِىٍّ التيمىّ فلم يُعْطِه، فقال فيه :

ذهب إلى عكرمة ابن ربعى فلم يعطه فهجاه

سألتُ رَبِيعةَ مَنْ شرُّها * أبًا ثم أُمًّا فقالوا لِمَهْ
فقلتُ لأَعْلَمَ مَنْ شرُّكُمْ * وأجعلَ بالسبِّ فيه سِمَهْ[4]
فقالوا لعِكْرِمةَ المُخْزِياتُ * وما ذا يرى الناسُ فى عِكْرِمَهْ
فإنْ يَكُ عبدًا زَكَا مالُهُ * فما غيرُ ذا فيه من مَكْرُمَهْ

شرب بما معه وبثيابه ثم جلس فى تبن وحديث الخمار معه

قال ابن الكلبىّ : وشرب الأُقيشر فى حانةِ خَمَّار حتى أنفَد ما معه، ثم شرب بثيابه حتى غَلِقَتْ[5] فلم يَبْقَ عليه شىءٌ ، وجلس فى تِبْنٍ إلى جانب البيتِ إلى حَلْقِه مستدفئًا به . فمرّ رجلٌ به يَنْشُد ضالّةً ، فقال : اللَّهمَّ ٱرْدُدْ عليه وٱحْفَظْ علينا . فقال

(١) فى ح : «خال وعم» . (٢) يقال : فلان لين المشاش إذا كان طيب النحيزة عفيفا عن الطمع . ويقال : فلان طيب المشاش اذا كان كريم النفس . (٣) فى أ ، م : «ودون» .
(٤) سمة : علامة . (٥) الغلق هنا : ضد الفك . وهو يريد هنا حتى صارت حقا للخمار .

له الخمّار : سَخِنتْ عينُك ! أىّ شئ يحفَظ عليك ربّك ؟ قال : هذا التِّبن لا تأخذه فأموتُ من البَرْدِ . فضحِك الخمّار وردّ عليه ثيابَه وقال : آذهَبْ فاطلُبْ ما تشرَب به ، ولا تجئنى بثيابك فإنّى لا أشتريها بعد ذلك .

لقيه هشام الشرطى وهو سكران فحاوره فى سكره

قال آبن الكلبىّ : واجتاز الأُقَيشِرُ برجلٍ يقال له هِشَامٌ[1] وكان على شُرْطَةِ عمرو ابن حُرَيثٍ وهو سكرانُ، فدعا به فقال له : أنت سكران؟ قال لا . قال : فما هذه الرائحة ؟ قال : أكلتُ سَفَرْجَلًا، ثم قال :

يقولون لى انْكَهْ[2] شربتَ مُدامةً * فقلت كذبتمْ بل أكلتُ سفرجلا

فضحِك منه ثم قال : فإنْ لم تكن سكرانَ فأخبِرْنى كَمْ تصلّى فى كلِّ يوم . فقال :

يسائلنى هشامٌ[3] عن صلاتى * صلاةِ المسلمين فقلتُ خمسُ
صلاةُ العصرِ والأولى ثَمانٍ * مُوَاتَرةٌ فما فيهنّ لَبْسُ
وعند مَغيبِ قَرْنِ الشمس وِترٌ * وشَفْعٌ بعدها فيهنّ حَبسُ
وغُدوةَ اثنتانِ معًا جميعًا * ولمّا تبدُ للرائين شمْسُ
وبعدهما لوقتهما صلاةٌ * لِنُسْكٍ بالضَّحاء إذا تَبَسُّ[4]

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول هنا : « هشيم » . ولم نهتد لوجه الصواب فيه . وقد ذكر هذا الاسم فى هذا الخبر أربع مرات وسننبه على رسمه فى كل موضع .

(٢) نكه فلان (من بابى ضرب ومنع) : أخرج نفسه إلى أنف آخر ، ونكهه (من بابى سمع ومنع) واستنكهه : شم ريح فه .

(٣) فى كل الأصول هنا : « هشيم » .

(٤) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « تبس » بالتاء . والبس علىّ معان ، وكل منها معناه عمل من أعمال الحياة . ولعله يريد أن صلاة النسك بالضحاء تكون حين نقوم بشؤوننا فى الحياة .

أأحصيتُ الصلاةَ أباهشامًا (١) * فذاكَ مُكَدَّرُ الأخلاقِ جِبْسُ (٢)

تَعَوَّد أن يُلامَ فليس يومًا * بحامده من الأقوامِ (٣) إنْسُ

٩٣/١٠

قال : فضحِك هشام وقال : بلى قد أخبرتَنا يا أبا مُعْرِض (٤)، فٱنْصرِفْ راشدًا .

استنشد قتيبة ابن مسلم مرداس ابن جذام شعره فى قدامة بن جعدة

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيْد عن أبى عُبيدة قال :

قدِم رجلٌ من بنى سَلُول على قُتيبة بن مُسْلِم بكتاب عامِله على الرىّ وهو المُعَلَّى ابن عمرو المُحَارِبىّ، فرآه (٥) على الباب قُدَامةُ بن جَعْدةَ بن هُبَيْرةَ المخزومىّ وكان صديقًا لقُتَيبة، فدخل عليه فقال له : ببابِك ألْأَمُ العرب، سَلُولِىٌّ رسولُ مُحَارِبىٍّ إلى باهلىٍّ. فتبسّم قتيبةُ تبسُّما فيه غيظٌ . وكان قُدَامةُ بن جَعْدَةَ يُتَّهم بشرب الخمر، وكان الأُقيشر يُنادمه . فقال قُتيبة : ادعوا لى مِرْدَاسَ بن جُذَامٍ الأسَدِىّ فدُعى . فقال له : أنشِدْنى ما قال الأقيشر فى قُدامةَ بن جعدةَ وهو بالحِيرة . فأنشده [قوله] (٦) :

رُبَّ نَدْمانٍ كريمٍ ماجدٍ * سَيِّدِ الجَدَّيْنِ من فَرْعَىْ مُضَرْ

قد سَقَيْتُ الكأسَ حتى هَرَّها (٧) * لم يُخَالِطْ صَفْوَها منه كَدَرْ

قلتُ قُمْ صَلِّ فصلَّى قاعدًا * تتغشَّاه سَمادِيرُ (٨) السَّكَرْ

قَرَنَ الظُّهْرَ مع العصر كما * تُقْرَنُ الحِقَّةُ (٩) بالحِقِّ الذَّكَرْ

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « أبا هشام » . (٢) فى الأصول : « حبس » . والجبس : الجامد الثقيل الروح، والفاسق، والجبان، واللئيم . ولعله يعرّض بشخص آخر .
(٣) كذا فى أ، م . وفى سائر الأصول : « الى الأقوام » . (٤) فى كل الأصول هنا : « هشام » . (٥) فى الأصول ما عدا جـ : « فرأى » وهو تحريف .
(٦) زيادة عن جـ . (٧) هرها : كرهها . ووردت هذه الكلمة فى الأصول محرفة، ففى بعضها « هرما » . وفى بعضها « مرها » . (٨) السمادير هنا : شىء يتراءى للانسان من ضعف بصره عند السكر . (٩) الحقة من الإبل : الداخلة فى السنة الرابعة .

تَرَكَ الفجرَ فما يقرؤها * وقرا الكوثرَ من بين السُّوَرْ

قال: فتغيّر لونُ وجهِ القُرَشيّ[1] وخجل. فقال له قتيبةُ: هذه بتلك، والبادئ أظلم.

استنشده عبد الملك أبياته فى الخمر وحاوره فيها

أخبرنى الأخفش عن محمد بن الحسن بن الحَرُون[2] قال حدّثنا الكِسْرَوِىّ[3] عن الأصمعىّ قال:

٥ قال عبد الملك للأُقيشر: أَنْشِدْنى أبياتَك فى الخمر، فأنشده قولَه:

تُرِيك القَذَى من دونها وهى دونه * لِوَجْهِ أخيها فى الإناء قُطوبُ

كُمَيْتٌ إذا فُضَّتْ وفى الكأس وَرْدةٌ * لها فى عِظام الشاربين دبيبُ

فقال له: أحسنتَ يا أبا مُعْرِض! ولقد أجدتَ وصفَها، وأظنّك قد شربتها.

فقال: والله يا أمير المؤمنين إنه لَيَريبُنى منك معرفتُك بهذا.

قصة له مع بعض ندمائه فى حانة

١٠ أخبرنى الحسن بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن آبن الكلبىّ عن رجلٍ من الأَزْد قال:

كان الأُقيشر يأتى إخوانًا له يسألهم فيُعْطونه، فأتى رجلًا منهم فأمر له بخمسمائة درهم، فأخذها وتوجّه الى الحانةِ ودفعها إلى صاحبها وقال له: أَقِمْ لى ما أحتاج إليه ففعل ذلك، وآنضمّ إليه رُفَقاء له، فلم يَزَلْ معهم حتى نَفِدتِ الدّراهم، فأتاهم بعد

١٥ إنفاقها بيومٍ ثم أتاهم من غدٍ فآحتملوه، فلمّا أتاهم فى اليوم الثالث نظر إليه أصحابه من بعيدٍ فقالوا لصاحب الحانة: أَصْعِدْنا إلى غُرْفتك هذه وأَعْلِمِ الأقيشر أنّا لم نأتِ اليومَ. فلمّا جاء الأُقيشر أعلمه ما قالوه له. فعلِم الأُقيشر أنه لا فَرَج له عند صاحب

(١) كذا فى الأصول. ولعل صوابه «المخزومى» فانه كذلك تقدم، وإن كان بنو مخزوم من قريش. (٢) راجع الحاشية رقم ٤ صفحة ٢٦ من الجزء الثانى من هذه الطبعة.

٢٠ (٣) فى أكثر الأصول: «السكرى» والتصويب من جـ. (وراجع الحاشية رقم ٥ صفحة ٢٦ ج ٢).

الحانةَ إلا برَهْنٍ ، فطـرَح اليه ثيـابَه وقال له : أقِمْ لى ما أحتاج إليـه ففعل .
فلما أخذ فيه الشرابُ أنشأ يقول :

يا خليلَيَّ آسقِيَانِيَ كاسًا * ثم كأسًا حتّى أخِرّ نُعَاسَا
إنّ فى الغُرْفةِ التى فوق رأسى * لأُناسًا يُخادِعون أُناسا
يشرَبون المُعَتَّقَ الراحَ صِرْفًا * ثم لا يرفَعون بالزَّوْرِ راسا

فلمّا سمع أصحابُه هـذا الشعر فَدَّوْه بآبائهم وأُمّهاتهم ثم قالوا له : إمّا أن تصعدَ إلينا أو ننزلَ إليك، فصعِد إليهم .

٩٤/١٠

قصته مع عمه وبشر ابن مروان حين مدح بشرا فوصله

أخبرنى الحسن بن علىّ عن ابن مَهْروية قال حدّثنى أبو مُسلِم المُسْتَمْلِى عن المدائنى قال :

مدح الأُقيشر بِشْرَ بن مَرْوانَ ودخل إليه فأنشده القصيدةَ[1] وعنده أيْمَنُ بن خُرَيْم ابن فاتِك الأسدىُّ، فقال أيْمَنُ : هذا والله كلامٌ حَسَنٌ من جَوْفِ خَرِبٍ . فأجابه بالبيت[1] المذكور . وقال أبو عمرو أيضًا فى خبره : فلمّا صار الأُقيشر إلى منزله بعث عمَّه فأخذ منه الألفَ الدِّرهمِ وقال : والله لا أُخَلِّيك تُفسِدها وتشرَب بها الخمر . قال : فتصنَع بها ماذا ؟ قال : أكسوك وأكسو عِيالَك وأُعِدُّ لك قوتَ عامك . فتركه ودخل على بشر فقال له :

أبلِـغْ أبا مَرْوانَ أنّ عطاءه * أزاغ[2] به مَنْ ليس لى بعِيالِ

قال : ومَنْ ذلك ؟ فأخبره الخبر . فأمر صاحبَ شُرْطَته أن يُحضِرَ عمَّه وينتزعَ منه الألفَ الدرهمِ ويسلِّمها إليه، وقال : خُذْها ونحن نقوم لعيالك بما يُصلِحهم .

(١) سياق هذا الخبر يدل على أن فى الكلام سقطا من النساخ؛ فان الكلام كله هاهنا مضطرب .
(٢) كذا فى الأصول ! .

مدح خمارة بشعر داعر فسرّت به

أخبرنى هاشم بن محمد عن أبى غسّان دَمَاذَ عن أبى عُبَيْدة قال :

مرّ الأُقيشر بخمّارة بالحِيرة يقال لها دَوْمةُ، فنزل عندها فآشترى منها نبيذًا، ثم قال لها جَوِّدِى لى الشَّرابَ حتى أُجِيدَ لكِ المَدْحَ ففعلتْ . فأنشأ يقول :

ألَا يا دَوْمُ دامَ لك النَّعِيمُ * وأسْمَرُ مِلْءُ كَفِّكِ مستقيمُ

شديدُ الأسْرِ يَنْبِضُ حالباه[1] * يَحُمّ كأنّه رجلٌ سقيمُ

يُرَوِّيه الشرابُ فيَزْدَهِيهِ * ويَنْفُخُ فيه شيطانٌ رجيمُ

قال : فسُرَّتْ به الخمّارةُ وقالت : ما قِيل فِيَّ أحسنُ من هذا ولا أَسَرُّ لى منه .

مدح فاتك بن فضالة حين وفد على عبد الملك

أخبرنى أبو الحسن الأسَدىّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَبايةَ قال : كان فاتكُ بن فَضَالةَ بن شَرِيكٍ الأسَدىُّ كريمًا على بنى أُمَيّةَ ، وهو الوافدُ على عبد الملك بن مَرْوانَ قبل أن يَنْهَض الى حرب آبن الزُّبَيْر، فضَمِن له على أهل العراق طاعتَهم وتسليمَ بلادِهم اليه، وأن يُسْلِموا مُصْعَبًا إذا لقيه ويتفرّقوا عنه . وله يقول الأُقَيْشرُ فى هذه الوِفادة .

وَفَدَ الوفودُ فكنتَ أفضلَ وافدٍ * يا فاتكُ بنَ فَضَالةَ بنِ شَرِيكِ

تولى الكوفة رجل من بنى تميم فانكسر المنبر من تحته فهجاهم

أخبرنى علىّ بن سُليمان الأخفَش عن السُّكَّرىّ قال حدّثنى ابنُ حبيبَ قال : وَلِىَ الكوفةَ رجلٌ من بنى تميم يقال له مَطَرٌ[2]، فلما علَا المِنْبَرَ انكسرت الدَّرَجةُ من تحته فسقَط عنها؛ فقال الأُقَيْشرُ :

---

(١) الأسر : شدّة الخلق . وينبض : يتحرك . (٢) فى ج ، ب ، س : « مطرف » وهو تحريف . وهو مطر بن ناجيـة اليربوعى ، كان غلب على الكوفة أيام الضحاك بن قيس الشارى . (راجع كتاب الشعر والشعراء صفحة ٣٥٣) وفيه بعد البيتين اللذين ذكرهما المؤلف :

خلعوا أمير المؤمنين وبايعوا * مطرا لعمرك بيعـة لا تظهر

واستخلفوا مطرا فكان كقائل * بدل لعمرك من يزيد أعور

أبَنِى تَمِيمٍ ما لِمِنْبَرِ مُلْكِكُمْ * ما يَسْتَقِرّ قرارُه يَتَمَرْمَرُ[1]

إنّ المنابرَ أنكرتْ أستاهَكم * فادعُوا خُزَيْمةَ يَسْتَقِرّ المنبرُ

سئل عن قريظة ابن قرظة فتكاسل عن ذكر اسمه فهجاه فرد عليه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال :

مرّ رجلٌ من مُحَارِبٍ يقال له قُرَيْظةُ بن يَقَظَةَ بالأُقَيْشِر الأسَدىّ وهو فى مجلس من مجالس بنى أَسَدٍ، فسلّم على الأُقَيْشِر وكان به عارفًا . فقال له القومُ : مَنْ هذا يا أبا مُعْرِض؟ وكان مخمورًا، فقال :

٩٥
—
١٠

وَمَنْ لِى بأنْ أستطيعَ أن أذكُرَ اسْمَه * وأَعْيا عِقالًا أن يُطيقَ له ذِكرا[2]

قال : فضحك القومُ وقالوا : سبحانَ الله! أىُّ شىء تقول ؟ فقال : اسْمُه ونَسَبُه أعظمُ من أن أقدِر على ذكرهما فى يومٍ، فإنْ شئتُمْ سمّيته اليومَ ونسبتُه غدًا، وإنْ شئتُمْ نسبتُه اليومَ وسمّيته غدًا . قالوا : هاتِ اسمَه اليومَ . فقال : قُرَيْظَةُ[3] . فقال رجل منهم : ينبغى أن يكونَ ابنَ يَقَظةَ . فقال الأُقَيْشِر : صدقتَ والله وأصبتَ، ولقد أثقلنى اسمُه حين ذكرتَه أن أقولَ نَعَمْ . فبلغ قريظةَ[3] قولُه وكان شاعرا فقال :

لِسانُك من سُكْرٍ ثقيلٌ عن التُّقَى * ولكنّه بالمُخْزِياتِ طليقُ

وأنتَ حقيقٌ يا أُقَيْشِرُ أن تُرَى * كذاك إذا ما كنتَ غيرَ مُفيقِ[4]

تَسَفُّ من الصهباء صِرفًا تخالُها * جَنَى النَّحلِ يُهْدِيه إليكَ صديقُ

فبلغ الأُقَيْشِرَ قولُ المحاربىّ وكان يُكْنَى أبا الذيّال، فأجابه فقال :

عَدِمْتُ أبَا الذيّالِ من ذِى نَوالةٍ[5] * له فى بيوتِ العاهراتِ طريقُ

(١) يتمرمر : يهتز ويضطرب . (٢) كذا فى الأصول . ويحتمل أن يكون صوابه «وأعيا عقالا أن أطيق له ذكرا» أى أعيا أنا أن أطيق له ذكرا لاعتقال لسانى . على أننا لم نجد «عقالا» فى معجمات اللغة بمعنى اعتقال اللسان . (٣) فى ج «قرظة» . (٤) فى هذا البيت إقواء . (٥) كذا فى الأصول!

أبالخمرِ عيّرتَ امرأً ليس مُقلِعًا * وذلك رأىٌ لو علمتَ وثيقُ
سأشربها مادُمتُ حيًّا وإن أمُتْ * ففى النَّفس منها زفرةٌ وشهيقُ

سمع الرشيد من يتغنى بشعر له فى توبته من الخمر فأعجب به

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشِّيعىّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال :

بلغنى أنّ الرشيدَ سمع ليلةً رجلًا يغنّى :

٥ إنْ كانتِ الخمرُ قد عزّتْ وقد مُنِعتْ * وحال من دونها الإسلامُ والحَرَجُ
فقد أُباكِرُها صِرْفًا وأشربُها * أَشْفِى بها غُلَّتِى صِرْفًا وأَمتزِجُ (١)
وقد تقومُ على رأسى مُغنِّيةٌ * لها إذا رجّعتْ فى صوتها غُنُجُ
وترفع الصوتَ أحيانًا وتَخفِضُه * كما يَطِنُّ ذُبابُ الرَّوضةِ الهَزِجُ

قال : فوجّه فى أثر الصوت مَنْ جاءه بالرجل وهو يُرعَدُ، فقال : لا تُرَعْ فإنّما أعجبنى
١٠ حُسْنُ صوتِك . فقال : والله يا أميرَ المؤمنين ما تغنّيت بهذا الشعر إلّا وأنا قد تُبْتُ
من شرب النَّبيذ، وهذا شعرٌ يقوله الأُقَيْشِرُ فى توبته من النَّبيذ . فقال له الرشيدُ :
وما حمَلَكَ على تركه ؟ قال : خَشْيةُ الله . وإنّى فيه يا أميرَ المؤمنين كما قال زيدُ
ابن ظَبْيان :

جاءوا بقاقُزَّةٍ (٢) صَفراءَ مُترَعةٍ * هل بين ذى كَبْرةٍ والخمرِ من نَسَبِ
١٥ بئس الشَّرابُ شرابًا حين تَشربُه * يُوهِى العِظامَ وطورًا مُفتِرُ العَصَبِ
إنّى أخافُ مَليكى أنْ يُعذِّبَنى * وفى العشيرةِ أن يُزرَى على حَسَبِى

---

(١) فى ديوان أبى محجن (نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية) :
فقد أباكرها ريا وأشربها * صرفا وأطرب أحيانا فأمتزج
وقال شارحه : « أراد فقد باكرتها وشربتها صرفا وربما طربت فزجتها . وكان ينبغى أن يقول شربتها
٢٠ ممزوجة وربما طربت فأصرفتها . ولما قاله وجه ، وهو أنه اذا طرب مزجها لئلا تدخله فى السكر .
وجاء بلفظ المستقبل وهو يريد الماضى » . (٢) القاقزة : الصغيرة من القوارير (أى الكأس
الصغيرة) ، ويقال فيها «قاقوزة» و «قازوزة» فارسية معربة .

فقال له الرشيد: أنتَ (١) وما اخترتَ أعلَمُ، فأعِدِ الصوتَ، فأعاده. وأمر بإحضار المغنّين واستعادَه، وأمَرهم بأخذه عنه فأخذوه، ووصَله وآنصرف، وكان صوتَ الرّشيد أيّاما. هكذا ذكر إسماعيل بن يونُس عن عُمر بن شَبّة فى هذا الخبر أن الأبيات للأُقيشر، ووجدتُها فى شعر أبى مِحْجَن الثَّقفىّ له لمّا تاب من الشّراب.

٩٦ / ١٠

خرج لغزو الشام فباع حماره وأنفق ثمنه فى الفجور ثم رجع مع الغازين

أخبرنى علىُّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سَعيد عن محمد بن حَبيبَ قال:

كان القُبَاعُ (٢)، وهو الحارثُ بن عبد الله بن أبى رَبيعةَ، قد أخرج الأُقَيْشرَ مع قومه لقتال أهل الشّأم، ولم يكن عند الأُقيشر فرسٌ فخرج على حمار، فلمّا عبَر جِسْرَ سُورا (٣) فوصل لقريةٍ يقال لها قنّين (٤) تَوَارَى عند خَمّارٍ نَبَطىٍّ يُبْرِز زوجتَه للفُجور، فباع حمارَه وجعل يُنفقه هناك ويشرَب بثمنه ويفجُر إلى أنْ قفَل الجيشُ، وقال فى ذلك:

خرجتُ من المِصْر الحَوَارِىِّ (٥) أهلُه * بلا نَدْبةٍ فيها آحتسابٌ ولا جُعْلِ

إلى جَيْش أهلِ الشّأم أُغْزِيتُ (٦) كارهًا * سَفَاهًا بلا سيف حديد ولا نَبْلِ

ولكنْ بِتُرْسٍ ليس فيه (٧) حِمالةٌ * ورُمْحٍ ضَعيف الزُّجّ مُنْصَدِعِ النَّصْلِ

---

(١) الواو هنا بمعنى الباء، أى أنت أعلم بما اخترت. (٢) راجع فى الأغانى (ج ١ صفحة ١١٠ من هذه الطبعة) بعض سيرته وسبب تلقيبه بالقباع. (٣) سورا (بالضم والقصر): قرية بالعراق من أرض بابل، وقد نسبوا اليها الخمر. وسوراء (بالضم والمدّ): موضع قرب بغداد، وقيل هو بغداد نفسها. وقد وردت هذه الكلمة فى شعر الأقيشر الآتى ممدودة، فالظاهر أنه يريد الأخيرة، ويحتمل أن يكون أراد الأولى فمدها كما مدّها عبيد الله بن الحر فى قوله:

ويوما بسوراء التى عند بابل * أتانى أخو عجل بذى لجب مجر

(٤) لم نهتد الى هذه القرية فى مظانها. (٥) أى الصديق أهله.

(٦) فى الأصول: «أغريت» بالراء المهملة، وهو تصحيف. وأغزاه: حمله على الغزو.

(٧) فى الأصول «فيها».

حَبَـانى به ظُـلْمُ القُبَاعِ ولم أجِدْ * سوى أمرِه والسَّيْرِ شيئًا من الفِعْلِ

فأزمعتُ أمْرِى ثم أصبحتُ غازيًا * وسَلّمتُ تسـليمَ الغُـزاةِ على أهلى

وقلتُ لَعَلِّى أنْ أُرَى ثَمَّ راكبًا * على فرسٍ أو ذَا مَتـاعٍ على بَغْـلِ

جَـوادِى حمارٌ كان حينًا لِظَهْـرِه * إكافٌ وإشـناقُ(1) المَزَادةِ والحبلِ

وقـد خان عينيه بيـاضٌ وخانَه * قوائمُ سَـوْءٍ حين يُزْجَرُ فى الوَحْلِ(2)

إذا ما انتحَى فى المـاءِ والوَحْلِ لم تَرِمْ * قوائمُـه حـتّى يُؤَخَّرَ بالحَبْـلِ

أنادِى الرِّفاقَ باركَ الله فيكـمُ * رُوَيْدَكُمُ حتّى أجوزَ إلى السَّهْـلِ

فسِرْنَا الى قنّين يومًا وليـلةً * كأنّا بَغَايَا ما يَسِرْنَ الى بَعْـلِ

إذا ما نزلنـا لم نَجِـدْ ظِلَّ ساحةٍ * سوى يابسِ الأنهارِ(3) أو سَعَفِ النخلِ

مَرَرْنَا على سُـورَاءَ نَسْمَعُ جِسْرَها * يَئِطُّ(4) نَقِيضًا عن سـفائنه الفضلِ(3)

فلمّا بدا جسرُ الصَّراةِ وأعرضت * لنا سُوقُ فَرَّاغِ الحديثِ إلى شُغْلِ

نزلنـا إلى ظِـلٍّ ظليـلٍ وباءةٍ(5) * حَـلالٍ برغم القلطهان(6) وما نفـلِ(7)

يُشَارِطُه مَنْ شاءَ كان بدرهمٍ * عَرُوسًا(8) بمـا بين السَّبيئةِ(3) والنَّسْلِ

فأتبعتُ رُمْحَ السَّـوْءِ سَمِيةَ(3) نصـله * وبِعْتُ حمارى واسترحتُ من الثِّقْلِ

---

(1) كذا فى الأصول. والذى فى كتب اللغة أنه يقال شنق المزادة وأشنقها اذا أوكاها وربطها. والبيت بعد ذلك غير واضح. (2) الوحل (بسكون الحاء): لغة قليلة فى الوحل (بالتحريك). (3) كذا فى الأصول! (4) يئط: يصوّت. والنقيض: الصوت مثل صوت المحامل والرحال اذا ثقل عليها الركبان. (5) الباءة: النكاح. (6) كذا فى الأصول. وأحسب أنها محرفة عن «القلطبان» وهو الديوث الذى لا غيرة له على أهله مثل القرطبان. (7) كذا فى الأصول. وأحسب أن صوابه: «وما نغلى» أى نبلغ ما نريد من الباءة وغيرها دون أن نعطى ثمنا غاليا. ويجوز أن يكون «وما يغلى» أى لا يطلب القلطبان ثمنا غاليا. (8) كذا فى ح. وفى سائر الأصول: «بشارطة».

تقول ظبـايا قل قليـلا ألا ليـا * فقلتُ لهـا إصوى فإنّى على رِسْلِ (١)

مهرتْ لهـا جرديقـة فتركـتُها * بمرها كطَرْفِ العين شائلةَ الرِّجْلِ (٢)

مما يغنى فيه من شعره

ومما يُغَنَّى فيه من شِعْر الأُقَيْشِر :

صـــــوت

لَا أَشْرَبَنْ (٣) أبدًا راحًا مُسَارِقَةً (٤) * إلّا مع الغُـــرِّ أبنـاءِ البَطَارِيقِ (٥)

أفَنِي تِلَادِي (٦) وما جَمَّعتُ من نَشَبٍ * قَــرْعُ القَوَاقِيزِ أفـواهُ الأباريقِ (٧)

الغناء لِحُنَيْنٍ هزجٌ بالبنصر عن عمرو . وفيه لعمر الوادى رملٌ بالبنصر عن الهشامى . وفيـه ثقيلٌ أول يُنْسب إلى حُنَـيْنٍ وعُمَـر وحَكَمٍ جميعًا . وهـذا الغناء المذكور من قصيدة للأُقَيْشر طويلةٍ ، أولُها :

إنّى يذكّرنى هنـدًا وجارتَهـا * بالطَّفِّ صوتُ حَمامات على نِيق (٨)

(١) كذا ورد هذا البيت فى الأصول . وأحسب أن بعض كلماته نبطى أورده الشاعر حكاية لما كان بينه وبين من ظفر بها من بنات النبط من حوار . (٢) كذا ورد هذا البيت فى الأصول ! .

(٣) فى الشواهد الكبرى للعينى : «لا تشربن» وهى الرواية التى توافق سياق القصيدة ؛ إذ قبل هذا البيت :

عليك كل فتى سمح خلائقه * محض العروق كريم غير ممذوق

ولا تصاحب لئيما فيه مقرفة * ولا تزورن أصحاب الدوانيق

وأحسب أن ما هاهنا من تغيير المغنين . (٤) فى حاشية الأمير على مغنى اللبيب (فى الباب الخامس) : «مسردة» وفسر المسردة بالمتوالية . (٥) الغر هنا : السادة الأشراف ؛ يقال رجل أغر إذا كان كريم الأفعال واضحها . والبطاريق : جمع بطريق وهو القائد أو العظيم من الروم . ويقال : إن البطريق عربى وافق العجمى . (٦) التلاد : المال القديم من تراث وغيره . والنشب : المال الثابت كالدار ونحوها ، أو هو المال الأصيل من الناطق والصامت . (٧) القواقيز : ضرب من الرواطيم وهو الكئوس الصغيرة . وإضافة القرع إلى القواقيز من إضافة المصدر إلى فاعله ، وأفواه الأباريق مفعوله . ويروى برفع الأفواه ، فيكون المصدر مضافا إلى مفعوله ، والأفواه فاعله .

(٨) الطف : موضع بناحية الكوفة . والنيق : حرف من حروف الجبل ، وأرفع موضع فيه .

* * *

صـــوت

دَعانى دَعْوةً والخيلُ تَرْدِى * فلا أدرِى أبِٱسْمِى أمْ كَنَانِى

وكانَ إجابتى إيّاهُ أنِّى * عَطَفْتُ عليه خَوّارَ العِنانِ

الشعر لابن الغَرِيزَةِ النَّهْشَلىّ . والغناء ليحيى المكىّ رملٌ بالوسطى عن الهشامىّ . وقد ٥ جعل المُغنُّون معه هذا البيتَ ولم أجِدْه فى قصيدته ، ولا أدرى أهُوَ له أم لغيره :

أَلَا يا مَن لِذَا البَرْقِ اليَمَانِى * يلوحُ كأنّه مِصْباحُ بانِ (١)

---

(١) البانى هنا : الداخل بأهله . وأصله أنه كان كل من أراد منهم الزفاف بنى قبة على أهله ؛ ثم قيل لكل داخل بان وان كان قد دخل عليها دارا قد بنيت قبله . و يضرب بمصباح البانى المثل فيا يبقى ١٠ ليله ولا يزول . (راجع ما يعول عليه فى المضاف والمضاف اليه) .

أخبار ابن الغَرِيزَة ونسبه (١)

نسب ابن الغريزة

كَثِيرُ بن الغَرِيزة التميمىّ أحدُ بنى نَهْشَلٍ . والغَرِيزَةُ أُمّه . وهو مُخَضْرَمٌ، أدرك الجاهليّة والإسلام، وقال الشعرَ فيهما . وهذا الشعر يقوله ابنُ الغَرِيزة فى غَزاةٍ غزاها الأقرعُ بن حابِسٍ وأخوه بالطّالَقانِ (٢) وجُوزَجَانَ وتلك البلادِ، فأُصيبَ مِنْ أصحابِهِ قومٌ بالطّالَقانِ فرثاهم ابنُ الغَرِيزة .

قصيدته التى يذكر فيها يوم الطالقان ويرثى من قتل فيه

أخبرنى الصُّولىّ عن الحَزَنْبَلِ عن ابن أبى عمرو الشَّيْبانىّ عن أبيه قال :

بعث عُمَرُ بنُ الخَطّاب الأقرعَ بنَ حابِسٍ وأخاه على جيشٍ إلى الطّالَقان وجُوزَجَانَ وتلك البلادِ، فأُصيب من أصحابه قومٌ بالطّالَقان ، فقال ابن الغَرِيزة النَّهشلىّ وقد شهِد تلك الوَقْعةَ يَرْثِيهم ويذكر ذلك اليوم :

سَقَى مُزْنُ السَّحَابِ إذا آسْتهلّتْ * مَصَارِعَ فِتْيةٍ بالجُوزَجانِ

إلى القَصْرَيْنِ من رُسْتاقِ خُوطٍ (٣) * أبادَهُمُ هناكَ الأقرعانِ (٤)

وما بِى أنْ أكونَ جَزِعْتُ إلّا * حنينَ القلبِ للبَرْقِ اليَمانِى

ومَحْبُورٍ بِرُؤْيَتِنا يُرَجّى الـ * ـلقاءَ ولن أراه ولن يَرانِى

(١) كذا فى شرح التبريزى لديوان الحماسة (صفحة ٤٦٠ طبعة مدينة « بن » سنة ١٨٢٨م) ومعجم البلدان فى الكلام على «جوزجان» ومعجم الشعراء للرزبانى . وفى الأصول فى كل المواضع : «الغريرة» بالراء المهملة . (٢) الطالقان : بلدتان، إحداهما بخراسان بين مرو الروز وبلخ، بينها وبين مرو الروز ثلاث مراحل . والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر، وبها عدّة قرى يطلق عليها هذا الاسم . (عن معجم البلدان لياقوت باختصار) . وجوزجان : كورة واسعة من كور بلخ بخراسان، وهى بين مرو الروز وبلخ . (٣) القصران هنا : مدينة السيرجان بكرمان كانت تسمى القصرين . (عن معجم البلدان) . وخوط هنا : من قرى بلخ . ورستاقها : سوادها وقراها .
(٤) يريد بالأقرعين الأقرع بن حابس وأخاه .

وربَّ أخٍ أصاب الموتُ قبلي * بكيتُ ولو نُعيتُ له بكاني
دعاني دعوةً والخيلُ تَرْدِي(١) * فما أدرى أباسْمِي أم كَنانِي
فكان إجابتي إيَّاهُ أنِّي * عطفتُ عليه خوَّارَ العِنانِ(٢)
وأيَّ فتًى دعوتَ وقد تولَّتْ * بهنّ الخيلُ ذاتُ العنظوانِ(٣)
وأيَّ فتًى إذا ما مُتُّ تدعو * يُطَرِّفُ(٤) عنكَ غاشيةَ السِّنانِ
فإنْ أهلِكْ فلم أكُ ذا صُدوفٍ(٥) * عن الأقرانِ في الحربِ العَوانِ
ولم أُدلِجْ(٦) لأطرُقَ عِرْسَ جارى * ولم أجعلْ على قومي لِساني(٧)
ولكنّي إذا ما هايجوني * منيعُ الجارِ مُرتفعُ البَنانِ
ويَكْرَهُني إذا آستبسلتُ قِرْني * وأقضى واحدًا ما قد قضاني
فلا تستبعدا يومي فإنِّي * سأُوشِكُ مرَّةً أنْ تفقدانِي
ويُدرِكُني الَّذي لا بُدَّ منه * وإنْ أشفقتُ من خوفِ الجَنانِ(٨)
وتبكيني نوائحُ مُعْوِلاتٌ * تُركْنَ بدارِ مُعْتَرَكِ الزَّمانِ
خَبائسُ بالعراقِ مُنَهْنِهاتٌ(٩) * سواجي الطَّرْفِ كالبقرِ الهِجانِ

(١) ردت الفرس تردى (وزان رمى) رديا (بالفتح) ورديانا (بالتحريك): رجمت الأرض بحوافرها، أو هو ضرب من السير بين العدو والمشى. (٢) خوّار العنان من الخيل: السهل المعطف الكثير الجرى. (٣) كذا فى الأصول! . (٤) يقال: طرّف عن العسكر إذا قاتل عن أطرافه. وإنما أراد هنا يحميك ويصرف عنك غاشية السنان أى يجعلها عنك فى طرف وناحية. (٥) فى الأصول: «ذا صروف» وهو تحريف. والصدوف: الإعراض. يريد أنه لا يعرض عن أقرانه ولا يفر من لقائهم. (٦) الإدلاج: السير من أوّل الليل. وعرس الرجل: زوجه. (٧) يريد أنه لا يشتم قومه ولا يهجوهم.

(٨) لعل الجنان هنا: الظلام، على أن يكون المخوف ظلام القبر.

(٩) نهنه فلان دمعه: كفه. وسواجى الطرف: ساكنات العيون. والهجان: البيض.

أَعاذِلَتَىَّ مِنْ لَوْمٍ دَعَانِى * وللرُّشْدِ المُبَيَّنِ فَاهْدِيانى
وعَاذِلَتَىَّ صَوْتُكما قريبٌ * ونَفْعُكما بعيدُ الخَيْرِ وانِى
فَرُدّا الموت عنّى إن أتانى * ولَا وأبيكما لا تفعلانِ

* * *

صــــوت

دارٌ (١) لقاتلةِ الغَرانِقِ ما بها * غيرُ الوُحوشِ خلتْ (٢) له وخلَا لَهَا
ظَلَّتْ تُسائل بالمُتَيَّمِ ما به * وهِىَ الّتى فعلتْ به أفعالَهَا

الشعرُ لأعْشَى بنى تَغْلِبَ من قصيدة يمدح بها مَسْلَمَةَ بنَ عبدِ الملك ويهجو جريرًا ويُعين الأخطلَ عليه . ويُروَى "رَبْعٌ (٣) لقانصة الغرانق" وهو الصحيحُ هكذا ، ويُغَنَّى "دارٌ لقاتلة" لأنّه يقول فى آخر البيت "خَلَتْ (٤) له وخلا لها" . والغناء لعبد الله ابن العبّاس ثانى ثقيلٍ بالبنصر عن عَمْرو بن بانةَ وابن المكّىّ . وفيه لمُخارِقٍ رملٌ من جميع أغانيه .

---

(١) قبل هذا البيت :

ألم على دمن تقادم عهدها * بالجزع واستلب الزمان جمالها

والغرانق — ومثله الغرانيق — : جمع غرنوق (بالضم) وغرنوق (بكسر فسكون ففتح) وغرنيق (بالكسر) وهو الشاب الناعم .

(٢) فى الأصول : «خلت لها» والتصويب من شعر الأعشين، ويدل عليه كلام المؤلف بعد .

(٣) فى شعر الأعشين : «رسم لقاتلة الغرانق» .

(٤) فى الأصول : «خلت لها» وهو لا يساير سياق الكلام .

أخبار أعشى بنى تَغْلِبَ ونسبه

نسب أعشى تغلب وكان نصرانيا

قال أبو عمرو الشيبانىّ : اسمه ربيعةُ . وقال ابنُ حَبِيبَ : اسمه النُّعْمان بنُ يحيى ابن مُعَاوِيَةَ ، أحدُ بنى مُعاوية بن جُشَم بن بَكْرِ بن حُبَيْب بن عمرو بن تَغْلِبَ بن وائل ابن قاسط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِىّ بن جَدِيلة بن أَسَد بن رَبِيعة بن نِزَار، شاعرٌ من شُعراء الدولة الأمويّة ، وساكنى الشأم إذا حَضَر ، وإذا بَدَا نزل فى بلاد قومه بنواحى المَوْصِل وديار رَبِيعةَ . وكان نَصْرانيًّا ، وعلى ذلك مات .

قصته مع الحر ابن يوسف

أخبرنى علىُّ بن سليمانَ الأخفشُ عن أبى سَعِيد السُّكَّرِىّ[1] قال حدّثنا محمد بن حَبِيبَ عن أبى عمرو الشيبانىّ قال :

كان أعشى بنى تَغْلِبَ يُنادم الحُرَّ بن يُوسُفَ بن يحيى بن الحَكَم . فشرِبا يومًا فى بُسْتانٍ له بالمَوْصِل ، فسكِر الأعشى فنام فى البستان . ودعا الحُرُّ بجواريه فدخلنَ عليه قُبَّتَه . واستيقظ الأعشى فأقبل ليدخلَ القبّة ، فمانعه الخَدَمُ ، ودافعهم حتى كاد أن يهجُم على الحُرِّ مع جواريه ، فلطَمه خَصِىٌّ منهم ، فخرج إلى قومه فقال لهم : لطَمنى الحُرُّ . فوثب معه رجلٌ من بنى تَغْلِبَ يقال له ابن أَدْعَجَ وهو شِهَابُ بن هَمّام ابن ثَعْلَبَةَ بن أبى سَعْد ، فاقتحما الحائطَ[2] وهجَما على الحُرّ حتى لطَمه الأعشى ثم رجَعا . فقال الأعشى :

كأنّى وابنَ أَدْعَجَ إذ دَخَلْنا * على قُرَشِيِّكَ الوَرِعِ[3] الجَبَانِ

---

(١) فى الأصول : « السدى » وهو تحريف . ورواية على بن سليمان الأخفش عن أبى سعيد السكرى عن محمد بن حبيب وردت كثيرا فى الأغانى ، ومن ذلك ما ورد فى الجزء الثالث (صفحة ١٠ سطر ١٦) .
(٢) الحائط : البستان .
(٣) الورع : الضعيف الجبان .

هِـزَبْرًا غَابةٍ وَقَصَا حِمَارًا * فَظَلَّا حَوْلَه يَتَناهشانِ

أنا الجُشَمِىُّ من جُشَمَ بنِ بَكْرٍ * عَشِيَّةَ رُعْتُ طَرْفَكَ بالبَنَانِ

— أى لطمتُك . وقوله « أنا الجشمى » أى مِثْلِى يفعل ذلك بمثلك —

فما يسطيع ذو مُلْكٍ عِقَابِى * إذا اجترَمتْ يَدِى وجَنَى لِسَانِى

عَشِيَّةَ غاب عنك بنو هشامٍ * وعثمانُ ابنُها وبنــو أَبَانِ

تَرُوحُ إلى مَنَازِلِها[2] قُــرَيْشٌ * وأنت مُخَيِّمٌ بالزَّرَّقانِ

والزَّرَّقانُ : قريةٌ كانت للحُرِّ بسِنْجار[3] .

مدح مدركا الكنانى فأساء ثوابه فهجاه

قال ابن حَبِيبَ : مدَح أعشَى بنى تَغْلِبَ مُدْرِكَ بنَ عبد الله الكِنَانىَّ أحد بنى أُقَيْشِر بن جَذِيمةَ بن كَعْب فأساء ثوابَه؛ فقال الأعشى :

لَعَمْرُكَ إنّى يومَ أمدَحُ مُدْرِكًا * لَكَالْمُبْتَنِى حَوْضًا على غيرِ مَنْهَلِ

أَمَرَّ الهَوَى دُونِى وفَيَّلَ[4] مِدْحَتِى * ولَوْ لِكَرِيمٍ قُلْتُها لم تُفَيَّلِ

شعره فى شمعلة بن عامر حين قطع الخليفة بضعة من فخذه

قال ابنُ حَبِيبَ : كان شَمْعَلةُ بن عامرِ بن عَمْرِو بن بَكْرٍ أخو بنى فائدٍ وهم رَهْطُ الفرس نَصْرانيًّا[5] وكان ظريفًا، فدخل على بعض خُلَفاء بنى أُمَيَّةَ ، فقال : أَسْلِمْ ياشمعلةُ . قال : لا والله أُسلم كارهًا أبدًا، ولا أُسلم إلّا طائعًا إذا شئتُ . فغضِب فأمر به فقُطِعتْ بَضْعةٌ من فَخِذه وشُوِيتْ بالنار وأطعِمَها . فقال أعشى بنى تَغْلِبَ فى ذلك :

أمِنْ حُذَّةٍ[6] بالفَخْذ منك تباشرتْ * عِدَاكَ فلا عارٌ عليك ولا وِزْرُ

وإنّ أمــيرَ المؤمنين وجَرْحَه * لَكَالدَّهْرِ لا عارٌ بما فعل الدهرُ

---

(١) وقص عنقه : كسرها ودقها . (٢) كذا صححه الشنقيطى بقلمه فى نسخته . وفى الأصول : « منازلنا » . وهو تحريف . (٣) سنجار : مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة بينها و بين الموصل ثلاثة أيام . (عن معجم البلدان) . (٤) فيله : قبحه وخطأه . يريد أن الممدوح لم يقدر مدحته قدرها ولم يثبها ثوابها . (٥) كذا فى الأصول ! . (٦) فى الأصول : « جذوة » بالجيم وهو تحريف . والحذة (بالضم) : القطعة من اللحم .

وفد على عمر بن عبد العزيز فلم يعطه فقال شعرا

وقال ابن حبيبَ قال أبو عمرو :

كان الوليدُ بن عبد الملك محسنًا الى أعشى بنى تَغْلِب ، فلمّا وَلِى عمرُ بن عبد العزيز الخلافةَ وفَد إليه ومدَحه فلم يُعْطِه شيئا ، وقال : ما أرى للشُّعراء فى بيت المال حقًّا ، ولو كان لهم فيه حقٌّ لَمَا كان لك ، لأنّك امرؤٌ نصرانىٌّ . فانصرف الأعشى وهو يقول :

لَعَمْرِى لقد عاش الوليدُ حياتَه * إمامَ هُدًى لا مُسْتَزادٌ ولا نَزْرُ

كأنّ بنى مَرْوانَ بعدَ وفاته * جلاميدُ لا تَنْدَى وإنْ بلّها القَطْرُ

شعره حين قعد مالك بن مسمع عن معاونة بنى شيبان

وقال ابن حبيبَ عن أبى عمرو : كانتْ بين بنى شَيْبانَ و بين تَغْلِبَ حروبٌ ، فعاون مالكُ بن مِسْمَع بنى شَيْبانَ فى بعضها ثم قعَد عنهم . فقال أعشى بنى تَغْلِبَ فى ذلك :

بنى أُمّنا مَهْلًا فإنّ نفوسَنا * تُميتُ عليكم عَتْبَها ومَصالَها(1)

وتَرْعَى بلا جهلٍ قَرابةَ بَيْننا * وبَيْنَكُمُ لَمّا قطَعتُمْ وِصالَها

جزى اللهُ شيبانًا وتَيْمًا مَلامةً * جزاءَ المُسىءِ سَعْيَها وفِعالَها

أبَا مِسْمَعٍ مَنْ تُنْكِرِ الحقَّ نَفْسُه * وتَعْجِزْ عن المعروف يَعْرِفْ ضَلالَها

أأوقدتَ نارَ الحرب حتّى إذا بَدَا * لنفسِكَ ما تَجنِى الحروبُ فهالَها

نَزَعْتَ وقد جَرَّدْتَها ذاتَ مَنْظَرٍ * قَبِيحٍ مُهِينٍ حيثُ ألقتْ حِلالَها(2)

ألَسْنا إذا ما الحربُ شَبَّ سعيرُها * وكان صَفِيحُ(3) المَشْرَفىّ صِلالَها(4)

(١) المصال : لعله هنا مصدر صال يصول اذا سطا . (٢) الحلال هنا : متاع الرحل .

(٣) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : « سفيح » بالسين . والصفيح : جمع صفيحة وهى هنا السيف العريض . والمشرفىّ : المنسوب الى المشارف وهى قرى قرب حوران تنسب اليها السيوف المشرفية ، نسب الى المفرد . وقال الأصمعىّ : المشرفية منسوبة الى مشارف وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف ، وحكى الواحدى أنها بأرض اليمن . وأحسب أن صوابه « وكان الصفيح المشرفىّ » . (٤) كذا !

أجارتَنا حِلٌّ لكم أنْ تَناولوا (١) * محارِمَها وأنْ (٢) تميزُوا حلالَها

كذبتم يَمِينُ اللهِ حتى تعاوَرُوا * صُدورَ العوالى بيننا ونِصالَها (٣)

وحتى ترى عينُ الذى كان شامتاً * مَزاحفَ (٤) عَقْرَى بيننا ومجالَها

* * *

صـــوت

ويَفْــرَحُ بالمولود من آل بَرْمَكٍ * بُغاةُ النَّدَى والرُّمْحُ والسَّيْفُ والنَّصْلِ

وتَنْبَسِطُ الآمالُ فيـــه لِفَضْـلِه * ولا سِيَّمَا إنْ كان من وَلَدِ الفَضْلِ

الشعرُ لأبى النَّضِـيرِ. والغناء لإسحاق، ثقيـلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمـرو بن بانَةَ من مجموع إسحاق. وقال حَبَش: فيـه لإبراهيم الموصلىّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو ابن بانةَ من مجموع إسحاق. وقال حبشٌ: فيه لابراهيم الموصلىّ ثقيلٌ آخَرُ بالوُسْطَى. ولِقَضِيبَ وبَرَاقِشَ جاريتى يحيى بن خالد فيه لحنان.

---

(١) فى ب، س: «أن تنازلوا» وهو تحريف. (٢) فى أ، م: «أو أن تميزوا». وكلمة «تميزوا» هاهنا غير واضحة فى السياق، ولم نهتد الى ما نطمئن اليه فى تصويبها.

(٣) تعاوروا الشىء: تداولوه. والعوالى: أطراف الرماح، الواحدة عالية. والنصال: جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح، وهو حديدة السيف ما لم يكن لها مقبض، فان كان لها مقبض فهو سيف.

(٤) المزاحف: جمع مزحف وهو مكان الزحف أى المشى. وعقرى: جمع عقير، كجريح وجرحى.

أخبار أبي النَّضيرِ ونسبه

اسم أبى النضير ونسبه

أبو النضير اسمُه عُمَرُ بن عبد المَلِكِ، بَصْرِىٌّ. مولًى لبنى جُمَحَ .

أخبرنا بذلك عمِّى عن ابن مهرويه عن إسحاق بن محمد النَّخَعىّ عن إسحاق ابن خَلَفٍ الشاعر قال : قلت لأبى النَّضير بن أبى الياس : لمن أنت ؟ [1] فقال : لبنى جُمَحَ . وذكر أبو يحيى اللّاحِقىُّ أنّ اسمَه الفضلُ بن عبد الملك . شاعرٌ من شعراء البصريّين، صالحُ المَذْهَبِ، ليس من المعدودين [2] المتقدّمين ولا من المولَّدين الساقطين . وكان يغنّى بالبَصْرة على جَوارٍ له مولَّدات، ويُظْهِرُ الخَلاعةَ والمُجونَ والفِسْق. ويُعاشر جماعةً ممن يُعْرَفُ بذلك الشأن . وكان أبانُ اللّاحِقىُّ يُعاشره ثم تَصارَما، وهجاه وهجا جواريَه وافترقا على قِلًى، ثم انقطع أبو النَّضيرِ إلى البرامكة فأغْنَوْه الى أن مات .

هو شاعر بصرى انقطع الى البرامكة فأغنوه

قال إسحاق الموصلى إنه أظرف الناس

أخبرنا ابن أبى الأزهر عن حمّاد بن إسحاق قال سمعتُ أبى يقول : لو قِيل لى مَنْ أظرفُ مَنْ رأيتَه قطُّ أو عاشرتَه، لقلتُ : أبو النَّضيرِ .

دخل على الفضل ابن يحيى فهنأه بمولود ارتجالا

أخبرنى عيسى الورّاق عن الفضل اليزيدى عن إسحاق، وأخبرنى محمد بن مَزْيد عن حمّاد عن أبيه قال :

وُلِد للفَضْلِ بن يحيى مولودٌ، فوفَد عليه أبو النَّضير ولم يكن عرف الخبر فيُعِدَّ له تهنئةً، فلمّا مثَل بين يديه ورأى الناسَ يهنّئونه نَثْرًا ونَظْمًا قال ارتجالًا :

(١) كذا فى ا، وتبعتها ب، س المطبوعتان . وفى م : «من أبى الياس لمن أنت» . وفى جـ : «ابن أبى الناس أنت» . وظاهر أن فيها جميعا تحريفا من النساخ . ولعل صوابه : «...قلت لأبى النضير من أى الناس أنت ؟ فقال : من بنى جمح» أو «... لأى الناس أنت ؟ فقال لبنى جمح» .

(٢) فى الأصول : «المعمودين» .

وَيَفْرَحُ بالمولودِ من آلِ بَرْمَكٍ * بُغاةُ النَّدَى والسَّيْفِ والرُّمْحِ والنَّصْلِ

وتَنْبَسِطُ الآمالُ فيه لِفَضْلِه * ... ...

ثم أُرْتِجَ عليه فلم يَدْرِ ما يقول . فقال الفضل يُلَقِّنه .

* ولا سِيَّمَا إنْ كان من وَلَدِ الفضلِ *

فآستحسن الناس بديهةَ الفضلِ فى هذا ، وأمر لأبى النَّضير بصلة .

نقد الفضل بن يحيى شعرا له فى مدحهم فأجابه

وأخبرنى حبيبُ بن نَصْرٍ عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى بعض المَوَالى قال :

حضرتُ الفَضْلَ بنَ يحيى وقد قال لأبى النَّضير : يا أبا النضير أنت القائل فينا :

إذا كنتُ من بَغْدادَ فى رأسِ فَرْسَخٍ * وجدتُ نسيمَ الجُودِ من آل بَرْمَكِ

لقد ضَيَّقْتَ علينا جِدًّا ، قال : أفلأجل ذلك أيها الأميرُ ضاقتْ علىَّ صِلَتُك وضاقت عنّى مكافأتُك وأنا الذى أقول :

تشاغلَ النّاسُ ببُنْيانِهم * والفضلُ فى بُنْيانه جاهدْ

كُلُّ ذوى الفَضْلِ وأهلِ النُّهَى * للفضلِ فى تدبيره حامدْ

وعلى ذلك فما قلتُ البيتَ الأَوَّلَ كما بلغ الأميرَ ، وإنما قلتُ :

إذا كنتُ من بَغْدادَ مُنْقَطِعَ الثَّرَى[1] * وجدتُ نسيمَ الجُودِ من آل برمك

فقال الفضلُ : إنّما أخَّرتُ عنك لأُمازِحك ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

١٠١ / ١٠

كتب الى عنان وكان يهواها فأجابته

أخبرنى آبن عَمّارٍ عن أبى إسحاق الطَّلْحِىّ عن أبى سُهَيْلٍ[2] قال :

كان أبو النضير يَهْوَى عِنَانَ جاريةَ النَّاطفىّ ، وكتب إليها :

إنّ لى حاجةً فرأيُك فيها * لَكِ نفسى الفِدَا مِنَ الأوصابِ

(١) أحسب أن صوابه « الندى » بمعنى الخير والمعروف .

(٢) فى جـ هنا : « أبى سهل » وتبعتها ب ، س . وقد تكرر هذا السند فى أخبار أبى النضير ، وفى المواضع الآتية فى الأصول جميعا : « أبو سهيل » .

وهْيَ ليستْ ممّا يُبلِّغُه غيـ * ـري ولا أستطيعه بكتابِ

غيرَ أنِّى أقولُها حين ألقا * كِ رُوَيْدًا أُسِرُّها من ثِيابِى

فأجابته وقالت :

أنا مشغولةٌ بمَنْ لستُ أهْوَا * هُ وقلبى مِنْ دونِه فى حِجابِ

٥ فإذا ما أردتَ أمْرًا فأسْرِرْ * هُ ولا تجعلنَّـه فى كتاب

قال : وقال أبو النَّضير فيها : — شعره فى عمان

صوت

أنا واللهِ أهْـوَاكِ * وأهـواكِ وأهـواكِ

وأهوَى قُبْلةً مِنْكِ * على بَـرْدِ ثَنَاياكِ

١٠ وأهوَى لكِ ما أهْوَى * لِنفْسِى وكَفَى ذاكِ

فهَـلْ يَنفَعُنِى ذُلِـ * ـكِ يومًا حين ألقاكِ

أنا والله أهـواكِ * وما يَشْـعُرُ مولاكِ

فإيّاكِ بأنْ يَعلَـ * ـمَ إيّاكِ وإيّاكِ

فيه لعلىّ بن المارِقىّ رَمَلٌ بالبنصر عن الهِشامىّ .

١٥ حدّثنا ابن عَمّار عن الطَّلْحىّ عن أبى سُهَيْل قال : — طلبت منه مكتومة المغنية صوتا كان يغنيه فمازحها

كانَ أبو النضير يُغَنِّى غناءً صالحًا ، فغنّى ذاتَ يومٍ صوتًا كان ٱستفاده ببغداد ، فقالت له قَينةٌ كانت ببغداد يقال لها مكتومةُ : ٱطْرَحْ علىّ هذا الصوتَ يا أبا النَّضير . فقال : لا تَطِيبُ نفسى به مُحَابِيًا ، ولكنِّى أَبيعك إيّاه . قالت : بِكَمْ ؟ قال : برأس مالِه . قالت : وما رأسُ مالِه ؟ قال : ناكَنِى فيه الذى أخذتُه منه . فغطَّتْ وجهَها

٢٠ وقالت : عليك وعلى هذا الصوت الدَّمارُ .

شعر له فى مدح أبى جعفر عبد الله ابن هشام

أخبرنى ٱبن عمّار عن الطّلحىّ عن أبى سُهَيل قال :

قال أبو النضير، وفيه غناءٌ لإبراهيم، :

صـــوت

أيصحو فُـؤادُكَ أمْ يَطْـرَبُ * وكيف وقـد شَحَطتْ زينبُ
جرى النـاسُ قبل أبى جعفرٍ * زماناً فـلم يُـدْرَ مَنْ غَلَّبُـوا
فلمّـا جـرى بأبى جعفـر * بنـو تَغْلِبٍ سَـبَقتْ تَغْلِبُ

قال أبو سُهَيل : وأبو جعفرٍ الذى عناه أبو النَّضِير هو عبدُ الله بن هِشَامِ بن عمرو التَّغْلَبىّ الذى يذكره العَتّابىُّ فى شعره ورسائله ، وكان جوادًا سَخِيًّا . وكان ٱبنُ هشامٍ وَلِى السِّنْد، وفيه يقول أبو النَّضير :

ألَا أيُّها الغيثُ الّذى سحّ وَبْـلُه * كأنّك تَحْكِى راحةَ ٱبنِ هشامِ
كأنّك تَحْكيهـا ولكنّ جُودَه * يدومُ وقـد تأتِى بغـير دوامِ
وفيك جَهامٌ[1] ربّمـا كان مُخلِفًا * وراحتُه تغـدُو بغـير جَهَامِ

كان يرى أن الغناء على تقطيع العروض

١٠٢
١٠

أخبرنى ٱبن عمّار عن الطّلحىّ عن أبى سُهَيلٍ قال :

كان أبو النَّضير يزعُم أنّ الغِناء على تقطيع العَروض، ويقول : هكذا كان الذين مَضَوْا يقولون ، وكان مستهزئًا بالغناء حتى تعاطَى أنْ يُغنِّى ، وكان إبراهيم الموصلىّ يُخالفـه فى ذلك ويقول : العَرُوضُ مُحْدَثٌ ، والغناء قبلَه بزمانٍ . فقال إسحاق بن إبراهيم ينصر أباه :

سَكَتُّ عن الغِناء فـلا أُمَارِى * بَصِـيراً لَا ولا غـيرَ البصـيرِ
مخافـةَ أنْ أُجَنَّنَ فيـه نَفْسِى * كما قـد جُنَّ فيـه أبو النَّضيرِ

(١) الجهام : السحاب لا ماء فيه، والسحاب الذى هراق ماءه .

قاطعه أبان اللاحق وقال شعرا يهجوه

أخبرنى الحسن بن علىّ عن ابن مهروية قال حدّثنى أبو طَلْحة الخُزَاعىّ عن اللّاحِقىّ قال :

كان جَدّى أبَانُ يَشْرَبُ مع إخوانٍ له على شاطئ دِجْلَة بعد مُصارمته أبا النَّضير، وكان القومُ أصدقاءَ له ولأبى النضير، فذكروه . فقال جَدّى : إنْ حضَرَ انصرفتُ، فأمسكوا . فقال جَدّى فيه :

رُبَّ يومٍ بشَطِّ دِجْلةَ لَذٍّ * ولَيَالٍ نَعِمتُ فِيها لِذَاذ
غَيْبةٌ لم تَطُلْ علىّ وماذا * خيرُ قُربِ المُطَرْمِذِ المَلّاذ[1]
تركَ الأشرباتِ ليس بعاطٍ * لِرَساطُونِها ولا الرّاقياذ[2][3]
وحكَى الأحمقَ الذى ليس يَدْرِى * أنَّ خيرَ الشرابِ[4] هذا اللذاذ
ضَلَّ رأىٌ أراه ذاك كما ضَلَّ غُوَاةٌ لاذُوا بشَرِّ مَلَاذِ
أنت أعمَى فيما ادَّعَيْتَ كما لسْـ * ـتَ لِصَوْغ الألحانِ بالأُستاذِ
كان ذنبًا أتوبُ منه إلى اللّٰـ * ـه اختيارِيكَ صاحبًا واتِّخاذى
إنّ لله صومَ شَهْرَيْنِ شُكرًا * أنْ قَضَى منك عاجلًا إنْقاذى
لا لِدينٍ ولا لِدُنيا ولا يَصْـ * ـلُحُ[5] فى علم ما ادَّعَى بنَفاذِ

(١) المطرمذ : الذى يقول ولا يفعل، والذى لا يحقق فى الأمور . والملاذ : المطرمذ المتصنع الذى لا تصح مودته . (٢) العاطى : المتناول . والرساطون : شراب يتخذه أهل الشام من الخمر والعسل، والكلمة رومية . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى جـ : « الراقباذ » بالباء الموحدة . ولم نهتد اليه فى المظان التى راجعناها . وظاهر أن المراد به ضرب من الشراب . (٤) فى جـ : «الشباب» . واللذاذ : مصدر لذذت الشىء لذاذا ولذاذة أى وجدته لذيذا . وظاهر أن فى هذا الشطر تحريفا لم نهتد اليه . (٥) فى الأصول : « تصلح » بتاء الخطاب، ولا يستقيم به سياق الكلام .

كتب الى حماد عجرد يسأله عن حاله فى الشراب فأجابه

حدّثنى ابن عمّار عن الطّلحىّ عن أبى سُهَيل قال :

كتب أبو النّضير الى حمّاد عَجْرد يسأل عن حاله فى الشّراب وشُرْبه إيّاه ومَنْ يعاشر عليه ، فكتب إليه حمّاد :

أبا النّضير اسْمَعْ كلامى ولا * تَجعَلْ سوى الإنصافِ من بالكا

سألتَ عن حالى، وما حالُ مَنْ * لم يَلْقَ إلّا عابدًا ناسكا

يُظهِرُ لِى ذا فتى يَفْتَرِضْ[1] * شيئًا تَجِدْه عاديًا فاتكا

يعنى حُرَيْثَ بن عمرو . وكان حمّادٌ نزَل عليه ، وكان حُرَيْثٌ هذا مشهورًا بالزَّنْدَقة ، وكذلك حمّادٌ هذا كان مشهورًا بها ، فنزل عليه لذلك .

كتب الى حمدان اللاحقى يشكو اليه عمر بن يحيى ويهجوه

أخبرنى الحسن بن علىّ عن ابن مهروية عن أبى طَلْحةَ الخُزاعىّ عن أبى يحيى اللّاحِقىّ قال :

كَتَب أبو النضير الى عمّى حَمْدان[2] بن أبان ، وكان له صديقًا ، يشكو اليه عُمَرَ ابن يحيى الزِّيادىَّ وكان عَرْبَدَ عليه وشتَمَه :

أقْرِ حَمْدانَ سلامَ الـ * ـلّهِ مِن فَضْلٍ وقُلْ لَهْ

يا فَتًى لستُ بحمد الـ * ـلّهِ أخْشَى أنْ أمَلَّهْ

ذاك أنّ اللهَ قد أنْـ * ـهَلَه الظَّرْفَ وعَلَّهْ

وذُرَا بيتِ رَقاشٍ[3] * وعَلَاها قد أحَلَّهْ

إنّ شَتْمَ السِّفْلَةِ الكَشْـ[4] * ـخانِ ذى القَرْنَيْنِ ضَلَّهْ[5]

١٠٣ / ١٠

(١) افترص الشىء : انتهزه وأصابه واغتنمه . (٢) كذا فى ب ، م . وفى سائر الأصول : «حماد» وهو تحريف . وقد ورد فى أول الشعر الآتى «حمدان» صحيحا . ولحمدان بن أبان هذا شعر ورد فى كتاب الكامل للبرد (ص ٤٧٥ طبعة أوربا) . (٣) جدّ حمدان الأعلى كان مولى لبنى رقاش ، ونسبه : حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفر مولى بنى رقاش . (٤) الكشخان (بالفتح ويكسر) : الديوث الذى لا غيرة له على أهله . (٥) أى ضلال .

وَلَوَ انّ القلبَ[1] هـاجَى * عُمَـرًا يـومًا لَقَـلَّهْ[2]

ذاكَ أنّ الله قـد أخـ * ـزى ابنَ يحيى وأذَلَّهْ

مَنْ يُهاجِى رَجُـلًا يَسْـ * ـتوعِبُ الجُـرْدانَ[3] كُلَّهْ

ما يسـيلُ الأَيْرُ إلّا * أدخـلَ الأَيْرَ وبَـلَّهْ

وإذا عايَنَ أيْرًا * وافَى الفَيْشَـةَ[4] غَـلَّهْ

هـذه قصَّـةُ مَنْ قد * جعـل المُردانَ شُغْلَهْ

أنشد الفضل بن الربيع شعرا فى امرأة تزوجها وطلقها

حدّثنى عمّى عن أبى العيناء عن أبى النَّضير قال :

دخلتُ على الفَضْـل بن الرَّبيع فقال : هل أحدثتَ بَعْدى شيئا؟ قلت : نعم، قلتُ أبياتًا فى امرأةٍ تزوّجْتُها وطلّقتها لغير عِلّةٍ إلّا بُغْضى لها، وإنّها لبيضاءُ بَضّةٌ، كأنّها سَبيكةُ فِضّةٍ . فقال لى : وما قلتَ فيها ؟ فقلت قلتُ :

رَحلتْ سُكَينةُ بالطَّلاقِ * فأُرَحْتُ[5] من غُلِّ الوَثاقِ

رحلتْ فَـلَمْ تألَمْ لهـا * نَفْسِى ولم تَدْمـعْ مَآقِى

لو لَمْ تَبِنْ بطَلاقِهـا * لأَبِنْتُ نفسى بالإباقِ

وشِـفاءُ ما لا تَشْتَهِيـ * ـهِ النَّفْسُ تعجيلُ الفِرَاقِ

فقـال : يا غلامُ ، الدواةَ والقِرْطاسَ ، فأُتِىَ بهما ، فأمرنى فكتبتُ له الأبياتَ ، ثم قلتُ له : أنتَ والله تُبْغِضُ بنتَ أبى العبّاس الطُّوسىّ . فقال : اسْكُتْ أخزاك الله ! ثم ما لبث أنْ طلّقها .

---

(١) كذا فى الأصول . وأحسب أن كلمة « القلب » محرفة عن « الكلب » أو نحوه .

(٢) غله هنا : وضع الغل فى عنقه أو يده . على أنه يحتمل أن يكون « لفلّه » بالفاء بمعنى كسره أى غلبه وظهر عليه . (٣) الجردان : قضيب ذوات الحافر أو هو عام . (٤) الفيشة : أعلى هامة الذكر. وغله هنا : أدخله . (٥) أراح فلان : وجد راحة . ويجوز أن يكون «أرحت» مبنيا للمفعول .

صــــوت

ما بالُ عَيْنِكَ جائلًا أقـذاؤها * شَرِقتْ بعَبْرَتِها وطال بُكاؤها
ذكرتْ عَشِيرتَها وفُرْقةَ بَيْنِها * فطوتْ لذلك غُـلَّةً[1] أحشاؤها

الشعر لعبد الله بن عُمَرَ العَبْلِيّ . والغناءُ لأبى سَعِيدٍ مولَى فائِد، رَمَلٌ مطلقٌ فى مَجْرَى الوُسْطَى عن ابن المكىّ، وذكره إسحاق فى هذه الطريقة ولم يَنْسُبْه الى أحدٍ، وقيل : ٥ إنه من منحول يحيى الى أبى سعيد .

(١) الغـلة : العطش أو شـدته، والمراد هنا حرارة الحزن . وطوت هنا : أضمرت . والمعنى : فانطوت أحشاؤها لذلك على غلة من الحزن .

أخبار العَبْلِىّ ونسبه

نسبه، وهو من مخضرمى الدولتين

اسْمُه عبدُ الله بنِ عُمَرَ بنِ عبد الله بن علىّ بن عَدِىّ بن رَبِيعةَ بن عبد العُزَّى ابن عبد شَمْسِ بن عبد مَنَاف، ويُكْنَى أبا عَدِىٍّ [(١)]، شاعرٌ مُجِيدٌ من شُعَراء قُرَيْش، ومن مُخَضْرَمِى الدَّوْلتين، وله أخبارٌ مع بنى أُمَيّةَ وبنى هاشِمٍ تُذْكَرُ فى غير هذا الموضع .

سبب نسبه الى العبلات

ويقال له عبد الله بن عُمَرَ العَبْلِىّ، وليس منهم؛ لأنّ العَبَلاتِ من وَلَدِ أُمَيّةَ الأصْغَر ابن عبد شَمْس . سُمُّوا بذلك لأنّ أُمّهم عَبْلَةُ بنتُ عُبَيْدِ بن حَارِك [(٢)] بن قَيْس بن مالك ابن حَنْظَلةَ بن مالكِ بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تَمِيم، وهؤلاء يقال لهم بَرَاجِمُ بنى تَميم، وَلَدتْ لعبد شَمْسِ بن عبدِ مَنَاف [(٣)] أُمَيّةَ الأصغرَ، وعبدَ أُمَيّةَ ونَوْفَلًا [(٤)]، وأمّه من بنى عبد شمس، فهؤلاء يقال لهم العَبَلاتُ، ولهم جميعًا عَقِبٌ . أمّا أُمَيّة الأصغرُ فإنّهم بالحجاز، وهم بنو الحارث بن أُمَيّة، منهم علىُّ بن عبد الله بن الحارث، ومنهم الثُّرَيّا صاحبةُ ابن أبى ربيعةَ . وأمّا بنو نَوْفَل وعبدِ أُمَيّة [(٥)] فإنّهم بالشام كثيرٌ . وعبد العُزَّى بن عبد شمس كان يقال له أَسَدُ البطحاء . وإنّما أدخلهم النّاسُ فى العَبَلاتِ لمّا صار الأمْرُ لبنى أُمَيّة الأكبرِ وسادوا وعَظُم شأنُهم فى الجاهليّة والإسلام وكَثُر أشرافُهم، فجعل

١٠٤ / ١٠

---

(١) فى الأصول هنا : «أبا علىّ» وهو تحريف .

(٢) كذا فى الأصول . وفى تاج العروس (فى مادة عبل) : « ... قال الدارقطنى : هى عبلة بنت عبيد بن جادل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وقال غيره : هى عبلة بنت نافذ ابن قيس بن حنظلة » . وفى كتاب الأنساب للسمعانى (فى الكلام على العبلى) : « ... وعبلة بنت عبيد بن حافل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ... » .

(٣) فى الأصول : « لعبد شمس بن مناة » وهو تحريف .

(٤) كذا فى الأصول . وجملة « وأمه من بنى عبد شمس » غير واضحة .

(٥) فى كتاب المعارف لابن قتيبة أن عبد أمية مات وهو ابن ثمان سنين .

سائرَ بني عبد شَمْس مَنْ لا يعلَم قبيلةً واحدةً ، فسمَّوْهم أمَيَّةَ الصُّغرى ، ثم قيل لهم العَبَلات لشُهرة الإسم .

وعليّ بن عَديّ جدُّ هذا الشاعر شهِد مع عائشة يومَ الجَمَل . وله يقول شاعر بني ضَبّة لعنةُ الله عليه :

يا رَبِّ أكْبُبْ(١) بِعَلِيٍّ جَمَلَهْ * ولا تُبَارِكْ في بعيرٍ حَمَلَهْ

* إلّا عليَّ بنَ عَدِيٍّ ليس له *

كان في أيام بني أمية يميل الى بني هاشم ثم خرج على المنصور مع محمد بن عبد الله بن الحسن

فأمّا عبدُ الله بن عُمَرَ هذا الشاعر فكان في أيّام بني أُمَيّة يميل إلى بني هاشم ويَذُمّ بني أُمَيّة، ولم يكن منهم إليه صُنْعٌ جميلٌ، فسَلِم بذلك في أيّام بني العبّاس، ثم خرَج على المنصور في أيّامه مع محمد بن عبد الله بن الحسن .

فرّق هشام بن عبد الملك أموالا ولم يعطه فقال شعرا

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهَيْر عن مُصْعَب الزُّبَيْريّ قال :

العَبْليّ عبدُ الله بن عمرَ بن عبدِ الله بْن عليّ بْن عَدِيّ بن ربيعةَ بن عبد العُزّى ابن عبد شَمْس، ويُكنَى أبَا عَدِيٍّ ، وله أخبارٌ كثيرة مع بني هاشم وبني أُمَيّة .

وقسَم هشام بن عبد الملك أموالًا وأجاز بجوائزَ، فلم يُعْطِه شيئا . فقال :

خَسَّ حَظّي أنْ كنتُ من عبد شمسٍ * ليتني كنتُ من بني مخزومِ

فأفوزَ الغَداةَ منهم بسَهْمٍ * وأبيعَ الأبَ الشريفَ بلُومِ

استقدمه المنصور واستنشده فغضب عليه فذهب الى المدينة

فلمّا استُخْلِف المنصور كتب إلى السَّرِيّ بن عبد الله أن يُوَجِّه به إليه ففعل . فلمّا قدِم عليه قال له : أنْشِدْني ما قلتَ في قومِك، فاستعفاه . فقال : لا أُعفيك . فقال : أَعطِني الأمانَ فأعطاه، فأنشده :

ما بالُ عَيْنِك جائلًا أقذاؤها * شَرِقَتْ بعَبْرتِها فطال بُكاؤها

(١) في م وهامش أ : «اكبر» .

حتّى آنتهى إلى قوله :

فبنو أميّة خيرُ مَنْ وَطِئ الحَصَى * شَرَفًا وأفضلُ ساسةٍ أمراؤها

فقال له : اخْرُجْ عنّى لا قرّب الله دارَك! فخرج حتى قدِم المدينةَ، فالفى محمد بن عبد الله بن حسن قد خرج فبايعه .

أخذت حرمه وأمواله فمدح السفاح فأكرمه وردّ إليه ما أخذ منه

٥ أخبرنى عمّى عن الكُرانىّ عن العُمَرىّ عن العُتْبىّ عن أبيه قال :

كان أبو عَدِىّ الذى يقال له العَبْلىّ مجفوًّا فى أيّام بنى مَرْوان وكان منقطعًا إلى بنى هاشم ، فلمّا أفضتِ الدولةُ اليهم لم يُبْقوا على أحدٍ من بنى أميّة، وكان الأمرُ فى قتلهم جِدًّا إلّا مَنْ هرَب وطار على وجهه . فخاف أبو عدىّ أن يقع به مكروه فى تلك الفَوْرة فتوارَى، وأخذ داود بن علىّ حُرَمَه وماله، فهرّب حتّى أتى أبا العبّاس

١٠ السفّاح، فدخل عليه فى غُمَار النّاس متنكّرًا وجلس جُجْرةً (١) حتى تقوّض (٢) القوم وتفرّقوا، و بقى أبو العبّاس مع خاصّته . فوثَب اليه أبو عَدِىّ فوقف بين يديه وقال :

أَلَا قُلْ للمَنَازل بالسِّتَارِ (٣) * سُقِيتِ الغَيْثَ من دِمَنٍ قِفَار

فهل لك بَعْدَنا عِلْمٌ بسَلْمَى * وأَتْرابٍ لها شِبهِ الصِّوار (٤)

أوانِسَ لا عَوَابِسَ جافياتٍ * عن الخُلُق الجميلِ ولا عَوَارى

١٥ وفيهنّ آبنةُ القُصَوِىّ (٥) سَلْمَى * كَهَمِّ النَّفسِ مُفْعَمةُ الإزَار

١٠٥/١٠

(١) جُجْرة : ناحية . (٢) كذا فى الأصول الخطية ؛ يقال : تقوّض القوم إذا انفضوا وانصرفوا . وفى ب ، س . « انفض القوم » .

(٣) الستار : اسم لعدّة مواضع . (٤) الصوار (بالكسر ويضم) : القطيع من البقر .

(٥) كذا فى جـ . والقصوىّ : نسبة الى قصىّ . وفى سائر الأصول : « سليمى »

٢٠ وهو تحريف .

تلوثُ خِمَارَها بِأحَمَّ جَعْدٍ * تَضِلُّ القَالِياتُ به المَدَارِى (١)

بَرَهْرَهَةٌ مُنعمَةٌ نَمَتْهَا * أُبُوَّتُها إلى الحَسَبِ النُّضَارِ (٢)

فَدَعْ ذِكرَ الشبابِ وعهدَ سَلْمَى * فمَالكَ منهما غيرُ ادِّكَار

وأَهْدِ لهاشِمٍ غُرَرَ القَوَافِي * تَنَخَّلُهَا (٣) بعِلْمٍ وٱختِيَارِ

لَعَمْرُكَ إنَّنِى ولُزومَ نَجْدٍ * ولا أُلْقِى حِبَاءَ (٤) بنِى الخِيَارِ

لَكَالبَادِى لأَبْرَدَ مُسْتَهِلٍّ * بحَوْباءٍ كبطنِ العَيْرِ عَارِ (٥)

سأرحَلُ رِحْلةً فيها ٱعتزامٌ * وجِدٌّ فى رَوَاحٍ وٱبتكارِ

إلى أهلِ الرسولِ غَدَتْ برَحْلِي * عُذَافِرَةٌ (٦) تَرَامَى بالصَّحَارِى

تَؤُمُّ المَعْشَرَ الأَبرارَ تَبغِي * فَكَاكًا للنِّساءِ من الإسارِ

أيا أهلَ الرسولِ وصِيدَ فِهْرٍ (٧) * وخيرَ الواقفين على الجِمَارِ

أتُؤخذ نِسْوتى ويُحَازُ مالِي * وقد جاهرتُ لو أغنَى جِهَارِى

---

(١) تلوث : تلف . والأحم : الأسود . والجعد من الشعر : خلاف السبط وهو ما فيه التواء وتقبض . والفاليات : من فلا الرأس يفلوه و يفليه . والمدارى : جمع مدرى . والمدرى والمدراة : شىء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد . و إضلال المدارى فى الشعر كناية عن كثرته .

(٢) البرهرهة : التارّة التى تكاد تَرعد من الرطوبة ، أوهى البيضاء ، وقيل هى الرقيقة الجلد كأن الماء يجرى فيها من النعمة . والنضارّ هنا : الخالص الذى لم يشبه ما يدنسه .

(٣) تنخلها : تخيرها . (٤) الحباء : العطاء .

(٥) البادى : الخارج الى البادية . والأبرد هنا : النمر . ومستهل هنا : رافع صوته . وبطن العير : المعروف أنه يقال للمكان الذى لا خير فيه جوف العير . والحوباء : النفس . وأحسب أن هذه الكلمة هنا محرّفة عما يدل على مكان مقفر . ولعلها « بموماة » .

(٦) العذافرة من الإبل : العظيمة الشديدة .

(٧) الصيد : جمع أصيد ، وهو هنا الذى يرفع رأسه كبرا . يريد سادات فهر وملوكها .

وأذْعَرُ أن دُعيتُ لعبد شمس * وقد أمسكتُ بالحَرَمِ الصَّوارِى (١)

بنُصْرةِ هاشِمٍ شَهَّرتُ نفسى * بدارى للعِدَا وبغير دارى

بقُربَى هاشِمٍ وبحقِّ صِهْرٍ * لأحمدَ لفَّه طِيبُ النِّجارِ

ومنزلُ هاشم من عبد شمس * مكانَ الجِيدِ من عُلْيَا الفَقَارِ

٥ فقال له السفّاح : مَنْ أنت ؟ فانتسب له . فقال له : حقٌّ لعَمْرِى أعرِفه قديما ومَوَدَّةٌ لا أجحدها ، وكتب له الى دَاوُدَ بن علىّ بإطلاق مَنْ حبسه من أهله وردِّ أمواله عليه وإكرامه ، وأمر له بنفقة تُبلِّغه المدينة .

وفد على عبد الله ابن حسن وأجازه هو وأبناءه وزوجه

أخبرنى أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانىّ قال حدّثنا يحيى بن الحسن العَلَوىّ عن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن قال حدّثنى أبى قال :

١٠ قال سعيد بن عُقْبة الجُهَنىّ : إنّى لعند عبد الله بن الحسن إذ أتاه آتٍ فقال له : هذا رجل يدعوك ، فخرجتُ فإذا أنا بأبى عَدِىّ الأموىّ الشاعر، فقال : أَعْلِمْ أبا محمد . فخرج اليه عبد الله بن حسن وأبناه وقد ظهرت المُسَوِّدة وهم خائفون ، فأمر له عبد الله بن حسن بأربعمائة دينار وأبناه بينهما بأربعمائة دينار ، وهندُ بنت أبى عُبَيْدَةَ أُمُّهما بمائتى دينار، فخرج من عندهم بألف دينار .

استنشده عبد الله ابن حسن مما رثى به قومه ثم أكرمه هو وأهله

١٥ وأخبرنى حَرَمِىّ (٢) عن الزُّبَيْر، وأخبرنى الأخفش عن المُبَرِّد عن المُغيرة بن محمد المهلّبىّ عن الزُّبَيْر عن سُليمان بن عيّاش السعدىّ قال :

---

(١) كذا فى الأصول . فإن صح فلعل « الصوارى » جمع « صائرة » ، والأصل « الصوائر » فوقع فيه القلب ، كما يقال « الأوالى » فى « الأوائل » . والصوائر : العاطفة ؛ يقال صار فلان الشىء يصوره وأصاره إذا أماله . وفى حديث عمر وذكر العلماء فقال : تنعطف عليهم بالعلم قلوب لا تصورها الأرحام ، أى لا تميلها . (٢) فى ب ، س : « وأخبرنى أحمد بن محمد بن سعيد حرمى ... »

٢٠ ومثله فى حـ إلا أنه وضع فوقه علامة الشطب .

جاء عبد الله بن عمر بن عبد الله العبلى[1] الى سُوَيقة[2] وهو طريد بنى العبّاس، وذلك بعقب أيام بنى أمية وابتداء خروج مُلكهم الى بنى العباس، فقصده عبدالله والحسن ٱبنا الحسن بُسوَيقة، فٱستنشده عبد الله شيئا من شعره فأنشده . فقال له : أريد أن تُنشدنى شيئا مما رثيتَ به قومك، فأنشده :

تقــولُ أُمامــةُ لمّا رأتْ[3] * نُشوزِى عن المَضجَعِ الأنفَسِ
وقِـلّةَ نومى على مَضجَعى * لدى هَجعةِ الأعيُنِ النُّعَّسِ
أبِى ما عراكَ؟ فقلتُ الهمومُ * عَــرَوْنَ[4] أباكِ فــلا تُبلِسِى[5]
عَرَوْنَ أباكِ فحبّسنَهُ * من الذُّلِّ فى شـرِّ ما مَحبِسِ
لِفَقدِ العشـيرةِ إذ نالَها[6] * سِهامٌ من الحَدَثِ المُبئسِ
رمَتْها المنونُ بلا نُصَّلٍ[7] * ولا طائشاتٍ ولا نُكَّسِ[8]
بأسهُمِها الخالساتِ النفوسَ * متى ما ٱقتضتْ مُهجةً تَخلِسِ[9]
فصَرعاهُمُ فى نواحى البلا * دِ تُلقَى بأرضٍ ولم تُرمَسِ[10]

(١) فى الأصول : «العقيلى» وهو تحريف . (٢) سويقة هنا : موضع قرب المدينة كان يسكنه آل على بن طالب رضى الله عنه . (٣) تقدّم أكثر أبيات هذه القصيدة فى الجزء الرابع من هذه الطبعة (صفحة ٣٣٩ وما بعدها) مع اختلاف فى بعض الكلمات . (٤) فى الأصول هنا : «منن» . والتصويب من الجزء الرابع . (٥) الإبلاس : اليأس والتحير ، والسكوت من الغم والحزن .

(٦) فى الأصلين المطبوعين تحريف فى هذا الشطر ، وفى الأصول المخطوطة تحريف ونقص . والتصويب من الجزء الرابع . (٧) كذا فى جـ . والنصل : جمع ناصل . والناصل من السهام هنا : الذى سقط نصله ؛ والناصل أيضا : ذو النصل . وفى سائر الأصول : «بلا أنصل» . وفى الجزء الرابع : «بلا نكل» . (٨) الذى فى كتب اللغة أنه يقال سهم نكس (بكسر أوّله وسكون ثانيه) وهو الذى ينكس أو يكسر فوقه فيجعل أعلاه أسفله ، والجمع أنكاس . وغريب أن يكون «نكس» (بضم أوله وتشديد ثانيه) وصفا للسهام . (٩) فى الأصول هنا : «تخنس» والتصويب من الجزء الرابع .

(١٠) لم ترمس : لم تدفن ؛ يقال : رمست الميت وأرمسته إذا دفنته .

كريمٌ أُصيب وأثوابُه * من العار والذّام لم تَدْنَس

وآخَرُ قد طار خوفَ الرَّدَى * وكان الهُمامَ فلم يُحْسَس (١)

فكم غادروا من بَوَاكى العيو * نِ مَرْضَى ومن صِبْية بُؤَّس

إذا ما ذكرتُهُم لم تَنَمْ * لحَرِّ الهموم ولم تجْلِس (٢)

يُرَجِّعْن مثلَ بُكاء الحَمَا * م فى مأتم قَلِقِ المَجْلِس (٣)

فذاك الذى غالنى فاعْلَمِى * ولا تسأليني فَتَسْتَنْحِسِى (٤)

وأشياءُ قد ضِفْنَنِى بالبلاد * ولستُ لهن بمُسْتَحْلِس (٥)

أفاض المَدَامِعَ قَتْلَى كُدًى * وقَتْلَى بكُثْوةَ لم تُرْمَس (٦)

وقَتْلَى بوَجٍّ وباللّابَتَيْـ * ـنِ من يَثْرِبٍ خيرُ ما أنْفُس

وبالزّابيينِ نفوسٌ ثَوَتْ * وقَتْلَى بنهر أبى فُطْرُس (٧) (٨)

أولئك قومٌ تداعتْ بهم * نوائبُ من زمن مُتْعِس (٩)

---

(١) رواية هذا البيت فى الجزء الرابع :

وآخر قد دس فى حفرة * وآخر قد طار لم يحسس

أى لم يشعر به لاختفائه .

(٢) فى الأصول : « اذا ما ذكرتهم » بالتاء . ويرجح أن يكون بالنون قوله «يرجعن» بعد هذا البيت . ومرجع الضمير « بواكى العيون » . ورواية هذا البيت فى الرابع :

إذا عنّ ذكرهم لم ينم * أبوك وأوحش فى المجلس

(٣) فى الأصول : «فلق المجلس» بالفاء . وقلق المجلس : اضطراب من فيه من الحزن .

(٤) يقال : استنحس فلان الأخبار وتحسسها وتحسبها إذا تندسها وتجسسها ، واستنحس عنها : طلبها وتتبعها بالاستخبار . ورواية هذا الشطر فى الرابع :

* ولا تسألى بامرئ متعس *

(٥) ضفننى : نزلن بى . والمستحلس للشىء : الملازم له . (٦) فى الأصول هنا : «بيكة» . والتصويب من الجزء الرابع ومعجم البلدان (فى كثوة واللابتين) . وراجع الكلام على هذه المواضع والوقائع فى الجزء الرابع . (٧) فى الجزء الرابع ومعجم البلدان : «وأخرى» . (٨) فى الأصول هنا : «أبى قرطس» وهو تحريف . (٩) فى الرابع : * أولئك قومى أناخت بهم *

أذلَّتْ قِيادِى لمن رَامنى * وأَلْزقتِ الرَّغْمَ بالمَعْطِسِ (١)

فما أنسَ لا أنسَ قتلاهمُ * ولا عاش بعدَهم مَنْ نَسِى

قال : فلمّا أتى عليها بكى محمد بن عبد الله بن حسن . فقال له عمّه الحسنُ بن حسن ابن على عليهم السلامُ : أتبكى على بنى أُميَّةَ وأنت تُريد ببنى العبّاس ما تريد ! . فقال : والله يا عمِّ لقد كنّا نَقِمْنا على بنى أُميَّة ما نَقَمْنا ، فما بنو العبّاس إلّا أقلُّ خوفًا لله منهم ، وإنّ الحُجّةَ على بنى العبّاس لأوجبُ منها عليهم ، ولقد كانت للقوم أخلاق ومَكارِمُ وفواضِلُ ليست لأبى جعفر . فوثب حسن وقال : أعوذُ بالله من شرّك ، وبعث إلى أبى عَدِىّ بخمسين دينارًا ، وأمر له عبد الله بن حسن بمثلها ، وأمر له كلُّ واحد من محمد وإبراهيم ابنيه بخمسين خمسين ، وبعثت اليه أُمُّهما هندٌ بخمسين دينارًا ، وكانت منفعتُه بها كثيرة . فقال أبو عَدِىّ فى ذلك :

أقام ثَوِىُّ (٢) بيتِ أبى عدىّ * بخيرِ مَنازِلِ الجيرانِ جارَا

تقوّض بيتُه وجَلا (٣) طَرِيدًا * فصادفَ خيرَ دُورِ النّاسِ دارَا

وإنّى إن نزلتُ بدارِ قومٍ * ذكرتُهُمُ ولم أذمُمْ جِوَارَا

فقالت هند لعبد الله وابنيها منه : أقسمتُ عليكم إلّا أعطيتموه خمسين دينارًا أُخرَى فقد أشركنى معكم فى المدح ، فأعطوه خمسين دينارًا أخرى عن هند .

رحلى الطائف لمحمد ابن عبد الله ابن حسن ثم فرّ الى اليمن وشعره فى ذلك

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق عن أبى أيّوبَ المَدِينىّ قال ذكر محمد بن موسى مولى أبى عقيل قال :

(١) الرغم : التراب . والمعطس (كمجلس ومقعد) : الأنف .

(٢) الثوىّ : الضيف . (٣) « تقوّض بيته » ليست فى الأصول الخطية ، وكذا قوله : « وإنى إن نزلت بدار » من الشطر الأوّل فى البيت الثالث . وهو تصويب حسن ، نظن أن المصوّب رجع فيه الى أصل صحيح . جلا عن بلده : خرج .

قدم أبو عدىّ العبلىّ الطائفَ واليًا من قِبَلِ محمد بن عبد الله بن حسن أيام خروجه على أبى جعفر ومعه أعرابٌ من مُزَيْنَةَ وجُهَيْنَةَ وأَسْلَمَ فأخذ الطائف (١) وأتى محمدَ بن أبى بكر العُمَرىّ حتى بايع، وكان مع أبى عدىّ أحدَ عشرَ رجلاً من ولد أبى بكر الصِّدّيق، فقدمها بين أذان الصُّبح والإقامة، فأقام بها ثلاثًا، ثم بلغه خروجُ الحسن بن معاوية من مكة، فاستخلف على الطائف عبدَ الملك بن أبى زُهَيْر (٢) وخرج ليتلقَّ الحسن بالعَرْج، فركب [الحسنُ] البحرَ، ومضى أبو عدىّ هاربًا (٣) على وجهه الى اليمن . فذلك حين يقول :

هُيِّجْتَ للأَجْزاعِ حول عرابِ (٤) * وٱعتاد قلبكَ عائد الأطرابِ

وذكرتَ عهدَ معالمٍ بِلِوَى الثَّرَى (٥) * هيهاتَ تلك معالمُ الأحبابِ

هيهاتَ تلك معالمٌ من ذاهبٍ * أمسى بحَوْضى أو بحَقْلِ قِبابِ (٦)

قد حلَّ بين أبارِقٍ ما إنْ له (٧) * فيها مِنِ ٱخْوانٍ ولا أصحابِ

شَطَّتْ نَوَاهُ عن الأليف وساقه (٨) * لِقُرَى يمانيةٍ حِمَامُ كتابِ

يا أُختَ آلِ أبى عدىٍّ أقصرى * وذَرِى الخِضَابَ فما أوانُ خضابِ

أتخضِّبِينَ وقد تخرَّم غالبًا (٩) * دهرٌ أضرَّ بها حديدُ النابِ

---

(١) فى الأصول : « عن أبى جعفر » . (٢) ولى مكة لمحمد بن عبد الله بن حسن وذلب عليها عامل أبى جعفر المنصور. (راجع الطبرى فى حوادث سنة ١٤٥) . (٣) التكملة عن أ ، م . (٤) كذا فى الأصول . ولم نجد « عرابا » فى المظان . وإنما الموجود «غراب» (بضم أوله) وهو جبل بناحية المدينة على طريق الشام ، وموضع بالشام ، وواد باليمامة ، وجبل من جبال تهامة .

(٥) فى أ ، م : «بلوى السرى» . (٦) حوضى وحقل قباب : موضعان .

(٧) الأبارق : جمع أبرق، وهو غلظ فيه حجارة وطين ورمل مختلطة . (٨) شطت : بعدت . والنوى هنا : الوجه الذى تقصده أو القصد لبلد غير البلد الذى أنت فيه مقيم . وحمام كتاب : قدره وقضاؤه . (٩) ظاهر أنه يريد قبيلة .

والحـربُ تَعْرُك غالبًا بجِرانها[1] * وتَعَضُّ وهى حديدةُ الأنيـابِ
أم كيف تَفْسُك تستلذُّ معيشةً * أو تَنْقَعين لهـا ألذَّ شراب

أنشد عبد الله بن حسن من شعره فبكى

وذكر العبّاس بن عيسى العُقَيْلىّ عن هارون بن موسى الفَـرَوىّ عن سعيد بن عُقْبة الجُهَنىّ قال : حضرتُ عبدَ الله بن عُمَر المكنىّ أبا عَدِىّ الأُمَوىّ يُنْشِـدُ عبد الله بن حسن قولَه :

أفاض المـدامعَ قَتْـلَى كُدًى * وقَتْـلى بِكُثْوة[2] لم تُرْمَسِ

قال : فرأيت عبد الله بن حسن وإنّ دموعه لتجرى على خَدِّه .

قيل إن القصيدة السينية اشترك فيها آخران معه حين أتاهم قتل بنى أمية

وقد أخبرنى محمد بن مَزْيَد عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عدىّ عن أبى سعيد مولى فائد قال :

لمّـا أتانا قتلُ عبد الله بن علىّ مَنْ قتل من بنى أُمَيّة كنتُ أنا وفتًى من ولد عثمان وأبو عدىّ العبلىّ مُتَوارِين فى موضع واحد، فلَحِقنى من الجَزَع ما يلحق الرجلَ على عشيرته ، ولحق صاحبىَّ كالحقنى ، فبكينا طويلًا ، ثم تناولنا هذه القصيدةَ بيننـا ، فقال كلّ واحد منّا بعضَها غيرَ مُحَصِّلٍ [ما][3] لكلٍّ واحدٍ منّا فيها ، قال : ثم أنشدَنيها ، فأخذتُها من فيه :

تقـول أُمامـةُ لمّـا رأتْ * نُشوزى عن المضجع الأنْفَسِ

كان يكره مايجرى عليه بنوأمية من سب علىّ وشعره فى ذلك

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا محمد بن زكريّا الغَلَابىّ عن ابن عائشة قال :

---

(١) عركتهم الحرب : دارت عليهم . والجران من البعـير : مقدّم عنقه من مذبحه الى منحره ، وقد استعاره الشاعر هنا للحرب . (٢) فى الأصول هنا : « بمكة » . (راجع الحاشـية رقم ٦ من صفحة ٢٩٩) . (٣) تكملة يقتضيها سياق الكلام .

كان أبو عديّ الأمويّ الشاعر يكرَه ما يجرى عليه بنو أميّة من ذكر عليّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه وسبّه على المنابر، ويُظهر الإنكارَ لذلك ، فشهد عليه قومٌ من بنى أميّة بمكة بذلك ونَهَوْه عنه، فانتقل الى المدينة وقال فى ذلك :

١٠٨ / ١٠

شَرَّدوا بى عند امتداحى عَليًّا * ورأوا ذاك فىَّ داءً دَوِيًّا

فوَرَبِّى لا أبرَحُ الدهرَ حتّى * تُختَلَى[1] مهجتى بحبِّى عَليًّا

وبَنِيه لحُبّ أحمدَ إنّى * كنت أحببتُهم بحبّى النبيّا

حُبُّ دِينٍ لا حُبُّ دُنْيَا وشَرٌّ الـ * ـحبّ حُبٌّ يكون دُنْيَاوِيًّا

صاغنى الله فى الذُّؤابة منهم * لا زَنِيمًا[2] ولا سَنِيدًا دَعِيَّا

عَدَوِيًّا خالى صَرِيحًا وجَدّى * عبدُ شمس وهاشمٌ أبَوَيًّا

فسواءٌ علىَّ لستُ أُبالى * عَبْشَمِيًّا دُعِيتُ أم هَاشِمِيَّا

دخل مع وفود قريش على هشام ابن عبد الملك ومدحه ففضل هشام بنى مخزوم فقال هو شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانىُّ قال حدّثنا العُمَرىُّ عن العُتْبىّ عن أبيه قال :

وفَد أبو عدىّ الأموىّ إلى هشام بن عبد الملك وقد امتدحه بقصيدته التى يقول فيها :

عبدُ شمسٍ أبوك وهو أبونا * لا نُنَادِيكَ من مكانٍ بعيدِ

والقراباتُ بيننا واشجاتٌ * مُحْكَمَاتُ القُوَى بحَبْلٍ شديد

فانشده إيّاها، وأقام ببابه مدّةً حتى حضر بابَه وفودُ قُرَيْش فدخل فيهم، وأمر لهم بمال فضّل فيه بنى مخزوم أخوالَه ، وأعطى أباعدىّ عطيّةً لم يرضَها ، فانصرف وقال :

خَسّ حَظِّى أنْ كنتُ من عبدشمسٍ * ليتنِى كنتُ من بنى مخزومِ

فأفوزَ الغداةَ فيهم بسَهْمٍ * وأبيعَ الأبَ الكريم بلُومِ

(١) تختلى : تقطع . وأصل الاختلاء قطع الخلى وهو الرطب من الحشيش ؛ يقال : خلى الخلى واختلاه اذا قطعه . يريد الشاعر أنه يموت وهو على حبهم . (٢) الزنيم : الدعىّ الملصق بالقوم وليس منهم . وكذلك السنيد .

غَنّى فى البيتين المذكورين فى هذا الخبر اللّذين أولهما :

* عبدُ شمس أبوك وهو أبونا *

ابن جامع ، ولحنُه ثانى ثقيلٍ بإطلاق الوَتَر فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وأوّل هذه القصيدة التى قالها فى هشام :

ليلتى من كنودَ بالغَوْرِ عُودِى * بصَفاء الهوى مِنُ آمّ أَسيدِ

ما سمعنا(1) ذاك الهوى ونَسِيناَ * عهدَه فارجِعى به ثم زِيدِى

قد تولّى عصرُ الشباب فقيدًا * رُبَّ جارٍ يَبين غيرَ فقيد

خَلَقُ الثّوبُ من شَبابٍ ولِبْسٍ(2) * وجديدُ الشّبابِ غيرُ جديد

فأسْرِعنك(3) الهمومَ حين تداعتْ * بعَلاَةٍ مثلِ الفَنِيقِ(4) وَخُودِ

عَنتَرِيسٍ(5) تُوفِى الزِّمامَ بفَعْمٍ(6) * مثلِ جِذْعِ الأشاءة المجرود

وأَرِمِ جَوْزَ(7) الفَلاَ بها ثم سُمْها * عَجْرَفىَّ النَّجاءِ بالتوخيد

---

(1) كذا فى الأصول . ولعله : « ما سئمنا » أو ما فى معناه . (2) اللبس (بالكسر) : ما يلبس . (3) اسرعنك الهموم : ألقها عنك . يقال : سروت الثوب وغيره عنى سروا ، وسريته ، وسريته تسرية إذا ألقيته عنك ونضوته . وتداعت هنا : تجمعت وأقبلت .

(4) كذا فى حـ . وفى بعض الأصول : « العقيق » وفى بعضها : « العتيق » . وهما تحريف . والفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب . شبه ناقته بالفحل فى الضخامة والقوة . والعلاة هنا : الناقة المشرفة الصلبة . والوخود : كثيرة الوخد وهو السرعة فى السير ، وأن يرمى البعير بقوائمه كمشى النعام .

(5) العنتريس من النوق : الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم الجواد الجريئة . (6) فى الأصول : « بنعم » . ويريد بالفعم هنا العنق . والأشاءة : النخلة الصغيرة . والمجرود : المقشور .

(7) جوز كل شىء : وسطه . والفلا : واحدته فلاة ، وهى القفر أو المفازة لا ماء فيها أو الصحراء الواسعة . وسامه الشىء كلفه إياه . والنجاء : السرعة . والعجرفة والعجرفية فى السير : السرعة . يريد : كلفها سيرا سريعا لا تقصد فيه لنشاطها . وفى الأصول : « بجرفى النجاد » . وهو تحريف . والتوخيد : حمل الدابة على الوخد وهو ضرب من السير سريع .

وهِشَامًا خليفــةَ الله فاَعْمِــدْ * واصْبِرَنْ مِرَّةَ القَــوِىِّ الجليدِ (١)

تَلْقَــهُ مُحْــكَمَ القُــوَى أرْيَحِيًّــا (٢) * ذَا قِــرًى عاجلٍ وسَيْبٍ عتِيدِ

مَلِكًا يَشْــمَلُ الرعِيّةَ منــه * بأيادٍ ليست بـــذات نُكُــودِ

أخضَرُ الرَّبعِ والجنابُ خَصِيبٌ * أفْيَــحُ المُسْتَرادِ للمُسْتَرِيدِ (٣)

٥ ذكرتْ ناقــتى البِطَاحَ فحنّتْ * حين أنْ وَرَّكَتْ قبــورَ ثمــودِ (٤)

قلتُ بعضَ الحنينِ ياناقُ سِيرِى * نحــوَ بــرْقٍ دعا لغيثٍ عميــدِ

فاغذّتْ فى السَّــيْرِ حتى أتتكم (٥) * وهْىَ قــوداءُ فى سَوَاهِمَ قُودِ

قد براها السُّرَى إليــك وسيْرِى * تحت حَرِّ الظَّهِــيرةِ الصَّيْخُودِ (٦)

وطَــوَى طائدَ العَــرائكِ منهــا (٧) * غَوْلُ بِيــدٍ تجتابُها بعــدَ بِيــدِ

١٠ وأتتــكم حُدْبَ الظُّهورِ وكانت (٨) * مُسْنَماتٍ مَمَــرُّها بالكَدِيدِ

---

(١) كذا فى الأصول . والمرة : قوة الخلق وشدّته . (٢) الأريحىّ : الواسع الخلق المنبسط الى المعروف . والسيب : العطاء . والعتيد : الحاضر المهيأ . (٣) أفيح المستراد للمستريد : واسع المطلب للطالب . واخضرار الربع وخصب الجناب وفيح المستراد يراد به الكرم واتساع الجود . (٤) كذا فى جـ . يقال : ورّك الجبل (بتشديد الراء) إذا جاوزه مثل واركه . وفى سائر الأصول : ١٥ «وردت» . وقبور ثمود : حيث كانت ديارهم بوادى القرى بين المدينة والشام ، وقريتهم كانت تسمى الحجر . وديار ثمود تقع فى طريق الشاعر فى رحيله من الحجاز الى الشام . (٥) أغذت فى السير : أسرعت . والقوداء من الإبل : الطويلة العنق والظهر . والساهمة : الضامرة المتغيرة من السير . (٦) الظهيرة الصيخود : الهاجرة الشديدة الحر . (٧) كذا فى ب ، س . وفى الأصول الخطية : «صائد العرائك» . والطائد : الثابت . وهو غير واضح ، وكذلك صائد العرائك . والعرائك : جمع عريكة ٢٠ وهى السنام أو بقيته . وغول البيد (بفتح الغين) : بعدها . والبيد : جمع بيداء وهى الفلاة . وتجتابها : تقطعها . (٨) الحدب : جمع حدباء وهى من الدواب : التى بدت حراقفها من الهزال . والحرقفة : عظم الحجبة أى رأس الورك . والمسنمات : التى أعظم الكلأ أسنمتها . يقال : سنم البعير يسنم سنما (وزان فرح) فهو سنم ، وسنمه الكلأ (بتشديد النون) وأسنمه . ومرها هنا : ظرف . يريد أن الإبل وصلت إلى القوم مهزولة وقد كانت سمينة حين مرت بالكديد . والكديد : موضع بالحجاز بين عسفان وأمج .

واطمأنّت(١) أرض الرّصافة بالخصـ * ـب ولم تُلْقِ رَحْلَها بالصَّعيد
نزلت بامرئٍ يرى الحمدَ غُنْماً * باذلٍ مُتْلِفٍ مُفيدٍ مُعيدِ
بذل العدلَ فى القِصاص فأضحى * لا يخاف الضعيفُ ظُلْمَ الشديد
من بنى النَّضْر من ذُرَا مَنْبِتِ النَّضْـ * ـرِ بأَوْرَى زَنْد وأكرمِ عُودِ
فهو كالقلب فى الجوانح منها * واسطٌ سِرّ جِذْمِها(٢) والعديد
بين مَرْوانَ والوليد فبخٍ بخٍ * للكريمِ المجيدِ غيرِ الزهيد
لو جرى الناسُ نحوَ غاية مجد * لرِهانٍ فى المَحْفِلِ المشهود
لَتَلَاهُمْ بسابقَيْنِ(٣) من المجـ * ـد على الناس طارفٍ وتليد
إنّكُمْ مَعْشَرٌ أبى اللهُ إلّا * أنْ تفوزوا بدَرِّها(٤) المحشود
لم يرِ اللهُ مَعْشَرًا من بنى مَرْ(٥) * وانَ أولى بالمُلْكِ والتسويد
قادةٌ سادةٌ ملوكٌ بحارٌ * وبهاليلُ(٦) للقُروم الصِّيد
أرْيَحيُّونَ(٧) ماجدون خِضَمُّو * نَ حُماةٌ عند آرْبِداد الجُلود
يقطعون النهارَ بالرأى والحَزْ * مِ ويُحْيُون ليلَهم بالسُّجود

(١) يريد : نزلت أرض الرصافة مطمئنة بالخصب . فضمن «اطمأن» معنى «نزل» فعداه الى المفعول .

(٢) يقال : وسط فلان قومه وحسبه ، ووسط فى قومه وحسبه ، إذا حل فى المكان الأكرم منهم . والجذم (بالكسر ويفتح) : الأصل . وسر الجذم : صريحه وخالصه .

(٣) فى جـ : «بسامعين» . وأحسب أن صوابه «بسامقين» . والسامق : العالى الطويل .

(٤) فى الأصول : «بدارها» وهو تحريف .

(٥) أى لم ير الله معشرا أولى من بنى مروان بالملك والتسويد . (٦) البهاليل : جمع بهلول ، وهو هنا : السيد الجامع لكل خير . والقروم : جمع قرم (بالفتح) وهو هنا السيد العظيم . والصيد : جمع أصيد ، وهو الذى لا يلتفت من زهوه يمينا ولا شمالا . يصفهم بأنهم سادة منسوبون لسادة عظام .

(٧) الأريحى : الواسع الخلق المنبسط الى المعروف . والخضم : السيد الحمول المعطاء ، وهذا الوصف خاص بالرجال (عن القاموس) . واربداد الجلود : تغير لونها من الغضب والشدة . والربدة : لون الى الغبرة .

أهلُ رِفْدٍ وسُؤْدُدٍ وحَياءٍ * ووَفاءٍ بالوعد والموعود
ويَرَوْنَ الجِوارَ من حُرَم اللّـه فما الجارُ فيهمُ بوحيد
لو بمجدٍ نال الخلودَ قَبيلٌ * آلَ مَرْوانَ فُزْتُمُ بالخلود
يا بنَ خيرِ الأخيارِ من عبدشمسٍ * يا إمامَ الوَرَى وربَّ الجنود
عبدُ شمسٍ أبوك وهو أبونا * لا نُناديك من مكانٍ بعيد
ثم جَدّى الأدنَى وعمُّكَ شيخي * وأبو شيخك الكريم الجدود
فالقَراباتُ بيننا واشجاتٌ * مُحْكَمَاتُ القُوَى بحبلٍ شديد
فأثِبْنى ثَوابَ مِثْلِكَ مِثْلِي * تَلْقَنى للثَّواب غيرَ جَحُود
إنّ ذا الجَدِّ مَنْ حَبَوْتَ بودٍّ * ليس مَنْ لا تَوَدّ بالمجدود
وبحَسْبِ امرئٍ من الخير يُرْجَى * كونُه عند ظِلِّك الممدود

وأمّا قصيدتُه التي أوّلُها : *(قصيدة له يندب فيها فرقة بني أمية)*

* ما بالُ عَيْنِكَ جائلًا أقذاؤها *

وهي التي فيها الغناء المذكور ، فإنه قالها في دولة بني أُميّة عند اختلاف كلمتهم ووقوع الفتنة بينهم ، يندُب بينَهم[1] ، وفيها يقول :

وٱعتادها ذِكْرُ العَشيرة بالأَسَى * فصَباحُها ثابٍ بها ومَساؤها
شَرِكُوا[2] العِدَا في أمرهم فتفاقمتْ[3] * منها الفُتُونُ[4] وفُرِّقَتْ أهواؤها
ظَلَّتْ هناكَ وما يُعاتِبُ بعضُها * بعضًا فينفَعَ ذا الرّجاء رجاؤها
إلّا بمُرْهَفَةِ الظُّبَاتِ[5] كأنّها * شُهُبٌ تَقِلُّ إذا هوَتْ أخطاؤها

(١) أى يندب فرقتهم . (٢) كذا في ا ، م أى أشركوا العدا في أمرهم . وفي سائر النسخ : « شرك » . (٣) تفاقمت : عظمت واشتدّت . (٤) كذا في الأصول . ويحسب أن صوابها « الفتوق » ؛ فإن الفتنة ، وهى ما يقع بين الناس من الخلاف والقتال ، لا تجمع على « فتون » . (٥) مرهفة الظبات : السيوف .

وبعُسَّلٍ زُرْقٍ يكون خِضَابُها * عَلَقَ النُّحور إذا تَفيضُ دماؤها (١)

فبذا كُمُ أمستْ تَعَاتَبُ (٢) بينها * فلقد خَشيتُ بأن يُخَمَّ فَنَاؤها

ما ذا أؤمِّل إنْ أُميَّةُ وَدّعتْ * وبقاءُ سُكّان البلادِ بقاؤها

أهلُ الرِّياسةِ والسِّياسةِ والنَّدَى * وأُسودُ حَرْبٍ لا يَخيمُ لِقاؤها (٣)

غيثُ البلادِ هُمُ وهُمْ أُمَراؤها * سُرُجٌ يُضيءُ دُجَى الظَّلامِ ضياؤها

فلئنْ أُميَّةُ وَدّعتْ وتَتَايعتْ (٤) * لِغَوَايةٍ حَميتْ لها خُلَفاؤها

لَيُوَدِّعَنّ من البَرِيَّةِ عِزُّها * ومن البلادِ جَمَالُها ورجاؤها

ومن البَليّةِ أنْ بَقيتَ خِلَافَهم * فَرْدًا تَهيجُك دُورُهم وخلاؤها

لَهْفِي على حرب العَشيرةِ بينَها * هَلَّا نَهَى جُهَّالَها حُلَماؤها

هَلَّا نُهَى تَنْهَى الغَوِيّ عن التي * يُخْشَى على سُلْطانها غَوْغاؤها (٥)

وتُقًى وأحلامٌ لها مُضَريّةٌ * فيها إذا تَدْمَى الكلومُ دواؤها (٦)

لمّا رأيتُ الحربَ تُوقَدُ بينَها * ويَشُبُّ نارَ وَقودها إذكاؤها (٧)

نوهتُ بالمَلِكِ المُهَيمِنِ دعوةً * ورَوَاحُ (٨) نفسى فى البَلاءِ دُعاؤها

---

(١) العسل : الرماح ، وعسلان الرمح : شدّة اهتزازه . والزرقة فى النصال : شدّة صفائها . وصف الشاعر الرماح بالزرقة وهى وصف نصالها . (٢) فى الأصول : «تعاقب» وهو تحريف . ويخم : يقضى . (٣) خام : نكص وجبن وضعف . يريد أنهم أسود حرب لا تجبن عند اللقاء .

(٤) فى الأصول : «تتابعت» بالباء الموحدة . والتتايع : التهافت والإسراع الى الشيء . ولا يكون التتايع إلا فى الشر . (٥) كذا ورد هذا الشطر فى ب ، س . وورد فى الأصول الخطية ناقصا هكذا : « ها الغوى عن التى » . وكلمة « ها » ليست فى جـ . (٦) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « دماؤها » وهو تحريف . (٧) كذا فى الأصول الخطية . وإذكاء النار وتذكيتها : إيقادها . وفى ب ، س : «وتشب نار وقودها وذكاؤها» . (٨) الرواح هنا — ومثله الراحة والراح — : الارتياح والاستراحة ، وهو وجدانك روحا وخفة بعد مشقة .

لِيَرُدَّ أُلْفَتَها ويجمعَ أمْرَها * بخِيَارِها خِيارُها وحَمَاؤها
فأجاب ربّى فى أمَيّةَ دَعْوتى * وحَمَى أُمَيَّةَ أنْ يُهَدّ بِناؤها
وحَبَا أُمَيَّةَ بالخلافةِ إنّهُمْ (1) * نُورُ البلادِ وزَيْنُها وبهاؤها
فبنو أُميّةَ خيرُ مَنْ وَطِئ الثَّرَى * شَرَفاً وأفضلُ ساسةٍ أمَراؤها

٥ وهى قصيدةٌ طويلة ٱقتصرتُ منها على ما ذكرتُه .



صوت

مَهْلًا ذَرِينِى فإنِّى غَالَنِى خُلُقِى * وقد أَرَى فى بلاد الله مُتَّسَعَا
ما عَضّنِى الدّهرُ إلّا زادنى كَرَمًا * ولا ٱستكنتُ له إنْ خانَ أو خَدَعَا

١٠ الشعر لأبى جِلْدَةَ (2) اليَشْكُرِىّ من قصيدةٍ يمدح بها مِسْمَعَ بن مالِكِ بن مِسْمَعٍ ، والغناء لعَلُّويَهْ رملٌ بالوسطى عن عمرو .

---

(1) لم يرد هذا البيت إلا فى أ ، م .
(2) فى الأصول : « لأبى كلدة » . وراجع الحاشية الأولى من الصفحة التالية .

أخبار أبى جِلْدَةَ (1) ونسبه

نسب أبى جلدة

أبو جِلْدَةَ بن عُبَيْد بن مُنْقِذِ بن حُجْرِ بن عُبَيْد الله بن مَسْلَمَةَ بن حُبَيْب بن عَدِىّ ابن جُشَمَ بن غَنْم بن حُبَيِّب بن كَعْب بن يَشْكُرَ بن بَكْر بن وائل ، شاعرٌ إسلامىٌّ ، من شُعَراء الدَّوْلة الأُمَوِيّة ، ومن ساكنى الكُوفة . وكان ممن خَرَج مع ٱبن الأشعث فقتله الحجّاج .

كان من أخص الناس بالحجاج ثم صار من أشدهم تحريضا عليه حين خرج مع ابن الأشعث وقتل

أَخبرنى بخبره فى جُملة ديوان شعره محمدُ بن العبّاس اليزيدىُّ وقرأتُه عليه قال حدّثنى عمّى عبدُ الله قال حدّثنى محمدُ بن حَبِيبَ ، وأخبرنى به علىّ بن سُليمان الأخفش أيضا عن الحسن بن الحسن اليشكرىّ عن ٱبن الأعرابىّ قال :

كان أبو جِلْدَةَ اليَشْكُرِىُّ من أخصّ النّاس بالحجّاج ، حتى إنه بعثه و بعث معه عبدَ الله بن شَدّاد بن الهادِى الليثىّ الى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عليه السلامُ ، فخطَب الحجّاج منه ابنتَه أُمَّ كُلْثوم . ثم خَرَج بعد ذلك مع ٱبن الأشعث ، وكان من أشَدِّ الناس تحريضًا على الحجّاج . فلمّا أُتِىَ الحجّاجُ برأسه و وُضع بين يديه مكث ينظر اليه طويلًا ثم قال : كم من سِرٍّ أودعتُه (2) فى هذا الرأس فلم يخرُج حتى أُتِيتُ به

(1) فى الأصول : « أبى كلدة » وكذلك ورد فى كل المواضع من هذه الترجمة . والتصويب من كتاب المؤتلف والمختلف لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدىّ (صفحة ٧٨ طبعة مكتبة القدسى بالقاهرة) وشرح القاموس (مادة جلد) وتاريخ الطبرى (القسم الثانى صفحة ١١٠٢) ولسان العرب (فى مادة حور) وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة . على أنه يحتمل أن تكون فى هذا الاسم لهجة أخرى تجعل الحرف الأوّل منه مثل الجيم القاهرية والقاف لدى أهل صعيد مصر ، فكان رسمها بالكاف فى الأصول إشارة الى هذه اللهجة . (2) كذا فى الأصول . والمعروف أنه يقال : أودعت كذا كذا . فلعل حرف الجر من زيادات النساخ .

مقطوعا . فلمّا كان يومُ الزّاوية[1] خرج أبو جلدةَ بين الصَّفّيْنِ ، ثم أقبل على أهل الكوفة فأنشدهم قصيدتَه التى يقول فيها :

فقُل للحَوارِيّات[2] يبكين غيرَنا * ولا تَبْكِنا إلّا الكِلابُ النوابحُ

بَكَيْنَ إلينا خَشْيةً أن تُبيحَها * رِماحُ النَّصارَى[3] والسيوفُ الجوارح

بكين لكيما يمنعوهنّ منهمُ * وتأبَى قلوبٌ أضمرتْها الجوانحُ

٥ ونادَيْنَنا : أينَ الفِرارُ وكنتمُ * تَغارُونَ أن تبدُو البُرَى[4] والوشائحُ

أأسلمتمونا للعَدُوّ على القَنا * إذا انْتُزِعتْ منها القُرونُ النواطحُ

فما غار منكم غائرٌ لحليلةٍ * ولا عَزَبٌ عزّتْ عليه المَناكِحُ

قال : فلمّا أنشدهم هذه الأبياتَ أنِفوا وثاروا فشَدُّوا شَدّةً تضعضعَ لهم عسكرُ

١٠ الحجّاج ، وثبت لهم الحجّاجُ وصاح بأهل الشأم فتراجعوا وثبتوا ، فكانت الدائرةُ له ، فجعل يقتُل الناسَ بَقيّةَ يومه ، حتى صاح به رجلٌ : والله ياحجّاج لئن كنّا قد أسأنا فى الذنب لَمَا أحسنتَ فى العفو ، ولقد خالفتَ اللهَ فينا وما أطعتَه . فقال له : وكيف ويلَك؟ قال : لأنّ الله تعالى يقول ﴿ فإذَا لَقِيتُمُ الّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ

(١) فى الأصول : « الراوية » بالراء المهملة وهو تصحيف . والزاوية : موضع قرب

١٥ البصرة كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قتل فيها خلق كثير من الفريقين وذلك فى سنة ثلاث وثمانين للهجرة . (٢) فى الأصول : « الجويريات » . والتصويب من كتاب المؤتلف والمختلف ولسان العرب (فى مادة حور) . والحواريات نساء الأمصار ، سمين بذلك لبياضهن وتباعدهن عن قشف الأعراب بنظافتهن . الواحدة حوارية . ويروى : « فقل لنساء المصر » كما فى كتاب المؤتلف والمختلف . (٣) فى اللسان : « جعل أهل الشأم نصارى لأنها تلى الروم

٢٠ وهى بلادها » . (٤) البرى هنا : الخلاخيل ، واحدها برة . والوشائح : جمع لوشاح (بضم أوله وكسره) ، وهو أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها . ويجمع الوشاح أيضا على وشح (بضمتين) وأوشحة .

حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ (١) فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ وقد قتلتَ فأثخنتَ حتى تجاوزت الحدّ، فأْسِرْ ولا تقتُلْ، ثم قال: أوآمَنُ؟ فقال: أَوْلَى لك (٢)! ألّا كان هذا الكلامُ منك قبل هذا الوقت! ثم نادى برفع السيف وأمَّنَ الناسَ جميعا. قال ابن حبيب قال ابن الاعرابيّ: فبلغنى أنّ الحجّاج قال يوماً لجلسائه ما حرَّض علىّ أحدٌ كما حرَّض أبو جلدةَ؛ فإنّه نزل على سَرْحةٍ (٣) فى وَسَط عسكرٍ لابن الأشعث ثم نزع سَرَاوِيلَه فوضعه وسلَح فوقه والناسُ ينظرون اليه. فقالوا له: مالكَ ويلك أجُنِنْتَ! ما هذا الفعل! قال: كلُّكم قد فعلتمْ مثلَ هذا إلّا أنكم سترتموه وأظهرتُه. فشَتموه وحملوا علىّ، فما أنساهم وهو يقدُمهم ويرتجز:

نحن جلبنا الخيلَ من زَرَنْجَا (٤) * مالكَ ياحجّاجُ منّا مَنْجَى
لَتَبْعَجَنْ (٥) بالسيوفِ بَعْجَا * أو لتَفِرَنَّ (٦) فذاك أَحْجَى

فوالله لقد كاد أهلُ الشأم يومئذ يتضعضعون لولا أنّ الله تعالى أيّد بنصره.

قال وقال أبو جِلْدةَ يومئذ:

أيا لَهفي ويا حُزْني جميعًا * ويا غَمَّ (٧) الفُؤادِ لِمَا لَقِينَا
تركْنا الدِّينَ والدُّنيا جميعًا * وخَلَّيْنا (٨) الحلائلَ والبَنِينا

(١) أثخنتموهم: غلبتموهم وكثرت فيهم الجراح. (٢) أولى لك: دعاء عليه بمعنى ويل لك.
(٣) السرحة: الشجرة العظيمة.
(٤) زرنج: قصبة سجستان. (٥) فى الأصول: «لنبعجن» بالنون. وقد أثبتناه كما ترى ليكون خطابا للحجاج. والبعج: الشق.
(٦) فى ب، س: «أو لنفرقن بذاك». وفى جـ: أو لنفرن بذاك» ويقرأ «أو لنقرن بذاك» بالنون والقاف. وفى أ، م: «أو لتفرن بذاك» بالنون والفين. وقد أثبتناه كما ترى لأن له معنى يلائم السياق. وأحجى: أجدر وأخلق. (٧) فى الطبرى: «ويا حرّ الفؤاد».
(٨) فى الطبرى: «وأسلمنا».

فما كُنّا أُناسًا أهلَ دِينٍ * فنصبرَ للبلاء إذا بُلِينا[(1)]

ولا كُنّا أُناسًا أهلَ دُنْيا * فنمنعَها وإن لم نَرْجُ دِينا

تركنا دُورَنا لطَغامِ عَكٍّ[(2)] * وأنباطِ القُرَى[(3)] والأشعَرِينا[(4)]

ذم من القعقاع ابن سويد بعض ما عامله به فقال فيه شعرا

قال ابن حبيبَ : وكان أبو جِلْدةَ مع القَعْقاع بن سُوَيْد المِنْقَرِيّ بسِجِسْتانَ، فذمّ منه بعضَ ما عامَله به، فقال فيه :

ستَعلَمُ أنّ رأيَك رأيُ سَوْءٍ * إذا ظِلُّ الإمارةِ عنك زالَا

وراح بنو أبيكَ ولستَ فيهم * بذِي ذِكْرٍ[(5)] يَزِيدُهمُ جَمالا

هناك تَذَكَّرُ الأسلافَ منهمْ[(6)] * إذا اللَّيلُ القصيرُ عليك طالا

فقال له القَعْقاعُ : ومتَى يطول عليَّ الليلُ القصير؟ قال : إذا نظرتَ إلى السماء مُرَبَّعةً . فلمّا عُزِل وحُبِس أخرج رأسَه ليلةً فنظر[(7)]، فإذا هو لا يرى السماء إلا بقَدْر ١٠ تربيع السِّجْن، فقال : هذا والله الذي حذّرنيه أبو جلدة .

مدح مسمع بن مالك حين ولى سجستان ورثاه حين توفى

قال : ووَلِيَ مِسْمَعُ بن مالك سِجِسْتانَ، وكان مُكْثُ أبي جلدةَ بها، فخرج إليه فتلقّاه ومدحه بقصيدته التي أوّلها :

بانتْ سُعادُ وأمسَى حَبْلُها انقطعَا * وليتَ وَصْلًا لها من حَبْلِها رَجَعَا

١٥ شَطَّتْ بها غُرْبةٌ زَوْراءُ نازحةٌ[(8)] * فطارتِ النَّفْسُ من وَجْدٍ بها قِطَعَا

(١) في الطبري : «في البلاء إذا ابتلينا». (٢) عك : قبيلة. وطغامها : أوغادها. (٣) في الأصول : «وأنماط القرى». والتصويب من الطبري. والأنباط — ومثله النبط والنبيط — : جيل من الناس كانوا بالبطائح بين العراقين. (٤) الأشعرون : جمع أشعري (نسبة الى الأشعر وهو أبو قبيلة باليمن). وحذفت ياء النسب في الجمع تخفيفا. (٥) في حـ : «بذى ٢٠ ذخر». (٦) كذا في ا ، م . وفي سائر الأصول : «فيهم». (٧) في ا ، م : «ينظر». (٨) شطت : بعدت. وغربة زوراء : بعيدة. ونازحة : بعيدة.

ما قرّتِ العينُ إذ زالتْ(١) فينفعها * طعمُ الرُّقاد إذا ما هاجعٌ هجعا
منعتُ نفسيَ من رَوْحٍ تعيش به * وقدأكونُ صحيحَ الصَّدْرِ فأنصدعا
غدتْ تَـلُومِ على ما فاتَ عاذلتى * وقبلَ لَوْمِكِ ما أغنيتِ مَنْ مَنَعا
مَهْـلًا ذَرِينى فإنّى غالَنى(٢) خُلُقِى * وقـد أرى فى بـلاد الله مُتَّسَعا
نَفْرِى(٣) تليـدٌ وما أنفقتُ أَخْلَفه * سيبُ الإله وخيرُ المـال ما نَفَعا
ما عَضّنى الدهرُ إلّا زادنى كَرَمًا * ولا آستكنتُ له إنْ خان أوخدعا
ولا تَلِينُ على العِلّاتِ(٤) مَعْجَمتى(٥) * فى النـائبات إذا ما مسّنى طَبَعا(٦)
ولا تُلَيِّنُ من عُـودِى غمائزُه(٧) * إذا المُغَمِّـزُ منها لانَ أو خضَعا
ولا أُخاتِلُ ربَّ البيتِ غَفْلتَـه * ولا أقول لشيءٍ فاتَ،ما صـنَعا
إنّى لأمدَح أقوامًا ذوى حَسَبٍ * لم يجعـلِ اللهُ فى أقـوالهم قَـذَعا(٨)
الطيّبين على العِـلّات مَعْجَمـةً * او يُعْصَرُ المِسْكُ من أطرافهم نَبَعا
بنى شِهَابٍ بهـا أَعْـنِى وإنّهـمُ * لأكرمُ النّاسِ أخلاقًا ومُصْطَنَعا

---

(١) فى الأصول : « اذ زلت » . وزالت : فارقت . (٢) غالنى هنا : حبسنى ؛ يقال : ماغالك عنا ؟ أى ماحبسك عنا . (٣) يحتمل أن يكون « مجدى » . (٤) على العلات أى على أى حال من يسر أو عسر، وشدّة أو رخاء . (٥) المعجمة : القوة والصلابة ؛ يقال : فلان صلب المعجم والمعجمة إذا كان عزيز النفس إذا جرسته وجدته عزيزا صلبا . (٦) يريد : «إذا ما مسّنى» ، ومرجع الضمير النائبات ، فاضطر، أو إذا ما مسنى شيء منها . والطبع : هنا الضعف والخور . وأصله الوسخ والدنس يغشيان السيف ، ثم استعير فيما يشبه ذلك من الأوزار والآثام وغيرهما من المقابح . (٧) ظاهر أن الغمائز هنا جمع غميزة اسم من الغمز بمعنى العصر والتليين ، ولم نجد الغمائز بهذا المعنى فيما بين أيدينا من المظان ، وإنما الغميزة العيب ؛ يقال : ليس فى فلان غميزة ولا غميز ولا مغمز ، أى ليس فيه ما يغمز فيعاب به . ويحتمل أن يكون صوابه « مغامزه » جمع « مغمز » بمعنى العصر باليد والتليين . (٨) القذع (بالتحريك) : الفحش من الكلام الذى يقبح ذكره .

قال : فوصله مِسْمَعُ بن مالك وحمله وكساه وولّاه ناشيتكين[1] وكان مكتبه[2] .

قال : ثم تُوُفّى مِسْمَعُ بن مالك بسجِسْتَانَ، فقال أبو جِلْدَةَ يرثيه :

١١٣
١٠

أقولُ للنّفسِ تأساءً وتعزيةً * قد كان من مِسْمَعٍ فى مالكٍ خَلَفُ[3]

يا مِسْمَعَ الخيرِ مَنْ ندعو إذا نزلتْ * إحدى النّوائب بالأقوامِ واختلفوا

يا مِسْمَعًا لِعِراقٍ لا زعيمَ لها * بمن تُرَى يُؤْمَنُ المُسْتشرِفُ النَّطِفُ[4]

تلك العيونُ بحيث المصر سادمة * تبكيك إذ فاتك[5] الأكفانُ والخِرَقُ

قد وسّدوك يمينا غير موسدة * و بذل جود لما أودى بك التلف

كنتَ الشّهابَ الذى يُرْمَى العَدُوّ به * والبَحْرَ منه سِجَالُ الجُود تغترفُ

كان ينادم شقيق ابن سليط واستثقل أخاه ثعلبة فهجاه

قال ٱبن حَبِيبَ عن ٱبن الأعرابىّ قال :

كان أبو جِلْدَةَ يُنادم شَقِيقَ بن سَلِيطِ بن بُدَيْلٍ السّدوسىّ أخا بِسْطامِ بن سَلِيطٍ، وكان لهما أخٌ يقال له ثَعْلبةُ بن سَلِيطٍ، وكان ثقيلًا بخيلًا مُبَغَّضًا ، وكان يُطَفِّل عليهم ويُؤذيهم . فقال فيه أبو جِلْدَةَ :

أُحِبُّ على لَذَاذتنا شَقِيقًا * وأُبغِضُ مثلَ ثعلبةَ الثَّقيلِ[6]

له غَمٌّ على الجُلَساءِ مُوذٍ * نَوَافِلُهُ إذا شربوا قليلُ

(١) كذا فى ا ، م . وفى ب ، س : « ناشتكين » بدون ياء . وفى حـ : « ناشئة كنن » ولم نهتد إلى وجه الصواب فيه . (٢) كذا فى الأصول . ولعل صوابه : « وكان بها مكنه » كما تقدّم نظيره فى أول هذا الخبر . (٣) أحسب أن صوابه :

* قد كان فى مسمع من مالك خلف *

(٤) المستشرف : الظالم . يقال : استشرفه حقه إذا ظلمه . والنطف : المريب . وفى الأصول : « يأمن » ببناء الفعل للفاعل ، وهو لا يستقيم به الكلام . (٥) فى هذا البيت والذى بعده كلمات غير واضحة ، وأحسب أن فيهما تحريفا ، بل كلمات البيت الثانى غير ملتئمة مما يدل على أن فى الشعر نقصا . (٦) فى هذا الشعر إقواء .

فرّق مسمع مالا فى عشيرته وجفا سائر بكر فقال هو شعرا فأكرمه وأرضاه

قال ابن حبيبَ عن ابن الأعرابىّ :

وفرّق مِسْمَعُ بن مالك فى عشيرته بنى قيس بن ثَعْلبةَ عطايا كثيرةً وقرّبهم وجفا سائرَ بطون بكر بن وائل . فقال أبو جِلدة :

إذا نِلْتَ مالًا قلتَ قيسٌ عَشيرَتى * تجــورُ علينا عامدًا فى قَضَــائكَا

وإنْ كانتِ الأُخرى فبكرُ بن وائلٍ * بزَعْمِــكَ يُخْشى[1] داؤها بــدوائكا

هُنَـالِكَ لا نَمْشِى الضَّراءَ[2] إليــكُمُ * بَنِى مِسْــمَعٍ إنّا هنـاك أولئــكا

عسى دولةُ[3] الذُّهْلَيْنِ يومًا ويَشْكُرٍ * تكُرّ علينـا سَــبْغةٌ[4] من عطـائكا

قال : فبعث إليه مِسْمَعٌ فترضّاه ووصَله وفرّق فى سائر بطون بكر بن وائل على جِذْمَيْن، جِذْمٍ يقال له الذُّهلانِ، وجِذْمٍ يقال له اللَّهَازم . فالذُّهْلانِ : بنو شَيْبانَ بن ثَعْلبة بن يَشْكُرَ بن وائلٍ، وبنو ضُبَيْعَةَ بن رَبِيعــةَ[5] . واللَّهازِم : قيسُ بن ثَعْلبة، وتَيْمُ اللّاتِ بن ثَعْلَبَة، وعِجْلُ[6] بن لُجَيْم، وعنَزَةُ[7] بن أَسَد بن رَبيعةَ . قال الفرزدق :

وأرضَى بحُــكْمِ الحَىِّ بكرِ بن وائلٍ * إذَا كان فى الذُّهْلَيْنِ أو فى اللَّهازِمِ

(١) كذا فى الأصول . (٢) الضراء : الشجر الملتف ، ويراد به أيضا الاستخفاء والمكر والخديعة ؛ يقال : فلان يمشى الضراء إذا مشى فيما يواريه عمن يكيده ويختله ، ويقال منه استضريت للصيد إذا ختلته من حيث لا يعلم . يقول الشاعر : هنالك نجاهركم ولا نخاتلكم يا بنى مسمع ، وسنكون هنالك ظاهرين يشار إلينا . (٣) الدولة (بالفتح) العقبة فى الحرب ؛ يقال : كانت لنا عليهم الدولة ، والدولة (بالضم) فى المال ؛ يقال : صار الفئ دولة بينهم يتداولونه : مرة لهذا ومرة لهذا ، وقيل : هى فى الحرب وفى المال بالفتح وبالضم . (٤) فى أكثر الأصول : « صبغة » . وفى حـ : « سعة » بغير إعجام . والسبغة فى العيش : السعة فيه . (٥) فى النقائض (صفحة ٧٦٤) : « قال الذهلان شيبان بن ثعلبة وذهل بن ثعلبة . قال وإليهم تحلفت الذهلان . قال وبهم سموا ، وهم شيبان وذهل ويشكر وضبيعة بن ربيعة هذه الأربع القبائل الذهلان » . وفى اللسان مادة ذهل : « وذهل هى من بكر وهما ذهلان كلاهما من ربيعة أحدهما ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة والآخر ذهل ابن ثعلبة بن عكابة » . (٦) فى الأصول : « وتيم اللات بن ثعلبة بن عجل بن لجيم » والتصويب من النقائض . (٧) فى بعض الأصول : « عنترة » وهو تحريف .

قال : وقد دخل بنو قيس بن عُكَابَةَ مع إخوتهم بنى قيس بن ثَعْلبةَ بن عُكَابَةَ . وأمّا حَنِيفةُ فلم تدخُلْ فى شىء من هذا لانقطاعهم عن قومهم باليمامة فى وَسَط دار مُضَر، وكانوا لا ينصرون بَكْرًا ولا يستنصرونهم . فلمّا جاء الإسلامُ ونزل[1] الناسُ مع بنى حَنِيفةَ ومع بنى عِجْلِ بن لُجَيْم فتلهزَمُوا[1] ودخل معهم حلفاؤهم بنو مازِنِ ابن جُدَىّ بن مالك بن صعب[2] بن علىّ، فصاروا جميعا فى اللهازم . وقال موسى بن جابر الحَنَفىّ السُّحَيْمىُّ بعد ذلك فى الإسلام :

وجدنا أبانا كان حلّ ببلدةٍ * سُوًى[3] بين قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلانَ والفِزْرِ

فلمّا نأت عنّا العشيرةُ كلُّها * أقمْنا وحالفْنا السيوفَ على الدهرِ

فما أسلمتْنا بَعْدُ فى يومِ وَقْعةٍ * ولا نحن أغمدْنا السيوفَ على وِتْرِ

كان جاره سيف يشرب ويعربد عليه فهجاه

وقال ابن حبيبَ عن ابن الأعرابىّ قال :

كان لأبى جِلْدةَ بسجستان جارٌ يقال له سَيْفٌ من بنى سَعْد، وكان يشرب الخمرَ ويُعَرْبِدُ على أبى جلدة ، فقال يهجوه :

قُلْ لذوِى سَيْفٍ وسَيْفٍ ألستُمُ * أقلَّ بنى سعدٍ حَصادًا ومَزْرَعا

كأنّكُمُ جِعلانُ ذارِ مُقامةٍ[4] * على عَذِرَاتِ[5] الحىِّ أصبحنَ وُقَّعا

لقد نال سيفٌ فى سِجِسْتانَ نُهزةً * تطاوَلَ منها فوق ما كان إصْبَعا

أصابَ الزِّنا والخمرَ حتّى لقد نَمَتْ * له سُرّةٌ تُسقَى الشرابَ المُشَعْشَعا[6]

١١٤ / ١٠

(١) يحتمل أن يكون جواب «لما» «ونزل الناس» أو «ودخل بعضهم» بزيادة الواو . والواو قد تزاد فى جواب « لما » . (٢) فى الأصول : «مصعب» . والتصويب من كتب الأنساب .
(٣) يقال : مكان سوى (بضم السين وكسرها) وسواء (بالفتح والمد) إذا كان وسطا فيما بين الفريقين . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « دار مضامة » وهو تحريف .
(٥) العذرة (بفتح فكسر) : الغائط . (٦) الشراب المشعشع : الممزوج بالماء .

فلولا هَوَانُ الخمرِ ما ذُقْتَ طَعْمَها * ولا سُقْتَ إبريقًا بكَفِّكَ مُتْرَعا[1]

كما لم يَذُقْها أن تكونَ عزيزةً * أبوك ولم يُعْرَضْ عليها فيَطْمَعا

وكان مكانَ الكلبِ أو مِنْ ورائه * إذا ما المُغَنِّى لِلَّذاذةِ أَسْمَعا

خبره مع القعقاع حين أرجف به فتهدده بالعزل

قال ابن حبيبَ : وكان أبو جِلْدَةَ قد آستعمله القَعْقَاعُ بن سُوَيْد حين تولّى سِجِسْتانَ على بُسْتَ والرُّخّج[2]، فأرجف النـاسُ بالقعقاع وأرجف به أبو جلدة معهم، وكتب القعقاع اليه يتهدّده ؛ فكتب اليه أبو جِلْدَةَ :

يُهَدِّدنى القعقاعُ فى غيرِ كُنْهِهِ * فقلتُ له بَكْرٌ اذا رُمْتَنى تُرْسى

كأنّا وإيّاكُمْ إذا الحربُ بيننا * أُسودٌ عليها الزَّعْفرانُ معَ الوَرْسِ[3]

تَرَى كمصابيحِ الدَّيَاجى وُجُوهَنا * إذا ما لُقِينا والهِرَقْلِيَّةِ[4] المُلْسِ

هناك السُّعودُ السانحاتُ جَرَتْ لنا * وتجرى لكم طيرُ البَوَارحِ بالنَّحْسِ

وما أنتَ يا قَعْقَاعُ إلّا كَمَنْ مضَى * كأنك يومًا قد نُقِلتَ الى الرَّمْسِ

أظُنّ بِغالَ البَرْدِ تَسْرِى إليكمُ * به غَطَفَانِيًّا وإلّا فَمِنْ عَبْسِ

وإلّا فبالبِسّالِ[5] يالَكَ إنْ سَرَتْ * به غيرَ مَغْموزِ القَناة[6] ولا نِكْسِ

فعُمّالُنـا أوْفَى وخَيرٌ بَقِيّـةً * وعُمّالُكم أهلُ الخِيانةِ واللَّبْسِ

وما لبنى عَمْرٍو علىّ هَـوَادةٌ * ولا للرَّبابِ غيرُ تَعْسٍ من التَّعْسِ

(١) ورد هذا البيت والذى بعده فى تكلة شعر الأخطل للأب أنطون صالحانى اليسوعى ، وفيه :

* ولا سفت إبريقا بأنفك مترعا *

والسوف : الشم . (٢) بست (بالضم) : مدينة بين سجستان وغزنين وهراة من نواحى كابل . والرخج : كورة ومدينة من نواحى كابل . (٣) الزعفران : صبغ أصفر . والورس : نبت أصفر يكون باليمن تصبغ به الثياب . (٤) دياجى الليل : حنادسه (ظلماته) كأنه جمع ديجاة . والهرقلية : الدنانير ، نسبة إلى هرقل ملك الروم . (٥) كذا فى ب ، س . وفى أ ، م : «وإلا فيا لستال» . وفى حـ هكذا : «وإلا بنا لتسأل» . ولم نهتد إلى وجه الصواب فيه . (٦) غمز القناة : عصرها وتليينها . وإباء القناة أن تلين للغامز يراد به القوة وعدم الانقياد . والنكس : الضعيف .

قال : فلمّا آنتهت هـذه القصيدةُ إلى القَعْقاع وجّه برسولٍ إلى أبى جِلْدَةَ، وقال : انظُرْ، فإنْ كان كتَب هذا الكتاب بالغَداةِ فاعْزِلْه، وإنْ كان كتَبه باللّيل فأقِرْه على عمَله ولا تعزِلْه ولا تَضْرِبْه . وكان أبوجلدة صاحبَ شرابٍ، فقال للرسول : والله ما كتبتُه إلّا بالعَشِيّ . فسأله البيِّنةَ على ذلك فأتاه بأقوامٍ شهدوا له بما قال، فأقرّه على عمله وآنصرف عنه .

شبب ببنت دهقان فأهدى له ليترك ذكرها

قال ابن حَبيب : ومرّ أبو جِلْدَةَ بقَصْرٍ من قُصور بُسْتَ ينزِله رجلٌ من الدّهاقِينِ، فرأى آبنته تُشْرف من أعلَى القصر، فأنشأ يقول :

إنّ فى القَصْرِ ذى الحِبَا بَدْرَ تِمٍّ * حَسَنَ الدَّلِّ للفُؤاد مُصِيبَا
وَلِعًا بالخَلُوق(١) يأرَجُ منه * ريحُ رَنْدٍ إذا آستقلّ مُنِيبَا(٢)
يَلْبَس الخزَّ والمَطَارِفَ والقَـ * ـزَّ وعَصْبًا من اليَمانِى قَشِيبَا
ورأيتُ الحبيبَ يُبْرِزُ كَفًّا * ما رآه(٣) المُحِبُّ إلّا خَضِيبَا

فبلغ ذلك من قوله الدِّهقانَ، فأهدى له وبرّه وسأله ألّا يذكر ابنتَه فى شعرٍ بعد ذلك .

ضيم فلم يمنعه قومه فهتف بمسمع ابن مالك وآخرين فسعى له قومه
115 / 10

قال ابن حبيب : ولَحِق أباجِلْدَةَ ضيمٌ من بعض الوُلاة، فهتَف بقومه فلم يقدِروا على منعِه منه ولا معونتِه رهبـةً للسُّلطان، فهتَف بأعلَى صوتِه : يا مِسْمَعَ بن مالك، يا أميرَ بن أحْمَرَ، ثم أنشأ يقول :

ولمّا أنْ رأيتُ سَـرَاةَ قومِى * سُكوتًا لايثوبُ لهـم زعيمُ
هتفتُ بمِسْمَعٍ وصَدَى(٤) أميرٍ * وقَبْرٍ مُعَمَّرٍ تلك القُرومُ

---

(١) الخلوق : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران . يأرج : يفيح وينتشر . والرند : شجر طيب الرائحة، وقيل هو العود أو الآس . (٢) استقل هنا : نهض . ومنيبا : راجعا . (٣) كذا فى الأصول . وتذكير « الكف » غلط أو لغة قليلة .
(٤) الصدى هنا : جسد الإنسان بعد موته .

قال : فأبكى جميعَ من حضَر ، وقاموا جميعًا إلى الوالى فسألوه فى أمْره حتى كفّ عنه . قال : وأمير بن أحمر رجلٌ من بنى يَشْكُرَ، وكان سيِّدًا جوادًا ، وفيه يقول زِيَادٌ الأعجمُ :

لولا أميرٌ هَلَكتْ يَشْكُرٌ * ويَشْكُرٌ هَلْكَى على كلّ حال

قال ابن الأعرابىّ : كان أميرُ بن أحمرَ واليًا على خُرَاسانَ فى أيّام مُعاوية . ٥

ومُعمَّرٌ الذى عناه أبو جِلْدةَ معمَّر بنُ شُمَيْرِ[1] بن عامرِ بن جَبَلةَ بن ناعبِ بن صُرَيْم، وكان أميرَ سِجِسْتانَ، وكان سيِّدا شريفا .

خطب خليعة بنت صعب فأبت وتزوّجت غيره فقال شعرا

وقال : خطَب أبو جِلْدةَ امرأةً من بنى عِجْلٍ يقال لها خَلِيعةُ[2] بنت صَعْبٍ، فأبتْ أن تتزوّجه وقالت : أنت صُعْلوكٌ فقيرٌ لا تحفَظ مالَك ولا تُلفِى شيئًا إلّا أنفقتَه فى الخمر، وتزوجتْ غيره . فقال أبو جِلْدةَ فى ذلك : ١٠

صوت

لمّا خَطَبتُ إلى خَلِيعةَ[2] نفسَها * قالت خليعةُ ما أرَى لك مالَا

أوْدَى بمالِى يا خَلِيعَ تَكَرُّمِى * وتَخَرُّقِى وتَحَمُّلِى الأثقالَا

إنّى وَجَدِّكِ لو شَهِدْتِ مَوَاقِفى[3] * بالسَّفْحِ[4] يومَ أُجَلِّلُ الأبطالَا

سَيْفِى، لَسَرَّكِ أنْ تكونى خادمًا * عندى إذا كَرِهَ الكُماةُ نِزَالَا ١٥

الغناء لإبراهيم المَوْصِلىّ ثانى ثقيلٍ بالوُسْطَى عن الهِشامىّ من كتاب علىّ بن يحيى .

(١) فى الأصول : « سمير » بالسين المهملة . والتصويب من كتاب الاشتقاق . (٢) فى جـ : « خلية » . وكذا فى الشعر الآتى : « أوْدى بمالى ياخل تكرمى » . (٣) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : « موافقى » . (٤) فى جـ : « بالسنح » . والسنح (بالضم) : اسم لعدّة مواضع . وسفح الجبل : أسفله حيث يسفح فيه الماء . ولعل السفح هنا موضع بعينه . ٢٠

ضرط بين قوم فضحكوا فأكرههم على أن يضرطوا

قال أبو سعيد السُّكَّرىّ وعُمر بن سعيد صاحب الواقدىّ [1] :

إنّ أبا جِلْدةَ كان فى قريةٍ من قُرَى بُسْت يقال لها الخَيزُرانُ ومعهم عمرو بن صُوحانَ أخو صَعْصَعة فى جماعةٍ يتحدّثون ويشربون، إذ قام أبو جلدة ليبولَ فضَرِطَ، وكان عظيمَ البطن، فتضاحكَ القومُ منه، فسلّ سيفَه وقال : لأَضرِبَنّ مَنْ لا يضرِط فى مجلسه هـذا ضربةً بسيفى، أمِنّى تضحكون لا أُمَّ لكم ! فما زال حتى ضرطوا جميعًا غيرَ عمرو بن صُوحانَ . فقال له : قد علمتَ أنّ عبد القَيْس لا تضرط ولك بَدَلَها عشرُ فَسَواتٍ . قال : لا والله أو تَفْصِحَ بها ! فجعل عمرو يَجْثِى [2] ويتحنى فلا يقدر عليها، فتركه . وقال أبو جلدة فى ذلك :

أمِنْ ضَرْطةٍ بالخَيْزُرانِ ضَرَطْتُها * تَشَـدّد منّى دارةً [3] وتَلِينُ

فما هُوَ إلّا السيفُ أو ضَرْطةٌ لها * يثور دُخَانٌ ساطعٌ وطنينُ

قال : ولعمرو بن صُوحانَ يقول أبو جلدة اليَشْكُرىّ وطالت صُحْبته إياه فلم يظفر منه بشىء :

صاحبتُ عمـرًا زمانًا ثم قلتُ له * الحَقْ بقومك يا عمرُو بنَ صُوحانا

فإنْ صَبَرْت فإنّ الصبرَ مَكْرُمةٌ * وإنْ جَزِعت فقد كان الّذى كانا

هجا زيادا الأعجم لهجوه بنى يشكر

قال ابن سعيد [4] وحدّثنى أبو صالح قال :

بلغ أبا جلدة أنّ زيادًا الأعجمَ هجا بنى يَشْكُرَ، فقال فيه :

لا تَهْجُ يَشْـكُرَ يا زيادُ ولا تكنْ * غَرَضًا وأنت عن الأذى فى مَعْزِلِ

وآعْـلَمْ بأنّهـم اذا ما حُصِّلوا * خـيرٌ وأكرمُ من أبيك الأعزلِ

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « عمرو بن سعد » ولم نهتد الى الصواب فيه . (٢) جثا : جلس على ركبتيه، وهو كدعا ورمى . (٣) كذا فى الأصول . ولعلها « تارة » أى تتشدّد تارة وتلين أخرى . (٤) كذا فى حـ ، ب ، س . وهو عمر بن سعيد، كما ورد فى حـ فى الخبر السابق . وفى أ ، م : « قال ابن سعد » . (راجع الحاشية الأولى من هذه الصفحة) .

لولا زعيم بنى المعلّى لم تبت[1] * حتى نصبّحكم بجيش جحفل
تمشى الضّراء[2] رجالهم وكأنهم * أسد العرين بكل عضب منصل[3]
فاحذر زياد ولا تكن ذا تدرأ[4] * عند الرجال ونهزة[5] للختّل

سليمان بن مرثد بن مرثد كان صديقا له

وقال ابن حبيب : كان سليمانُ بن عَمرو بن مَرْثَد البَكْرىّ صديقًا لأبى جِلدةَ ، وكان فارسًا شُجاعًا ، وقتله ابن خازم[6] لشىء بلغه فأنكره ، وفيه يقول أبو جِلْدة :

إذا كنتَ مُرتادًا نديمًا مُكرَّرًا * تَمَاه سَراةٌ من سَراةِ بنى بكرِ
فلا تَعْدُ ذا العَلْيا سُليمانَ عامدًا[7] * تجِدْ ماجدًا بالجُود مُنشرِحَ الصدرِ
كريمًا على عِلّاته[8] يبذُل النّدى * ويَشْربها صهباءَ طيّبةَ النَّشْرِ[9]
مُعتّقةً كالمِسك يُذهِبُ ريحُها الـ * زُّكامَ وتدعو المرءَ للجُود بالوَفْرِ
وتترك حاسى الكأس منها مُرنَّحًا * يَميدُ كما مادَ الأثيمُ[10] من السكرِ
تلوحُ كعَينِ الدِّيك ينزُو حَبابُها * إذا مُزِجتْ بالماء مثلَ لَظَى الجمْرِ
فتلك إذا نادمتَ من آلِ مَرْثَدٍ * عليها نديمًا ظلّ يهرِف[11] بالشِّعْر

(١) فى جـ : « لم تبت » بالتاء . وفى سائر الأصول : « لم تنب » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ صفحة ٣١٦ (٣) العضب : السيف القاطع . والمنصل (بضم الميم والصاد وبفتح الصاد أيضا) : اسم للسيف . (٤) ذو تدرأ : ذو حفاظ ومدافعة ومنعة . (٥) النهزة الفرصة . والختل : جمع خاتل . والختل : المخادعة فى غفلة . وفى الأصول : « للختل » وظاهر أنه تحريف . (٦) فى الأصول : «ابن حازم» بالحاء المهملة . والتصويب بقلم المرحوم محمد محمود بن التلاميذ فى نسخته . ونحسب أنه عبد الله بن خازم الذى كان واليا لخراسان .

(٧) كذا فى أ . وفى سائر الأصول : « عامرا » وهو تحريف . (٨) على علاته أى على حالاته المختلفة من عسر ويسر . (٩) النشر هنا : الرائحة .

(١٠) كذا فى الأصول . ولعله : « كما ماد الأميم » . والأميم والمأموم : الذى أصابت الشجة أم رأسه وهى الدماغ حتى لا يبقى بينها وبين الدماغ إلا جلد رقيق . (١١) الهرف (بالفتح) هنا : الهذيان ، والهرف أيضا : مجاوزة القدر فى الثناء والمدح . وفى بعض الأصول : « يهرق » وهو تصحيف .

يُغَنِّيكَ تاراتٍ وطورًا يَكُرُّها * عليكَ بحيَّاكَ الإلهُ ولا يدرى
تَعَوَّد ألَّا يَجْهَلَ الدهرَ عندها * وأن يبذُلَ المعروفَ فى العُسْرِ واليسر
وإنّ سليمانَ بن عَمْرِو بن مَرْثَدٍ * تَألَّى(1) يمينًا أنْ يَرِيشَ(2) ولا يَبْرِى
فهِمَّته بَذْلُ النَّدى وابْتِنَا العُلَا * وضربُ طُلَى(3) الأبطالِ فى الحرب بالبُتْرِ
٥ وفى الأمنِ لا ينفكُّ يَحْسُو(4) مُدَامةً * اذا ما دجا ليلٌ الى وَضَحِ الفَجْرِ

قال : فلمّا بلغتْ سليمانَ هذه الأبياتُ قال : هجانى أخى وما تعمّد ، لكنه يرى أنّ الناسَ جميعًا يُؤْثِرون الصَّهْباء كما يُؤْثِرها هو ، ويشرَبونها كما يشرَبُها . وبلغ قولُه أبا جلدة فأتاه فآعتذر اليه ، وحلَف أنّه لم يتعمّد بذلك ما يكرَهه ويُنكره . قال : قد عَلِمتُ بذلك وشَهِدتُ لك به قبل أنْ تعتذر ، وقَبِل عُذْرَه .

سأل الحضين بن المنذر شيئا فلم يعطه إياه فهجاه

١٠ وقال ابن حبيب : سأل أبو جلدة الحُضَيْن بن المُنْذِر الرَّقَاشيّ شيئا فلم يُعْطِه إيّاه ، وقال : لا أُعطيه ما يشرَب به الخمرَ . فقال أبو جِلْدة يهجوه :

يا يومَ بُؤْسٍ طلعتْ شمسُه * بالنَّحْسِ لا فارقتَ رأسَ الحُضَيْنِ
إنّ حُضَيْنًا لم يَزَلْ باخلًا * مُذْ كان بالمعروفِ كَزَّ(5) اليدَيْنِ

فبلغ الحضينَ قولُ أبي جلدة، فقال يُجيبه :

١٥ عَضَّ أبو جِلْدةَ من أُمِّه * مُعْتَرِضًا ما جاوزَ الأَسْكَتَيْنِ(6)
بَظْرًا(7) طويلًا غاشيًا(8) رأسُه * أَعْقَفَ كالمِنْجَلِ ذا شُعْبَتَيْنِ

---

(1) تألّى : حلف . (2) يقال : رشت فلانا ، إذا قويت جناحه بالإحسان اليه ، فارتاش وتريش . وبراه : هزله وأضعفه . ومثله قول الشاعر :

فرشنى بخير طالما قد بريتنى * لخير الموالى من يريش ولا يبرى

٢٠ (3) الطلى (بالضم) : الأعناق . والبتر : جمع بتور، وهو السيف القاطع . (4) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : «نحو مدامة» وهو تحريف . (5) رجل كز اليدين : بخيل . (6) الأسكتان (بفتح الهمزة وكسرها) : جانبا الفرج وهما قذتاه . (7) البظر : هنة بين أسكتى المرأة . (8) كذا فى الأصول . وأحسب أن صوابه «عاسيا» أى شديدا صلبا .

وقال أبو جِلْدَة فى حُضَيْنٍ أيضا :

لَعَمْرُكَ إنّى يوم أُسْنِدُ حاجتى * إليكَ أبا ساسانَ (١) غيرُ مُسَدَّدِ

١١٧ / ١٠

فلا عالمٌ بالغَيْبِ مِنْ أين ضَرُّه * ولا خائفٌ بَثَّ الأحاديثِ فى غدِ

فليتَ المَنَايَا حلّقتْ بى صُروفُها * فلم أطْلُبِ المعروفَ عند المُصَرِّدِ (٢)

فلو كنتَ حُرًّا يا حُضَيْنُ بنَ مُنْذِرٍ * لَقُمْتَ بحاجاتى ولم تَتَبلَّدِ ٥

تَجَهَّمْتنى خوفَ القِرَى وٱطَّرَحْتَنى (٣) * وكنتَ قصيرَ الباعِ غيرَ المُقَلَّدِ

ولم تَعْدُ ما قد كنتَ أهلًا لمثلِه * من اللُّؤْمِ يا بنَ المُسْتَذَلِّ المُعَبَّدِ

تهدده بنو رقاش لهجائه الحضين فقال شعرا

قال : فبلغ أبا جلدة أنّ بنى رَقَاشِ (٤) تهدّدوه بالقتل لهجائه الحُضَيْن بن مُنْذِرٍ، فقال :

تُهَدِّدُنى جهلًا رَقَاشِ وليتَنى * وكلَّ رقاشيٍّ على الأرض فى الحَبْلِ

فِباسْتِ حُضَيْنٍ وٱسْتِ أُمٍّ رمتْ به * فبئس مَحَلُّ الضَّيْفِ فى الزَّمنِ المَحْلِ ١٠

وإنْ أنا لم أَتْرُكْ رَقَاشِ وجَمْعَهُمْ * أذلَّ على وَطْءِ الهَوانِ من النَّعْلِ

فشَلَّتْ يداى وٱتبعتُ سوى الهُدَى * سبيلًا ولا وُفِّقْتُ للخيرِ والفضلِ

عِظَامُ الخُصَى ثُطُّ (٥) اللِّحَى مَعْدِنُ الخَنَا * مَباخيلُ بالأزْوادِ فى الخِصْبِ والأَزْلِ (٦)

إذا أَمِنوا ضَرّاءَ دهرٍ تَعاظَلُوا (٧) * عِظالَ الكلابِ فى الدُّجُنَّةِ والوَبْلِ

(١) أبو ساسان : كنية الحضين بن المنذر . (٢) التصريد : قلة العطاء . ١٥

(٣) كذا فى الأصول ! . (٤) رقاش : مبنية على الكسر مثل حذام وقطام، وبعضهم يجريها مجرى ما لا ينصرف . (٥) ثط : جمع أثط وثط (بالفتح) وهو القليل شعر اللحية . والمعدن اسم مكان من عدن بالبلد يعدن (من بابى ضرب ونصر) عدنا وعدونا أى أقام .

(٦) الأزل : الضيق والشدة . (٧) التعاظل — ومثله العظال والاعتظال والمعاظلة — : الملازمة فى السفاد . ويقال : عظلت الكلاب (من بابى نصر وسمع) إذا ركب بعضها بعضا . والدجنة : ٢٠ الظلمة، والغيم المطبق الريان المظلم . والوبل : المطر الضخم القطر، مثل الوابل .

وإنْ عَضَّهُمْ دهرٌ بنَكْبةِ حادثٍ * فأَخْوَرُ عِيدانًا من المَرْخِ والأَثْلِ (١)

أسُودُ شَرَى وَسْطَ النَّدِى ثَعالِبٌ (٢) * إذا خَطَرتْ (٣) حربٌ مَراجِلُها تَغْلِى

شعره فى دهقانة كان يختلف اليها

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى محمد بن عبد الله الأصبهانىّ المعروف بالحَزَنْبَل عن عمرو بن أبى عمرو (٤) الشيبانىّ عن أبيه قال :

٥ عشِق أبو جِلْدَةَ اليَشْكُرِىُّ دِهْقانةً بِبُسْتَ وكان يختلف إليها ويكون عندها دائمًا، وقال فيها :

وكأسٍ كأنّ المِسْكَ فيها حسوتُها * ونازَعَنيها صاحبٌ لى مُلَوَّمُ (٥)

أغرُّ كأنّ البدرَ سُنّةُ (٦) وجهِه * له كَفَلٌ وافٍ وفَرْعٌ ومَبْسِمُ (٧)

يُضىء دُجَى الظَّلْماء رَوْنَقُ خَدِّه * ويَنجابُ عنه الليلُ والليلُ مظلمُ

١٠ وثَدْيانِ كالحُقَّيْنِ والمَتْنُ مُدمَجٌ * وجِيدٌ عليه نَسَقُ دُرٍّ منظَّمُ

وبطنٌ طواه الله طَيًّا ومَنْطِقٌ * رَخِيمٌ ورِدْفٌ نِيطَ بالحَقْوِ مُفْأَمُ (٨)

به تَبَلَتْنِى واستَبَتْنِى وغادرتْ * لَظًى فى فُؤادى نارُها تتضرّمُ

أبِيتُ بها أَهذِى إذا الليلُ جَنّنى * وأُصْبِحُ مبهوتًا فما أتكلّمُ

فمَنْ مُبْلِغٌ قومى الدُّنَا (٩) أنّ مُهجَتى * تَبِينُ، لئن بانت ألّا تَلَوُّمُ (١٠)

١٥ وعَهْدِى بها ـ واللهُ يُصْلِحُ بالَها ـ * تجودُ على مَنْ يَشْتَهِيها وتُنْعِمُ

فما بالُها ضَنّتْ علىّ بوُدِّها * وقلبى لها يا قوم عانٍ متيَّمُ

---

(١) المرخ والأثل : ضربان من الشجر . (٢) فى الأصول : « وسط الندى وثعالب » بزيادة الواو . (٣) فى أ ، م : « حضرت » . (٤) فى الأصول : « عن أبى عمرو » وهو تحريف . (٥) ملوّم : يلومه الناس كثيرا . (٦) سنة الوجه : دائرته أو صورته أو الجبهة والجبينان . (٧) المبسم (بكسر السين) : الثغر . (٨) نيط بالحقو : علق به .
٢٠ والحقو (بالفتح ويكسر) : الكشح . وردف مفأم : سمين . (٩) القوم الدنا : الأقربون .
(١٠) التلوّم : التلبث والانتظار .

قال : فلمّا بلغها الشعرُ سألتْ عن تفسيره ففُسِّر لها . فلما ٱنتهى المُفَسِّر إلى هذين البيتين الأخيرين غَضِبتْ فقالت : أنا زانيةٌ كما زعَم! إنْ كلمته كلمةً أبدًا . أوَ كُلّما ٱشتهانى إنسانٌ بذلتُ له نفسى وأنعمتُ من رُوحى(١) إذًا ! أىْ أنا إذًا زانيـة . فصرَمته، فلم يقدِر عليها وعُذِّب بها زمانًا، ثم قال فيها لمّـا يئس منها :

١١٨ / ١٠

صحـا قلـبى وأقْصَرَ بعـد غَىٍّ * طويلٍ كان فيـه من الغَوانى
بأنْ قصَد السبيلَ فباع جهلًا * برُشْـدٍ وٱرتَجى عُقْبى الزّمانِ
وخاف الموتَ وٱعتصم ٱبنُ حُجْرٍ(٢) * من الحُبّ المبرِّح بالجَنَـانِ(٣)
وقِـدْمًا كان مُعْتَرِمًا(٤) جَمُـوحًا * إلى لَذّاته سَلِسَ العِنَانِ
وأقلـعَ بعـد صَبْوَته وأضحَى * طويلَ اللّيـلِ(٥) يَهْرِف بالقُـرَانِ
ويدعـو اللهَ مجتهـدًا لكيما * ينالَ الفَـوْزَ من غُرَفِ الجِنَانِ

١٠

قال شعرا فى يزيد ابن المهلب ثم تنصل منه

قال ٱبن حبيبَ قال أبو عُبَيْدَةَ :

كان يزيدُ بن المُهَلَّبِ يُتَّهَمُ بالنِّساء . فقال فيه أبو جِلْدَةَ :

اذا ٱعتكرتْ(٦) ظلماءُ ليلٍ ونَوَّمتْ * عيونُ رجالٍ وٱستلذّوا المَضَاجعَا
سما نحوَ جارِ البيتِ يَسْتامُ عِرْسَه(٧) * يزيـدُ دبيبًا للعـاناة(٨) قابعـا(٩)
وإنْ أمكنتْه جارةُ البيتِ أوْ رنتْ * إليـه أتاها بعـد ذلك طائعـا

١٥

(١) كذا فى م . وفى سائر الأصول هكذا : «من رومى» بالميم وهو تحريف. (٢) حجر : من آباء الشاعر . (٣) هـذا الشطر مكانه بياض فى الأصـول الخطية . وهو مثبت هـكذا فى الأصلين المطبوعين . (٤) الاعترام هنا : الشراسة والبطر مثـل . العرام والعرامة . وفى بعض الأصول : « معتزما » بالزاى المعجمة . (٥) كذا فى الأصول . ولعله « طوال الليل » .

٢٠

(٦) فى الأصول : « اعتركت » وهو تحريف . واعتكار الظلام : اشتداده واختلاطه .

(٧) يستام عرسه : يطلب زوجتـه . (٨) كذا ! (٩) فى الأصـول : « قانعا » بالنون وهو تصحيف . والقبع تغطية الرأس بالليل لريبة ؛ قال الشاعر .

ولا أطرق الجارات بالليـل قابعا * قبوع القرنبى أخطأته مجاحره

أى يدخل رأسه فى ثوبه كما يدخل القرنبى رأسه فى جسمه . والقرنبى : دويبة شبه الخنفساء أو أعظم منها شيئا طويلة الرجل .

٢٥

فشاعتِ الأبياتُ ورواها الناسُ لقَتادةَ بن مُعْرِب[(1)] . فقال ابو جِلْدَةَ :

أبا خالدٍ رُكْنِي ومَنْ أنا عبدُه * لقد غالى الأعداءُ عمدًا لتَغْضَبا

فإنْ كنتُ قلتُ اللّذْ أتاك به العِدَا * فشَلّتْ يدى اليُمْنَى وأصبحتُ أعْضَبا[(2)]

ولا زِلتُ محمولًا على بَلِيّةٍ * وأمسيتُ شِلْوًا للسّباع مُتَرَّبا[(3)]

٥ فلا تَسْمَعَنْ قولَ العِدَا وتَبيّنَنْ * أبا خالدٍ عُذْرًا وإنْ كنتَ مُغْضَبا

سئل عنه البعيث فذكر شعرا لقتادة ابن معرب يهجوه به

وقال ٱبن حبيبَ : قال رجلٌ للبَعيثِ: أىُّ رجلٍ[(4)] هو أبو جِلْدَةَ ؟ فقال : قَتَادةُ بن مُعْرِب أعْرَفُ به حيث يقول :

إنّ أبا جِلْدَةَ من سُكْرِه * لا يعرِف الحقَّ من الباطلِ

يزدادُ غَيًّا وٱنْهِماكًا ولا * يسمَع قولَ الناصحِ العاذلِ

١٠ أعيا أبوه وبنو عَمِّه * وكان فى الذِّرْوَة مِنْ وائل

فليتَه لم يَكُ من يَشْكُرٍ * فبئسَ خِدْنُ الرجلِ العاقلِ

أعْمَى عن الحقِّ بصيرٌ بما * يعرِفه كلُّ فتىً جاهلِ

يُصْبِحُ سَكْرانَ ويُمْسِى كما * أصْبَحَ، لا أُسْقِيَ منَ الوابل

شَدَّ رِكابَ الغَيّ ثم ٱغتدَى * إلى التى تُجْلَبُ من بابِلِ

١٥ فالسِّجْنُ إنْ عاش له مَنْزِلٌ * والسِّجْنُ دارُ العاجزِ الخاملِ

(١) كذا فى الأصول وكتاب الاشتقاق . وورد فى كتاب الشعر والشعراء «مغرب» بالغين المعجمة مضبوطا بضم أوّله وفتح ثانيه وتشديد الراء مكسورة، وفيه «ويقال مغرب» وضبط بضم فسكون فكسر وفى ب، س فى أخبار زياد الأعجم (ج ١٤ ص ١٠٤ طبعة بلاق) : «مقرب» بالقاف . ولم نهتد لوجه الصواب فيه . وقتادة بن معرب من بنى يشكر . (٢) الأعضب هنا : القصير اليد ، والأعضب : من لا ناصر له ، ومن الغنم : المكسور القرن . (٣) المترب : الملطخ بالتراب .

(٤) فى الأصول : «أى رجل» وهو تحريف .

شعر له يناقض به قتادة بن معرب

وقال أبو جِلْدَةَ يُجيبه :

قُبِّحْتَ لو كنتَ آمرأً صالحًا * تَعرِفُ ما الحقَّ من الباطلِ

كَفَفْتَ عن شَتْمِى بلا إحْنةٍ * ولم تَوَرَّطْ كِفَّةَ الحابلِ (١)

لكنْ أبتْ نَفْسُك فعلَ النُّهَى * والحَزْمِ والنَّجْدةِ والنائِلِ

فتحتَ لى بالشَّتْمِ حتى بَدَا * مكنونُ غِشٍّ فى الحَشَا داخلِ ٥

فآجْهَدْ وقُلْ لا تَتْرُكْ جاهدًا * شَتْمَ امرئٍ ذى نَجْدةٍ عاقلِ

تَعْذُلُنى فى قَهْوةٍ مُزَّةٍ * دِرْياقةٍ تُجْلَبُ من بابلِ

١١٩/١٠

ولَوْ رآها خَرَّ مِنْ حُبِّها * يَسْجُدُ للشيطانِ بالباطلِ

يا شَرَّ بَكْرٍ كلِّها مَحْتِدًا * ونُهْزَةَ المختلِسِ الآكلِ

عِرْضَكَ وَفِّرْهُ ودَعْنِى وما * أهواهُ يا أحْمَقَ من باقلِ (٢) ١٠

عربد عليه ابن عم له فاحتمله وقال شعرا

قال ابن حبيبَ : كان أبو جِلْدةَ يشرب مع آبنِ عمٍّ له من بَكْرِ بن وائل، فسكِر نديمُه فعَرْبَد عليه وشتَمَه ، فآحتمله أبو جِلْدةَ وسقاه حتّى نام، وقال فى ذلك :

أبَى لِيَ أنْ أَلْحَى نَديمِى إذا آنتشَى * وقال كلامًا سيِّئًا لى على السُّكْرِ

وَقَارِى وعِلْمِى بالشَّرابِ وأهلِه * وما نادمَ القومَ الكرامَ كذِى الحِجْرِ (٣)

فلستُ بِلاَحٍ لِى نديمًا بِزَلَّةٍ * ولا هَفْوةٍ كانت ونحن على الخمرِ ١٥

عَرَكْتُ بجَنْبِى قولَ خِدْنِى وصاحبِى * ونحنُ على صَهْباءَ طَيِّبةِ النَّشْرِ (٤)

(١) كفة الحابل : حبالته التى يصيد بها . وهى منصوبة على نزع الخافض، أو على تضمين تورط معنى فعل متعد . (٢) المعروف فى المثل أنه يقال « أعيا من باقل » . وهو رجل من إياد، وقيل من ربيعة ، بلغ من عيه أنه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما ، فمر بقوم فقالوا له : بكم اشتريت الظبى ؟ فمد يديه ودلع لسانه يريد أحد عشر ، فشرد الظبى وكان تحت إبطه ، فضرب بعيه المثل . ٢٠
(٣) ذو الحجر : ذو العقل . (٤) يقال : عركت ذنبه بجنبى اذا احتملته . والخدن : الصديق . والنشر : الرائحة .

فلمّا تمادَى قلتُ خُذْها عريقةً * فإنّك من قومٍ جحاجحةٍ زُهْرِ
فما زِلْتُ أَسْقيه وأشرب مثلَ ما * سَقَيْتُ أخى حتّى بَدَا وَضَحُ[1] الفجرِ
وأيقنتُ أنّ السُّكرَ طارَ بلُبِّهِ * فأغرقَ فى شتْمى وقال وما يَدْرِى
ولاكَ لِسانًا كان إذْ كان صاحيًا * يقلّبه فى كلِّ فنٍّ من الشِّعْرِ

شعر له وقد دعا رجلا من قومه للشراب فأبى

٥ أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثانِ قال :

كان أبو جِلْدَةَ اليَشْكُرِىّ قد خرج إلى تُسْتَرَ[2] فى بَعْثٍ، فشرب بها فى حانةٍ مع رجلٍ من قومه كان ساكنًا بها . ثم خرج عنها بعد ذلك وعاد إلى بُسْتَ والرُّخَّجِ وكان مكتبُهُ[3] هناك، فأقام بها مدّة، ثمّ لقى بها ذلك الرجلَ الذى نادمه بتُسْتَرَ ذاتَ يومٍ،

١٠ فسلّم عليه ودعاه إلى منزله ، فأكلا، ثم دعا بالشّراب ليشربا، فامتنع الرجلُ وقال : إنّى قد تركتُها لله . فقال أبو جِلْدَةَ وهو يشرب :

أَلَا رُبَّ يومٍ لى بِبُسْتَ وليلةٍ * ولا مِثْلَ أيّامى المَوَاضِى بتُسْتَرِ
غَنِيتُ بها أُسْقِى سُلَافَ مُدَامةٍ * كريمَ المُحَيَّا مِن عَرَانينِ يَشْكُرِ
نُبَادِرُ شُرْبَ الراحِ حتّى نَهُرَّها[4] * وتتركنا مثلَ الصَّرِيعِ المُعَفَّرِ
١٥ فذلك دهرٌ قد تولّى نعيمُه * فأصبحتُ قد بُدِّلْتُ طولَ التَّوَقُّرِ
فواجعنى حِلْمِى وأصبحتُ منهجَ الـ[5] * ـشّراب وقِدْمًا كنتُ كالمتحيِّرِ
وكل أوانِ[6] الحقِ أبصرتُ قَصْدَه * فلستُ وإن نُهِّتُ عنه بمُقْصِرِ

(١) كذا فى كتاب الشعر والشعراء . ووضح الفجر : بياض الصبح . وفى الأصول : «واضح الفجر» .
(٢) تستر : مدينة بخوزستان .   (٣) لعله : «وكان مكتبه هناك» كما تقدّم نظيره فى صفحة ٣١٣ سطر ١٢   (٤) هرّه : كرهه .   (٥) كذا ! . ولعل صوابه «منهج
٢٠ السبيل» أى أصبحت واضحا طريق الذى أسلكه وقد كنت قديما كالمتحير ؛ يقال نهج الطريق وأنهج إذا وضح وبان .   (٦) فى الأصول الخطية : «وقل أوان الحق» . ولم نوفق للصواب فيه .

سأرْكُضُ فى التَّقْوَى وفى العِلْمِ بعدَما * ركضتُ إلى أمرِ الغَـوِىِّ المُشَهَّرِ
وبالله حَـوْلِى وٱحْتِيـالى وقُوّتى * ومَنْ عندَه عُرْفِى الكثيرُ ومُنْكَرِى

مر به مسمع بن مالك فوثب إليه وقال فيه شعرا

أخبرنى محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا محمد بن الحارث المدائنىّ قال : مرّ مِسْمَعُ بن مالكٍ بأبى جِلْدةَ، فوثَب اليه وأنشأ يقول :

يا مِسْمَعُ بنَ مالكٍ يا مِسْـمَعُ * أنت الجوادُ والخطيبُ المِصْقَعُ
* فٱصنَعْ كما كانــ أبوك يَصْنَعُ *

١٢٠ / ١٠

فقال له رجلٌ كان جالسًا هناك : إنْ قبِل منك والله يا أبا جِلدةَ ناكَ أُمَّه . فقال له : وكيف ذلك ويحك ؟ قال : لأنك أمرتَه أن يصنَع كما كان أبوه يصنع ! .

مدح مقاتل بن مسمع ضعاف مثل ما كان مسمع يعطيه فلما رده هجاه

وقال أبو عمرو الشَّيْبانىّ : كان مِسْمَعُ بن مالك يُعطى [أبا جلدة، فقال فيه][1] :

يسـعَى أُناسٌ لكيْما يُدْرِكوكَ ولو * خاضُوا بحارَك أو ضَحْضَاحَها[2] غرِقوا
وأنت فى الحربِ لا رَثُّ القُوَى[3] بَرِمٌ * عنـد اللّقـاءِ ولا رِعْديدةٌ فَـرِقُ
كُلُّ الخِلَالِ الّتى يسعَى الكرامُ لها * إنْ[4] يمدَحوكَ بها يومًا فقد صدَقوا
ساد العِـراقَ فحالُ[5] النـاسِ صالحةٌ * وسادَهم وزمانُ النـاسِ مُنْخَرِقُ
لا خارجىٌّ ولا مُسْـتَحْدَثٌ شَرَفًا * بل مجدُ آلِ شِهابٍ كان مذ خُلِقوا

---

(١) هذه الزيادة ليست فى الأصول الخطية . (٢) الضحضاح : الماء القليل القعر .
(٣) رث القـوى : ضعيفها . والبرم هنـا : الضجر الملول . والرعديدة : الجبان يرعد عند القتال جبنا . والفرق : الفزع الشديد الخوف .
(٤) فى الأصول : « ليمدحوك » ولا يستقيم بها الكلام . (٥) كذا فى جـ . وهو يريد أن الممدوح ساد العراق فصلحت حال الناس بسيادته وكان حالهم حين ساده فى اضطراب وفوضى . وفى سائر الأصول : « وحال الناس » بالواو .

قال : ثم مدح مُقَاتِل بن مِسْمَع طمعاً فى مثل ما كان مِسْمَعٌ يُعطيه ، فلم يلتفت اليه وأمر أن يُحْجَبَ عنه . فقيل له : تعرضتَ للسان أبى جِلْدَة وخُبْثه . فقال : ومَنْ هو الكلبُ ! وما عسى أن يقول قبّحه الله وقبّح مَنْ كان منه ! فَلْيَجْهَدْ جَهْدَه . فبلغ ذلك من قوله أبا جِلْدة فقال يهجوه :

قَرَى ضَيْفَه المـاءَ القَراحَ ابنُ مِسْمَعٍ * وكان لئيماً جارُه يَتَـذَلَّل

فلمّا رأى الضيفُ القِرَى غيرَ راهنٍ[1] * لديه تـولّى هارباً يَتَـعَلَّلُ

يُنَادِي بأعلَى الصوتِ بَكْرَ بنَ وائِلٍ * ألَا كُلُّ مَن يرجو قِراكم مُضَلَّلُ

عَمِيـدُكُمُ هَرَّ الضيـوفَ فما لَكم * ربيعـةُ[2] أمسى ضيفُكم يتحـوّل

وخِفْتُمْ بأنْ تَقْرُوا الضيوفَ وكنتمُ * زماناً بِكُمْ يَحْيَا الضَّرِيكُ المُعيلُ[3]

فما بالُكُمْ بالله أنتم بَخِلْتُمُ * وقَصَّرتُمُ والضيفُ يُقْـرَى ويُنْزَلُ

ويُكْرَمُ حتّى يُقْـتَرَى حين يُقْتَرَى[4] * يقـول إذا ولَّى جميـلًا فيُجْمِلُ

فَمَهْـلًا بنى بَكْرٍ دَعُوا آلَ مِسْمَعٍ * ورأيَهـمُ لا يَسْبِقُ الخيـلَ مُحْثَلُ[5]

ودُونَكُمُ أضيافَكُمْ فتَحدَّبُوا * عليهـمْ ووَاسُـوهُمْ فذلك أجمـلُ

(١) غير راهن : غير حاضر . (٢) ربيعة : من بطون بكر بن وائل . (٣) فى جـ : « المقيل » بالفاء . وفى سائر الأصول : « المقيل » بالقاف . والمعيل : ذوالعيال . والضريك : الفقير السيء الحال .

(٤) اقترى الأولى : تبع ، واقترى الأخرى : أضاف ؛ يقال : اقترى فلان الضيف ، مثل قراه . يقول : إن من حق الضيف أن يكرم ما دام ثاويا ، فاذا رحل وجب أن تتبعه الكرامة حيث حل ؛ كما قال الآخر :

ونكرم جارنا ما دام فينا * ونتبعه الكرامة حيث سارا

وهذا البيت ليس فى جـ .

(٥) فى الأصول : «محتل» بالمثناة ، ولم نجد لها معنى . والمحثل (بالمثلثة) : الضاوى الدقيق السيء الغذاء ؛ يقال أحثلت الصبي إذا أسأت غذاءه ، وأحثله الدهر : أساء حاله .

ولا تُصْبِحُوا أُحْدوثةً مثلَ قائلٍ[1] * به يَضرِبُ الأمثالَ مَنْ يَتَمَثَّلُ

إذا ما التَقَى الرُّكْبانُ يومًا تذاكروا * بَنِي مِسْمَعٍ حتَّى يُحَمُّوا[2] ويَثْقُلُوا

فلا تَقْرَبُوا أبياتَهم إنّ جارَهُمْ * وضَيْفَهُمُ سِيَّانِ أنَّى تَوَسَّلوا

هُمُ القومُ غَرَّ الضيفَ منهم رُوَاؤُهُمْ * وما فيهمُ إلّا لئيمٌ مُبَخَّلُ

فلَوْ بنِي شَيْبَانَ حَلَّتْ رَكائبِي * لكان قِرَاهُمْ راهنًا[3] حين أَنْزِلُ

أُولئك أَوْلَى بالمَكارِمِ كلِّها * وأجْدَرُ يومًا أن يُوَاسُوا ويُفْضِلُوا

بنِي مِسْمَعٍ لا قرَّب اللهُ دارَكم * ولا زال واديكم من الماء يُمْحِلُ

فلم تَرْدَعُوا الأبطالَ بالبِيضِ والقَنَا * إذا جعلتْ نارُ الحُروبِ تَأَكَّلُ

(١) كذا ! . (٢) حم فلان : أصابته الحمى .

(٣) فى بعض الأصول : « واهنا » بالواو ، وهو تحريف . والراهن : الحاضر .

أخبـار عَلُّوَيْه ونسـبه

نسب علويه وأصله

١٢١
١٠

هو علىّ بن عبد الله بن سَيْف[١] . وكان جَدّه من السُّغْد[٢] الذين سباهم الوليد ابن عثمان بن عفّان[٣] وآسترقّ منهم جماعة آختصّهم بخِدْمته، وأعتق بعضهم، ولم يُعْتِق الباقين فقتلوه . وذكر آبن خُرْدَاذْبه ـ وهو ممن لا يحصّل قوله ولا يُعتمد عليه ـ أنّه من أهل يَثْرِب مولى بنى أُمَيّة، والقولُ الأوّل أصحّ .

مهارته فى الغناء والضرب وبعض أخلاقه ونشأته وسبب وفاته

ويُكْنَى عَلُّوَيْهْ أبا الحسن . وكان مغنّيا حاذقا، ومؤدّبا محسنا، وصانعا متفنّنا، وضاربا متقدّما، مع خِفّة رُوح، وطِيبِ مُجالسة، ومَلاحة نوادر. وكان إبراهيم الموصلىّ علّمه وخرّجه وعُنِى به جدّا، فبرَع وغنّى لمحمد الأمين، وعاش الى أيّام المتوكّل، ومات بعد إسحاق الموصلىّ بمُدَيْدَةٍ يسيرة . وكان سببُ وفاته أنّه خرج به جَرَبٌ، فشكاه إلى يحيى آبن ماسَوَيْه ، فبعث إليه بدواءٍ مُسْهِلٍ وطِلاء ، فشرب الطِّلاء وآطّلَى بالدواء المُسْهِل، فقتله ذلك . وكان إسحاق يتعصب له فى أكثر أوقاته على مُخارِق . فأمّا التقديمُ والوصفُ فلم يكن إسحاقُ يرى أحدًا من جماعته لها[٤] أهلًا ، فكانوا يتعصّبون عليه لإبراهيم بن المَهْدىّ، فلا يَضُرّه ذلك مع تقدّمه وفضْلِه .

---

(١) كذا فى كل الأصول ومختصر الأغانى لابن منظور . وكتب المرحوم الأستاذ الشنقيطى بهامش نسخته « يوسف » بدل « سيف » . (٢) السغد : ناحية كثيرة المياه والبساتين والأشجار بها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند، وربما قيل فيها «الصغد» بالصاد . ويقال لسكان تلك الناحية سغد .

(٣) كذا فى حـ ومختار الأغانى ونهاية الأرب . وفى سائر الأصول : « سباهم عثمان بن الوليد زمن عثمان بن عفان » وهو تحريف . والمعروف فى كتب التاريخ أن الذى فتح تلك النواحى سنة ٥٦ هـ هو سعيد بن عثمان بن عفان . (٤) فى الأصول الخطية : « لما » .

رأى إسحاق الموصلى فيه وفى مخارق

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال: قلت لأبى: أيّما أفضلُ عندك مُخارقٌ أو عَلُّويَهْ؟ فقال: يا بُنىّ عَلُّويَهْ أعرفُهما فهمًا بما يخرُج من رأسه وأعلمُهما بما يُغَنّيه ويؤدّيه، ولو خُيِّرتُ بينهما مَنْ يُطارح جَوَارِىَّ أو شاورنى مَنْ يَستنصحنى لَمَا أشرتُ إلّا بعَلُّويَهْ؛ لأنه كان يؤدّى الغناء، وصنَع صنعةً مُحْكَمَةً، ومُخارِقٌ بتمكُّنه من حَلْقه وكثرة نَغَمه لا يُقْنَع بالأخذ منه؛ لأنه لا يؤدّى صوتًا واحدًا كما أخذه ولا يغنّيه مرّتين غناءً واحدًا لكثرة زوائده فيه. ولكنّهما إذا آجتمعا عند خليفةٍ أو سُوقةٍ غَلَب مخارقٌ على المجلس والجائزةِ لِطيب صوته وكثرة نَغَمه.

حدّثنى جَحْظةُ قال حدّثنى أبو عبد الله بن حمدون قال حدّثنى أبى قال: اجتمعتُ مع إسحاق يومًا فى بعض دُور بنى هاشم، وحضر عَلُّويَهْ فغنّى أصواتًا، ثم غنّى من صَنْعته:

صوت

وُنبِّئْتُ ليلَى أرسلتْ بشفاعةٍ * إلىّ فهلّا نَفْسُ ليلى شَفيعُها[1]

— ولحنه ثانى ثقيل — فقال له إسحاق: أحسنتَ والله يا أبا الحسن! أحسنتَ ما شئتَ!. فقام علّويَهْ من مجلسه فقبّل رأس إسحاق وعينيه وجلس بين يديه وسُرّ بقوله سرورًا شديدا، ثم قال: أنت سيدى وابنُ سيّدى، وأستاذى وآبنُ أستاذى، ولى إليك حاجةٌ. قال: قل، فوالله إنى أَبلُغ فيها ما تُحِبّ. قال: أيّما أفضلُ عندك

(١) هلا التى للتحضيض يليها الفعل؛ ولذلك تأوّل النحويون هذا البيت، فقيل هو على تقدير «كان» التى اسمها ضمير الشأن، وجملة «نفس ليلى شفيعها» خبرها. وقيل «نفس ليلى» فاعل لفعل محذوف، والتقدير فهلا شفعت نفس ليلى، ويكون شفيعها خبرا لمحذوف، والتقدير: هى شفيعها أى نفسها شفيعها. على أن بعض النحويين يجيز مجىء الجمل الاسمية بعد أدوات التحضيض مستدلا بهذا البيت.

أنا أو مخارق ؟ فإنى أحِبُّ أن أسمع منك فى هذا المعنى قولًا يُؤْثَر ويَحكيه عنك مَنْ حضَر، فتُشَرِّفنى به[1] . فقال إسحاق : مامنكم إلّا مُحْسِنٌ مُجْمِلٌ، فلا تُرِدْ أن تَرَى فى هذا شيئا . قال : سألتُك بحقِّ عليك وبتربية أبيـك وبكلِّ حقٍّ تعظِّمه إلّا حكمتَ . فقال : وَيْحَكَ ! والله لو كنتُ أستجيز أن أقولَ غيرَ الحق لقلتُه فيما تُحِبّ، فأمّا إذ أبيتَ إلّا ما ذكرتَ فهاكَ ما عندى : فلو خُيِّرتُ أنا مَنْ يُطارِح جَوارِىَّ أو يغنّينى لَمَا آخترتُ غيرَك، ولكنّما إذا غَنّيْتُما بين يَدَىْ خليفـةٍ أو أميرٍ غلَبَـك على إطْرابه واستبدّ عليك بجائزته . فغضِب علّويه وقام وقال : أُفٍّ من رضاك ومن غضَبك ! .

شاع له صوت كان الناس يظنونه لإسحاق

حدّثنى جعفر بن قُدَامةَ قال حدّثنى علىّ بن يحيى المنجِّم قال :

قَدِمتُ مِنْ سُرَّ مَنْ رَأَى قَدْمةً إلى بَغْدادَ، فلَقِيتُ أبا محمـد إسحاقَ بن إبراهيم الموصلىّ، فجعل يسألنى عن أخبار الخليفة وأخبار الناس حتّى آنتهى إلى ذكر الغِناء، فقال : أىَّ شىء رأيتَ الناسَ يستحسونه فى هذه الأيّام من الأغانى ، فإنّ الناس ربما لِهجوا بالصوت بعد الصوت؟ فقلت : صوتًا من صَنْعتك . فقال : أىّ شئ هو؟ فقلت :

صـــوت

ألَا يا حَمَامَىْ قَصْرِ دُورانَ[2] هِجْـتُما * بقَلْـبِي الهـوَى لَمَّا تَغَنَّيْتُما لِيَـا
وأبْكَيْتُمانى وَسْـطَ صَحْبِى ولم أكُنْ * أُبالِى دموعَ العينِ لو كنتُ خاليـا

فضحِك وقال : ليس هذا لى، هذا لعَلّويه ، ولقد لَعَمْرِى أحسنَ فيه وجوّد ماشاء.

لحن علّويه فى هذين البيتين ثانى ثقيلٍ بالوسطى .

---

(١) فى ب ، س : « فشرفنى به » . (٢) دوران : موضع خلف جسر الكوفة كان به قصر لاسماعيل القسرى أخى خالد بن عبـد الله القسرى أمير الكوفة . (عن معجم البلدان لياقوت) .

أتاه بعض أصحابه فأطعمهم وغناهم ألحانا له

حدّثنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن عمرو قال حدّثنى أحمد بن محمد بن عبدالله الأَبْزاريّ قال :

أتيتُ علّويه يومًا بالعشىّ، فوجدتُ عنده خاقانَ بن حامد وعبدَ الله بن صالح صاحبَ المُصَلَّى ، وكنتُ حملتُ معى قَفَصَ فَرارِيجَ كَسْكَرِيّة(١) مُسَمَّنة وجِرَابَىْ دقيقٍ سَمِيذٍ(٢)، فسلّمتُه إلى غلامه، وبعث(٣) إلى بِشْر بن حارثةَ : أَطْعِمْنا ماعندك، فلم يَزَلْ يُطعمنا فَضَلاتٍ حتى أدرك طعامُه ، ثم بعث إلى عبد الوهّاب بن الخَصِيب بن عمرو فحضر، وقُدِّم الطعامُ فأكل وأكلنا أكْلَ مُعَذِّرِين(٤)، ثم قال : إنّى صنعتُ البارحةَ لحنًا أعجبنى، فآسمعوه وقولوا فيه ماعندكم، وغنّانا فقال :

صوت

هَزِئتْ عُمَيْرَةُ أنْ رأتْ ظهرى ٱنْحَنَى * وذُؤابتى(٥) عُلّتْ بماء خِضَابِ

لا تَهْزَئِى منّى عُمَيْرُ فإنّنى * مَحْضٌ كريمٌ شيبتى وشَبابى

— لحنُ علّويه فى هذين البيتين من الثقيل الثانى بالوسطى — فقلنا له : حسنٌ والله جميلٌ يا أبا الحسن ، وشربنا عليه أقداحًا(٦). ثم ٱستُؤذن لعَثْعَث غلام أحمد بن يحيى ابن مُعاذ، فأذِن له ، ومع عَثْعَث كتابٌ من مولاه أحمد بن يحيى : سمعتُ يا سيِّدى منك صوتًا عند أمير المؤمنين (يعنى المعتصمَ)، فأُحبّ أن تتفضّل وتطرحه على عبدك عثعث . وهو :

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «دسكرية» وهو تحريف . والفراريج الكسكرية : منسوبة الى كسكر ، وهى كورة كانت بين البصرة والكوفة ، وكانت قصبتها « واسط » .

(٢) السميذ (بالدال و بالذال ، وبالمعجمة أفصح) : الحوّارَى ، وهو خالص الدقيق بعد استخراج مافيه من نخالة . (٣) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « و بعثت » .

(٤) المعذرون هنا : المقصرون الذين لم يبالغوا فى الأكل. (٥) فى جـ : « وذوائبى » .

(٦) زاد فى جـ هنا : « يومنا » .

صــــوت

فواحَسْرتَا لم أَقضِ منكِ لُبانةً * ولم أَتمتَّعْ بالجِــوارِ وبالقُــرْبِ
يقولون هــذا آخرُ العهــدِ منهــمُ * فقلتُ وهــذا آخِرُ العهــدِ من قلبى

لحنُ علّويه فى هــذا الشعر ثقيلٌ أوّل ، وهو من مقــدَّم أغانيه وصدورها . وأوّل
٥ هذا الصوت :

ألا يا حَمَامَ الشِّعْبِ شِعْبِ مُوَرِّقٍ(١) * سقتْكَ الغَوادِى من حمامٍ ومن شِعْبِ

قال : وإذا مع حُسينٍ(٢) رُقْعــةٌ من مولاه : سَمِعتُك يا ســيِّدى تُغنِّى عنــد الأمير
أبى اسحاقَ إبراهيمَ بن المَهْدِىّ :

أَلَا يا حَمَامَىْ قَصرِ دُورانَ هِجْتُمَا * بقلبِى الهَــوَى لَمّــا تَغَنَّيْتُما لِيَا

١٠ أُحِبُّ أنْ تطرَحه على عبدك حُسين . قال : فدعا بغلامٍ له يُسَمَّى عَبْدَ آل فطرحه
عليهما حتى أحكَماه ثم عرَضاه عليه حتّى صحّ لها . فمــا أعلمُ أنّه مرَّ لنــا يومٌ يقاربُ
طِيبَ ذلك اليومِ وحُسْنَه .

١٢٣
١٠

وصف الواثق له

حدّثنى جعفر بنِ قُدَامةَ قال حدّثنى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :
سمعتُ أبى يقول سمعت الواثق يقول : علّويه أصحُّ الناسِ صَنْعةً بعد إسحاق،
١٥ وأطيبُ الناس صوتًا بعــد مُخارِق ، وأضربُ النــاسِ بعد زَرْزُرٍ ومُلَاحظ، فهو
مُصَلِّى كُلِّ سابِقٍ قادرٍ، وثانِى كُلِّ أوّلَ واصِلٍ مُتَقدِّمٍ . قال: وكان الواثقُ يقول:
غِناءُ علّويه مثلُ نَقْرِ الطَّسْتِ يبقَى ساعةً فى السمع بعد سُكوته .

خطأ اسحاق لحنا غناه عند المعتصم فردّ هو عليه

نسختُ من كتاب أبى العبّاس بن ثَوَابةَ بخطّه : حدّثنى أحمد بن إسماعيل أبو حاتم
قال حدّثنى عبد الله بن العبّاس الربيعىّ قال :

٢٠ (١) الرواية فيا تقدم (ج ٦ ص ٢٩٥ من هذه الطبعة) : « شعب مراهق » .
(٢) لم يتقدّم لحسين هذا ذكر فى القصة .

اجتمعتُ يومًا بين يَدَيِ المعتصم وحضر إسحاقُ الموصليّ، فغنّى علّويه :

لِعَبْــدَةَ دارٌ ما تكلّمنا الدارُ * تلوح مَغَانِيها كما لاح أسْطارُ[1]

فقال إسحاق : أخطأتَ فيه، ليس هو هكذا . فغضِب علّويه وقال : أُمُّ مَنْ أخذنا عنه هكذا زانيةٌ[2] . فقال إسحاق : وشَتَمَنا قبّحه الله، وسكت و بانَ ذلك فيه . قال : وكان علّويه أخذه من أبيه[3] .

كان أعسر وعوده مقلوب الأوتار

حدّثنى عمّى قال حدّثنا هارون بن مُخَارِق قال :

كان علّويه أعسرَ وكان عُودُه مقــلوبَ الأوتار : البَمُّ أســفل الأوتار كلّها، ثم المَثْلَثُ فوقه، ثم المَثْنَى، ثم الزِّير، وكان عُــودُه إذا كان فى يدِ غيره مقلوبًا على هذه الصفة، و إذا كان معه أخذه باليمنَى وضرب باليسرَى، فيكونُ مستويًا فى يده ومقلوبًا فى يد غيره .

كان بينــه و بين ابن أخته الخلنجى القــاضى منــازعة فغنى بشعره للأمون فعزله عن القضاء

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيعٌ قال كان الخَلَنْجيّ[4] القاضى، واسمه عبد الله [بن محمد][5]، ابنَ أخت علّويه المغنّى، وكان تَيّاهًا صَلِفًا، فتقلّد فى خلافة الأمين قضاء الشَّرْقيَّة[6]، فكان يجلس إلى أُسطوانة من أساطين المسجد فيستند إليها بجميع جَسَده ولا يتحرّك، فإذا تقدّم اليه الخَصْمانِ أقبل عليهما بجميع جسده وترك الاستناد حتّى يَفْصِلَ بينهما ثم يعود لحاله . فعمَد بعض المُجّان إلى رُقْعةٍ من الرِّقاع التى يُكْتَبُ فيها الدَّعاوَى فألصقها

(١) الأسطار : جمع سطر وهو الخط من الكتابة . وتشبيه آثار الديار بخطوط الكتّاب مستفيض فى الشعر العربى . (٢) فى الأصول هنا : « ... هكذا فى روايته » . والتصويب مما تقدّم فى الأغانى (جـ ٥ ص ٣٥١ من هذه الطبعة) . (٣) زاد فى جـ هنا : « يعنى من أبى إسحاق وهو ابراهيم الموصلى » بالمداد الأحمر، مما يدل على أنه من وضــع قارىء للنسخة، فأثبتت هذه الزيادة فى ب، س . (٤) فى الأصــول ما عدا جـ : « الخليجى » وهو تصحيف . (٥) زيادة من مختصر الأغانى . (٦) الشرقية هنا : محلة بالجانب الغربى من بغداد .

في موضع ذَنَبَتِه[1] بالدِّبق[2] ومكّن منها الدِّبق[3] . فلمّا تقدّم إليه الخصوم وأقبل عليهم بجميع جسده كما كان يفعل انكشف رأسُه و بقيت الذنبةُ موضعَها مصلوبةً ملتصقةً، فقام الخَلَنْجيّ مُغْضَبًا وعلِم أنها حيلةٌ وقعتْ عليه، فغطّى رأسَه بطَيْلَسانه وقام فانصرف وتركها مكانَها، حتى جاء بعضُ أعوانه فأخذها . وقال بعض شعراء ذلك

٥ العصر فيه هذه الأبياتَ :

إنّ الخَلَنْجيَّ من تَتَايُهِه * أثقلُ بادٍ لنا بطَلْعَتِه

ما إنْ لِذِي نَخْوَةٍ مُنَاسَبةٌ[4] * بين أَخَاوِينه وقَصْعَتِه

يُصالِحُ الخصمُ مَنْ يُخَاصِمُه * خوفًا من الجَوْرِ في قَضيّتِه

لو لَمْ تُدَبِّقْه كَفُّ قانِصِه[5] * لطارَ تِيهًا[6] على رَعيّتِه

١٠ قال : وشُهِرَتِ الأبياتُ والقِصّةُ ببَغْدادَ، وعمِل له علُّويَهْ حكايةً أعطاها للزفّانين[7] والمُخنَّثين فأحرجوه فيها، وكان علُّويه يُعاديه لمنازعةٍ كانت بينهما ففضحه، واستعفى الخلنجيُّ من القضاء ببغدادَ وسأل أن يُوَلَّى بعضَ الكُوَرِ البعيدة، فوُلِّيَ جُنْدَ دِمَشْقَ أو حِمْصَ . فلمّا وَلِي المأمونُ الخلافةَ غنّاه علُّويه بشعر الخَلَنْجيّ فقال :

١٢٤
١٠

بَرِئْتُ مِنَ الإسْلامِ إنْ كان ذا الّذي * أتاكَ به الواشُون عنّي كما قالوا

١٥ (١) كذا في مختصر الأغاني . وفي الأصول : «دنيته» وكذلك في الموضع الآتي . وظاهر أنها كانت من غطاء الرأس . (٢) الدبق : الغراء . (٣) كذا في مختصر الأغاني . وفي الأصول : « بالدبق وتمكن منها . فلما تقدّم الخ » . (٤) كذا في الأصول الخطية . وفي ب ، س : « مناشبة » بالشين المعجمة . والأخاوين : جمع خوان (بضم أوله وكسره) وهو ما يؤكل عليه الطعام . (٥) في ب ، س : «قابضه» وهو تصحيف . والتدبيق : صيد الطائر بالدبق وهو الغراء يلزق بجناح

٢٠ الطائر فيصاد به . يقال : دبقه (من باب ضرب) ودبقه (بالتضعيف) . (٦) في الأصول : «منها» . والتصويب من مختصر الأغاني . (٧) الزفانون : الرقاصون .

ولكنهم لمّا رأوكِ غَرِيَّةً[1] * بهَجْرِى تَوَاصَوا بالنميمة واحتالوا

فقد صِرْتِ أُذْنًا للوُشاةِ سميعةً * ينالون من عِرْضى وإن شئتِ ما نالوا

فقال له المأمون : مَنْ يقول هذا الشعر ؟ فقال : قاضى دِمَشْق . فأمر المأمون بإحضاره ، فكُتِب الى صاحب دِمَشْق بإشخاصه فأُشْخِص ، وجلس المأمون للشُّرْب ، وأحضر عَلُّويه ، ودعا بالقاضى فقال له : أَنْشِدْنى قولَك : ٥

بَرِئتُ من الإسلام إن كان ذا الذى * أتاكِ به الواشون عنى كما قالوا

فقال له : يا أمير المؤمنين هذه أبياتٌ قلتُها منذ أربعين سنةً وأنا صبىٌّ ، والذى أكرمك بالخلافة وورّثك ميراثَ النبوة ما قلتُ شعرًا منذ أكثر من عشرين سنةً إلّا فى زُهْدٍ أو عتابِ صديق . فقال له : آجْلِسْ فجلَس ، فناوله قَدَح نبيذ التمر أو الزَّبيب . فقال : لا والله يا أميرَ المؤمنين ما أعرِف شيئًا منها . فأخذ القَدَحَ ١٠ من يده وقال : أَمَا والله لو شربتَ شيئا من هذا لضربتُ عنقك ، وقد ظننتُ أنك صادقٌ فى قولك كلِّه ، ولكن لا يتولّى لى القضاءَ رجلٌ بدأ فى قوله بالبراءة من الإسلام ، انصرِفْ الى منزلك . وأمر عَلّويه فغيّر الكلمة وجعل مكانها « حُرِمْتُ مُنَاىَ منكِ » .

ضربه الأمين بوشاية ابن الربيع ثم تقرب بذلك إلى المأمون فلم ير منه ما يحب

حدّثنى جعفر بن قُدامةَ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال :

كان علُّويه يغنّى بين يدى الأمين ، فغنّى فى بعض غِنائه :

ليتَ هندًا أنجزتْنا ما تَعِدْ * وشَفَتْ أنفُسَنا ممّا تَجِدْ

وكان الفضلُ بن الربيع يطعَن عليه ، فقال للأمين : إنّما يُعَرِّض بك ويستبطئ المأمونَ فى محاربتك ، فأمر به فضُرِب خمسين سوطًا وجُرّ برجله ، وجفاه مدّةً ،

(١) غرية : مولعة . وفى الطبرى (القسم الثالث صفحة ١١٥٠) : « سريعة الى » . ٢٠

حتى ألقى نفسه على كَوْثَرٍ فترضّاه له وردّ إلى خدمته، وأمر له بخمسة آلاف دينار. فلمّا قدم المأمون تقرّب اليه بذلك، فلم يقع له بحيث يُحبّ[1]. وقال له : إنّ المَلِكَ بمنزلة الأسد أو النار، فلا تتعرّض لما يُغضبه، فإنه ربّما جرى منه ما يُتلفك ثمّ لا تقدر بعد ذلك على تلافى ما فرّط منه[2]، ولم يُعطه شيئا.

غضب الأمين على إبراهيم الموصلى بعد موته لتقديم اسم المأمون عليه فى شعره وترضاه ابنه إسحاق

٥ ومثل هذا من فعل الأمين. ما حدّثنى به محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى أبى قال :

دخلتُ على الأمين فرأيتُه مُغْضَبًا كالحًا، فقلتُ له : مالأمير المؤمنين — تمّم الله سروره ولا نغّصه[3] — أراه كالحائر؟ قال : غاظنى أبوك الساعةَ لا رحمه الله! والله لو كان حيا لضربتُه خمسمائة سوط، ولولاك لنبشتُ الساعةَ قبره وأحرقتُ ١٠ عظامه. فقمتُ على رِجلى وقلت : أعوذُ بالله من سُخْطك يا أميرَ المؤمنين! ومَنْ أبى وما مقدارُه حتّى تغتاظ منه! وما الذى غاظك فلعلّ له فيه عُذرا؟ فقال : شدّةُ محبّته للمأمون وتقديمُه إيّاه علىّ حتّى قال فى الرشيد شعراً يقدّمه فيه علىّ وغنّاه فيه، وغُنّيته الساعةَ فأورثنى هذا الغيظ. فقلتُ : والله ما سمعتُ بهذا قطُّ ولا لأبى غناءٌ إلّا وأنا أرويه، ما هو؟ فقال : قوله :

١٥ أبو المأمونِ فينا والأمينِ * له كَنَفانِ من كَرَمٍ ولِينِ

١٢٥/١٠

فقلت له : يا أمير المؤمنين لم يُقدِّمِ المأمونَ فى الشعر لتقديمه إيّاه فى المُوالاة، ولكنّ الشعر لم يَصِحَّ وزنه إلّا هكذا. فقال : كان ينبغى له إذ لم يَصِحَّ الشعرُ إلّا هكذا أن يَدَعَه إلى لعنة الله. فلم أزَلْ أُداريه وأرفُق به حتى سكَن. فلمّا قدِم المأمون سألنى عن هذا الحديث فحدّثته به، فجعل يضحك ويعجب منه.

٢٠ (١) فى الأصول : «ولم» بالواو. (٢) فى ب، س : «منك» وهو تحريف.
(٣) فى جـ، ب، س : «ولا نقصه» بالقاف.

ب حه عبد الله بن طاهر

حدّثنى جعفرُ بن قُدَامةَ قال حدّثنى عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :
سمعتُ أبى يقول : لو خُيِّرتُ لونًا من الطّعام لاأَزيد عليه غيرَه لاخترتُ الدُّرّاجة[1]؛ لأنّى إنْ زِدتُ فى خَلّها صارتْ سِكْبَاجةً[2]، و إنْ زدتُ فى مائها صارت إسْفِيدباجةً[3]، وإنْ زدتُ فى تَصْبِيرها بل فى تَشْيِيطها صارتْ مُطَجَّنةً[4]. ولو اقتصرتُ على رجل واحد لَمَا اخترتُ سوى عَلُّويه؛ لأنه إنْ حدّثنى ألهانى، و إنْ غنّانى أشجانى، و إنْ رجعتُ إلى رأيه كفانى .

حضر عند سعيد ابن عجيف فأكرمه ثم طلبه عجيف

حدّثنى عمى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى محمد بن محمد الأَبْزارىّ قال :

كنتُ عند سَعيد بن عُجَيْف أنا وعبدُالوهّاب بن الحَصيب وعبدُ الله بنُ صالح صاحبُ المُصَلَّى، إذ دخل عليه حاجبه فقال له : علُّويَهْ بالباب، فأْذن له فدخل . فقال له : لا تَحْمَدْنى فإنّى لم يَجِئنى رسولُ رجلٍ اليومَ ، فعرَضتُ إخوانى جميعًا على قلبى فلم يَقعْ عليه غيرُك . فدعا له ببِرْذَونٍ أدهمَ بسَرْجه ولِجامه فأهداه إليه، وجلسنا نشرَب وعلُّويه يغنّى . فلمّا توسّطْنا أمرَنا جاء رسولُ عُجَيْف[5] يطلُبه فى منزله، فقالوا له : هو عند ابنه سَعيد . فأتاه الرسولُ فقال له : أَجِبِ الأميرَ . فقلنا : هذا شيءٌ ليس فيه حِيلةٌ . وقد جاء الرسول وهو يغنّى :

(١) الدراج (بالضم) : ضرب من طير العراق أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغبر، على خلقة القطا إلا أنه ألطف . وجعله الجاحظ من أقسام الحمام لأنه يجمع فراخه تحت جناحيه كما يجمع الحمام .
(٢) السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل ، معرب "سكبا" مركب من "سك" أى خل ، ومن "با" أى طعام . (عن كتاب الألفاظ الفارسية المعربة) . (٣) الاسفيدباجة : لون من الطعام يتكون من البصل والزبدة ومن أشياء أخرى . (عن القاموس الفارسى الانكليزى لاستنجاس) . ويبدو أن هذا التعريف لا يتفق مع ما يدل عليه سياق العبارة هنا ، فانه يدل على أنها تصير ضربا من الحساء .
(٤) مطجنة : مقلوة بالطاجن . (٥) هو عجيف بن عنبسة أحد رجالات دولة بنى العباس ومن قواد المعتصم . (راجع الطبرى طبعة أوربا القسم الثالث صفحة ١١٦٦ — ١١٦٨ و ١٢٥٦ — ١٢٥٨ و ١٢٦٤ — ١٢٦٦) .

صـــوت

ألم ترأنّى يومَ جَوِّ سُوَيْقةٍ[1] * بكيتُ فنادتْنى هُنَيْدةُ مَالِيَا
فقلتُ لهـا إنّ البكاء لَراحةٌ * به يَشتفِى مَنْ ظَنّ أنْ لاتَلاقِيَا

ـــ لحنُ علّويه فى هذا رملٌ . والشعرُ للفَرَزْدَق ـــ قال: فقام علّويه ثم قال: هُوَ ذا، أمضى إلى الأمير فأُحدِّثه بحـديثنا وأَستأذِنه فى الانصراف بوقتٍ يكون فيه فضلٌ لكم . فانصرف بعد المغرب ومعه جامٌ، فيه مِسْكٌ وعشرةُ آلاف درهمٍ ومَنَيَانِ[2] فيهما رماطونٌ[3]، فقال: جئتُ أشرَب عندكم، وآخُذه[4] وأنصرف الى إنسانٍ له عندى أيادٍ (يعنى علىَّ بن مُعَاذٍ أخا يحيى بن مُعاذ). فلم يَزَلْ عندنا حتّى همّ بالانصراف. فلمّا رأيت ذلك فيه قمتُ قبلَه فأتيتُ منزلَ علىّ بن مُعاذ، فقيل له: ابن الأبزارىّ بالباب . فبعث إلىّ: إنْ أردتَ مَضاءً فخُذْه (يعنى غلامًا كان يغنّى)، فقلتُ له: لست أريده، إنّما أُريدك أنت، فأذِن لى فدخلتُ . فقال: ألك حاجةٌ فى هـذا الوقت ؟ فقلت: الساعةَ يجيئك علّويه . فقال: وما يُدريك ؟ فحدّثته بالحـديث . ودخل علّويه، فقال لى: ما جاء بك إلى هاهنا ؟ فقلتُ[5]: ماكنتُ لأَدَعَ بقيّةَ ليلتى هذه تضيع، فما زال يُغنّينا ونشرَب حتى نام الناس ثم انصرفنا .

فضله عمرو بن بانة على نفسه

حدّثنى جعفـر بن قُدَامةَ قال حدّثنا هارونـــ بن مُخَـارِق قال حدّثنى أبى قال :

(١) جوّ سويقة: من جواء الصمان . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) المنى: مكيال يكيلون به السمن وغيره . وتثنيته منوان ومنيان، والأوّل أعلى ؛ وجمعه أمناء . وبنـو تميم يقولون منّ (بتشديد النون) ومنان وأمنان . (٣) كذا فى جـ . وأحسب أن الصواب: « فيهما رساطون » . والرساطون: ضرب من الشراب يتخذ من الخمر والعسل ، رومى معرب . وفى سائر الأصول: «فيهما رمان» . وظاهر أنه تحريف . (٤) مرجع الضمير ما كان معه من الجام وما نسق عليه .
(٥) فى الأصول: « فقال » وسياق الكلام يأباه .

قلت لعمرو بن بانة : أيّما أجودُ صَنْعتُك أم صنعةُ علّويَهْ ؟ فقال : صنعةُ علّويه، لأنه ضاربٌ وأنا مُرتجِلٌ . ثم أطرق ساعةً وقال : لا أُكذِبك يا أبا المُهَنَّا والله ما أُحسِنُ أن أصنَع مثلَ صنعةِ علّويَهْ :

١٢٦
١٠

فواحسرتَا لم أَقضِ منكِ لُبانةً * ولم أَتمتَّعْ بالجِوارِ وبالقُرْبِ

ولا مثلَ صنعتِه :

هزِئتْ أُمَيْمةُ أنْ رأتْ ظهرى آنحنَى * وذُؤابتى عُلَّتْ بماءِ خضابِ

ولا مثلَ صنعته :

أَلَا يا حَمامَىْ قصرِ دُورانَ هِجْتُما * لقلبى الهوَى لمّا تَغنَّيْتُما لِيَا

وقد مضتْ نسبة هذه الأصوات .

غنى فى شعر هجى به علىّ بن الهيثم فأغرى الفضل بن الربيع به الأمين حتى ضربه ثم رضى عنه

حدّثنى جَحْظةُ قال حدّثنى أحمد بن الحسين بن هشام أبو عبد الله قال حدّثنى أحمد بن الخليل بن هشام قال :

كان بين علّويه و بين علىّ بن الهيثم جَوْنقَا شرٌّ فى عَرْبدةٍ وقعتْ بينهما بحضرة الفضل ابن الربيع وتمادَى الشرّ بينهما، فغنّى علّويه فى شعرٍ هجاه به أبو يعقوب(١) فى حاجةٍ، فهجاه وذكر أنه دَعِىٌّ . وكان جَوْنقَا يَدّعى أنّه من بنى تَغْلِب، فقال فيه أبو يعقوب :

يا علىَّ بنَ هَيْثَمٍ يا جَوَنْقَا * أنت عندى من الأَراقِم(٢) حقّا
عربىٌّ وجَدُّه نَبَطِىٌّ ! * قَدَبْنَقا(٣) لِذَا الحديث دَبَنْقا

(١) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهى الشاعر المعروف بالخريمى . نزل بغداد وأصله من خراسان من أبناء السغد، وكان متصلا بخريم بن عامر المرى وآله فنسب إليه . وقيل : كان اتصاله بعثمان ابن خريم . وكان عثمان هذا قائدا جليلا وسيدا شريفا . ومن شعر الخريمى :

رسا بالصغد أصل بنى أبينا * وأفرعنا بمرو الشاهجان
وكم بالصغد لى من عم صدق * وخال ماجد بالجوزجان

وكان شاعرا مجيدا من شعراء الدولة العباسية، توفى سنة ٢٠٠ هـ . (٢) الأراقم هنا : حىّ من تغلب .
(٣) يظهر أن هذه الكلمة نبطية، وكذلك كلمة "شفقا" الآتية .

قد أصابتْك فى التقرُّب عينٌ * فاستنارتْ لشبهها الفلك برقا[1]

وإذا قال إننى عــربىٌّ * فآنتهِرْه وقل له أنت شفقا

— وللحُرَيمىّ فيه أهاجٍ كثيرةٌ نَبَطيّة — فغنّى علّويه لحنًا صنعه فى هذه الأبيات بحضرة الأمين، وكان الفضل بن الربيع حاضرًا فقال: يا أميرَ المؤمنين علىُّ بن الهيثم كأبى، وإذا آستخفّ به فإنّما آستخفّ بى. فقال الأمين: خُذوه، فأخذوه وضُرب ثلاثين دِرّةً، وأمر بإخراجه. فطرَح علّويه نفســه على كَوْثرٍ فآستصلح له الفضلَ ابن الربيع، وترضَّى له الأمينَ حتى رَضِى عنه ووهب له خمسة آلاف دينار.

ادعى أنه لو شاء جعل الغناء كالجوز فرد عليه إسحاق بما أخجله

حدّثنى جعفر بن قُدامةَ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى مُخَارِق قال:

غنّى علّويه يومًا بحضرة الواثق هذا الصوت:

مَنْ صاحبَ الدّهْرَ لم يَحْمَدْ تَصَرُّفَه * عَنًّا[2] وللدّهر إحــلاءٌ وإمرارُ

— ولحنه ثقيلٌ أوّل — فآستحسنه الواثق وطرِب عليه. فقال علّويه: والله لو شئتُ لجعلت الغناء فى أيدى الناس أكثرَ من الجَوْز، وإسحاق حاضرٌ بين يدى الواثق، فتضاحك ثم قال: يا أبا الحسن، إذًا تكون قيمتُه مثلَ قيمة الجَوْز، ليتك إذْ قَلَّلْتَه[3] صنعتَ شيئا، فكيف إذا كثّرته! . فخجِل علّويه حتى كأنّما ألقمه إسحاق حجرًا، وما آنتفع بنفسه يومئذ.

ترك موعد المأمون ليذهب الى عريب ثم غناه بما صنعاه فآستظرفه

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى عبد الله بن المعتزّ قال حدّثنى عبد الله الهشامىّ قال:

---

(١) كذا ورد هذا الشطر فى ب، س. وفى جـ: «فشاب لها الملك برقا». وفى أ، م: «فسارت الملك برقا». وكل ذلك غير واضح ولا مستقيم. (٢) فى جـ، ب، س: «عنى». وفى أ، م: «عينا». والظاهر أنه العناء (بالمد) وهو النصب والمشقة، فقصره الشاعر.

(٣) فى الأصول: «ليتك إذا قلته ... ... فكيف إذا كسرته» وهو تحريف.

قال لى علّويه : أمرنا المأمونُ أن نُباكره لنصطبح، فلقِيَنى عبد الله بن إسماعيل المَرَاكبيّ مولى عَريبَ، فقال : أيها الظالم المعتدى أمَا ترحَم ولا ترِقّ، عريبُ هائمةٌ من الشّوق إليك تدعو الله وتستحكمه عليك وتحلُم بك فى نومها فى كلّ ليلة ثلاثَ مرّات. قال علّويه : فقلت أمّ الخلافةِ زانيةٌ، ومضيتُ معه . فحين دخلتُ قلت : آستوثِقْ من الباب، فأنا أعرَفُ الناسِ بفضول الحُجّاب، فإذا عريبُ جالسةٌ على كرسىٍّ تطبُخ ثلاثَ قُدور من دَجاجٍ . فلمّا رأتْنى قامت فعانقتْنى وقبّلتنى وقالت : أىَّ شىء تشتهى؟ فقلت : قِدْرًا من هذه القدور، فأفرغتْ قِدْرًا بينى و بينها فأكلْنا، ودعتْ بالنَّبيذ فصبّتْ رِطلًا فشَرِبتْ نِصْفَه وسقتْنى نصفَه، فما زِلتُ أشرَب حتى كِدتُ أنْ أسكَرَ. ثم قالت : يا أبا الحسن، غنّيتُ البارحةَ فى شعرٍ لأبى العَتاهِيةِ أعجبنى، أفتسمَعُه منّى وتُصلِحُه؟ فغنّتْ :

صــــوت

عَذِيرِى مِنَ الإنسانِ لا إنْ جَفَوْتُه * صَفَا لى ولا إنْ صِرْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ
و إنّى لَمشتـاقٌ الى ظِلّ صاحبٍ * يَرُوقُ و يصفُو إن كَدُِرْتُ عليـه

فصيّرناه مجلسًا، وقالت : قد بقِىَ فيه شىء، فلم أزَلْ[1] أنا وهى حتى أصلحناه. ثم قالت : وأحبّ أن تغنّى أنت فيه أيضا لحناً، ففعلتُ. وجعلنا نشرَب على اللّحنين مَليًّا. ثم جاء الحُجّاب فكسروا الباب وآستخرجونى، فدخلتُ إلى المأمون فأقبلتُ أرقُص من أقصى الإيوان وأُصَفِّق وأُغنّى بالصوت، فسمِع المأمون والمغنّون ما لم يعرفوه فآستظرفوه، وقال المأمون : آدْنُ يا عَلّويه ورُدَّه[2]، فردَدته عليه سبعَ مرّات. فقال لى فى آخرها عند قولى :

* يروق و يصفو إن كدرت عليه *

(١) فى الأصول : «لم أزل» بدون الفاء.
(٢) يقال : ردّ القول تردادا إذا كرره، مثل ردّده.

يا عَلّويه خُذِ الخلافةَ وأعطِنى هذا الصاحبَ .

لحنُ عَرِيبَ فى هذا الشعر رَمَلٌ . وفيه لعلّويه لحنان : ثانى ثقيلٍ، وماخُورىّ .

سمع منه إبراهيم ابن المهدى صوتين لحسده

وقال العَتّابىّ حدّثنى أحمد بن حَمْدون قال :

غاب عنّا علّويه مدّةً ثم صار إلينا . فقال له إبراهيم بن المهدىّ : ما الذى أحدثتَ بعدى من الصَّنْعة يا أبا الحسن؟ قال : صنعتُ صوتين . قال : فهاتِهما إذًا ؛ فغنّاه :

صوت

أَلَا إنّ لى نَفْسَيْنِ نفسًا تقولُ لى * تَمَتَّـعْ بليلَى ما بداك لِينُها

ونفسًا تقول آسْتَبْقِ وُدَّكَ واتَّئِدْ * ونَفْسَكَ لا تَطْرَحْ على مَنْ يُهِينُها

— لحن علّويه فى هذين البيتين خفيف ثقيل — قال : فرأيتُ إبراهيم بن المهدىّ قد كاد يموت من حسده وتغيّر لونُه، ولم يدرِ ما يقول له ؛ لأنه لم يجدْ فى الصوت مَطْعَنًا، فعدَل عن الكلام فى هذا المعنى وقال : هذا يدُلّ على أنّ ليلَى هـذه كانت من لِينها مثلَ المُوم[1] بالبَنَفْسَج، فسكَت علّويه . ثم ساله عن الصوت الآخر، فغنّاه :

صوت

إذا كان لى شَيْئان يا أُمَّ مالكٍ * فإنّ لِجارى منهما ما تَخَيَّرَا

وفى واحدٍ إنْ لم يَكُنْ غيرُ واحدٍ * أراه له أهلًا إذا كان مُقْتِرَا

— والشعر لحاتم الطائىّ . لحنُ علّويه فى هذين البيتين أيضًا خفيفُ ثقيلٍ . وقد رُوى أنّ إبراهيم الموصلىّ صنَعه ونحله إيّاه، وأنا أذكر خبرَه بعَقِبِ هذا الخبر — قال أحمد[2] بن حمدون : فأتى والله بما برَّز على الأوّل وأوفى عليه، وكاد إبراهيم يموت غيظًا

(١) المُوم هنا : الشمع . (٢) فى الأصول هنا : « إبراهيم بن حمدون » وهو تحريف .

١٢٨
―
١٠

وحسدًا لمناسته فى صنعة وعجزه عنها . فقال له : وإن كانت لك آمرأتان يا أبا الحسن حبوت جارك منهما واحدةً؟ ! فخجل علّويه وما نطق بصوت بقية يومه.
وحدّثنى عمى عن على بن محمد عن جدّه حمدون هذا الخبر . ولفظه أقل من هذا .

نحله إبراهيم الموصلى صوتا فلم يظهره إلا أيام المأمون

فأمّا الخبر الذى ذكرتُه عن علّويه أنّ إبراهيمَ الموصلىّ نحله هذا الصوت، فحدّثنى جَحْظَةُ قال حدّثنى آبنُ المكّىّ المُرتَجِل وهو محمد بن أحمد بن يحيى قال حدّثنى علّويه قال :

قال إبراهيم الموصلىّ يومًا : إنّى قد صنعتُ صوتًا وما سمعه منّى أحدٌ بعدُ، وقد أحببتُ أن أنفعَك وأرفعَ منك بأن أُلقيه عليك وأهَبَه لك، وواللهِ ما فعلتُ هذا بإسحاق قطّ وقد خصصتُك به، فآنتحِلْه وآدّعِه. فلستُ أنسُبه إلى نفسى وستكسِب به مالًا . فألقى علىّ قولَه :

إذا كان لى شيئانِ يا أُمَّ مالكٍ * فإنّ لجارى منهما ما تخيّرا

فأخذته وآدّعيته وسترته طولَ أيّام الرشيد خوفًا من أن أُتّهَم فيه وطولَ أيّام الأمين حتى حدَث عليه ما حدث . وقدِم المأمون من خُراسانَ وكان يخرج إلى الشمّاسيّة[1] دائمًا يتنزّه، فركبتُ فى زَلّالٍ[2] وجئتُ أتبعه، فرأيتُ حَرّاقةَ علىّ بن هشام، فقلتُ للملّاح : اطْرَحْ زَلّالى على الحَرّاقة ففعل ، وآستُؤذِن لى فدخلتُ وهو يشرب مع الجوارى — وما كانوا يحجُبون جواريَهم فى ذلك الوقت ما لم يَلِدْنَ — فإذا بين يديه مُتَيَّم وبَذْلُ[من] جَوَاريه، فغنّيته الصوتَ فآستحسنه جدًّا وطرِب عليه وقال : لمن هذا؟ فقلتُ : هذا صوتٌ صنعتُه وأهديته لك، ولم يسمعه أحدٌ قبلَك، فآزداد به

(١) الشماسية هنا : من ضواحى بغداد . (٢) الزلال : ضرب من الزوارق .

عجبًا وطَرَبا وقال لها : خُذِيه عنه (١)، فألقيتُه عليها حتى أخذتْه ، فسُرّ بذلك وطرِب ، وقال لى : ما أجِدُ لك مُكافأةً على هـذه الهديّة إلّا أن أتحوّل عن هـذه الحَرّاقة بما فيها (٢) وأُسَلّمه إليك أجمعَ . فتحوّل الى أخرى ، وسُلِّمتِ الحَرّاقـةُ بخزانتها وجميع آلاتها إلىّ وكلّ شىء فيها ، فبِعتُ ذلك بمـائةٍ وخمسين ألفَ درهمٍ وآشتريتُ بها ضَيْعَتى ٥ الصالحيّـــة .

غنى المأمون لحنا فى بيت لم يعرفه أحد ثم عرف بعد

حدّثنى جَحْظةُ قال حدّثنى ابن المكىّ المرتجل عن أبيـه قال قال (٣) إسحاقُ بن حُمَيْـدٍ كاتبُ أبى الرازىّ ، وحدّثنى به عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سـعد قال حدّثنى حسّان بن محمد الحارثىّ عن إسحاق بن حُمَيْد كاتبِ أبى الرازىّ قال :

غنّى علّويه الأعسرُ يومًا بين يَدَيِ المأمون (٤) :

١٠ تَخـيَّرتُ من نَعْمانَ عُودَ أَراكةٍ * لهندٍ فمَنْ هـذا يُبلّغه هندَا

فقال المأمون : أُطلبوا لهذا البيت ثانيًا فلم يُعْرَف ، وسأل كلَّ مَنْ بحضرته من أهل الأدب والرُّواة والجُلَساء عن قائل هذا الشعر فلم يعرفه أحدٌ . فقال إسحاق بن حُمَيد : لمّـا رأيتُ ذلك عُنِيتُ بهذا الشعر وجَهَدتُ فى المسألة وطلبتُه ببغدادَ عند كلّ متأدّب وذى معرفةٍ فلم يَعْرِفه . وقلّد المأمون أبا الرازىّ كُوَرَ دِجْلةَ وأنا أَكتُب له ، ثم نقلهُ ١٥ إلى اليَمـامة والبَحْرَين . قال إسحاق بن حُمَيْد : فلمّـا خرجنا رِكبتُ مع أبى الرازىّ فى بعض اللّيالِى على حِمارة (٥) ، فآبتدأ الحادى يحدو بقصيدةٍ طويلةٍ ، وإذا البيتُ الذى كنت أطلُبه ، فسألتُه عنها فذكر أنها للمُرَقِّش الأكبر ، فحفِظتُ منها هذه الأبيات :

---

(١) الخطاب لاحدى الجاريتين . (٢) كذا فى نهاية الأرب . وفى الاصـول : « وقال مالى ما أجد لك ... » . (٣) فى الأصول : « كان » وهو تحريف .

٢٠ (٤) زيد فى جـ هنا : « قال » ، وفى سائر الأصول « فقال » . وظاهر أنه لا مقتضى لهذه الكلمة هنا .

(٥) فى جـ : « ... فى بعض الليالى قبة على حـارة » .

خَلِيلَيَّ عُوجَا بارَكَ اللهُ فيكما * وإنْ لم تَكُنْ هندٌ لأرضِكما قَصْدَا
وقُولَا لها ليس الضَّلَالُ أجازَنا * ولكنّنا جُزْنَا لِنَلْقاكُمُ عَمْدَا
تَخَيَّرتُ من نَعْمانَ عودَ أراكةٍ * لهندٍ فمَنْ هذا يبلِّغه هندَا
وأَنْطَيْتُه[1] سيفى لكيما أُقِيمَه * فلا أَوَدًا فيه ٱستبنتُ ولا خَضْدَا[2]
ستَبْلُغُ هندًا إنْ سَلِمْنا قَلَائِصٌ[3] * مَهَارَى يُقَطِّعن الفَلاةَ بنا وَخْدَا
فلمّا أنَخْنا العِيسَ[4] قد طار سيرُها * إليهم وجدْناهم لنا بالقِرَى حَشْدَا[5]
فناولْتُها المِسْواكَ والقلبُ خائفٌ * وقلتُ لها يا هندُ أهلكْتِنا وَجْدَا
فمدّتْ يدًا فى حُسْنٍ دَلٍّ تَنَاوُلًا * إليه وقالتْ ما أرى مثلَ ذا يُهْدَى
وأقبلتُ كالمُجتازِ أدّى رسالةً * وقامتْ تَجُرّ المَيْسَنانِىَّ[6] والبُرْدَا
تَعَرَّضُ للحىّ الذين أرِيدُهم[7] * وما ٱلتمست إلّا لتقتُلَنى عَمْدَا
فما شِبْهُ هندٍ غيرُ أدماءَ[8] خاذلٍ * من الوَحْشِ مُرْتاعٍ مُرَاعٍ طَلًّا فردا

(١) أنطى: لغة فى أعطى. يريد أنه عرض العود على السيف ليقيم به أوده، فلم يستبن فيه أودا ولا كسرا.

(٢) فى الأصول: «ولا حصدا» بحاء وصاد مهملتين. وهو تصحيف. والخضد: كسر العود من غير أن يبين. (٣) قلائص: جمع قلوص. والقلوص من الابل: الشابة. والمهارى (بفتح الراء وكسرها): جمع مهرية، نسبة الى مهرة بن حيدان، حىّ من العرب.

(٤) العيس من الابل: البيض يخالط بياضها شقرة، واحدها أعيس وعيساء.

(٥) الحشد (بالفتح، ومثله الحشد بالتحريك): الجماعة المحتشدون.

(٦) الميسانى: ضرب من الثياب منسوب الى ميسان، وهى كورة من كور دجلة بسواد العراق بين البصرة وواسط، والنسبة اليها «ميسانى» على القياس، و«ميسنانى» بزيادة نون.

(٧) كذا فى الأصول. ولعل صوابه: «أديرهم» أى أداورهم وأحاورهم.

(٨) الأدمة فى الظباء والنوق: لون مشرب بياضا. والخاذل من الظباء: التى تتخلف عن صواحبها وتنفرد، أو أقامت على ولدها. ومراع: وصف من راعاه يراعيه إذا حفظه أو رعى معه. والطلا هنا: ولد الظبية.

قال : فكتب بها إلى المأمون فاستُحسِنَتْ ورُوِيتْ، وأمر علّويه فصنع فى البيتين الأوّلين منها غناء يُشبه[1] .

أغانى علّويه فى هذه الأبيات : اللحن[2] الأوّل فى قوله :

* تخيّرت من نَعمانَ عودَ أراكةٍ *

٥ غنّاه علّويه وليس اللحن له ، اللحن لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصر. ولحنُه الثانى الذى أمره أنْ يصنعه فى :

* خليليّ عُوجا بارك الله فيكما *

رمــلٌ .

دفع الى المعتصم رقعة فى أمر رزقه ثم غناه بشعر لابن هرمة

حدّثنى جعفر بن قُدامةَ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال :

١٠ عرَض علّويه على المعتصم رُقْعةً فى أمر رِزْقه و إقطاعه وهو يشرَب دفَعها اليه من يده، فلمّا أخذها اندفع علّويه يغنّى :

صــــوت

إنّى استحيتُكَ أنْ أفوهَ بحاجتى * فإذا قـرأتَ صحيفتى فتفهّـمِ

وعليـكَ عهـدُ الله إنْ خبّرتَه * أحدًا ولا أظهـرتَه بتكلُّـمِ

١٥ فقرأ المعتصم الرُّقعة وهو يضحَك، ثم وقّع له فيها بمـا أراد .

الشعر لابن هَرْمةَ كتَب به إلى بعض آل أبى طالبٍ وهو إبراهيم بن الحسن يطلُب منـه نبيذًا وقد خرج هو وأصحابُه الى السَّيالةِ[3] ، فكتَب إليـه البيتَ الأوّل على ما رويناه، والثانى غيّره المغنُّون، وهو :

(١) كذا فى الأصول الخطية . وفى الكلام حذف . ولعل تقديره : «يشبه اللحن الأوّل» وهو اللحن
٢٠ الذى فى قوله : * تخيرت من نعمان عود أراكة * وفى ب، سـ «شبه أغانى علوية ... » . وظاهر أن « أغانى علوية فى هذه الأبيات » عنوان لما بعده .

(٢) فى ب ، سـ : « واللحن الأول ... » بزيادة الواو .

(٣) السيالة : أرض يطؤها طريق الحاج؛ قيل هى أوّل مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة .

وعليـكَ عهدُ الله إنْ أعلمتَـه * أهلَ السَّيالةِ إنْ فعلتَ و إنْ لَمِ

فلمّا قرأ الرُّقعة قال : علىّ عهدُ الله إنْ لم أُعْلِمْ به عاملَ السَّيالةِ . [وكتب إلى عامل السَّيالة(1)] : إنّ آبن هَرْمةَ وأصحاباً له سُفَهاء يشربون بالسَّيالة ، فآركَبْ إليهم ، حتّى تأخذَهم ، فركِب إليهم ونَذِروا(2) به ، فهرَب ، وقال يهجو إبراهيم :

كتبتُ إليكَ أستهدِى نَبِيـذًا(3) * وأُدْلِى بالمَـودّةِ والحقـوقِ
فخَـبَّرْتَ الأميرَ بذاك جهـلًا(4) * وكنتَ أخا مُفَـاضَحةٍ ومُـوقِ(5)

حدّثنى بذلك الحرمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبير. وقد ذكرتُه فى أخبار آبن هَرْمة(6) . والغناءُ لعَبَادِلَ .

١٣٠/١٠

غنى هو ومخارق معرّضين بفرس كميت للمعتصم فأعطاهما غيره

حدّثنى جعفر بن قُدَامةَ قال حدّثنى موسى بن هارون الهاشمىّ قال حدّثنى أبى قال :

كنتُ واقفًا بين يدىِ المعتصِم وهو جالسٌ على حَيْرِ(7) الوَحْشِ والخيل تُعْرَض عليه وهو يشرَب و بين يديه علَّويه ومُخَارِق يغنِّيان ، فعُرِض عليه فرسٌ كُمَيْتٌ أحمرُ ما رأيتُ مثلَه قَطُّ ، فتغامز علَّويه ومُخارق ، وغنّاه علَّويه :

وإذا ما شربوها وآنتَشَـوْا * وَهَبُـوا كلَّ جَـوَادٍ وطِمِرّْ(8)

(1) التكملة من الأغانى فيا تقدّم (جـ ٦ ص ٩٨ من هذه الطبعة) . وقد وردت هذه القصة هناك منسوبة إلى « حسن بن حسن بن على » وقد كتب هناك بأن هـذه القصة لا يمكن أن تكون مع حسن ابن حسن لتقدّم عصره على عصر ابن هرمة ، بل الصحيح أنها كانت مع ابنـه إبراهيم . (راجع الحاشية الثانية من تلك الصفحة) . (٢) نذر به : علم به . (٣) الرواية فيا تقدّم : «بالجوار وبالحقوق» . (٤) الرواية فيا تقدّم : «غدرا» . (٥) الموق هنا : الحمق فى غباوة .
(٦) لم يذكره فى أخبار ابن هرمة ، و إنما ذكره فى أخبار «عبادل» . (جـ ٦ ص ٩٨ وما بعدها من هذه الطبعة) . (٧) لم أقف على هذا الموضع . ومن معانى الحير فى اللغة البستان .
(٨) الطمرّ من الخيل : الجواد .

فتغافلَ عنه . وغنّاه مُخارِقٌ :

يَهَبُ البِيضَ كالظِّباءِ وجُرْدًا(١) * تحت أجلالها وعِيسَ الرِّكابِ

فضحِكَ ثم قال : آسكُتا يا آبنَيِ الزّانيتين ، فليس يملكه والله واحدٌ منكما . قال : ثم دار الدَّوْرُ، فغنّى علّويه :

٥ وإذا ما شرِبوها وآنتشَوْا * وَهَبُوا كلَّ بِغالٍ وحُمُرْ

فضحِك وقال : أمّا هذا فنَعَمْ، وأمر لأحدِهما ببَغْلٍ وللآخرِ بحمار .

اجتمع مع أصحاب له عند زلبهزة ومعهم هاشمى حصلوا منه بحيلة على مال

حدّثنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن محمد الأبزارىّ قال :

كنّا عند زلبهزة(٢) النخّاس، وكانت عنده جاريةٌ يقال لها خِشْفٌ آبتاعها من علّويه ،

١٠ وذلك فى شهر رمضانَ، ومعنا رجلٌ هاشمىّ من ولد عبد الصّمد بن علىّ يقال له عبدُ الصمد، وإبراهيم بن عمرو بن نهبون وكان يحبّها، فأعطى بها زلبهزة أربعةَ آلاف دينارٍ فلم يبِعْها منه، وبقيتْ معه حتى تُوُفِّيتْ، فغنّتنا أصواتًا كان فيها :

أشارتْ بطَرْفِ العين خِيفةَ أهلِها * إشارةَ محزونٍ ولم تتكلّمِ

فأيقنتُ أنّ الطَّرْفَ قد قال مَرْحَبًا * وأهلًا وسهلًا بالحبيبِ المُسَلِّمِ(٣)

١٥ وأبرزتُ طَرْفِى نحوَها لأُجيبَها * وقلتُ لها قولَ آمرئٍ غيرِ معجِمِ(٤)

هنيئًا لكم قتلِى وصَفْوُ مودّتى * وقد سِيطَ(٥) فى لحمى هواكِ وفى دمى

ــ الغناء لآبن عائشة ثقيلٌ أوّل عن الهشامىّ ــ قال : فلما وثبنا للآنصراف قال لنا وقد اشتدّ الحرّ : أقيموا عندى . فوجّهتُ غلامًا معى وأعطيتُه دينارًا وقلتُ له ابتَعْ

(١) الجرد من الخيل : القصيرات الشعر، وهو مدح فيها ؛ الواحد أجرد وجرداء . وعيس الركاب :

٢٠ النوق البيض . (٢) كذا ورد هذا الاسم فى الأصول . وورد فى مختصر الأغانى مرة «زلبهدة» ، ومرة «زلهدة» . ولم نهتد لوجه الصواب فيه . (٣) فى هامش أ : « المتيم » رواية أخرى .

(٤) المعجم : الذى لا يفصح فى كلامه . وفى جـ ، ب ، س : «غير مفحم» والمفحم هنا : العيى .

(٥) سيط : خلط ومزج ؛ يقال : ساط الشىء يسوطه إذا ضربه لخلط بعضه ببعض .

فَرَارِيجَ بعشرة دراهم وثلجًا بخمسة دراهم وعَجِّلْ ، فجاء بذلك فدفعه الى زلبهزة وأمره بإصلاح الفراريج ألوانًا ، وكتبتُ إلى علّويه فعرّفته خبرنا ، فجاءنا وأقمنا وأفطرنا عند زلبهزة ، وشرب منا مَنْ كان يستجيز الشرابَ ، وغنّى علّويه لحنًا ذكر أنه لابن سُرَيْج ثقيلٌ أول ، فاستغربه(١) الجماعةُ ، وهو :

٥

صـــوت

يا هنـدُ إنّ الناسَ قد أفسدوا * وُدَّكِ حتى عَـزّنى المَطْلَبُ

ياليتَ مَنْ يسعَى بنـا كاذبًا * عاشَ مُهَـانًا فى أذًى يتْعَبُ

هَبِيـهِ ذنبًا كنتُ أذنبتُـه * قـد يغفر اللهُ لِمَنْ يُذْنِبُ

وقد شَجَـانى وجـرتْ دَمْعَتى * أنْ أرسلتْ هنـدٌ وهى تَعْتِبُ :

ما هـكذا عاهدتَنـا(٢) فى مِـنًى * ما أنتَ إلّا ساحـرٌ تَخْلُبُ

١٠

حلفتَ لى بالله لا نبتَـغِى * غـيرَكِ ما عشتِ ولا نَطْلُبُ(٣)

١٣١ / ١٠

قال : وقام عبدُ الصمد الهاشمىّ ليبولَ . فقال علّويه : كلُّ شىء قد عرَفتُ معناه : أمّا أنت فصديقُ الجماعةِ ، وهذا يتعشّق هذه ، وهذا مولاها ، وأنا ربّيتها وعلّمتها ، وهذا الهاشمىّ أيْشٍ معناه ! . فقلتُ لهم : دعُونى أُحَكِّكْه(٤) وآخذ لزلبهزة منه شيئا . فقال : لا والله ما أُريد . فقلت له : أنت أحمقُ ، أنا آخذ منه شيئا لا يستحيى القاضى من أخْذه . فقـال : إنْ كان هكذا فنعمْ . وقلت له : إذا جاء عبدُ الصّمد فقُلْ لى : ما فعَل الآجُرُّ الذى وعدتَنى به ، فإنّ حائطى قد مال وأخاف أن يقع ، ودَعْنى والقصّةَ .

١٥

(١) فى ب ، س : « فاستعذبه » . (٢) فى أ ، م : « عاهدتنى » .

(٣) ورد هذا الشطر فى جـ محرّفا هكذا : * غير ما عشت ولا تطلب .

واحسب أنه محرّف عن رواية فيه تكون هكذا :

٢٠

... ... لا نبتغى * غيرى ما عشت ولا تطلب

(٤) أحكّه ، يريد : أحتك به وأتعرض له .

فلمّا جاء الهاشمىّ قال لى زلبهزة ما أمرتُه به، فقلتُ : ليس عندى آجُرٌّ، ولكن آصبِرْ[1] حتّى أطلُب لك من بعض أصدقائى ، وجعلتُ أنظُر إلى الهاشمىّ نَظَر مُتعرِّض به . قال الهاشمى : يا غلامُ دواةً ورُقْعةً، فأحضر ذلك . فكتَب له بعشرة آلاف آجُرّة إلى عامل له ، وشربنا حتّى السَّحَرِ وآنصرفنا . فجئتُ برُقْعته إلى الآجُرّىّ ثم قلتُ : بكم تَبيعه الآجُرّ؟ فقال : بسبعة وعشرين درهمًا الألف، قلت: فبكم تشتريه منّى؟ قال : بنُقْصان ثلاثة دراهم فى الألف . فقلتُ : فهاتِ ، فأخذتُ منه مائتين وأربعين درهمًا، وآشتريتُ منها نبيذًا وفاكهةً وثلجًا ودَجَاجًا بأربعين درهمًا ، وأعطيتُ زلبهزة مائتى درهم وعرّفتـه الخبر، ودعونا علّويه والهاشمىّ، وأقمنا عند زلبهزة ليلتَنا الثانية . فقال علّويه : نَعَمْ ! آلآن صار للهاشمىّ عندكم موضعٌ ومعنًى .

هو مصلى كل سابق فى الصنعة والضرب وطيب الصوت

أخبرنى جحظةُ قال حدّثنى أحمد بن حمدون قال حدّثنى أبى قال :

قال لنا الواثق يومًا : مَنْ أحذقُ الناس بالصَّنْعة؟ قلنا إسحاق . قال : ثم مَنْ؟ قلنا : علّويه . قال : فمَنْ أضربُ الناس ؟ قلنا : ثَقِيفٌ[2]. قال : ثم مَنْ ؟ قلنا : علّويه . قال: فمَنْ أطيبُ الناس صوتًا ؟ قلنا : مُخارق. قال ثم مَنْ؟ قلنا : علّويه . قال : آعترفتم له بأنه مُصَلّى كلِّ سابقٍ، وقد جمع الفضائلَ كلَّها وهى متفرّقةٌ فيهم. فما ثَمَّ ثانٍ لهذا الثالث[3] .

غنى المأمون فى دمشق بما أسخطه فغضب عليه وشتمه

وحدّثنى جَحْظةُ قال حدّثنى محمد بن أحمد المكىّ المُرْتَجِل قال حدّثنى أبى قال: دخلتُ إلى عَلّويه أعوده من عِلّة آعتلّها ثم عُوفى منها، فجرى حديثُ المأمون، فقال لى : كِدْتُ — عَلِمَ الله — أذهَب دَفْعـةً ذاتَ يومٍ وأنا معه لولا أنّ الله تعالى

---

(١) فى الأصول : « اصبر لى » بزيادة « لى » . وليست فى مختصر الأغانى .

(٢) فى الأصول هنا : « ثقف » والتصويب مما تقدّم فى الأغانى (جـ ٥ ص ٣٥٢ من هذه الطبعة)

(٣) فى الأصول الخطية : «فما ثم ثان لهذا الثالث...» . والظاهر أن فى هذه العبارة تحريفا .

سلمنى ووهب لى حِلْمَه . فقلت : كيف كان السبب فى ذلك ؟ فقال : كنتُ معه لمّا خرج الى الشام ، فدخلنا دِمَشْقَ فطُفْنا فيها ، وجعل يطوف على قصور بنى أُمَيّةَ ويَتَّبع[1] آثارَهم ، فدخل صَحْنًا من صُحونهم ، فإذا هو مفروشٌ بالرُّخام الأخضر كلِّه وفيه بِركةُ ماء يدخُلها ويخرج منها من عينٍ تَصُبّ اليها ، وفى البِركة سمكٌ ، وبين يديها بستانٌ على أربع[2] زواياه أربعُ سَرَواتٍ[3] كأنّها قُصّتْ بمقراض من التفافها أحسنُ ما رأيتُ من السَّرْو[4] قطُّ قَدًّا وقَدْرا . فآستحسن ذلك ، وعزَم على الصَّبُوح ، وقال : هاتوا لى الساعةَ طعامًا خفيفًا ، فأُتِى ببَزْماوَرْدٍ[5] فأكل ، ودعا بشرابٍ ، وأقبل علىّ وقال : غَنِّنى ونَشِّطْنى ، فكأنّ الله عزّ وجلّ أنسانى الغناء كلَّه إلّا هذا الصوتَ :

لو كان حَوْلِى بنو أُمَيّةَ لَمْ * تَنْطِقْ رجالٌ أراهُمُ نَطَقُوا

فنظر إلىّ مُغْضَبًا وقال : عليكَ وعلى بنى أُمَيّةَ لعنةُ الله ! ويلَكَ ! أقُلتُ لك سُؤْنِى أو سُرَّنى ! ألم يكن لك وقتٌ تذكُرُ فيه بنى أُمَيّة إلّا هذا الوقتَ تعرِّض بى ! . فتحيَّلتُ عليه وعلمتُ أنّى قد أخطأتُ[6] ، فقلتُ : أتلومُنى على أنْ أذكر بنى أُمَيّة ! هذا مولاكم زِرْياب[7] عندهم يركب فى مائتى غُلامٍ مملوكٍ له ، ويملك ثلاثمائة ألف

(١) أصله يتتبع (بتاءين) ، فأدغمت التاء فى التاء . (٢) فى الأصول : «أربعة زواياه» . والتصويب من مختصر الأغانى . (٣) السروة : واحدة السرو ، وهو ضرب من الشجر حسن الهيئة قويم الساق . (٤) فى جـ ، ب ، س : «من السروات» . (٥) فى أكثر الأصول : «فأتى به بين ماء وورد» . وفى جـ : «فأتى بين ماورد» . والتصويب من مختصر الأغانى والأغانى فيما تقدّم (جزء ٤ صفحة ٣٥٣ من هذه الطبعة) . والبزماورد : طعام يتخذ من اللحم المقلى بالزبد والبيض . وفى شفاء الغليل : «زماورد معرّب ، والعامة تقول بزماورد ، وليس بغلط ، لأنه [كلمة] فارسية ، كما هو مسطور فى لغاتهم . وهو الرقاق الملفوف باللحم ... » . (٦) فى ب ، س : «غلطت» .

(٧) يريد أن زرياب وهو علىّ بن نافع المغنى مولى بنى العباس ذهب إلى الأندلس فأكرمه الأمويون هناك . (راجع الحاشية الأولى من صفحة ٣٥٤ جزء ٤) .

دينار وهبوها له سوى الخيل والضِّياع والرَّقيق. وأنا عندكم أموت جوعاً . فقال: أَوَلم يكنْ لك شيءٌ تذكّرني به نفسَك غيرَ هذا! فقلتُ: هكذا حضرني حين ذكرتُهم. فقال : اعْدِلْ عن هذا وتَنَبَّهْ على إرادتي . فأنساني الله كلَّ شيء أحسنه إلاّ هذا الصوتَ :

٥ الحَيْنُ ساق إلى دِمَشْقَ ولم أَكُنْ * أرضَى دِمَشْقَ لِأهلِنا بَلَدَا

فرماني بالقَدَح فأخطأني فانكسر القدحُ ، وقال : قُمْ عنِّي الى لعنة الله وحرِّ سَقَر، وقام فركب . فكانت والله تلك الحالُ آخرَ عهدي به، حتى مرِض ومات[1] . قال: ثم قال لي : يا أبا جعفر كَمْ تُرَاني أُحسِن! أُغنِّي ثلاثةَ آلافِ صوت، أربعةَ آلاف صوت، خمسةَ آلاف صوت، أنا والله أُغنِّي أكثرَ من ذلك، ذهب عِلمِ اللهُ كلُّه

١٠ حتى كأنّي لم أَعْرِفْ غيرَ ما غنّيتُ .ولقد ظننتُ أنه لو كانت لي ألفُ رُوح ما نجتْ منه واحدةٌ منها، ولكنه كان رجلاً حليماً، وكان في العُمْر بقيّة .

نسبة هذين الصوتين المذكورين في الخبر

صـــوت

لو كان حولي بنو أُمَيَّةَ لم * تَنْطِقْ رجالٌ أراهُمُ نَطَقُوا

١٥ مِنْ كلّ قَرْمٍ مَحْضٍ ضرائبُه * عن مَنْكِبَيْه القميصُ يَنْخرِق[2]

الشعر لعبد الله بن قيس الرُّقَيَّات . والغناء لمَعْبَد، ثقيلٌ أولُ بالوسطى عن عمرو، وذكر الهشاميّ أنه لابن سُرَيْج . وذكر ابن خُرْدَاذْبَه أنّ فيه لدُكَيْنِ بن عبد الله بن عَنْبَسة بن سعيد بن العاصي لحنًا من الثقيل الأوّل ، وأنّ دُكَيْناً مدنيٌّ كان منقطعًا الى جعفر بن سليمان .

٢٠ (١) الذي في الجزء الرابع أنه غضب عليه عشرين يوما ، مكانه فيه عباس أخو بحر، فرضي عنه ووصله بعشرين ألف درهم . (٢) انخراق القميص عن الشخص فيه قولان : أحدهما أنه إشارة الى جذب العفاة له . والآخر أنه يؤثر بجيد ثيابه فيكسوها غيره و يكتفي هو بمعاوزها .

صـــوت

الحَيْنُ ساقَ إلى دِمَشْقَ وما * كانت دمشقُ لأهلِنا بَلَدَا
قادتْك نَفْسُك فآستقدتَ لها[1] * وأُرِيتَ[2] أمرَ غَوَايةٍ رَشَدَا

لِعُمَرَ الوادىّ فى هذا الشعر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن ابن المكىّ. قال: وفيه ليعقوب الوادىّ رملٌ بالبنصر.

عترض على خضابه فأجاب

حدّثنى عمّى قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال سمعتُ الحسن بن وَهْب الكاتب يحدّث:

أنّ علّويه كان يَصطبح فى يوم خِضابه مع جواريه وحُرَمه، ويقول: أجعل صَبُوحى فى أحسن ما يكون عند جَوارِىّ. فقيل له: إنّ ابن سِيرِينَ كان يقول: لا بأْسَ بالخِضاب مالم تَغُرَّ به امرأةٌ مسلمةٌ. فقال: إنّما كُرِه لئلّا يَتَصَنَّع به لمن لا يعرفه من الحرائر فيتزوّجها على أنه شابٌّ وهو شيخ، فأمّا الإماء فهنّ مِلْكى، وما أُريد أنْ أغُرّهنّ.

قال الحسن: فتعالَلَ علّويه على المعتصِم ثلاثةَ أيّامٍ متوالية وآصطبح فيها، فدعانى، وكان صوتُه على جَوارِيه فى شعر الأخطل:

١٣٣ / ١٠

كأنّ عَطّارةً[3] باتتْ تُطِيفُ به * حتى تَسَرْبَلَ[4] مثلَ الوَرْسِ وانْتَعَلَا[5]

فقال لى: كيف رويتَه؟ فقلتُ له: قرأتُ شعرَ الأخطلِ[6] وكان أعلمَ النّاسِ به، كانَ يختار «تَسَرْوَلَ» ويقول: إنما وصف ثورًا دخل رَوْضَةً فيها نُوّارٌ أصفرُ فأثّر

(١) فى أكثر الأصول: «فأمنت نفسك فاستعذت لها». وفى جـ: «نامتك نفسك فاستعذت لها». والتصويب من مختصر الأغانى. (٢) فى مختصر الأغانى: «ورأيت».
(٣) فى الأصول: «عنظارة» والتصويب من كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب.
(٤) كذا فى منتهى الطلب. وفى الأصول: «ماء الورس». (٥) فى الأصول ماعدا جـ: «وابتلعا» وهو تحريف. (٦) ظاهر أنه يريد: «قرأت شعر الأخطل على فلان وكان أعلم الناس به ... الخ» فسقط اسم من قرأ عليه من النساخ.

فى قوائمه وبطنه فكان كالسَّراويل، لا أنّه صارَ له سِرْبال . ولو قال : « تسربلَ» أيضًا لم يكن فاسدًا، ولكنّ الوجهَ « تسرولَ » .

مدح إسحاق لحنا له

أخبرنى جعفر بن قُدَامةَ قال حدّثنى علىّ بن يحيى المنجِّم قال :

قَدِمتُ من سُرَّ مَنْ رأى قَدْمةً بعد طُول غَيبة، فدخلتُ إلى إسحاق الموصلىّ، فسلّم علىَّ وسألنى خبرى وخبرَ الناسِ حتّى ٱنتهينا إلى ذكر الغناء، فسألنى عمّا يتشاغل[1] الناس من الأصوات المُسْتَجادةِ[2] . فقلتُ له : تركتُ الناسَ كلّهم مُغْرَمين بصوتٍ لك . قال : وما هو ؟ فقلتُ :

* أَلَا يا حَمامَىْ قَصْرِ دُورانَ هِجْتُما *

فقال : ليس ذلك لى، ذاك لعَلّويه . وقد لَعَمْرِى أحسنَ فيه وجَوّد ماشاء .

قال المأمون أبياتا فغناه فيها فوصله

أخبرنى جعفر بن قُدامةَ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعىّ قال حدّثنى علّويه قال :

خرج المأمون يومًا ومعه أبياتٌ قد قالها وكتبها فى رُقْعة بخَطّه، وهى :

صــــوت

خرجْنا إلى صَيْد الظِّبـاءِ فصادَنى * هنـالك غَزالٌ أدعجُ العَـيْنِ أحْوَرُ

غزالٌ كأنّ البـــدرَ حلّ جبينَـه * وفى خدّه الشِّــعْرَى المنيرةُ تَزْهَرُ

فصـاد فُؤادى إذْ رمانى بِسَهْمِه * وسهمُ غزالِ الإنْسِ طَرْفٌ ومَحْجِرُ

(١) كذا فى ب، س . و « يتشاغل » فعل لازم فالكلام به غير مستقيم . وفى جـ هكذا : « يتشام » وفى ا، م هكذا : « يتشاءم » . وقد تقدم هذا الخبر نفسه فى صفحة ٣٣٥ ، وفيه : « فقال أى شىء رأيت الناس يستحسنون فى هذه الأيام من الأغانى ... الخ » . (٢) فى جـ : « المستحدثة » .

فيامَنْ رأى ظبيًا يَصيدُ ومَنْ رأى * أخا قَنَصٍ يُصْطَادُ قَهْرًا ويُقْسَرُ

قال : فغنّيته [فيها](١)، فأمَر لى بعشرة آلاف درهم .

قال أبو القاسم جعفر بن قُدامةَ : لحنُ علّويه فى هذا الشعر ثقيلٌ أول ابتداؤه نشيد .

غنى فى مجلس الرشيد بما أغضبه عليه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنى حمّاد عن أبيه قال : غنّيتُ الرشيدَ يومًا : ٥

هما فتاتانِ لَمّا يَعرِفا خُلُقى * وبالشّباب على شَيْبى يُدِلّانِ

فطرِب وأمَر لى بألف دينار . فقال له ابنُ جامع — وكان أحسدَ الناس — : اِسمعْ غناء العُقلاء ودَعْ غناء المجانين — وكنتُ أخذتُ هذا الصوتَ من مجنون بالمدينة كان يُجيده — ثم غنّى قولَه :

ولقد قالتْ لأترابٍ لها * كالمَهَا يَلْعَبْنَ فى حُجْرتِها ١٠

خُذْنَ عنى الظِّلَّ لا يَتْبَعُنى * وغدتْ تسعَى إلى قُبّتِها

فطرِب وأمر له بألف وخمسمائة دينار . ثم تغنّى وَجْهُ القَرْعة :

يَمشُون فيها بكلّ سابغةٍ * أُحْكِمَ فيها القَتِيرُ والحَلَقُ(٢)

فاستحسنه وشرِب عليه وأمَر له بخمسمائة دينار . ثم تغنّى علّويه :

وأرَى الغوانِيَ لا يُواصِلْنَ آمرأً * فَقَدَ الشّبابَ وقد يَصِلْنَ الأمْرَدَا ١٥

فدعاه الرشيد وقال له : ياعاضَّ بَظْرِ أُمّه ! تُغَنّى فى مدحِ المُرْدِ وذمِّ الشّيب وسِتارتى منصوبةٌ وقد شِبْتُ ! كأنّك إنّما عرّضتَ بى! ثم دعا بمَسْرورٍ فأمَره أن يأخذ بيده فيُخرِجَه فيضربَه ثلاثين دِرّةً ولا يردّه إلى مجلسه ، ففعل ذلك ، ولم ينتفع الرشيد يومئذ بنفسه ولا آنتفعنا به بقيّةَ يومنا ، وجفا علّويه شهرًا فلم يأذَنْ له حتّى سألناه فأذِن له .

١٣٤ / ١٠

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) الدرع السابغة : التى تجر فى الأرض أو على الكعبين لطولها وسعتها . والقتير : مسامير الدرع . ٢٠

نسبة هذه الأصوات التى تقدّمت

صـــوت

هما فتاتانِ لمّا يَعْرِفا خُلُقِى * وبالشّبابِ على شَيْبِى يُدِلّانِ
كُلُّ الفَعَالِ الّذى يفعلنَه حَسَنٌ * يُضْنِى فؤادى ويُبْدِى سِرَّ أشجانى
بَلِ ٱحْذَرا صَوْلَةً من صَوْلِ شَيْخِكما * مَهْلًا عنِ الشَّيْخِ مهلًا يافتاتانِ ٥

لم يَقَعْ إلىّ شاعرُه . فيه لابن سُرَيْج ثانى ثقيلٍ بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج رملٌ بالبِنصر عن عمرو . وفيه لسليمان المُصاب رملٌ كان يغنّيه ، فدسّ الرشيد إليه إسحاقَ حتّى أخذه منه ، وقيل : بل دسّ عليه ٱبنَ جامع .

خبر أخذ إسحاق صوتا من سليمان المصاب

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

١٠ دعانى الرشيدُ لمّا حجّ ، فقال : صِرْ إلى موضع كذا وكذا من المدينة ؛ فإنّ هناك غلامًا مجنونًا يغنّى صوتًا حسنًا ، وهو :

هُمَا فتاتانِ لمّا يعرِفا خُلُقى * وبالشبابِ على شيبى يُدِلّانِ

وله أمٌّ ، فصِرْ إليها وأقِمْ عندها وٱحتَلْ حتّى تأخذه . فجئتُ أستدلّ حتّى وقفت على بيتها ، فخرجتْ إلىّ فوهبتُ لها مائتى درهم ، وقلتُ لها : أُريد أن تحتالى على ٱبنك ١٥ حتّى آخُذَ منه الصوتَ الفلانىّ . فقالت : نَعَمْ ، وأدخلتنى دارَها ، وأمرتْنى فصَعِدتُ الى عِلّيّة لها ، فما لَبِثتُ أنْ جاء ٱبنها فدخل . فقالت له : يا سليمانُ فدتْك نفسى ! أُمُّك قد أصبحتِ اليومَ خاثِرةً مُغْرَمةً[1] ، فأحِبّ أن تغنّى ذلك الصوتَ :

* هما فتاتانِ لمّا يعرِفا خُلُقِى *

فقال لها : ومتى حدَث لك هذا الطَّرَب ؟ قالت : ما طَرِبتُ ولكنّى أحببتُ ٢٠ أن أتفرّج من همٍّ قد لحِقنى . فٱندفع فغنّاه ، فما سمعتُ أحسنَ من غِنائه . فقالت

(١) خاثرة : ثقيلة النفس غير طيبة ولا نشيطة . والمغرمة هنا : المصابة بألم يلازمها ويلح عليها .

له أمّه : أحسنتَ ! فديتُك ! فقد والله كشفتَ عنّى قِطعةً من همّى ، فأسألُك أن تُعيدَه . قال : والله مالى نَشَاطٌ ، ولا أشترى غمّى بفرحك . فقالتْ : أعِدْه مرّتين ولك درهمٌ صحيحٌ تشترى به ناطِفًا[1] . قال : ومن أين لكِ درهم؟ ومتى حدَث لكِ هذا السخاء ؟ فقالت : هذا فضولٌ لا تحتاج اليه ، وأخرجتْ إليه درهمًا فأعطته إيّاه ، فأخذه وغنّاه مرّتين ، فدارَ لى وكاد يَسْتَوِى . فأومأتْ إليها من فوقُ أن تستزيده . فقالتْ : يا بُنَىّ بحقّ عليك إلّا أعدتَه . فقال : أظُنّ أنك تُريدين أن تأخُذيه فتَصيرى مغنّية . فقالت : نَعَمْ ! كذا هو . قال : لا ! وحقِّ القبر لا أعدتُه إلّا بدرهم آخر . فأخرجتْ له درهمًا آخر، فأخذه وقال : أظنُّك والله قد تَزَنْدَقْتِ وعَبدتِ الكَبْش فهو ينقُد لكِ هذه الدراهمَ ، أوْ قد وجدتِ كنزًا . فغنّاه مرّتين ، وأخذتُه وآستوى لى . ثم قام فخرج يعدو على وجهه . فجئتُ الى الرشيد فغنّيته به وأخبرتُه بالقصّة ، فطرِب وضحِك وأمر لى بألف دينار ، وقال لى : هذه بَدَلُ مائتى الدّرهم[2] .

صــــوت

ولقــد قالتْ لأتراب لهــا * كالمَهَا يلعبْنَ فى حُجْرتِهــا

خُذْنَ عنّى الظّلّ لا يتبعنى * وعَدَتْ سَــعْيًا الى قُبّتهــا

لم يُصِبْها نَكَدٌ فيما مَضَى * ظَبْــيةٌ تختــالُ فى مشيَتِها

فى هذه الأبيات رملٌ بالبِنصر ذكر الهشامىُّ أنه لآبن جامع المكىّ ، وذكر آبن المكىّ أنه لابن سُرَيْج . وهو فى أخبار آبن سريج وأغانيه غير مُجَنّس .

(١) الناطف : ضرب من الحلوى يقال له القبيطى . (٢) فى الأصول : « بدل المائتى درهم» بتعريف المضاف وتنكير المضاف اليه ، ولم يقل به أحد من النحويين . ومذهب البصريين فى مثل هذا إدخال الألف واللام على الثانى ، نحو * ثلاث الأثافى والديار البلاقع * وجوّز الكوفيون تعريف الجزأين فى العدد اذا كان مضافا نحو الخمسة الأثواب .

صوت

يمشون فيها بكلّ سابغةٍ * أُحْكِمَ فيها القَتِيرُ والحَلَقُ
تعرف إنصافَهُمْ إذا شَهِدوا * وصَبْرَهم حين تَشْخَصُ الحَدَقُ(1)

الغناء لابن مُحْرِز، خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وحبش .

٥

صوت

يَحْمَدْنَني دَيْنَ(2) النهارَ وأقتضِي * دَيْنِى إذا وَقَذَ(3) النُّعاسُ الرُّقَّدَا
وأرى الغوانى لا يُواصِلْنَ امرأً * فَقَدَ الشبابَ وقد يَصِلْنَ الأمْرَدَا

الشعر للأعْشَى . والغناء لمَعْبَد، خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

* * *

١٠

صوت

أيَّةُ حالٍ يا ابنَ رَامِينِ * حالُ المُحِبِّينَ المَسَاكِينِ
تركتَهم مَوْتَى وما مُوِّتوا * قد جُرِّعوا منكَ الأَمَرِّينِ(4)
وسِرْتَ فى رَكْبٍ على طِيَّةٍ(5) * رَكْبٍ تَهَامٍ ويَمَانِينِ
يا راعىَ الذَّوْدِ لقد رُعْتَهُمْ * وَيْلَكَ من رَوْعِ المُحِبِّينِ

١٥ الشعر لإسماعيلَ بن عَمَّارٍ الأسَديّ . والغناء لمحمد بن الأشعث بن فَجْوة الزُّهْرِيّ الكوفىّ، ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ مطلق فى مجرى الوسطى، عن الهشاميّ وأحمد بن المكّيّ .

---

(1) يقال : شخص بصر فلان إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف . وشخوص الحدق هنا كناية عن الفزع وشدة الخوف فى الحرب . (2) فى شعر الأعشى : * يلوينني ديني النهار وأجتزى * ولىّ الدين : مطله . (3) وقذ : صرع وغلب . (4) يقال : لقى منه الأمرين

٢٠ (على صيغة الجمع) أى الدواهى، ويقال أيضا : لقيت منه الأمرين (على صيغة المثنى) . وقد كسرت نون جمع المذكر السالم فى هذه القصيدة والتى بعدها للشعر أو هى لغة . (5) الطية : النية أى الوجه المقصد الذى تنويه وتريده .

نسبُ إسماعيلَ بنِ عمّار وأخبارُه

نسب إسماعيل ابن عمار

هو إسماعيلُ بن عمّارِ بن عُيَيْنة بن الطُّفَيْل بن جَذِيمةَ بن عَمْرِو بن خَلَف بن زَبّان بن كَعْبِ بن مالكِ بن ثَعلبةَ بن دُودَانَ بن أسَدِ بن خُزَيْمةَ . أخبرنى بذلك علىّ بن سليمانَ الأخفشُ عن السُّكّرىّ عن آبن حبيبَ .

من مخضرمى الدولتين وكان ينزل الكوفة

وإسماعيل بن عمّارٍ شاعرٌ، مُقِلٌّ، مُخَضرَمٌ من شعراء الدولتين الأُمَويّة والهاشميّة. وكان ينزِل الكوفةَ . ٥

كان ممن يختلف الى ابن رامين وجواريه

قال ابن حبيبَ : كان فى الكوفة صاحبُ قِيَانٍ يقال له آبنُ رَامِينَ ، قدِمها من الحجاز، فكان مَنْ يسمَع الغِناء ويشرَب النبيذَ يأتُونه ويُقيمون عنده : مثلُ يحيى بن زِيَادٍ الحارثىّ ، وشُرَاعةَ بن الزَّنْدَبُوذ ، ومُطِيع بن إيَاس ، وعبد الله بن العبّاس المفتون ، وعَوْنٍ العِبَادىّ الحِيرِىّ ، ومحمد بن الأشعث الزُّهْرِىّ المغنّى . وكان نازلًا فى بنى أَسَدٍ فى جِيران إسماعيل بن عمّار ، فكان إسماعيلُ يغشَاه ويشرَب عنده . ثم آنتقل من جِواره الى بنى عائذ [الله] (١) ، فكان إسماعيل يزوره هنالك على مَشَقّة لبُعْد ما بينهما . وكان لآبن رامين جَوَارٍ يقال لهن سَلّامةُ الزرقاء ، وسَعْدَةُ ، ورُبَيْحة ، وكنّ من أحسن الناس غِناء ، واشترى بعد ذلك محمد بن سليمان سلّامةَ الزرقاء التى يقول فيها محمد بن الأشعث : ١٠ ١٥

١٣٦ / ١٠

أمسى لِسَلّامةَ الزرقاءِ فى كَبِدِى * صَدْعٌ مُقِيمٌ طَوَالَ الدّهرِ والأبَدِ
لا يستطيعُ صَنَاعُ القومِ يَشْعَبُه * وكيف يُشْعَبُ صَدْعُ الحُبِّ فى كَبِدِ (٢)

---

(١) عائذ الله : حىّ من العرب . (٢) فى بعض الأصول : « فى كبدى » .

قصيدة له في جوار ابن رامين

وفى جَوَارِيه يقول إسماعيل بن عمّار :

هَــلْ مِنْ شِــفَاءٍ لِقلبٍ لَجَّ محزونِ * صَبَا(١) وصَبَّ إلى رِئْمِ ٱبْنِ رامــينِ

إلى رُبَيْحَــةَ إنّ الله فَضّلهــا * بحُسْنِهــا وسَمَــاعٍ(٢) ذى أفانــينِ

وهاجَ قلبِي(٣) منهــا مَضْحَكٌ حسنٌ * ولَثْغةٌ بعــدُ [فى](٤) زَاىٍ وفى سِينِ

٥ نَفْسِى تأبَّى لكمْ إلّا طَوَاعِيــةً * وأنتِ تأبَيْنَ(٥) لُؤْمًا أنْ تُطيعينى

وتلك قِسْمةُ ضِيزَى(٦) قد سمعتِ بها * وأنت تَتْلِينَهــا(٧) ما ذاك فى الدِّينِ

إنْ تُسْعِفِينِى بذاك الشىء أرضَ به * وإنْ ضَنَنْتِ به عنِّى فزَيِّنِــى(٨)

أنتِ الطبيبُ لداءٍ قــد تلبّس بى * من الجوَى فَٱنفُثِى فى فىّ وَٱرْقِينِى

نَعَمْ شِفاؤكِ منهــا أن تقولَ لهــا * أَضْنَيْتِنِى يوم دَيْرِ اللُّجِّ(٩) فَٱشْـفِينِى

١٠ يا ربِّ إنَّ ٱبنَ رَامِينٍ له بَقَرٌ * عِينٌ(١٠) وليس لنــا غيرُ البراذِينِ(١١)

---

(١) فى أ ، م : «صب يصيب» . وفى سائر الأصول : «صب يغيب» . وقد أثبتناه كما ورد فى الأصول فى ذكر خبر سلامة الزرقاء وخبر محمــد بن الأشعث (جـ ١٣ صفحة ١٢٩ طبعة بلاق) . وصبا يصبو : مال إلى الجهل والفتوّة . والصبابة : الشوق ، وقيل : رقته وحرارته ؛ يقال : صب فلان يصب (وزان فرح) صبابة فهو صب اذا عشق . (٢) السماع هنا : الغناء ، وكل ما التذته الأذن من صوت حسن سماع . (٣) فى جـ : «قلبك» . (٤) فى الأصول : «بعد رأى» ، وقد أثبتناه هكذا لاستقامة الوزن والمعنى به ، وتكون لثغتها فى أحرف الصفير ، فتنطق بالزاى ذالا ، وبالسين ثاء . وأحرف الصفير الزاى والسين والصاد . (٥) الرواية فيما يأتى : «وأنت تحمين أنفا» .

(٦) قسمة ضيزى : جائرة . ولم تنون «قسمة» هنا للشعر . (٧) تتلينها : تتبعينها وتعملين بها .

(٨) فى أكثر الأصول هنا : «فمينيتى» . وفى جـ : «فيعنيى» . والتصويب مما سيأتى فى الأغانى (فى ذكر خبر سلامة الزرقاء وخبر محمد بن الأشعث) . وكان إسماعيل بن عمار كتب إلى سعدة بهذه الأبيات ، فردّت عليه : «حاشاك من أن أزنيك ، ولكنى أسير إليك فأعنيك وأحبك وأرضيك» . (٩) كذا فى جـ : وفى سائر الأصول : «دير الملح» وهو تحريف . ودير اللج : بالحيرة ، بناه أبو قابوس النعمان بن المنذر فى أيام ملكه ؛ ولم يكن فى ديارات الحيرة أحسن منه بناء ولا أنزه موضعا . (١٠) الرواية فيما يأتى : «يا رب ما لابن رامين» . (١١) فى الأصول هنا : «إلا البراذين» . والتصويب مما سيأتى .

لو شئتَ أعطيتَــه مالًا على قَــدَرٍ * يرضَى به منكَ غيرَ الرَّبْرَبِ العِــينِ (١)
لا أَنْسَ سَعْدَةَ والزَّرْقاءَ يومَ هُمَــا * باللَّجِّ شَرْقِيَّــهُ فوق الدَّكاكِينِ (٢)
يُغَنِّيانِــ ٱبنَ رامينٍ على طَرَبٍ * بالمِسْجَحِيِّ وتشبيبِ المحبِّــينِ (٣)
أذاكَ أَنْعَــمُ أم يومٌ ظَلِلتُ به * فِراشِيَ الوَرْدُ فى بُسْتانِ شُورِينِ (٤)
يَشْوِى لنا الشيخُ شُورِينٌ دَوَاجِنَه * بالجَــرْدَناجِ وسُحّاجِ الشَــقابِينِ (٥) (٦) ٥
نُسْقَى طِــلاءً لِعِمْرانٍــ يُعَتِّقُــه * يَمْشِى الأَصِحّاءُ منــه كالمجانينِ (٧) (٨)
يُزِلُّ أقدَامَنا من بعــد صِحّتِهــا * كأنّهــا ثِقَلًا يُقْلَعْنَ مِنْــ طِينِ (٩)
نمشِى وأرجلُنــا مطويةٌ شَــلَلًا * مَشْىَ الإوَزِّ التى تأتى من الصِّينِ (١٠)
أو مَشْىَ عُمْيــانِ دَيْرٍ لا دليلَ لهم * بِسِــوَى العِصِىِّ إلى يومِ السَّعانِينِ (١١)

(١) فى حـ ، ب ، س : « عين الربرب العين » . وفى أ ، م : « إلا الربرب العين » . ١٠
وهما تحريف . والرواية فيما يأتى : « غير الخرد العين » . والربرب : القطيع من بقر الوحش . والعين : الواسعة العيون ، واحدتها عيناء . يريد جواريه اللاتى يشبهن بقر الوحش فى سعة العيون .

(٢) الدكاكين : جمع دكان ، وهو بناء يسطح أعلاه للجلوس عليه ، وهو المصطبة .

(٣) فى الأصول هنا : « للسجحى بتشتيت المحبين » . والتصويب مما سيأتى . والمسجحى : الغناء المنسوب لابن مسجح . (٤) كذا ورد هذا الاسم فى الأصول هنا . وورد فى خبر سلامة الزرقاء ومحمد بن الأشعث ١٥
فيما سيأتى : « سورين » بالسين المهملة . (٥) الجردناج : الشواء المكبوب على الجمر أو الطابق بعد كبسه فى مياه عطرة وأفاويه أو طبخه فيها نصف طبخة . وأصله فارسى . (٦) كذا فى ب ، س فى خبر سلامة الزرقاء فيما سيأتى من الأغانى . وفى أكثر الأصول هنا « شجاج الشمانين » وفى بعضها : « شجاج السقانين » .
والشقابين : جمع شقبان (بالتحريك) وهو طير نبطى . أما « سحاج » فأحسب أن صوابها « سحاح »
(بضم السين وتشديد الحاء) جمع ساح بمعنى سمين . والمذكور فى كتب اللغة أن جمع « ساح » سحاح (بضم ٢٠
السين وكسرها ، وبتخفيف الحاء) . (٧) الرواية فيما سيأتى : « شرابا » . وفى معجم ما استعجم للبكرى
(فى دير اللج) : « يسق شرابا كلون النار عتقه » . ومرجع الضمير فى « يسق » ابن رامين فى البيت قبله .

(٨) ذكر المؤلف فيما سيأتى أنه « يعنى عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله » .

(٩) فى الأصول المخطوطة : « ينزل » . وفى ب ، س : « تنزل » . ومرجع الضمير فى « يزل »
الشراب فى البيت قبله . والرواية فيما سيأتى ومعجم ما استعجم : ٢٥

نمشى اليها بطاء لا حراك بنا * كأن أرجلنا يقلعن من طين

(١٠) الرواية فيما يأتى : « عوج مطارحها » بدل : « مطوية شللا » . وفى معجم ما استعجم : « عوج رواتعها » . (١١) فى الأصول هنا : « عميان عم » . والتصويب مما سيأتى ومعجم ما استعجم .

فى فتيةٍ من بنى تيمٍ لهوتُ بهم * تيمِ بنِ مُرّةَ لا تيمِ العَدَيّينِ
خُمْـرِ الوجوهِ كأنّا من تحشّمنا (١) * حسناءُ شمطاء وافتْ من فِلَسْطِينِ
ما عائذَ الله (٢) لولا أنتِ من شَجَنِى * ولا ٱبنُ رامينَ (٣) لولا ما يُمَنّينى
فى عائذ الله بيتٌ ما مررتُ به * إلّا وُجِئْتُ (٤) على قلبى بسِكّينِ
يا سَعْدَةُ القَيْنَةُ (٥) الخضراءُ أنتِ لنا * أُنْسٌ لأنّك فى دار ٱبنِ رامينِ
ما كنتُ أحسَبُ أنّ الأُسْدَ تؤنِسنى (٦) * حتى رأيتُ اليك القلبَ يدعونى
لولا رُبَيْحَةُ (٨) ما استأنستُ ما عَمَدتْ (٧) * نفسى اليك ولو مُثّلتِ من طينِ

بيع ابن رامين سلامة فى حجة فقال هو شعرا

قال : وحجّ ٱبن رامينَ وحجّ بجَوارِيه معه (٩)، وكان محمد بن سليمان إذ ذاك على الحجاز، فٱشترى منه سَلّامةَ الزَّرْقاء بمائة ألف درهم . فقال إسماعيل بن عمّار :

أيّةُ حالٍ يا ٱبنَ رامينِ * حالُ المُحِبّين المساكينِ
تركتَهم مَوْتَى وما مُوّتوا * قد جُرِّعوا منك الأَمَرّينِ

١٣٧
—
١٠

(١) هكذا ورد هذا الشطر الأخير فى أكثر الأصول . ومكانه فى جـ « حينا ... من فلسطين » . وفى جـ : « تجشنا » بالجيم بدل « تحشمنا » بالحاء . (٢) فى جـ : « ما عابد الله » . وفى سائر الأصول : « يا عائذ الله » . وعائذ الله : حىّ من العرب انتقل الى جوارهم ابن رامين مع جواريه كما تقدّم . ورواية هذا البيت فيما سيأتى :

ما عائذ الله لى إلف ولا وطن * ولا ابن رامين لولا ما يمنينى

(٣) فى الأصول : « لولا ابن رامين » . (٤) وجئت : ضربت .

(٥) كذا فى ب ، س فيما سيأتى . وفى الأصول هنا : « يا أسد القبة » . والخضراء : يريد السوداء ، وكانت سعدة كذلك . (٦) أحسب أن صوابه : « أن السود تؤنسنى » فان سعدة كانت سوداء . (٧) كذا ورد هذا الشطر فيما سيأتى . ومكان هذا الشطر فى أ ، م هنا بياض . وفى حـ : « لولا ... نسبت ما بقيت » . وفى ب ، س هنا :

* لولاك تؤنسنى بالقرب ما بقيت *

وهى جميعا غير واضحة .

(٨) فيما سيأتى : « وقد مثلت فى طين » . (٩) هكذا فى الأصول !.

وسرتَ فى ركبٍ على طِيَّةٍ * رَكْبِ تهامٍ ويمانينِ

حججتَ بيتَ الله تبغى به السِّيرَ ولم تَرْثِ لمحزونِ

ياراعىَ الذَّودِ لقد رُعْتَهُمْ * وَيْلَكَ من رَوْعِ المحِبّينِ

فرّقتَ قوماً لا يُرَى مِثْلُهم * ما بين كُوفانٍ(١) إلى الصّينِ

مات له ابن فرثاه

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا السكّرىّ عن محمد قال : ٥

كان لإسماعيل بنِ عمّارٍ ابنٌ يقال له مَعْنٌ فمات، فقال يرثيه :

يا مَوْتُ مالكَ مُولَعًا بِضَرارِى * إنّى عليكَ وإنْ صَبَرْتُ لزارِى(٢)

تعدو علىّ كأنّنى لك واترٌ بها وأؤول منكَ كما يؤولُ فِرارِى(٣)

نَفْسُ البعيدِ إذا أردتَ قريبةٌ * ليستْ بناجيةٍ مع الأقدارِ(٤)

والمرءُ سوف وإنْ تطاولَ عُمْرُه * يوماً يصيرُ لحُفْرةِ الحفّارِ ١٠

لمّا غَلا عَظْـمٌ(٥) به فكأنّه * من حسن بِنْيتِه قضيبُ نُضارِ(٦)

فجعتنى بأعزّ أهلى كلّهم * تعدو عليه عَدْوَةَ الجبّارِ

هلّا بنفسى أو ببعض قرابتى * أوقعتَ أوْ ما كنتَ للمُختارِ(٧)

وتركتَ ربتى(٨) التى من أجلها * عِفْتُ الجهادَ وصِرْتُ فى الأمصارِ

(١) كوفان : الكوفة، وكوفان أيضا : قرية بهراة . (٢) يقال : فلان زار على فلان إذا كان عاتبا ساخطا غير راض . وفى الأصول : « إنى إليك » . (٣) فى حـ : « قرارى » بالقاف . (٤) يحتمل أن يكون « من الأقدار » . (٥) فى الأصول : « لما علا عظمى به » وهو تحريف . يقال غلا بالجارية والغلام عظم، وذلك فى سرعة شبابهما وسبقهما لداتهما . وكل ما ارتفع فقد غلا وتغالى . (٦) النضار هنا : الأثل الطويل المستقيم الغصون . ١٥

(٧) كذا فى الأصول ! . (٨) كذا فى الأصول . وأحسب أن صوابه : « وتركت زينتى ... » والزينة ابنه . وهذا إشارة إلى قوله تعالى : ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ . ٢٠

رفض أن يكون عاملا لما رأى العمال يعذبون وشعره فى ذلك

أخبرنى علىّ بن سليمان قال حدّثنى السكرىّ عن محمد بن حبيب قال :
قال رجلٌ من بنى أسَدٍ كان وَجْهًا(١) ، لإسماعيلَ بنِ عمّار : هَلُمَّ أركَبْ معكَ إلى يوسفَ بن عُمَر ، فإنه صديقٌ ، حتى أكلِّمه فيك يستعملُك على عملٍ تنتفع به . فقال له إسماعيل : دَعْنِى حتى يحولَ الحولُ . فنظر إسماعيلُ إلى عُمّال يوسفَ يُعذَّبون ، فقال فى ذلك :

رأيتُ صَبِيحةَ النَّيْروزِ أمرًا * فظيعًا عن إمارتهم نَهانِى
فَرَرتُ من العِمالةِ بعد يحيَى * وبعد النَّهْشَلىّ أبى أبَانِ
وبعد الزور وآبن أبى كَثِيرٍ * وفَقْدِ أشْجَعٍ وأبى بِطَانِ
فخَابَ بها أبا عُثمانَ غيرى * فما شأنُ الإمارةِ لى بشَانِ
أُحاذِرُ أنْ أقصِّر فى خَراجى * إلى النَّيْروزِ أو فى المِهْرَجانِ
أُعَجِّلُ إنْ أتى أجلى بوقتٍ * وحَسْبِى بالمُجَرِّحةِ المتانِ(٢)
فما عُذْرِى إذا عَرَّضتُ ظهرى * لألفٍ من سِياطِ الشّاهِجانِ(٣)
تَعُدُّ ليوسفٍ عدًّا صحيحًا * ويحفَظها عليه الجالدانِ
وأُسْحَبُ فى سَراوِيلِى بقَيْدِى * إلى حَسّانَ مُعْتَقَلَ اللِّسانِ
فمنهم قائلٌ بُعْدًا وسُحْقًا * ومنهم آخَرانِ يُفَدِّيانِ(٤)
كفانى من إمارتهم عَطائى * وما أُحْذِيتُ(٥) من سَبَقِ الرِّهانِ

(١) الوجه من الناس : سيد القوم مثل الوجيه . (٢) فى الأصول : «بالمحرجة المثان» . ويريد بالمجرّحة المتان السياط الشديدة التى تقطع جلد من يضرب بها . والشاعر يريد بهذا الاخبار الإشفاق والخوف . (٣) الشاهجان : هى مرو الشاهجان ، كانت قصبة خراسان وأشهر مدنها . (٤) فى بعض الأصول «يعذبان» وهو تصحيف . (٥) أحذيت : أعطيت . وهذا البيت ساقط من أ ، م . وفى الأصول التى ورد فيها : «وما أحذمت» وفى بعضها «وما أخذمت» . وقد أثبتناه بما يستقيم به المعنى ولا يبعد كثيرا عن رسم الأصول . والسبق (بالتحريك) : ما يجعل من المال رهنا على المسابقة بين الخيل وغيرها . وأحسب أنه يريد ما يعطاه جوائز على إجادته فى شعره وسبقه الشعراء .

كفانى ذاك منهم ما بَقِينا[(١)] * كما فيما مَضَى لى قد كفانى

138/10

شعره فى بوبة وصيفة عبد الرحمن ابن عنبسة

وقال ابن حبيب فى الإسناد الذى ذكرناه : إنه كانت لعبد الرحمن بن عَنْبَسة ابن سعيد بن العاصى وصيفةٌ مغنّيةٌ يؤدِّبها ويَصْنَعها[(٢)] لِيُهْدِيها الى هشام بن عبد الملك يقال لها بُوبة . فقال فيها إسماعيل بن عمّار :

بُوبَ حُيِّيتِ عن جليسِك بُوبا * مُخطئًا فى تحيّتى أو مصيبا[(٣)]

ما رأينا قتيلَ حىٍّ حبا القا * تلَ بالوِتْر أنْ يكونَ حبيبا

٥

غيرَ ماقد رُزِقْتِ يابُوبَ منّى * فهنيئًا وإنْ أتيتِ عجيبا

غيرَ مَنٍّ به عليكِ وإنْ كُنْ * تُ بقَدْرِ القِيَانِ طَبًّا[(٤)] طبيبا

بنتُ عَشْرٍ أديبةٌ فى قُرَيْش * بَخْ فأَكْرِمْ بهم أبًا ونَسِيبا

أُدِّبتْ فى بنى أُمَيّةَ حتّى * كَمَلتْ فى حُجورهم تأديبا

١٠

قال : ثم أهداها ابنُ عنبسةَ إلى هشام . فقال إسماعيلُ بن عمّار :

أَلَا حُيِّيتِ عنّا ثُمَّ سَقْيًا لكِ يا بُوبَه

وأَكْرِمْ بكِ مُهْداةً * وأَحْبِبْ بكِ مَطْلوبه

وواهًا لكِ من بِكْرٍ * وواهًا لكِ مثقوبَه

وواهًا لك مُلْقاةً * وواهًا لك مكبوبه

١٥

لقد عايَنَ مَنْ يَلْقا * كِ من حُسْنكِ أُعجوبه

ويا وَيْلِى ويا عَوْلِى * فنفسى الدّهرَ مكروبه

---

(١) فى أ ، م : « ما تهيّا » . (٢) صنع الجارية : ربّاها وأحسن تغذيتها .

(٣) فى الأصول « أم » . (٤) الطب : الخبير الحاذق بعمله ، ومثله الطبيب .

على هَيْفاءَ(١) حَوْراء * على جَيْداءَ رُعْبوبه

إذا ضاجَعها المَوْلَى * فقــد أدركَ محبوبه

هجاؤه لجارية له كان يبغضها

قال ابن حبيبَ فى هذه الرواية: كان لإسماعيلَ بنِ عمّار جاريةٌ قد ولَدتْ منه، وكانت سيئةَ الخُلق قبيحةَ المَنْظَر، وكان يُبغِضها وتُبغضه، فقال فيها:

بُليتُ بزَمَّردةٍ(٢) كالعَصَــا * ألَصَّ وأخبثَ من كُنْدُشِ(٣)

تُحِبّ النساءَ وتأبَى الرجالَ * وتمشى معَ الأسْفَهِ الأطْيَشِ

لهـا وجهُ قِرْدٍ(٤) إذا ازَّيَنَتْ(٥) * ولونٌ كَبَيْضِ القَطَا الأبْرَشِ(٦)

ومِن فوقِه لِمَّةٌ جَثْلَةٌ(٧) * كمثلِ الخوافى مِنَ المَرْعَشِ

(١) هيفاء: دقيقة الخصر. وحوراء: شديدة بياض العين مع شدة السواد واستدارة الحدقة. وجيداء: طويلة الجيد. والرعبوبة — ومثلها الرعبوب —: الشطبة التارّة أو هى البيضاء الناعمة.

(٢) زمّردة: لغــة فى «زنمردة» قلبت النون ميما وأدغمت فى الميم. وتروى أيضا بفتح الزاى وكسر الميم، وبكسر الزاى وفتح الميم. والزنمردة: المــرأة التى تشبه الرجال خلقا وخُلقا. والكلمة فارسية معربة. وشبهها بالعصا لقلة لحمها وهزالها. وقد نسب أبو تمـام هذه القصيدة فى ديوان الحماسة للغطمش الحنفى. (٣) كندش: لقب لص منكر كان معروفا عنــدهم، وقيل إنه العقعق، وذكر بعضهم أنه الفارة. (راجع شرح التبريزى على الحماسة). والعقعق: طائر على قدر الحمامة، على شكل الغراب وجناحاه أطول من جناحى الحمامة، وهو ذو لونين أبيض وأسود، طويل الذنب. وفى طبعه الزنا والخيانة، و يوصف بالسرقة والخبث، والعرب تضرب به المثل فى جميع ذلك. (عن حياة الحيوان للدميرى فى كلامه على العقعق). (٤) ويروى: «لها شعر قرد». (٥) أصــله «تزينت» فقلبت التاء زايا وأدغمت فى الزاى، فلما سكن الأوّل اجتلبت همزة الوصل. (٦) البرش والبرشة: لون مختلف: نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو غير ذلك. (٧) وردت هذه الكلمة فى الأصول محرفة. والتصويب من الحماسة، وقد صححها كذلك المرحوم الشنقيطى فى نسخته. واللمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن. وفى الحماسة: * لها جمة فوقها جثلة * والجمة من الشعر: دون اللمة فى الطول. والجثلة: الكثيرة الملتفة. والخوافى من الريش: ما تخفى اذا ضم الطائر جناحيه. والمرعش (بفتح أوّله وثالثه، وبعضهم يضم أوّله): جنس من الحمام أبيض يحلق فى الهواء. وقال أبو العلاء: عنى بالمرعش النسر الذى قد هرم. وقد اعتمدنا فى شرح بعض هذا الشعر على شرح التبريزى للحماسة.

وبطنٌ خَوَاصِرُه كالوِطَا[1] * ب زادَ على كَرِش الأكْرَش
وإنْ نَكَهتْ كدتُ من نَتْنِها * أخِرُّ[2] على جانِب المَفْرَش
وثَدْىٌ تدلَّى على بطنِها * كقِرْبةِ ذى الثَّلَّةِ[3] المُعطِش
ونَفْذانِ بينَهما بَشْطةٌ[4] * اذا ما مشتْ مِشْيةَ المُنتَشِى[5]
وساقٌ يُخَلْخِلُها خاتمٌ * كساق الدَّجاجةِ أو أحمشُ[6]
وفى كلِّ ضِرْس لها أَكْلةٌ[7] * أَصَلُّ[8] من القبر ذى المَنْبَش
ولمّا رأيتُ خوَا[9] أنفها * وفيها وإصْلالَ[10] ما تحتشِى
إلى ضاءِ[11] مثلِ ظِلْفِ الغَزالِ * أشدَّ اصفرارًا من المِشْمِش

(١) الوطاب : جمع وطب (بالفتح)، وهو سقاء اللبن يتخذ من جلد الجذع فما فوقه . والأكرش : عظيم البطن . (٢) نكه (من بابى ضرب ومنع) : تنفس على أنف آخر .

(٣) الثلة (بالفتح) : القطعة من الغنم . والمعطش : الذى عطشت غنمه . ورواية الشطر الأول فى الحماسة : * وثدى يجول على نحرها * يصفها بعظم الثدى . ويحتمل أن يريد أن ثديها طويل وإن كانت خالية ، فقد وصفه بالطول والتشنج . (عن شرح الحماسة) . (٤) فى الأصول : « بطشة » والتصويب بقلم المرحوم الشنقيطى . وفى الحماسة : * ونفذان بينهما نفنف * والنفنف هنا : المهواة بين الشيئين . (٥) المنتشى : السكران .

(٦) فى هذا البيت إقواء ؛ لأن المعنى على تقدير أو هى أحمش . ورواية البيت فى الحماسة :

وساق مخلخلها حمشة * كساق الجرادة أو أحمش

والحموشة : الدقة ؛ يقال : ساق حمشة (بالفتح) وحميشة وحمشاء أى دقيقة . والمخلخل : موضع الخلخال من الساق . وأنث الخبر — على رواية الحماسة — لاضافة المخلخل الى ضمير الساق ، والساق مؤنثة .

(٧) الأكلة (بفتح أوله وكسر ثانيه ، وسكن هاهنا للشعر) : داء يقع فى العضو فيأتكل منه .

(٨) أصلّ : أنتن . وفى الأصول : «أضل» بالضاد المعجمة . والتصويب بقلم الأستاذ المرحوم الشنقيطى . (٩) كذا فى حـ . والخواء (بالمد) : الهواء بين الشيئين . وقصره الشاعر هنا للشعر . ووردت هذه الكلمة فى سائر الأصول محرفة بين «حدا» و«حذا» .

(١٠) الإصلال : مصدر أصل اللحم إذا أنتن ؛ يقال : صل اللحم وأصل . وما تحتشيه هنا : ما تضعه من القطن ونحوه فى فرجها لتحبس به دم الحيض . (١١) يريد فرجها .

فَرَرتُ مِنَ البيتِ من أجلها * فِرار الهَجينِ من الأعمش (١)
وأبردُ من ثَلجِ سَاتِيدَمَا (٢) * إذا راح كالعُطُبِ (٣) المُنْفَش (٤)
وأرسَحُ (٥) من ضِفْدَعٍ عَثّةٍ (٦) * تَنِقُّ على الشطّ من مَرْعَش (٧)
وأوسَعُ من بابِ جِسْرِ الأميرِ * تُمُرُّ المحَامِلَ لم تَخْدِش
فهذى صِفاتِى فلا تأتِها (٨) * فقد قلتُ طَرْدًا لها كَشْكِشِى (٩)

٥

هجا جارا له بنى مسجدا قربه دارا

وقال ابن حبيبَ : كان فى جِوارِ إسماعيل بن عمّار رجلٌ من قومه ينهاه عن السُّكْر وهجاء النـاس ويعذُله، وكان إسماعيل له مُبْغضا . فبنى ذلك الرجلُ مسجدًا يُلاصق دارَ إسماعيل وحسّنه وشيّده، وكان يجلس فيه هـو وقومُه وذوو التستّر والصلاح منهم عامّةَ نهـارهم، فلا يقدر إسماعيل أن يشرَب فى داره ولا يدخُل إليه أحدٌ ممن كان يألَفه من مغنٍّ أو مغنّية أو غيرهمـا من أهل الرِّيبة . فقال إسماعيل يهجوه — وكان الرجل يتولّى شيئا من الوُقوف للقاضى بالكوفة — :

١٠

بَنَى مسجدًا بُنْيانُه من خِيانةٍ * لَعَمْرِى لَقِدْمًا كنتَ غيرَ مُوفَّقِ
كصاحبةِ الرُّمّانِ لمّا تَصَدّقتْ * جَرَتْ مَثَلًا للخائن المتصدِّقِ
يقولُ لها أهلُ الصّلاح نصيحةً * لكِ الوَيْلُ لا تَزْنِى ولا تَتَصَدَّقِى

---

(١) كذا فى الأصول ! . (٢) ساتيدما : جبل متصل من بحر الروم الى بحر الهند .
(٣) العطب (بضمتين و يسكن ثانيه) : القطن . (٤) الذى فى كتب اللغة أنه يقال : نفشت الصوف والقطن ونفشته (بتشديد الفاء) اذا ندفته . (٥) فى الأصول : « وأرشح » بالشين المعجمة . والتصويب بقلم المرحوم الشنقيطى . والرسح : قلة لحم الفخذين والعجز .

١٥

(٦) كذا فى حـ . والعثة (بالعين المهملة) : المحقورة والضئيلة الجسم . وفى سائر الأصـول : «غثة» بالغين المعجمة . والغثة : الرديئة . (٧) مرعش : مدينـة بين الشام و بلاد الروم .
(٨) فى الأصـول : « فلا تأبها » بالباء الموحدة . (٩) فى الأصول : « كشكش » بدون الياء . والكشكشة هنا : الهرب . يريد : فقلت لها اذهبى .

٢٠

ستعدى على غاضرى كلف رهطه الطواف

وقال ابن حبيب: وَلِّى العَسَس[1] رجلٌ غاضرىٌّ، فأخذ بنى مالك وهم رهطُ إسماعيل ابن عمّار بأن كانوا معه، فطافوا الى الغداة. فلمّا أصبح غدا على الوالى مُستعدِياً على الغاضرىّ. فقال له الوالى — وكان رجلًا من هَمْدانَ —: ماذا صنع بك؟ فأنشأ يقول:

عَسَّ بنا ليلتَه كُلَّها * ما نحن فى دُنْيا ولا آخِرَهْ
يأمُر أشياخَ بنى مالكٍ * أن يحرُسوا دون بنى غاضِرَهْ
واللهُ لا يرضَى بذا كائنًا * من حُكْمِ هَمْدانَ الى الساهِرَه[2]

قال فقال له الوالى: قَدْ لَعَمْرِى صَدَقتَ، ووظّف على سائر البطون أنْ يطوفوا مع صاحب العَسَس فى عشائرهم ولا يتجاوزوا قبيلةً الى قبيلةٍ، ويكون ذلك بنوائب[3] بينهم.

كان منقطعا إلى خالد بن خالد بن الوليد فلما مات رثاه

وقال ابن حبيب: كان إسماعيل بن عمّار منقطعًا الى خالد بن خالد بن الوليد بن عُقبة بن أبى مُعَيط، وكان إليه مُحسناً، وكان يُنادمه. فوَلِى خالدُ بنُ خالدٍ عملًا للوليد ابن يزيد بن عبد الملك فخرج إليه، وكان إسماعيل عليلًا فتأخّر عنه، ثم لم يَلبَثْ خالد أنْ مات فى عمله، فورد نَعيُه الكوفةَ فى يوم فِطْرٍ. فقال إسماعيل بن عمّار يرثيه:

ما لِعَيْنِى[4] تَفيضُ غيرَ جَمُودِ[5] * ليس تَرْقَا ولا لها من هُجُودِ
فإذا قَرّتِ العيونُ آستهلّتْ * فإذا نِمْنَ أُولِعتْ بالسُّهود
ألِنَعْىِ ابنِ خالدٍ خالدِ الخَيْـ * ـراتِ فى يومِ زِينةٍ مشهود

(١) العسس: جمع أو اسم جمع لعاس، وهم طوافو الليل لحراسة الناس والكشف عن أهل الريبة.
(٢) كذا فى الأصول. والساهرة فى اللغة: الأرض أو وجهها، وقيل هى الفلاة، وقيل هى الأرض التى لم توطأ، وقيل هى أرض يجدّدها الله يوم القيامة، وبهذه الأقوال فسر قوله تعالى: ﴿ فاذا هم بالساهرة ﴾.
(٣) نوائب: جمع نيابة بمعنى نوبة؛ فانه يقال جاءت نوبة فلان، وجاءت نيابة فلان.
(٤) فى الأصول: «ما لعين» بدون ياء المتكلم.
(٥) عين جمود: لا تدمع. ورقوء الدمع: جفافه وانقطاعه. والهجود: النوم.

سَنَحتْ لى يومَ الخميس غداةَ الـ * ـفِطْرِ طيرٌ بالنَّحْس لا بالسُّعود

فتعيَّفتُ(١) أنَّهنّ لأمـرٍ * مُفْظِعٍ مّا جَرَيْنَ فى يوم عيد

فنعتْ خالدَ بنَ أرْوَى وجَلَّ الـ * ـخطبُ فِقْدانُ خالدِ بن الوليد

١٤٠ / ١٠

سعى به عثمان بن درباس فهجاه فاستعدى عليه السلطان فحبسه

وقال ابن حبيبَ : كان لإسماعيل بن عمّار جارٌ يقال له عثمان بن دِرْباس، فكان يُؤذيه ويسعَى به الى السلطان فى كلّ حال، ثم سعى به أنّه يذهَب مذهبَ الشُّراة(٢)، فأُخِذ وحُبِس . فقال يهجوه :

مَنْ كان يحسُدنى جارى ويَغْبِطنى * مِنَ الأنامِ بعثمانَ بنِ دِرْباس

فقـرَّب الله منـه مثـلَه أبدًا * جارًا وأبْعَـدَ منه صالحَ النّاس

جارٌ له بابُ ساجٍ(٣) مُغْلَقٌ أبـدا * عليـه من داخلٍ حُرّاسُ أحْراس(٤)

عَبْـدٌ وعبـدٌ وبِنْتاهُ وخادِمُه * يدعُون مثلَهـمُ ما(٥) ليس من ناس

صُفْرُ الوجوهِ كأنّ السُّلَّ خامرَهُمْ * وما بهم غيرَ جَهْدِ الجوعِ من باس

له بَنُونَ كأطْباءٍ(٦) مُعَلَّقَـةٍ * فى بطن خِـنزيرةٍ فى دار كَنّاس

إن يُفْتَحِ البابُ عنهـم بعد عاشرةٍ * تظنُّهم خرجوا من قَعْرِ أرماس(٧)

فليتَ دارَ ابنِ دِرْباسٍ مُعلَّقةٌ * بالنَّجـمِ بين سَـلاليم وأمْراس(٨)

فكان آخِرَ عَهْدِى منهـمُ أبدًا * وابتعتُ دارًا بغِلْمـانِى وأفراسى

(١) عيافة الطير : زجرها ، وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وممرها وأصـواتها فتتسعد أو تتشأم . والذى فى كتب اللغـة التى بين أيدينا أنه يقـال عاف الطير يعيفها عيافة . أما « تعيف » فلم نجـدها إلا فى هذا الشعر . (٢) الشراة : الخوارج . (٣) الساج هنا : ضرب من الشجر ينبت ببلاد الهند ويعظم جدا ، وخشبه أسود رزين لا تكاد الأرض تبليه .

(٤) حراس وأحراس : كلاهما جمع لحارس . (٥) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « من » بدل « ما » . يريد أن الحراس يستعينون بمثلهم من الكلاب عددا . (٦) الأطباء : حلمات الضرع لذى الخف والظلف والحافر والسبع ، واحدها طبي (بالكسر ويضم) .

(٧) الأرماس : القبور . (٨) الأمراس : الحبال ، واحدها مرس (بالتحريك) .

قال : وقال فيه أيضا :

لَيْتَ بِرْذَوْنِى وبَغْلِى * وجَـوَادِى وحِمَارِى
كُنَّ فى الناس وأُبْدِلـ * ـتُ غدًا جارًا بجار
جارَصِدْقٍ بٱبْنِ دِرْبا * سٍ وإلّا بِعْتُ دارِى
فتَبَـدَّلتُ بـه مِنْ * يَمَنٍ أو من نِزَارِ
بَدَلًا يَعْـرِف ما اللّٰـ * ـهُ وما حَـقُّ الجِوَارِ
لو تَبَـدَّلتُ سِـواهُ * طاب لَيْـلِى ونَهارِى
وٱسْتَرَحْنا من بَلَايا * هُ صغارٍ أو كِبارِ
لو جَزَيْناهُ بها كُنّـ * ـا جميعا فى بَجَارِ(١)
أو سكتْنا كان ذُلًّا(٢) * داخلًا تحت الشِّعارِ

كتب الى ابن أخيه شعرا من الحبس فأجابه

قال : فلمّا قال فيه الشعرَ استعدَى عليه السُّلْطانَ ، وذكَر أنّه من الشُّرَاة ، وأنّهم مجتمعون عنده ، وأنّه من دُعاة عبد الله بن يحيى(٣) وأبى حَمْزةَ المُختار . فكتب من السجن الى ابن أخٍ له يُقال له مُعَانٌ :

أَبْلِـغْ مُعَانًا عَنِّىَ وإخوتَه * قولًا وما عالِمٌ كمَنْ جَهِلَا
بأنّنى والمُصَـبَّحاتِ مِنًى * يعدُون طَوْرًا وتارةً رَمَلَا
لَخَـائفٌ(٤) أنْ يكونَ وُدُّكُمُ * إيّاىَ بعد الصفاء قد أفَلَا

(١) بجار : اسم للفجور، وهو معرفة مبنى على الكسر مثل حذام وقطام . (٢) الشعار من الثياب : ما يلى البشرة . ودخول الذل تحت الشعار كناية عن الاتصاف به . (٣) هو عبد الله ابن يحيى الكندى أحد بنى عمر بن معاوية من حضرموت، خرج فى أيام مروان بن محمد هو وأبو حمزة المختار بن عوف الأزدى ثم السلمى من أهل البصرة، وتبعهم جماعة، فغلبوا على اليمن والحجاز، ثم قتلوا أخيرا . (راجع الأغانى جزء ٢٠ صفحة ٩٧ وما بعدها من طبعة بلاق، ففيه تفصيل لخروجهم ومقتلهم) .
(٤) وقعت اللام هنا فى خبر «أن» المفتوحة الهمزة، وهو شاذ .

أَئِنْ عَرَانِى دَهْرِى بنائبةٍ * أصبحَ منها الفؤادُ مشتعلا
حاولتمُ الصُّرْمَ أو لعلّكُمُ * ظَننتمُ ما أصابنى جَلَلا

١٤١ / ١٠

لا تُغفِلونا بنى أخى فلقد * أصبحتُ لا أبتغى بكم بَدَلا
تمسّكوا بالّذى امتسكتُ به * فإنّ خيرَ الإخوانِ مَنْ وَصَلا

٥ قال : فكتب اليه ابنُ أخيه :

يا عمِّ عُوفيتَ من عذابِهِمُ النُّ * كرِ وفارقتَ سِجْنَهم عَجِلَا
كتبتَ تشكو بنى أخيك وقد * أرسلَ مَنْ كان قبلَنا مَثَلَا
«ابدأْهُمُ بالصُّراخ يَنْهزِموا»[(1)] * فأنت يا عمِّ تبتغى العِلَلَا
زعمتَ أنّا نرى بلاءك فى * دارِ بلاءٍ مُكَبَّلًا جَلَلَا
١٠ يا عمِّ بئس الفِتْيانُ نحن إذًا * أمَّا وفى رِجْلك الكُبُولُ فَلَا
علىَّ إنْ كنتَ صادقًا حِجَجٌ * للبيتِ عامَيْنِ حافيًا رَجِلَا
بُعِّدَ عنكَ الهمومُ فَارْجُ من الـ * ـلّهِ خَلَاصًا وأحسِنِ الأَمَلَا

أطلقه الحكم بن الصلت من السجن وشعره فيه حين عزل

قال : ثم وَلِىَ الحَكَمُ بن الصَّلْتِ فأطلقه وأحسنَ إليه، فلم يَزَلْ يشكُره ويمدَحه.
ثم عُزِل الحكمُ بعد ذلك، فقال إسماعيل فيه :

١٥ تباركَ اللهُ كيف أَوْحشتِ الـ * ـكوفةُ أنْ[(2)] لم يَكُنْ بها الحَكَمُ
الحَكَمُ العَدْلُ فى رعيّتِه الـ * ـكاملُ فيه[(3)] العفافُ والفَهَمُ

---

(١) أصل هذا المثل : « ابدأهم بالصراخ يفروا » . أصله أن يكون الرجل قد أساء الى الرجل فيتخوف لائمة صاحبه فيبدؤه بالشكاية والتجنى ليرضى عنه بالسكوت . يضرب للظالم يتظلم ليسكت عنه .

(٢) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « إذ لم يكن » . (٣) فى جـ : « منه » .

فأصبح القصرُ والسَّريرانِ والـ * ـمِنـبرُ(١) كالكل(٢) من أبٍ(٣) يَـتَمْ(٤)

يُذْرِى عليـه السريرُ عَـبْرَتَه * والمبـتَرُ المَشْرَفىُّ(٥) يلتـدِمُ

والناسُ من حُسْنِ سيرةِ الحَكَمِ بـ * ـنِ الصَّلْتِ يبكون كُلَّما ظُلِموا

مثلُ السَّكَارَى فى فَرْطِ وَجْدِهِمُ * إلّا عَـدُوًّا عليـه يُتَّهَـمُ

يومَ جَرَى طائرُ النُّحوسِ لهم * يُنْزَعُ منـه القِرْطاسُ والقَـلَمُ

فأرغَـمَ اللهُ حاسِـدِيهِ كما * أرغمَ هُـودَ(٦) القُرودِ إذْ رَغِمُوا

فى سَبْتِهِـم يوم نابَ خَطْبُهُمُ * واللهُ مِمَّنْ عصاهُ ينتقِـمُ

إنّا إلى الله راجعون أمَا * لِلنّـاسِ عهـدٌ يُوفَى ولا ذِمَمُ

حَوْلٌ علينا ، وليلتانِ لنا * من لَذّةِ العيشِ ، بئسما حَكَمُوا

لا حُكْمَ إلّا للهِ يُظْهِـرُه * يَقْضِى لِضيزَائها(٧) التى قَسَـموا

ماذا تُرَجَّى من عَيْشِها مُضَرٌ * إنْ كان من شأنها الّذى زعموا

---

(١) فى الأصول : « القــبر » . ولعل ما أثبتناه أقرب كلمة يسـتقيم بها المعنى مع قربها فى الرسم مما فى الأصول . (٢) ما ورد فى البيت الذى يليه يرجح أن يكون « المبتر » وهو السيف . (٣) كذا فى الأصول . ولعله : « فالكل » على ما فى هذا من ضعف . (٤) اليتَم (بالتحريك) : لعـله مصدر وصف به هنا . (٥) المشرفىّ من السيوف : المنسوب الى المشارف وهى قرى من أرض اليمن ؛ وقيل : من أرض العـرب تدنو من الريف . واللدم والالتدام : ضرب المرأة صدرها أو وجهها من الحزن . (٦) الهود : اليهود . وهود القرود : هم أهل القـرية التى كانت حاضرة البحر ، وكانت تأتيهم حيتانهـم يوم سبتهم شرعا و يوم لا يسبتون لا تأتيهم ، وكان محرما عليهم الصيد أو العمل فى يوم السبت . فلما أخذوا يعدون فى السبت وعتوا عما نهوا عنـه ، قال لهم الله : كونوا قردة خاسئين . وأرغم الله فلانا : أذله . ورغم فلان ، أو رغم أنف فلان : ذل . وفى بعض الأصول : « إذ زعموا » . (٧) الضيزى : القسمة الجائرة غير العدل . وهى مقصورة ، ومدها الشاعر هنا للضرورة .

ذم ولاية خالد القسري

وقال ابن حبيب : سمع إسماعيل بن عمّار رجلًا يُنْشِدُ أبياتاً للفرزدق يهجو بها عُمَر ابنَ هُبيْرَة الفَزَارِىّ لمّا وَلِىَ العراقَ ويعجب من وِلايته إيّاها ، وكان خالدُ القَسْرِىُّ قد وَلِى فى تلك الأيّام العراقَ . فقال إسماعيل : أَعْجَبُ واللهِ مما عجِب منه الفرزدقُ من ولاية ابن هُبيرة ، [وهو][1] ما لستُ أراه يُعْجَبُ منه ، ولايةُ خالدِ القَسْرِىّ وهو مُخَنَّثٌ دَعِىٌّ ابن دعِىٍّ ، ثم قال :

عَجِب الفرزدقُ من فَزارةَ أنْ رأى * عنها أُمَيّةَ بالمَشارِقِ تَنْزِعُ

فلقدْ رأى عَجَبًا وأُحْدِثَ بعده * أمرٌ تطيرُ له القلوبُ وتفزَع

بَكتِ المنابرُ من فَزارةَ شَجْوَها * فالآنَ من قَسْرٍ تَضِجّ وتجزَع

فملوكُ خِنْدِفَ أضْرَعونا[2] للعِدَا * للهِ درُّ مُلوكِنا ما تَصْنَع

كانوا كقاذفةٍ بَنِيها ضَلّةً * سَفَهًا وغيرُهُمُ تُرَبُّ وتُرْضِع

أخبرنى حبيبُ بن نَصْر المُهَلَّبِىُّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا عبد الله بن سعيد بن أسيد العامرىّ قال حدّثنى محمد بن أَنَس الأَسَدِىُّ قال :

شعر له فى عينه وقلبه

جلستُ إلى إسماعيل بن عمّار ، وإذا هو يفتِل أصابعَه متأسِّفا ، فقلتُ : عَلاَمَ هذا التأسُّف والتلهُّف ؟ فقال :

عيناىَ مشئومتانِ وَيْحَهما * والقلبُ حرّانُ مُبْتَلًى بهما

عرّفتاه الهوَى لِظُلْمِهما * ياليتَنى قبلَ ذا عَدِمْتُهما

هُمَا إلى الحَيْنِ دَلَّتَا وهما * ذَلّ[3] على مَنْ أُحِبُّ دَمْعُهما

سأَعْذُرُ القلبَ فى هواه وما * سَبَّبَ كلَّ البَلاءِ غيرُهما

(١) زيادة يقتضيها سياق الكلام .
(٢) أضرعونا : أذلونا وأخضعونا .
(٣) ذل الدمع : هان . وفى بعض الأصول : « دلا » وهو تحريف .

شعر للأعشى وشرحه

صوت

فكَعْبةُ نَجْرانَ حَتْمٌ عليـ * ـكِ حتّى تُنَاخِى بأبوابِها
تَزورُ يَزِيدَ وعبدَ المَسِيحِ * وقَيْسًا هُمُ خيرُ أربابِها
وشَاهِدُنا الجُلُّ(١) والياسَمِيـ * ـنُ والمُسْمِعاتُ بقُصّابِها(٢)
وبَرْبَطُنا(٣) دائمٌ مُعْمَلٌ * فأىُّ الثلاثةِ أزْرَى بها
إذا الحَبِرَاتُ(٤) تَلَوَّتْ بهم * وجَرُّوا أسافلَ هُدَّابِها
فلمّا التقَيْنا على آيَةٍ(٥) * ومَدَّتْ إلىّ بأسبابِها

٥

عَروضُه من المُتَقارِب . الشعرُ للأعشى يمدَح بنى عبد المَدَانِ الحارثيّين من بنى الحارث بن كَعْب . والغناءُ لحُنَيْن، خفيفُ ثقيل بالوسطى فى مجراها عن إسحاق .

---

(١) ويروى : « وشاهِدنا الورد » كما فى شعر الأعشى . والجل (بالضم و يفتح) : الورد أبيضه وأحمره وأصفره ، واحده جلة .   (٢) سيذكر المؤلف فيما بعد أن القصاب الأوتار . وقال أبو العباس ثعلب — فى شرحه لديوان الأعشى صفحة ١٢١ من طبعة مطبعة آدلف هلز هوسن سنة ١٩٢٧ م — « قصاب جمع قاصب وهو الزامر . أبو عبيدة : قصابها أوتارها ، وأصله من القصب ، و يقال للزامر قاصب ، وما زال يقصب ... » . وقد تقدمت هذه الأبيات (جزء ٦ ص ٢٩٩ من هذه الطبعة) . فراجع ما كتب على هذه الكلمة هناك .

١٠

١٥

(٣) البربط (وزان جعفر) : العود . والكلمة فارسية معرّبة . قيل : شبه بصدر البط . و « بر » : الصدر . وفى شعر الأعشى « ومزهرنا » . والمزهر : العود أيضا .   (٤) فى الأصول : « إذا الخيرات ظلوت بهم » . والتصويب من شعر الأعشى ومسالك الأبصار (جزء أوّل صفحة ٣٥٩ من طبعة دار الكتب المصرية) . (والحبرات بكسر الحاء وفتحها) : ضرب من برود اليمن منمّر .   (٥) فى الأصول : « على آلة » . والتصويب من شعر الأعشى . والآية : العلامة ، كما فسرها بذلك أبو العباس ثعلب . وجواب " لما " فى البيت الذى بعده ، وهو :

٢٠

بذلنا لها حكمها عندنا * وجادت بحكمى لأهلى بها

وذكر يونس أنّ فيه لحنًا لمالك . وزعم عمرو بن بانة أنه خفيف ثقيل . وزعم أبو عبد الله الهشامىّ أنّ فيه لابن المكّىّ خفيف رمل بالوسطى أوّله :

* تُنازعنى إذ خلتْ بُرْدَها *[1]

ومعه باقى الأبيات مخلّطةً مقدّمةً ومؤخّرة . والكعبةُ التى عند الأعشى ها هنا يقال إنها بيعةٌ بناها بنو عبد المَدَان على بناء الكعبة ، وعظّموها مضاهاةً للكعبة ، وسمّوها كعبةَ نجْرانَ ، وكان فيها أساقفةٌ يُقيمون ، وهم الذين جاءوا إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى المُبَاهلة ، وقيل : بل هى قُبّة من أَدَمٍ سمّوها الكعبةَ . وكان إذا نزل بها مستجيرٌ أُجير ، أو خائفٌ أَمِن ، أو طالبُ حاجةٍ قُضيتْ ، أو مسترفدٌ أُعطى ما يريده . والمُسْمِعاتُ : القِيانُ . والقُصّاب : أوتار العيدان . وقال الأصمعىّ : قلت لبعض الأعراب : أَنْشِدْنى شيئًا من شعرك . قال : كنتُ أقول الشّعر وتركتُه . فقلت : ولِمَ ذاك ؟ قال : لأنّى قلت شعرًا وغنّى فيه حَكَمٌ الوادىّ وسمعته فكاد يذهل عقلى . فآليتُ ألّا أقولَ شعرًا ، وما حرّك حَكَمٌ قُصّابه إلّا توهّمتُ أنّ الله عزّ وجلّ مُخَلِّدى بها[2] فى النّار .

---

(١) تمام البيت : * مفضلة غير جلبابها *
وهو وارد فى شعر الأعشى قبل قوله : « فيها القيان ... » .

(٢) لعل صوابه « به » أى الشعر الذى غنى فيه ، أو أنث الضمير باعتبار أنه قصيدة .

تم الجزء الحادى عشر ، ويليه الجزء الثانى عشر

وأوّله :

أخبار الأعشى وبنى عبد المدان وأخباره مع غيرهم

تراثنا



تأليف

أبى الفرج الأصبهانى على بن الحسين

٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

الجزء الثانى عشر

مصور عن طبعة دار الكتب

طبعة كاملة الأجزاء معها فهرس
جامع وتصويبات واستدراكات

وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبار الأعشى وبنى عبد المدان، وأخبارهم مع غيره (١)

كان الأعشى قدريا ولبيد مجبرا

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فِرَاس قال حدّثنا العُمَرى عن الهيثم بن عَدِى عن حمّاد الراوية عن سِمَاك بن حَرْب عن يونس

٥ ابن مَتَّى راويةِ الأعشى قال :

كان لَبِيدٌ مُجبِرًا (٢) حيث يقول :

مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الخَيْرِ آهْتَدَى * ناعِمَ البـالِ ومَنْ شاء أضَـلّْ

وكان الأعشى قَدَرِيًّا (٣) حيث يقول :

(١) فى ب ، س : «وأخباره مع غيرهم» . ولم يرد هاهنا من أخبار الأعشى مع غير بنى عبد المدان

١٠ شىء ؛ وكل ما ورد من أخباره مع بنى عبد المدان أنه كان يفد إليهم كل سنة فيمدحهم ويقيم عندهم يشرب الخمر . وفى الأصول الخطية : « وأخباره مع غيره » . وقد صححنا العنوان بما يلائم الوارد هنا .

(٢) المجبر : الذى يقول بالجبر ، وهو عند أهل الكلام إسناد أفعال العبد إلى الله سبحانه إيجادا وتأثيرا . ويقول الجبرية : إنه لا قدرة للعبد أصلا لا مؤثرة ولا كاسبة ، بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها .

١٥ (٣) فى الأصول هنا : «مثبتا» وهو تحريف ؛ فإن المثبت من يثبت القدر، وهو تحديد كل مخلوق بحده الذى يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضرر ، وما يحويه من زمان ومكان ، وما يترتب عليه من ثواب وعقاب ؛ ومآل ذلك إلى الجبر ؛ فالمثبت والمجبر سواء . وقد ورد فى ترجمة الأعشى (ج ٩ ص ١١٣ من هذه الطبعة) : « كان الأعشى قدريا ، وكان لبيد مثبتا » .

والقدرى : من ينكر القدر أى ينكر أن يكون الله قد قدّر على عباده شيئا من خير أو شر، وإنما ذلك

٢٠ موكول إلى إرادتهم وقدرتهم ؛ فمن عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها . وفى كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى نقلا عن شرح المواقف : « والقدر يطلق عند أهل الكلام على إسناد أفعال العباد إلى قدرتهم ؛ ولذا يلقب المعتزلة بالقدرية » .

اِستأثر اللهُ بالوفاء وبالـ(١) * ـعَدْلِ وولَّى المَلامةَ الرَّجُلا

فقلت له: من أين [أخذ](٢) هذا؟ فقال: أخذه من أساقفة نَجْرانَ. وكان يعود فى كلّ سنةٍ إلى بنى عبد المَدَانِ، فيمدَحُهم ويُقيم عندهم يشرب الخمرَ معهم وينادمهم، ويسمَع من أساقفة نَجْرانَ قولَهم؛ فكلُّ شيءٍ فى شعره من هذا فمنهم أخذه.

خبر أساقفة نجران مع النبيّ صلى الله عليه وسلم

خبر أساقفة نجران مع النبي

فأمّا(٣) خبر مباهلتهم(٤) النبيَّ صلّى الله عليه وسلم، فأخبرنى به علىّ بن العبّاس بن الوليد البَجَلِّىُّ المعروف بالمَقَانِعِىّ(٥) الكوفىّ قال أنبأنا بكّار بن أحمد بن اليَسَع الهَمْدانى قال حدّثنا عبد الله بن موسى عن أبى حمزة عن شَهْر بن حَوْشَب. قال بكّار وحدّثنا إسماعيل بن أبَانٍ العامرىّ عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علىّ عن أبيه عن جدّه عن علىٍّ عليه السلام، وحديثه أتم الأحاديث. وحدّثنى [به](٦) جماعة آخرون بأسانيدَ مختلفةٍ وألفاظٍ تزيد وتنقص: فمن حدّثنى به(٧) علىّ بن أحمد بن حامد التميمىّ قال حدّثنا الحسن بن عبد الواحد قال حدّثنا حسن بن حسين عن حيّان بن على [عن](٦) الكلبىّ عن أبى صالح عن ابن عبّاس، وعن الحسن بن الحسين

(١) كذا فى ديوان شعر الأعشى وفى ترجمة الأعشى فيما تقدّم (ج ٩). وفى جـ: «بالربا» وفى الأصول هنا: «بالبقاء».

(٢) زيادة عن ترجمة الأعشى فيما مضى.

(٣) فى ط، م: «وأما».

(٤) المباهلة: الملاعنة.

(٥) كذا فى ط، جـ. وفى م: «المقابعى». وفى سائر الأصول: «اليافعى» وكلاهما تحريف. والمقانعى: نسبة إلى المقانع جمع مقنعة وهى الخمار. والمشهور بها أبو الحسن علىّ بن العباس بن الوليد البجلىّ ... وقد توفى بعد شوال سنة ست وثلاثمائة. (عن كتاب الأنساب للسمعانى).

(٦) زيادة عن ط، م.

(٧) فى الأصول: «بها».

عن محمد بن بكر عن محمد بن عبد الله بن علىّ بن أبى رافع عن أبيه عن جدّه عن أبى رافع . وأخبرنى علىّ بن موسى الحِمْيَرىّ فى كتابه قال حدّثنا جَنْدَلُ بن والِق[1] قال حدّثنا محمد بن عمر عن عَبّاد الكَلْبِىّ[2] عن كامل أبى العلاء عن أبى صالح عن ابن عبّاس . وأخبرنى أحمد بن الحسين بن سعد[3] بن عثمان إجازةً قال حدّثنا أبى قال حدّثنا حُصَيْن بن مُخارِق عن عبد الصمد بن علىّ عن أبيه عن ابن عبّاس. قال الحصين وحدّثنى أبو الجارود وأبو حمزة الثُّمَالىّ عن أبى جعفر ، قال : وحدّثنى حَمّد[4] بن سالم وخليفةُ بن حسان عن زيد بن علىّ عليه السلام . قال حصين وحدّثنى سعيد بن طَرِيف عن عِكْرِمة عن ابن عباس . وممن حدّثنى [أيضا][5] بهذا الحديث علىّ ابن العباس عن بكّار عن إسماعيل بن أبان عن أبى أُوَيْس المدنىّ[6] عن جعفر بن محمد وعبد الله والحسن ابنى الحسن . وممن حدّثنى به أيضا محمد بن الحسين الأُشْنانىّ قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق الراشدىّ قال حدّثنى يحيى بن سالم عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام[7] . وممن أخبرنى به أيضا الحسين[8] بن حمدان بن أيوب الكوفىّ عن محمد بن عمرو الخشّاب عن حسين الأشقر عن شَرِيك عن جابر عن أبى جعفر ، وعن شريك عن المغيرة عن الشعبىّ ، واللفظ للحديث الأوّل. قالوا :

---

(١) كذا فى ط ، م . وفى بعض الأصول : « والف » وفى بعضها : « راتق » تحريف .
(٢) فى بعض الأصول : « الكلبى » ، وهو قول فى نسبته .
(٣) فى ط ، م : « سعيد » ولم نهتد إليه .
(٤) كذا فى ط ، جـ ، م . وفى سائر الأصول : « أحمد » .
(٥) زيادة فى ط ، م .
(٦) فى بعض الأصول : « الرقى » تحريف .
(٧) فى ط ، م : « رحمه الله » .
(٨) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « الحسن » ولم نهتد إليه .

١٤٤ قَدِمَ وَفْدُ نصارَى نَجْران (١) وفيهم الأُسْقُفّ، والعاقب وأبو حبَيْش (٢)، والسَّيِّد،
١٠ وقيس، وعبد المسيح، وآبن عبد المسيح الحارث (٣) وهو غلام — وقال شهر بن
حَوْشَب فى حديثه: وهم أربعون حِبْرًا (٤) — حتى وقفوا على اليهود فى بيت المِدْرَاس (٥)،
فصاحوا بهم: يابنَ صُورِيًا يا كَعْبُ بن الأشرف، آنْزِلُوا يا إخوةَ القُرود والخنازير،
٥ فنزلوا إليهم، فقالوا لهم: هذا الرجل عندكم منذ كذا وكذا سنةً [قد غَلَبكم!] (٦) أَحْضِرُوا
المُمْتَحِنةَ [نَمْتَحِنه] (٦) غدًا . فلمّا صلّى النبيُّ صلّى الله عليه وسلم الصبحَ، قاموا فبركوا

(١) فى الأصول: « لمّا قدم صهيب من نجران ... الخ » وظاهر ما فيه من تحريف .
على أن فى بعض الأسماء التى وردت هنا اختلافا عما ورد فى كتب السيرة والتاريخ . ففى كتاب
السيرة النبوية لابن هشام (ص ٤٠١ طبعة أوربا): «وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى
١٠ نجران ستون راكبا، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم، فى الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول
أمرهم: العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذى لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه
عبد المسيح، والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر
ابن وائل ... وأوس، والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد، ونبيه، وخويلد، وعمرو، وخالد،
وعبد الله، ويحنس، فى ستين راكبا ... الخ » .
١٥ وفى الطبقات لابن سعد (الجزء الأوّل، القسم الثانى ص ٨٤ طبع ليدن) : « وكتب رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران، فخرج إليه وفدهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم نصارى، فيهم العاقب
وهو عبد المسيح رجل من كندة، وأبو الحارث بن علقمة رجل من بنى ربيعة، وأخوه كرز، والسيد وأوس
ابنا الحارث، وزيد بن قيس، وشيبة — فى السيرة (نبيه) كما تقدّم — وخويلد، وخالد، وعمرو،
وعبيد الله . وفيهم ثلاثة نفر يتولون أمورهم: العاقب وهو أميرهم وصاحب مشورتهم والذى يصدرون
٢٠ عن رأيه، وأبو الحارث أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم، والسيد وهو صاحب
رحلتهم ... الخ » . (٢) فى ط ، م : « والعاقب أبو حبيش » .
(٣) فى ط ، م : « وعبد المسيح وابن عبد المسيح الحارث ... » .
(٤) فى الأصول : « أحبارا » تحريف .
(٥) بيت المدراس هنا : البيت الذى يتدارس اليهود فيه كتابهم .
٢٥ (٦) زيادة فى ط ، م .

بين يديه ، ثم تقدّمهم الأُسْقُفُّ فقال : يا أبا القاسم ، موسى مَنْ أبوه ؟ قال : عِمْرانُ . قال : فيوسفُ مَنْ أبوه ؟ قال : يعقوبُ . قال : فأنتَ مَنْ أبوك ؟ قال : أبى عبدُ الله بنُ عبد المطّلب . قال : فعيسى مَنْ أبوه ؟ فسكت رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم وآله ، فآنقضّ عليه جبريلُ عليه السلامُ فقال[1] : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾[2] فتلاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فنزا الأُسْقُفّ ثم دِيرَ به مَغْشيًّا عليه ، ثم رفع رأسه إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال [له][3] : أتزعُمُ أنّ الله جلّ وعلا أوحى إليك أنّ عيسى خُلِق من تراب ! ما نجدُ هذا فيما أُوحى إليك ، ولا نجده فيما أُوحى إلينا ، ولا تجده هؤلاء اليهود فيما أُوحى إليهم . فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ . فقال[4] : أنصفتَنا يا أبا القاسم ، فمتى نُباهِلُك ؟ فقال : بالغداة إن شاء الله تعالى . وآنصرف النصارى ، وآنصرفتِ اليهودُ وهى تقول : واللهِ ما نُبالِى أيَّهما أهلك الله الحَنِيفيّةَ أوِ النَّصْرانيّةَ . فلمّا صارتِ النصارى إلى بُيُوتها قالوا : واللهِ إنّكم لتعلمون أنّه نبىٌّ ، ولئن باهلناه إنّا لنخشى أن نَهْلِكَ ، ولكن آستَقِيلُوه لعلّه يُقيلُنا . وغَدَا النبيُّ صلى الله عليه وسلم من الصُّبْح وغدَا معه بعلىٍّ وفاطمةَ والحَسَنِ والحُسَين صلواتُ الله عليهم . فلمّا صلّى الصبح ، آنصرف فآستقبل الناسَ بوجهه ، ثم برك باركًا ، وجاء بعلىٍّ فأقامه بين يديه ، وجاء بفاطمة فأقامها بين كَتِفَيْه ، وجاء بحَسَنٍ فأقامه عن يمينه ، وجاء بحُسَيْنٍ فأقامه عن يساره . فأقبلوا

(١) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : «وقال» .

(٢) نزا : وثب . (٣) زيادة عن ط ، م .

(٤) كذا فى ط ، م . ومرجع الضمير الأسقف . وفى سائر الأصول : «فقالوا» .

يستترون بالخُشُب والمَسْجِدِ فَرَقًا أنْ يبدأَهم بالمُباهلة إذا رآهم، حتى بركوا بين يديه، ثم صاحوا : يا أبا القاسم، أقِلنا أقالَك الله عَثْرَتَك . فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : نعم — قال : ولم يُسْأَلِ النبيُّ صلّى الله عليه وسلم شيئاً قَطُّ إلّا أعطاه — فقال : قد أَقَلْتُكم [فولُّوا][1] . فلمّا وَلَّوا قال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم : « أمَا والّذى بَعَثَنى بالحَقِّ لو باهلتُهم ما بَقِىَ على وجه الأرض نَصْرانِىٌّ ولا نَصْرانية إلّا أهلكهم الله تعالى » . وفى حديث شَهْر بن حَوْشَب أنّ العاقب وثب فقال : أُذَكِّرُكم اللهَ أن نُلَاعِنَ هذا الرجل ! فوالله لئن كان كاذباً ما لَكُمْ فى مُلَاعنته خيرٌ، ولئن كان صادقا لا يَحُولُ الحَوْلُ ومنكم نافخُ ضَرَمَةٍ[2] . فصالحوه ورجعوا .

خبر قبة نجران

وأمّا خبرُ القُبّةِ الأَدَمِ التى ذكرها الأعشى فأخبرنى بخبرها عمّى وحبيبُ بن نصر المُهَلَّبىّ قالا حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى علىّ بن عمرو الأنصارىّ عن هشام بن محمد عن أبيه قال :

كان عبد المسيح بن دَارِس بن عَدِىّ بن مُعَيْقِرٍ[3] من أهل نَجْرانَ، وكانت له قُبّة من ثلاثمائة جِلْدِ أديمٍ، وكان على نهر بنجْرَان يقال النُّحَيْرِدانُ[4] . قال: ولم يأتِ القُبّةَ خائفٌ إلّا أَمِن، ولا جائعٌ إلا شَبِع، وكان يَسْتَغِلّ من ذلك النهر عشرةَ آلاف دينار،

١٤٥ / ١٠

(١) زيادة عن ط، م .

(٢) الضرمة : الجمرة ؛ يقال : ما فى الدار نافخ ضرمة، أى ما فيها أحد .

(٣) كذا فى ط، م . وفى سائر الأصول : «معيفر» بالفاء . وفى معجم البلدان (جـ ٤ ص ٧٥٦): « عبد المسيح ابن دارس بن عدىّ بن معقل » .

(٤) كذا فى ط، م . وفى سائر الأصول : « البحيروان » .

[وكانت القُبّة تستغرق ذلك كله] . وكان أوّلُ(١) من نزل(٢) نجران(٣) من بنى الحارث بن كعب يزيدَ بن عبد المَدان [بن الدَّيّان . وذلك أنّ عبد المسيح بن دارِس زوّج يزيدَ بنَ عبد المدان] ابنته(١) رُهَيْمةَ ، فولدتْ له عبدَ الله بن يزيد ؛ فهم بالكوفة . ومات عبدُ المسيح ، فانتقل مالُه إلى يزيد ؛ فكان أوّلَ حارثىٍّ حلّ فى نجرانَ .

٥ وفى ذلك يقول أعشى قيس بن ثعلبة :

فكعبةُ نجرانَ حَتْمٌ عَلَيْـ * ـكِ حتّى تُناخِى بأبوابها
نزورُ يزيدَ وعبدَالمسيح * وقيساً هُمُ خيرُ أربابها

خطب يزيد بن عبد المدان وعامر ابن الطفيل بنت أمية بن الأسكر فزوّجها ليزيد

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنى عمّى عن العباس بن هشام [عن أبيه قال حدّثنى بعضُ بنى الحارث بن كعب، [و] أخبرنى عمّى قال حدّثنى

١٠ عبد الله بن أبى سعد(١)] قال حدّثنى عبد الله بن الصَّبّاح عن ابن الكلبىّ عن أبيه قال :

اجتمع يزيدُ بن عبد المَدان وعامرُ بن الطُّفَيل بمَوْسِم عُكَاظ ، وقَدِم أُمية بن الأسكر الكِنانىّ ومعه ابنةٌ(٤) له من أجمل أهل زمانها ، فخطَبها يزيدُ وعامرٌ . فقالت أمّ كِلاَبٍ امرأةُ أُمَيّةَ بنِ الأسكر : مَنْ هذان الرجلان ؟ فقال : هذا يزيدُ بن عبد المدان بن الديّان ، وهذا عامرُ بن الطُّفَيل . فقالت : أعرِف بنى الديّان ولا

١٥ أعرِف عامرا . فقال : هل سَمِعْتِ بمُلاَعِب الأسِنّة(٥) ؟ فقالت نعم . قال : فهذا ابنُ أخيه . وأقبل يزيد فقال : يا أُمية ، أنا ابن الديّان(٦) صاحبُ الكَثِيب(٧) ،

---

(١) التكملة عن ط ، جـ ، م . (٢) فى ط ، م : «ثم كان» . (٣) فى ط ، م : «حل نجران» . (٤) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : «وتبعته ابنة له» .
(٥) هو أبو البراء عامر بن مالك ؛ سمى بملاعب الأسنة لقول أوس بن حجر فيه :
فلاعب أطراف الأسنة عامر * فراح له حظ الكتيبة أجمع
٢٠ (٦) فى بعض الأصول : «إن ابن الديان» تحريف . (٧) كذا فى ط ، جـ ، م .
والكثيب هنا : موضع بساحل بحر اليمن . وفى سائر الأصول : «صاحب الكتيبة» تحريف .

ورئيس مَذحِج ، ومُكَلِّم العُقاب، ومَنْ كان يُصَوِّب أصابعَه فتنطِفُ دماً (١) ، ويَدُلُّك راحتيه فتُخْرِجان ذَهَباً . فقال أميـة : بَخٍ بَخٍ . [فقال عامر : جَدِّى الأَخْرَمُ ، وعمِّى مُلاعِبُ الأسنَّة ، وأبى فارسُ قُرْزُل . فقال أُمية : بَخٍ بَخٍ !] (٢) مَرْعًى ولا كالسَّعْدان (٣) . فأرسلها مثلا . فقـال يزيد : يا عامرُ ، هل تعلَم شاعرًا من قومى رَحَل (٤) بمدحةٍ إلى رجلٍ من قومك ؟ قال : اللّهمّ لا . قال : فهل تعلم أنّ شـعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومى ؟ قال : اللّهمّ نعم . قال : فهل لكم نجمٌ يمـانٍ أو بُرْدٌ يمـانٍ أو سيفٌ يمـانٍ أو رُكْنٌ يمـانٍ ؟ قال لا . قال : فهـل مَلَكْناكم ولم تَمْلِكونا ؟ قال نعم . فنهض يزيد وأنشأ يقول :

أُمَىَّ يا ابنَ الأسكرِ بنِ مُدْلِجِ * لا تجعلَنْ هَوازنًا كَمَذْحِجِ
إنّك إنْ تَلْهَجْ بأمرٍ تَلْجَجِ * ما النبع فى مَغْرِسه كالعَوْسَجِ (٥)
* ولا الصَّريحُ (٦) المَحْضُ كالمُزَنَّجِ *

قال : فقال مُرّةُ بن دُوَدان النُّفَيْلىّ (٧) وكان عدوًّا لعامر :

يا ليت شِعْرِى عنك يا يزيدُ * ماذا الذى من عامرٍ تُرِيدُ

(١) تنطف : تقطر .

(٢) التكملة عن ط ، م . وقرزل : فرس لطفيل بن مالك أبى عامر بن الطفيل .

(٣) السعدان : نبت ، ومنابته السهول ، وهو من أنجع المراعى فى المـال ولا تحسن على نبت حسنها عليه . وهو أخثر العشب لبنا . وإذا خثر لبن الراعية كان أفضل ما يكون وأطيب وأدسم . وهذا المثل يضرب للشىء يفضل على أقرانه وأشكاله . وقد ذكرته الخنساء بنت عمرو بن الشريد فى بعض كلامها فقيل إنها أوّل من قاله ، وقيل : هو لامرأة من طيئ . (عن مجمع الأمثال بتصرف) .

(٤) فى ب ، س : « سار » .

(٥) النبع : ضرب من الشجر تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام ، ينبت فى قلل الجبال . والعوسج : ضرب من الشوك . (٦) الصريح : الخالص من كل شىء .

(٧) كذا فى ط ، م . وفى جـ ، أ : « النفلى » . وفى ب ، س : « السـلمى » ولم نهتد إلى الصواب فيه .

لِكُلِّ قومٍ فَخْرُكم عَتِيدُ * أَمُطْلَقُون نحنُ أم عَبِيدُ[1]

* لا بل عَبِيدٌ زَادُنا الْهَبِيدُ[2] *

قال : فزوّج أمية يزيدَ بن عبد المَدَان ابنته . فقال يزيد فى ذلك :

يا لَلرِّجالِ لِطارقِ الأحزانِ * ولِعامرِ بنِ طُفَيْلٍ الوَسْنانِ

كانت إتاوةُ قومِه لمُحَرِّقٍ[3] * زمنًا وصارتْ بعدُ للنُّعمانِ

عدَّ الفوارسَ من هَوازنَ كلَّها * فخرًا علىّ وجئتُ بالديّانِ

فإذا بنى الشَّرَفُ المُبِينُ[4] بوالدٍ * ضخمِ الدَّسِيعةِ[5] زانَنى ونمانى

يا عامِ إنك فارسٌ ذو مِيعَةٍ[6] * غَضُّ الشَّبابِ أخو نَدًى وقِيانِ

وآعلمْ بأنك يابنَ فارسِ قُرْزُلٍ * دونَ الذى تَسعَى له وتُدانى

ليست فوارسُ عامرٍ بمُقِرَّةٍ * لكَ بالفضيلةِ فى بنى عَيْلانِ[7]

فإذا لقيتَ بنى الحَمَاسِ وَمالكٍ * وبنى الضِّبابِ وحىَّ آلِ قَنَانِ[8]

فآسألْ عن الرَّجُلِ المُنَوَّهِ باسمِه * والدافعِ الأعداءَ عن نَجْرانِ

يُعْطَى المَقادةَ فى فوارسِ قومِه * كَرَمًا لعَمْرُكَ والكريمُ يَمانى

فقال عامرُ بن الطُّفَيْل :

عجبًا لواصفِ طارقِ الأحزانِ * ولِمَا يَجىءُ به بنو الدَّيّانِ

(١) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « أمطمعون » وهو تحريف .

(٢) الهبيد : حب الحنظل .

(٣) محرق ، لقب به من ملوك لخم بالحيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عدىّ ويقال له المحرق الأكبر، وعمرو بن هند ويقال له المحرق الثانى . ولقب به أيضا الحارث بن عمرو من ملوك غسان بالشام .

(٤) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « المتين » .

(٥) الدسيعة هنا : العطية .

(٦) كذا فى ط ، م ، أ . وميعة كل شىء : أوّله . وفى سائر الأصول : « ذو منعة » .

(٧) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « بنى غيلان » بالغين المعجمة ، تصحيف .

(٨) الحماس ، والضباب ، وقنان : قبائل من مذحج .

فخَـــرُوا علىَّ بحَبْــوةٍ لِمُحَــرِّقٍ[1] * وإتاوةٍ سِيقتْ إلى النُّعْمانِ
ما أنتَ وآبنُ مُحَــرِّقٍ وقَبِيـلُهُ * و إتاوةُ اللَّخْمِىِّ فى عَيْلانِ[2]
فآقصِدْ بفَخْرِكَ قَصْدَ قومِكَ قُصْرةً[3] * ودَعِ القَبــائلَ من بنى قَحْطَــان
إنْ كان سالفــةُ الإتاوةِ فيكمُ * أوْلَا ففَخْرُكَ فَخْــرُ كلِّ يمَــانى
وآفخَرْ برَهْطِ بنى الحَمَاسِ ومالكٍ * وبنى الضِّباب وزَعْبَلٍ[4] وقَنَــانِ[5]
فأنا المُعَظَّمُ وآبنُ فارسِ قُرْزُلٍ * وأبـــو بَــراءٍ زانَنِى ونَمَــانى
وأبو جُزَىْءٍ ذو الفَعَــالِ ومالكٌ * مَنَعا الذِّمارَ صباحَ كلِّ طِعَــانِ
و إذا تَعَاظمتِ الأمورَ هَــوازنٌ * كنتُ المُنَوَّهَ بآسمِــه والبــانى

طلب بنــو عامر إلى مرة بن دودان أن يهجو بنى الديان فأبى

فلمّا رجع القــوم إلى بنى عامر، وثَبُــوا على مُرَّة بن دُودانَ وقالوا له : أنت من بنى عامر، وأنت شاعرٌ، ولم تَهْجُ بنى الدَّيَّان ! فقال مُرَّةُ :

تُكَلِّفُنى هوازنُ فَخْــرَ قَــوْمٍ * يقولون : الأنامُ لنــا عبيــدُ
أبونا مَــذْحِجٌ وبنــو أبيــهِ * إذا ما عُدَّتِ الآباءُ هُــــودُ[6]
وهل لِى إن فَخَرْتُ بغيرِ حقٍّ * مَقَــالٌ والأنامُ لهم شُهُــودُ
فأنَّى تَضرِبُ الأعلامُ[7] صَــفْحًا * عن العَلْيــاء أم مَنْ ذا يَكِيــدُ[8]
فقُــولوا يا بنى عَيْــلانَ كُنَّا * لهــم قِنًّــا[9]، فما عنها مَحِيــدُ

(١) الحبوة (مثلثة الحاء) : العطية . (٢) راجع الحاشية السابعة فى الصفحة السابقة .
(٣) كذا فى ط، ء، م . يقال هو ابن عمى قصرة (بفتح القاف وضمها) أى دانى النسب . وفى سائر الأصول : «نصرهم» وهو تحريف . (٤) فى بعض الأصول : «ورعبل» بالراء المهملة . ولم نهتد إليه . وقد سموا زعبلا ورعبلا . (٥) فى بعض الأصول : «وقيان» تصحيف .
(٦) هود : جمع هائد، وهو الراجع إلى الحق . (٧) فى بعض الأصول : «الأعمال» .
(٨) فى أ، ب، س : «تكيد» وهو تصحيف . والمعنى : كيف يضرب الأعلام المشهورون صفحا عن العلياء و يعرضوا عن السعى إليها مع أن ذلك سجية فيهم ! أم من ذا يكيد عدوّه إذا لم يكد هؤلاء الأعلام عدوّهم ! يصفهم بأنهم ذوو مكارم وقوة، و يقول : قوم هذا شأنهم كيف السبيل إلى هجوهم والنيل منهم !
(٩) القن : العبد ملك هو وأبواه . يطلق على المفرد والجمع، أو يجمع أقنانا وأقنة .

محاورة ابن جفنة ليزيد بن عبد المدان والقيسين

وقال آبنُ الكلبيّ فى هذه الرواية: قَدِم يزيدُ بن عبد المَدَان وعمرُو بن معد يكرب ومَكْشوحٌ المُرَادىّ على آبن جَفْنة زُوَّاراً [1]، وعنده وجوهُ قَيْس: مُلَاعِبُ الأسِنّة عامرُ بن مالك، ويزيدُ بن عمرو بن الصَّعِق، ودُرَيْد بن الصِّمَّة. فقال آبن جفنة ليزيد بن عبد المَدَان: ماذا كان يقول الدَّيَّان إذا أصبح فإنه كان دَيَّاناً [2]. فقال: كان يقول: آمنتُ بالذى رَفَع هذه (يعنى السماء)، ووَضَع هذه (يعنى الأرض)، وشَقّ هذه (يعنى أصابعه)، ثم يَخِرّ ساجدًا ويقول: سَجَد وَجْهى لِلّذى خَلَقه [3] وهو عاشمٌ [4]، وما جَشَّمَنى من شىء فإنّى جاشم. فإذا رفع رأسه قال:

إنْ تَغفِرِ اللّهمّ تَغفِر جَمّا * وأىّ عَبْدٍ لك ما أَلَمّا [5]

فقال آبن جَفْنَة: إنّ هذا لذو دِين. ثم مال [6] على القيسين وقال: ألا تحدّثونى عن هذه الرياح: الجَنُوب والشَّمال والدَّبُور والصَّبَا والنَّكْباء، لِمَ سُمِّيتْ بهذه الأسماء؟ فإنه قد أعيانى عِلْمُها؟ فقال القوم: هذه أسماءٌ وجدنا العربَ عليها لا نعلَم غير هذا فيها. فضحِك يزيدُ بن عبد المَدَان ثم قال: يا خيرَ الفِتْيان، ما كنتُ أَحْسَبُ أنّ هذا يسقُط [7] علمه على هؤلاء وهم أهل الوَبَر. إنّ العرب تضرب أبياتَها [8] فى القِبْلة مَطْلَع الشمس، لِتُدْفِئهم فى الشّتاء وتزولَ عنهم فى الصيف. فما هَبّ من الرّياح عن يمين البيتِ فهى الجَنوب، وما هَبّ عن شِماله فهى الشَّمال، وما هَبّ من أمامه فهى الصَّبَا، وما هَبّ من خَلْفه فهى الدَّبُور، وما آستدار من الرياح بين هذه الجهات فهى النَّكْباء. فقال آبن جفنة: إنّ هذا لَلْعِلْمُ يا آبنَ عبد المَدَان. وأقبل

---

(١) فى ط، م: «فلقوا عنده».
(٢) المناسب من معانى الديان هنا: الحاكم والسائس والقاضى.
(٣) فى ط، م، أ: «لمن خلقه».
(٤) العاشم: الطامع.
(٥) فى ط، ج، م: «وكل عبدلك قد ألما». وألم: باشر اللم أى صغار الذنوب.
(٦) فى ط، م: «ثم أقبل على ...».
(٧) كذا فى جميع الأصول الخطية، بتضمين «يسقط» معنى «يخفى». وفى ب، س: «يسقط عليه عن».
(٨) فى ط، ح، م: «أبنيتها».

سأل ابن جفنة القيسيين عن النعمان ابن المنذر فعابوه فردّ عليهم يزيد

على القيسيّين يسألهم عن النُّعمان بن المُنْذِر. فعابوه وصغّروه. فنظر ٱبْن جفنة إلى يزيد فقال له : ما تقول يابنَ عبد المدان ؟ فقال يزيد[1] : يا خيرَ الفِتْيان. ليس صغيرًا مَنْ منَعَك العراقَ، وشرِكَك فى الشام، وقيل له : أبَيْتَ اللّعْنَ. وقيل لك : يا خير الفتْيان، وألفى أباه مَلِكًا كما ألفيتَ أباك ملكا؛ فلا يَسُرُّكَ مَنْ يَغرُّك؛ فإن هؤلاء لو سألهم عنك النُّعمانُ لقالوا فيكَ مثل ما قالوا فيه. وٱيْمُ اللهِ ما فيهم رجلٌ إلّا ونِعْمةُ النُّعمان عنده عظيمة ! فغَضِب عامرُ بن مالك وقال له : يابن الديّان ! أما والله لَتَحْتَلِبَنّ[2] بها دمًا ! فقال له : ولِمَ ؟ أَزِيدَ فى هَوَازِنَ[3] من لا أعرفه ؟ فقال : لا ! بل هم الذين تَعْرِف. فضحِك يزيدُ ثم قال: ما لَهُم جُرْأَةُ[4] بنى الحارثِ، ولا فَتْكُ مُرَاد، ولَا بَأْسُ زُبَيْد، ولا كَيْدُ جُعْفِىٍّ[5]، ولا مُغَارُ طَيِّئ. وما هم ونحن يا خيرَ الفتيان بسواء، ما قتلنا أسيرًا قَطُّ، ولا اشْتَهينا[6] حُرَّةً قط، ولا بكينا قتيلًا [حتى][7] نُبِيءَ[8] به. وإنّ هؤلاء لَيَعْجِزُون عن ثأرِهم، حتى يُقْتَلَ السَّمِىُّ بالسمىّ. والكَنِىُّ بالكَنِىّ، والجارُ بالجارِ. وقال يزيد بن عبد المَدَان فيما كان بينه وبين القيسيّين شعرًا غَدَا به على ٱبْن جَفْنَةَ :

تَمَالَا على النُّعمانِ قومٌ إليهمُ * مَوَارِدُهُ فى مُلْكِهِ ومَصَادِرُهْ
على غير ذنبٍ كان منه إليهمُ * سِوَى أنّه جادتْ عليهم مَوَاطِرُه
فباعَدَهُمْ مِن كلّ شَرٍّ يَخافُه * وقرّبهم من كلّ خيرٍ يُبادِرُه
فظَنُّوا ـ وأمراضُ الظنون[9] كثيرةٌ ـ * بأنّ الّذى قالوا من الأمر ضائرُه
فلم يَنْقُصوه بالّذى قِيلَ شَعْرةً * ولا فُلِّلَتْ أنيابُه وأظافرُه

(١) فى ط، م : « فقال له يزيد ». (٢) كذا فى ط، جـ، م. وفى ب، س : «لنحتلبن». بالنون والحاء. وفى أ : «لتجتلبن» بالتاء والجيم. (٣) كذا فى ط، م. وفى سائر الأصول : «ولو أريد فى هوازن» وهو تحريف. (٤) فى ط، جـ، م : «جمرة». والجمرة : الكثرة والعدد. (٥) فى بعض الأصول : «جعف»، وهو تحريف. (٦) فى ط، م : «ولا استبنا حرة». ولعلها : «امتهنا حرة». (٧) التكلة من ط، م. (٨) أباء القاتل بالقتيل : قتله به. (٩) كذا فى ط، م. وفى سائر الأصول : « المنون » وهو تحريف.

٥
١٠
١٥
٢٠

وللحارِثُ الجَفْنِيُّ أعـلَمُ بالّذِى * يَنُوءُ[1] به النُّعْمانُ إن خَفَّ طائِرُهْ

فيا حارِ كَمْ فيهـمْ لِنُعْمانَ نِعْمـةٌ * من الفضل والمَنّ الذى أنا ذاكِرُه

ذُنوبًا عفَـا عنهـا ومالاً أفادَه * وعَظْمًا كسيرًا قوَّمَتْـه جَـوَابِرُه

ولو سَالَ عنك العاثِين[2] ابنُ مُنْذِرٍ * لقالوا له القولَ الذى لا يُحَاوِرُه[3]

٥ قال : فلمّا سمِـع ابنُ جَفْنةَ هذا القولَ عظُم يزيدُ فى عينه، وأجلسه[4] معه على سريره، وسقاه بيده، وأعطاه عطيّة لم يُعطِها أحدًا ممن وفَدَ عليه قطُّ .

استشفع جذام إلى يزيد عند ابن جفنة فوهبه له

١٤٨ / ١٠

فلمّا قرَّب يزيدُ ركائبَه ليرتحلَ سمِـع صوتًا إلى جانبه، وإذا هو رجلٌ يقول :

أَمَا مِنْ شـفيعٍ من الزائرين * يُحِبّ الثّنَا زَنْـدُه ثاقِبُ[5]

يُرِيدُ ابنُ جفنـة إكرامه * وقد يمسح الضَّرّةَ الحالِب

١٠ فيُنْقِـذَنى من أظافيرِه * وإلّا فإنّى غـدًا ذاهب

فقـد قلتُ يومًا على كُرْبةٍ * وفى الشَّرْب[6] فى يَثْرِب غالِب

ألَا ليتَ غَسّانَ فى مُلْكِها * كلَخْمٍ، وقد يُخْطِئُ الشارب

وما فى ابنِ جَفْنةَ من سُبّةٍ * وقد خَفّ حِلْمِى بها العازب[7]

كأنّى غريبٌ من الأبعَدِينَ * وفى الحَلْقِ مِنّى شَجًا ناشِب

١٥ (١) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « ينوء به النعمان إن جف » تصحيف . يقال : خف طائر فلان إذا استخف واستفز . والوارد فى كتب اللغة : طار طائر فلان . ويقال فى ضد ذلك : وقع طائر فلان، وسكن طائره، وفلان ساكن الطير، إذا كان وقورا . يقول إن الحارث الجفنى أعلم الناس بما ينهض به النعمان ويقوم به من الأعمال إن استفزه مستفز وأغضبه .

(٢) كذا فى م ، ا . وفى سائر الأصول : « الغائبين » بالغين المعجمة ، وهو تصحيف .

٢٠ (٣) كذا فى جـ أى لا يراجعه . وفى ط ، م : « لا يجاوره » بالجيم . وفى سائر الأصول : « لا يحاذره » . (٤) فى ط : « فأجلسه » . (٥) ثقوب الزند ووريه : كناية عن الكرم وغيره من الخصال المحمودة . (٦) الشرب (بالفتح) : جماعة الشاربين .

(٧) كذا فى ط ، م . وفى ب ، س : « وقد خف حلما بها القارب » . وفى سائر الأصول : « حلمى » مثل ط ، م ، غير أن فى جـ : « الفارب » وفى ا : « القارب » تصحيف .

فقال يزيدُ: علىَّ بالرجل، فأُتِىَ به. فقال: ماخَطْبُك؟ أنت تقول هذا الشعر؟ قال: لا! بل قاله رجلٌ من جُذَامَ جفاه آبنُ جَفْنةَ، وكانت له عند النُّعمان منزلةٌ(١)، فشرِب فقال على شرابه شيئا أنكره عليه آبنُ جفنة فحبسه، وهو مُخْرِجهُ غدًا فقاتِلهُ. فقال[له](٢) يزيد: أنا أُغنيك(٣). فقال له: ومن أنت حتى أعرِفَك(٤)؟ فقال: أنا يزيد بن عبد المَدَان. فقال: أنتَ لها وأبيك؟ قال: أَجَلْ! قد كفيتُك أمْرَ(٥) صاحبِك، فلا يَسْمَعنَّك أحدٌ ٥
تُنشد هـذا الشعر. وغدا يزيد على آبنِ جَفْنةَ لِيُوَدِّعه؛ فقال له: حيَّاك الله يا آبن الديَّان! حاجتَك. قال: تُلحِقُ قُضاعةَ الشأمِ [بغسَّانَ](٦)، وتُؤْثِرُ مَنْ أتاك من وفود مَذْحِج، وتَهَبُ لى الجُذَامىَّ الذى لا شـفيعَ له إلّا كرَمُك. قال: قد فعلتُ. أمَا إنِّى حبستُه لأَهَبَه لسيِّد أهل ناحيتك، فكنتَ(٧) ذلك السيِّدَ، ووَهَبه له. فآحتمله يزيدُ معـه، ولم يزل مُجاوِرًا له بنَجْرانَ فى بنى الحارث بن كعب. وقال آبن جَفْنةَ ١٠
لأصحابه: ما كانت يمينى لِتَفِىَ إلا بقتـله أو هِبَته لرجلٍ من بنى الديَّان؛ فإنّ يمينى كانت على هذين الأمرين. فعظم بذلك يزيدُ فى عين أهل الشأم(٨) ونَبُه ذكره وشرُف.

استغاث هوازنى بيزيد فى فك أسر أخيه فأغاثه

وقال آبن الكلبىّ فى هـذه الرواية عن أبيه: جاورَ رجلان من هَوازِنَ، يقال لهما عمرٌو وعامرٌ، فى بنى مُرَّةَ بن عَوْف بن ذُبْيان، وكانا قد أصابا دمًا فى قومهما. ثم إنّ قيس بن عاصم المِنْقَرِىّ أغار على بنى مُرّة بن عوف بن ذبيان، فأصاب عامرًا ١٥
أسـيرًا فى عِدّة أُسارَى كانوا عند بنى مُرّة، ففَدَى كلُّ قومٍ أسيرَهم من قيس بن

(١) كذا فى ط، م. وفى سائر الأصول: «فقال له» بزيادة «له».
(٢) زيادة عن ط، م.
(٣) أغنيك أى أكفيك هذا الأمر الذى يشق عليك. وفى ا: «أعينك».
(٤) فى ط، جـ، م: «ومن أنت أعرفك». ٢٠
(٥) كذا فى ط، م. وفى سائر الأصول: «أمره». (٦) هذه الكلمة ساقطة فى ب، س.
(٧) كذا فى ط، م. وفى سائر الأصول: «وكنت» بالواو.
(٨) فى ط، جـ، م: «فعظم بذلك يزيد فى يمن الشام».

عاصمٍ وتركوا الهَوازِنىّ ، فاستغاث أخوه بوجوه بنى مُرَّة : سِنانِ بن أبى حارثة والحارثِ بن عوف والحارثِ بن ظالِم وهاشم بن حَرْملةَ والحُصَيْن بن الحُمَام فلم يُغيثوه، فركب إلى موسم عُكَاظَ، فأتى منازلَ مَذْحِجٍ ليلاً فنادى :

دعوتُ سِنانًا وٱبنَ عوفٍ وحارثًا * وعالَيتُ دَعْوَى بالحُصَيْنِ وهاشِمِ

٥ أُعَيِّرهم[1] فى كلِّ يومٍ وليلةٍ * بتَرْكِ أسيرٍ عند قيس بن عاصم

حَلِيفهمُ الأَدْنَى وجارِ بيوتهم * ومَنْ كان عما سرَّهم غيرَ نائم

فَصَمُّوا وأحداثُ الزمانِ كثيرةٌ * وكَمْ فى بنى العَلَّاتِ[2] من مُتَصامِمِ

فيا ليتَ شِعْرِى مَنْ لإطلاقِ غُلِّه * ومَنْ ذا الذى يَحْظَى به فى المَوَاسِمِ

قال : فسمع صوتًا من الوادى ينادى بهذه الأبيات :

١٠ ألَا أيُّهذَا الّذى لم يُجَبْ * عليكَ بحَىٍّ يُجَلِّى الكُرَبْ

عليكَ بذَا الحىّ من مَذْحِجٍ * فإنّهمُ للرِّضَا والغَضَب

فنَادِ يزيدَ بنَ عبدِ المَدَانِ * وقَيْسًا وعَمرو بنَ مَعْدِ يكَرِب

يَفُكُّوا أخاكَ بأموالِهمْ * وأَقْلِلْ بِمثْلِهمُ فى العَرَب

أُولاكَ الرءوسُ فلا تَعْدُهُمْ * ومَنْ يجعلُ الرأسَ مثلَ الذَّنَب!

١٤٩/١٠

١٥ قال : فٱتّبع الصوتَ فلم يرَ أحدًا، فغدَا على المكشوح، وٱسمُه قَيْس بن عبد يَغُوثَ المُرادِىّ، فقال له : إنّى وأخى رجلانِ من بنى جُشَم بنِ مُعاوية أصَبْنا دمًا فى قومنا، وإنّ قيس بن عاصم أغار على بنى مُرّة وأخى فيهم مُجاوِرٌ فأخذه أسيرًا ، فاستغثتُ بسِنَانِ بن أبى حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة فلم يُغيثونى . فأتيت المَوْسِم لاصيبَ به من يَفُكّ أخى ، فانتهيت إلى منازل مَذْحِجَ،

٢٠ (١) كذا فى ط ، جـ ، م . وفى سائر الأصول : « أعيذهم » وهو تحريف .

(٢) بنو العلات : بنو أمهات شتى من أب واحد .

فناديتُ بكذا وكذا ، فسمعت من الوادى صوتاً أجابنى بكذا وكذا ، وقد بدأتُ بك لتَفُكّ أخى . فقال له المكشوح : والله إنّ قيس بن عاصم لرجل ما قارضته معروفاً قطّ ولا هو لى بجارٍ ، ولكن آشترِ أخاك منه وعلىّ الثمن ، ولا يمنعْك غلاؤه[1] . ثم أتى عمرو بن معديكرب فقال له مثل ذلك ؛ فقال : هل بدأتَ بأحدٍ قبلى ؟ قال : نعم ! بقيس المكشوح[2] . قال : عليكَ بمن بدأتَ به . فتركه ، وأتى يزيد بنَ عبد المَدَان فقال له : يا أبا النضر ، إنّ من قِصّتى كذا وكذا . فقال له : مرحباً بك وأهلاً ، أبعثُ إلى قيس بن عاصم ؛ فإنْ هو وهَب لى أخاك شكرتُه ، وإلا أغرتُ عليه حتى يتّقِيى بأخيك ؛ فإنْ نلتُها وإلّا دفعتُ إليك كلَّ أسير من بنى تميم بنَجْرانَ فاشتريتَ بهم أخاك . قال : هذا الرضا . فأرسَلَ يزيد إلى قيس بن عاصم بهذه الأبيات :

يا قيسُ أَرسِلْ أسيرًا من بنى جُشَمٍ * إنّى بكلّ الذى تأتى بـه جازى
لا تأمنِ الدهرَ أن تَشجَى بغُصّتِه * فاختَرْ لنفسك إحمادى وإعزازى
فَآفكُكْ أخَا مِنقَرٍ عنه وقُلْ حَسَنًا * فيما سُئِلتَ وعَقِّبْـهُ بإنجاز

قال : وبعث بالأبيات رسولاً إلى قيس بن عاصم ؛ فأنشده إياها ، ثم قال [له][3] : يا أبا علىّ ، إنّ يزيدبن عبدالمَدَان يقرأ عليك السلام ويقول لك : إنّ المعروف قُروض ، ومع اليوم غدٌ ، فأطْلِق لى هذا الجُشَمِىَّ ؛ فإنّ أخاه قد استغاث بأشراف بنى مُرّة[4] وبعمرو بن معديكرب وبمكشوح مُرادٍ[5] فلم يُصِبْ عندهم حاجتَه فاستجار بى . ولو أرسلتَ إلىّ فى جميع أُسارَى مُضَرَ بنَجْرانَ لقضيتُ حقَّك . فقال

(١) فى ط ، م : « ولا يمنعك منه غلاء » . (٢) فى الأصول هنا بقيس بن المكشوح : « بزيادة ابن » تحريف . (٣) زيادة فى ط ، م . (٤) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « فقد استعان بأشراف بنى جشم » . (٥) كذا فى ط ، ج . ومكشوح هنا مضاف إلى قبيلته مراد . وفى سائر الأصول : « وبمكشوح بن مراد » تحريف .

قيس بن عاصم لِمَنْ حضره من بنى تميم : هذا رسولُ يزيدَ بنِ عبدالمَدَان سيِّد مَذْحِج وآبنِ سيِّدها ومن لا يزال له فيكم يدٌ، وهذه فُرصةٌ لكم، فما تَرَوْنَ ؟ قالوا : نرى أن نُغْلِيَه عليه ونَحْكُمَ فيه شَطَطًا(١)؛ فإنه لن يخذُلَه أبدًا ولو أتى ثمنُه على ماله . فقال قيس : بئس ما رأيتم ! أمَا تخافون سِجالَ الحروب ودُوَلَ الأيّام ومجازاةَ القُروض ! فلمّا أبَوْا عليه قال : بِيعُونِيه ، فأغْلَوْه عليه ، فتركه فى أيديهم ، وكان أسيرًا فى يد رجل من بنى سعد ، وبعث إلى يزيد فأعلمه بما جرى، وأعلمه أنّ الأسير لو كان فى يده أو فى بنى مِقْر(٢) لأخذه وبعث به، ولكنه فى يد رجل من بنى سَعْد . فأرسل يزيد إلى السعدىّ أن سِرْ إلىّ(٣) بأسيرك ولك فيه حُكْمُك . فأتى به السعدىُّ يزيدَ بن عبد المدان؛ فقال له : آحتَكِم . فقال : مائةُ ناقةٍ ورِعاؤها . فقال له يزيد : إنّك لَقصير الهِمّة قريبُ الغِنَى جاهلٌ بأخطار بنى الحارث . أمَا واللّه لقد غَبَنْتُك يا أخا بنى سعد، ولقد كنتُ أخاف أن يأتى ثمنُه على جُلِّ أموالنا ، ولكنكم يا بنى تميم قومٌ قِصارُ الهِمَم . وأعطاه ما آحتكم . فجاوره الأسير وأخوه حتى ماتا عنده بنَجْران .

١٥٠ / ١٠

أغار عبد المدان على هوازن فى جماعة من بنى الحارث فهزموا بنى عامر

وقال آبن الكلبىّ : أغار عبدُ المَدَان على هَوازِنَ يوم السَّلَف(٤) فى جماعةٍ من بنى الحارث بن كعب، وكانت حَمِيَّتُه(٥) على بنى عامر خاصّة . فلمّا التقى القومُ حَمَل على وَبَرِ(٦) بن مُعاوية النُّمَيْرىّ فصرَعه، وثنّى بطُفَيْل بن مالك فأجْرَه الرمحَ(٧)، وطار به فرسُه قُرْزُلٌ فنجا ، وآستحرّ القتلُ فى بنى عامر، وتبِعتْ خيلُ بنى الحارث مَنِ آنهزم من

(١) الشطط : مجاوزة القدر فى بيع أو طلب . (٢) كذا فى ط، م . وفى سائر الأصول : « أو فى يد منقر » . (٣) فى ط، ح، م : « أن صر إلىّ » . (٤) السلف : مخلاف باليمن . (٥) كذا فى ط، م . يريد : شدته . وفى سائر الأصول : « حية » . ولعلها « وكانت حيته » أى حلته وشدته ؛ يقال : مضى فلان فى حيته أى حلته . (عن لسان العرب مادة حى) .
(٦) كذا فى ط، م ، وكذلك سيجىء فى الشعر . وفى سائر الأصول : « يزيد » وهو تحريف .
(٧) أجره الرمح : طعنه به وتركه فيه يجره .

بنى عامر، وفى هذه الخيل عُمَيْرٌ[1] ومَعْقِلٌ وكانا من فُرسان بنى الحارث بن كعب ، فلم يزالوا بقيّة يومِهم لا يُبْقُون على شىء أصابوه . فقال فى ذلك عبدُ المَدَان :

عَفَا من سُلَيْمَى بطنُ غَوْلٍ فَيذْبُلُ[2] * فغَمْـرةُ فَيْـفِ الرِّيحِ فالمُتَنَخَّلُ[3]

ديارُ الّتى صاد الفـؤادَ دَلالُهـا * وأَغرتْ[4] بها يوم النَّوَى حين تَرْحَلُ

فإنْ تكُ صَدّتْ عن هَوايَ ووراءَها[5] * نَوازلُ أحـداثٍ وشيبٌ مُجَـلِّلُ

فيارُبَّ خيلٍ قـد هَدَيْتُ بِشَطْبةٍ[6] * يُعارِضُها عَبْـلُ الجُزَارةِ هَيْكَلُ[7]

سَـبوحٌ[8] إذا جالَ الحِـزامُ كأنّه * إذا انْجاب[9] عنه النَّقْعُ فى الخيل أجْدَلُ

يُواغِـلُ[10] جُرْدًا كالقَنَا حارثيّـةً * عليهـا قَنَانٌ والحَمَـاسُ وزَعْبَـلُ[11]

مَعَاقِلُهُـمْ[12] فى كلِّ يومِ كريهةٍ * صدورُ العَوَالِى والصَّفِيحُ المُصَقَّلُ

و زَغْفٌ من المَاذِىِّ بِيضٌ كأنّها * نِهَـاءٌ مَرَتْهـا بالعَشِيّاتِ شَمْأَلُ[13]

فما ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ حتّى تلاحقتْ * فَـوارسُ يَهْدِيهـا عُمَيْرٌ ومَعْقِـلُ

فجـالتْ على الحىِّ الكِلَابىِّ جولةً * فبَـاكَرَهُمْ وِرْدٌ من الموت مُعْجَلُ

---

(١) فى بعض الأصول : « عميرة » . (٢) غول : موضع ، جبل أو واد أو ماء ، فيه أقوال . ولعله اسم لعدّة مواضع . و يذبل : جبل بنجد . (٣) غمرة ، وفيف الريح ، والمتنخل : مواضع . (٤) فى بعض الأصول : « وأعربنها » تحريف . (٥) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « فراعها » . (٦) الشطبة (بالكسر و يفتح) من الخيل : الطويلة السبطة اللحم . (٧) عبل الجزارة : ضخم الأطراف ، وهى اليدان والرأس والرقبة . فاذا قيل فرس عبل الجزارة ، فانما يريدون اليدين والرجلين وكثرة عصبهما ؛ لأن عظم الرأس فى الخيل هجنة . والهيكل : المرتفع . (٨) السبوح من الخيل : الذى يسبح بيديه أى يمدّهما فى جريه . (٩) كذا فى ط ، م ، ج . وفى سائر الأصول : « اذا انساب عند النقع » . والأجدل : الصقر . (١٠) يواغل جردا : يداخلها . والجرد من الخيل : القصار الشعر ، وهو فى الخيل مدح . (١١) الحماس ، وقنان وزعبل : قبائل ، وقد تقدمت فى (ص ١٠) . (١٢) معاقلهم : حصونهم . والعوالى : الرماح . والصفيح المصقل : السيوف . (١٣) الزغف : الدروع اللينة الواسعة المحكمة أو الرقيقة حسنة السلاسل . يقال : درع زغف و زغفة ، ودروع زغف . والماذى هنا : السلاح من الحديد . ونهاء : غدران ، واحدها : نهى (بكسر أوله وفتحه) . ومرتها ، يريد مرت عليها فجمدت متونها . وأصل المرى مسح الحالب ضرع الحلوبة لتدر . والشمأل : ريح الشمال .

فَغَادَرْنَ وَبْرًا تَحْجُلُ الطيرُ حولَه * ونجّى طُفَيْلاً فى العَجَاجة قُرْزُلُ
فلم ينجُ إلّا فارسٌ من رِجالهم * يُجَفِّفُ[1] ركضًا خشيةَ الموت أعْزَلُ

وليزيد بنِ عبد المَدَان أخبارٌ مع دُرَيْد بن الصِّمّة قد ذكرْتُ مع أخبار دُرَيْد فى صَنْعة المُعْتَضِد مع أغانى الخلفاءِ، فاستُغْنِى عن إعادتها فى هذا الموضع .

أنعم يزيد بن عبد المدان على ملاعب الأسنة وأخيه فلما مات رثته أختهما

أخبرنى علىّ بن سليمان قال أخبرنى أبو سعيد السُّكّرىّ قال حدّثنى محمد بن حبيب عن ابن الأعرابىّ وأبى عُبَيْدة وابن الكلبىّ، قالوا :

أغار يزيد بن عبد المَدَان ومعه بنو الحارث بن كَعْب على بنى عامرٍ ، فأسر عامرَ بن مالك مُلاعِبَ الأسِنَّة أبا بَرَاء وأخاه عَبِيدَةَ بن مالك ثم أنعم عليهما . فلمّا مات يزيد بن عبد المَدانِ — واسمُ عبدِ المَدَانِ عمرو ، وكنيته أبو يزيدَ ، وهو ابن الديّان بن قَطَنِ بن زِياد بن الحارثِ بن مالك بن رَبِيعةَ بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو — قالت زينب بنت مالك بن جعفر بن كِلَاب أُخت مُلاعِب الأسِنّة ترثِى يزيدَ بن عبد المَدَان :

بكيتُ يزيدَ بن عبد المدا * نِ حَلّتْ به الأرضُ أثقالَها
شَرِيكُ المُلوكِ ومَنْ فَضْلُه * يَفْضُلُ فى المجد أفضالَها
فكَكْتَ أُسارَى بنى جَعْفَرٍ * وكِنْدةَ إذ نِلْتَ أقوالَها[2]
ورَهْطُ المُجالِد قد جَلّتْ * فواضِلُ نُعْمَاك أجبالَها

وقالت أيضا ترثيه :

سأبكى يزيدَ بنَ عبد المَدَان * على أنّه الأحْلَمُ الأكرمُ
رِمَاحٌ من العَزْمِ مركوزةٌ * مُلوكٌ إذا بَرَزَتْ تَحكُمُ

(١) فى ب ، س : « يخفق » بالقاف ، تصحيف . (٢) الأقوال : جمع قيل ، وهو الملك عند أهل اليمن . أصله « قيول » وزان سيد ، ويجمع أقوالا وأقيالا .

قال : فلامها قومُها فى ذلك وعيّروها بأن بكتْ يزيدَ، فقالت زينب :

ألَا أيُّها الزارِى علىّ بأنّنِي * نِزَارِيَّةٌ أبكِى كريمًا يمَانيَا

ومالِىَ لا أبكِى يزيدَ وردَّنِى * أجُرُّ جَدِيدًا مِدْرَعِى ورِدَائيا

صــــوت

أطِلْ حَمْلَ(١) الشَّناءةِ لى وبُغْضِى * وعِشْ ما شِـئْتَ فانظُرْ مَنْ تَضِيرُ

إذا أبصرتَنى أعرضتَ عَـنِّى * كأنّ الشـمسَ من قِبَـلِى تَدُورُ

الشـعر لعبد الله بن الحَشْرَج الجَعْدىّ . والغنـاء لابن سريج ثقيـلٌ أوّلُ بالبِنْصَر عن الهِشامىّ .

٥

(١) كذا فى ط ، حـ ، م . وفى سائر الأصول : « حبل الشناءة » .

نسب عبد الله بن الحشرج وأخلاقه

أخبار عبد الله بن الحشرج

هو عبدُ اللهِ بن الحَشْرَج بن الأَشْهَب بن وَرْد بن عَمْرو بن رَبِيعةَ بن جَعْدَةَ ابن كعب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعةَ بن مُعَاوِيةَ بن بكر بن هَوازِنَ . وكان عبدُ الله بن الحشرج سَيِّداً من ساداتِ قيْس وأميراً من أمرائها . وَلِىَ أكثرَ أعمالِ خُرَاسانَ ، ومن أعمال فارس، وكَرْمان . وكان جواداً مُمَدَّحاً . وفيه يقول زِيادُ الأعجم[1]:

[إنّ السماحةَ والشَّجاعةَ والنَّدَى * فى قُبَّةٍ ضُرِبتْ على ابنِ الحَشْرَجِ

وله يقول أيضا[2] :]

إذا كنتَ مُرْتادَ السَّماحةِ والنَّدَى * فسَائِلْ تُخَبَّرْ عن دِيَارِ الأَشَاهِبِ

نسبه إلى الأَشْهَب جَدِّه . وفى بنى الأشهب يقول نابغةُ بنى جَعْدَةَ :

أبعـــدَ فَوارِسِ يومِ الشُّـــرَيْـ * ـفِ[3] آسَى وبعـــدَ بنى الأشْهبِ

بعض أخبار أبيه وعمه زياد

وكان أبوه الحشرج بن الأشهب سَيِّدًا شاعِرًا وأميرا كبيرا . وكان غَلَبَ على قُهِسْتانَ[4] فى زمن عبد الله بن خازم ، فبَعث إليه عبدُ الله بن خازمٍ المُسَيَّبَ بن أَوْفَى القُشَيْرىَّ ، فقتل الحَشْرَجَ وأخذ قُهِسْتان . وكان عَمُّهُ زِيادُ بن الأشهب أيضًا شريفًا سَيِّدا ، وكان قــد سار إلى أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب — عليه الســلام —

---

(١) هو زياد بن سليمان مولى عبـد القيس . كان ينزل إصطخر فغلبت العجمة على لسانه ، فقيل له الأعجم . كان شاعرا جزل الشعر فصيح الألفاظ على لكنة لسانه . (انظر ترجمته فى ج ١٤ ص ١٠٢ من الأغانى طبع بلاق) .

(٢) كذا فى ط ، م . وهذه الزيادة ساقطة من ب ، سـ . وفى سائر النسخ مضطربة .

(٣) الشريف : ماء لبنى نمير . ويوم الشريف من أيامهم .

(٤) قهستان : (وأكثر ما تستعمل : قوهستان بالواو ، وقـد تخفف بحذفها) : تطلق على عدّة مواضع ببلاد العجم ، والمشهور بهذا الاسم ناحية بين هراة ونيسابور .

يُصْلِح بينه و بين مُعَاوية على أن يُولّيه الشأمَ فلم يُجِبْه . وفى ذلك يقول نابغة بنى جعدة يعتدّ على مُعاوية :

وقام زيادٌ عند بابِ ابنِ هاشمٍ * يُريد صَلاحاً بينكم و يُقَرِّبُ

مدحه قدامة بن الأحرز فوصله واعتذر

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدّثنى أحمد بن الهيثم بن فِرَاس قال : حدّثنا العُمَرِىّ عن عَطَاء بن مُصْعَب عن عاصم بن الحَدَثان قال :

جاء إلى عبد الله بن الحَشْرَج وهو بِقُهِسْتان رجلٌ من قُشَيْرٍ(١) يقال له قُدَامة ابن الأحرز(٢)، فدخل عليه وأنشأ يقول :

أخٌ وابنُ عمٍّ جاءكم مُتَحَرِّماً(٣) * بِكُمْ فارأَبُوا(٤) خَلّاته يابنَ حَشْرَجِ

فأنتَ ابنُ وَرْدٍ سُدْتَ غيرَ مُدَافَعٍ * مَعَدّاً على رَغْمِ المَنُوطِ المُلَهْوَجِ(٥)

فَبَرّزْتَ(٦) عفواً إذ جَرَيتَ ابنَ حَشْرَجٍ * وجاء سُكَيْتاً(٧) كلُّ أعْقَدَ أفْحَجِ

سبقتَ ابنَ وَرْدٍ كلَّ حافٍ وناعلٍ * بِجَدٍّ(٨) إذا حار الأضاميمُ مِمْعَجِ(٩)

(١) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « قريش » وهو تحريف .

(٢) فى ط ، م : « بن الأخزر » . ومن أسمائهم « الأخزر » و « الأحرز » .

(٣) كذا فى ط ، م . وفى ب ، س ، أ : « متحرزا » . وفى حـ : « متحربا » .

(٤) فى ب ، س : «فعطفا على خلاته» . وفى سائر الأصول : « بكم فاربؤا خلاته » . والخلة (بالفتح) : الحاجة والفقر . ورأبها : إصلاحها وسدّها .

(٥) المنوط : الدعىّ الذى ينتمى إلى قوم ليس هو من أصلهم . والملهوج : الأحمق الحذر اللئيم ، والدعىّ ، والهجين الذى ولد من جنسين مختلفين .

(٦) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول محرّفة بين « فررت » و « فردت » .

(٧) السكيت (وتشدّد الكاف أيضا) : آخر خيل الحلبة . والأعقد : الملتوى الذنب . والأفحج : ذو الفحج ، وهو تدانى صدور القدمين وتباعد العقبين . يريد كل ناقص غير تام الخلق .

(٨) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول محرفة بين : « جاء » و « جاز » .

(٩) كذا فى ط ، م . وهذه الكلمة محرفة فى سائر الأصول بين «ممنج» و«سمنج» «وسمحج» . والممعج : الكثير المعج ، وهو السرعة فى المر . والأضاميم : الجماعات .

بِوَرْدِ بن عَمْــرٍ قَتُهُــمْ إنّ مِثْـلَه * قليــلٌ ومَنْ يَشْرِ المَحَـامِدَ يَفْلُجِ (١)
هُوَ الواهِبُ الأموالِ والمُشْتَرِى اللُّهَا (٢) * وضَرّابُ رأسِ المُسْتَمِيتِ المُدَجَّجِ

قال : فأعطاه أربعة آلاف درهم ، وقال : اعذرنى يآبن عمى ؛ فإنّى فى حالةٍ (٣) اللهُ بها عليمٌ من كثرة الطُّلّاب ، وأنت أحقُّ مَنْ عَذَرنى . قال : والله لو لم تُعطِنى شيئاً مع ما أعلمه من جميل رأيك فى عَشيرتك ومَنِ انْقَطَع إليك لعذرتُك ، فكيف وقد أ. لتَ العطاء ، وأرغمت الأعداء !

بلغه أن ابن عم له نال منه فقال فيه شعرا

وكان لآبن الحَشْرَج آبنُ عَمٍّ يقول للقُشَيْرِىّ : ويحك ! ليس عنده خير ، وهو يَكْذِبُك ويَمْلُذُكَ (٤) . فبلغ ذلك عبدَ الله بن الحشرج فقال :

أَطِلْ حَمْلَ (٥) الشَّناءةِ لى وبُغْضِى * وعِشْ ما شئتَ فانظُرْ مَنْ تَضِيرُ
فما بيَدَيْكَ خيرٌ أرتجيه * وغيرُ صُدُودِكَ الخَطْبُ (٦) الكبيرُ
إذا أبصرتَنى أعرضتَ عنّى * كأنّ الشمسَ من قِبَلِى تدورُ
وكيف تَعيبُ من تُمْسِى (٧) فقيراً * إليه حين تَحْزُبُك (٨) الأمورُ
ومَنْ إنْ (٩) بِعْتَ منزلةً بأخرى * حَلَلْتَ بأمرِه وبه تَسِيرُ

---

(١) يفلج : يظفر . (٢) اللها : جمع لهاة ، وهى فى الأصل اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . والشاعر يكنى بها هنا عن الثناء والمديح .

(٣) فى ب ، س ، أ : « على حالة » .

(٤) فى ب ، س : « يلمزك » تحريف . وملذه : أرضاه بكلام لطيف وأسمعه ما يسر من غير فعل .

(٥) فى الأصول هنا ما عدا ط ، ء ، م : « عمل » تحريف . (انظر الحاشية الأولى ص ٢٢) .

(٦) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « الحرب » تحريف .

(٧) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « تمشى » بالشين .

(٨) كذا فى ط ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « تحزنك » بالنون ، وهو تصحيف .

(٩) فى الأصول ما عدا ط : « وما إن » تحريف .

أتزعم أننى مَلِذٌ كذوبٌ * وأنَّ المكرُماتِ لدىَّ بُورُ(١)
وكيف أكون كذّابًا مَلُوذًا * وعندى يطلُبُ الفرَجَ الضَّريرُ
أُواسى فى النَّوائب من أتانى * ويُخبِرُ بِى(٢) أخو الضُّرِّ الفقيرُ

كان يعطى كثيرا فلامته زوجه وأيدها صديق له فقال شعرا

اخبرنى محمد بن خَلَف قال حدّثنا أحمد بن الهيثم عن العمرىّ عن عطاء ابن مُصْعَب عن عاصم بن الحَدَثان قال :

أعطى عبدُ الله بن الحَشْرَج بخُرَاسَان حتّى أعطى مِنْشَفةً [كانت(٣)] عليه وأعطى فِراشَه ولِحافَه . فقالت له آمرأته : لَشَدّ ما تلاعب(٤) بك الشيطان ، وصِرْتَ من إخوانه مُبَذِّرًا، كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إنّ المُبَذِّرِينَ كانُوا إخوانَ الشَّياطِينِ ﴾ . فقال عبد الله بن الحشرج لِرفاعَة بن زُوَىٍّ(٥) النَّهْدىّ وكان أخًا له وصديقا : يارِفاعة، ألَا تسمَع إلى ما قالتْ هذه الوَرْهاء(٦) وما تتكلّم به ؟ ! فقال : صدقتْ واللهِ وبَرّتْ ! إنّك لمبذِّر ، وإنّ المبذِّرين لإخوانُ الشياطين . فقال آبن الحشرج فى ذلك :

مَتَى يأتنا الغَيْثُ المُغيثُ تَجِدْ(٧) لنا * مَكارِمَ ما تَعْيَا بأموالِنا التُّلْدِ(٨)

---

(١) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « إلىّ بور » .
(٢) كذا فى ط ، م ، وتقرب منهما ح . وفى سائر الأصول : « ويخبرنى » تصحيف .
(٣) زيادة فى ط ، م .
(٤) فى ب ، س ، أ : « ما يتلاعب » .
(٥) فى ط ، م : « دوىّ » بالدال المهملة والواو . وفى سائر الأصول : « روى » بالراء المهملة . والتصويب من كتاب الاشتقاق (ص ٣٢٠) .
(٦) الورهاء : الحمقاء . وفى ط ، م : «الزكا» محرفة عن «النوكاء» كما وردت فى معاهد التنصيص .
(٧) كذا فى معاهد التنصيص (ص ٢٦١ طبعة بلاق سنة ١٢٧٤ هـ) . وفى سائر الأصول : «يجد» .
(٨) التلد (بالفتح وبالضم وبالتحريك) : المال القديم ، كالتالد والتليد . وفى الكلام قلب ، أى تجد لنا مكارم ما تعيا بها أموالنا التلد .

مَكارِمَ ما جُــدْنا به إذْ تَمَنَّعتْ * رِجالٌ وَضَنَّتْ فى الرَّخاء وفى الجَهْدِ

أَرَدْنا بمـا جُدْنا به من تِلادِنا * خِلافَ الّذى يأتى خِيارُ بنِى نَهْـدِ

تَلومُ على إتْــلافِىَ المـالَ طَلَّتِى (١) * ويُسْعِدُها نَهْـدُ (٢) بن زَيْدٍ على الزُّهْدِ

أَنَهْدُ بن زَيْدٍ لستُ منكمْ فَتُشفِقُوا * علىَّ ولا منكم غَوَاتِى (٣) ولا رُشْدى

٥ — أراد "غواتِى" لحذف الياء ضرورة (٤) —

أَبَيْتُ (٥) صَغِيرًا ناشـئًا (٦) ما أردتُمُ * وكَهلًا وحتَّى تُبْصِرُونِىَ فى اللَّحْـدِ

سأَبْذُلُ مالِى إنَّ مالِى ذَخيرةٌ * لِعَقْبِى وما أَجْنِى به ثَمَـرَ الخُلْدِ

ولستُ بِمِبْكاءٍ على الزَّادِ بَاسِـلٍ (٧) * يَهِرُّ على الأَزْوادِ كالأَسَدِ الوَرْدِ

ولكِنَّنى سَمْـحٌ بمـا حُزْتُ باذِلٌ * لِمَـا كُلِّفَتْ كَفَّاىَ فى الزَّمَنِ الجَحْدِ

١٠ بِذلك أوصـانى الرُّقَادُ وقَبْـلَهَ * أبوه بأنْ أُعْطِى وأُوفِىَ بالعَهْدِ

الرُّقَاد : ابن عمرو بن رَبيعــة بن جَعْـدةَ بن كَعْب وهو من عمومته، وكان شجاعًا سَيِّدا جَوَادًا .

قال عطاء بن مُصْعَب : وقال عبــد الله بن الحَشْرَج أيضًا فى [ذلك (٨)] هــذه القصيدة — وقد ذكر ابن الكلبىّ وأبو اليَقْظان شيئًا من هذه القصيد فى كتابَيْهما

١٥ المُصَنَّفَيْنِ ونَسَبا [ها (٩)] إليه — :

١٥٣ / ١٠

(١) كذا فى ط ، جـ ، م . وطلة الرجل : زوجه . وفى سائر الأصول : «خلتى» والخلة (بالضم) : الصديقة . ولعلها « حنتى » بالحاء المهملة المفتوحة والنون المشدّدة . والحنة : الزوج أيضا .
(٢) نهد بن زيد : القبيلة التى منها رفاعة بن زورى النهدىّ الذى تقدّم . (٣) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : «غواى» . (٤) هذه الجملة ساقطة من م ، وواردة فى هامش ط ، وفى صلب
٢٠ سائر الأصول . وفى الأصول ما عدا ط : «أراد غواى ، لحذف التاء ضرورة» . (٥) كذا فى ب ، س . وفى ط ، م : «أردت» . وفى حـ ومعاهد التنصيص : «أبيت» . (٦) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول محرّفة بين « ناشدا » و « ناشزا » و « ناشرا » . (٧) باسل هنا : غاضب .
(٨) زيادة يقتضيها الكلام . (٩) التكلة عن ط ، م .

سأجعل مالِى دونَ عِرْضِى وِقايةً * من الذّمّ، إن المالَ يَفْنَى ويَنْفَدُ
ويُبْقِى لِىَ الجُودُ ٱصطناعَ عَشيرتى * وغَيْرِهمُ والجُودُ عِزٌّ مُؤَبَّدُ
ومُتَّخِذٍ ذَنْباً[1] علىَّ سَمَاحتى * بمالى، ونارُ البُخْلِ بالذّمّ تُوقَدُ
يَبِيدُ الفتى والحمدُ ليس ببائدٍ * ولكنّه للمرء فضلٌ مُؤَكَّدُ
ولا شىءَ يبقَى للفتى غيرُ جُوده * بما مَلَكَتْ كَفّاهُ والقومُ شُهَّدُ
ولائمةٍ فى الجُودِ نَهْنَهْتُ غَرْبَها[2] * وقلتُ لها بَنَّى[3] المكارمِ أحمدُ
فلمّا أَلَحَّتْ فى المَلامةِ وٱعترتْ[4] * بذلك غَيْظِى واعتراها التَّبَلُّدُ
[عرضتُ عليها خَصْلَتَيْنِ سَماحتى * وتَطْليقَها والكَفُّ عَنِّى أرشدُ][5]
فلَجَّتْ وقالتْ أنتَ غاوٍ مُبَذِّرٌ * قَرِينُك شيطانٌ مَرِيدٌ[6] مُفَنَّدُ
فقلتُ لها بِينِى فما فيك رغبةٌ * ولى عنك فى النِّسْوان ظِلٌّ ومَقْعَدُ
وعيشٌ أَنِيقٌ والنِّساءُ مَعادنٌ * فمِنْهنّ غُلٌّ شَرُّها يتمرّدُ[7]
لها كلَّ يوم فوق رأسى عارضٌ * من الشّرّ بَرّاقٌ يدَ الدهرِ يرعُدُ
وأخرى يَلَذُّ العيشُ منها، ضَجِيعُها * كريمٌ يُغادِيه من الطيرِ أسعدُ
فيا رَجُلاً حُرًّا خُذِ القَصْدَ واتْرُكِ الْـ * ـبَلايَا فإنّ الموتَ للنّاسِ مَوْعِدُ
فعِشْ ناعمًا وٱتْرُكْ مَقالةَ عاذلٍ * يلومُك فى بَذْلِ النَّدَى ويُفَنِّدُ
وجُدْ باللُّهَا[8] إنّ السماحةَ والنّدَى * هى الغايةُ القُصْوى وفيها التّمجّدُ
وحَسْبُ الفتَى مجدًا سماحةُ كفِّه * وذُو المجدِ محمودُ الفَعال محسَّدُ

(١) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « دينا » تصحيف . (٢) نهنهت غربها : كفكفت حدّتها وزجرتها . (٣) كذا فى ط ، جـ ، م ، ف . وفى سائر الأصول : « يبنى » تحريف . (٤) كذا فى الأصول . ولعلها : « ٱمترت » أى أثارت غيظى واستخرجته .
(٥) التكملة من ف . (٦) المريد : الخبيث المتمرّد الشرير . ومفند : مضعف الرأى .
(٧) يتمرد هنا : يجاوز الحد . (٨) اللها : العطايا ، واحدتها لهوة (بالضم والفتح) .

طلق امرأته لعذله إياه فلامه حنظلة ابن الأشهب فقال شعرا

قال فقالت له آمرأته : والله ما وفّقك الله لحظّك! أنهبت مالك و بذّرته وأعطيته هيّان بن بيّان[1]، ومن لا تدرى من أىّ هافية[2] هو! قال: فغضب فطلّقها، وكان لها محبّا وبها معجبا. فعنّفه فيها آبن عمّ لها يقال له حنظلة بن الأشهب بن رميلة[3]، وقال له: نصحتك فكافأتها بالطّلاق! فوالله ما وفّقت لرشدك، ولا نلت حظّك، ولقد خاب سعيك بعدها عند ذوى الألباب. فهلّا مضيت لطيّتك[4]، وجريت على ميدانك، ولم تلتفت الى آمرأة من أهل الجهالة والطّيش لم تخلق للمشورة ولا مثل رأيها يقتدى به! فقال آبن الحشرج لحنظلة:

أحنظل دع عنك الّذى نال ماله * ليحمده الأقوام فى كلّ محفل
فكم من فقير بائس قد جبرته * ومن عائل[5] أغنيت بعد التعيّل
ومن مترف عن منهج الحقّ[6] جائر * علوت بعضب ذى غرارين مقصل[7]
وزار[8] علىّ الجود والجود شيمتى * فقلت له دعنى وكن غير مفضل
فمثلك قد عاصيت دهرا ولم أكن * لأسمع أقوال اللئيم المبخّل
أبى لى جدّى البخل مذ كنت[9] يافعا * صغيرا ومن يبخل يلم ويضلّل
ويستغن عنه الناس، فاركب محجّة الـ * ـكرام ودع ما أنت عنه بمعزل

١٥٤ / ١٠

(١) هيان بن بيان : يقال لمن لا يعرف هو ولا يعرف أبوه . (٢) كذا فى ط ، م . يقال : هفت هافية من الناس أى طرأت . وفى سائر الأصول : محرفة بين « وما تدرى أيها فئة » و« وما تدرى أيتها فئة » . (٣) فى ط ، م : « ترملة » . وقد سموا « ثرملة » . ولعل الأشهب بن رميلة أبا حنظلة هذا هو الأشهب بن ثور بن أبى حارثة الشاعر الشجاع الذى وردت ترجمته فى الجزء التاسع (ص ٢١٩ من هذه الطبعة) ورميلة أمه . (٤) مضى لطيته أى لقصده ونيته التى انتواها .
(٥) العائل هنا : الفقير . (٦) كذا فى ط ، م . وفى ج : بدل « منهج الحق » « منهل الحق » . وفى سائر الأصول : « ومن مرتق عن منهل الحق حائد » . والمترف هنا : الجبار الذى أطغته النعمة .
(٧) كذا فى ط ، ج ، م . والسيف المقصل : القطاع . وفى سائر الأصول : « منصل » تحريف .
(٨) كذا فى ط ، م . وزار ، أى عائب عليه وعاتب . والبيت ساقط من أ . وفى سائر الأصول : « وزاد » تصحيف . (٩) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « مذ كان » .

فإنّى امرؤٌ لا أصحَبُ الدهرَ باخلاً * لئيماً وخيرُ النّاسِ كلُّ مُعَذَّلِ[1]

ومُسْتَخْمِقٍ غاوٍ أتتْه نَذيرتى[2] * فلجّ ولم يَعْرِفْ مَعَرَّةَ مِقْوَلى[3]

نفحتُ ببيتٍ يملأ الفَمَ شاردٍ * له حَبَرٌ كأنّه حِبْرُ مِغْوَلِ[4]

فكفَّ ـ ولو لم أَرْمِه شاعَ قولُه ـ * وصار كدِرْياقِ الذُّعَافِ المُثَمَّلِ[5]

وليلٍ دَجُوجِيٍّ سَرَيتُ ظلامَه * بناجيةٍ كالبُرْجِ[6] وَجْنَاءَ عَيْهَلِ[7]

إلى مَلِكٍ مِنْ آلِ مَرْوانَ ماجِدٍ * كريمِ المُحَيَّا سَيِّدٍ مُتَفَضِّلِ

يجودُ إذا ضَنَّتْ قريشٌ بِرِفْدِها * ويَسْبِقُها فى كلّ يومِ تَفَضُّلِ

أبوه أبو العاصى إذا الحربُ[8] شَمَّرتْ * مَرَاها[9] بمَسْنُونِ الغِرَارَيْنِ مِنْجَلِ

وَقُورٌ إذا هاجتْ به الحربُ مِرْجَمٌ * صَبُورٌ عليها غيرُ نِكْسٍ مُهَلَّلِ[10]

أقامَ لأهلِ الأرضِ دِينَ محمّدٍ * وقد أدبَرُوا وارتابَ كلُّ مُضَلَّلِ

---

(١) ورد هذا البيت فى أكثر الأصول بعد الذى يليه . وسياق الكلام يقتضى أن يكون موضعه هنا ، كما هو فى ط ، م . (٢) النذيرة : طليعة الجيش التى تنبه بأمر العدو . والمراد هنا الإنذار والكلام العنيف . (٣) معرة مقولى : أذى لسانى . (٤) كذا فى ط ، م . وورد بعد هذا البيت فيهما : « قال الخبر الأثر » . وفى سائر الأصول : « له خبر كأنه خبر منول » تصحيف . والحبر (بالتحريك وبكسر فسكون) : الأثر يبق من الضربة فى الجسم . والمغول : شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه ، أو هو سوط فى جوفه سيف دقيق . (٥) الدرياق (ويقال فيه الترياق) : دواء تعالج به السموم . والذعاف : السم القاتل لساعته . والمثمل : السم المنقع . وظاهر أن الضمير فى « صار » راجع إلى « بيت » فى قوله « نفحت ببيت » . (٦) فى ب ، س : « كالبرق » والبرج : الحصن . يصفها بالضخامة . (٧) ليل دجوجى : مظلم شديد السواد . والناجية من النوق : السريعة . والوجناء : الشديدة . والعيهل : السريعة . (٨) كذا فى ط ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « إذا الخيل » . (٩) كذا فى ط ، م . وفى ء : « مراها » . وفى أكثر الأصول : « فراها » تحريف . ومرى الناقة : مسح ضرعها لتدر . والمرى هنا مجاز . ومسنون الغرارين : كناية عن الرمح . والمنجل : الواسع الجرح من الأسنة .
(١٠) المرجم من الرجال : الشديد ، كأنه يرجم به عدوه . والنكس الضعيف الدنىء الذى لا خير فيه . والمهلل : الجبان ؛ يقال : هلل الرجل ، إذا فر وجبن .

فما زالَ حتّى قَوَّمَ الدِّينَ سَيفُه * وعَزَّ[1] بحَزمٍ كُلَّ قَرمٍ مُحَجَّلِ
وغادَرَ أهلَ الشَّك شتّى[2]، فمِنهُمُ[3] * قَتيلٌ وناجٍ فوقَ أجْرَدَ هَيكَلِ
نَجَا من رِماح القوم قُدْماً[4] وقد بَدَا * تَباشيرُه في العارِضِ المُتَهَلِّلِ

قال عاصم : يعني بهذا المدح محمدَ بن مَرْوان لمّا قَتَل مُصْعَبَ بن الزُّبَيْر بدَيْر الجَاثَلِيق[5] . وكان محمد بن مَرْوانَ يقوم بأمْره، ويُوَلّيه الأعمالَ، و يَشْفَع له إلى أخيه عبد الملك .

حواره مع ابن عم له لامه في تبذيره

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم قال حدّثنا العُمَريّ عن عطاء ابن مُصْعَب[6] عن عاصم بن الحَدَثان قال :

قال عبد الله بن الحَشْرَج لابن عمٍّ له لامه في إنهاب ماله وتَبْذيرِه إيّاه، وقال له فيما يقول : امرأتُك كانت أعلمَ بك، نَصَحَتْك فكافأتَها بالطلاق . فقال له : يابنَ عمّ، إنّ المرأة لم تُخْلَق للشُّورة، و إنّما خُلِقتْ وِثاراً[7] للباءة . ووالله إنّ الرُّشْد واليُمْنَ لفي خِلاف المرأة . يابنَ عمّ، إيّاك واستماعَ كلامِ النساء والأخْذَ به؛ فإنك إن أخذتَ به نَدِمتَ . فقال له ابن عمّه : والله ليُوشِكَنّ أن تحتاج يوماً إلى بعض ما أتلفتَ فلا تَقْدِر عليه ولا يُخْلِفه عليك هَنٌ وهَنٌ[8] . فقال ابن الحَشْرَج :

(١) عزّ هنا : غلب . والقرم هنا : السيد من الرجال . (٢) كذا في ط ، جـ ، م . وفي سائر الأصول : « أهل الشرك » . (٣) كذا في ط ، م . وفي أ : « شتى كأنهم » . وفي جـ ، ب ، س : « حتى كأنهم » تحريف . (٤) يقال : مضى فلان قدما (بضمتين ، وقد يسكن كما هنا) ، إذا مضى أمامه لم يعرج ولم ينثه شيء . (٥) دير الجاثليق : كان قرب بغداد ، غربي دجلة بين السواد وأرض تكريت . (٦) في بعض الأصول : « عطاء عن مصعب » تحريف . (٧) كذا في ط ، م . والوثار (بالفتح وبالكسر) : الفراش الوطيء . وفي سائر الأصول : « دثارا » . (٨) هن : كناية عن اسم الإنسان ، أي لا يخلفه عليك فلان وفلان .

وعاذلةٍ هَبّتْ بليلٍ تلومنى * وتعذِلُنى فيما أُفيدُ وأُتلِفُ
تلوّمتُها(1) حتّى إذا هى أكثرتْ * أتيتُ الذى كانت لَدَىّ تَوَكَّفُ(2)
وقلتُ(3) عليكِ الفَجّ(4) أكثرتِ فى النَّدَى * ومثلى تَحاماه الألدُّ المُغطرِفُ(5)
أبَى لِىَ ما قد سُمْتِنى غيرُ واحدٍ * أبٌ وجدودٌ مجدُها ليس يُوصَفُ
كهولٌ وشُبّانٌ مَضَوْا لسبيلهم * إذا ذُكِروا فالعينُ منّى تَذرِفُ
هُمُ الغيثُ إن ضَنّتْ سماءٌ بقَطْرها * وعندهمُ يرجو الحَيَا مُتلهِّفُ
وحَرْبٍ يخافُ النّاسُ(6) شِدّةَ عَرِّها(7) * تَظَلُّ(8) بأنواع المنيّةِ تَصْرِفُ(9)
حَمَوْها وقاموا بالسيوف لِحَيْنها(10) * إذا فَنِيتْ أضحتْ لهم وهى تَعصِفُ
فلمّا أبتْ إلا طِماحًا تَمَرّوا * بأسيافهم والقومُ فيهم تَعَجْرُفُ(11)
فذلّتْ وأعطتْ بالقِيادِ وأذعنتْ * إذا ما اشتهى قومى وذو الذُّلّ يُنْصِفُ
وكانت طَموحَ الرأسِ يَصْرِفُ نابُها(12) * من الشرّ تاراتٍ وطورًا تَقَفْقَفُ(13)
[فلمّا امتَرَيْنا بالسيوف خُلوفَها * تأبّتْ علينا والأسنّةُ تُرعَفُ](14)

(1) تلومتها: أمهلتها وانتظرت عليها . (2) توكف: توقع . وأصله «تتوكف» . (3) كذا فى ط، م . وفى سائر الأصول: «وقالت» تحريف . (4) فى ب، س: «الفخ» تصحيف . والفج: الطريق الواسع البين . أى الزمى الطريق الواضح . يريد بذلك تسريحها وتطليقها . وقوله أكثرت فى الندى أى أكثرت الكلام واللوم فيه . (5) تحاماه: توقاه واجتنبه . والألد من الرجال: الشديد الخصومة والجدل . والمغطرف: المتكبر المختال . (6) فى ط، م: «يهاب» . (7) فى ب، س: «حرها» والعر: الشر والأذى . (8) كذا فى ط، م . وفى سائر الأصول: «وظل» . تحريف .
(9) تصرف: تصوّت؛ يقال: صرف الإنسان والبعير نابه و بنابه، إذا حرقه فسمعت له صوتا .
(10) كذا فى ط، جـ، م . وفى سائر الأصول: «لحيها» تحريف . (11) التعجرف، ومثله العجرفة والعجرفية: ركوبك الأمر لا تروّى فيه . (12) كذا فى ط، م . وفى سائر الأصول: «يصرف بابها» تصحيف . (13) قفقف وتقفقف: ارتعد . (14) زيادة فى ط، م . وامترينا: حلبنا . والخلوف: جمع خلف (بالكسر) وهو هنا حلمة الضرع .

فَدَرَّتْ طِبَاقًا[1] وَارعوتْ بعد جَهْلِها * وكُنَّا رِمَامًا[2] لِلَّذِى يَتَصَلَّفُ

قال لابن زوى شعرا لأنه لامه فى تبذيره

قال : وقال عبد الله بن الحَشْرَج لِرفاعةَ بن زُوَىٍّ[3] النهدىّ فيما كان يلومُه فيه من التبذير والجود :

أُلَامُ على جُودِى وما خِلْتُ أنّنى * ببَذْلى وجُودِى جُرْتُ عن مَنْهَجِ القَصْدِ[4]

فيالَائِمى فى الجُــود أَقْصِرْ فإنّنى * سأبْذُل مالى فى الرّخاء وفى الجَهْدِ

وجدتُ الفَــتَى يَفْنَى وتبقَى فعالُه[5] * ولا شىءَ خيرٌ فى الحديث من الحَمْدِ

وإنّى وباللهِ آحتيالِى وحِرْفَــتِى[6] * أُصَيِّرُ جارِى بين أَحشاىَ[7] والكَبْدِ

أَرَى حَقَّه فى النّاس ما عِشْتُ[8] واجبًا * علىَّ وآتِى ما أَتيتُ على عَمْــدِ

وصاحبِ صِدْقٍ كان لى ففقدتُه * وصَيَّرنِى دَهْرِى إلى مَائِقٍ[9] وَغْدِ

يَـــلُومُ فَعَـالِى كلَّ يومٍ ولَيْـــلةٍ * ويعدو على الجيرانِ كالأَسَدِ الوَرْدِ

يُخَـالِفُنى فى كلِّ حقٍّ وباطـــلٍ * ويأنَفُ أن يَمْشِى[10] على مَنْهَجِ الرُّشْدِ

فلمّـا تَمَـادَى قلتُ غيرَ مُسامِحٍ * له : النَّهْجَ فَارْكَبْ يا عَسِيفَ[11] بنى نَهْدِ

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا عيسى بن إسمـاعيلَ العَتَكىّ قال حدّثنا ابنُ عائشة قال :

---

(١) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « فذرت » بالمعجمة ، تصحيف . وطباقا : دفعات متوالية . (٢) كذا فى ط . والرمام : جمع رمة (بالضم) وهى قطعة يشدّ بها الأسير ويقلد بها البعير . وفى سائر الأصول : « زمانا » تحريف . ويتصلف : يتكبر . (٣) ورد هذا الاسم محرّفا فى الأصول هنا كما تقدّم فى (ص ٢٤) . (٤) كذا فى ط ، م . وفى جـ : «حرت عن منهل القصد» . وفى سائر الأصول : « حدت عن منهل القصد » . (٥) فى ط ، م : « ويبقى فَعاله » . وكلاهما مستقيم . والفعال (بفتح الفاء) : اسم للكرم والفعل الحسن . (٦) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : «حرقتى» بالقاف ، تصحيف . (٧) فى ط ، م : «بين أحشاء» على حذف الياء . (٨) فى ط ، م : « ما عشت فى الناس » . (٩) كذا فى ط ، م . والمائق : الأحمق . وفى سائر الأصول : محرّفة بين « سابق » و « سائق » . (١٠) فى ط ، م : « يمسى » بالمهملة . (١١) العسيف : الأجير والعبد المستهان به .

مدحه زياد الأعجم فوصله

وفد زيادٌ الأعجمُ على عبد الله بن الحَشْرَج الجَعْدىّ وهو بسابورَ[1] أميرٌ عليها ، فأمر بإنزاله وألْطَفه وبعث إليه ما يحتاج إليه ، ثم غدا عليه زيادٌ فأنشده :

إنّ السّماحةَ والمُروءة والنّدى * فى قُبّةٍ ضُرِبتْ على ٱبن الحَشْرَجِ
مَلِكٌ أغرُّ مُتَوَّجٌ ذو نائلٍ * للمُعْتَفِينَ يمينُه لم تَشْنَجِ[2]
يا خيرَ مَنْ صَعِدَ المنابرَ بالتُّقَى * بعد النبىّ المصطفى المُتَحَرِّجِ[3]
لمّا أتيتُك راجياً لِنَوالِكُمْ * ألفيتُ بابَ نَوالِكم لم يُرْتَجِ

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم .

وقد قيل : إنّ الأبياتَ التى ذكرتُها وفيها الغناءُ ونسبتُها إلى عبدالله بن الحَشْرَج لغيره . والقول الأصحّ هو الأوّل . أخبرنى بذلك محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا الخليل بن أَسَد قال حدّثنا العُمَرىّ عن هشام بن الكلبىّ : أنه سمع أبا بَاسِلٍ الطائىّ يُنْشِد هذا الشعر ، فقلت : لمن هو ؟ فقال : لِعمِّى عَنْترةَ بن الأَخْرَس[4] . قال : وكان جَدّى أَخْرَسَ ، فوُلِد له سبعةٌ أو ثمانيةٌ كلُّهم شاعرٌ أو خطيب[5] . ولعلّ هذا من أكاذيب ابن الكلبىّ ، أو حكاه عن رجل ٱدّعى فيه ما لا يعلمَ .

١٥٦ / ١٠

صوت

أصاحِ ألَا هَلْ من سبيلٍ إلى نَجْدِ * وريحِ الخُزَامَى غَضّةً من ثَرَى جَعْدِ
وهل لِلياليِنا بذى الرِّمْثِ[6] مَرْجِعٌ * فتَشْفِى جَوَى الأحزانِ من لاعِجِ الوَجْدِ

عروضه من الطويل . الشعر لِلطِّرِمّاح بن حَكِيم . والغناء ليحيى المكىّ ، ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصَر من كتابه .

(١) كذا فى ط ، م ، وأخبار زياد الأعجم (جزء ١٤ صفحة ١٠٥ طبعة بلاق) . وفى سائر الأصول هنا : «بنيسابور» . وسابور : كورة مشهورة بأرض فارس . (٢) شنجت يده : تقبضت ؛ وتقبض اليد كناية عن البخل ، وبسطها كناية عن الكرم . (٣) فى بعض الأصول : «المستخرج» تحريف . (٤) أورد أبو تمام فى الحماسة (ص ١٠٨ طبعة أوربا) بعض أبيات منها منسوبة له . (٥) فى ط ، م : «شاعر خطيب» . (٦) ذو الرمث : واد لبنى أسد . (عن معجم البلدان) .

أخبار الطِّرِمّاح ونسبه

نسب الطرماح وبعض أخباره

هو الطِّرِمّاح بن حَكِيم بن الحَكَم بن نَفْر بن قَيْس بن جَحْدَر(١) بن ثَعْلَبَة بن عَبْد رِضَا ابن مالك بن أَمَان(٢) بن عَمْرو بن رَبيعة بن جَرْوَل بن ثُعَل بن عَمْرو بن الغَوْث بن طيِّئ. ويُكْنَى أبا نَفْر، وأبا ضَبِينة(٣). والطِّرِمّاح: الطويلُ القامة. وقيل: إنّه [كان](٤) يُلقَّب الطِّرّاح. أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفَليّ عن أبيه قال:

كان الطِّرِمّاح بن حكيم يُلقَّب الطِّرّاح(٥) لقوله:

[صـــوت](٤)

أَلَا أيُّها اللّيلُ الطويلُ الّا ارْتَحِ ... بصُبْحٍ(٦) وما الإصباحُ منكَ بأَرْوَحِ

بَلَى إنّ للعينين في الصُّبْحِ راحةً ... بِطَرْحِهِما طَرْفَيْهِما كلَّ مَطْرَحِ

في هذين البيتين لأحمد بن المكيّ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من كتابه.

والطِّرِمّاح من فُحُول الشعراء الإسلاميين وفُصَحائهم. ومنشؤه بالشام، وآنتقل إلى الكوفة بعد ذلك مع من وَرَدَها من جُيوش أهل الشأم، وآعتقد مذهب الشُّراة الأَزارقة(٧).

---

(١) في جـ: «جحد» وفي سائر الأصول: «جحر». والتصويب من ط، م، والمعارف والشعر والشعراء لابن قتيبة. (٢) كذا في ط، م. وفي سائر الأصول: «أبان» تحريف.
(٣) في الأصول ماعدا ط، م: «أبا ضبيبة» بالباء، تصحيف. (٤) التكملة من ط، م.
(٥) في الأصول ما عدا ط، م: «الطرماح» تحريف. (٦) في هامش ط: «ويروى بيم» مكان قوله: بصبح». ورواية البيت في الديوان واللسان (بمم)، ومعجم البلدان (بمّ):

ألا أيها الليل الذي طال أصبحن ... ببمّ وما الإصباح فيك بأروح

وبمّ: مدينة بكرمان. وفي ط، م: «فيك» بدل «منك». (٧) الشراة: الخوارج. والأزارقة طائفة منهم، وهم أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق، خرجوا مع نافع من البصرة إلى الأهواز فغلبوا عليها وعلى كورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان، أيام عبد الله بن الزبير، وقتلوا عماله في تلك النواحي. ولهم بدع، منها أنهم يكفرون أصحاب الكبائر، حتى لقد كفروا عليا وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وسائر من معهم من المسلمين، وصوّبوا فعلة ابن ملجم في قتله عليا رضي الله عنه، وجوّزوا قتل المخالفين لهم وسبي نسائهم.

أخبرنى إسماعيلُ بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّةَ عن المدائنى عن أبى بكر الهذلىّ قال :

قَدِم الطِّرِمّاحُ بن حَكِيم الكوفةَ، فنزل فى تَيْم اللّاتِ بن ثعلبة، وكان فيهم شيخٌ من الشُّراة له سَمْتٌ وهيئة، وكان الطِّرِمّاح يُجالسه ويسمع منه، فرسَخ كلامُه فى قلبه، ودعاه الشيخ إلى مذهبه، فقبِله وآعتقده أشدَّ آعتقادٍ وأصحَّه، حتى مات عليه . ٥

أخبرنى آبن دُرَيْد قال حدّثنا عبدالرحمن بن أخى الأصمعىّ عن عمّه قال قال رؤبة :

كان الطِّرِمّاح والكُمَيت يصيرانِ إلىّ فيَسْألانِى عن الغريب فأُخْبِرهما به، فأراه بَعْدُ فى أشعارهما .

أخبرنى محمدُ بن العبّاس اليَزيدىّ قال سمعت محمد بن حَبِيبَ يقول :

سألتُ آبنَ الأعرابىّ عن ثمانىَ عَشْرةَ مسألةً كلُّها من غريب شعر الطِّرِمّاح، ١٠ فلم يَعْرِف منها واحدةً، يقول فى جميعها : لا أدْرِى، لا أدْرِى .

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّةَ، وأخبرنا إبراهيم بن أيُّوب قال حدّثنا آبن قُتَيْبةَ، قالا :

كان الكُمَيْتُ بن زيد صديقا للطِّرِمّاح، لا يكادانِ يفترقانِ فى حالٍ من أحوالها . فقيل للكميت : لا شىءَ أعجبُ من صفاء ما بينك وبين الطِّرِمّاح على تباعُدِ ما يجمعُكما ١٥ من النَّسَب والمَذْهب والبلد(١) : هو شآمىّ قَحْطانىّ شارِىٌّ، وأنت كوفىٌّ نِزارىٌّ شِيعىٌّ، فكيف آتّفقتما مع تبايُنِ المذهب وشِدّة العصبيّة ؟ فقال : آتّفقنا على بُغْض العامّة .

قال : وأُنشِد الكميتُ قولَ الطرمّاح :

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطِّرِمّاحِ أخْلقتْ * عُرَى المَجْدِ وآسْتَرْخَى عِنانُ القصائدِ

١٥٧/١٠

فقال : إى والله ! وعِنانُ الخَطَابةِ والروايةِ والفصاحةِ والشجاعة . وقال عمر بن شَبّة : « والسماحة » مكان « الشجاعة » . ٢٠

(١) كذا فى ط . وفى سائر الأصول : « والبلاد » .

وفد على مخلد بن زياد ومعه الكميت وقصتهما فى ذلك

نسختُ من كتاب جدّى لأمّى يحيى بن محمد بن ثَوابةَ ــ رحمه الله تعالى ــ بخطه قال حدّثنى الحسن بن سعيد(1) عن محمد بن حَبِيبَ عن آبن الأعرابىّ قال:

وَفَد الطِّرِمّاح بن حكيم والكُمَيْتُ بن زيد على مَخْلَد بن يزيد المُهَلَّبىّ، فجلس لهما ودعاهما(2). فتقدّم الطِّرِمّاح لِيُنْشِدَ؛ فقال له(3): أَنْشِدْنا قائمـا. فقال: كلّا والله! ما قَدْرُ الشعرِ أن أقومَ له فيَحُطَّ منّى بقيامى وأَحُطَّ منه بضَراعتى، وهو عمود الفخر وبيت الذِّكْرِ لمآثر العربِ. قيل له: فتَنَحَّ. ودُعِى بالكميت فأنشد قائمـا، فأمر له بخمسين ألفَ درهم. فلمّا خرج الكُمَيْتُ شاطَرها الطِّرِمّاحَ، وقال له: أنت أبا ضَبِينةَ أبعدُ هِمّةً وأنا ألطَفُ حِيلةً. وكان الطرماح يُكْنَى أبا نَفْرٍ وأبا ضَبِينةَ.

كان هو والكميت فى مسجد الكوفة فقصدهما ذو الرمة فاستنشدهما وأنشدهما

ونسخت من كتابه رضى الله عنه: أخبرنى الحسن بن سعيد قال أخبرنى آبن عَلّاق قال أخبرنى شيخٌ لنا أنّ خالد بن كُلْثوم أخبره قال:

بينـا أنا فى مسجد الكوفة اريد الطِّرِمّاح والكميت وهما جالسانِ بقُرْبِ باب الفيل(4)، إذ رأيتُ أعرابيا قد جاء يَسْحب أهداماً(5) له، حتى إذا توسّط المسجدَ خرّ ساجدًا، ثم رمى ببصره فرأى الكميتَ والطِّرِمّاحَ فقصدهما. فقلتُ: مَنْ هذا الحائن(6) الذى وقع بين هذين الأسَدين! وعَجِبتُ من سَجْدته فى غير موضع سُجود وغيرِ وقت صلاة. فقصدتُه، ثم سلّمت عليهم ثم جلست أمامهم. فالتفتَ إلى الكُمَيت فقال: أَسْمِعْنى شيئا يا أبا المُسْتَهِلّ؛ فأنشده قولَه:

* أبتْ هـٰـذِهِ النَّفْسُ إلّا آدِّكارَا *

(1) كذا فى ط. وفى سائر الأصول هنا: «الحسين بن سعد» تحريف. (راجع السند الذى بعده، والجزء التاسع صفحة ١٠٣ سطر ١٢) . (2) فى ط: «ودعابهما». (3) فى ط: «فتقدّم الطرماح لسنه، فقيل له أنشد قائما فقال: كلا ...». (4) باب الفيـل: موضع بالكوفة. سمى بذلك لأن زياد بن أبيه لما تزوّج أم أيوب بنت عمارة بن عقبة بن أبى معيط وهى حدثة كان يأمر بفيل كان عنده فيوقف، فتنظر إليه أم أيوب. (الطبرى ق ٢ ص ٢٧). (5) الأهدام: جمع هدم (بالكسر) وهو الثوب البالى المرقع. (6) الحائن: الهالك، وكل مالم يوفق للرشاد فهو حائن.

حتى أتى على آخرها . فقال له : أحسنتَ والله يا أبا المستهلّ فى ترقيص هذه القوافى ونَظْمِ عِقْدِها [1] ! ثم التفتَ إلى الطِّرِمّاح فقال : أسْمِعْنى شيئا يا أبا ضَبِينةَ ، فأنشده كلمته التى يقول فيها :

أساءكَ تقويضُ الخليطِ المُبَاينِ [2] * نعم والنَّوَى قَطّاعةٌ للقرائنِ

فقال : لله دَرُّ هذا الكلام ! ما احسنَ إجابته لِرَوِيّتِكَ ! إنْ كِدْتُ [3] لأُطِيلُ لك حسدًا . ثم قال الأعرابىّ : والله لقد قلتُ بعدكما ثلاثةَ أشعار ، أمّا أحدها فكِدْتُ أطير به فى السماء فرحًا . وأمّا الثانى فكدتُ أدَّعى به الخلافةَ . وأمّا الثالث فرأيتُ [4] رقصانًا آستفزّنى به الجَذَلُ حتّى أتيتُ عليه . قالوا : فهاتِ ، فأنشدهم [قوله] [5] :

أأنْ تَوَهَّمْتَ [6] منْ خَرْقاءَ منزلةً * ماءُ الصَّبابةِ من عينيك مسجومُ

حتّى إذا بلغ قولَه :

تَنْجُو إذا جعلتْ تَدْمَى أخِشّتُها * وآبتَلّ بالزَّبَدِ الجَعْدِ الخَراطِيمُ [7]

قال : أعلمتم أنّى فى طلب هذا البيت منذ سنةٍ ، فما ظَفِرتُ به إلّا آنفًا ، وأحسبكم قد رأيتم السجدةَ له . ثم أسمعهم قولَه :

* ما بالُ عينِك منها الماءُ يَنْسَكِبُ *

ثم أنشدهم كلمته الأخرى التى يقول فيها :

إذا اللّيلُ عن نَشْزٍ تَجلّى رَمَيْنَهُ * بأمثالِ أبصارِ النِّساءِ الفَوارِكِ

(١) كذا فى ط . وفى سائر الأصول : «وتعلم عقدها» تحريف . (٢) التقويض هنا : نزع القوم أعواد خيامهم وأطنابها . والخليط هنا : القوم الذين أمرهم واحد . وذلك أن العرب كانوا ينتجعون أيام الكلأ ، فتجتمع منهم قبائل شتى فى مكان واحد ، فتقع ألفة ، فإذا قوضوا خيامهم وافترقوا ورجعوا إلى أوطانهم ساءهم ذلك . (٣) كذا فى ط . وفى سائر الأصول : «إن كنت» تحريف . (٤) فى ط : «فلقد رأيت» . (٥) زيادة فى ط ، م . (٦) فى ديوان ذى الرمة : «أعن ترسمت» بإبدال الهمزة عينا . وترسمت الدار : نظرت رسومها . والصبابة : رقة الشوق . ومسجوم : مصبوب . (٧) تنجو : تسرع . والأخشة : جمع خِشاش وهو الحلقة التى توضع فى أنف البعير ليجذب بها . والجعد من الزبد : الثخين الغليظ ، فإن كان رقيقا فهو هَيّان (بتشديد الياء مكسورة) .

١٥٨

قال : فضرب الكُمَيْتُ بيده على صدر الطِّرِمَّاح، ثم قال : هذه والله الدِّيباجُ لا نَسْجي ونسجك الكرابيس[1] . فقال الطرماح : لن أقول ذلك و إن أقررتُ بجَوْدته .

١٠ فقطّب[2] ذو الرُّمّة وقال : يا طِرِمّاح! أأنت تُحْسِنُ أن تقول :

وكائنْ تَخَطَّتْ ناقتي من مَفَازةٍ * إليكَ ومِنْ أحواضِ ماءٍ مُسَدَّمِ[3]

٥ بأعْقارِهِ القِرْدانُ هَزْلَى كأنّها * نَوادرُ صِيصاءِ الهَبِيدِ المُحَطَّمِ[4]

فأصغى الطِّرِمّاح إلى الكميت وقال له : فانظُرْ ما أخذ من ثواب هذا الشعر ! — قال : وهذه قصيدةٌ مَدَح بها ذو الرُّمّة عبدَ الملك ، فلم يَمْدَحْه فيها ولا ذَكَره إلّا بهذين البيتين ، وسائرُها في ناقته . فلمّا قدِم على عبد الملك بها أنشده إيّاها . فقال له : ما مدحتَ بهذه القصيدة إلا ناقتَك ، فخُذْ منها الثّوابَ . وكان ذو الرُّمّة غيرَ

١٠ محظوظ من المديح — قال : فلم يَفْهَمْ ذو الرُّمّة قولَ الطرماح للكميت . فقال له الكميت : إنه ذو الرمّة وله فضلُه ، فأعْتِبْه[5] . فقال له الطرماح : معذرةً إليك ! إنّ عِنانَ الشِّعْرِ لفي كَفِّك ، فارْجِعْ مُعْتَبًا، وأقول فيك كما قال أبو المستهلّ .

مر يخطر بمسجد البصرة فسأل عنه رجل فأنشد هو شعرا

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى الصُّوليّ قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدّثني محمد بن إبراهيم بن عَبّاد قال حدّثني أبو تمّام الطائيّ قال :

١٥ مَرّ الطرماح بن حكيم في مسجد البَصْرة وهو يخطِر في مِشْيته . فقال رجل : مَنْ هذا الخَطّار ؟ فسمعه فقال : أنا الذي أقول :

(١) الكرابيس : جمع كرباس (بكسر الكاف) وهو ثوب غليظ من القطن . (٢) كذا في ط ، م . وفي سائر الأصول : « فغضب » . (٣) الماء المسدم : المتغير لطول العهد .

(٤) في هذا البيت تحريف كثير في الأصول . والصواب في ط والديوان . والأعقار : جمع

٢٠ عقر . وعقر الحوض : مؤخره حيث تقف الإبل اذا وردت . وفي الديوان : « بأعطانه » . وقد أشار شارح الديوان إلى روايتنا . والأعطان : مبارك الإبل . والهبيد : حب الحنظل . والصيصاء : الضاوى الهزيل منه . يقول : القردان ليس لديها شيء تأكله فهي هزلى؛ فشبهها بما يشذ ويخرج من ضاوى حب الحنظل . (راجع شرح الديوان) . (٥) أعتبه : أرضاه وأزال عتبه .

صـــوت

لقـــد زادَنِى حُبًّـا لِنَفْسِىَ أننى * بَغِيضٌ إلى كلِّ آمرِئٍ غيرِ طائِلِ (١)

وأنِّى شَــقِىٌّ باللِّئـام ولا ترى * شــقِيًّا بهــم إلّا كريمَ الشمائـلِ

إذا ما رآنى قطّع الحـظَّ (٢) بينـه * وبينِىَ فعـلَ العارفِ المُتَجاهِـلِ

ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنّهـا * من الضِّيق فى عينيه كِفّةُ (٣) حابِلِ ٥

فى هذه الأبيات لأبى العُبَيْس بن حمدون خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبِنصر .

قصته مع خالد القسرى حين وفد عليه يمدح

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال أخبرنا إسماعيل بن مُجَمِّع قال حدّثنا هشام ابن محمد قال أخبرنا آبن أبى العَمَرَّطة الكِنْدىّ قال :

مدَح الطِّرِمّاحُ خالدَ بن عبد الله القَسْرىّ، فأقبلَ على العُرْيان (٤) بن الهَيْثَم فقال : ١٠ إنّى قد مدَحْتُ الأمير فأُحِبّ أن تُدْخِلَنى عليه . قال : فدخلَ إليه فقال له : إنّ الطِّرِمّاح قد مدحك وقال فيك قولًا حسنًا . فقال : مالى فى الشعر من حاجة . فقال العُرْيانُ للطرمّاح : تَراءَ له . فخرج معه (٥)، فلمّا جاوز دارَ زيادٍ وصعِد المُسَنّاة (٦) إذا شىءٌ قد آرتفع له ، فقال : ياعُرْيان آنظُرْ، ماهذا؟ فنظر ثم رجع فقال : أصلَح الله الأميرَ ! هذا شىءٌ بعث به إليك عبدُ الله بن أبى موسى من سِجِسْتان، فإذا حُمُرٌ وبِغالٌ ورجالٌ وصبيانٌ ونساءٌ . فقال : ياعُرْيان، أين طِرِمّاحُك هذا ؟ قال : هاهنا . قال : أعْطه ١٥ كلَّ ماقُدِم به . فرجع إلى الكوفة بمـا شاء ولم يُنْشِده . قال هشام : والطِّرِمّاح : الطـــويل .

(١) رجل غير طائل أى دون خسيس . (٢) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : «الحن» تحريف . وفى الديوان : « الطرف دونه * ودونى فعل ... الخ » . (٣) كفة الصائد : حبالته ، أى مصيدته . (٤) كان العريان بن الهيثم بن الأسود النخعىّ أحد أشراف العراق ٢٠ المقدمين حين كان خالد القسرى أميرا على العراق . (٥) أى خرج العريان مع خالد . (٦) المسناة : الأحباس تبنى فى وجه السيل .

سمع بيتا لكثير في عبد الملك فقال لم يمدحه بل هزه

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم قال حدّثني الحَجَّاجيّ[1] قال: بلغني أنّ الطِّرِمّاح جلس في حَلْقَـةٍ فيها رجلٌ من بني عَبْس ، فأنشـد العَبْسيُّ قولَ كُثَيِّرٍ في عبد الملك :

فكنتَ المُعَلَّى إذ أُجِيلتْ[2] قِدَاحُهُم * وجال المَنِيـحُ وَسْـطَها يتقلقـلُ

١٥٩/١٠

فقال الطِّرِمّاح: أمَا إنّه ما أراد به أنه أعلاهم كعباً، ولكنه موّه عليه في الظاهر وعنَى في الباطن أنه السابع من الخُلَفاء الذين كان كُثيِّرٌ لا يقول بإمامتهم؛ لأنه أخرج عليّاً عليـه السلام منهم، فإذا أخرجه كان عبد الملك السابع، وكذلك المُعَلَّى السابعُ من القِدَاح ؛ فلذلك قال ماقاله . وقد ذكر ذلك في موضع آخر فقال :

وكان الخَلائفُ بعدَ الرَّسو * لِ لِلهِ كُلُّهُـمُ تابِعَـا
شَـيدانِ من بعد صِدِّيقِهِمْ * وكانَ آبنُ حَرْبٍ[3] لهم رَابِعـا
وكان آبنُـه بعدَه خامسًـا * مُطيعًا لمن قبلَه سامعـا
ومَرْوانُ سَادِسُ مَنْ قدمضَى * وكان آبنُـه بعـدَه سابعـا

قال: فعجِبْنا من تنبُّه الطرمّاح[4] لمعنَى قولِ كُثَيِّر، وقد ذهب على عبد الملك فِطْنتُه مدحا .

فضله أبو عبيدة والأصمعي ببيتين له

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دمَاذ قال : كان أبو عُبَيْـدة والأصمعيّ يفضِّلان الطِّرِمّاح في هذين البيتين ، ويزعُمان أنّه فيهما أشعرُ الخَلْق :

(١) في ب، س، أ، حـ : «المجابى» تحريف . (٢) في أ، حـ، ب، سـ : «أجلت» . والمعلى من القداح، له أكبر نصيب من أنصبة قداح الميسر، وهي عشرة. والمنيح : قدح منها لا نصيب له .
(٣) وردت هذه الكلمة في أكثر الأصول محرفة بين «خول» و «حزل» و «حول» والصواب في ط، م . وابن حرب هو معاوية بن أبي سفيان .
(٤) في ط، م : «من فطنة الطرماح» .

مُجْتَابُ حُلَّةِ بُرْجُدٍ لِسَرَاتِه * قِدَدًا وأَخْلَفَ ماسِواه البُرْجُدُ[1]

يبدو وتُضْمِرُه البِلادُ كأنّه * سَيْفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

أثنى أبو نواس على بيت له

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا دَمَاذ قال قال أبو نُوَاس : أشعرُ بيتٍ قيل بيتُ الطِّرِمّاح :

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطِّرِمّاح أَخْلَقَتْ * عُرَى المجد وٱسْتَرْخَى عِنانُ القصائدِ

مناقضة بينه و بين حميد اليشكرى

أخبرني الحسينُ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عُبَيْدَةَ قال : فضّل الطِّرِمّاحُ بني شَمْخٍ[2] في شعره على بني يَشْكُرَ ، فقال حُمَيْد اليَشْكُرِيّ :

أتجعلُنا إلى شَمْخِ بن جَرْمٍ[2] * ونَبْهانٍ فَأُفٍّ لذا زَمانا[3]

ويومَ الطّالَقانِ حَمَاكَ[4] قَوْمِي * ولم تَخْضِبْ بها طَيٌّ سِنانَا

فقال الطرمّاحُ يُجيبُه :

لقد علم المُعَذَّلُ يومَ يدعو * بِرِمْثَةَ[5] يومَ رِمْثَةَ إذ دعانا

فوارسُ طَيِّئٍ مَنَعُوه لمّا * بكى جَزَعًا ولولاهم لَحَانا[6]

فقال رجلٌ من بني يَشْكُرَ :

لأَقْضِيَنَّ قضاءً غيرَ ذي جَنَفٍ * بالحقِّ بين حُمَيْدٍ والطِّرِمّاحِ

جَرَى الطِّرِمّاحُ حتى دَقَّ مِسْحَلَهُ[7] * وغُودِرَ العبدُ مقرونًا بوَضّاحِ

يَعْنِي رجلًا من بني تميم كان يُهاجي اليشكريّ .

(١) مجتاب حلة : لابسها ، من اجتاب الشيء : قطعه . والسراة : الظهر . والبرجد (بالضم) : كساء من صوف أحمر . يريد أن يصف متن الثور الوحشي بالحمرة . وقيل : البرجد : كساء مخطط ضخم . والقدد : جمع قدة (بالكسر) وهي القطعة من الشيء . (٢) في أكثر الأصول وديوان الطرماح (ص ١٨١) « سمح بن حزم » والصواب في ط ، م . وشمخ ابن جرم ونبهان : بطنان من طيئ . (٣) في أكثر الأصول وديوان الطرماح : « فان لنا زمانا » والصواب في ط ، م .

(٤) في أكثر الأصول : « حمال » باللام . والصواب في ط ، م . والطالقان : اسم بلدتين ، إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ ، بينها وبين مرو الروذ ثلاث مراحل . والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر . (٥) رمثة : ماء ونخل لبني ربيعة باليمامة . (٦) حان : هلك .

(٧) المسحل هنا : اللجام ، وقيل فأس اللجام .

شعر له فى الشراة

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا الرِّياشىّ قال قال الأصمعىّ قال خَلَفٌ :

كان الطِّرِمّاح يَرى رأىَ الشُّراة، ثم أنْشَد له :

لله دَرُّ الشُّــرَاةِ إنّهـــمُ * إذا الكَرَى مالَ بالطُّلَى أَرِقُوا[1]

١٦٠/١٠

يُرَجِّعون الحَنِينَ آونةً * وإن عَلَا ساعةً بهم شَهِقوا

٥ خوفاً تبيتُ القلوبُ واجفةً * تكاد عنها الصدورُ تنفلِق

كيف أُرَجِّى الحياةَ بعدهمُ * وقد مضى مُؤْنِسىٌّ فانطلقوا

قَــومٌ شِحاحٌ على اعتقادِهمُ * بالفَوْز ممّا يُخافُ قد وَثِقوا

أنشد خالدا القسرى شعرا فى الشكوى فأجازه

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال أخبرنا أبو عثمان عن التَّوَّزىّ عن أبى عُبَيدة عن يونس قال :

١٠ دخل الطِّرِمّاح على خالد بن عبد الله القَسْرىّ فأنشده قولَه :

وشيَّبَنى ما لَا أَزالُ مُنَاهِضاً * بغــيرِ غِــنًى أسْمُــو به وأَبوعُ[2]

وأنّ رجالَ المــال أضحَوْا ومالُهمْ * لهم عنــد أبواب الملوك شَفِيعُ

أمُخْتَرِمِى رَيْبُ المَنُون ولم أَنَلْ * منَ المــالِ ما أَعْصِى به وأُطِيعُ

فأمر له بعشرين ألف دِرْهم وقال : آمْضِ الآن فاَعْصِ بها وأَطِـعْ .

قال المفضل : كأنه يوحى اليه، فى الهجاء ثم أنشد من هجائه

١٥ أخبرنى الحسنُ بن علىّ قال حدّثنــا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَةَ قال حدّثنــا حُذَيفة بن محمد الكوفىّ قال قال المُفَضَّل :

إذا رَكِب الطرِمّاحُ الهجاءَ فكأنّمــا[3] يُوحَى إليه، ثم أنشد له قولَه :

لوحانَ وِرْدُ تَمِيم ثم قيــل لهــا[4] * حوضُ الرّسولِ عليه الأزْدُ لم تَرِدِ

---

(١) الطلى : الأعناق، واحدها طُلْية . (٢) يبوع : يمد باعه . يريد يبسط يده بالإنفاق والبذل . (٣) فى ط ، م : «فكأنه» . (٤) فى أكثر الأصول : «ثم قال لها» . والصواب فى ط ، م .

٢٠

أوْ أنزلَ الله وحيًا أنْ يُعَـذِّبَهَا * إن لم تَعُـدْ لِقتالِ الأزْدِ لم تَعُـدِ
لاعَزَّ نَصرُ آمرئٍ أضْحَى له فرسٌ * على تميمٍ يُريد النصرَ من أحَدِ
لو كان يَخْفَى على الرحمن خافيـةٌ * من خلقِه خَفِيتْ عنه بنو أسَـدِ (١)

افتقده بعض صحبه فلم يرعهم إلا نعشه

أخبرنى إسماعيل بن يونُس قال أخبرنا عُمَر بن شَـبَّة قال حدّثنى المدائنىّ قال حدّثنى آبنُ دأبٍ عن آبن شُبْرُمَةَ ، وأخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ قال أخبرنى أبى قال حدثنى الحسنُ بن عبد الرحمن الرِّبَعِىّ قال حدّثنى محمدُ بن عِمْرانَ قال حدّثنى إبراهيمُ بن سَوّار الضَّبِّىّ قال حدّثنى محمد بن زِيادٍ القُرَشىّ عن آبن شُبْرُمَةَ قال :

كان الطِّرِمّاحُ لنا جليسًا ففَقَدْناه أيامًا كثيرة ، فقُمْنا بأجْمَعِنا لننظرَ ما فَعَل ومادهاه . فلما كُنّا قريبًا من منزله إذا نحن بنَعْشٍ عليه مُطْرَفٌ أخْضَرُ ، فقلنا : لِمَنْ هذا النَّعْشُ؟ فقيل : هذا نعشُ الطِّرِمّاح . فقلنا : واللهِ ما آستجاب اللهُ له حيث يقول :

وإنى لَمُقْتـادٌ جَـوادِى وقاذِفٌ (٢) * به وبنَفْسِى العامَ إحدى المَقَاذِفِ
لأَكسِبَ مالًا أو أؤولَ إلى غِنًى * منَ اللهِ يَكْفِينِى عِدَاتِ الخَلَائِفِ (٣)
فيارَبِّ إنْ حانَتْ وفاتى فلا تَكُنْ (٤) * على شَرْجَعٍ يُعْلَى بخُضْرِ (٥) المَطـارِفِ
ولكنّ قَبْرِى بطنُ نَسْرٍ مَقِـيلُه * بجَوّ السماء فى نُسـورٍ عَـوَاكِفِ

(١) ورد هذا البيت فى ط قبل البيت الذى سبقه . (٢) فى أساس البلاغة (مادة قذف) : « فقاذف » . (٣) العدات : جمع عدة ، وهى ما يوعد به من صلة . والخلائف : جمع خليفة . (٤) فى الديوان : « أذا العرش إن حانت ... الخ » . وفى عيون الأخبار (جـ ٢ ص ٢٠٧ طبع دار الكتب) : « فيارب لا تجعل وفاتى إن أتت » . (٥) فى الشعر والشعراء ، وعيون الأخبار : « يعلى بدكن » . والشرجع : النعش ، وهو السرير يحمل عليه الميت .

وأمسى شهيداً ثاوياً فى عِصَابة * يُصابُون فى فَجٍّ من الأرض خائف
فَوَارِسُ من شَيْبانَ أَلَّفَ بينهم * تُقَى الله نَزّالون عند التَّزاحُف
إذا فارقوا دُنياهمُ فارقوا الأذى * وصاروا إلى ميعاد ما فى المصاحف[1]

صوت

١٦١ / ١٠

هل بالدِّيار التى[2] بالقاع من أحدٍ * باقٍ فَيَسْمَعَ صوتَ المُدْلِجِ السارى
تلك المنازلُ من صَفْراءَ ليس بها * حَىٌّ يُجِيبُ[3] ولا أصواتُ سُمّار

الشعر لَبْنَهْيس الجَرْمىّ . والغناء لابن مُحْرِز ثانى ثقيل بالبِنْصر، عن عمرو وقال : ذكر ذلك يحيى المكىّ، وأظنّه من المَنحول. وفيه لطَيّاب بن إبراهيم الموصلىّ خفيفُ ثقيلٍ، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحب الوَضُوء :

* ارْفَعْ ضَعِيفَك لا يَحُرْ بك ضَعْفُه[4] *

(١) فى الديوان : « موعود ما فى المصاحف » . (٢) كذا فى ط ، م . وفى أكثر الأصول : « وهل » بدل « التى » . (٣) فى ب، س : « نار تضىء» وكذلك وردت هذه الرواية فيهما فى (جـ ١٩ ص ١٠٧) وفيهما : « ويروى : ... ... ليس بها * حى يجيب ... ... » .
(٤) تمامه * يوما فتدركه العواقب قد نما * راجع الأغانى (جـ ٣ ص ١٣٤ من هذه الطبعة) .

أخبار بَيْهَسٍ ونسبه (١)

نسبه

هو بَيْهَس بن صُهَيْب (٢) بن عامر بن عبد الله بن ناتل (٣) بن مالك بن عُبَيْد بن عَلْقَمة آبن سَعْد بن كَثِير بن غالِب بن عَدِىّ بن سُمَيْس (٤) بن طَرود بن قُدَامة بن جَرْم بن رَبّان (٥) آبن حُلْوان بن عِمْران بن إلحاف بن قُضَاعة، شاعرٌ فارسٌ من شعراء الدولة الأُمَويّة. وكان يبدو بنواحى الشام مع قبائل جَرْم وكَلْب وعُذْرة، ويحضُر إذا حَضَروا فيكون بأجناد الشأم.

اتهم بقتل غلام من قيس فاستجار بمحمد بن مروان

قال أبو عمرو الشيبانىّ: لمّـا هدأتِ الفِتْنةُ بعد وَقْعة مَرْج [راهِط] (٦) وسكن الناسُ، مرّ غلامٌ من قَيْسٍ بطوائفَ من جَرْم وعُذْرةَ وكَلْب، وكانوا مُتَجاورين على ماءٍ هناك لهم. فيُقال: إنّ بعض أحداثهم نَخَس به ناقتَه فألقته، فآندقّتْ عُنقه فمـات. وآستعدى قومُه عبدَ الملك بن مَرْوان، فبعث إلى تلك البُطون مَنْ جاءه بوجوههم وذوى الأخطار منهم، فهَرَب بَيْهَسُ بن صُهيب (٢) الجَرْمىّ — وكان قد آتُّهم بأنه هو الذى نخس به — فنزل بمحمد بن مَرْوان وآستجارَ به، فأجارَه إلّا مِنْ حَدٍّ تُوجبه عليه شهادةٌ، فرَضِى بذلك.

(١) هكذا ورد هنا نسب بيهس وخبر مبتور من أخباره. ولا ندرى كيف وقع ذلك؛ إذ ترجمته الكاملة قد وردت فى الجزء التاسع عشر صفحة ١٠٧ وما بعدها من طبعة بلاق. وهذا الخبر الوارد هنا لم يرد هناك. (٢) كذا فى ط، م ومختار الأغانى لابن منظور و ب، سـ فى الجزء التاسع عشر. وفى سائر الأصول هنا: «نصيب». (٣) كذا فى ط ومختار الأغانى. وفى حـ هنا و ب، سـ فى التاسع عشر: «نايل». وفى سائر الأصول: «ناثل» بالمثلثة. (٤) كذا فى ط، م. وفى مختار الأغانى: «بيهس» بدل «سميس». وفى سـ، سـ فى التاسع عشر: «شمس» بدل «سميس». ويطرد النسب فيهما هناك كما فى ط، م فى أحد الموضعين (إذ تكررت فيها هذه الترجمة) ومختار الأغانى هنا. وفى ب، سـ، حـ هنا: «غالب بن عدىّ بن بيهس بن عدى — فى حـ: ابن على — بن بيهس بن طرود». وفى أ، م (فى الموضع الآخر): «غالب بن عدى بن سمين بن على بن بيهس بن طرود». (٥) فى الأصول: «زبان» بالزاى المعجمة. وفى أحد موضعى م: «ريان» تصحيف. (راجع تاج العروس مادة «ربن»). (٦) التكملة من ط، م. ومرج راهط، بنواحى دمشق، كانت به وقعة بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس الفهرى قتل بها الضحاك، وكان يدعو لعبد الله بن الزبير.

صوت

أَلاَ يا حَمامات اللِّوَى عُدْنَ عودةً * فإنّى إلى أصواتكُنّ حَزِينُ

فعُدْنَ فلمّا عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَنِى * وكِدْتُ بأَسْرارِى لَهُنّ أُبِينُ

دَعَوْنَ بأصواتِ الهَدِيلِ كأنّما * شَرِبْنَ حُمَيّا أَوْ بِهِنّ جُنُونُ

فلَمْ تَرَ عينى مِثْلَهُنّ حمائماً * بَكَيْنَ ولم تَدْمَعْ لَهُنّ عُيُونُ

٥

الشعر لأعرابىّ، هكذا أنشدناه جعفر بن قُدامة عن أحمد بن حَمْدون عن أحمد ابن إبراهيم بن إسماعيل. والغناء لمحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر(١) خفيفُ رمل بالوسطى عن الهشامىّ. وقد قيل: إنّ الشعر لابن الدُّمَيْنة.

(١) فى أكثر الأصول: «بشخير» والصواب فى ط. وكذلك ورد هذا الاسم محرّفا فى الأصول ما عدا ط، فى كل المواضع، فى الترجمة الآتية.

١٠

أخبار محمد بن الحارث بن بسخنر

نسبه وبعض أخباره

هو محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر، و يُكْنَى أبا جعفر. وهم، فيما يزعمون، موالِي المنصور. وأحسبه ولاءَ خِدْمة لا ولاءَ عِتْق. وأصلُهم من الرَّيّ. وكان محمد يزعم أنّه من ولد بَهْرَام جُو بِين(١). ووُلِد محمدٌ بالحيرة(٢). وكان يُغَنِّى مُرْتَجِلًا، إلا أنّ أصل ماغَنّى عليه المِعْزَفة، وكانت تُحْمَلُ معه إلى دار الخليفة. فمرّ غلامه بها يومًا، فقال قوم كانوا جلوسًا على الطريق : مع هذا الغلامِ مِصْيَدةُ الفأر، وقال بعضهم : لا، بل هى(٣) مِعْزَفةُ محمد بن الحارث. فحلَف يومئـذ بالطّلاق والعِتاقِ ألّا يُغَنِّى بمِعزفة أبدًا أنفـةً من أن تشتبه آلةٌ(٤) يغنِّى بهـا بمِصْيَدةِ الفأر. وكان محمد أحسنَ خَلْقِ الله تعـالى أداءً وأسرعَه أخذًا للغناء. وكان لأبيه الحارث بن بُسْخُنَّر جَوَارٍ مُحْسِنات. وكان إسحاق يرضاهنّ ويأمُرهنّ أن يَطْرَحْن على جَوَارِيه. وقال يومًا للمأمون وقد غـنَّى مُخارق بين يديه صـوتًا فآلتاثَ(٥) غِناؤه فيه وجاء به مُضْطَربا، فقـال إسحاق للمأمون : يا أميرَ المؤمنين، إنّ مخارقًا قد أعجبه صوتُه وساء أداؤُه فى غنائه، فمُـرْهُ بمُلَازَمةِ جَوَارى الحارث بن بُسْخُنَّر حتى يعود إلى ماتُريد.

هو أفضل من أخذ عن إسحاق أصواتا

أخبرنى جحظة قال حدّثنى أبو عبد الله الهِشَامىّ(٦) قال :

سمعتُ إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب(٧) يقول للواثق : قال لى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ : ماقَدَر أحدٌ قطُّ أن يأخذ منّى صوتًا مستويًا إلّا محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر،

---

(١) فى أكثر الأصول : « إبراهيم جوهر » والصواب فى ط. و بهرام جوبين من ملوك الفرس، كان فى أواخر القرن السادس الميلادى. (٢) كذا فى ط، حـ. وفى سائر الأصول : « بالكوفة بل بالحيرة ». (٣) عبارة ط، حـ : « لا هذه معزفة ». (٤) فى ط : « تشـبه ». وفى ب، سـ : « تشتبه بآلة » تحريف. (٥) آلتاث هنا : اختلط. (٦) فى أكثر الأصول « الهاشمى » والصواب من ط. (٧) إسحاق بن إبراهيم المصعبى هـذا كان حاكم بغداد فى عهد المأمون والمعتصم والواثق. (انظر كتاب التاج للجاحظ ص ٣١)

فإنّه أخذ منّى عدّة أصوات كما أغنّيها . ثم لم نلبث أنْ دخل علينا محمد بن الحارث .
فقال له الواثق : حدّثنى إسحاق بن إبراهيم عن إسحاق الموصلىّ فيك بكذا وكذا .
فقال : قد قال إسحاق ذاك لى مرّاتٍ . فقال له الواثق : فأىّ شىءٍ أخذت من صنعته
أحسنَ عندك ؟ فقال : هو يزعُم أنه لم يأخذ منه أحدٌ قطُّ هذا الصوتَ كما أخذتُه منه :

صــــوت

٥

إذا المرءُ قاسى الدهرَ وابيضّ رأسُه * وثُلّمَ تثليمَ الإناءِ جوانبُــهْ
فليس له فى العيش خيرٌ وإنْ بكى * على العيش أو رجّى الذى هو كاذبُهْ

ـــ الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه فيه رَمَلٌ بالوسطى ـــ فأمره الواثق بأن يُغنّيه ،
فغنّاه [إياه] [1] وأحسنَ ماشاء وأجاد . واستحسنه الواثق وأمره بأنْ يُردّده ، فردّده
مرارًا كثيرةً ، حتى أخذه الواثق وأخذه جواريه والمُغنّون . قال جحظة قال الهشامىّ
فحدّثتُ بهذا الحديث عمرو بن بانة فقال : ماخلق الله تعالى أحدًا يُغنّى هذا الصوتَ
كما يُغنّيه هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المَهدىّ . فقلت له : قد سمعتَ ابنَ إبراهيم [2] يغنّيه ،
فاسمعْه من محمد ثم احكُمْ . فلقينى بعد ذلك فقال : الأمرُ كما قلتَ ، قد سمعتُه من
محمد فسمعتُ منه الإحسانَ كلَّه .

١٠

ردّد صوتا من جارية

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى علىّ بن يحيى المنجّم قال :

١٥

كنتُ يومًا فى منزلى ، فجاءنى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر مُسلّمًا وعائدًا من
عِلّةٍ كنتُ وجدتُها ، فسألته أنْ يُقيم عنـدى ففعل ، ودعوتُ بمـا حضر فأكلنا
وشربْنا [3] ، وغنّى محمد بن الحارث هذا الصوت :

(١) زيادة من ط ، ف . (٢) فى أكثر الأصول : « قد سمعت أن إبراهيم ... »
والصواب من ط . (٣) فى ط : « ورضنا » .

صـــوت

أَمِنْ ذِكْرِ خَوْدٍ عينُك اليومَ تَدْمَعُ * وقلبُك مشـغولٌ بخَوْدِكَ مُولَـعُ
وقائـلةٍ لى يومَ ولَّيْتُ[(١)] مُعْرِصـا * أهذا فِرَاقُ الحبِّ أمْ كيف تَصْنعُ
فقلتُ كذاكِ الدَّهْرُ ياخَوْدُ فاعلَمِى * يُفَـرِّقُ بين الناسِ طُرًّا ويَجْمَـعُ

— أصل هـذا الصوت يمـانٍ هزَج بالوسطى . قال الهشامىّ : وفيه لفُلَيْح ثانى ثقيـلٍ ، ولإسحاق خفيفُ رملٍ — قال علىّ بن يحيى : فقلتُ له وقد ردّد هـذا الصوت مِرارًا وغنّاه أشْجَى غِناءٍ : إنّ لك فى هـذا الصوتِ معنًى ، وقد كرّرْتَه من غير أن يقترحه عليك أحد . فقال : نعم ! هذا صوتى على جارِيةٍ من القِيان كنتُ أحِبُّها وأخذته مِنها . فقلت له : فلِمَ لا تُواصلها ؟ فقال :

لـو لَمْ أَنِكْهَا دام لى حُبُّهـا * لٰكِنَّـنى نِكْتُ فـلا نِكْتُ[(٢)]

فأجبتُه فقلت :

أكثرتَ من نَيْكِها والنَّيْكُ مَقْطَعةٌ * فارْفُقْ بِنَيْكِكَ إنّ الرِّفْـقَ[(٣)] محمـودُ

أخذ بجوارى الواثق منه غناء أخذه من إسحاق

وأخبرنى جعفر بن قُدامة عن علىّ بن يحيى أنّ إسحاق غنّى بحضرة الواثق لحنَه[(٤)] :

ذَكَرْتُكِ إذ مَرّتْ[(٥)] بِنـا أُمُّ شادِنٍ * أمامَ المَطَـايا تَشْرَئِبُّ وتَسْـنَحُ
من المُؤْلِفات الرَّمْـلَ أدماءُ حُرّةٌ[(٦)] * شُـعَاعُ الضُّحَى فى مَتْنِها يَتَـوَضَّحُ

(١) فى ط : « كيف وليت » . (٢) كذا فى ط ، ح ، ف . وفى سائر الأصول : « ... دام لها حبى * ... فلا نكتها » .
(٣) كذا فى ط ، م ، ف . وفى سائر الأصول : « إن النيك محمود » . (٤) كذا فى ط ، م ، ف . وفى سائر الأصول : « لحنه فقال » بزيادة « فقال » . (٥) فى ط ، م ، ف : « أن مرت » . وأم شادن : ظبية . وتشرئب : ترفع رأسها لتنظر . وتسنح : تعرض لك أو تأتى عن شمالك .
(٦) الأدم من الظباء : البيض تعلوهن جدد فيها غبرة .

— والشعر لذى الرُّمّة . ولحن إسحاق فيه ثقيلٌ أوّلُ — فأمره الواثق أن يُعيدَه على الجوارى ، وأحلفَه بحياته أن ينصح فيه (١) . فقال : لايستطيع الجوارى أن يأخُذْنَه منى (٢) ، ولكن يحضُر محمد بن الحارث فيأخذُه منّى وتأخذه الجوارى منه ؛ [فأُحْضِرَ وألقاه عليه ، فأخذه منه ، وأخذتْه الجَوارِى منه (٣)] .

أخبرنى أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل المعروف بوَسْوَاسةَ المَوْصِلىّ (٤) قال حدّثنى حمّاد (٥) بن إسحاق قال : قال لى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر : أخذتْ جاريةٌ للواثق منّى صوتًا أخذتُه من أبيك ، وهو (٦) :

[صـــوتٌ (٧)]

أصبحَ الشَّيْبُ فى المَفَارِقِ شَاعًا * واكتسى الرَّأْسُ مِنْ مَشِيبٍ قِنَاعَا

وتولّى الشَّــبابُ إلّا قليــلًا * ثم يأبَى القليــلُ إلّا وَدَاعا

— الشعر والغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ — قال : فسَمِعه الواثقُ منها ، فآستحسنه وقال لِعَلُّويَهْ ومُخَارق : أتعرِفَانه ؟ فقال مخارق : أظُنُّه لمحمد بن الحارث . فقال علُّويَهْ : هيهاتَ ! ليس هذا ممـا يدخُل فى صَنْعة محمد ، هو يُشْبِه صَـنْعةَ ذلك الشيطانِ إسحاق . فقـال له الواثق : ما أبعدتَ . ثم بعث إلىّ فأخبرنى بالقِصّة (٨) ؛ فقلت : صَدَق عَلُّويَهْ يا أميرَ المؤمنين ، هذا لإسحاق ومنه أخذتُه .

(١) فى أكثر الأصول : « أنه ينصح » والتصويب من ط ، ف . (٢) فى ب ، سـ : « فقال لايستطعن أن يأخذن منى » . (٣) التكملة من ط ، م ، ف . (٤) فى ط ، م ، ف : « ... بوسواسة بن الموصلى » . وقد تقدّم هـذا الاسم فى الأجزاء الماضية كما ورد هنا ، « وأحمد بن إسماعيل بن إبراهيم » أو « محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم » . وكذا ورد « المعروف بوسواسة الموصلى » أو « بوسواسة بن الموصلى » . والرواية فى أكثر المواضع عن حماد . ولم نهتد إلى وجه الصواب فيه . (٥) فى أكثر الأصول : « محمد بن إسحاق » والتصويب من ف . (٦) كذا فى ط ، م ، ف . وفى سائر الأصول : « وهو هذا » . (٧) زيادة فى ف . (٨) كذا فى ط ، م ، ف . وفى سائر الأصول : « فأخبرنى القصة » .

غنت جارية صوتا أخذته عنه فأكرمها

حدّثنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى عبد الله بن المعتز قال قال لى أحمد بن الحسين بن هشام :

جاءنى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر يوماً فقال لى : قم حتّى أطَفِّلَ بك على صديق لى حُرّ، وله جارية أحسنُ خلق الله تعالى وجهًا وغناءً . فقلتُ له : أنت طُفَيْلِىّ وتُطَفِّل بى ! هذه والله أخَسُّ(١) حال . فقال لى : دع المجون وقم بنا؛ فهو مكانٌ لا يَسْتَحيِى حُرٌّ أن يتطفل عليه . فقمتُ معه ، فقصد بى دار رجل من فتيان أهل «سُرَّ مَنْ رأى» كان لى صديقًا يُكْنَى أبا صالح، وقد غُيِّرتْ كنيته على سبيل اللَّقب(٢) فكُنِى أبا الصالحات ، وكان ظريفا حسن المروءة ، [يضرب بالعود على مذهب الفُرْس ضربا حسنا](٣)، وله رِزْقٌ سَنِىّ فى المَوالى، وكان من أولادهم، ولم يكن منزلُه يخلو من طعام كثير نظيف(٤) لكثرة قصد إخوانه منزلَه . فلمّا طَرَق بابَه قلتُ له : فرّجْتَ عنّى ، [هذا صديق](٥) وأنا طُفَيْلِىّ بنفسى لا أحتاج أن أكون فى شفاعة طفيلىّ . فدخلنا ، وقُدّم إلينا طعامٌ عتيدٌ طَيّب نظيف فأكلنا ، وأُحضِرْنا النبيذَ، وخرجتْ جاريته(٦) إلينا من غير سِتارة، فغنّتْ غناءً حسنًا(٧) شَكِلًا ظريفًا ، ثم غنّتْ من صنعة محمد بن الحارث هذا الصوت وكانت قد أخذتْه عنه — وفيه أيضًا لحنٌ لإبراهيم، والشعر لابن أبى عُيَيْنة — :

صوت

ضيّعتِ عهدَ فتًى لِعَهْدِك حافظ * فى حفظِهِ عَجَبٌ وفى تضييعك

إن تقتليه وتذهبى بفؤاده * فبحسْنِ وجهِك لا بحُسْنِ صنيعك

---

(١) كذا فى ط ، م ، ف . وفى سائر الأصول : «أحسن حال» . (٢) فى ب ، س : «اللعب» تصحيف . (٣) التكملة عن ط ، م ، ف . (٤) فى ف : «طريف» . (٥) زيادة عن ف . (٦) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : «جارية» . (٧) هذه الكلمة ساقطة فى ط ، م ، ف .

فَطرِب محمد بن الحارث ونَقَّطها بدنانيرَ مُسَيَّفةٍ[1] كانت معه فى خَرِيطته، ووجَّه غلامه[2] فجاءه بِبَرْنِيَّةٍ غالِيةٍ كبيرةٍ[3]، فَغَلَّفها[4] منها ووَهَب لها الباقى. وكان لمحمد بن الحارث أخٌ طَيِّب ظريف يُكْنَى أبا هارون، فطَرِب ونَعَر ونَخَر، وقال لأخيه: أريد أن أقول لك شيئًا فى السِّرّ. قال: قُلْه عَلانِيَةً. قال: لا يصلُح. قال: والله ما بينى وبينك شىءٌ أُبالى أن تقولَه جهرا، فقُلْه. فقال: أشتهى عَلِم اللهُ أن تسأل أبا الصّالحاتِ[5] أن يَنِيكَنى، فعسى صوتى أن ينفتح ويَطيبَ غِنائى. فضحك أبو الصالحات وخجِلت الجارية وغطّت وجهها وقالت: سَخِنَتْ عينُك! فإنّ حديثَك[6] يُشْبِه وجهَك.

صــــوت

وأىُّ أخٍ تَبْـلُو فتحمَـدَ أمْرَهُ * إذا لَجّ خَصْمٌ أو نَبَا بِكَ مَنْزِلُ[7]

إذا أنتَ لم تُنْصِفْ أخاك وجدتَه * على طَرَفِ الهِجْرانِ إنْ كان يَعْقِلُ

ستَقْطَعُ فى الدُّنيا إذا ما قطعتَنِى * يَمِينَكَ فانْظُرْ أىَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ

إذا انصرفتْ نفسى عن الشىْءِ لم تكَدْ * إليه بِوَجْهٍ آخِرَ الدَّهرِ تُقْبِلُ

الشعر لِمَعْن بن أَوْس المُزَنِى. والغناءُ لعَرِيبَ [خفيفُ[8]] رمل بالوسطى.

---

(١) فى أكثر الأصول: «مسنة» والتصويب من ط، م، ف. يقال دينار أو درهم مسيف، إذا كانت جوانبه نقية من النقش. (٢) كذا فى ف. وفى ط، م: «ووجه بغلامه». وفى حـ: «ورجع بغلامه». وفى ب، سـ: «ودعا بغلامه». وفى أ: «وجاء بغلامه» تحريف.

(٣) فى ف: «بجاء ببرنية كبيرة فيها غالية». (٤) غلفها: ضمخها وطيبها.

(٥) فى ف: «أن تقول لأبى الصالحات». (٦) فى ف: «إن حديثك هذا».

(٧) فى ديوان الحماسة لأبى تمام:

وإلى أخوك الدائم العهد لم أخن * أنْ ابزاك خصم أو نبا بك منزل

ويروى «لم أحل». وأبزى، يجوز أن يكون مثل بزاه يبزوه إذا قهره، ويجوز أن يكون على معنى: حملك على أن تصير أبزى. والبزى: خروج الصدر ودخول الظهر، أى حمّلك ما لا تطيق.

(٨) زيادة عن ط، م، ف.

أخبار مَعْن بن أَوْس ونسبه

نسبه، وهو شاعر فحل مخضرم

هو مَعْن بن أَوْس[1] بن نَصْر بن زِيَاد[2] بن أَسْحَم[3] بن زِيَاد[4] بن أَسْعَد[5] بن أَسْحَم بن رَبِيعة بن عَدِىّ[6] بن ثَعْلَبَة بن ذُؤَيْب[7] بن عَدَّاء بن عثمان بن مُزَيْنَة بن أُدّ بن طَابِخَة ابن إلياس بن مُضَر بن نِزَار. ونُسِبوا إلى مُزَيْنة وهى امرأة : مُزَيْنَةُ[8] بنتُ كَلْب ابن وَبْرَة، وأبوهم عَمْرو بن أُدّ بن طَابِخَة .

أخبرنى عُبَيد الله بن محمد الرازىّ[9] وهاشم بن محمد الخُزَاعىّ وعمّى قالوا : حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنىّ قال :

مُزَيْنةُ بنتُ كَلْب بن وَبْرَة، تزوّجها عمرو بن أُدّ بن طَابِخَة ، فولدتْ له عثمانَ وأوْسًا، فغلبَتْ أُمُّهما على نَسَبهما . فعلى هـذا القول عَدَّاء هو ابن عثمان بن عمرو ابن أُدّ بن طابخة .

ومَعْنٌ شاعرٌ مُجيدٌ فَحْل، من مُخَضْرَمى الجاهليّة والإسلام وله مدائح فى جماعة من أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلم ورَحِمهم، منهم عبدُ الله بن جَحْش، وعُمَر[10] ابن أبى سَلَمَة المَخْزومىّ. ووفَد إلى عُمَر بن الخطّاب رضى الله تعالى عنه مُسْتَعِينًا به على بعض أَمْرِه، وخاطَبه بقصيدته التى أوّلها :

تَأَوَّبَه طيفٌ بذاتِ الجَرَاثِمِ[11] * فنامَ رَفيقَاهُ وليس بنائمِ

وعُمِّر بعد ذلك إلى أيّام الفِتْنة بين عبد الله بن الزُّبَيْر ومَرْوان بن الحَكَم .

---

(١) فى معجم الشعراء للمرزبانى (ص ٣٩٩) : «معن بن أبى أوس» وعلق عليه : «كتب فوقه (صح) والمعروف معن بن أوس» . (٢) فى ط، م: «زيادة» . وفى سائر الأصول ومعجم الشعراء والخزانة : «زياد» . (٣) فى ف بعد هذا : «وقيل بن زيادة بن أسحم بن رجعة» . (٤) فى ط، م، أ : «زيادة» . (٥) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب، س، حـ : «سعد» . (٦) فى خزانة الأدب : «عداء» . (٧) فى معجم الشعراء وخزانة الأدب : «ذؤيب بن سعد بن عداء» . (٨) قبل هذه الكلمة فى ط بياض بمقدار كلمة . ولعل المحذوف : «وهى أمهم» . (٩) فى ب، س : «الرازى» تحريف . (١٠) فى الأصول ما عدا ط، م : «عمرو» تحريف . (١١) ذات الجراثم : موضع .

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدّثني إبراهيم بن المُنْذِر الحِزَامِيّ قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن يحيى بن عبد الله آبن ثَوْبَان عن عَلقمة بن مِحْجَن الخُزَاعيّ عن أبيه قال :

أشعر الإسلاميين من مزينة

١٦٥ / ١٠

كان مُعاوية يُفَضِّل مُزَيْنَةَ في الشِّعر، ويقول : كان أشعرُ أهل الجاهلية منهم وهو زُهَيْر، وكان أشعرُ أهل الإسلام منهم وهو ابنُه كَعْبٌ، ومَعْنُ بن أَوْس .

كان مئناثا وقال شعرا في فضل البنات

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدّثني العُتْبِيّ قال :

كان مَعْن بن أَوْس مِئناثاً[1]، وكان يُحْسِن صُحْبَة بناته وتربيتهنّ؛ فوُلِد لبعض عَشيرته بنتٌ فكَرِهَها وأظهر جَزَعاً من ذلك؛ فقال مَعْنٌ :

رأيتُ رجالاً يَكْرَهون بَنَاتِهم * وفيهنّ -لا تُكْذَبْ- نِساءٌ[2] صَوَالِحُ

وفيهنّ — والأيّامُ تَعْثُرُ بالفتى — * نَوَادِبُ لا يَمْلَلْنَهُ ونَوَائِحُ

مر به عبيد الله ابن العباس، وقد كف بصره، فبعث إليه بهبة فمدحه

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا العَنَزِيّ (يعني الحسن بن عُلَيْل[3]) قال حدّثني أحمد بن عبد الله بن عليّ بن سُوَيْد بن مَنْجُوف عن أبيه قال :

مرّ عُبَيْدُ[4] الله بن العبّاس بن عبد المُطَّلِب بمَعْن بن أَوْس المُزَنِيّ وقد كُفَّ بصرُه فقال له : يامعن، كيف حالُك ؟ فقال له : ضَعُفَ بَصَرِي وكَثُرَ عِيالي وغَلَبَني الدَّيْن . قال : وكم دَيْنُك ؟ قال عشرةُ آلافِ درهم . فبعث بها إليه . ثم مرّ به من الغد فقال له : كيف أصبحتَ يا مَعْن ؟ فقال :

(١) رجل مئناث، من عادته أن يلد الإناث . وكذلك امرأة مئناث . (٢) كذا في ط، م . وفي سائر الأصول : «أناسا» . (٣) زيد في ب، س، ﺟ، أ : « العنزى » . (٤) في ب، س : « عبد الله » تحريف .

أخذتُ بعَيْنِ المال حتّى نَهِكْتُه[1] * وبالدَّيْنِ حتّى ما أكاد أُدَانُ
وحتّى سألتُ القَرْضَ عند ذَوِى الغِنَى * ورَدّ فلانٌ حاجتى وفُلَانُ

فقال له عُبَيْد الله : اللهُ المُسْتعان، إنّا بعثنا إليك بالأمس لُقْمَةً فما لُكْتَها حتّى انْتُزِعتْ من يدك، فأىُّ شىء للأهل والقَرابة والجيران! وبعث إليه بعشرة آلاف درهم أخرى . فقال معنٌ يمدَحه :

إنّك فَرْعٌ من قُرَيْش وإنّما * تَمُجُّ النَّدَى منها البحورُ الفَوَارِعُ
ثَوَوْا قادةً للنّاس بَطْحاءَ مَكّةٍ * لَهُمْ وسِقَاياتُ الحَجِيجِ الدَّوَافعُ
فلمّا دُعُوا للموت لم تَبْكِ منهمُ * على حادثِ الدّهْرِ العيونُ الدّوامعُ

شىء من خلقه ورحلته الى الشام

أخبرنى محمد بن عِمْران قال حدّثنى العَنَزِىّ قال حدّثنى الفَضْل بن العبّاس القُرَشىّ عن سَعيد[2] بن عمرو الزُّبَيْرِىّ قال :

كان لِمَعْن بن أَوْس آمرأةَ يقال لها ثَوْر وكان لها مُحِبًّا، وكانت حَضَرِيّةً نشأتْ بالشأم، وكانت فى معنٍ أعرابيّةٌ ولُوثةٌ[3]، فكانت تضحَك من عجْرفيّته[4] . فسافر الى الشأم فى بعض أعوامه[5]، فضَلّت الرُّفقةُ عن الطّريق وعدَلوا عن الماء، فطوَوْا منزلَهم وساروا يومَهم وليلتهم، فسقَط فرسُ مَعْنٍ فى وِجارِ ضَبٍّ دخلتْ يدُه فيه، فلم يستطِع الفرسُ أن يقوم من شِدّة العَطش حتّى حمله أهلُ الرُّفقة حَمْلًا فأنهضوه، وجعل معنٌ يقوده و يقول :

---

(١) فى ب، س، ح : « لما نهكته » تحريف .
(٢) فى ح، ب، س : « عن أبى سعيد » .
(٣) اللوثة (بالضم) هنا : الحمق .
(٤) العجرفية والعجرفة هنا : الجفوة فى الكلام والخرق فى العمل .
(٥) فى ف : « فى بعض أيامه » .

لَوْ شَهِدَتْنِى(١) وجَوَادِى ثَوْرُ * والرَّأْسُ فيه مَيَلٌ ومَوْرُ(٢)

* لضحِكتْ حتّى يَميلَ الكَوْرُ(٣) *

قدم على ابن الزبير بمكة فلم يحسن ضيافته، وأكرمه ابن عباس وابن جعفر فدحهما وذم ابن الزبير

أخبرنى عمّى قال حدّثنا محمد بن سَعْد الكُرَانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن العُتْبىّ قال :

٥ قَدم معنُ بن أَوْس مكةَ على ابن الزُّبَيْر فأنزله دارَ الضِّيفان، وكانَ يَنْزِلها الغُرباءُ وأبناءُ السبيل والضِّيفان، فأقام يومَه لم يُطْعَمْ شيئا، حتّى إذا كان الليلُ جاءهم ابن الزُّبير بتَيْس هَرِم هَزِيلٍ فقال : كُلُوا من هذا، وهم نَيِّفٌ وسبعون رجلًا، فغضِب معنٌ وخرج من عنده، فأتى عُبيدَ الله بن العبّاس، فقَرَاه وحَمَله وكساه، ثم أتى عبدَ الله ابنَ جعفر وحدّثه حديثَه، فأعطاه حتى أرضاه، وأقام عنده ثلاثًا ثم رحل(٤). فقال

١٠ يهجو ابنَ الزُّبَيْر ويمدَح ابن جعفر وابنَ عبّاس رضى الله تعالى عنهم أجمعين(٥) :

ظَلِلْنَا بمُسْتَنِّ الرِّياح(٦) غُدَيّةً * إلى أن تعالَى اليومُ فى شَرِّ مَحْضَرِ

لَدَى ابنِ الزُّبَيْر حابِسِينَ(٧) بمَنْزِلٍ * من الخير والمعروف والرِّفْدِ مُقْفِرِ

رَمَانا أبو بكرٍ(٨) وقد طال يومُنا * بتَيْسٍ من الشَّاءِ الحِجَازِىّ أعْفَرِ(٩)

وقال اطْعَمُوا منه ونحن ثلاثةٌ * وسبعون إنسانًا فيالُؤْمَ مَخْبَرِ

١٥ (١) فى ف : «لو أبصرتنى». (٢) المور هنا : الاضطراب والتحرك. (٣) الكور هنا : الدور من العمامة. يريد الدور مما تلف به رأسها. (٤) كذا فى ط، م. وفى سائر الأصول : «حتى رحل». (٥) هذه الجملة الدعائية ساقطة من أكثر الأصول الخطية. (٦) مستن الرياح : مضطربها حيث تهب وتجرى. (٧) حابسين أى ذوى حبس؛ فالوصف على النسبة، والمراد أنهم محبوسون. ونحوه قول الحصين بن الحُمَام :

٢٠ مواليكمُ مولى الولادة منهم * ومولى اليمين حابس قد تُقُسِّما

راجع شرح الحماسة للتبريزى (صفحة ١٨٧ طبعة أوربا). (٨) أبو بكر: كنية عبد الله بن الزبير.

(٩) أعفر : أغبر، لونه لون العَفَر وهو التراب.

فقلت له لا تقرونا(١) فأمامنا * جفانُ(٢) ابن عبّاس العُلا وابنِ جعفرِ
وكُنْ آمِنًا وانعَقْ(٣) بتَيْسِكَ إنّه * له أعْنُزٌ يَنْزُو عليها(٤) وأَبْشِرِ

أنشده الفرزدق بيتا فى هجاء مزينة فرد عليه بهجاء تميم

أخبرنى محمد بن عمران الصَّيْرَفىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ قال حدّثنا أبو عبد الله محمد بن معاوية الأسدى قال :

فدم معنُ بن أَوْس المُزَنىّ البصْرةَ، فقعَد يُنْشِد فى المِرْبَد، فوقف عليه الفرزدق فقال : يامَعْنُ مَنِ الذى يقول :

لَعَمْرُكَ مامُزَيْنَةُ رَهْطُ مَعْنٍ * بأخفافٍ يطَأْنَ(٥) ولا سَنَامِ

فقال معنٌ : أتعرف يافرزدقُ الذى يقول :

لَعَمْرُكَ ماتمِيمٌ أهلُ فَلْجٍ(٦) * بأَرْدافِ(٧) المُلوكِ ولا كِرَامِ

فقال الفرزدق : حَسْبُك ! إنّما جَرَّبْتُك(٨) . قال : قد جَرَّبتَ وأنت أعلم . فانصرف وتركه .

تمثل أحد أبناء روح بشعر له وهو على فاحشة

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ أبو دُلَف قال حدّثنا الرِّياشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ قال :

---

(١) كذا فى ط، م، حـ، ف . وفى سائر الأصول : « فقلنا » . (٢) كذا فى ف . وفى سائر الأصول : « لا تقربن » وهى مصحفة عن « لا تقرين » . (٣) كذا فى ط، حـ، ف، م (فى أحد موضعيها) . والنعيق هنا : دعاء الراعى الشاء . وفى سائر الأصول : « وارفق » . (٤) فى ط، م : « تنزو عليه » . (٥) فى أكثر الأصول : « بأجفان تطاق » والصواب من ط، م، ف . (٦) فلج هنا : واد بين البصرة وحمى ضرية من منازل عدىّ بن جندب بن العنبر ابن عمرو بن تميم . (عن معجم البلدان) . (٧) الأرداف : جمع ردف (بالكسر) وهو هنا : جليس الملك عن يمينه يشرب بعده ويخلفه إذا غزا . (٨) فى ط، ف، م (فى أحد الموضعين؛ إذ هذه الترجمة مما تكرر فيها) : « فقال له الفرزدق حسبك فإنما ... » .

دخلتُ خَضْراءَ رَوْحٍ[1] ، فإذا أنا برجلٍ من وَلَده على فاحشةٍ يوماً[2] ، فقلتُ : قَبحك الله ! هذا موضعٌ كان أبوك يَضْرِب فيه الأعناقَ ويُعْطِى اللُّهَى وأنت تفعل [فيه][3] ما أرى ! فالتفتَ إلىّ من غير أن يزولَ عنها وقال :

وَرِثْنا المجدَ عن آباءِ صِدْقٍ * أَسَأْنا في دِيارِهمُ الصَّنِيعا

إذا الحَسَبُ الرَّفيعُ تَوَاكَلَتْهُ * بُنَاةُ[4] السُّوءِ أَوْشَكَ أن يَضِيعا

قال : والشِّعر لمعن بن أَوْس المُزَنىّ .

سافر إلى الشام وخلف ابنته في جوار ابن أبي سلمة وابن عمر بن الخطاب وقال شعرا

أخبرنى محمد بن جعفر النحوىّ صهر المُبَرِّد قال حدّثنا أحمد بن عُبَيْد أبو عَصِيدةَ عن الحِرْمازِىّ قال :

سافر معنُ بن أَوْس إلى الشامِ وخَلَّف ٱبنتَه ليلَى في جِوَار عُمَر[5] بن أبي سَلَمةَ — وأُمُّه أُمّ سَلَمة أمّ المؤمنين رَضِى الله تعالى عنها — وفي جِوَار عاصم بن عُمَر بن الخطّاب رَضِى الله تعالى عنه . فقال له بعض عَشيرته : على مَنْ خَلَّفتَ ٱبنتَك ليلى بالحجاز وهى صبيّة ليس لها مَنْ يَكْفُلُها ؟ فقال معن رحمه الله تعالى :

لَعَمْرُكَ ما ليلَى بدَارِ مَضِيعَةٍ * وما شَيْخُها أنْ غَاب عنها بخائفِ

وإنّ لها جارَيْنِ لن يَغْدُرَا[6] بها * رَبِيبَ النبيّ وٱبنَ خَيْرِ الخلائفِ

١٦٧ / ١٠

قال عبد الملك بن مروان عنه إنه أشعر الناس

أخبرنى محمد بن عِمْران الصيرفىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ قال حدّثنى مسعود بن بِشْر عن عبد الملك بن هِشام قال :

---

(١) لعل خضراء روح : بستان كان لروح بن حاتم المهلبى أحد الفرسان والأشراف فى أيام المهدى .
(٢) فى ط ، ف : « ... على فاحشة يؤتى » . (٣) زيادة عن ط ، م ، ف .
(٤) فى أكثر الأصول : « بنات السوء » والصواب من ط ، م . (٥) فى حـ ، ب ، سـ : « عمرو » تحريف . (٦) كذا فى ط ، م ، ف . وفى أ ، حـ : « لن يغدرانها » بالنون ؛ يقال : غدره وغدر به ، كنصر وضرب وسمع . وفى ب ، سـ : « لا يغدرانها » تحريف .

قال عبدُ الملك بن مَرْوانَ يوماً وعنده عِدّةٌ من أهلِ بيته ووَلَدِه: لِيَقُلْ كلُّ واحد منكم أحسنَ شِعْرٍ سَمِع به؛ فذكروا لامرئ القيس والأعْشَى وطَرَفَةَ فأكثروا حتّى أتَوْا على مَحاسنِ ماقالوا. فقال عبد الملك: أشعرُهم والله الذى يقول:

وذِى رَحِمٍ قَلَّمْتُ أظْفَارَ ضِغْنِه * بحِلْمِىَ عنــهُ وَهْوَ ليس له حِلْمُ
إذَا سُمْتُه وَصْــلَ القَرَابةِ سـامَنِى * قَطِيعتَها، تلك السَّفاهةُ والظُّلْمُ
فأسْعَى لكَىْ أبْنِى ويهْدِمُ صالحِى * وليس الذى يَبْنِى كَمَنْ شأنُه الهَدْمُ
يُحـاوِلُ رَغْمِى لا يُحـاوِل غـيرَه(١) * وكالموتِ عندى أن ينالَ له رغمُ(٢)
فما زِلْتُ فى لِينٍ له وتَعَطُّفٍ * عليــه كما تحنُــو على الوَلَدِ الأمُّ
لأسْتَلَّ منــه الضِّغْنَ حتّى سَلَلْتُه * وإنْ كان ذَا ضِغْنٍ يَضِيقُ به الحِلْمُ

قالوا: وَمَنْ قالها يا أمير المؤمنين؟ قال: مَعْنُ بن أَوْس المُزَنِىّ.

خروجه إلى البصرة وزواجه من ليلى وطلاقها وقصة ذلك

أخبرنى عيسى بن حسين الورّاق قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى سليمان ابن عَيّاش(٣) السَّعْدىّ عن أبيه قال:

خرج معنُ بن أَوْس المُزَنِىّ إلى البَصْرة ليمتارَ منها ويَبيع إبلًا له، فلمّا قَدِمَها نزل بقومٍ من عَشِيرتِه، فتولّتْ ضِيافتَه امرأةٌ منهم يقال لها ليلى، وكانت ذاتَ جمالٍ ويَسارٍ، فخَطَبها فأجابته فتزوّجها، وأقام عندها حولًا فى أنْعَمِ عيش. فقال لها بعد حَوْلٍ: يابنةَ عمّ، إنّى قد تركتُ ضَيْعةً لى ضائعةً، فلو أذِنْتِ لى فاطّلَعْتُ(٤) [طِلْعَ]

(١) فى أكثر الأصول: «لا يحاول رغمه». والصواب فى ط، م، ف. (٢) ومثل هذه الرواية فى تاريخ ابن عساكر (ح ٤٣ ص ٩٣ — نسخة خطية بمكتبة المرحوم أحمد تيمور باشا). وفى مجموعة شعر معن المطبوعة فى أوربا: «أن يعتز به الرغم». وفى كتاب الأمالى لأبى على القالى: (ح٢ ص١٠٢): «أن يحـل به الرغم». وفى خزانة الأدب (ح ٣ ص ٢٥٩): «أن يحل به رغم».
(٣) فى أكثر الأصول: «عباس». والتصويب من ط، م.
(٤) اطلع طلعه: عرف أمره. وفى ف: «فاطلعت طلع مالى فقالت».

أهلى ورَمَمْتُ(١) من مالى ! فقالت : كم تُقيم ؟ (٢) قال : سنةً ، فأذنتْ له . فأتى أهله فأقام فيهم وأزمنَ عنها (أى طال مُقامه) . فلمّا أبطأ عليها رحلتْ إلى المدينة فسألتْ عنه ، فقيل لها : إنّه بعَمْقٍ (وهو ماءٌ لِمُزَيْنةَ) . فخرجتْ ، حتّى إذا كانت قريبةً(٣) من عَمْقٍ نزلتْ منزلًا كريمًا(٤) . وأقبل معن فى طلب ذَوْدٍ له قد أضلّها وعليه مِدْرَعةٌ من صُوفٍ وبَتٌّ من صوفٍ أخضرَ — قال : والبَتُّ : الطَّيْلَسان(٥) — وعمامةٌ غليظةٌ . فلمّا رُفِع له القومُ(٦) مال إليهم لِيَستَسقِىَ ، ومع ليلى ٱبنُ أخٍ لها ومولًى من مَواليها جالسٌ أمام خِبَائِها . فقال له معنٌ : هل من ماءٍ ؟ قال : نَعَمْ ، وإن شئتَ سَوِيقًا ، وإن شئتَ لبنا ، فأناخ . وصاح مولَى ليلَى : يامُنْهِلة — وكانت مُنْهِلةُ الوصيفةَ التى تقوم على معنٍ عندهم بالبَصْرة — فلمّا أتتْه بالقدَح وعرفَها وحَسَر عن وَجْهه لِيشرَب عرفتْه وأثبتتْه(٧) ، فتركت القدَح فى يده وأقبلتْ مسرعةً إلى مَوْلاتها فقالت : يامولاتى ، هذا والله معنٌ إلا أنّه فى جُبّةِ صوفٍ وبتِّ صوفٍ . فقالت : هو والله عيشُهم ، الْحَقِى مولاى فقولى له : هذا معنٌ فاحبِسْه . فخرجت الوصيفةُ مُسْرِعةً فأخبرتْ . فوضع معنٌ القَدَحَ وقال له : دَعْنِى حتّى ألقاها فى غير هذا الزِّىّ . فقال : لستَ بارحًا حتّى تدخل عليها . فلمّا رأته قالت : أهذا العيش الذى نزعتَ إليه يامعن ؟! قال : إى والله يابنةَ عمّ ! أمَا إنّكِ لو أقمتِ إلى أيّام

---

(١) رممت من مالى : أصلحت . (٢) فى حـ ، ب ، سـ : «قلت» تحريف .
(٣) فى ط ، م ، ف : «قريبا» . (٤) «كريما» ليست فى ط ، م ، ف .
(٥) كذا فى ط ، م ، حـ . وهى جملة جىء بها لتفسير البيت . وفى بعض النسخ : «وقد لبس الطيلسان» . وفى بعضها : «وقد لبث الطيلسان» تحريف . (٦) رفع له الشىء (مبنيا للمجهول) : أبصره من بعد . (٧) يقال : أثبت فلان فلانا ، إذا عرفه حق المعرفة .

الرَّبيع حتّى يُنْبِتَ البَلَدُ الخُزامَى والرُّخامَى(١) والسَّخْبَر والكَمْأة ، لأَصَبْت عيشاً طيِّبا . فغسلتْ رأسَه وجَسَدَه ، وألبسته ثيابًا ليِّنة ، وطيَّبته ، وأقام معها ليلته أجمعَ يُهرِجُها(٢) ، ثم غدَا متقدِّما إلى عَمْق حتّى أعدّ لها طعامًا ونَحَر ناقةً وغَنَمًا(٣) . وقَدِمتْ على الحيّ ، فلم تَبْقَ [فيهم](٤) امرأةٌ إلّا أتتها وسلّمتْ عليها ، فلم تَدَعْ منهنّ امرأةً حتّى وصلتْها . وكانت لمعنٍ امرأةٌ بعَمْقٍ يقال لها أمّ حقّة . فقالت لمعن : هٰذه والله خيرٌ لك منِّى ، فطَلِّقْنى ، وكانت قد حملتْ فدَخَله(٥) من ذلك وقام . ثم إنّ ليلى رحلتْ إلى مكة حاجّةً ومعنٌ معها . فلمّا فرغا من حَجِّهما انصرفا ، فلمّا حاذَيا مُنْعَرَجَ الطريق إلى عَمْقٍ قال معن : يا ليلى ، كأنّ فؤادى يَنْعرِجُ(٦) إلى ما هاهنا . فلو أقمتِ سَنَتَنا هٰذه حتّى نَحُجَّ من قابِلٍ ثم نَرْحَل إلى البَصْرة ! فقالت : ما أنا ببارحةٍ مكانِى حتّى تَرْحَلَ معى إلى البَصْرة أو تُطَلِّقَنى . فقال . أمّا إذ ذكرتِ الطلاق فأنت طالق . فمضت إلى البصرة ، ومضى إلى عَمْقٍ(٧) . فلمّا فارقته نَدِم وتَبِعتْها(٨) نفسه ، فقال فى ذلك :

(١) قال أبو حنيفة : الخزامى : عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهرة طيبة الريح ، لها نور كنور البنفسج . قال : ولم نجد من الزهر زهرة أطيب نفحة من نفحة الخزامى ، وهى خيرىّ البر . والخيرى : المنثور (ضرب من الزهر) الأصفر . والرخامى : نبتة . قال أبو حنيفة : هى غبراء الخضرة لها زهرة بيضاء نقية ولها عرق أبيض تحفره الحمر بحوافرها ، والوحش كله يأكل ذلك العرق لحلاوته وطيبه ، ومنابتها الرمل .

والسخبر ، قال أبو حنيفة : إنه يشبه الثُّمام له جرثومة وعيدانه كالكراث فى الكثرة ، كأن ثمره مكاسح القصب أو أرق منها ، وإذا طال تدلت رءوسه وانحنت .

والكمأة : نبات يقال له شحم الأرض ، والعرب تسميه جدرى الأرض . قيل هو أصل مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق ، لونه إلى الغبرة ، يوجد فى الربيع تحت الأرض .

(٢) كذا فى ط ، م ، ف . ويهرجها : يجامعها . وفى سائر الأصول : «يحدثها» .

(٣) وغنما ، ليست فى ف . (٤) زيادة عن ط ، م ، ف . (٥) أى دخله شىء من ذلك .

(٦) فى أكثر الأصول : «كأن الفؤادى ينعرجن إلى هاهنا» . والتصويب من ط ، م ، ف .

(٧) هكذا فى ط ، م ، ف . ومكانه فى سائر الأصول : «فطلقها ومضى إلى عمق . فلما فارقته ...» .

(٨) فى ط ، م ، ف : «وتتبعتها» .

توهّمتُ ربعاً بالمُعبِّر(١) واضحاً * أبتْ قَرَتاهُ(٢) اليومَ إلّا تَراوُحا
أَرَبَّتْ عليه(٣) رادةٌ حضرميّةٌ * ومُرتجِزٌ كأنّ فيه المَصَابِحا
إذا هي حلّتْ كَرْبَلاءَ فلَعْلَعاً * فجَوْزَ(٤) العُذَيبِ دونها فالنَّوابِحا(٥)
وبانتْ(٦) نَواها من نَوَاكَ(٧) وطاوعتْ * مع الشّانئين الشامتاتِ الكَواشِحا
فقُولا لليلَى هل تُعوِّضُ نادماً * له رجعةٌ قال الطلاقَ مُمازِحا
فإنْ هي قالتْ لا فقُولا لها بَلَى * ألا تتّقينَ الجارياتِ(٨) الذَّوابِحا

---

(١) فى ف : «بالمنمس» . ومعبر ، قال أبو عبيد البكرى فى معجمه : بواحدة مكسورة مشدّدة ، موضع تلقاء الوتدات من البقيع ، قال طفيل :

أُفدّيه بالأم الحصان وقد حبت * من الوتدات لى حبال معبّر

والحبال : حبال الرمل . يقول : ارتفعت له ولاحت هذه الحبال وهو بالوتدات . وفى معجم البلدان أنه جبل من جبال الدهناء ، ثم ذكر أربعة أبيات من هذه القصيدة . (٢) قرتاه : الغداة والعشىّ . وفى صلب ف وهامش ط : « قرتاه : بَرداه ، أوّله وآخره » . وفى ب ، س : « قرتاه اليوم أن لا » تحريف . (٣) كذا فى ط ، م ، ف ومعجم البلدان . ومرجع الضمير الربع . وفى سائر الأصول : « عليها » . وأربت : أقامت . ورادة هنا : سحابة طوافة ترود وتجول . وحضرمية : منسوبة إلى حضرموت ، أى تقبل من الجنوب . ومرتجز : سحاب يتابع صوت رعده . وكأن فيه المصابح ، لما يبدو فيه من لمعان البرق . يدعو للربع بالسقيا . ويقال مصباح ومصابيح ومصابح ، بحذف الياء ، كما يقال مفتاح ومفاتيح ومفاتح . وفى ج ، ب ، س : « المضابحا » تصحيف . (٤) كذا فى ط ، م ، ج ، ف ومعجم ما استعجم للبكرى ومعجم البلدان . وفى سائر الأصول : « بعدها » . (٥) فى ب ، س : « فالنوائحا » بالهمزة ، وكذلك ورد فى معجم البلدان . ولعله وهم من ياقوت أو تصحيف من الناسخ أو المطبعة ؛ فإن أبا عبيد البكرى قال بالعبارة فى معجمه : « النوابح ، بفتح أوّله وبالباء المعجمة بواحدة والحاء المهملة على لفظ جمع نابحة » .

وكربلاء ولعلع والعذيب والنوابح ، كلها مواضع متقاربة بظاهر الكوفة . وفى معجم البلدان (فى معبر — عليب) « بجوز العُلَيب » . والعليب : موضع بين الكوفة والبصرة . (٦) فى ج ، ب ، س : « وباتت » بالتاء ، تصحيف . والنوى هنا : الوجه الذى يذهب فيه . (٧) كذا فى ط ، م ، ف . ولعله على تقدير العطف أى والشامتات الكواشحا . وفى سائر الأصول : « مع الشامتين الشامتين الكواشحا » . فإن كانت الرواية « مع الشانئين الشامتين الكواشحا » كان فيه وصف « الشامتين » بالكواشح ، وهو قليل .

(٨) فى الأصول ماعدا ط ، م : « ألا تتبعين الحادثات » تحريف . وفى ج : « الجاريات » مثل ط ، م .

وهى قصيدةٌ طويلة . فلمّا انصرف وليستْ ليلى معه قالت له امرأته أُمّ حِقّةَ : مافعلتْ ليلى ؟ قال : طلّقتُها . قالت : واللهِ لو كان فيك خيرٌ ما فعلتَ ذلك ، فطلِّقْنى أنا أيضا . فقال لها معنٌ :

أعاذلُ أقْصِرى ودَعِى بَيَاتِى (1) * فإنّكِ ذاتُ لَوْماتٍ حَمَاتِ (2)

فإنّ (3) الصُّبحَ مُنْتَظَرٌ قريبٌ * وإنّكِ بالمَلامةِ لن تُفَاتى

نأت ليلى فليلَى (4) لاتُوَاتِى * وضَنّتْ بالمَوَدّة والبَتَاتِ (5)

وحلّتْ (6) دارُها سَفَوانَ (7) بَعْدِى * فذا قَارٍ فمُنْخَرَقَ (8) الفُراتِ

تُراعى الرِّيفَ دائبةً (9) عليها * ظِلالُ الألْفِ مُخْتلِطِ النَّبَاتِ

فدَعْها أو تَنَاوَلْها بِعَنْسٍ (10) * من العِيدىّ فى قُلُصٍ شِخَاتِ (11)

---

(1) يريد : دعى لومى فى المبيت . (2) حمات : جمع حمة ، وهى السم (عن صلب ف وهامش ط) . (3) فى ط ، م : «وإن» . (4) فى الأصول ما عدا ط ، م ، ف : «وليلى» بالواو . (5) هكذا فى ط ، م ، ف . والبتات هنا : الزاد . وفى سائر الأصول : «والثبات» . (6) فى الأصول ما عدا ط ، م ، ف : «وخلت» بالخاء المعجمة .

(7) سفوان (بالتحريك) : ماء على أميال من البصرة بين ديار بنى شيبان وديار بنى مازن . وذوقار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط .

(8) كذا فى ط ، جـ ، م ، ف . وفى سائر الأصول : «بمنخرق» . (9) فى الأصول ماعدا ط ، م ، ف : «... دانية عليها * ظلال أنف» . والألف من الشجر : الذى كثر وتكاثف .

(10) فى ب ، س ، جـ : «بعس من العودى» . وفى أ : «بعنش من العندى» . والصواب من ط ، م . والعنس من النوق : القوية . والعيدى : نسبة إلى عيد : فحل معروف تنسب إليه النجائب العيدية ، أو هو نسبة إلى رجل . والقلص : جمع قلوص (بالفتح) وهى الشابة من الإبل .

(11) فى بعض الأصول : «سحات» بالسين والحاء المهملتين ، وفى بعضها : «سخات» بالمهملة والمعجمة . والتصويب من ط ، م ، س . والشخات : جمع شخته وشخت ، وهو الدقيق الضامر لاهزالا .

وهى قصيدة طويلة . قال : وقال لأمّ حِقّة فى مُطَالبتها[(١)] إيّاه بالطلاق :

كأنْ لم يكُنْ يا أمَّ حِقّــةَ قبلَ ذا * بَمْيطانَ[(٢)] مُصطافٌ لنا ومَرابِعُ

وإذْ نحن فى غُصنِ[(٣)] الشّبابِ وقدعسا[(٤)] * بنا الآنَ إلّا أنْ يُعوَّضَ جازِعُ[(٥)]

فقــد أنكرتْه أمُّ حِقّــةَ حادثًا * وأنكرها[(٦)] ماشئتَ والـودُّ خادعُ

ولو آذنَتْنا أمُّ حِقّــةَ إذ بنــا * شبابٌ وإذ لمّا تَرُعْنا الرّوائعُ ٥

لَقُلْنا لها بِينِى بِلَيْــلٍ حميــدةً * كذاكِ بلا ذمٍّ تُؤَدَّى الوَدائعُ[(٧)]

صــــوت

أعابدَ حُيِّيتُمْ على النّأى عابــدًا * ســقاكِ الإلهُ المُنْشَآتِ الرّواعدا

أعابِدَ ما شمسُ النّهارِ إذا بدتْ * بأحسنَ ممّا بين عَيْنَيْكِ عابدا

ويُرْوَى :

* أعابِدَ ما شمسُ النهارِ بدتْ لنا *

ويروى :

أَعابِدُ ما الشّمْسُ التى برزتْ لنا * بأحسنَ ممّا بين ثَوْبَيْكِ عابدا

الشــعر للحسين بن عبد الله بن عُبَيد الله بن العبّاس بن عبد المُطَّلِب . والغناء لِمَعْبَد

ثانى ثَقِيلٍ بالبِنْصَر . وفيه ليونس لحنٌ من كتابه غير مُجَنَّس . ١٥

(١) فى ج، ب، س : «مطالبته إياه» تحريف . (٢) ميطان، قال ياقوت فى معجمه : «بفتح أوّله ثم السكون وطاء مهملة، وآخره نون، من جبال المدينة — إلى أن قال — وهو لمزينة وسليم . وقد روى أهل المغرب غير ذلك، وهو خطأ . له ذكر فى صحيح مسلم» ثم ذكر هذه الأبيات . وفى معجم ما استعجم أنه بكسر أوّله وأنه موضع ببلاد مزينة من أرض الحجاز، ثم ذكر هذا البيت . وهذا ما نسبه ياقوت الى المغاربة من خطأ . (٣) فى ط ومعجم البلدان : «فى عصر الشباب» وفى هامش ط إشارة إلى هذه الرواية . (٤) عسا النبات : غلظ ويبس . (٥) فى الأصول ماعدا ط، م : «نعوض جارع» تصحيف . (٦) فى الأصول ماعدا ط، م : «وأنكر ماشئت» تحريف . ٢٠

(٧) كذا فى ط، م، ف ومعجم البلدان . وفى سائر الأصول : «الصنائع» .

أخبار الحسين بن عبد الله

شعره فى عابدة قبل زواجه بها

قد تقدّم نسبُه، وهو أشهر من أن يُعاد . ويُكْنَى أبا عبد الله . وكان من فِتيان بنى هاشم وظُرَفائهم وشُعرائهم . وقد روَى الحديثَ وحُمِل عنه، وله شِعْرٌ صالح . وهذه الأبيات يقولها فى زوجته عابدة بنت شُعَيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن العاص، وهى أُخت عمرو بن شُعَيب الذى يُرْوَى عنه الحديث . وفيها يقول قبلَ أن يتزوّجها :

صوت

أَعاذِلَ[1] إنّ الحُبَّ لا شَكَّ قاتِلِى * لئن لم تُقارِضْنى هَوَى النَّفسِ عابِدَهْ

أَعابِدُ خافِى اللهَ فى قتلِ مُسْلِمٍ * وجُودِى عليه مَرّةً قَطُّ واحِدَهْ

فإنْ لم تُرِيدِى فىَّ أَجْرًا[2] ولا هَوًى * فَكَمْ[3] غيرَ قَتْلِى يا عُبَيْدُ فَراشِدَهْ

فكَمْ ليلةٍ قد بِتُّ أَرْعَى نُجُومَها * وعَبْدَةُ لا تَدْرِى بذلك راقِدَهْ

الغناء لحَكَم الوادىّ، رملٌ بإطلاق الوتر فى مجرى البِنْصر، عن إسحاق .

فمّا حُمِلَ عنه من الحديث ما حدّثنى به أحمد بن سَعيد قال حدّثنى محمد بن عُبَيْد الله [بن][4] المُنَادِى[5] قال حدّثنى يونس بن محمد قال حدّثنا أبو أُوَيْس عن حُسَيْن ابن عبد الله بن عُبَيْد الله بن عبّاس عن عِكْرِمةَ عن ابن عبّاس قال :

(١) كذا فى ط، م . وفى سائر الأصول «أعابد» . (٢) كذا فى ط، م، ف . وفى سائر الأصول: «هجرا» تحريف . (٣) كذا فى ط، م، ف . وفى سائر الأصول: «فكم» تحريف . (٤) التكملة من ف . (٥) فى أكثر الأصول: «المنارى» بالراء، والتصويب من ط، م، ف . وهو محمد بن عبيد الله بن يزيد البغدادى أبو جعفر بن أبى داود بن المنادى . (راجع تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٢٥) .

مرّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على حَسّان بن ثابت وهو فى ظلّ فارِع[1] وحولَه أصحابُه وجاريتُه سِيرِينُ تُغنّيه بِمِزْهَرِها :

هَلْ عليَّ وَيْحَكُمَا * إنْ لَهَوْتُ من حَرَجِ

فضحك النبيّ صلى الله عليه وسلم ثم قال : " لا حَرَجَ إنْ شاء الله " .

٥ وكانت أمّ عابدةَ هٰذه عمّةَ حسين بن عبد الله بن عُبَيْد الله، أمّها عَمْرةُ بنت عُبَيْد الله بن العبّاس، تزوّجها شُعَيْب فولدتْ له محمدًا وشُعَيْبا آبْنَيْ شُعَيْب وعابِدةَ، وكان يقال لها عَابِدةُ الحُسْن، وعابِدةُ الحسناء .

أخبرنى الحَرَمِيّ بن أبى العَلاء والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى محمد بن يحيى قال :

١٠ خَطَبَ عابدةَ بنتَ شُعَيْبٍ بَكّارُ بن عبد الملك وحُسَيْن بن عبد الله، فآمتنعتْ على بَكّار وتزوّجتِ الحُسَيْن . فقال له بَكّار : كيف تَزَوّجتْك العابِدةُ وآختارتْك مع فَقْرِك ؟ فقال له الحسين : أتُعيِّرُنا بالفَقْرِ[2] وقد نَحَلَنا اللهُ[3] تعالى الكَوْثَرَ !

تنكر ما بينه وبين عبد الله بن معاوية فتعاتبا بشعر

أخبرنى الحَرَمِيّ والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار عن عمّه قال :

كان حُسَيْن بن عبد الله أمّه أمُّ وَلَدٍ ، وكان يقول شيئا من الشِّعْر ، وتزوّج ١٥ عابدةَ بنت شُعَيْبٍ وولدتْ منه ، وبسَبَبها رُدّتْ على وَلَدِ عَمْرو بن العاص أموالُهم فى دولة بنى العبّاس . وكان عبدُ الله بن مُعَاويةَ بن عبد الله بن جعفر صديقًا له، ثم تَنَكّرَ ما بينهما ؛ فقال فيه آبن مُعَاوية :

(١) فارع : حصن كان لحسان بن ثابت بالمدينة . (٢) الفصيح : عيّره كذا، لا بكذا .
(٣) فى ط، م : « ... الله جل وعز » .

١٧٠ / ١٠

إنَّ ٱبنَ عَمِّكَ وٱبنَ أُمِّـكَ مُعْلَمٌ شاكِى السِّلَاحِ
يَقِصُ العَـدُوَّ[1] وليس يَرْ * ضَى حين يَبْطِشُ بالجِرَاحِ
لا تحسبَنَّ أذى ٱبنِ عَمِّكَ شُرْبَ ألبانِ اللِّقاحِ
بَلْ كالشَّجاةِ ورا اللَّها * ةِ إذا تُسَوَّغُ بالقَراحِ[2]
فاخْتَرْ لنفسك مَنْ يُجِيـ * ـبُكَ تحتَ أطرافِ الرِّماحِ
مَنْ لا يزالُ يَسُوءه[3] * بالغَيْبِ أنْ يلحاكَ لاحِ[4]

فقال حسين له :

أَبْرِقْ لِمَنْ يَخْشَى وأَوْ * عِدْ[5] غيرَ قَوْمِكَ بالسِّلاحِ
لسنا نَقِرُّ لِقائلٍ * إلّا المُقَرَّطِ[6] بالصَّلاحِ

قال : ولحسين يقول ابنُ مُعاوية :

قُلْ لِذى الوُدّ والصَّفاء حُسَيْنٍ * أَقْدُرِ الوُدَّ بيننا قَدَرَهْ
ليس لِلدّابِغِ المُحَلِّمِ[7] بُدٌّ * من عِتابِ الأَدِيمِ ذى البَشَرَهْ

---

(١) وقصه يقصه : كسره . (٢) الشجا والشجاة : مايعترض فى الحلق من عظم ونحوه . واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق . والقراح : الماء الخالص الذى لايخالطه شىء . (٣) كذا فى ف . وفى سائر الأصول :

* من لا تزال تسوءه *

بالتاء الفوقية ، تصحيف . (٤) فى أكثر الأصول : «لن يلحاك» . والتصويب من جـ ، ف . وهذا البيت وجملة : «فقال حسين له» ساقط فى ط ، م ؛ كأن البيتين الآتيين من هذه القصيدة . و يلحاه هنا : يشتمه . والأكثر أن يقال لحاه يلحوه لحوا إذا شتمه . وحكى أبو عبيد : لَحيته ألحاه لحوا (وزان رضى يرضى) وهى نادرة . وهذا الشعر يؤيد ورودها . وأما لحاه يلحاه (وزان سَعى يسعى) بمعنى لامه ، فبالياء .
(٥) هكذا فى ط ، م ، ف . وفى سائر الأصول : «وأرعد» بالراء . (٦) المقرط بالصلاح : الموسوم به .
(٧) المحلم : الذى ينزع الحلم عن الجلد . والحلم (بالتحريك) دود يقع فى الجلد فيفسده ، واحدته حلمة ؛ يقال : حلم الجلد يحلم حلما فهو حلم (وزان فرِح يفرح فرحا فهو فرح) إذا وقع فيه الحلم فثقبه وأفسده . والمثل الذى يشير إليه الشاعر "إنما يُعاتَب الأديم ذو البشرة" أى إنما يعاود إلى الدباغ الأديم ذو البشرة ، وهو الجلد الذى سلمت بشرته ، وهى ظاهره الذى ينبت عليه الشعر . يضرب لمن فيه مراجعة ومستعتب .

لستُ إنْ راغ[1] ذو إخاءٍ ووُدٍّ * عن طريقٍ بتابعٍ أثَرَهْ
بل أُقيمُ القناةَ والوُدَّ حتّى * يَتبعَ الحقَّ بعدُ أو يَذَرَهْ

كان صديقا لابن أبي السمح ومدحه بشعر

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد ابن سلّام قال:

كان مالك بن أبي السَّمْح الطائيّ المُغَنّي صديقًا للحسين بن عبد الله بن عُبَيد الله ابن العبّاس ونديمًا له، وكان يتغنّى في أشعاره. وله يقول الحسين رحمه الله تعالى:

لا عَيْشَ إلّا بمالكِ بن أبي السَّمْـ * ـحِ فلا تَلْحَني ولا تَلُمِ
أبيضُ كالسيفِ[2] أو كما يَلْمَعُ الْـ * ـبارقُ في حِنْدِسٍ من الظُّلَمِ
يُصيبُ مِنْ لَذّةِ الكريمِ ولا * يَهتِكُ حقَّ الإسلامِ والحُرَمِ[3]
يا رُبَّ ليلٍ[4] لنا كحاشيةِ الْـ * ـبُرْدِ ويومٍ كذاكَ لم يَدُمِ
قد كنتُ[5] فيه ومالكُ بن أبي السمـ * ـحِ الكريمِ الأخلاقِ والشِّيَمِ
مَنْ ليس يَعصيكَ إنْ رَشَدْتَ ولا * يَجهَلُ آيَ[6] التَّرخيص في الكَرَمِ

(١) كذا في ط، م، ف. وراغ الرجل والثعلب يروغ روغا وروغانا: مال وحاد عن الشيء. وفي أكثر الأصول: «زاغ» بالزاي. وزاغ: مال. (٢) الرواية فيما تقدّم من الأغاني (ج ٥ ص ١٠١ من هذه الطبعة): «كالبدر» بدل «كالسيف» و«في حالك» بدل «في حندس».
(٣) ورد صدر هذا البيت فيما تقدّم صدرا للبيت الأخير هنا، وصدر البيت الأخير صدرا لهذا البيت. والبيتان متتاليان هناك. (٤) في أكثر الأصول: «يارب يوم». والتصويب من ط، م، ف ومما تقدّم. (٥) في ف: «قد بت فيه» وفي هامش ط: «ويروى: لهوت فيه». والرواية فيما تقدّم: «نعمت فيه». (٦) كذا في ف والجزء الخامس من هذه الطبعة. وفي ط، م: «أتى الترخيص». ولعله تحريف عن «آي الترخيص». وفي سائر الأصول هنا: «ولا يجهل منك الترخيص».

قال : فقال له مالك : ولا إن غَوَيْتَ والله بأبى [أنت](١) وأمى أَعْصِيك(٢) . قال وغنّى مالكٌ بهذه الأبيات بحضرة الوليد بن يزيد، فقال له : أخطأ حسين فى صِفَتك، إنما كان ينبغى أن يقول :

أحْوَلُ كالقِرْدِ(٣) أو كما يخرُج الـ * ـسّارقُ فى حالكٍ من الظُّلَم

[أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : ٥

كان الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس إذا صلّى العصرَ دخل منزلَه وسَمِع الغناءَ عشيته . فأتاه قومٌ ذاتَ عشيّةٍ فى حاجةٍ لهم فقضاها ، ثم جلسوا يحدّثونه . فلما أطالوا قال لهم : أتأذَنون ؟ فقالوا نعم . فقام فى أصحاب له وهو يقول :

قُومُوا بنا نُدرِكْ من العيش لَذّةً ولا(٤) إثمَ فيها للتّقِيّ ولا عارا(٥)] ١٠

صـــوت

إنّ حَرْبًا و إنّ صَخْرًا أبا سُفْـ * ـيانَ حازَا مَجْدًا وعِزًّا تليدَا

فهُما وَارِثا العُلَا عن جُدُودٍ * وَرِثُوها آباءَهم والجُدودَا

الشعر لفَضالةَ بن شَرِيكٍ الأسَدىّ من قصيدةٍ يمدَح بها يزيدَ بن مُعاوية . وبعد هذين البيتين يقول : ١٥

وحَوَى إرْثَها مُعاويةُ القَرْ * ـمُ(٦) وأعطَى صَفْوَ التُّراثِ يزيدَا

١٧١/١٠

والغناء لإبراهيم بن خالد المُعَيْطىّ(٧) ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصَر عن الهشامىّ . والله أعلم .

(١) التكملة عن ط ، م ، ف . (٢) كذا فى ط ، م ، ف والجزء الخامس . وفى سائر الأصول : «لن أعصيك» . (٣) فى أكثر الأصول : «أحول» والتصويب من ط ، م ، ف .

(٤) جملة هذا الشطر صفة للذة . وقد دخلت الواو فى الجملة الوصفية وهو قليل . ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الحجر : (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) . (٥) زيادة من ف . ٢٠

(٦) القرم : هنا السيد . (٧) هذه الكلمة ليست موجودة فى أكثر الأصول الخطية .

أخبار فَضَالةَ بن شَرِيكٍ ونسبه

نسبه وشعره لابنه عبد الله فى ذم ابن الزبير

هو فَضَالةُ بن شَرِيك بن سَلْمانَ(١) بن خُوَيْلِد بن سَلَمةَ بن عامرٍ مُوقِدِ النّار بن الحَرِيش بن نُمَيْر بن والِبَةَ بن الحارث بن ثَعْلَبةَ بن دُودانَ [بن أسد](٢) بن خُزَيْمةَ بن مُدْرِكةَ ابن إلياس بن مُضَرَ بن نِزَارٍ . وكان شاعرًا فاتكًا صُعْلوكًا مُخَضْرَمًا أدرك الجاهليّة والإسلام. وكان له ٱبنانِ شاعران، أحدُهما عبدُ الله بن فَضَالةَ الوافدُ على عبد الله ابن الزُّبَير والقائل له : إنّ ناقتي قد نَقِبتْ ودَبِرتْ(٣)؛ فقال له . ٱرْقَعْها بجِلْدٍ وٱخْصِفْها بهُلْبٍ(٤) وسِرْ بها البَرْدَيْن(٥) . فقال له : إنّي قد جئتُك مُسْتَحمِلاً لا مستشيراً(٦)، فلعَنَ اللهُ ناقةً حملتني إليك . فقال له ابن الزُّبير : إنّ(٧) وراكِبَها . فانصرف من عنده وهو يقول :

أقولُ لغِلْمتي شُدّوا رِكَابي * أُجاوِزْ بَطْنَ مكّةَ فى سَوَادِ(٨)

فمالى حينَ أقْطَعُ ذاتَ عِرْقٍ(٩) * إلى ابنِ الكاهِليّة من مَعَادِ

(١) كذا فى ط، م وتاريخ دمشق لابن عساكر (ج ٣٤ ص ٥٤١) ومعجم الشعراء للمرزبانى . وفى سائر الأصول : «سليمان» . (٢) التكملة عن ف (انظر كتاب المعارف لابن قتيبة ص ٣١ طبعة أوروبا) . (٣) كذا فى ط، م، ف . وفى لسان العرب (مادة أنن) : «نقب خفها»؛ يقال : نقب البعير، إذا حفى ورقت أخفافه . وفى سائر الأصول : «تعبت» . والدبر (بالتحريك) : جرح يكون فى ظهر الدابة . (٤) الهلب : الشعر . وخصفه : وضعه وإطباقه على الأخفاف ليقيها . والبردان : الغداة والعشى مثل الأبردين . (٥) زيد فى خزانة الأدب وتاريخ ابن عساكر (ج ٣٤ ص ٥٤٣) بعد البردين : «تصح» . وفى الخزانة : «لا مستوصفا» بدل «لا مستشيرا» . وفى حاشية الأمير على مغنى اللبيب : «ما أتيتك مستطبا وإنما أتيتك مستمنحا» . (٦) كذا فى ط، م، ف . وفى سائر الأصول : «الله تعالى» . (٧) إنّ هنا بمعنى «نعم» .

(٨) فى خزانة الأدب (ج ٢ ص ١٠١) : «بطن مر» . وبطن مر : موضع بقرب مكة . وفى سواد، أى فى ظلام الليل . (٩) ذات عرق : موضع وهو الحد بين نجد وتهامة وعنده يهل أهل العراق . وابن الكاهلية، يريد ابن الزبير . وسيذكر المؤلف ذلك فى آخر هذه الترجمة . ومعاد : مصدر بمعنى العود .

سَيُبْعِدُ بينَنا نَصُّ المَطَايَا * وتَعْلِيقُ الأَدَاوَى والمَزَادِ (١)

وكلُّ مُعَبَّدٍ قد أعلمتْه * مَنَاسِمُهُنَّ طَلَّاعِ النِّجادِ (٢)

أرَى الحاجاتِ عند أبى خُبَيْبٍ * نَكِدْنَ ولا أُمَيَّةَ بالبلادِ (٣)

مِنَ الأعياصِ أو مِنْ آلِ حَرْبٍ * أَغَرَّ كغُرَّةِ الفَرَسِ الجَوَادِ

ابنه فاتك ومدح الأقيشر له

حدّثنا بذلك محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المَدَائنىّ . فأمّا فاتكُ آبن فَضَالةَ فكان سَيّدًا جَوَادًا . وله يقول الأُقَيْشِر يمدحه : ٥

وَفَدَ الوفودُ فكنتَ أفضلَ وافِدٍ (٤) * يا فاتِكُ بنَ فَضَالةَ بن شَرِيكِ

---

(١) نص المطايا : سيرها الشديد ، على أن النص مضاف الى فاعله ؛ أو حثها واستخراج ما عندها من السير ، على أن النص مضاف الى مفعوله . وفى تاريخ ابن عساكر : «وقول ابن فضالة فى شعره هذا «نص المطايا» ضرب من السير فيه ظهور وارتفاع . ومن هذا اشتق اسم المنصة بمعنى الارتفاع والظهور . ١٠ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فى قصة ذكرت ، أنه كان يسير العنق ، فإذا وجد فجوة نص . ومنه نصصت الحديث الى صاحبه أى رفعته إليه . وقال آمرؤ القيس :

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش * إذا هى نصته ولا بمعطل »

والأداوى : جمع إداوة (بكسر الهمزة) ، وهى المطهرة . والمزاد : الأسقية ، واحدها مزادة .

(٢) فى بعض الأصول : «أعمله» . والمعبد هنا : الطريق الواضح الذى عبّد ومهّد من كثرة السير فيه . ١٥ والمناسم : أطراف أخفاف الإبل ، واحدها منسم (بفتح الميم وكسر السين) . والنجاد : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض . وطلاع النجاد : السامى لمعالى الأمور . ووصف الطريق به هنا مجاز ؛ إذ هو يريد : وكل طريق معبد لا يسلكه إلا السامون لمعالى الأمور الضابطون لأمورهم . (٣) أبو خبيب : كنية لعبد الله بن الزبير ، ويكنى أيضا أبا بكر وأبا عبد الرحمن . ونكدن : تعسرن . واستشهد النحويون بهذا البيت فى باب « لا » النافية للجنس . وذلك أن مدخول « لا » لا يكون إلا نكرة وهو ٢٠ هاهنا معرفة . وقد تؤول على تقدير «ولا أمثال أمية فى البلاد» ؛ أو على تقدير «ولا أجواد فى البلاد» . لأن بنى أمية قد اشتهروا بالجود ؛ فأوّل العلم باسم الجنس لشهرته بصفة الجود . وقد نسب بعضهم هذه الأبيات لعبد الله بن الزبير (بفتح الزاى) فى عبد الله بن الزبير بن العوام وأنه هو الذى شكا الى ابن الزبير قب ناقته . ونسبه بعضهم لفضالة ، وسيذكر المؤلف ذلك فى ترجمته . (٤) كذا فى ط ، م ، ن . وفى سائر الأصول : « أوّل وافد » . ٢٥

مرّ بعاصم بن عمر ابن الخطاب فلم يقره فهجاه

أخبرني بمــا أذكر من أخباره هاهنا مجموعًا عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سعيد السُّكَّريّ عن محمد بن حَبيب، وما ذكرته متفرّقا فأنا ذاكرٌ إسناده عمن أخذته. قال ابنُ حبيب :

مرّ فَضالةُ بن شَريك بعاصم بن عُمَر بن الخطّاب — رضي الله تعالى عنهما — وهو مُتَبَدٍّ بناحية المدينة، فنزل به فلم يَقْرِه شيئا ولم يبعث إليــه ولا إلى أصحابه بشيء، وقد عَرَفوه مكانَهم. فارتحلوا عنه. والتفت فضالةُ إلى مولًى لعاصمٍ فقال له : قُلْ له : أمَا والله لأُطَوِّقَنَّكَ طَوْقًا لا يبلَى. وقال يهجوه :

ألَا أيها الباغي القِرَى لستَ واجدًا * قِــرَاكَ إذا ما بِتَّ في دار عاصمِ
إذَا جئتَه تَبْغِي القِرَى باتَ نائمًــا * بَطِينًــا وأمسَى ضَــيْفُهُ غيرَ نائمِ
فــدَعْ عاصمًا أُفٍّ لأفعــالِ عاصمٍ * إذا حُصِّلَ الأقوام أهلَ المكارمِ
فــتًى من قُرَيش لا يجــودُ بنائلٍ * ويَحْسَبُ أنّ البُخْلَ ضَرْبةُ لازمِ
ولولا يدُ الفــاروق قلّدتُ عاصمًا * مُطَــوَّقةً يُحْــدَى بهــا في المَوَاسمِ
فليتَــك من جَرْمِ بن زَبّانَ أو نَبِي * فُقَيْمٍ أو النَّــوكَى أَبَانَ بن دَارِمِ
أُنَاسٌ إذا ما الضَّيْفُ حلّ بيوتَهم * غَدَا جائعا عَيْمانَ ليس بغــانمِ

١٧٢ / ١٠

---

(١) في أكثر الأصول ماعدا ط : « فأنا ذاكر أيضا إسناده » . (٢) هذا الدعاء ليس في ط، م، ف. (٣) كذا في ط، م. ومتبدّ : مقيم بالبادية. وفي سائر الأصول : « متبق » . (٤) هذه الكلمة ليست في ط، م . (٥) في ط، م، ف وتاريخ دمشق لابن عساكر : « غير طاعم » . (٦) في أكثر الأصول : « جهل » والتصويب من ط، جـ، م . (٧) النائل : العطاء. (٨) كذا في ط، جـ، م، ف وتاريخ ابن عساكر. وفي سائر الأصول : « يخزى » تحريف . (٩) عيمان : عطشان .

[قال][1] : فلمّا بلغتْ أبياتُه عاصمًا استعدَى عليــه عمرو بن سعيد بن العاص وهو يومئذ بالمدينة أميرٌ[2]، فهرب فَضالةُ بن شَريك فلَحق بالشأم، وعاذ بيزيدَ بن معاوية وعرّفه ذَنْبَه وما تخوّف من عاصم، فأعاذه، وكتب إلى عاصم يُخبره أنّ فضالةَ أتاه مستجيرًا به، وأنه يُحبّ أن يَهبَه له، ولا يذكر لمعاوية شيئًا من أمره، ويضمن له ألّا يعود لمجائه؛ فقبِل ذلك عاصمٌ وشفّع يزيدَ بن معاوية . فقال فَضالةُ يمدح يزيدَ بن معاوية :

إذا ما قُرَيْشٌ فاخرتْ بقديمها ... فخرتَ بمجْدٍ يا يزيدُ تَليدِ
بمجْدِ أميرِ المؤمنين ولم يزَلْ ... أبوك أمينُ الله غيرَ بَليدِ
به عَصَم اللهُ الأنامَ من الرَّدَى ... وأدركَ تَبْلًا[3] من مَعاشرَ صِيدِ
ومَجْدِ أبى سُفيانَ ذى الباع والنَّدَى ... وحَرْبٍ وما حَرْبُ العُلا بزهيدِ
فمَنْ ذا الذى إن عدّد الناسُ مجدَهم ... يَجىء بمجْدٍ مثلِ مجدِ يزيدِ

وقال فيه القصيدةَ المذكور فيها الغناءُ فى هذه القصّة بعينها[4] .

هجا ابن مطيع حين طرده المختار عن ولاية الكوفة

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى السُّكّرىّ عن ابن حَبيب قال : كان عبد الله بن الزُّبير قد ولّى عبد الله بن مُطيع بن الأسود بن نَضْلةَ[5] بن عُبيد ابن عَويج بن عَدِىّ بن كَعْب، الكوفةَ، فطَرده عنها المختارُ بن أبى عُبَيد حين ظَهر؛ فقال فَضالةُ بن شَريك يهجو ابنَ مُطيع :

(١) زيادة عن ط، م، ف . (٢) فى ف : « على المدينة » . (٣) فى بعض الأصول : « نبلا » بالنون، تصحيف . والتبل هنا : الثأر . والصيد : جمع أصيد . يقال ملك أصيد، إذا كان لا يلتفت من زهوه يمينا ولا شمالا . (٤) هذه عبارة ط، م، ف . ومثلها ء لولا تحريف فى الكلمات . وفى سائر الأصول : « وقال فيه أيضا الأبيات المذكور فيها الغناء من هذه القصيدة بعينها » . (٥) كذا فى ط، ء، م، ف . وفى سائر الأصول : « فضالة » تحريف (راجع أسد الغابة ج ٣ ص ٢٦٢، والإصابة ج ٥ ص ٦٥) .

دعا ٱبنُ مُطَيعٍ لِلْبِيَاعِ بِفِتْنَةٍ * إلى بَيْعَةٍ قلبي بها غيرُ عارِف (١)

فقرِّبَ لي خَشْنَاءَ لمَّا لَمَسْتُهَا * بِكَفِّيَ لم تُشْبِهْ أَكُفَّ الخَلائِف

مُعَوَّدَةً حَمْلَ الهِرَاوَى لِقَوْمِها * فَرُوراً إذا ما كان يومُ التَّسَايُف (٢)

من الشَّثِنَاتِ الكُزْمِ (٣) أنكرتُ لَمْسَها (٤) * وليستْ من البِيضِ السِّبَاطِ اللَّطائف

ولم يُنْسِمِ إذْ بايعتُهُ من خَلِيفَتي * ولم يَشْتَرِطْ إلا ٱشتراطَ المُجَازِف

متى تَلْقَ أهلَ الشأمِ في الخَيْلِ تلقَنِي * على مُقْرَبٍ (٥) لا يُزْدَهَى بالحَاذِف

مُمَرٍّ (٦) كَبُنْيَانِ العِبَادِيِّ (٧) مُخْطَفٍ * من الضَّارياتِ بالدِّماء الخَوَاطِف

هجا عامر بن مسعود لأنه تسوّل في جمع صداق زوجه

وقال ابن حبيب في هذا الإسناد : تزوّج عامرُ بن مسعود بن أُمَيَّةَ بن خَلَفٍ الجُمَحيُّ آمرأةً من بني نَصْر بن مُعاوية ، وسأل في صَدَاقها بالكوفة ، فكان يأخذ من كلِّ رجلٍ سأله دِرْهَمَيْنِ درهمين . فقال له فَضَالةُ بن شَرِيك يهجوه بقوله :

أَنْكَحْتُمُ يا بني نَصْرٍ فَتَاتَكُمُ * وَجْهاً يَشِينُ وُجوهَ الرَّبْرَبِ (٨) العِينِ

---

(١) في ط ، م ، ف : « لما غير عارف » . (٢) التسايف : التضارب بالسيوف .

(٣) يقال شثن الرجل (كفرح وكرم) فهو شثن (بالسكون) إذا كان غليظ الكف خشنها . ولعله حرك العين هنا وهي الثاء للضرورة ، لأن عين الوصف لا تحرك في جمع المؤنث ، أو هي لغة كفرح وفرحة ، لم ترد في المعجمات . والكزم : جمع أكزم وكزماء ، والكزم (بالتحريك) هنا : قصر في الأصابع شديد .

(٤) في ف : « مسّها » . (٥) المقرب من الخيل : الذي يقرب مربطه ومعلفه لكرامته . ولا يزدهى : لا يستخف و « الحاذف : ما يرمى به » . وشرح الكلمة الأخير عن هامش ط .

(٦) ممر : موثق الخلق . (٧) في ط ، م : « كنّاز العبادي » . ولعل صوابه : « كزنار العبادي » . والزنار : ما يشده النصراني على وسطه . والعباديون : نصارى الحيرة ، على أن يكون قد وصف الفرس بأنه موثق الخلق مفتول كالزنار . والمخطف : الضامر . وضرى بالشيء : لهج به وأغرم .

(٨) الربرب : القطيع من بقر الوحش . والعين : الواسعة العيون ، الواحد أعين وعيناء .

أنكحتُم[1] لا فتًى دُنيا يُعاش به * ولا شُجاعًا إذا انشقّتْ عصا الدِّينِ
قد كنتُ أرجو أبا حفصٍ وسُنّتَه * حتّى نكَحْتَ[2] بأرزاقِ المساكينِ

هجا رجلا من بنى سليم خان الأمانة

وقال ابن حبيب فى هذا الإسناد : أَوْدَع فضالةُ بن شَرِيك رجلًا من بنى سُلَيم يقال له قيس ناقةً، فخرج فى سفرٍ، فلمّا عاد طَلَبها منه، فذكر أنّها سُرِقتْ. فقال [فيه][3] :

١٧٣ / ١٠

وَلَو أنّنِي يومَ بَطْنِ العَقيـقِ * ذَكرتُ وذو اللُّبِّ يَنْسَى كَثِيرَا
مُصَابَ سُلَيمٍ لِقَاحَ النَّبِيِّ[4] * لَمْ أُودِعِ الدَّهرَ فيهم بَعِيرَا
وقد فاتَ قَيْسٌ بِعَيْرانَةٍ[5] * إذا الظِّلُّ كان مَدَاهُ قصيرَا
مِنَ اللاعِباتِ بِفَضْلِ الزِّمَامِ * إذا أقلقَ السَّيْرُ فيه الضُّفُورَا[6]
ومَنْ يَبْكِ منكمْ بَنِي مُوقِدٍ * ولم يَرْهُمْ يَبْكِ شَجْوًا كَبِيرَا
هُمُ العاسِفُونَ[7] صِلابُ القَنَا * إذا الخيلُ كانتْ من الطَّعنِ زُورَا[8]

(١) فى أ ، ب ، س ، م (فى أحد موضعيها) : « أنكتم » .
(٢) فى هذه الأصول أيضا : « أنكت » .
(٣) زيادة عن ف . (٤) مصاب هنا : مصدر بمعنى إصابة . ومثله :
أظلوم إنّ مصابكم رجلا * أهدى السلام تحيّة ظلم
واللقاح : ذوات الألبان من النوق ، واحدتها لقوح ولقحة .
(٥) كذا فى ط ، جـ ، م ، ف . وفى سائر الأصول : « بعيرانه » تصحيف . والعيرانة من النوق : القوية التى تشبه العير، وهو الحمار الوحشى، فى القوّة والنشاط .
(٦) فى م ، أ : « الصقورا » وفى جـ ، ب ، س : « القصورا » والتصويب من ط . والضفور : جمع ضفر (بالفتح) وهو ما يشدّ به البعير من الشعر المضفور .
(٧) فى أكثر الأصول : « العاشقون » والتصويب من ط ، م .
(٨) زور : مائلات ، واحدها أزور وزوراء .

وأيسـارُ لُقمانَ[1] إذ أمحـلُوا * وعزٌّ لمَنْ جاءهم مُسْـتَجيرَا
فإنْ أنا لم يُقضَ لي ألقَهـمْ[2] * قـرأتُ السَّلامَ عليهـمْ كثـيرا

عود إلى شعر في ذم ابن الزبير قيل إنه لفضالة

وذكرَ ابنُ حبيب في هذه الرواية أنّ القصيدةَ التي ذكرتُها عن المدائنيّ في خبر عبد الله ابن فَضالةَ بن شَريك مع ابن الزُّبير كانتْ مع فَضالةَ وابنِ الزُّبير لا مع ابنه، وذكَرَ الأبياتَ وزادَ فيها :

شَكوتُ إليـه أنْ نَقِبتْ[3] قَلوصِي * فَردَّ جـوابَ مَشْـدودِ الصِّفادِ[4]
يَضَنُّ بناقـةٍ ويرومُ مُلْـكًا * مُحالٌ ذلِكُمْ[5] غَـيرُ السَّـدادِ

(١) الأيسار : أصحاب القداح المجتمعون على الميسر، الواحد يسر (بالتحريك) . ولقمان هو ابن عاد صاحب النسور السبعة التي آخرها لبد، وهو غير لقمان الحكيم . قال المفضل الضبي في أمثاله (ص ٧٤ طبعة الجوائب سنة ١٣٠٠ هـ) : « زعموا أن لقمان بن عاد جاور حيا من العمالقة وهم عرب ، فلا عُسّا له لبنا، ثم قال لجارية له : انطلقي بهذا العس إلى سيد هذا الحي فأعطيه إياه، وإياك أن تسألي عن اسمه واسم أبيه . فانطلقت حتى أتتهم، فإذا هم بين لاعب وعامل في ضيعته ومقبل على أمره ، حتى مرت بثمانية نفر منهم عليهم وقار وسكينة ولهم هيئة، فقامت تتفرس فيهم أيهم تعطي العس . فرت بها أمة ، فقالت لها جارية لقمان : إن مولاي أرسلني إلى سيد هذا الحي ونهاني أن أسأل عن اسمه واسم أبيه . فقالت لها الأمة : إن وصفتهم لك تخفى أيهم شئت أو ذرى، وفيهم سيد الحي . ثم أخذت الأمة تصفهم واحدا واحدا بصفات كلها تمتّ إلى الكرم والشجاعة ، وهي الخلال المحمودة في البادية ، وهم بيض، وحممة، وطفيل، وذفافة، ومالك، وتميسل، وفرزعة، وعمار؛ فأعطت الجارية العس من رأته من الوصف سيدهم . وقد ذكرت العرب أيسار لقمان في شعرها في الفخر والمدح؛ فقال شاعرهم : « فوى أيسار لقمان » أو « وهم أيسار لقمان » . قال طرفة :

وهم أيسار لقمان إذا * أغلت الشتوة أبداء الجزر

وأبداء الجزور : أشرف أعضائها، واحدها بدء (بالفتح) .
وقال أوس بن حجر :

وأيسار لقمان بن عاد سماحة * وجودا إذا ما الشول أمست جرائرا

(٢) بجزم الفعل على البدل . (٣) كذا في ط، ب، م، ف . وفي سائر الأصول : « تعبت » .
(٤) الصفاد (بالكسر) : ما يوثق به الأسير من قد أو قيد . (٥) في ط، م، ف : « ذاكم » .

وَلِيتَ إمارةً فبَخِلْتَ لمّا * وَلِيتَهمُ بمُلْكٍ مُستَفادِ
فإنْ وَلِيَتْ أُميّةُ أبدلوكُمْ * بِكُلّ سَمَيْدَعٍ(١) وارى الزِّنادِ
منَ الأعْياصِ أوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ * أغَرَّ كغُرّةِ الفَرَسِ الجَوادِ
إذا لَمْ أَلْقَهُمْ بمِنًى فإنّى * بِبَيْتٍ لا يَهَشّ(٢) لهُ فؤادى
سَيُدْنِينى لَهُمْ نَصُّ المَطايا * وتعليقُ الأداوَى والمَزادِ(٣)
وظَهْرٌ مُعبَّدٌ قد أعْمَلَتْهُ * مَناسِمُهُنّ طَلّاعَ النِّجادِ
رَعَيْنَ(٤) الحَمْضَ حَمْضَ خُناصِراتٍ * وما بالعِرْقِ من سَبَلِ الغَوادى(٥)
فهُنَّ خَواضِعُ الأبدانِ قُودٌ(٦) * كأنّ رءوسَهنّ قبورُ عادِ
كأنّ مَواقِعَ الغِرْبانِ منها * مَنارات بُنِينَ(٧) على عِمادِ

(١) كذا فى ط ، م ، ف : «سميدع» بالدال المهملة . وفى سائر الأصول : «سميذع» بالذال المعجمة . وإهمال الدال هو ما يفهم من كلام اللغويين ، بل صرح بعضهم بأن إعجامها خطأ (راجع تاج العروس مادة سميدع) . والسميدع : السيد الكريم الشريف السخى الموطأ الأكناف ، والشجاع ، والرجل الخفيف فى حوائجه . ويقال : إنه لوارى الزناد ، ووارى الزند ، وورىّ الزند ، إذا رام أمرا أنجح فيه وأدرك ما طلب . (٢) كذا فى ط ، م ، ف . وفى سائر الأصول : «لا يهش به» .

(٣) تقدم شرح ما فى هذا البيت والذى قبله فى ص ٧٠

(٤) فى أكثر الأصول : «وعين» بالواو . والصواب من ط ، م ، ف . وخناصرة بليدة من أعمال حلب تحاذى قنسرين نحو البادية ، وهى قصبة كورة الأحص ؛ قال عدىّ بن الرقاع :

وإذا الربيع تتابعت أنواؤه * فسقى خناصرة الأحص وزادها

وقد جمع فى الشعر كما هنا ، كأن الشاعر يجعل كل موضع منها خناصرة . قال جران العود :

نظرت وصحبتى بخناصرات * ضحيا بعد ما متع النهار

(٥) فى أكثر الأصول : * وما بالعرف من سبل الفؤاد *

صوابه من ط ، م ، ف . وسبل الغوادى : مطرها . يريد ما أنبته المطر من مرعى .

(٦) قود : جمع أقود وقوداء . والقود (بالتحريك) : طول الظهر والعنق .

(٧) كذا فى ط . وفى أكثر الأصول : «تبين» . والغرابان من الفرس والبعير : حرفا الوركين الأيسر والأيمن اللذان فوق الذنب حيث التقى رأسا الورك اليمنى واليسرى ، والجمع غربان . والغراب أيضا : قذال الرأس ؛ يقال : شاب غرابه أى شعر قذاله . يريد أن يصف المطايا بالضخامة والارتفاع ، كما وصفها فى البيت الذى قبله بالطول .

[قال[1]] : فلمّا وَلِى عبدُ الملك بعث إلى فَضالةَ يطلُبه ، فوجده قد مات ، فأمر لورثته بمائة ناقةٍ تحمل وِقْرَها بُرًّا وتَمْرًا . [قال[1]] : والكاهنيّة التي ذكرها زُهْرَةُ[2] بنتُ حَنْتَرٍ آمرأةٌ من بنى كاهلِ بن أَسَدٍ ، وهى أُمّ خُوَيْلد بن أَسَد بن عبد العزّى .

صـــــوت

لقدْ طالَ عَهْـــدِى بالإمامِ محمّـــدٍ ... وما كنتُ أخشَى أن يطولَ به عهدِى
فأصبحتُ ذا بُعْـدٍ ودارِى قريبةٌ ... فَوَاعَجَبًا من قُرْبِ دارِى ومن بُعْدِى
فياليتَ أنّ العيـدَ لِى عاد يَوْمُـــهُ ... فإنّى رأيت العيـدَ وَجْهَك لى يُبْـدِى
رأيتُـــك فى بُرْدِ النـــبىّ محمـــدٍ ... كَبَـــدْرِ الدُّجَى بين العِمامةِ[3] والـبُرْدِ

الشعر لأبى السِّمْط مَرْوان الأصغر بن أبى الجَنُوب بن مَرْوان الأكبر بن أبى حَفْصة . والغناء لُبَنَانٍ خفيفُ رملٍ مطلق ابتداؤه نشـيد . وذكر الصُّولىّ أنّ هذا الشعر ليحيى بن مروان ، وهذا غلط قبيح .

---

(١) زيادة عن ف .

(٢) ورد هذان الاسمان محرفين فى أكثر الأصول ، ففيها جميعا : «زهراء» وفى ب ، س ، حـ : « خنزاء » ، وفى م ، أ : « خشراء » . والتصويب من ط .

(٣) فى أكثر الأصول : « الغمامة » بالغين المعجمة . والتصويب من ط ، ف .

٢/١١

أخبار مروان الأصغر[1]

كان أهله شعراء وشعره دونهم

قد مرّ نسبه ونسب أبيه وأهله وأخبارهم متقدّما . وكان مروان هذا آخر من بقى منهم يعدّ فى الشعراء ، وبقى بعده منهم متوّج . وكان ساقطا بارد الشعر . فذكر لى عن أبى هفّان أنه قال : شعر آل أبى حفصة بمنزلة الماء الحارّ . ابتداؤه فى نهاية الحرارة ثم تلين حرارته ، ثم يفتر ثم يبرد ، وكذا كانت أشعارهم ، ٥ إلا أنّ ذلك الماء لمّا انتهى إلى متوّج جمد .

وهذا الشعر يقوله مروان فى المنتصر، وكان قد أقصاه وجفاه، وأظهر خلافا لأبيه فى سائر مذاهبه حتى فى التشيّع، فطرد مروان لنصبه، وأخرجه عن جلسائه . فقال هذه الأبيات وسأل بنان بن عمرو فغنّى فيها المنتصر ليستعطفه . وخبره فى ذلك يذكر فى هذا الموضع من الكتاب . ١٠

مدح المتوكل وولاة عهده فأكرمه وأقطعه ضيعة

أخبرنى عمّى وحبيب بن نصر المهلّبى قالا حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى حمّاد بن أحمد بن سليمان الكلبىّ قال حدّثنى أبو السّمط مروان الأصغر قال :

لمّا دخلت إلى المتوكّل مدحته ومدحت ولاة العهود الثلاثة، وأنشدته[2] :

سقى الله نجدا والسلام على نجد * ويا حبّذا نجد على النّأى والبعد

نظرت إلى نجد وبغداد دونها * لعلّى أرى نجدا وهيهات من نجد ١٥

ونجد بها قوم هواهم زيارتى * ولا شىء أحلى من زيارتهم عندى

---

(١) وردت فى ط ، م قبل ترجمة مروان هذا ترجمة يوسف بن الحجاج الصيقل . وهى واردة فى ب جزء ٢٠ ص ٩٣ وما بعدها .

(٢) كذا فى ط ، م ، ف . وفى سائر الأصول : «وأنشدته هذا» .

قال : فلمّا فرغتُ منها أمر لى بمائة وعشرين ألفَ درهم وخمسين ثوبا وثلاثةٍ من الظَّهر فرسٍ وبَغْلةٍ وحِمَارٍ، ولم أبرَحْ حتَّى قلتُ قصيدتى التى أشكره فيها وأقول :

٣/١١

تَخَيَّرَ ربُّ النَّاسِ للنّاس جعفراً * ومَلَّكه أمرَ العِبَادِ تخيُّرَا

فلما صرتُ إلى هذا البيت :

٥ فأمسِكْ نَدَى كفَّيْكَ عنِّى ولا تزِدِ * فقد كِدْتُ أنْ أطغَى وأنْ أتجبَّرَا

قال لى : لا والله لا أُمسِكُ حتَّى أُغَرِّقَك بجُودِى .

وحدّثنى عمِّى بهذا الخبر قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال حدّثنى حماد بن أحمد بن يحيى قال حدّثنى مَرْوان بن أبى الجَنُوبِ ، فذكر مثلَ هذا الخبر سواءً ، وقال بعد قوله : « لا والله لا أمسك حتَّى أُغرِّقك » : سَلْنِى حاجتَك . فقلت :
١٠ يا أمير المؤمنين، الضَّيْعة التى أمرتَ أنْ أُقْطَعَها باليمامة — ذكر ابن المُدَبِّر أنها وَقْفُ المعتصم على وَلَدِه — فقال: قد قَبَّلْتُك(١) إيَّاها مائةَ سنةٍ بمائة درهمٍ . فقلتُ : لا يحسُن أن تُضْمَنَ ضيعةٌ بدرهمٍ فى السنة . فقال ابن المدبِّر : فبألفِ درهم فى كلِّ سنةٍ . فقلتُ نعم . فأمر ابنَ المدبِّر أن يُنْفِذَ(٢) ذلك لى، وقال : ليستْ هذه حاجةً ، هذه قَبَالةٌ ، فسَلْنِى حاجتَك . فقلتُ : ضيعة يقال لها السُّيُوح(٣) أمر
١٥ الواثق بإقطاعى إيَّاها، فمَنَعنيها ابنُ الزيَّات؛ فأمر بامضاء الإقطاع لى .

كان على بن الجهم يطعن عليه حسدا له على موضعه من المتوكل، فهجاه هو فى حضرة المتوكل وغلبه

حدّثنى جعفر بن قُدَامةَ قال حدّثنى علىّ بن يحيى المنجِّم قال :
كان علىّ بن الجَهْم يَطْعَن على مَرْوان بن أبى الجَنُوب ويَثْلِبُه حسدًا له على موضعه من المتوكِّل . فقال له المتوكِّل [يوماً](٤) : ياعلىّ، أيّما أشعرُ أنتَ أو مَرْوان ؟ فقال : أنا يا أمير المؤمنين . فأقبل على مَرْوان فقال له : قد سمعتَ، فما عندك ؟

٢٠ (١) قبلتك إياها أى ضمنتها لك والتزمت بذلك . والاسم القبالة (بالفتح) . (٢) فى ف : « فأمر بأن ينفذ ... » . (٣) فى ف : « السيوخ » . (٤) زيادة من ف .

قال : كلُّ أحدٍ أشعرُ منّى يا أمير المؤمنين ، وما أصِفُ نَفْسِى ولا أُزَكّيها . وإذا رَضِيَنِى أميرُ المؤمنين فما أُبَالِى مَنْ زَيّفنى . فقال له : قد صَدَّقْتُك ، علىّ يزعم سِرًّا وجهرًا أنّه أشعرُ منك . فالتفت إليه مروانُ فقال له : ياعلىّ ! أأنتَ أشعرُ منّى ؟ فقال : أوَتَشُكُّ فى ذاك ؟ قال : نعم ! أشُكُّ وأَشُكُّ ، وهذا أميرُ المؤمنين بيننا . فقال له علىٌّ : إنّ أميرَ المؤمنين يُحابيك . فقال المتوكل : هذا عِىٌّ منك يا علىّ ؛ ثم قال لابن حَمْدُون : احْكُمْ بينهما . فقال : طَرَحْتَنى والله يا أمير المؤمنين بين أنيابٍ ومَخَالِبِ أَسَدَيْنِ . قال : واللهِ لَتَحْكُمَنّ بينهما . فقال له : أمّا إذْ[1] حلفتَ يا أمير المؤمنين فأشعرُهما عندى أعْرَفُهما فى الشِّعْر . فقال له المتوكل : قد سمعتَ ياعلىّ . قال : قد عَرَف مَيْلَك إليه فمال معه . فقال: دَعْنا منك ، هذا كلُّه عِىٌّ ، فإن كنتَ صادقًا فاهْجُ مروانَ . قال : [قد][2] سكتُّ ولا فضلَ فىّ . فقال المتوكل لمروان : اهْجُهُ أنت ، وبحياتى لا تُبْقِ[3] غايةً[4] . فقال مروان :

إنّ ابن جَهْمٍ فى المَغيب يَعيبُنى * ويقول لى حَسَنًا إذا لاقانى

صَغُرتْ مَهَابَتُه وعُظِّمَ بَطْنُه * فكأنّما فى بطنه وَلَدانِ

وَيْحَ ابنِ جَهْمٍ ليس يَرْحَم أمَّهُ * لو كان يرحمها لَمَا عادانى

فإذا الْتقينا نالَ شِعْرِى شِعْرَه * ونَزَا علَى شَيطانه شيطانى

قال : فضحك المتوكل والجلساءُ منه ، وانخزل[5] ابن الجهم ، فلم يكن عنده أكثرَ من أن قال : جَمَع حِيلَةَ الرِّجالِ وحيلةَ النساء . فقال له المتوكل : هذا أيضًا من

(١) فى بعض الأصول : «إذا» تحريف . (٢) زيادة فى ط ، م . (٣) كذا فى ط ، حـ ، م . وفى سائر الأصول : «لا تبق» . (٤) زيد فى ب ، س ، حـ هنا : «قوله» .
(٥) كذا فى ط ، حـ ، م . وانخزل فى كلامه : انقطع . وفى سائر الأصول : «انخذل» بالذال ، تحريف .

عِيَك وبَرْدِك، إن كان عندك شيءٌ فهاته ؛ فلم يأتِ بشيء . فقال لمروان : بحياتى إنْ حَضَرك شيء فهاته، ولا تُقَصِّرْ فى شتْمك . فقال مروان :

٤/١١

لَعَمْرُكَ ما الجَهْمُ بن بَدْرٍ بشاعرٍ * وهــذا علىٌّ بعده يَدّعِى الشِّعْرَا

ولكن أبى قــد كان جارًا لأُمّه * فلمّا آدّعى الأشعارَ أوهمنى أمْرَا

٥ قال : فضحك [المتوكل] وقال : زِدْه بحياتى . فقال فيه :

يابنَ بَــدْرٍ ياعَلِيَّــهْ * قُلْتِ إنِّى قُرَشِــيَّهْ

قلتِ ما ليس بحــقٍّ * فاسْــكُتِى يانَبَطِيَّــهْ

أُسْكُتِى يا بنتَ جَهْمٍ * أُسْــكُتِى يا حَلَقِيَّــه(1)

فأخذ عَبّادةُ هذه الأبياتَ فغنّاها على الطَّبْل وجاوبه مَنْ كان يغنِّى، والمتوكلُ ١٠ يضحَك ويضرب بيديه ورجليه ، وعلىٌّ مُطْرِقٌ كأنّه ميّت ، ثم قال : علىَّ بالدواة فأُتِىَ بها، فكتَب :

بَــلاءٌ ليس يُشْبِهُهُ بَــلاءُ * عَدَاوةُ غيرِ ذى حَسَبٍ ودِينِ

يُبِيحُكَ منــه عِرْضًا لم يَصُنْهُ * ويرتَع منك فى عِرْضٍ مَصُونِ

قال علىّ بن الجهم شعرا فى حبسه ، فعارضه فلم يطلقوه

أخبرنى علىّ بن العبّاس بن أبى طَلْحةَ قال حدّثنى جعفــر بن هارون بن زِيَاد ١٥ قال حدّثنى محمد بن السِّرِىّ قال :

لمّــا مدَح علىُّ بن الجَهْم وهو محبوسٌ المتوكلَ بقوله

تَوَكَّلْنــا عــلى رَبِّ السماءِ * وسلمنا لأسباب القضاءِ

(1) يقال أتان حلقية، إذا تداولها الحمر فأصابها داء فى رحمها ؛ ومنه الحلاق (بالضم) فى الأتان، وهو ألا تشبع من السفاد .

وذكر فيها جميع النّدماء وسبّعهم[(١)] وهجاهم، انتدب له مَرْوانُ بن أبى الجَنُوب فعارضه فيها، وقد كان المتوكّل رقّ له، فلما أنشده مَرْوانُ هذه القصيدةَ اعتوَرَتْه ألسنةُ الجلساء فثَلَبوه واغتابوه وضربوا عليه، فتركه فى مَحْبِسه. والقصيدةُ[(٢)]:

ألم تعلَمْ بأنّك يابنَ جَهْمٍ * دَعِىٌّ فى أُناسٍ أدعياءِ
أعبدَ الله تهجو وابنَ عَمْرٍو * وبَخْتِيَشُوعَ أصحابَ الوفاء
هجوتَ الأكرمين وأنت كلبٌ * حقيقٌ بالشّتيمة والهِجاء
أتَرْمِى بالزّناء بنى حَلالٍ * وأنت زَنِيمُ[(٣)] أولادِ الزّناء
أُسامةُ من جُدُودك يابنَ جَهْمٍ! * كذبتَ وما بذلك من خَفاء

قال فى المعتصم شعرا بعدما كان من أمر العباس بن المأمون وعجيف

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا الحسين بن يحيى قال حدّثنى إبراهيم ابن الحسن قال:

لمّا كان من أمر العَبّاس بن المأمون وعُجَيْف ما كان، أنشد مَرْوانُ بن أبى الجَنُوب المعتصمَ قصيدةً أوّلُها[(٤)]:

ألَا يا دولةَ المَعْصُومِ دُومِى * فإنّك قُلْت للدُّنيا استقيمى

فلمّا بلغ إلى قوله:

هَوَى العبّاسُ حين أراد غَدْرًا * فوافى إذ هوى قَعْرَ الجحيم
كذاك هَوَى كَهَواهُ عُجَيْفٌ * فأصبحَ فى سَوَاءِ لَظَى الحَمِيم

[قال المعتصم: أبعده الله[(٥)]!]

---

(١) سبعه: شتمه ووقع فيه. (٢) فى حـ، ب، سـ: «والقصيدة قوله».

(٣) الزنيم: المستلحق فى قوم ليس منهم، والدعى، واللئيم المعروف بلؤمه أو شره.

(٤) فى حـ، ب، سـ: «أولها قوله». (٥) زيادة فى ف.

حدّثني جعفر بن قُدَامةَ قال حدّثنا أبو العَيْناء قال :

مدح أشناس فطرب له وأجازه من غير أن يفهمه

دخل مَرْوانُ الأصغرُ بن أبي الجَنُوبِ على أَشناس وقد مدحه بقصيدة فأنشده إيّاها ، فجعل أَشْناس يُحَرِّك رأسَه و يومئ بيديه و يُظهر طرباً وسروراً ، وأمر له بصِلَةٍ . فلمّا خرج قال له كاتبه : رأيتُ الأميرَ قد طَرِب وحرّك رأسَه و يديه لِمَا كان يسمَعه ، فقد فَهِمه[1] ؟ قال نعم . قال : فأىّ شيء كان يقول ؟ قال : مازال يقول علىّ رُقْيةَ الخُبْزِ حتّى حَصَّل ما أراد وانصرف .

هجا على بن يحيى المنجم فردّ عليه

حدّثني جعفر بن قُدَامةَ[2] قال حدّثني علىّ بن يحيى المنجّم قال : كان المُتَوكِّلُ يُعَابِثُنى[3] كثيرًا ، فقال فى يومٍ من الأيّام لمَرْوانَ بن أبي الجَنُوب : اُهْجُ علىّ بن يحيى ؛ فقال مَرْوان :

أَلَا إنّ يحـيى لا يُقَـاسُ إلى أبى * وعِرْضُ ابن يحيى لا يُقَاسُ إلى عِرْضى

وهى أبيات تركتُ ذكرَها صِيانةً لعلىّ بن يحيى . قال : فأجبتُه عنها فقلتُ :

صـدقتَ لَعَمْرِى ما يقاسُ إلى أبى * أبوكَ ، ومَنْ قاس الشَّوَاهِقَ بالخَفْض

وهَـلْ لك عِرْضٌ طاهرٌ فتَقِيسَـهُ * إذا قِيستِ الأعراضُ يومًا إلى عِرْضى

ألسـتُمْ مَـوَالِى لِلّعِينِ ورَهْطِـهِ * أَعادِى بنى العبّاس ذِى الحَسَبِ المَحْض

تُوَالُونَ مَنْ عادَى النبىَّ ورَهْطَـهُ * فتَرْمُونَ مَنْ وَالَى أُولِى الفَضْلِ بالرَّفْض

وليس عجيبًا أنْ أَرَى لك مُبْغِضًا * لأنّـك أهـلٌ للعَـداوةِ والبُغْض

(١) فى ط : « فقد فهم » .

(٢) فى ط ، ب ، س : « حدّثنى جعفر بن قدامة لمروان قال حدّثنى ... » .

(٣) كذا فى م ، ا . وفى سائر الأصول « يعاتبني » تصحيف .

نقد أبو العنبس الصيمرى شعرا له فتهاجرا

حدّثنى جَحْظةُ قال حدّثنى علىّ بن يحيى قال :

أنشد مَرْوانُ بن أبى الجَنُوب المتوكّل ذاتَ يوم :

إنّى نزلتُ بساحة المُتَوكِّلِ * ونزلتَ فى أقصَى دِيَارِ المَوْصِلِ

فقال له بعضُ مَنْ حَضَر : فكيف الاتّصالُ بين هؤلاء والمُرَاسلة؟ فقال أبو العَنْبَس الصَّيْمَرِىّ : كان له حَمَامٌ هُدًى[1] يبعث بها إليه من الموصل حتّى يُكاتبه على أجنحتها. فضحِك المتوكّل حتى استلقَ ، وخجِل مَرْوانُ وحَلَف بالطلاق لا يكلّم أبا العَنْبَس أبدا، فباتا متهاجِرَيْنِ . كذا أكبرُ حفظى أنّ جحظة حدّثنى به عن علىّ بن يحيى؛ فإنّى كتبتُه عن حِفْظى .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويةَ قال حدّثنى إبراهيم بن المُدَبِّر قال قرأتُ فى كتاب قديم :

أنشد المتوكل فى مرضه بالحمى قصيدة ، فقال علىّ بن الجهم أن بعضها منتحل

قال عَوْفُ بن مُحَلِّم لعبد الله بن طاهر فى عِلَّةٍ اعتلّها :

فإنْ تكُ حُمّى الرِّبْعِ[2] شَفَّكَ وِرْدُها * فعُقْبَاكَ منها أن يطولَ لك العُمْرُ

وَقَيْنَاكَ لو نُعْطَى المُنَى فيكَ والهَوَى * لكان بِنا الشَّكْوَى وكان لك الأَجْرُ

قال : ثم حُمَّ المتوكِّل حُمَّى الرِّبْع، فدخل عليه مَرْوان بن أبى الجَنُوب بن مروان ابن أبى حَفْصةَ ، فأنشده قصيدةً له على هذا الرَّوِىّ ، وأدخل البيتين فيها، فسُرَّ بها[3]

(١) الحمام الهدّاء : ضرب من الحمام يدرّب على السفر من مكان إلى مكان، فيرسل من أمكنة بعيدة فيذهب الى حيث يراد منه أن يذهب، الواحد هاد ، والجمع هُدًى (بالقصر) وهُدّاء (بالمد) ؛ كما يقال غاز وغُزًى وغُزّاء . وورود هذين الجمعين فى الوصف المعتل اللام نادر .

(٢) حمى الربع : التى تنوب فى اليوم ثم تدع المريض يومين ثم ترده فى اليوم الرابع .

(٣) فى ط ، ف : « فأدخل البيتين فسر بهما ... » .

المتوكل. فقال له علىّ بن الجَهْم : يا أمير المؤمنين، هذا شعرٌ مَقُولٌ، وآلتفتَ إلىّ وقال: هذا يعلَم. فآلتفتَ إلىّ[1] [المتوكّل] وقال: أتعْرِفه؟[2] فقلتُ: ماسمعتُه قبل اليوم. فشتَم علىّ بن الجَهْم وقال له: هذا من حَسَدك وشَرِّك وكَذِبك. فلمّا خرجنا قال علىّ بن الجَهْم: وَيْحَك ! مالكَ قد جُنِنْتَ ! أَمَا تَعْرِف هذا الشعرَ ؟ قلتُ : بلى ! وأنشدتُه إيّاه. فلمّا عدتُ إلى المتوكّل من غدٍ قال له : يا أمير المؤمنين، قدِ آعترف لى بالشّعر وأنشدَنيه. فقال لى: أكذاك هو؟ فقلتُ: كَذَب [يا أمير المؤمنين][3]! ماسمعتُ به قطُّ، فازداد عليه غيظًا وله شتمًا. فلمّا خرجنا قال لى: ما فى الأرض شَرٌّ منك. فقلتُ له: أنت أحمقُ، تُريد منّى أن أجىء إلى شِعْرٍ قد قاله فيه شاعرٌ يُحِبُّه ويُعْجِبه شِعرُه فأقول له: إنّى أعرفه فأُوقِع نفسى وعِرْضى فى لسان الشاعر لترتفع أنت عنده، ويَسْقُطَ ذاك ويُبْغِضُنى أنا[4] !

صــــوت

ما لإبراهـــيمَ فى العِلْـ * ـمِ بهـذا الشّأنِ ثانِ

إنّمـا عُمْـــرُ أبى إسْـ * ـحاقَ زَيْنٌ لِلزّمانِ

فإذا غَـــنّى أبو إسْحـا * قَ أجابتْـــهُ المَثَـانى

منـه يُجْـنَى ثَمَـرُ اللّهْـ * ـوِ ورَيْحانُ الجِنَانِ

جَنّـةُ الدُّنْيـا أبو إسـ * ـحاقَ فى كلّ مكانِ

عَرُوضه من الرَّمَل . الشِّعْرُ لآبن سَيَابةَ . والغناء لإبراهيم المَوْصِلىّ خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق آبنه .

(١) فى ف : « قال : وهذا يعلم » . (٢) فى ف : « فقال لى المتوكل : أتعرفه » .

(٣) زيادة فى ف . (٤) كذا فى ف . وفى سائر الأصول : « ويبغضنى أيضا » .

أخبار ابراهيم بن سَيَابةَ ونسبه

جدّه حجام وهو ظريف ويرمى بالأبنة

إبراهيم بن سَيَابةَ مولى بنى هاشم . وكان يقال : إنّ جَدّه حَجّام أعتقه بعض الهاشميين . وهو من مُقَارِبى شُعَراء وقتِه، ليست له نباهةٌ ولا شعرٌ شريف، وإنّما كان يميل بمودّته[1] ومَدْحِه إلى إبراهيم المَوْصِلىّ وابنِه إسحاق، فغنّيا فى شعره ورفعا منه ، وكانا يذكُرانه للخُلفاء والوُزراء ويُذَكّرانهم به إذا غنّيا فى شعره ، فينفعانه بذلك . وكان خليعًا ماجنًا ، طَيّبَ النادرة ، وكان يُرْمَى بالأُبْنة .

شعره فى جارية سوداء لامه أهله فى عشقه لها

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنى أبو زائدةَ عن جعفر آبن زيادٍ قال :

عَشِقَ ابنُ سَيَابةَ جاريةً سوداءَ، فلامه أهلُه على ذلك وعاتبوه؛ فقال :

يكونُ الخالُ فى وجهٍ قَبِيحٍ * فيكسُوه المَلاحةَ والجَمَالَا
فكيف يُلَامُ معشوقٌ[2] على مَنْ * يراها كلَّها فى العين خالَا

قصته مع ابن سوّار القاضى ودايته رحاص

أخبرنى محمد بن مَزْيَد وعيسى بن الحسين والحسين بن يحيى قالوا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

لِقِىَ[3] إبراهيمُ بن سَيَابةَ وهو سكرانُ آبنًا لسَوّار بن عبد الله القاضى أَمْرَدَ، فعانقه وقبّله ، وكانت معه دايةٌ يقال لها رُحَاص، فقيل لها : إنّه لم يُقَبّلْه تقبيلَ السلام، إنّما قبّله قُبْلَةَ[4] شَهْوة. فلَحِقَتْه الدايةُ فشتمتْه وأسمعته كلَّ ما يكره، وهجره الغلامُ بعد ذلك. فقال له :

قُلْ لِلّذى ليس لى مِنْ * يَدَىْ هَواهُ خَلَاصُ
أأن تَشَمَّتَكَ سِرًّا * فأبصرتْنى رُحَاصُ

(١) فى ف : «وإنما كان منقطعا بمودّته...» . (٢) كذا فى الأصول . ولعلها «مفتون» .
(٣) كذا فى ف . وفى سائر الأصول : «أتى» . (٤) فى ف : «تقبيل شهوة» .

وقال فى ذاك قــومٌ * على ٱنتقـاصِى حِرَاصُ
هَجَــرْتَنى وأَتتــنى * شَـــتِيمةٌ وانتقـاصُ
فَهَـاكَ فاقْتَصَّ مِــنِّى * إنّ الجُــروحَ قِصَاصُ

٧/١١

ويُرْوَى أنّ رُخَاصَ هذه مغنِّيةٌ كان الغلام يُحِبُّها، وأنه سَكِرَ ونام؛ فقبَّله ابن سَيَابَةَ. فلمّا ٱنتبــه قال للجارية : ليت شِعْرِى ما كان خَبَرُكِ مع ٱبن سَــيَابَةَ ؟ فقالت له : سَلْ عن خبرك أنت معه، وحدّثته بالقِصّة؛ فهجره الغلام؛ فقال هذا الشعر .

٥

جوابه لمن عاتبه على مجونه، ولمن سأل عنـه وهـو سـكران محمـول فى طبـق

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا بن مَهْرُويَةَ قال حدّثنا على بن الصَّبَّاح قال: عاتَبْنا ابنَ سَيَابَةَ على مُجونه، فقال : وَيْلَكم ! لأَنْ أَلقَ اللهَ تبارك وتعالى بذُلِّ المعاصى فيَرْحَمَنِى، أَحَبُّ إلىّ من أنْ ألقاه أتبختر إدلالًا بحسناتى فيَمْقُتَنِى .

١٠

قال : ورأيتُ ابن سَــيَابَةَ يومًا وهو سكرانُ وقد حُمِل فى طَبَقٍ يَعبُرون به على الجِسْر، فسألهم إنسانٌ ماهذا ؟ فرفَع رأســه من الطبق وقال : هذا بَقِيَّةٌ ممّــا تَرَكَ آلُ موسى وآلُ هارون تَحْمِلُهُ الملائكةُ يا كَشْخان (١) .

ولع به أبو الحارث جميز حتى أخجله فهجاه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنــا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَةَ قال حدّثنــا أبو الشِّبْل البُرْجُمِىّ قال :

١٥

وَلِــع [يومًا] (٢) أبو الحارث جُمَّيْز بابن سَيَابَةَ حتى أخجلَه . فقال عند ذلك ابن سَيَابَةَ يهجــوه :

بَنَى أبو الحارثِ الجُمَّيْزِ فى وَسَــطٍ * من ظَهْــرِهِ وقَرِيبًــا من ذِرَاعَيْنِ
دَيْرًا لِقَسٍّ إذا ما جاء يدخـــلُهُ * ألــقَ على باب دَيْرِ القَسِّ خُرْجَيْنِ
يعــدو على بَطْنِهِ شَــدًّا على عَجَلٍ * لا ذو يَدَيْنِ ولا يمشى برجلينِ

٢٠

(١) الكشخان : الديوث . (٢) زيادة عن ف .

جوابه لمن اقترض منه فاعتذر

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا عيسى بن إبراهيم تِينةُ قال :

كَتَب ابن سَيَابَة إلى صديق له يقترض منه شيئا، فكَتب إليه يعتذر له ويحلِف أنه ليس عنده ماسأله. فكتب إليه: "إن كنتَ كاذباً فجعلَك اللهُ صادقاً، وإن كنتَ ملوماً فجعلك الله معذورا".

ضرط فى جماعة فكلم استه

أخبرنى محمد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان ابنُ سَيَابةَ الشاعرُ عندنا يوماً مع جماعةٍ نتحدّث ونتناشد وهو يُنْشِدنا شيئا من شِعْره، فتحرّك فضَرَط، فضرب بيده على آسْتِه غير مكترث، ثم قال : إمّا أنْ تسكُتى حتّى أتكلّم، وإمّا أن تتكلّمى حتى أسكُتَ .

غمز غلاما أمرد فأجابه

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهَيْثَم الأنبارىّ الكاتب قال حدّثنى أبو هِفّانَ قال :

غَمَز ابن سَيَابَة غلامًا أَمْرَدَ ذاتَ يومٍ فأجابه، ومضى به إلى منزله، فأكلا وجَلَسا يَشْرَبان . فقال له الغلامُ : أنت ابن سَيَابةَ الزِّنْديق ؟ قال نعم . قال : أُحِبُّ أن تُعَلِّمنى الزّندقةَ . قال : أفعلُ وكرامةً . ثم بَطَحه على وجهه، فلمّا تمكّن منه أدخل عليه؛ فصاح الغلامُ أوّهْ! أَيْش هذا وَيْحَك ؟ قال سألتَنى أنْ أُعلّمك الزندقة، وهذا أوّلُ بابٍ من شرائعها .

يرى فقدان الدقيق أكبر مصيبة

أخبرنى الحسين بن القاسم الكَوْكَبِىُّ قال حدّثنى مُحْرِز بن جعفر الكاتب قال :

قال لى إبراهيم بن سَيَابةَ الشاعرُ : إذا كانت فى جِيرانك جِنازةٌ وليس فى بيتك دقيقٌ فلا تحضُر الجنازةَ ؛ فإنّ المُصيبةَ عندك أكبرُ منها عند القوم ، وبيتك أَوْلَى بالمأتم من بيتهم .

سخط عليه الفضل ابن الربيع، فاستعطفه بشعر فرضى عنه ووصله

أخبرنى جعفر بن قُدَامةَ ومحمد بن مَزْيَد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

سَخِط الفضلُ بن الرَّبيع على ابن سَيَابَة، فسألتُه أن يرضَى عنه فامتنع . فكَتَبَ إليه ابن سَيَابة بهذه الأبيات وسألنى إيصالَها :

إنْ كان جُرْمِى قد أحاطَ بحُرْمَتِى * فأَحِطْ بجُـرْمِى عَفـوَكَ المأمولَا
فـكَمِ ارْتَجَيْتُـكَ فى الّتِى لا يُرْتَجَى * فى مِثْلِهـا أحـدٌ فنِلْتُ السُّـولَا[1]
وَضَلَلْتُ عنك فلم أجِدْ لِى مَذْهَبًا * ووجدتُ حِلْمَكَ لِى عليك دليلا
هَبْنِى أساتُ وما أساتُ أُقِرُّ كَىْ * يزدادَ عَفْوُك بعـد طَوْلِك طُولَا[2]
فالعَفْوُ أجْمَـلُ والتّفضُّلُ بامرئٍ * لم يَعْـدَمِ الرَّاجون منه جميـلَا

فلمّـا قرأها الفضلُ دَمَعتْ عيناه ورَضِى عن ابن سَـيَابَة، وأَوْصَله إليـه وأَمَر له بعشرة آلاف درهم .

حواره المقذع مع بشار

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمـد بن القاسم بن مَهْرُويَةَ قال حدّثنـا الحسن بن الفَضْل قال سمعتُ ابنَ عائشةَ يقول :

جاء إبراهيم بن سَـيَابَةَ إلى بَشّار فقال له : ما رأيتُ أعمَى قطُّ إلّا وقد عُوِّض من بصره إمّا الحِفْظَ والذَّكاءَ وإمّا حُسْنَ الصوت، فأىَّ شىء عُوِّضْتَ[أنت][3]؟ قال: ألّا أرى ثقيلًا مثلَك، ثم قال له : مَنْ أنت وَيْحَـك ؟ قال : إبراهيم بن سَـيَابَة . فتَضاحَكَ ثم قال[4] : لو نُكِح الأَسَـدُ فى اسْتِه لذَلّ[5] . وكان إبراهـيم يُرْمَى بذلك . ثم تمثّل بَشّار :

لو نُكِح اللَّيْثُ فى اسْـتِه خَضَعَا * ومات جـوعًا ولم ينَـلْ شِـبَعَا
كذلك السـيفُ عنـد هِزّتِه * لو بَصَـقَ النّـاسُ فيـه ماقطَعَا

(١) السُّول والسُّولة، ويترك همزهما : ماسأله .   (٢) الطول (بالفتح) : الفضل .
(٣) زيادة فى ف .   (٤) كذا فى ف . وفى سائر الأصول : « ... بن سيابة . فقال» .
(٥) فى ف : «ما افترس وذل» .

نزل على سليمان ابن يحيى بن معاذ بنيسابور

أخبرنى حَبِيبُ بن نَصْر المُهَلَّبِىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى عبد الله بن أبى نصر المَرْوَزِىّ قال حدّثنى محمد بن عبد الله الطَّلْحى قال حدّثنى سليمان آبن يحيى بن مُعَاذ قال :

قدِم إبراهيم بن سَيَابَةَ نَيْسابورَ فأنزلته علىّ ؛ فجاءنى ليلةً من اللّيالى وهو مُهْرِبٌ[1]، فجعل يصيح بى : يا أبا أيُّوب . فخَشِيتُ أن يكون قد غَشِيَه شىءٌ يُؤْذِيه ، فقلتُ : ماتشاء ؟ فقال :

* أَعْيَانِىَ الشَّادِنُ الرَّبِيبُ *

فقلتُ بماذا ؟ فقال :

* أكتُبُ أشكو فلا يُجِيبُ *

قال فقلتُ له : دَاره ودَاوه؛ فقال :

منْ أين أبغى شِفاءَ مابى * وإنّما دائىَ الطَّبِيبُ

فقلت : لا دواءَ إذًا إلّا أن يُفَرِّجَ اللهُ تعالى . فقال :

ياربِّ فَرِّجْ إذًا وعَجِّلْ * فإنّكَ السّامِعُ المُجِيبُ

ثم آنصرف .

فى هذا الشعر رَمَلٌ طُنْبورِىٌّ لجحظة .

من قصيدة أخت الوليد بن طريف فى رثائه

صوت

أيَا شَجَرَ الخابورِ مالَكَ مُورِقًا * كأنّك لم تحزَنْ على ابن طَرِيفِ

فَتًى لا يُحِبُّ الزّادَ إلّا مَن التُّقَى * ولا المالَ إلّا من قَنًا وسُيُوفِ

---

(١) أهرب فهو مهرب : جدّ فى السير مذعورا .

الشعر لأُخت الوليد بن طَريف الشارىّ . والغناء لعبد الله بن طاهر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى، من رواية ابنه عُبَيد الله عنه . وأوّلُ هذه الأبيات كما أنشدنا محمدُ آبن العبّاس اليزيدىّ عن أحمد بن يحيى ثعلب[1] :

بِتَلِّ نُباثا[2] رَسْمُ قَبْرٍ كأنّه * على عَلَمٍ فوق الجبالِ مُنِيفِ
تَضَمَّنَ جُودًا حاتِميًّا ونائلًا * وسَوْرَةَ مِقْدامٍ وقَلْبَ[3] حَصِيفِ
ألَا قاتَلَ اللهُ الجُثَا حيث أَضمرتْ * فتًى كان بالمعروف غيرَ عَفِيفِ[4]
فإنْ يَكُ أرداه يَزيدُ بنُ مَزْيَدٍ * فيارُبَّ خيلٍ فَضَّها وصُفوفِ[5]
ألا يا لَقَوْمٍ[6] للنّوائِبِ والرَّدَى * ودَهْرٍ مُلِحٍّ بالكرام عَنِيفِ
ولِلْبَدْرِ من بين الكواكبِ إذْ هوى[7] * ولِلشّمسِ هَمّتْ بعده بكُسوفِ[8]
أيا شجرَ الخابورِ مالَكَ مُورِقًا * كأنّك لم تَجْزَعْ[9] على ابن طَرِيفِ

(١) فى بعض الأصول : « بن ثعلب » بتحريف . (٢) كذا فى ط، ف . وفى ب، س، ومعاهد التنصيص (ص ٤١٤) : « نباتى » . وفى حماسة البحترى : « نُباثا » مضبوطا بضم الأوّل، ومثله فى الكامل لابن الأثير (ج ٦ ص ٩٨) وفى سائر الأصول : « بناثا » . وفى وفيات الأعيان : « بتل نهاكى » . وقال ابن خلكان : « وتل نهاكى أظنه فى بلد نصيبين، وهو موقع الواقعة المذكورة » .

(٣) فى وفيات الأعيان : « ورأى حصيف » .

(٤) فى حماسة البحترى وابن الأثير : « كيف أضمرت » . وفى معاهد التنصيص ووفيات الأعيان وحماسة البحترى : « غير عيوف » . والجثا : جمع جثوة (مثلثة الجيم) وهى ما يجتمع من حجارة أو تراب . وفى حديث عامر : « رأيت قبور الشهداء جُثًا » يعنى أتربة مجموعة .

(٥) فى الوفيات ومعاهد التنصيص وحماسة ابن الشجرى وحماسة البحترى :

* فرب زحوف لفها بزحوف *

وفى الأخير : « فضها » .

(٦) فى معاهد التنصيص والوفيات : « ألا يا لقومى » . (٧) فى ف : « قد هوى » .

(٨) فى معاهد التنصيص والوفيات : « لما أزمعت » بدل « همت بعده » .

(٩) فى ف والوفيات ومعاهد التنصيص وابن الأثير والعقد الفريد : « لم تجزع » .

فـتًى لا يُحِبُّ الزّادَ إلاّ مِنَ التُّـقَى * ولا المـالَ إلّا من قنًا وسـيوف
ولا الخَيْـلَ إلاّ كُلَّ جَرْداءَ شَطْبةٍ * وكلِّ حِصَـانٍ باليدين غَرُوفِ (١)
فلا تَجْـزَعَا يا ابْنَى طَرِيفٍ فإنّنى * أرى الموتَ نَزّالاً (٢) بكلّ شريفِ
فَقَـدْناكَ فِقدانَ الرَّبيـعِ وليتَنـا * فَدَيْنَـاكَ من دَهْمائنا (٣) بألوفِ

وهذه الأبيات تقولها أُخت الوليد بن طَرِيف تَرثيه، وكان يزيدُ بن مَزْيَد قتله . ٥

مقتل الوليد ابن طريف

ذكر الخبر فى ذلك

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يَزِيد عن عَمّه عن جماعة من الرُّواة قال :

كان الوَلِيدُ بن طَرِيفٍ الشَّيْبانىُّ رأسَ الخَوَارج وأشدَّهم بأسًا وصَوْلةً وأشجعَهم؛ فكان مَنْ بالشَّمَّاسيّة (٤) لا يأمَنُ طُروقَه [إياه] (٥)، واشتدّتْ شَوْكتُه وطالتْ أيّامُه . فوَجّه إليه ١٠

(١) فى معاهد التنصيص والوفيات :

ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم * معاودة للكر بين صفوف

وفى حماسة البحترى :

* وأجرد عالى المنسجين غروف *

والجرداء من الخيل : القصيرة الشعر . وقصر الشعر مما تمدح به الخيل . والشطبة (بالفتح وبكسر) من الخيل : ١٥ السبطة اللحم ؛ وقيل : هى الطويلة . وفى بعض الأصول : « عروف » بالعين المهملة؛ تصحيف . والغروف من الخيل : التى تغرف الجرى غرفا فتنهب الأرض نهبا فى سرعتها .

(٢) فى معاهد التنصيص والوفيات وحماسة البحترى والعقد الفريد : « وقاعا » .

(٣) فى الوفيات ومعاهد التنصيص : « من فتياننا » . وفى العقد الفريد : « من ساداتنا » . وفى حماسة البحترى : ٢٠

فقدناه فقدان الربيع فليتنا * فديناه ... ...

وفيها من هذه القصيدة أربعة وعشرون بيتا .

(٤) الشماسية : محلة كانت قريبة من بغداد (٥) زيادة فى ف

الرشيدُ يَزِيدَ بن مَزْيَدٍ الشَّيبانىَّ ، فجعل يُخَاتِله ويُماكِرُه . وكانت البرامكةُ منحرفةً عن يَزِيدَ بن مَزْيَدٍ، فأغْرَوْا به أميرَ المؤمنين، وقالوا : إنما يتجافَى عنه للرَّحِم ، وإلّا فشوكة الوليد يسيرة ، وهو يُوَاعِدُه وينتظر مايكون من أمره . فوجّه إليه الرشيدُ كتابَ مُغْضَبٍ يقول فيه : « لو وَجَّهْتُ بأحد الخَدَم لقامَ بأكثر مما تقوم به ، ولكنك مُدَاهِنٌ مُتَعَصِّب . وأمير المؤمنين يُقْسِم بالله لئن أَخَّرْتَ مُنَاجَزَةَ الوليد لَيُوَجِّهَنّ إليك مَن يحمل رأسَك إلى أمير المؤمنين» . فلقِيَ الوليدَ عَشِيَّةَ خَمِيسٍ فى شهر رمضان . فيقال : إنّ يزيدَ جُهِد عَطَشًا حتّى رمَى بخاتمه فى فِيه ، فجعل يَلُوكه ويقول : اللّهمّ إنها شِدَّةٌ[1] شديدةٌ فاسْتُرْها . وقال لأصحابه : فِدَاكم أبى وأُمّى ، إنما هى الخوارجُ ولهم حَمْلةٌ ، فاثْبُتُوا لهم تحت التِّرَاس[2] ، فإذا انقضتْ حملتُهم فاحْمِلُوا ، فإنهم إذا انهزموا لم يَرْجِعوا . فكان كما قال ، حَمَلُوا حملةً وثبَت يزيد ومَنْ معه من عَشِيرته وأصحابه ، ثم حَمَل عليهم فانكشفوا . ويقال : إنّ أَسَد بن يَزِيدَ كان شبيها بأبيه جِدًّا ، وكان لا يَفْصِل بينهما إلّا المتأمِّل ، وكان أكثرُ ما يُباعده منه ضربةً فى وجه يزيد تأخُذ من قَصَاص شَعَرِه[3] ومنحرفةً على جَبْهته ؛ فكان أسدٌ يتمنّى مثلها . فهَوَتْ له ضربةٌ فأخرجَ وجهَه من التُّرْس فأصابتْه فى ذلك الموضع . فيقال : إنّه لو خُطَّتْ على مثالِ ضَرْبة أبيه ما عدا[4] ، جاءت كأنّها هى . واتّبَع يزيدُ الوليدَ بن طريف فلَحِقه بعد مسافةٍ بعيدةٍ فأخذ رأسَه . وكان الوليد خرج إليهم حيث خرج وهو يقول :

أنا الوليدُ بنُ طَرِيفَ الشَّارِى * قَسْوَرَةٌ لا يُصْطَلَى بِنَارِى
* جَوْرُكُمُ أخرجنى من دارى *

(١) فى ف : «ليلة شديدة» . (٢) التراس : جمع تُرس (بالضم)، وهو صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه . (٣) فى ط ، ف : «شعره منحرفة» بدون الواو . (٤) ماعدا ، أى ما جاوز خط ضربته مثال ضربة أبيه . وقوله «جاءت كأنها هى» بيان لقوله : «ما عدا» .

خرجت أخته لتثار له فزجرها يزيد ابن مزيد

فلمّا وقع فيهم السَّيفُ وأُخذ رأْسُ الوليد، صَبَّحَتْهم (١) أُخته ليلَى بنت طَرِيف مستعدّةً عليهــا الدِّرْعُ والجَوْشَنُ، فجعلتْ تحمِل على الناس فعُرِفتْ. فقال يزيد: دَعُوها، ثم خرج إليها فضَرَب بالرُّمْح قَطاةَ (٢) فرسها، ثم قال اغرُبِى غَرَّب اللهُ عليك (٣)! فقد فَضَحْتِ العشيرةَ؛ فاستَحْيَتْ وآنصرفتْ وهى تقول:

١٠/١١

أيا شجــرَ الخابور مالَكَ مــورِقًا * كأنّك لم تحــزَنْ على ابنِ طريف
فــتًى لا يُحبُّ الزّادَ إلّا مِنَ التُّقَى * ولا المــالَ إلّا من قَنًــا وسُيوف
ولا الذُّخْرَ إلّا كُلَّ جَرْداءَ صِلْدِمٍ (٤) * وكلَّ رقيــقِ الشَّفْرَتَيْنِ خفيف

فلمّا آنصرف يزيدُ بالظَّفَــر حُجِب برأى البرامكة، وأظهر الرشيدُ السخطَ عليه. فقال: وحَقِّ أمير المؤمنــين لَأَصِيفَنّ وأَشْتُوَنّ على فَــرَسى أو أدخلَ. فارتفــع الخبر بذلك فأُذِنَ له فدخل. فلمّا رآه أمير المؤمنين ضَحِك وسُرّ وأقبــل يصيح: مَرْحَبًــا بالأعرابىّ! حتى دخل وأُجلِسَ وأُكرِمَ وعُرِف بلاؤه ونقاءُ صَــدْره.

من قصيدة مسلم ابن الوليد فى يزيد ابن مزيد

ومدَحه الشــعراء بذلك. فكان أحسنُهم مدحًا مُسْلمَ بن الوليد؛ فقال فيه قصــيدته التى أولهــا:

أُجْرِرْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ فى الصِّبَا غَزِلٍ * وشَمَّرَتْ هِمَمُ العُــذّالِ فى عَذَلى (٥)

(١) فى حـ ومعاهد التنصيص: «صبحتهم».
(٢) قطاة الفرس: عجزها أو مقعد الرديف منها.
(٣) كذا فى ط ومعاهد التنصيص. وفى ب، سـ: «غرب الله عينيك». وفى الكامل: «اعزبى عزب الله عليك» بالزاى.
(٤) الصلدم من الخيل: الشديدة الحافر. ورقيق الشفرتين: السيف.
(٥) كذا فى ف. وفى ديوان مسلم بن الوليد: «فى العذل». وفى سائر الأصول: «عن عذلى» تحريف. تقول العرب: أجررت فلانا رسنه إذا مهلت له فى إرادته. وأصله أن تمهل للدابة فى الرعى جارة رسنها. فيقول: أجررت حبل خليع فى الصبا؛ أى حبل من خلع عذاره فى الصبا. وغَزِل: ذى غَزَل ومجانة. وقوله «وشمرت ...» أى حين رأونى قــد صبوت. والخليع أيضا: من يخلعه قومه لشره. فان ذهب أحد إلى هذا فمعناه رجل قد تبرأ منه قومه. (عن شرح ديوان مسلم ببعض تصرف).

هاجَ البكاءَ على العين الطَّمُوحِ هوًى * مُفَرَّقٌ بين توديعٍ ومُحتمَلِ (١)
كيف السُّلُوُّ لِقلبٍ بات مُختبَلاً * يَهْذِى بصاحبِ قلبٍ غيرِ مُختبَلِ (٢)

وفيها يقول :

يَفْتَرُّ عند افترارِ الحرْبِ مبتسماً * إذا تغيّرَ وجهُ الفارسِ البَطَلِ (٣)
مُوفٍ على مُهَجٍ فى يومِ ذِى رَهَجٍ (٤) * كأنّه أَجَلٌ يسعَى إلى أَمَلِ
ينالُ بالرِّفقِ ما يَعْيَا الرِّجالُ به * كالموتِ مُستعجِلاً يأتى على مَهَلِ
لا يَرْحَلُ النّاسُ إلاّ نحوَ حُجرتِه (٥) * كالبيتِ يُفْضِى إليه مُلتقَى السُّبُلِ
يَقْرِى المَنِيّةَ أرواحَ العُداةِ كما * يقرِى الضُّيوفَ شُحومَ الكُومِ والبُزُلِ (٦)
يكسو السُّيوفَ رُءوسَ الناكثين به * ويجعلُ الهامَ تيجانَ القَنَا الذُّبُلِ (٧)

---

(١) فى ف : « ومرتحل » . والطموح : المرتفعة فى النظر إلى الأحبة وهم سائرون . فيقول : هاج البكاء على العين هوى مفرق بين توديع ومحتمل ، أى مقسم ، بعضه فى توديع الأحبة وبعضه فى احتمالهم . (عن شرح ديوان مسلم) .

(٢) فى ف وديوان مسلم : « راح مختبلا » . ومختبل : مخبول العقل فاسده . والهذيان : الكلام الذى يفضى بصاحبه إلى ما لا يفهم عنه . وإنما يكون ذلك عن علة تفضى بصاحبها إلى الهذيان فيتكلم بما يأتيه دون أن يعرف ما يقول .

(٣) افترّ فلان ضاحكا : أبدى أسنانه عند الضحك . وافترار الحرب : تكشيرها عن أنيابها ، وهذا كناية عن شدتها . يقول : يبتسم من قلة مبالاته بالحرب إذا تغير وجه الفارس البطل من هول الحرب وشدتها .

(٤) فى ديوان مسلم : «واليوم ذو رهج» . والرهج الغبار . يقول : يوفى على المهج بالقتل فى يوم قد ثار نقعه من شدة القتال ؛ فهو يعمل عمل الأجل فى الأمل .

(٥) كذا فى ف والديوان . وفى سائر الأصول : « ... حول حجرته » يقول : لا يرحل الناس لطلب عطاء إلا نحو بيته ، كالبيت (يعنى بيت الله الحرام مكة) يفضى إليه ملتقى السبل ، أى عنده ملتقى الطرق كلها .

(٦) ف : « الكماة » بدل « العداة » . والكوم من النوق : العظام الأسنمة ، واحدتها كوماء . والبزل : جمع بزول وهو ما بلغ من الإبل تسع سنين .

(٧) ويروى : «دماء الناكثين» . والناكثون : الناقضون للعهد . والذابل من القنا وهى الرماح : الرقيق اللاصق الليط . ويجمع أيضا على ذبل (بضم الذال وتشديد الباء المفتوحة) .

إذا انتضى سيفه كانت مسالكه * مسالك الموت فى الأبدان والقلل(١)
لا تكذبن فإن المجد معدنه(٢) * وراثة فى بنى شيبان لم تزل(٣)
إذا الشريكى(٤) لم يفخر على أحد * تكلم الفخر عنه غير منتحل
الزائديون(٥) قوم فى رماحهم * خوف المخيف وأمن الخائف الوجل
كبيرهم لا تقوم الراسيات له * حلما وطفلهم فى هدى مكتهل
اسلم يزيد فما فى الملك من أود * إذا سلمت ولا فى الدين من خلل(٦)
لولا دفاعك بأس الروم إذ مكرت * عن بيضة الدين لم تأمن من الشكل(٧)
والمارق ابن طريف قد دلفت له * بعارض(٨) للمنايا مسبل هطل
لو أن غير شريكى أطاف به * فاز الوليد بقدح الناضل الخصل(٩)
ما كان جمعهم لما دلفت لهم(١٠) * إلا كمثل جراد ريع منجفل

(١) ويروى : « فى الأجسام » . وانتضى سيفه : سله من غمده . والقلل : جمع قلة ، وهى أعلى الشيء ، وهى هنا : أعالى الرءوس .
(٢) فى الديوان « الحلم » .
(٣) كذا فى ف والديوان . وفى سائر الأصول : « لم يزل » .
(٤) الشريكى : نسبة إلى « شريك » جد من أجداد يزيد بن مزيد الممدوح . يقول : إن أفعالهم بادية ظاهرة فى الناس ، فلا يحتاجون هم إلى النطق بها لإظهارها ، فقد كفوا ذلك .
(٥) الزائديون : نسبة إلى «زائدة» جد أيضا . وقوله : «خوف المخيف» أى خوف من أخاف الناس ، يعنى الأشرار الذين يخيفون الرعية .
(٦) فى الديوان : «فما فى الدين ... وما فى الملك» ويروى : «فما فى الدين من حرج» أى ضيق . والأود : العوج .
(٧) فى الديوان : « إذ بكرت * عن عزة الدين » أى عن جماعة الإسلام . وفى ط ، جـ : « لم يأمن » . والشكل ، بالتحريك ، ويجوز أن يكون بضمتين ، بتحريك الكاف الساكنة .
(٨) فى الديوان : « بعسكر » بدل « بعارض » . وأسبل السحاب : كثر مطره واتسع .
(٩) الناضل : المصيب . والخصل مثله .
(١٠) فى ف والديوان : « لما لقيتهم » . وفى الديوان : « إلا كمثل نعام » .

كم آمنٍ لك نائى الدارِ ممتنعٍ * أخرجتَه من حُصون المُلْكِ والخَوَلِ(١)
تراه فى الأمن فى دِرْعٍ مُضاعَفةٍ * لا يأمَنُ الدهرَ أنْ يُدْعَى على عَجَلِ
لا يعبَقُ(٢) الطِّيبُ خَدَّيْه ومَفْرِقَه * ولا يُمَسِّحُ عينيه من الكُحُلِ
يأبَى لك الذمَّ فى يومَيك إنْ ذُكِرَا * عَضْبٌ حُسَامٌ وعِرضٌ غيرُ مُبتذَلِ(٣)
٥ فانخَرْ فمالك فى شيْبانَ من مَثَلٍ * كذاك مالبنى شيبانَ من مَثَلِ

١١/١١

كان معن يقدمه على بنيه فعاتبته امرأته فأراها حالهم وحاله

وقال محمد بن يزيد : يعنى بقوله :

* تراه فى الأمن فى دِرْعٍ مُضاعَفةٍ *

خبرَ يزيدَ بن مَزْيَد، وذاك أنّ امرأةَ مَعْنِ بن زائدةَ عاتبتْ مَعْنًا فى يَزِيدَ وقالت : إنك لَتُقَدِّمه وتؤخِّر بَنِيك، وتُشيد بذكره وتُخْمِل ذِكرَهم، ولو نبَّهتهم لانتبهوا،
١٠ ولو رفعتَهم لارتفعوا . فقال مَعْنٌ : إن يزيدَ قريبٌ لم تَبْعُدْ رَحِمُه(٤)، وله علىّ حكمُ الولد إذ كنتُ عمَّه، وبعدُ فإنّهم أَلْوَطُ(٥) بقلبى وأدنى من نفسى على ماتُوجبه واجبةُ الوِلادةِ للأُبوّة(٦) من تقديمهم، ولكنّى لا أجدُ عندهم ما أجده عنده . ولو كان ما يَضطلع به يَزيدُ فى بَعيد لصار قريبًا، وفى عدوٍّ لصار حبيبا . وسأُرِيكَ فى ليلتى هذه ما ينفسح به

(١) الخول : مايعطاه المرء من النعم والعبيد والإماء وغيرهم من الحاشية؛ يقال للواحد والجمع والمذكر
١٥ والمؤنث، ويقال للواحد خائل . ونائى الدار : بعيدها . يقول : كم من عدوّ قد أمنك لبعد داره عنك وامتناعه بحصونه، قد أخرجته من حصون ملكه ومن بين خوله .

(٢) كذا فى ط وديوان مسلم . وفى سائر الأصول : « لم يعبق » .

(٣) العضب هنا : السيف . والحسام : القطاع . يقول : يأبى لك أن يذمك أحد سيف قطاع تقتل به الأعداء، وعرض غير مبتذل للذم؛ لأنك تصونه بالعطاء لكل من سألك؛ فلا تجعل لأحد سبيلا
٢٠ إلى عرضك . (٤) فى ط : « ولم تبعد » .

(٥) ألوط بقلبى : ألصق به؛ يقال : لاط الشىء بقلبى يلوط ويليط لوطا وليطا، إذا حبب إليه ولزق به؛ فهو ألوط به وأليط به . (٦) فى ف : « على قدر ما توجبه واجبة الأبوة » .

اللّوم عنى ويتبيّن به عُذرى . يا غلامُ اذهَبْ فادعُ جَسّاساً وزائدة وعبدَ الله وفلاناً وفلانا، حتى أتى على أسماء وَلَده ؛ فلم يلبَثْ أن جاءوا فى الغلائل المطيَّبة والنِّعال السِّنْدية، وذلك بعد هَدْأة من الّليل، فسلّموا وجلسوا. ثم قال : ياغلام ادعُ لى يزيدَ وقد أسْبَل سِتْراً بينه و بين المرأة، وإذا به قد دخل عَجِلاً وعليه السِّلاح كلُّه، فوضع رُمْحَه بباب المجلس ثم أتى يُحْضِر[1] . فلمّا رآه معن قال : ما هذه الهيئة أبا الزُّبَير؟ — وكان يزيدُ يُكْنَى أبا الزُّبَير وأبا خالد — فقال : جاءنى رسول الأمير فسَبَق إلى نَفْسى أنه يُريدنى لوجهٍ، فقلت: إن كان مَضَيْتُ ولم أُعَرِّجْ، وإن يكن الأمر على خلاف ذلك فَنَزْعُ هذه الآلة أيسرُ الخَطْبِ. فقال لهم: انصرفوا فى حفظ الله . فقالت المرأة : قد تبيَّن عُذْرُك . فأنشد معنٌ متمثّلا :

نَفْسُ عِصامٍ سَوّدتْ عِصاماَ * وعوّدته الكَرَّ والإقداما
* وصَيّرته مَلِكاً[2] هُمَاماَ *

من شعر أخته فى رثائه

وأخبرنى محمد بن الحسن الكِنْدى قال حدثنا الرِّياشىّ قال: أنشدنى الأصمعى لأخت الوليد بن طَريف تَرْثيه :

ذَكرتُ الوليدَ وأيّامَهُ * إذِ الأرضُ من شَخْصه بَلْقَعُ
فأقبلتُ أطلبه فى السَّماء * كما يبتغى أنْفَه الأجْدَعُ
أضاعك قومُك فليطلبوا * إفادةَ مِثْلِ الذى ضَيَّعُوا
لَوَ اَنّ السُّيوفَ التى حَدُّها * يُصيبُك تَعلَمُ ما تصنَعُ
نَبَتْ عنكَ أو جعلتْ هيبةً * وخوفًا لصَوْلك لا تَقْطَع

(١) يحضر : يعدو ويسرع . (٢) فى ف : « بطلا » .

*
* *

بعض أخلاق عبد الله بن طاهر

فأمّا خبرُ عبد الله بن طاهرٍ فى صَنْعته هذا الصوتَ، فإنّ عبد الله كان بمحلٍّ من عُلُوِّ المنزلةِ وعِظَم القَدْر ولُطْف مكانٍ من الخُلفاء، يَسْتغنى به عن التقريظ له والدّلالة عليه . وأمرُه فى ذلك مشهورٌ عند الخاصّة والعامّة، وله فى الأدب مع ذلك المَحَلُّ الذى لا يُدْفَع، وفى السماحة والشجاعة مالا يُقَارِبه فيه كبيرُ أحدٍ .

فرّق خراج مصر وقال أبياتا أرضى بها المأمون

أخبرنى علىُّ بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيدَ المُبَرِّد أنّ المأمون أعطى عبدَ الله بن طاهرٍ مالَ مصرٍ لسنةٍ خَراجِها وضِياعِها، فوهَبَه كلَّه وفرّقه فى الناس، ورجع صِفْرًا من ذلك، فغاظ المأمونَ فِعْلُه . فدخل إليه يومَ مَقْدَمِه فأنشده أبياتا قالها فى هذا المعنى، وهى :

١٢/١١

تَفْسى فداؤكَ والأعناقُ خاضعةٌ * للنّائباتِ أبِيًّا غيرَ مُهْتَضَمِ
إليكَ أقبلتُ من أرض أقمتُ بها * حَوْلَينِ بعدَك فى شَوْقٍ وفى ألَمِ
أقفُو مَساعِيَكَ اللّاتِى خُصِصتَ بها * حَذْوَ الشِّراكِ على مِثْلٍ من الأَدَمِ
فكان فَضْلِىَ فيها أنّنِى تَبَعٌ * لما سَنَنْتَ من الإنعامِ والنِّعَمِ
ولو وُكِلْتُ إلى نَفْسِى غَنِيتُ بها * لكن بدأتَ فلم أَعْجَزْ ولم أُلَمِ

فضحك المأمون وقال : واللهِ ما نَفِسْتُ عليك مَكْرُمَةً نِلْتَها ولا أُحدوثةً حَسُنَ عنك (١) ذِكْرُها، ولكن هذا شىءٌ إذا عوّدتَه نفسَك افتقرتَ ولم تَقْدِرْ على لَمِّ شَعَثِك وإصلاحِ حالِك . وزال ما كان فى نفسه .

أتاه معلى الطائى ومدحه فأجازه

أخبرنى وكيعٌ قال حدّثنا عبدُ الله بن أبى سَعْدٍ قال حدّثنى عبد الله بن فَرْقَدٍ قال أخبرنى محمد بن الفَضْل بن محمد بن منصور قال :

---

(١) فى بعض الأصول : « حسن عندك » تحريف .

لمّا افتتح عبدُ الله بن طاهر مصرَ ونحن معه، سوّغه المأمونُ خَراجَها، فصَعِد المنبرَ فلم يَنْزِلْ حتّى أجاز بها كلّها ثلاثةَ آلافِ ألفِ دينارٍ أو نحْوِها. فأتاه مُعَلًّى الطائىّ وقد أعلموه ما قد صنع عبد الله بن طاهر بالنّاس فى الجوائز، وكان عليه واجداً، فوقف بين يديه تحت المنبر فقال: أصلح اللهُ الأميرَ! أنا مُعَلًّى الطائىّ، وقد بلغ منّى ما كان منك [إلىّ][(١)] من جفاءٍ وغِلَظٍ، فلا يَغْلُظَنّ علىّ قلبُك، ولا يَسْتَخِفَّنَّك الذى بلغك، أنا الذى أقول:

يا أعظمَ النّاسِ عفوًا عند مَقْدِرةٍ * وأظْلَمَ الناس عند الجُود للمالِ
لو أصبحَ النِّيلُ يجرى ماؤه ذَهَبًا * لمَا أشرتَ إلى خَزْنٍ بمِثقالِ
تُغْلِى[(٢)] بما فيه رِقَّ الحمدِ تَمْلِكُه * وليس شىءٌ أعاضَ الحمدَ بالغالى
تَفُكُّ باليُسْرِ كَفَّ العُسْرِ من زَمَنٍ * إذا استطالَ على قومٍ بإقلالِ
لم تَخْلُ كَفُّك من جُودٍ لمُخْتَبِطٍ[(٣)] * [أ][(١)]و مُرْهَفٍ قاتلٍ فى رأس قَتّالِ
وما بَثَثْتَ رَعِيلَ الخيلِ فى بَلَدٍ * إلّا عَصَفْنَ بأرزاقٍ وآجالِ
إن كنتُ منكَ على بالٍ مَنَنْتَ به * فإنّ شُكْرَك من قلبى على بالِ
ما زِلْتُ منقضِبًا[(٤)] لولا مُجاهَرةٌ * من ألْسُنٍ خُضْنَ فى صَدْرِى بأقوالِ

قال فضحِك عبد الله وسُرَّ بما كان منه، وقال: يا أبا السّمراء أَقْرِضْنى عشرةَ آلافِ دينارٍ، فما أمسيتُ أملِكها؛ فأقرضه فدفعها إليه.

---

(١) زيادة فى ف. (٢) أغلى بالشىء، وأغلاه مثل غالى بالشىء. وغالاه: جعله غاليا.

(٣) اختبطه وتخبطه: سأله المعروف بلا وسيلة من آصرة قربى أو مودة أو معرفة.

(٤) فى أكثر الأصول: «مقتضبا». وفى ف: «منقبضا». وفى أساس البلاغة: «وانقضب من أصحابه: انقطع». يقول: ما زلت منقطعا عنك أو عن الناس، وكنت أوثر أن ألتزم ذلك لولا مجاهرة الألسنة وخوضها بالحديث فيا يكنه صدرى من حب وولاء أو عداوة وبغضاء؛ فذلك الذى ألجأنى أن أخرج عما أخذت به نفسى، وحفزنى إلى الإقبال عليك.

أحسن الى موسى ابن خاقان ثم جفاه؛ فمدح موسى المأمون وعرض به

أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَاذبه قال :

كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر ، وكان نديمه وجليسه ، وكان له مُؤْثِرًا مُقَدَّمًا ، فأصاب منه معروفًا كثيرا وأجازه بجوائز سنيّة هناك وقبل ذلك . ثم إنّه وَجَد عليه فى بعض الأمر ، فجفاه وظَهَر له منه بعضُ ما لا يُحِبُّه ، فرجع حينئذ إلى بغداد وقال :

٥

صــــوت

إنْ كان عبدُ اللهِ خَلَّانَا * لا مُبْدِئًا عُرْفًا و إحسانا

فَحَسْبُنَا اللهُ رَضِينَا به * ثم بعبد الله مولانا

يعني بعبد الله الثاني المأمون ، وغَنَّتْ فيه جاريته ضَعْف لحنًا من الثقيل الأوّل ، وسَمِعه المأمون فاستحسنه ووصله و إيّاها . فبلَغ ذلك عبدَ الله بن طاهر ، فغاظه ذلك وقال : أَجَلْ ! صَنَعْنا المعروفَ إلى غير أهله فضاع .

١٠ — ١٣/١١

وكانت ضَعْف إحدى المُحْسِنات ، ومن أوائل صَنْعتها وصدور أغانيها وما بَرَّزتْ فيه وقُدِّمتْ فاختِيرتْ ، صَنْعتُها فى شعر جَمِيل :

أَمِنكِ سَرَى يا بَثْنُ طَيْفٌ تَأَوَّبَا * هُدُوءًا فهاج القلبَ شوقًا وأنصبا

عَجِبْتُ له أنْ زارَ فى النوم مَضْجَعِي * ولو زارني مُسْتَيْقِظًا كان أعجبَا

١٥

الشعر لجميل ، والغناء لضَعْف ثقيلٌ أوّل بالبنصر .

قصته مع محمد ابن يزيد الأموى

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو جعفر بن الدِّهقانة النديم قال حدّثني العباس ابن الفضل الخُرَاسانيّ ، وكان من وجوه قُوّاد طاهر وابنه عبدالله ، وكان أديبا عاقلا فاضلا ، قال :

لمّا قال عبد الله بن طاهر قصيدتَه التى يفخَر فيها بمآثر أبيه وأهله ويفخَر بقَتْلِهم المخلوعَ، عارضَه محمد بن يَزِيدَ الأَمَوِىّ الحِصْنِىّ، وكان رجلاً من ولد مَسْلَمَةَ بن عبد الملك، فأفرط فى السّبّ وتجاوز الحدّ فى قُبْح الرّدّ، وتوسّط بين القوم وبين بنى هاشم فأَرْبَى فى التوسّط والتعصّب. فكان مما (١) قال فيه:

يابنَ بَيْتِ النّارِ مُوقِدُها * ما لحَاذَيْهِ سَرَاوِيلُ (٢)
مَنْ حُسَيْنٌ مَنْ أبوكَ ومَنْ * مُصْعَبٌ! غالتكُمُ غُولُ
نَسَبٌ فى الفَخْرِ مُؤْتَشَبٌ (٣) * وأُبُوّاتٌ أراذِيلُ
قاتِلُ المخلوعِ مقتولُ * ودَمُ المقتولِ مطلولُ

وهى قصيدة طويلة. فلمّا وُلِّى عبدُالله مِصْرَ ورُدَّ إليه تدبير أمر الشام، علم الحِصْنِىُّ أنّه لا يُفْلِت منه إن هَرَب، ولا ينجو من يده حيث حَلّ؛ فثبت فى موضعه، وأحْرَز حُرَمَه، وتَرَكَ أموالَه ودَوابَّه وكلّ ما كان يملكه فى موضعه، وفتح بابَ حِصْنه وجلس عليه، ونحن نتوقّع من عبد الله بن طاهر أن يُوقِع به. فلما شارَفْنا بَلَدَه وكنّا على أنْ نُصَبِّحَه (٤)، دعانى عبدُ الله فى الليل فقال لى: بِتْ عندى الليلةَ، وليَكُنْ فرسُك مُعَدًّا عندك لا يُرَدّ، ففعلتُ. فلمّا كان فى السَّحَر أمر غِلْمانَه وأصحابَه ألّا يَرْحَلوا حتّى تطلُعَ الشمس، وركِب فى السَّحَر وأنا وخمسةٌ من خواصّ غِلْمانه [معه] (٥)، فسار حتّى صَبَّح الحِصْنِىَّ، فرأى بابَه مفتوحًا ورآه جالسًا مُسْتَرْسِلاً، فقصده وسلّم عليه ونزل عنده وقال له: ما أَجْلَسَك هاهنا وحَمَلك على أن فتحتَ بابَك ولم تحصّن من هذا الجيش المُقْبِل ولم تَتَنَحَّ عن عبدالله بن طاهر مع ما فى نفسه عليك وما بَلَغه عنك؟ فقال: إنّ

(١) كذا فى ف. وفى سائر الأصول: «فيما قال فيه». (٢) الحاذان من الدابة: ما وقع عليه الذنب من أدبار الفخذين. يريد هنا الفخذين. (٣) نسب مؤتشب (بفتح الشين): غير صريح. (٤) صبحه (بتشديد الباء): أتاه صباحا. (٥) زيادة فى ف.

ما قُلتَ لم يَذْهَبْ عليّ ، ولكنّي تأملتُ أمرى وعَلِمتُ أنّى أخطأتُ خطيئةً حَمَلنى عليها نَزَقُ الشّباب وغِرّةُ الحَدَاثة ، وأنّى إنْ هربتُ منه لم أَفُتْه ، فباعدتُ البناتِ والحُرَمَ ، واستسلمتُ بنفسى وكلِّ ما أملِك ؛ فإنّا أهلُ بيتٍ قد أسرعَ القتْلُ فينا ، ولى بمن مضى أُسْــوةٌ ؛ فإنّى أثِق بأنّ الرجلَ إذا قتلنى وأخذ مالى شفَى غَيْظَه ولم يتجاوز ذلك إلى الحُرَم ولا له فيهنّ أَرَبٌ ، ولا يُوجِب جُرْمِى إليه أكثرَ ممـا بذلتُه . قال : فوالله ما اتّقاه عبد الله إلّا بدُموعه تجرى على لِحيته . ثم قال له : أتعرِفنى ؟ قال : لا والله ! قال : أنا عبدُ الله بن طاهر ، وقد أمّن الله تعالى رَوْعتَك ، وحقَن دمَك ، وصان حُرَمَك ، وحَرَس نِعمَتَك ، وعفا عن ذَنْبك . وما تعجّلْتُ إليـك وحدى إلّا لتأمنَ من قبل هجوم الجيش ، ولئلّا يُخالِط عَفْوِى عنك روعةٌ تَلْحقُك . فبكى الحِصْنىّ وقام فقبّل رأسه ، وضمّه [إليه](١) عبد الله وأدناه ، ثم قال له : إمّا [لا](٢) فلا بدّ من عتاب . يا أخى جعلنى الله فداك ! قلتَ شعرًا فى قومى أفخـر بهم لم أطْعَنْ فيه على حَسَبك ولا ادّعيت فضلًا عليك ، وفخرتُ بقتل رجلٍ هو وإن كان من قومك ، فهم القــومُ الذين ثأرُك عندهم ؛ فكان يَسَعُك السكوتُ ، أو إن لم تسكُتْ لا تُفْــرِط ولا تُسْرِف . فقال : أيها الأمير ، قد عفوتَ ، فاجْعَله العفوَ الذى لا يخلِطه تثريبٌ ، ولا يكدّر صَفْوَه تأنيب . قال : قد فعلتُ ، فقُمْ بنا ندخل إلى منزلك حتّى نُوجِبَ عليك حقًّا بالضّيافة . فقام مسرورًا فأدخلَنا ، فأتى بطعام كان قد أعدّه ، فأكلْنا وجلسنا

(١) زيادة عن ط ، ف . (٢) التكملة عن ط . يريد : إن كنت لا أؤاخذك بما وقع منك ، فلا بدّ من عتاب . فحذفت " كان " واسمها وخبرها ، وبقيت « لا » النافية ، وعوض عن المحذوف « ما » . وهذا أسلوب فى العربية معروف . قال الشاعر :

أمرعت الأرض لوأنّ مالا * لوأنّ نوقا لك أو جمالا

* أو ثلّةً من غنم إمّالا *

التقدير : إن كنت لا تجدين غيرها . (يراجع شرح الأشمونى وغيره من كتب النحو فى باب كان وأخواتها) .

نشرب فى مُستَشرَف له . وأقبل الجيش، فأمرنى عبد الله أن أتلقّاهم فأُرَحِّلَهم ، ولا ينزِلَ أحدٌ منهم إلا فى المنزل، وهو على ثلاثة فراسخ؛ [فنزلتُ فرحّلتهم . وأقام عنده إلى العصر](١) . ثم دعا بدواةٍ فكتب له بتسويغه خَراجَه ثلاثَ سنين، وقال له : إنْ نَشِطتَ لنا فالحَقْ بنا ، وإلّا فأقِمْ بمكانك . فقال : فأنا أتجهزّ وألحَقُ بالأمير . ففعل فلَحِق بنا بمصر . ولم يَزَلْ مع عبدالله لا يُفارقه حتى رَحَل إلى العِراق، فودّعه وأقام ببلده .

بعض الأشعار التى غنى فيها وذكر بعض أخبار استدعاها بيانها

فأمّا الأصواتُ التى غنّى فيهـا عبدُ الله بن طاهر فكثيرة(٢) . وكان عُبَيد الله بن عبد الله إذا ذكر شيئا منها قال : الغناء للدّار الكبيرة ، وإذا ذكر شيئا من صَنْعته قال : الغناء للدار الصغيرة . فمنها ومن مُختارها وصُدورها ومُقَدَّمها لحنُه فى شِعْر أُخت [عَمرو بن](٣) عاصية — وقيل : إنه لأُخت مسعود بن شَدّاد - فإنه صوتٌ نادر جيّد . قال أبو العُبَيس بن حَمدون وقد ذكره ففضّله : جاء(٤) به عبدُ الله بن طاهر صحيحَ العمل مُزْدَوِجَ النَّغَم بَيْنَ لِينٍ وشِدّةٍ على رَسْم الحُذّاق من القُدَماء، وهو :

صــــوت

هَلّا سَقَيْتُمْ بنى سَهْمٍ أسـيرَكُمُ * نَفْسى فِداؤك من ذى غُلّةٍ صادى

الطاعنُ الطَّعْنَةَ النَّجلاء يَتْبَعُها * مُضَرَّجٌ بعـد ما جادتْ بإزْبادِ

الشعر لأُخت عمرو بن عاصية السُّلَمىّ [ترثيه](١) . وكان بنو سَهْم، وهم بطنٌ من هُذَيل، أسَروه فى حربٍ كانت بينهم ولم يعرفوه ، فلمّـا عرَفوه قتلوه . وكان قـد عَطِش فاستسقاهم، فمنعوه وقتلوه على عَطَشِه . وقيل : إنّ هذا الشعر للفارعة أُخت مسعود ابن شَدّاد . ولحنُ عبدالله بن طاهر خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى ابتداؤه استهلال .

(١) التكملة عن ف . (٢) فى بعض الأصول : «فكبيرة» بالباء الموحدة، تصحيف .
(٣) التكملة من ف ومما سيأتى بعد أسطر . (٤) كذا فى ف . وفى ط : «وقال جاء به...» . وفى سائر الأصول : « قال ما جاء ... » .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيبُ بن نصر المُهَلَّبِىّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال :

قتلتْ بنو سَهْم ، وهم بطنٌ من هُذَيل ، عمرَو بن عاصية السُّلَمىّ ؛ وكان رجلان منهم أخذاه أخذًا ، فاستسقاهما ماء فمنعاه ذلك ، ثم قتلاه . فقالتْ أخته ترْثيه ، وتذكُر ما صنعوا به :

٥

شَبَّتْ هُذَيلٌ وبَهْزٌ بينها إرَّةً (٢)(٣) * فلا تَبُوخُ ولا يَرْتَدُّ صَالِيها

[ويروى : «شبت هذيلٌ وسهمُ»، وهو الصحيح، ولكن كذا قال عمر بن شبّة (٤)] .

إنّ ابنَ عاصيةَ المقتولَ بينكما * خَلَّى علىَّ فِجَاجًا كان يَحْمِيها

وقالت أيضا ترثيه :

١٠

يا لَهْفَ نَفْسِىَ لَهْفًا دائمًا أبَدًا (٥) * على ابن عاصيةَ المقتولِ بالوادى

هلّا سَقيتُمْ بنى سَهْمٍ أسِيرَكُمُ * نَفْسِى فِداؤك من ذِى غُلَّةٍ صادى

١٥/١١

قال : فغزا عَرْعَرةُ بن عاصيةَ هُذَيْلًا يطلبُهم بدم أخيه ، فقتل منهم نَفَرًا وسَبَى امرأةً بخُرْدها (٦) ، ثم ساقها معه عارِيةً إلى بلاد بنى سُلَيْم ؛ فقالت عند ذلك :

---

(١) فى أكثر الأصول : « محمد بن عبد العزيز » . والتصويب من ف .

١٥

(٢) كذا فى ط وشرح أشعار الهذليين للسكرى (ص ٢٤٣ طبعة أوربا) وديوان الهذليين (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٦ أدب ش) . وقد وضع هذا البيت فيهما فى شعر جنوب أخت عمرو ذى الكلب ترثيه . قال السكرى : « حدثنا الحلوانى قال حدثنا أبو سعيد قال أبو عبد الله : ثم خرج عمرو ذو الكلب غازيا . فبينا هو فى بعض غاراته نائم إذ وثب عليه نمران فأكلاه ، فوجدت فهم سلاحه فادّعت قتله . فقالت أخته جنوب ترثيه » . وأورد القصيدة البائية التى مطلعها :

٢٠

كل امرئ بطوال العيش مكذوب ... وكل من غالب الأيام مغلوب

ثم الأبيات التى ورد فيها هذا البيت والرواية هناك : « شبت هذيل وفهم » .

(٣) كذا فى ط وشرح أشعار الهذليين . وأصل الإرة حفرة يوقد فيها ، والمراد بها هنا الحرب . وفى سائر الأصول : « ترة » بدل « إرة » وكتبت هذه الكلمة فى ط بين السطور . والترة : الثأر .

(٤) زيادة فى ف . (٥) فى ف : « دائما جزعا » . (٦) فى ف : « فقالت امرأة من هذيل » .

ألامَتْ سُلَيْمٌ فى السِّياق وأَفحشتْ (١) * وأفرطَ فى السُّوقِ العنيف إسَارُها
لعلّ فتاةً منهمُ أن يسوقَها * فوارسُ منّا وهْىَ بادٍ شَوارُها (٢)
فإنْ سَبَقتْ عُلْيَا سُلَيْمٍ بذَحْلِها * هُذَيْلًا فقد باءتْ فكيف اعتذارُها
ألا ليت شِعْرِى هل أرى الخيلَ شُزَّبًا (٣) * تُثِير عَجَاجًا مستطيرًا غُبارُها
فتَرْقَأ (٤) عيونٌ بعد طُول بُكائها * ويُغسَلَ ما قد كان بالأمس عارُها

٥

هذه رواية عمر بن شَبّة . فأمّا أبو عُبَيْدة فإنه خالفه فى ذلك، وذكر فى مقتله، فيما أخبرنى به محمد بن الحسن بن دُرَيْد إجازةً عن أبى حاتم عن أبى عُبَيْدةَ قال :

خرج عمرو بن عاصية السُّلَمىّ ثم البَهْزِىّ فى جماعةٍ من قومه، فأغاروا على هُذَيل ابن مُدْرِكَة، فصادفوا حيًّا من هُذَيلٍ يقال لهم بنو سَهْم بن مُعاوية . وكانت امرأةٌ من هُذَيل تحت رجل من بنى بَهْزٍ، فقالت لابن لها معه (٥) : أىْ بُنَىَّ انْطلِقْ إلى أخوالك فأنْذِرْهم بأنّ ابن عاصيةَ السُّلَمىّ قد أمسى يريدهم ، وذلك حين عزَم ابن عاصيةَ على غَزْوهم وأراد المسيرَ إليهم . فانطلق الغلام من تحت ليلته حتى أتى أخوالَه فأنذرهم ، فقال : ابن عاصية السُّلَمىّ يريدكم، فخذوا حِذْرَكم ؛ فبَدَر القوم واستعدّوا . وأصبح عمرو بن عاصية قريبًا من الحىّ ، فنزل فَرَبًا لأصحابه على جبلٍ [مشرف على القوم] (٦) ، فإذا هم حَذِرون . فقال لأصحابه : أرى القومَ حَذِرين ، إنّ لهم لشأنا ، ولقد أُنْذِرُوا علينا . فكَمَن فى الجبل يطلُب غَفْلتَهم ، فأصابه وأصحابَه عطشٌ شديد، فقال

١٠

١٥

(١) ألامت : فعلت ما تستحق عليه اللوم . وأفحشت : أتت الفحشاء وهى الأمر القبيح . والسياق : مصدر ساقه يسوقه سوقا وسياقا . والإسار : مصدر أسره يأسره أسرا وإسارا . وأصل الإسار : القيد، ويكون حبل الكتاف ؛ ومنه سمى الأسير إذ كانوا يشدونه بالقد، فسمى كل أخيذ أسيرا وإن لم يشد به . (٢) الشوار : الحسن والهيئة والزينة واللباس .

٢٠

(٣) شزب : ضوامر ، الواحد شازب . (٤) ترقأ : تجف ، سهلت همزته .

(٥) كذا فى الأصول . ولعله « منه » ، وهى ساقطة فى ف . (٦) زيادة عن ف .

ابن عاصية لأصحابه : هل فيكم مَنْ يرتوى لأصحابه ؟ فقال أصحابه : نخاف القوم ، وأبى أحدٌ منهم أن يُجيبه إلى ذلك . قال : فخرج على فَرَس له ومعه قِرْبَتُه . وقد وضعتْ هُذَيْلٌ على الماء رجلاً منهم رَصَدًا ، وعلموا أنّهم لا بُدّ لهم من أن يَرِدُوا الماء ، فمرّ بهم عمرو بن عاصية وقد كَمَن له شيخٌ وفتيَانِ من هُذَيل ، فلما نظروا اليه همّ الفتيَانِ أن يُثَاوِراه[1] ، فقال الشيخ : مهْلًا ! فإنه لم يرَكما ، فكفّا . فانتهى ابن عاصية إلى البئر ، فنظر يمينًا وشِمالًا فلم يرَ أحدًا والآخرون يرمُقونه من حيثُ لا يراهم . فوثب نحو قربته فأخذها ثم دخل البئر فطَفِق يملأُ القربةَ ويَشرَب . وأقبل الفتيَان والشيخُ معهما حتى أشرفوا عليه وهو فى البئر ، [فرفع رأسه فأبصر القوم][2] ؛ فقالوا : [قد][2] أخزاك الله يا بنَ عاصية وأمكن منك ! قال : ورمى الشيخ بسهم فأصاب[3] أخمصه فأنفذه فصرعه ، وشُغِل الفتيَانِ بنَزْع السهم من قَدَمِ الشيخ ، ووثب ابن عاصية من البئر شَدًّا نحو أصحابه ، وأدركه الفتيَانِ قبل وصوله فأسَراه . فقال لهما حين أخذاه : أرْوِيَانى من الماء ثم اصنعا ما بَدَا لكما . فلم يَسْقِياه وتَعَاوراه بأسيافهما حتى قتلاه . فقالت أخت عمرو بن عاصية تَرْثى أخاها :

يا لَهْفَ نَفْسِىَ يوماً ضَلَّةً جَزَعًا * على ابن عاصيةَ المقتولِ بالوادى
إذْ جاء ينفُض[4] عن أصحابه طَفَلًا * مَشْىَ السَّبَنْتَى أمامَ الأَيكة العادى
هَلّا سَقَيْتُم[5] بنى سَهْمٍ أسيرَكُمُ * نَفْسِى فداؤك من مُسْتَورِدٍ صادى

(١) ثاوره مثاورة وثوارا : واثبه ، مثل ساوره .
(٢) زيادة فى ف .
(٣) فى ط : « و يرمى الشيخ فيصيب أخمصه فأنفذه » .
(٤) ينفض هنا : يكشف الطريق و يتجسس . والاسم النفيضة مثل الطليعة . وقد ضمن « ينفض » معنى يذهب الأذى و يدفعه ، فعدّاه بـ « عن » . والطفل طفلان ، أحدهما طفل الغداة وهو من لدن ذرور الشمس إلى استكمال ضوئها فى الأرض . والآخر طفل العشى ، وهو آخره عند غروب الشمس واصفرارها . والسبنتى : النمر أو الأسد .
(٥) فى ف : « من ذى غلة » .

قال أبو عبيدة : وآب غَزِىُّ[1] بنى سُلَيْم بعد مقتل ابن عاصية . قال : فبلغ أخاه عَرْعَرَةَ بنَ عاصيةَ قَتْلُ هُذَيلٍ أخاه وكيف صُنِع به ، فجمع لهم جمعاً من قومه فيهم فوارسُ من بنى سُلَيْم منهم عَبِيدةُ بن حكيم الشَّرِيدىّ وعمرُو بن الحارث الشَّرِيدىّ وأبو مالك البَهْزِىّ وقيسُ بن عمرو أحد بنى مطرود من بنى سُلَيْم وفوارسُ من بنى رِعْلٍ . قال : فسَرَى إليهم عرعرة ، فالتقَوْا بموضع يقال له الجُرْف فاقتتلوا قتالاً[2] شديدًا ، فظفرتْ بهم بنو سُلَيم فأوجعوا فيهم وقتلوا منهم قَتْلَى عظيمةً ، وأسَروا أَسْرَى ، وأصابوا امرأةً من هُذَيْل فعرَّوْها من ثيابها واستاقوها مجرّدةً فأفحشوا فى ذلك . وقال عرعرة بن عاصية فى ذلك يذكر مَنْ قَتَل :

ألَا أبْلِغْ هُذَيلًا حيثُ حَلَّتْ * مُغَلْغَلَةً تَخُبُّ مع الشَّفِيقِ
مُقامَكُمُ غَداةَ الجُرْفِ لَمَّا * تواقفتِ الفوارسُ بالمَضِيقِ
غَداةَ رأيتُمُ فُرسانَ بَهْزٍ * ورِعْلٍ أَلْبدتْ[3] فوق الطريقِ
تراميتُمْ قليلاً ثم ولَّتْ * فوارسُكم تَوَقَّلُ كُلَّ نِيقِ[4]
بِضَرْبٍ تسقُط الهاماتُ منه * وطَعْنٍ مثلِ إشعالِ الحريقِ

وقال لى : إنّ هذا الشعر الذى فيه صنعة عبد الله بن طاهر لمسعود بن شدّاد يَرثى أخاه ، وزعَم أنّ جَرْمًا كانت قتلتْه وهو عطشان ، فقال :

يا عينُ جُودِى لمسعود بن شَدّادِ * بكل ذى عَبَراتٍ شَجْوُه بادى
هَلَّا سقيتم بنى جَرْمٍ أسيرَكُمُ * نَفْسِى فداؤك من ذى غُلّةٍ صادى

(١) الغزى : اسم جمع لغاز . (٢) كذا فى ط ، ف . وفى سائر الأصول : « قتلا » .
(٣) ألبد بالمكان : أقام به ولزمه . (٤) توقل : تصعد . والنيق : أعلى الجبل . يريد : تتصعد كل عال فرارا من القتال .

فأنشدَنيها بعضُ أصحابنا قال أنشدنى أبو بكر محمد بن [الحسن بن] (١) دُرَيْد قال أنشدنى أبو حاتم عن أبى عُبَيدة لفارعة المُرِّيّة أُخت مسعود بن شَدّاد (٢) ترثيه، فذكر من الأبيات البيت الأوّل، وبعده :

يا مَنْ رأى بارقًا (٣) قد بِتُّ أرمُقُـه * جَوْدا على الحَرّة السوداء بالوادى

أسـقِى به قبرَ مَنْ أَعْنِي وحُبَّ به * قـبراً إلىّ ولو لم يَفْـدِهِ فادى

شَهّـادُ أنديةٍ رَفّاعُ أبنيـةٍ * شَـدّادُ ألويةٍ (٤) فَتّـاح أسـدادِ

نَحّـارُ راغيةٍ (٥) قتّـالُ طاغيـةٍ * حَلّالُ رابيـةٍ فَكّاكُ أقيـادِ

قَـوّالُ مُحكَمةٍ نَقّـاضُ مُبْرَمَـةٍ * فَـرّاجُ مُبْهَمةٍ حَبّـاسُ أورادِ (٦)

حَـلّالُ مُمْرِعَـةٍ حَمّـالُ مُضْلِعَةٍ (٧) * قَـرّاعُ مُفْظِعـةٍ طَلّاعُ أنجـادِ

جَمّاع كُلِّ خِصالِ الخَيْرِ قد عَلِموا * زَيْنُ القَرِينِ وخَطْمُ (٨) الظالم العادى

أبا زُرارةَ لا تَبْعَـدْ فكُلُّ فـتًى * يومًا رَهِـينُ صَفيحاتٍ (٩) وأعـوادِ

والغناء فى هذا الشعر لعبد الله بن طاهر خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر . قال عُبَيد الله ابن عبد الله بن طاهر: لمّـا صنع أبى هذا الصوتَ لم يُحِبَّ أن يَشيع عنه شىءٌ من هـذا ولا يُنْسَبَ إليـه؛ لأنه كان يترفّع عن الغناء ، وما جَسَّ بيـده وَتَرًا قطُّ ولا

(١) زيادة فى ف . (٢) فى ف : «من شداد بن الهاد» .
(٣) أى سحابا ذا برق . وجودا : كثير المطر . (٤) فى ف :
رفاع ألـوية * شـدّاد أهوية
(٥) الراغية : الناقة . (٦) أوراد : جمع ورد (بالكسر) وهو الجماعة الواردون للماء ، والقطيع من الطير والإبل ، والجيش . على التشبيه بقطيع الطير والإبل ؛ قال جرير :
سأحمد يربوعا على أن وردها * إذا ذيد لم يُحبَس وإن ذاد حكّما
أى هو حباس للجيوش ، أو حباس للواردين حتى يستقى هو ودوابه . وهذا ممـا يدل على القوّة والسلطان .
(٧) فى الأصول : «معضلة» وكتب فى هامش ط : «مضلعة» ، وعلى جانبها : «صح» . والمضلعة : المثقلة للأضلاع . (٨) كذا فى حـ ، وفى ف : «ونكال الظالم» . وفى سائر الأصول : «وخطل الظالم» . يقال : خطمه يخطمه خطما ، إذا ضرب مخطمه (أنفه) ، وهو وصف بالمصدر . تريد أنه يذل الظالم العادى ويكبحه عن طغيانه . (٩) الصفيحة هنا : الحجر العريض .

١٧/١١ تعاطاه، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدُّرْبة [وحُسْن الثقافة](١) ما لا يعرفه كبير أحد . وبلغ من عِلْم ذلك إلى أن صَنَع أصواتاً كثيرة، فألقاها على جَواريه، فأخَذْنَها عنه وغَنَّيْنَ بها، وسَمِعها النَّاسُ منهنّ وممن أَخَذ عنهن . فلما أن صنع هذا الصوتَ:

هَـلَّا سَقَيْتُمْ بنى جَرْمٍ أسـيرَكُمُ * نَفْسِى فداؤك من ذى غُلَّةٍ صادى

نسبه إلى مالك بن أبى السَّمْح . وكان لآل الفضل بن الربيع جاريةٌ يقال لها دَاحة، فكانت ترغب إلى عبدالله بن طاهر لمّـا نَدَبه المأمونُ إلى مصرَ [فى أن يأخذها معه](١)، وكانت تغنيه، وأخذت هذا الصوت عن جواريه، وأخذه المغنُّون عنها ورَوَوْه لمـالك مدّة . ثم قَدِم عبُدالله العراقَ فحضر مجلسَ المأمون، وغُنِّى الصوتُ بحضرته ونُسِب إلى مالك، فَضحِك عبدُالله ضحكاً كثيرا . فسُئِل عن القِصّة فصَدَق فيها وٱعترف بصَنْعة الصوت . فكَشَف المأمونُ عن ذلك، فلم يَزَلْ كلُّ مَنْ سُئِل عنه يُخْبِر عمن أخذه [عنه]، فتنتهى القِصّةُ إلى داحةَ ثم تقِف ولا تعدوها . فأُحْضِرتْ دَاحةُ وسئلتْ فأخبرتْ بقصته، فعُلِم أنّه من صَنْعته حينئذ بعـد أن جاز على إسحاق وطبقته أنّه لمـالك . ويقال : إنّ إسحاق لم يَتَعجّبْ من شيءٍ تَعَجّبَه من عبـد الله وحذْقه بمذاهب الأوائل وحكاياتهم .

قال : ومن غنائه أيضا :

صـــوت

راح صَحْبى وعاودَ القَلْبَ داءُ * من حَبِيبٍ طِلَابُه لى عَنَـاءُ

حَسَنُ الرأى والمَواعيدِ لا يُلْـ * ـفَى لشىءٍ ممـا يقـول وَفاء

مَنْ تَعَـزَّى عمن يُحِبُّ فإنّى * ليس لى ما حَيِيتُ عنه عَزاء

الغناء لابن طُنْبورةَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى . ولحنُ عبد الله ابن طاهر ثانى ثقيلٍ بالبنصر .

(١) زيادة عن ف

ومنها :

فمَنْ يَفْرَحْ ببينِهِمُ * فغيرى إذ غَدَوْا فَرِحَا

صوت

شعر لعمر بن أبي ربيعة وسببه

يا خَليلَىَّ قد مَلِلْتُ ثَوائى * بالمُصَلَّى وقد شَنِئْتُ البَقِيعَا

بَلِّغانِى ديارَ هندٍ وسَلْمَى(١) * وارْجِعَا بِى فقد هَوِيتُ الرجوعا

الشعر لعُمَر بن أبى ربيعة . والغناء لِلغَرِيض خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى فى مجراها [عن إسحاق](٢)، وذكر الهِشامِىّ أنّه لابن سُرَيْج . وذكر حبشٌ أنّ فيه رَمَلًا بالبنصر لإبراهيم . وفيه لحن لمَعْبَد ذكره حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ولم يجنِّسه .

أخبرنى بخبر عمر بن أبى ربيعة فى هذا الشعر وقَوْلِه إيّاه الحَرَمِىُّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا سليمان بن عَيَّاش السَّعْدِىّ قال [أخبرنى السائب ابن ذَكْوان راوية كُثَيِّر قال](٢) : قَدِم عمر بن أبى ربيعة المدينةَ ، وأخبرنى الحُسين ابن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص قال ، وأخبرنى علىّ بن صالح عن أبى هِفَّانَ عن إسحاق عن عثمان بن حفص والزُّبَيْرىّ والمُسَيَّبى ، وأخبرنى به أحمد بن عبد العزيز [الجوهرى](٢) قال حدّثنا عمر بن شَبّة موقوفًا عليه . وجمعتُ رواياتهم ، وأكثرُ اللّفظ للزُّبَير [بن بَكّار](٢) وخبرُه أتمُّ :

١٨/١١

أنّ عمر بن أبى ربيعة قَدِم المدينةَ ، فزعموا أنّه قَدِمَها من أجل امرأةٍ من أهلها ، فأقام بها شهرًا ، فذلك قوله :

يا خليلَىَّ قد مَلِلْتُ ثَوائى * بالمُصَلَّى وقد شَنِئْتُ البقيعَا

خرج هو والأحوص إلى مكة فنزلا بنصيب وكثير وتحاوروا

قال : ثم خرج إلى مكة ، فخرج معه الأحوصُ واعتمرا .

(١) فى ف : « وسعدى » . (٢) زيادة عن ف .

قال الزُّبَير فى خبره عن سائب راوية كُثَيِّر إنّه قال : لمّا مَرّا بالرَّوْحاء[(١)] اسْتَتْلَيانى[(٢)] فخرجت أتلوهما ، حتّى لحقتهما بالعَرْج[(٣)] عند رَوَاحهما . فخرجْنا جميعًا حتّى وَرَدْنا وَدّانَ[(٤)] ، فحبسهما النُّصَيْب وذَبَح لهما وأكرمهما ، وخرجنا وخرج معنا النُّصَيب . فلمّا جئنا كُلَيّةَ[(٥)] عدلنا جميعًا إلى منزل كُثَيِّر ، فقيل لنا : هَبَط قُدَيْدًا[(٦)] ، فذُكِر لنا أنّه فى خيمة من خِيامها . فقال لى ابن أبى ربيعة : اذْهَبْ فادْعُه لى . فقال النُّصَيْب : هو أحمق وأشدّ كِبْرًا من أن يأتيك . فقال لى عمر : اذْهَبْ كما أقولُ[لكَ][(٧)] فادْعُه لى . فجئتُه ، فهَشّ لى وقال : «أُذْكُرْ غائبًا تَرَه» ، لقد جئتَ وأنا أذكُرُك . فأبلغتُه رسالةَ عمر ، فحَدّد إلىّ نظرةً وقال : أمَا كان عندك من المعرفة ما يَرْدَعُك عن إتيانى بمثل هذه الرسالة ! قلت : بلى والله ! ولكنّى ستَرتُ عليك فأبى اللهُ إلّا أن يَهْتِك سِتْرَك . فقال لى : إنّك والله يابنَ ذَكْوَان ما أنتَ من شَكْلِى ، فقُلْ لابن أبى ربيعة : إنْ كنتَ قُرَشيًّا فأنا قرشىٌّ . فقلت له : لا تترك هذا التَّلصُّق وأنت تُقْرَفُ[(٨)] عنهم كما تُقْرَفُ الصَّمْغةُ ! فقال : والله لَأَنا أثبتُ فيهم منك فى سَدُوس . ثم قال : وقل له : إنْ كنتَ شاعرًا فأنا أشعرُ منك . فقلت له : هـذا إذا كان الحُكْم إليـك . فقال : وإلى مَنْ هو ومَنْ أَوْلَى بالحكم منِّى ! [وبعد هذا يابن ذكوان فاحْمَـدِ الله على لومك[(٩)] ؛ فقد منعَك منّى][(٧)] اليوم ؟ فرجعتُ إلى عُمَـر ، فقال : ما وراءك ؟ فقلتُ : ما قال لك نُصَيْبٌ . فقال : وإنْ . فأخبرتُه فضَحِك وضحِك صاحباه ظَهْـرًا لبطْنٍ ، ثم نهضوا معى إليـه .

(١) الروحاء : قرية كانت لمزينة بينها وبين المدينة واحد وأربعون ميلا . (عن معجم ما استعجم).
(٢) استتلاه : طلب إليه أن يتلوه .
(٣) العرج : قرية كانت جامعة فى واد من نواحى الطائف ، وإليها ينسب العرجى الشاعر .
(٤) ودان هنا : قرية جامعة من نواحى الفُرْع بين مكة والمدينة .
(٥) كلية : قرية بين مكة والمدينة . (٦) قديد : موضع قرب مكة .
(٧) زيادة فى ف . (٨) كذا فى ط ، ف . وفى سائر الأصول : «تفرق عنهم كما تفرق» تصحيف . يقول له : أنت لست بأصيل فى قريش ولا بمتمكن فيهم كالصمغة من الشجرة ؛ فان الصمغة إذا قرفت وقلعت لم يبق لها أثر . (٩) أى : فاحمد الله على لومى إياك ؛ فقد حصنك اللوم من الضرب .

فدخلنا عليه فى خَيْمَةٍ، فوجدناه جالسًا على جِلْدِ كَبْشٍ، فوالله ما أوسع للقُرَشِيِّ. فلمّا تحدّثوا مَلِيًّا فأفاضوا فى ذكر الشّعر[1]، أقبل على عُمَرَ فقال له : أنت تَنْعَت المرأةَ فتنسب[2] بها ثم تَدَعُها وتَنْسب بنفسك. أخبرنى يا هذا عن قولك :

قالتْ تَصَدَّىْ له لِيَعْرِفَنا * ثمّ اغْمِزِيهِ يا أختِ فى خَفَرِ
قالت لها قد غَمَزْتُه فأبى * ثم اسْبَطَرَّتْ[3] تشتدُّ فى أَثَرِى
وقولُها والدّموعُ تَسْبِقُها * لَنُفْسِدَنَّ الطَّوافَ فى عُمَرِ

أتُراك لو وصفتَ بهذا هِرَّةَ أهلِك ألم تكن قد قَبَّحْتَ وأسأتَ وقُلْتَ الهُجْرَ؛ إنما تُوصَف الحُرّةُ بالحياء والإباء والالْتِواء والبُخْل والامتناع، كما قال هذا — وأشار إلى الأحوص — :

أدُورُ ولولا أنْ أرى أُمّ جَعْفَرٍ * بأبياتِكُمْ ما دُرْتُ حيثُ أدور
وما كُنْتُ زَوّارًا ولكنّ ذا الهوى * إذا لم يَزُرْ لا بُدّ أن سيزورُ
لقد مَنَعتْ معروفَها أُمّ جَعْفَرٍ * وإنّى إلى معروفها لَفَقيرُ

قال : فدخلتِ الأحْوَص أُبّهةٌ وعُرِفَتِ الخُيَلاءُ فيه. فلما استبانَ كُثَيِّرٌ ذلك فيه قال : أبطل آخِرُك أوّلَك. أخْبِرْنى عن قولك :

فإنْ تَصِلى أَصِلْكِ وإنْ تَبِينى * بِصُرْمِك بعد وَصْلِكِ لا أُبالى
ولا أُلْفَى كَمَنْ إنْ سِيمَ صَرْمًا * تَعَرّضَ كى يُرَدّ إلى الوِصالِ

أمَا والله لو كنتَ فَحْلًا لبالَيْتَ[4] ولو كَسَرتْ أنفك. ألّا قُلْتَ كما قال هذا الأسود — وأشار إلى نُصَيب — :

(١) كذا فى ط، ف. وفى أكثر الأصول: «فى ذكر الشعراء». (٢) كذا فى ط. وفى سائر الأصول: «فتشبب بها». (٣) كذا فى ف والجزء الأول من هذه الطبعة. واسبطرت: أسرعت. وفى سائر الأصول هنا: «استطرت». (٤) فى ب، س: «لما باليت» تحريف.

بِزَيْنَبَ أَلْمِمْ قبل أن يَرْحَلَ الرَّكْبُ * وقُلْ إنْ تَمَلِّينَا فما مَلَّكِ القَلْبُ

قال : فانكسر الأحوصُ ، ودخلتِ النُّصَيْبَ أُبهةٌ . فلمّا نَظَر أنّ الكبرِياء قد دخلته ، قال له : يا بنَ السَّوْداء ، فأخبِرْنى عن قولك :

أَهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيتُ فإنْ أَمُتْ * فوَا كَبِدِى مَنْ ذا يَهِيمُ بها بَعْدِى

أَهَمَّكَ مَنْ يَنِيكُها بعدَك ! فقال نُصَيْب : اُستوتِ القِوقُ[1] ، قال : وهى لُعْبةٌ مثل المنقلة . ومن هذا الموضع ينفرد الزُّبير بروايته دون الباقين . قال سائب: فلمّا أمسك كُثَيِّرٌ أقبل عليه عُمَر فقال له : قد أَنْصَتْنا لك فاسْمَع يامَذْبوبُ[2] [إلىّ][3] ! أَخْبِرْنى عن تَخَيُّرِك لنفسك وتَخَيُّرِك لمن تُحِبّ حيث تقول :

أَلَا ليتَنا يا عزَّ كُنّا لذى غِنًى * بَعِيرَيْنِ نَرْعَى فى الخَلاء ونَعْزُبُ

كِلَانَا به عَرٌّ فمَنْ يَرَنا يَقُلْ * على حُسْنِها جَرْباءُ تُعْدِى وأَجْرَبُ

إذا ما وَرَدْنا مَنْهَلًا صاح أهلُه * علينا فما نَنْفَكُّ نُرْمَى ونُضْرَبُ

وَدِدْتُ وبَيْتِ اللهِ أنّكِ بَكْرةٌ * هِجَانٌ[4] وأنّى مُصْعَبٌ ثم نَهْرُبُ

نكونُ بَعِيرَىْ ذى غِنًى فيُضِيعُنا * فلا هُوَ يَرْعانا ولا نحن نُطْلَبُ

وقال : تَمَنَّيْتَ لها ولنفسك الرِّقَّ والجرب والرَّمْىَ والطَّرْدَ والمَسْخَ ، فأىّ مكروهٍ لم تَمَنَّ لها ولنفسك ! لقد أصابها منك قولُ القائل : «مُعاداةُ عاقلٍ خيرٌ من مودّة أحمقَ» . قال : فجعل يختلج[5] جسده كله . ثم أقبل عليه الأحوص فقال : إلىّ يا ابن استها[6] أُخبِرْكَ بخبرك وتَعَرُّضِك للشرّ وعَجْزِك عنه وإهدافك[7] لمن رَمَاك . أَخْبِرنى عن قولك :

---

(١) فى ف : «القيق» . ولم نهتد إلى وجه الصواب فيه . (٢) المذبوب : المجنون .

(٣) زيادة فى ف . (٤) بكرة هجان : بيضاء . والمصعب : الفحل .

(٥) يختلج : يضطرب . (٦) يقال لابن الأمة عند تحقيره : « يابن استها » يعنون أنها ولدته من استها . (٧) أهدف لكذا : تعرض له .

وقُلْنَ ـ وقد يَكْذِبْنَ ـ فيكَ تَعيُّفٌ * وشُؤْمٌ إذا ما لم تُطعْ صاحِ ناعقُهْ
وأعيَيْتَنا لا راضيًا بكرامةٍ * ولا تاركًا شَكْوَى الذى أنت صادقُهْ
فأدركتَ صَفْوَ الوُدِّ منّا فلُمْتَنا * وليس لنا ذَنْبٌ فنحن مَوَاذِقُهْ (١)
وألفيتَنا سِلْمًا فصَدَّعتَ بيننا (٢) * كما صَدَّعتْ بين الأديم خَوالِقُهْ (٣)

٥ واللهِ لو احتفلَ عليك هاجيك ما زاد على ما بُؤْتَ به على نفسِك . قال : فخَفَق كما يَخْفِق الطائرُ . ثم أقبل عليه النُّصَيْبُ فقال : أقْبِلْ علىَّ يا زُبَّ الذُّبَاب ! فقد تَمنَّيْتَ معرفة غائبٍ عندى عِلْمُه فيك حيث تقول :

وَدِدْتُ ـ وما تُغْنِي الوَدَادةُ ـ أنّنى * بما فى ضَميرِ (٤) الحاجبيّة عالمُ
فإنْ كان خيرًا سَرَّنى وعَلِمْتُه * وإنْ كانَ شرًّا لم تَلُمْنى اللَّوائمُ

١٠ أُنظُرْ فى مِرْآتِك واطَّلِعْ فى جَيْبِك واعْرِفْ صورةَ وجهك، تَعْرِفْ ماعندها [لك] (٥). فاضطرب اضطرابَ العُصْفور، وقام القومُ يضحكون . وجلست عنده ؛ فلمّا هدأ شَأْوُه (٦) قال لى : أرْضَيْتَك فيهم ؟ فقلتُ له : أمّا فى نفسك فنعمْ ! فقد نَحُس يومُك معهم ، وقد بَقِيتُ أنا عليك . فما عُذْرُك ــ ولا عُذْرَ لك ــ فى قولك :

سقَى دِمْنَتَيْنِ لم نَجِدْ لهما أهْلَا * بحَقْلٍ لكم يا عَزَّ قد رابَنا حَقْلَا
١٥ نَجاءُ الثُّرَيَّا كُلَّ آخر لَيْلةٍ * يَجُودُهما جَوْدًا ويُتْبِعُه وَبْلَا
[ثم قلتَ فى آخرها] (٥)
وما حَسِبتْ ضَمْرِيّةٌ حَدَرِيّةٌ * سِوَى التَّيْس ذى القَرْنَيْنِ أنّ لها بَعْلَا

(١) مواذق : جمع ماذق . يقال : مذق الود إذا لم يخلصه . (٢) البين هنا : الوصل .
(٣) خوالق الأديم : اللاتى يقدرنه قبل أن يقطعنه . (٤) فى ف : « فؤاد الحاجبية » .
٢٠ (٥) زيادة فى ف . (٦) كذا فى الأصول . والشأو : الشوط والطلق . ولعله يريد ما عراه من الاضطراب فى الشأو الذى جرى بينه و بينهم .

أهكذا يقول الناسُ وَيحكَ ! ثم تظنّ أنّ ذلك قد خَفِىَ ولم يعلَم به أحدٌ، فتَنسُبَ الرجالَ وتَعيبهم ! فقال : وما أنت وهـذا ؟ وما عِلْمُك بمعنى ما أردت ؟ فقلت : هـذا أعجبُ من ذالك . أتذكُر امرأةً تَنسِبُ بها فى شِعْرك وتَستغزِرُ لها الغَيْثَ فى أوّل شِعْرك، وتَحمِلُ عليها التَّيسَ فى آخره ! قال : فأطرقَ وذَلّ وسَكَن . فعُدْتُ إلى أصحابى فأعلمتُهم ما كان من خَبَره بعدَهم . فقالوا : ما أنت بأهْوَن مجاريه التى رُمِى بها اليوم منّا . قال فقلتُ لهم : إنّه لم يَبْرِنى فأطْلُبَه بذَحْلٍ ، ولكنّى نصحته لئلّا يُخِلّ هذا الإخلالَ الشديد ، ويَرْكَبَ هذه العَروضَ[1] التى رَكِب فى الطّعْن على الأحرار والعَيْب لهم .

شدد والى مكة فى الغناء ، فخرج فتية إلى وادى محسر وبعثوا لابن سريج فغناهم

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرى وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر ابن شَبّة قال حدثنى إسحاق الموصلىّ قال حدّثنى ابن جامع عن السَّعيدىّ عن نَبهل ابن بَرَكة وكان يَحمِل عُودَ ابنِ سُرَيْج قال :

كان على مَكّة نافعُ بن عَلْقمةَ الكِنَانِىّ ، فشَدّد فى الغناء والمغنّين والنبيذ، ونادى فى المخنّثين . فخرج فِتْيَةٌ من قُرَيْش إلى بَطْنِ[2] مُحَسِّر وبعثوا برسولٍ لهم فأتاهم براوية من الشراب الطائفىّ . فلمّا شَربوا وطَربوا قالوا : لوكان معنا ابنُ سُرَيْج تَمّ سرورنا . فقلت : هو علىّ لكم . فقال لى بعضهم : دُونَك تلك البغلةَ فاركَبْها وامْضِ إليه . فأتيته فأخبرتُه بمكان القوم وطلبِهم إيّاه . فقال لى : وَيْحَكَ ! وكيف لى بذاك مع شِدّة السلطان فى الغناء ونِدائه فيه ؟ فقلت له : أفتردُّهم ؟ قال : لا والله ! فكيف لى بالعُود ؟ فقلتُ له : أنا أَخْبَؤه لك فشأنَك . فركب وسترتُ العُودَ

---

(١) كذا فى ط . وفى أكثر الأصول : « هـذا العروض الذى ركب » . والعروض (بالفتح) : الطريق فى عرض الجبل (٢) بطن محسر : وادى المزدلفة بالقرب من مكة .

وأردفنى . فلمّا كنّا ببعض الطريق إذا أنا بنافع بن علقمة قد أقبل ، فقال لى : يا بنَ بَركةَ هذا الأمير! فقلتُ : لا بأس عليك ، أرسِلْ عِنانَ البغلة وامضِ ولا تخَفْ ، ففعل . فلمّا حاذيناه عرفنى ولم يعرف ابن سُرَيْج ، فقال لى يا بنَ بركة : مَنْ هذا أمامَك ؟ فقلت : ومَنْ ينبغى أن يكون ! هـذا ابنُ سُرَيْج . فتبسّم [ابن] علقمة ثم تمثّل :

فإنْ تَنْجُ منها يا أبانُ مُسَلَّمًا * فقد أفلت الحَجّاجُ خيلَ شَبِيبِ

ثم مضى ومَضَيْنا . فلمّا كنّا قريبًا من القوم نزلنا إلى شجرةٍ نستريح ، فقلتُ له : غَنِّ مرتجلًا ، فرفع صوتَه فخُيِّل إلىّ أنّ الشجرة تنطق معه ، فغنّى :

صـوت

كيف الثَّواءُ ببَطْنِ مَكّةَ بعد ما * هَـمَّ[1] الذين تُحِبُّ بالإنجادِ

أمْ كيف قلبُك إذ ثَوَيْتَ مُخَمَّرًا[2] * سَقَمًا خِلافَهمُ وكَرْبُك بادى

هل أنتَ إن ظَعَنَ[3] الأحِبّةُ غادِى[4] * أم قبلَ ذلك مُدْلِجٌ بسَوَادِ

— الشعر للعَرْجىّ . وذكر إسحاق فى مُجَرَّده أنّ الغناء فيه لابن عائشةَ ثانى ثقيلٍ مطلق فى مجرى الوسطى . وحكى حماد ابنه عنه أنّ اللحن لابن سُرَيْج — قال سهل : فقلت : أحسنتَ والذى فَلَق الحبّة وبَرَأ النَّسَمةَ ، ولو أنّ كِنانةَ كلَّها سمِعَتْك لاستحسنتْك فكيف بنافع بن علقمة ! المغرورُ مَنْ غَرّه نافع . ثم قلتُ : زِدْنى وإنْ كان

(١) فى ف : « لهج » (٢) المخمر : أخذه المصدع من الخمر . (٣) كذا فى ط ، ف . وفى أكثر الأصول : « إذ ظعن » . (٤) البيت مصرع . وفى ب ، س : « غاديا » تحريف .

القوم متعلّقةٌ قلوبُهم بك . فغنّى وتناول عُودًا من الشجرة فأَوْقَعَ[1] به على الشجرة ؛ فكان صوتُ الشجرة أحسنَ من خَفْق بُطُون[2] الضَّأن على العِيدان إذا أخذتْها قُضْبان الدِّفْلَى . قال : والصوت الذى غنّى :

صـــوت

لا تَجْمَعِى هَجْـرًا علىّ وغُرْبةً * فالهَجْرُ فى تَلَفِ الغريبِ سريع

مَنْ ذا ــ فديتُكِ ــ يستطيع لِحُبِّه * دَفْعًا إذا ٱشتملتْ عليه ضُلوعُ

فقلت : بنفسى أنت والله مَنْ لا يُمَلّ ولا يُكَدّ ، والله ما جَهِل مَنْ فهِمَك ! ٱركَبْ ــ فدتْك نفسى ــ بنا . فقال : أَمْهِلْنى كما أمهلتُك اقْضِ بعضَ شأنى . فقلت : وهل عمّا تُريد مَدْفَعٌ ! فقــام فصلّى ركعتين ، ثم ضرب بيــده على الشجرة وقال : أَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلّا اللهُ وأشهد أنّ محمّدًا عبدُه ورسولُه ، ثم قال : يا حبيبتى إذا شَهِدْتِ بذاك الشئ فٱشهدى بهذا . ثم مضينا والقوم متشوّقون ، فلما دَنَوْنا أحسّت الدوابّ بالبغلة فصَهَلتْ ، وشَحَجتِ البغلة ، وإذا الغريض يُغَنّيهم لحنَه :

مِنْ خَيْلِ حَىٍّ ما تَزالُ مُغيرةً * سَمِعتْ على شَرَفٍ صَهِيلَ حِصَانِ

فبكى ٱبن سُرَيْج حتى ظننتُ أنّ نفسه قد خرجتْ ، فقلت : ما يُبْكيك يا أبا يحيى؟ [جُعِلْتُ فداك !][3] لا يسوءك الله ولا يُرِيك سوءا[4] ! قال : أبكانى هذا المخنّث بحسن غنائه وشَجَا صوتِه ؛ والله ما ينبغى لأحدٍ أن يُغَنّىَ وهذا الصبىّ حَىٌّ[5] . ثم نزل فٱستراح وركِب . فلمّا سار هنيهةً ٱندفع الغَرِيضُ فغنّاهم لحنَهُ :

يا خليلىّ قد مَلِلْتُ ثَوَائى * بالمُصَلّى وقد شَنِئْتُ البَقِيعَا

(١) فى الأصول : «فوقّع» . والمعروف فى الألحان «أوقع» لا «وقّع» . (٢) يريد ببطون الضأن الأوتار التى تتخذ من المعى . والدفلى : ضرب من النبت . (٣) زيادة فى ف .
(٤) فى ف : «ولا يرينا سوءا فيك» . (٥) فى ف : «وصاحب هذا الصوت حىّ» .

قال : ولصوته دَوِيٌّ فى تلك الجبال . فقال ٱبن سُرَيج : وَيْلَكَ يا بن بَرْكَةَ ! أسَمِعْتَ أحسنَ من هذا الغِناء والشعر قَطّ ؟ قال : ونظروا إلينا فأقبلوا تَشاوَى يسحبون أعطافَهم ، وجعلوا يُقَبِّلون وجهَ ٱبن سُرَيْج . فنزل فأقام عندهم ثلاثاً والغريضُ لا ينطِق بحرف [واحد][1] ، وأخذوا فى شرابهم وقالوا : يا حبيبَ النفس وشقيقَها أَعْطِها بعض مُنَاها ، فضرب بيده إلى جَيْبه فأخرج منه مِضْراباً ، ثم أخذه بيده ووضع العُودَ فى حِجْره ، فما رأيتُ يداً أحسنَ من يده ، ولا خشبةً تَخَيَّلَتْ إلىَّ أنّها جوهرةٌ إلّا هى ، ثم ضرب فلقد سَبَّح القومُ جميعا ، ثم غنَّى فكُلٌّ قال : لَبَّيْك لبَّيك ! فكان مما غنَّى فيه — واللحنُ له هزج — :

صـــوت

لَبَّيْـك يا سَيِّدَتى * لَبَّيْـك ألفًا عَدَدَا

لَبَّيْـك من ظالمةٍ * أحببتُها مُجْتَهِدَا

قُومُوا إلى مَلْعَبِنا * نَحُكِ الجوارِى الخُرَّدَا

وَضْع يَدٍ فوق يَدٍ * تَرْفَعُها يَدًا يَدَا

فكُلٌّ قال : نفعل ذاك . فلقد رأيتُنا نستبق أيُّنا تَقَعُ يدُه على يده . ثم غنَّى :

صـــوت

ما هاجَ شَوْقَكَ بالصَّرائمْ * رَبْعٌ أَحالَ[2] لِأُمِّ عاصِمْ

رَبْعٌ تَقادَمَ عهدُهُ * هاجَ المُحِبَّ على التَّقادُمْ

فيه النَّواعِمُ والشَّبا * بُ الناعمون مع النَّواعِمْ

مِنْ كلّ واضحةِ الجَبِيـ * ـنِ عَمِيمةٍ[3] رَيَّا المَعَاصِمْ

(١) زيادة فى ف . (٢) أحال الشىء : مر عليه حول ، مثل أحول الشىء .
(٣) امرأة عميمة : تامة القوام والخلق طويلة .

ثم إنه غنّى :

صـــوت

شجانى[1] مغانى الحىّ وآنشقّت العصا[2] * وصاح غُراب البين أنت مريضُ

ففاضت دُموعى عند ذاك صبابةً * وفيهنّ خَودٌ كالمهَاة غضيضُ[3]

وولّيتُ محزونَ الفؤادِ مُروَّعًا * كئيبًا ودمعى فى الرِّداءِ يفيضُ

— الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ مطلق فى مجرى البنصر، وفيه خفيفُ ثقيلٍ آخر لابن جُنْدَب — قال : فلقد رأيت جماعةَ طيرٍ وقعن بقُربِنـا وما نُحِسُّ قبل ذلك منها شيئا ؛ فقالت الجماعةُ : يا تمامَ السُّرورِ وكمالَ المجلس! لقد سَعِد منْ أخذ بحظّه منك ، وخابَ مَنْ حُرِمَك ، يا حيـاةَ القلوب ونسيمَ[4] النفوس جعلَنا [الله][5] فداءك ! غنِّنا ؛ فغنّى واللحنُ له .

صـــوت

يا هِنْدُ إنّكِ لو علِمْـ * ـتِ بعاذِلَيْنِ تَتَابعَـا

— وهذا الصوت يأتى خبره مفردًا لأنّ فيه طُولًا — فبدرتُ من بينهم فقبّلت بين عينيه ، فتهافتَ القومُ عليه يقبّلونه ؛ فلقد رأيتُنى وأنا أرفعُهم عنه شفقةً عليه .

في الأشعار التي تناشدها عمر وأصحابه من أغان

وفى هذه الأشعار التى تَناشَدها كُثَيِّر وعُمَر ونُصَيْبٌ والأحوصُ أغان . منهـا :

صـــوت

أبصرتُها ليــلةً ونسوتَهـا * يَمْشِينَ بينَ المَقَامِ والحَجَرِ

ما إنْ طَمِعْنا بها ولا طَمِعتْ * حتّى التقَيْنا ليــلًا على قَدَرِ

(١) فى ف : « شجاك » . (٢) انشقاق العصا : كناية عن الفرقة .

(٣) الخود من النساء : الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة . والغضيض : الفاترة الطرف . يقال : امرأة غضيض ، وطرف غضيض . (٤) فى ط : «وقسيم النفوس» . (٥) زيادة فى ف .

بِيضًا حِسَانًا خرائدًا قُطُفًا[1] * يَمْشِينَ هَوْنًا كَمِشْيةِ البَقَرِ

الشعر لعُمَر . والغِناء لابن سُرَيْج رملٌ بالوسطى عن الهِشَامىّ وحَبَش . وذكر عمرو أنّ فيه لابن سُرَيج خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبِنْصر . ولأبى سَعِيدٍ مولى فائد ثقيلٌ أوّل ، وقيل : إنه لِسَنانٍ الكاتب . ومن هذه القصيدة أيضا ، وهذا أوّلها :

٥ صـــوت

يا مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيَّمٍ كَمِدٍ[2] * يَهْذِى بِخَوْدٍ مَرِيضَةِ النَّظَرْ

تمشى رُوَيْدًا[3] إذا مَشَتْ فُضُلًا[4] * وهْىَ كمِثْلِ العُسْلوجِ مِ البُسُرْ[5]

ما زالَ طَرْفِى يَحَارُ إذ بَرَزَتْ * حتّى عرفتُ النُّقْصانَ فى بَصَرِى

غنّاه ٱبن مُحْرِزٍ ، ولحنُه من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى .

١٠ ومنها :

صـــوت

٢٣/١١

قالتْ لِتِرْبٍ لها تُحَدِّثُها * لَتُفْسِدنّ الطَّوافَ فى عُمَرِ

قالتْ تَصَدَّىْ له لِيَعْرِفَنا * ثم ٱغْمِزِيهِ يا أُخْتِ فى خَفَرِ

قالتْ لها قد غمزتُه فأبَى * ثم ٱسْتَطِيرتْ[6] تَشْتَدُّ فى أثَرِى

---

١٥ (١) قطفا : بطيئات السير ، الواحدة قطوف . وبين رواية ما ورد من هذه القصيدة هنا وبين ما فى الديوان اختلاف كثير ، سننبه إلى ما يحتاج إلى التنبيه إليه . (٢) فى ديوان عمر بن أبى ربيعة (طبعة ليبسك) «كلف» بدل «كمد» . (٣) فى ف : «الهوينى» . (٤) كذا فى الديوان . والمرأة الفضل : التى تتفضل فى ثوب ، وكذلك يقال رجل فضل (بضم الفاء والضاد) . والفضل من النساء أيضا : المختالة التى تفضل من ذيلها . (لسان العرب مادة فضل) . وفى الأصول : «قطفا» .

٢٠ (٥) يريد «من البسر» . وفى الديوان : «فى الشجر» . والعسلوج : ما لان واخضر من القضبان . والبسر : التمر قبل إرطابه . (٦) استطيرت : ذعرت . وقد تقدّمت الرواية غير مرة : «استطيرت» .

غناء يونس خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن حَبَش . وقيل : إنّ فيه لعبد الله بن العبّاس لحنا جيّدا .

ومنها ما لم يَمْض ذكْره في الكتاب :

صــــوت

أَلَا ليتنا يا عَزّ من غير بِغضَةٍ * بعيرَيْنِ نَرْعَى فى الخلاء ونَعزُبُ

كلانا به عَرٌّ فمَنْ يرَنا يقُل * على حُسْنِها جَرْباءُ تُعْدِى وأجربُ

إذا ما وَرَدْنا مَنْهَلًا صاح أهلُه * علينا فما نَنْفَكُّ نُرْمَى ونُضْرَبُ

الغناء لإبراهيم، رملٌ بالوسطى عن حَبَش .

فضلت عزة الأحوص فى الشعر على كثير، فأنشدها من شعره فنقدته

أخبرنا محمد بن خَلَف وكيعٌ قال حدّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن أبى عُبَيْدَة عن عَوَانة وعيسى بن يزيد :

أنّ كُثَيِّراً دخل على عَزّةَ ذاتَ يومٍ ، فقالت له : ما ينبغى لنا أن نأذنَ لك فى الجلوس . قال : ولِمَ؟ قالت: لأنّى رأيتُ الأحوصَ ألْيَنَ جانبًا [فى شِعْره](1) منك فى شِعْرك وأضرعَ(2) خَدًّا للنساء ، وإنه لَأشعرُ منك حين يقول :

يأيها اللّائمى فيها لَأَصْرِمَها * أكثرتَ لو كان يُغْنِى منك إكْثارُ

اِرْجِعْ فلستَ مُطاعاً إذ(3) وَشَيْتَ بها * لا القلْبُ سالٍ ولا فى حُبِّها عارُ

وإنّى آسْترقَقْتُ قولَه :

وما كُنت زَوَّارًا ولكنّ ذَا الهوى * إذا لم يَزُرْ لابُدَّ أنْ سيَزُورُ

(١) زيادة عن ف . (٢) فى ب، س : «وأصعر» تحريف . (٣) فى ف : «إن» .

وأعجبنى قولُه :

كَمْ من دَنِيٍّ[1] لها قد صِرْتُ أَتْبَعُه * ولو صحَا[2] القلبُ عنها كان لى تَبَعَا
وزادنى كَلَفًا بالحُبِّ أنْ مَنَعتْ * أَحَبُّ شىءٍ[3] إلى الإنسان ما مُنِعَا

وقولُه أيضا :

٥ وما العَيْشُ إلّا ما تَـلَذّ وتَشْتَهِى * وإنْ لَامَ فيـه ذو الشَّنَانِ[4] وفَنَّدَا

فقال كُثَيِّر : قد واللهِ أجَاد ! فما الذى ٱستَجْفَيْتِ من قولى ؟ قالت : أخزاك الله ! أمَا ٱستحييتَ حين تقول :

يُحاذِرْنَ منِّى غَـيْرَةً قـد عَرَفْتَهـا * لَدَىَّ فمـا يَضْحَكْنَ إلّا تَبَسُّمَا

فقال كُثَيِّر :

١٠ وَدِدْتُ وبيتِ اللهِ أنَّـكِ بَكْرَةٌ * هِجَانٌ وأنِّى مُصْعَبٌ ثم نَهْرُبُ
كِلَانا به عَرٌّ فمَنْ يَرَنَا يَقُلْ * على حُسْنِها جَرْباءُ تُعْدِى وأجْرَبُ
نكون لِذى مالٍ كثيرٍ مُغَفَّـلٍ * فلا هُوَ يرعانا ولا نحن نُطْلَبُ

فقالت لى : وَيْحَك ! لقد أردتَ بى الشقاءَ الطويلَ ، ومن المُنَى ما هو أعفَى من هذا وأطْيَبُ .

١٥ صـــوت

أبيات من شعر أبى زبيد وبيان الحال

قد كنتَ فى مَنْظَرٍ ومُسْتَمَعٍ * عَنْ نَصْرِ بَهْراءَ غير ذى فَرَسِ[5]
لا تِرَةٌ عنـدهم فتطْلُبَهـا * ولا هـمُ نُهْـزَةٌ لمُخْتَلِسِ

(١) الدنىّ : الخسيس . وأصله دنىء بالهمز ، وقد تقلب الهمزة ياء وتدغم فى الياء .
(٢) فى ف : « ولو سلا القلب عنها صار... » . (٣) يرويه النحويون : « يحب شىء » على أن « حب » أفعل تفضيل حذفت همزته (راجع الحاشية الخامسة ص ٢٩٩ فى الجزء الرابع من هذه الطبعة) . (٤) الشنان : البغض مثل الشنآن . (٥) سيرد هذا الشعر فى أخبار أبى زبيد ضمن قصيدة طويلة ، وسنشرح ما يحتاج إلى شرح هناك .

٢٠

٢٤
١١

بكَفِّ حَرّانَ ثائرٍ بدَم * طَلّابِ وِتْرٍ فى الموت مُنْغَمِسِ
إمّا تَقَارَشْ بك الرّماحُ فلا * أبكيك إلا للدّلْوِ والمَرَسِ
تَذُبُّ عنه كَفٌّ بها رَمَقٌ * طيرًا عُكُوفًا كَزُوّرِ العُرُسِ
عمّا قليلٍ يَصْبَحْنَ مُهْجَتَه * فهُنَّ من والغٍ ومُنْتَهِسِ

٥ الشعرُ لأبى زُبَيْد الطائىّ . والغناء لابن مُحْرِز فى الأوّل والثانى خفيفُ ثقيلٍ الأوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ فى الأربعة الأُوَل خفيفَىْ ثقيلٍ كلاهما بالبنصر لمَعْبَد وابن مُحْرِز، ووافقه الهِشامىّ فى لحن مَعْبَد فى الأول والثانى وذكر أنّه بالوسطى . وفى كتاب ابن مِسْجَح عن حَمّاد له ؛ فيه لحنٌ يقال إنّه لابن مُحْرِز . ولابن سُرَيْج فى الأوّل والخامس والسادس والسابع رَمَلٌ ١٠ بالوسطى عن عمرو . وذكر لنا حبشٌ أنّ الرمل لمَعْبَد ، وذكر إسحاق أنّه لابن سُرَيْج أيضا، وأوّله :

* تَذُبُّ عنه كفٌّ بها رمقٌ *

وفيه لمالك فى السادس والسابع خفيفُ ثقيل آخر . وفيه لابن عائشةَ رَمَلٌ . وفيه لحُنَيْنٍ ثانى ثقيل . هذه الحكايات الثلاث عن يونس، وطرائقُها عن الهشامىّ . ١٥ ولمُخارِقٍ فى الرابع والأوّل خفيفُ رَمَلٍ . ولمُتَيَّم فى الأوّل والثانى خفيفُ رملٍ آخر. وذكر حبشٌ أنّ لإبراهيم فى الأوّل والثانى ثانى ثقيل بالوسطى، ولابن مسْجَح خفيفُ ثقيل بالوسطى .

أخبار أبى زُبيد ونسبه

اسم أبى زبيد ونسبه

هو حَرْمَلَة بن المُنْذِر ، وقيل المنذر بن حرملة . والصحيح حرملة بن المنذر بن مَعْدِ يكَرِب بن حَنظَلة بن النُّعمان بن حَيَّة بن سَعْنَة بن الحارث بن رَبيعة بن مالك آبن سكر بن هَنِيء بن عمرو بن الغَوْث بن طَيِّء بن أُدَدِ بن زيد بن يَشْجُب آبن عَريب بن زيد بن كَهْلان . وكان أبو زُبَيْد نَصْرانياً وعلى دِينه مات . وهو ممن

كان نصرانيا ومخضرما

جعله ابن سلام فى الطبقة الخامسة

أدرك الجاهليّة والإسلام فعُـدّ(١) فى المخضرَمين . وألحقه آبن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميّين ، وهم العُجَيْر(٢) السَّلُولى وذووه . وقد مضى أكثرُ أخباره مع أخبار الوليد ابن عُقْبة بن أبى مُعَيْط(٣) .

كان من زوّار الملوك ، وكان عثمان يقرّبه

أخبرنى أبو خليفة الفضلُ بن الحُبَاب الجُمَحىّ إجازةً قال : حدّثنى محمد ابن سَلّام الجُمَحىّ قال حدّثنى أبو الغَرّاف قال :

كان أبو زُبَيْـد الطائىّ من زُوّار الملوك وخاصّـةً ملوك العجم ، وكان عالمـاً بسِيَرهم . وكان عثمان بن عفّان رضى الله تعالى عنه يُقرّبه على ذلك ويُدْنِى مجلسه ، وكان نصرانياً . [فحضَر ذاتَ يوم عثمان وعنده المهاجرون والأنصار](٤) ، فتذاكروا مآثرَ العربِ وأشعارَها . قال : فالتفتَ عثمانُ إلى أبى زُبَيد وقال : يا أخا تُبَّع المسيح أَسْمِعْنا بعضَ قولك ؛ فقد أُنْبِئتُ أنك تُجيد . فأنشده قصيدته التى يقول فيها :

استنشده عثمان فأنشده قصيدة فيها وصف الأسد

مَنْ مُبْلِـغٌ قومَنا النائين إذ شَحَطُوا * أنّ الفـؤادَ إليهـم شَـيِّقٌ وَلِـعُ(٥)

---

(١) كذا فى ف . وفى سائر الأصول : « فعده » تحريف . (٢) هم العجير بن عبد الله السلولى ، وعبد الله بن همام السلولى ، ونافع بن لقيط الأسدى . (انظر طبقات ابن سلام ص ١٣٢) . (٣) أخبار الوليد فى الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص ١٢٢ ومابعدها) . (٤) زيادة عن طبقات ابن سلام (ص ١٣٣) . (٥) شحطوا : بعدوا . وشيق : مشتاق .

ووصف [فيها](١) الأسدَ . فقال عثمان رضى الله تعالى عنه : تالله تفتأ تذكُرُ الأسدَ ماحَيِيتَ . والله إنّى لأَحسَبُك جَبانًا هِدَانًا(٢) . قال : كلّا يا أميرَ المؤمنين ، ولكنّى رأيتُ منه مَنظَرًا وشَهِدتُ منه مَشْهَدًا لايبرح ذِكْرُه يتجدّد ويتردّد فى قلبى ، ومعذورٌ أنا يا أميرَ المؤمنين غيرُ مَلُوم . فقال له عثمان رضى الله عنه : وأنّى كان ذلك ؟ قال : خرجتُ فى صُيَّابةِ(٣) أشرافٍ من أفناء(٤) قبائل العرب ذوى هيئةٍ وشارةٍ حسنةٍ ، ترتمى بنا المَهارِى(٥) بأكسائها(٦) ، ونحن نُريد الحارثَ بن أبى شَمِرٍ الغَسّانىّ ملك الشأم ، فاخروّط(٧) بنا السيرُ فى حَمارّة القَيْظ ، حتى إذا عَصَبتِ الأفواه(٨) ، وذَبَلتِ الشِّفاه ، وشالتِ المياه(٩) ، وأذْكتِ الجَوْزاءُ المَعْزاءَ(١٠) ، وذابَ الصَّيْهَد(١١) ، وصَرَّ الجُنْدَب(١٢) ، وضاف العُصْفورُ الضَّبَّ وجاوره فى جُحْره(١٣) ، قال قائل : أيّها الرَّكْبُ غَوِّروا(١٤) بنا فى ضَوْجِ(١٥) هذا الوادى ،

---

(١) زيادة عن طبقات ابن سلام (ص ١٣٣) . (٢) كذا فى ف ، وهامش ط ، وطبقات ابن سلام . وفى لسان العرب ، وفى حديث عثمان : « جبانا هدانا » . والهدان (بكسر الهاء) : الأحمق الثقيل . وفى سائر الأصول : « جبانا هرابا » . (٣) صياب القوم : خيارهم وسادتهم . (٤) كذا فى ف ، جـ ، وطبقات ابن سلام . ومن أفناء قبائل العرب ، أى لا يدرى من أى القبائل هم . وفى سائر الأصول : « أبناء » . (٥) المهارى : جمع مَهرية ، منسوبة إلى مهرة ، حىّ من قضاعة من عرب اليمن ، وقيل نسبة إلى البلد . والإبل المهرية : نجائب تسبق الخيل . (٦) أكساء : جمع كسى (بالضم) وهو مؤخر العجز . وفى الطبقات : « بأنساعها » . (٧) اخروّط : طال . (٨) عصبت الأفواه : جفت . (٩) شالت المياه : قلّت . (١٠) المعزاء : الأرض الصلبة كثيرة الحصى . (١١) الصيهد : السراب الجارى وشدّة الحر . (١٢) صر : صوّت . والجندب : الصغير من الجراد . (١٣) كذا فى حـ ، ط ، م . وفى ف : « وضاف العصفور الضب فى جحره » . وفى ب ، س : « وأضاف العصفور الضب فى وكره وجاوره فى جحره » تحريف .

وقد جاء فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٣٨ طبعة التقدّم) : « وما أكثر ما يذكرون الضب إذا ذكروا الصيف مثل قول الشاعر :

سار أبو مسلم عنها بصرمته والضب فى الجحر والعصفور مجتمع » .

(١٤) غوّر الرجل : أتى الغور ، وهو ما انحدر من الأرض . (١٥) الضوج : منعطف الوادى .

وإذا وادٍ قد بَدَا لنا كثيرُ الدَّغَل[1]، دائمُ الغَلَل[2]؛ شَجْراؤه مُغِنَّةٌ، وأطيارُه مَرِنَة[3]. فحطَطْنا رِحالنا بأُصولِ دَوْحاتٍ كَنَهْبَلاتٍ[4]، فأصَبْنا من فَضَلات الزّاد وأتْبَعْناها الماءَ البارد.
فإنّا لَنَصِفُ حَرَّ يومنا ومُماطَلَتَه[5]، إذ صَرَّ أقصى الخيلِ أُذُنيه[6]، وفَحَصَ الأرضَ بيديه.
فوالله ما لَبِثَ أنْ جال، ثم حَمْحَمَ[7] فبال، ثم فعل فِعْلَه الفرسُ الذى يليه واحدًا فواحدًا،
٥ فتضعضعتِ الخيلُ، وتَكَعْكَعَتِ الإبلُ[8]، وتقهقرتِ البغال، فمِنْ نافرٍ بشِكالِه[9]، وناهضٍ بعِقاله؛ فعَلِمْنا أنْ قد أُتِينا وأنّه السَّبُع؛ فَفَزِع كلُّ رجلٍ منّا[10] إلى سيفه فاستلّه من جُرُبّانه[11]، ثم وقفنا [له][12] رَزْدَقًا (أى صَفًّا)[13]. وأقبل أبو الحارث[14] من أَجَمته يَتَظالَعُ فى مِشْيَته من نَعْته كأنه مجنوب[15]، أو فى هِجارٍ[16] [معصوب][17]؛ لِصَدْرِه نَحِيطٌ[18]، ولِبَلاعِمِه غَطيطٌ، ولِطَرْفه وَميضٌ، ولأرساغه نَقِيضٌ[19]، كأنّما يَخْبِط هَشِيمًا،
١٠ أو يَطَأُ صَريمًا[20]؛ وإذا هامةٌ كالمِجَنّ[21]، وخَدٌّ كالمِسَنّ[22]، وعَيْنانِ سَجْراوانِ[23]، كأنّهما سِراجان

---

(١) الدغل: الشجر الكثير الملتف. (٢) الغلل: الماء الذى يجرى بين الأشجار.
(٣) مرنة: مصوتة؛ يريد مغردة. (٤) الكنهبل (كسفرجل، وتضم باؤه): شجر عظام.
(٥) مماطلته: طوله وامتداده. (٦) صر أذنيه: سوّاهما ونصبهما للاستماع.
(٧) الحمحمة: صوت الفرس دون الصهيل. (٨) تكعكعت: تأخرت إلى وراء.
١٥ (٩) الشكال (بالكسر): الحبل الذى تشدّ به قوائم الدابة. (١٠) كذا فى أكثر الأصول. وفى ب، س: «واحد». وفى طبقات ابن سلام: «امرئ». (١١) كذا فى أكثر الأصول وطبقات ابن سلام. وجربان السيف: غمده. وفى ف، ب: «جرابه». (١٢) زيادة عن ف.
(١٣) كذا فى ف. وفى أكثر الأصول: «أرسالا» بدل: «أى صفا». والأرسال: جمع الرسل (محرّكة) أى الجماعة. (١٤) أبو الحارث: كنية الأسد. (١٥) كذا فى أكثر
٢٠ الأصول. وفى طبقات ابن سلام: «من بعيد». (١٦) المجنوب: المصاب بذات الجنب.
(١٧) الهجار: حبل يشد فى رسغ رجل البعير ثم يشد إلى حقوه. (١٨) نحيط: زفير.
(١٩) نقيض الأرساغ: صوتها. (٢٠) الصريم: الحب المقطوع من الزرع. (٢١) المجن: الترس، وهو صفحة من الحديد مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه. (٢٢) المسن: الحجر الذى يسنّ به أو يسنّ عليه. (٢٣) عين سجراء: بينة السجر، وهو أن يخالط بياضها حمرة.

يَقدانٌ (١)، وقَصَرةٌ رَبِلَةٌ (٢)، ولِهْزِمةٌ رَهِلة (٣)؛ وكَتَدٌ مُغبِطٌ (٤)، وزَوْرٌ مُفرِطٌ (٥)؛ وساعدٌ مجدولٌ، وعَضُدٌ مفتولٌ؛ وكَفٌّ شَثْنةُ البَراثنِ (٦)، إلى مَخالِبَ كالمَحاجِن (٧). فضرب بيده فأَرْهَجَ (٨)، وكشَّر فأفْرَجَ، عن أنيابٍ كالمَعاوِلِ (٩) مصقولة، غيرِ مفلولة؛ وفَمٍ أشْدَقَ (١٠)، كالغار الأخرق؛ ثم تمطّى فأسرع بيديه، وحفز (١١) وَرِكَيه برجليه، حتى صار ظلُّه مِثْلَيْه (١٢)؛ ثم أَقْعَى (١٣) فاقشعرّ، ثم مَثَلَ (١٤) فاكْفَهَرّ، ثم تجهّم (١٥) فازْبَأَرّ. فلا وذُو (١٦) بيتُه فى السماء ما اتّقيناه إلا بأوّلِ أخٍ لنا من فَزارة (١٧)؛ كان ضَخْمَ الجُزارة (١٨)، فوقصه (١٩) ثم نفضه نفضةً فقضقض متنيه (٢٠)، فجعل يلغ فى دمه. فذَمَرْتُ أصحابى (٢١)، فبعد لأْيٍ ما استقدموا. فهجهجنا به (٢٢)، فكرّ مُقشعِرًّا بزُبْرَته (٢٣)، كأنّ به شَيْهَمًا حَوْلِيًّا (٢٤)، فاختلج رجلاً أعجرَ ذا حوايا (٢٥)، فنفضه

(١) كذا فى أكثر الأصول. وفى ب، س: «يتقدان». (٢) القصرة: أصل العنق إذا غلظت. والربلة: كل لحمة غليظة. (٣) اللهزمة: عظم ناتئ، أو مضغة عليّة تحت الأذن. ورهلة: منتفخة. (٤) الكتد: ما بين الكاهل إلى الظهر. ومغبط: مرتفع.

(٥) الزور: الصدر. ومفرط: جاوز قدره. يريد وصفه بضخامة الصدر. (٦) كذا فى أكثر الأصول. وشثن البراثن: خشنها. والبراثن: جمع البرثن، وهو من السباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان. وفى ط: «شثن البراجم». والبراجم: رءوس السلاميات من ظهر الكف.

(٧) المحجن: العصا المنعطفة الرأس كالصولجان. (٨) أرهج: أثار الغبار.

(٩) المعاول: جمع المعول، وهو الفأس العظيمة التى ينقر بها الصخر. (١٠) فم أشدق: واسع الشدقين. (١١) حفز: دفع. (١٢) فى ف: «طوله».

(١٣) أقعى: جلس على استه. واقشعر: تقلص جلده وقف شعره. (١٤) مثل: قام منتصبا. واكفهر: كشر. (١٥) تجهم: صار وجهه كريها. وازبأر: تنفش حتى ظهرت أصول وبر شعره. (١٦) ذو: بمعنى الذى فى لغة طيئ. (١٧) كذا فى ف. وفى طبقات ابن سلام: «إلا بأخ». وفى جـ، ط، م: «ما اتقيناه بأول أخ». وفى ب، س: «ما اتقيناه بأخ». تحريف. (١٨) ضخم الجزارة: كبير الرأس واليدين والرجلين. يريد أنه عظيم الجسم. (١٩) وقصه: دق عنقه. (٢٠) قضقض متنيه: كسر متنى الظهر، وهما مكتنفا الصلب عن يمين وشمال من عصب ولحم. (٢١) ذمر أصحابه: لامهم وحضهم وحثهم.

(٢٢) هجهجنا به: صحنا به وزجرناه ليكف. (٢٣) كذا فى ف. والزبرة: الشعر المجتمع بين كتفى الأسد. وفى سائر الأصول: «بزبره». (٢٤) الشيهم: ماعظم شوكه من ذكور القنافذ. والحولى: ما أتى عليه حول. (٢٥) اختلج رجلا: انتزعه. وأعجر: ممتلئ جدا، أو عظيم البطن. والحوايا: الأمعاء.

نفضةً تزايلتْ [منها] (1) مفاصله، ثم نَهَم فقَرْفَر (2)، ثم زَفَر فبَرْبَر (3)، ثم زَأَرَ بجَرْجَر (4)، ثم لحَظَ (5)، فوالله لَخِلْتُ البَرْقَ يتطايرُ من تحت جُفونه، من عن شِماله و يمينه. فأُرعِشَتِ الأيدى، واصْطَكَّتِ الأرجُل، وأَطَّتِ الأضلاعُ (6)، وارْتَجَّتِ الأسماعُ، وشَخَصتِ العيونُ، وتحقّقتِ الظُّنونُ، وانخزلتِ المُتُون. فقال له عثمان: أُسْكُتْ قَطَع الله لِسانَك! فقد أرعبتَ قلوبَ المسلمين.

خوفه من الأسد

أخبرنى محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا الخليل بن أَسَد قال حدّثنى العُمَرىّ قال حدّثنى شُعْبةُ قال:

قلتُ لِلطِّرِمّاح بن حَكِيم: ما شأنُ أبى زُبَيْد وشأنُ الأَسَدِ؟ فقال: إنّه لَقِيه بالنَّجَف (7)، فلمّا رآه سَلَح من فَرَقه (8) — وقال مرة أُخرى: فسَلَّحه — فكان بعد ذلك يَصفه كما رأيت.

شعره فى ضربة المكاء

أخبرنى أبو خَلِيفَة عن محمد بن سَلّام قال حدّثنى أبى عمن يَثِق به أنّ رجلاً من طَيِّئٍ من بنى حَيَّةَ نَزَل به رَجُلٌ من بنى الحارث بن ذُهْل بن شَيْبان يقال له المُكَّاء (9)، فذبح له شاةً وسقاه الخمر، فلما سكِرَ الطائىّ قال: هَلُمَّ أُفاخِرك: أبنو حَيَّةَ أكرمُ

(1) زيادة عن ف. (2) نهم: أخرج صوتا كالأنين. وقرقر: صاح. (3) زفر: أخرج صوتا بعد مدّه إياه. وبربر: صاح. (4) جرجر: ردّد صوته فى حنجرته. (5) لحظ: نظر بمؤخر العين عن يمين ويسار غاضبا. (6) أطت الأضلاع: صوّتت. (7) النجف (بالتحريك): قال السهيلى: بالفرع عينان يقال لأحدهما الربض وللأخرى النجف تسقيان عشرين ألف نخلة؛ وهو بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها. (راجع معجم البلدان). (8) كذا فى ف. وفى سائر الأصول: «لقيه». (9) فى ف هنا وفيما يأتى: «البكاء». تحريف (راجع خزانة الأدب ج ٢ ص ١٠٣ — ١٠٤).

أم بنو شَيْبانَ ؟ فقال له الشيبانى: حديثٌ [حسن](١)، ومُنَادَمَةٌ كريمةٌ أحبُّ إلينا من المفاخرة . فقال الطائى: والله ما مَدّ رجلٌ قطُّ يدًا أطولَ من يَدى . فقال الشيبانىّ: والله لئن أعدتَها لأخْضِبَنَّها من كُوعِها . فرفع الطائى يده، [فضربها الشيبانى بسيفه فقطعها](٢) . فقال أبو زُبَيْد فى ذلك :

٢٦
١١

خبّرَتْنا الرُّكبانُ(٣) أن قد فَخَرْتم * وفَـرِحْتُمْ بضَرْبَة المُكّاءِ

ولَعَمْـرِى لَعَارُها كان أدنَى * لَـكُمْ من تُقًى وحَقٍّ وفَاء

ظَلّ ضيفًا أخـوكُم لأخينا * فى صَبُوح(٤) ونَعْمةٍ وشِواء

ثم لما رآه رانتْ به الخمـ * ـر وأن لا يَريبهُ باتّقاء(٥)

لم يَهَبْ حُرْمةَ النّديم وحُقّت * ياَلقَـوْمِ للسَّوْءة السَّوْءاء(٦)

ما قاله فى كلبه أكدر حين لقيه الأسد فقتله

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال حدّثنى عمى عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابىّ قال :

كانَ لأبى زبيدٍ كلبٌ يُقال له أكْدَر ، وكان له سلاحٌ يُلْبِسُه أيّاه ، فكان لا يَقوم له الأسد ، فخرج ليلةً قبل أن يلبِسَه سلاحَه ، فلقيَه الأسد فقتله ، ويقال: أخذه فأفلَت منه ، فقال عند ذلك أبو زبيد :

(١) زيادة عن حـ ، ف . (٢) زيادة عن ف . (٣) الركبان : جمع رَكب . والركب : أصحاب الإبل فى السفر دون الدواب ، وهم العشرة فما فوقها . ويجمع على أركب أيضا .
(٤) الصبوح : ما أصبح عند القوم من الشراب فشربوه . والنعمة (بالفتح) : التنعم والتمتع .
(٥) أى ورأى أنه لا يريبه باتقاء . (٦) السوءة : ما يقبح كشفه . والسوءة السوءاء (مثل الليلة الليلاء) : الخصلة القبيحة . ويا لقوم : استغاثة من هذه الفضيحة ، وهى هتك حرمة النديم . ورواية الخزانة : « يا لقومى » .

أحَالَ أكْدرُ مُخْتَالًا كعادته[1] * حتى إذا كان بين البئر والعَطَنِ[2]

لاقى لدى ثُلَلِ الأطوَاء داهيةً * أسْرَتْ وأكدَرَ تحتَ الليل فى قَرَنِ[3]

حطَّت به شيمةٌ وَرْهاءُ تطرده * حتى تنَاهى إلى الحُولات فى السَّنَنِ[4]

إلى مُقَابَلِ خَطْوِ السَّاعدَيْن له * فوق السَّرَاة كذِفْرى الفالج القَمِنِ[5]

٥ رئبالِ غابٍ فلا قَحْمٌ ولا ضَرَعٌ * كالبغل يحتطم العِلجين فى شَطَنِ[6]

لامه قومه على كثرة وصفه الأسد مخافة أن تسبهم العرب فأجابهم

وهى قصيدةٌ طويلةٌ . فلامه قومُه على كَثْرة وصفِه للأسد ، وقالوا له : قد خِفنا أن تَسُبَّنا العربُ بوصفك له . قال : لو رأيتم منه ما رأيتُ أو لَقِيكم ما لَقِيَ أكدر لمَا لُمتُمونى . ثم أمسك عن وصْفِه فلم يصفْه بعد ذلك فى شعره حتى مات .

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى أبو سعيد السكّرىّ قال حدّثنى ١٠ هارونُ بن مُسْلم بن سَعْدان أبو القاسم قال حدّثنا هشامُ ابنُ الكلبىّ قال : كان الأجلحُ الكِنْدىُّ يحدّث عن عمارةَ بن قابوس قال :

وصف النعمان ابن المنذر وذكر ما حدث فى مجلس له

لقيتُ أبا زُبَيْد الطائىّ فقلتُ له : يا أبا زبيد هل أتيتَ النُّعمانَ بنَ المنذر ؟ قال إى والله لقد أتيتُه وجالستُه . قال قلتُ : فصِفْه لى . فقال : كان أحمر أزرق أبْرَش قصيرا . فقلت له : بالله أخبرنى أيَسرُّك أنه سمع مقالتَك هذه وأنّ لك حُمْرَ ١٥ النَّعَم ؟ قال : لا والله ولا سُودَها ، فقد رأيتُ ملوكَ حِمير فى مُلْكها ، ورأيت ملوكَ غَسّانَ فى ملكها ، فما رأيتُ أحدًا قطُّ كان أشدّ عزًّا منه . وكان ظهْرُ الكوفة يُنْبت الشقائق ، فَحَمَى ذلك المكانَ ، فنُسب إليه فقيل « شقائقُ النُّعمان » .

(١) أحال : أقبل . فى الأصول : « مشيا لا لعادته » . وانظر الحيوان (٢ : ٢٧٤) طبعة الحلبى .
(٢) العطن : مناخ الإبل حول الورد . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وثلة البئر : ما أخرج ٢٠ من ترابها ، جمعه : ثلل . والأطواء : واحده الطوى ، البئر المطوية بالحجارة . وأسرت : سارت ليلا . والقرن : الحبل يجمع به البعيران . (٤) الشيمة : الطبيعة والخلق والمادة . والورهاء : حمقاء أو خرقاء . والحولات : جمع حولة ، بالضم ، وهى الداهية . (٥) الفالج : البعير ذو السنامين . والقمن : السريع . (٦) فى ف : « حطمه العلجان » .

بمجلس ذَاتَ يوم هناك وجلَسْنا بين يديه كأنّ على رءوسنا الطَّيرُ، وكأنه باز . فقام رجل من الناس فقال له : أبيْتَ اللعن ! أعْطِنى فإنِّى مُحتاج. فتأمّله طويلا ثم أمَرَ به فَأُدْنِى حتَّى قَعَدَ بين يديه، ثم دعا بكِنانةٍ فاستخرج منها مَشَاقِص[(1)] فجعل يَجَأُ بها فى وَجْهه[(2)] حتى سَمِعْنا قَرْعَ العِظام، وخُضِبت لحيتُه وصدرُه بالدم، ثم أمر به فنُحِّى. ومكثنا مليًّا .

٢٧/١١

ثم نهض آخرُ فقال له : أبيْت اللّعنَ ! أعطِنى . فتأمّله ساعةً ثم قال : أَعْطُوه ألفَ درهم ، فأخذها وانْطلق .

ثم التفتَ عن يمينه ويساره وخَلْفه، فقال : ما قولُكُم فى رجلٍ أزرقَ أحْمَر يُذْبَح على هــذه الأَكَمَة ، أترون دمَه سائلا حتى يجرى فى هذا الوادى ؟ فَقُلنا له : أنتَ — أبيتَ اللعن — أعْلَى برأيك عَيْنا . فدعا برجل على هذه الصِّفَة فأمَر به فذُبِح . ١٠

ثم قال : ألا تسألونى عما صنعتُ ؟ فقلنا : ومن يسألُكَ — أبيتَ اللعن — عن أمْرِكَ وما تصنع ؟ فقال :

أما الأوّل فإنى خرجتُ مع أبى نتَصيَّد، فمررت به وهو بفناء بابه وبين يديه عُسٌّ من شراب أو لبن ، فتَناولتُــه لأشربَ منه ، فثار إلىّ فهراقَ الإناء فــلا وجهى وصــدرى ، فأعطيتُ الله عهْدًا لئن أمكننى منه لأخْضِبنّ لحيته وصــدره من دم وجهه . ١٥

وأما الآخر فكانت له عندى يَدٌ[(3)] كافأته بها، ولم أكُنْ أُثْبته، فتأمّلتُه حتى عرفته .

وأما الذى ذبحتُه فإنّ عينا لى بالشام كتب إلىّ : إنّ جبَلَة بن الأيْهم قد بعث إليك برجُل صِفَتُه كذا وكذا ليغتالَك . فطلبته أياما فلم أقدِرْ عليه، حتى كان اليوم .

(1) المشقص، كمنبر : نصل عريض أو سهم فيه ذلك . (2) الوجء : الضرب . ٢٠
(3) أثبته : عرفه حق المعرفة . والكلام من « ولم أكن » إلى هنا ساقط من ف .

مات نديم له فى غيبته فرثاه وصب الخمر على قبره

أخبرنى الحسينُ بنُ يحيى عن حماد عن أبيه قال :

كان لأبى زُبَيْدٍ نديمٌ يشرب معه بالكوفة ، فغاب أبو زبيد غَيْبةً ، ثم رجع فأُخْبِر بوفاته ، فعَدَل إلى قبْره قبل دخوله منزلَه ، فوقَف عليه ثم قال :

يا هاجِرِى إذ جئتُ زائرَهُ * ما كان مِنْ عاداتِكَ الهَجْرُ

٥ يا صاحبَ القبْرِ السّلام على * مَنْ حال دون لِقائه القَبْرُ

ثم انصرَف . وكان بعد ذلك يجىءُ إلى قبره فيشرَبُ عندَه ويصُبُّ الشراب على قبره .

والأبيات التى فيها الغناءُ المذكور يقولُها فى غلامٍ له قَتَلَتْه تغلِبُ، وكان مُجاورا فيهم، فَدلَّ بَهْراءَ على عَوْرَتِهم وقاتلَهم معهم فقُتِل .

شعره فى غلبة تغلب على بهراء وقتل غلامه

١٠ أخبرنى بخَبَره أبو خليفة قال حدّثنى محمد بن سلام . وأخبرنى محمدُ بنُ العباس اليزيدىّ عن عمه عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابىّ قال :

كان أخوالُ أبى زبيد بنى تَغْلب، وكان يقيم فيهم أكثرَ أيامه، وكان له غلام يرعى إبله ، فغزتْ بهراءُ بنى تغلِب ، فمرّوا بغلامه ، فدَفَع إليهم إبلَ أبى زبيد وقال : انطلقوا أَدُلُّكم على عَورة القَوْم وأقاتل معَكم . ففعلوا، والتقَوْا، فهُزِمت

١٥ بهراءُ وقُتِل الغلامُ، فقال أبو زبيد هذه القصيدة وهى :

هل كنتَ فى مَنْظَرٍ ومُسْتَمَعٍ * عن نَصْرِ بَهْراء غيرَ ذى فَرَسِ

تَسْعى إلى فِتْيةِ الأراقم واسـ * ـتعجلْتَ قَبْلَ الجُمان والقَبَسِ (١)

فى عارِضٍ من جبال بهرائها الـ * أُولَى (٢) مَرَينَ (٣) الحروب عن دُرُسِ (٤)

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ط : « الحمار والعبس » . وفى ف هنا وفيما سيأتى : « الحمار والعلس » . والجمان والقبس : ناقتان . (انظر ص ١٣٨ من هذا الجزء) . (٢) الأولى : الذين .

٢٠ (٣) كذا فى ف . ومرين الحروب : حلبنها ، والمراد أنهم تمرسوا بالحرب . وفى سائر الأصول : « مرين الحرور » . (٤) درس جمع درسة بالضم ، كغرفة وغرف ، وهى الرياضة .

فَبِهْرَةٌ مَنْ لَقُوا حَسِبْتَهُم * أحلى وأشهى من بارِدِ الدِّبِسِ (١)

لا تِرَة عندهم فتطلبَها * ولا هُمُ نُهْزَة لُمختلِسِ

جُودٌ كرام إذا هُم نُدِبُوا * غيرُ لئامٍ ضُجْرٍ ولا كُسُسِ (٢)

صُمتٌ عظام الحلوم إن قعدوا * عن غير عِیٍّ بهم ولا خَرَسِ

تَقُود أفراسَهم نساؤهُمُ * يُزْجُون أجمالَهُمْ مع الغَلَسِ ٥

صادفْتَ لمّا خرجتَ مُنْطلِقًا * جَهْمَ المُحَيّا كباسلٍ شرِسِ

تَخالُ فى كفِّه مثقَّفةً * تلمَع فيها كشُعْلة القَبَسِ (٣)

بكفِّ حرّانَ ثائرٍ بدمٍ * طَلّابِ وِتْرٍ فى الموت مُنْغَمِسِ

إمّا تقارَنْ بك الرماح فلا * أبكيك إلّا للدَّلو والمَرَسِ (٤)

حَمِدتَ أمرى ولمت أمرَك إذ * أمسك جَلْزُ السِّنانِ بالنفَسِ (٥) ١٠

وقد تصلَّيتَ حَرَّ نارهمُ * كما تصَلّى المقرور من قَرَسِ (٦)

تَذُبُّ عنه كفٌّ بها رمق * طيرا عكوفا كَزُوَّرِ العُرُسِ (٧)

عما قليلٍ علونَ جُثّته * فهنّ من والغ ومنتهِسِ (٨)

خذ دية غلامه ثمن إبله من تغلب وقال شعرا

فلما فرغ أبو زبيد مِنْ قصيدته بعثت إليه بنو تغلب بدية غلامه وما ذهب من إبله، فقال فى ذلك : ١٥

ألا أبلغ بنى عمرو رسولا * فإنّى فى مودّتكم نَفِيسُ

---

(١) بهرة، أراد بهراء. الدبس، بالكسر و بكسرتين: عسل التمر وعصارته. (٢) كسس: جمع أكس، أى ليس فيهم خروج الأسنان السفلى على الحنك الأسفل. (٣) مثقفة: ثقف الرمح أى قومه وسواه. (٤) للدلو: أى لمئها. والمرس: جمع مرسة بالتحريك، وهو الحبل.
(٥) جلز السنان: الحلقة المستديرة فى أسفله. (٦) المقرور: الذى أصابه البرد. والقرس: البرد الشديد. (٧) الزور: جمع الزائر. والعرس: طعام الوليمة. (٨) الوالغ: الشارب بأطراف لسانه. ٢٠

هكذا ذكر ابن سلّام فى خبره، والقصيدة لا تَدُلُّ على أنها قِيلت فيمن أحسن إليه وودَى غلامه وردّ عليه ماله . وفى رواية ابن حبيب :

* ألا أبلِـغ بنى نصر بن عمرٍو *

وقوله أيضا فيها :

٥ فمـا أنا بالضعيف فتظلِمونى * ولا جافِى اللقاء ولا خسِيسٌ (١)

أفى حقٍّ مواساتِى أخاكم * بمـالى ثم يظلِمنى السرِيسُ

— السريس : الضعيف الذى لا ولد له — وهذا ليس من ذلك الجنس . ولعل ابن سلام وهِم .

من المعمرين

وأبو زبيد أحدُ المُعَمَّرين، ذكر ابن الكلبى أنه عمر مائة وخمسين سنة .

١٠ أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبى عن أبيـه قال : كان طول أبى زبيد ثلاثة عشر شبرا .

كان يدخل مكة متنكرا لجماله

أخبرنى أحمدُ بنُ عبد العزيز وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنـا محمدُ بن عبد الله العبدىُّ أبو بَكْرة قال حدّثنى أبو مِسعرٍ الجُشَمِىّ عن ابن الكلبىّ قال :

كان أبو زبيد الطائىّ مِمّنْ إذا دخل مكّة دخلها متنكّرا لجماله .

منادمته الوليد بن عقبة بعد اعتزال الوليد عليا ومعاوية

١٥ وأخبرنى إبراهيمُ بن محمد بن أيوب قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن مسلِم قال: لمـا صار الوليدُ بنُ عقبة إلى الرَّقّةِ واعتزل عليـا عليه السلام ومعاوية ، صار أبو زبيد إليـه ، فكان ينادمه ، وكان يُحْمَل فى كل أحدٍ إلى البِيعة مع النصارى . فبينا هو يوم أَحَدٍ يشرب والنصارى حوله رفع بصره إلى السماء فنظر ثم رمى بالكأس من يده وقال :

٢٠ إذا جَعَل المـرءُ الذى كان حازما * يُحَـلُّ به حَلَّ الحُـوارِ ويحمَـلُ (٢)

(١) خسيس : بالرفع عطفا على المحل بجعل ما تميمية ، وبالجر عطفا على اللفظ فيكون فى البيت إقواء .

(٢) الحوار بالضم والكسر : ولد الناقة قبل أن يفصل عنها . ويقال حل به حلا : جعله يحل .

فليس له فى العيش خيرٌ يريده * وتكفينُه مَيْتا أعفُّ وأجمـلُ

دفن مع الوليد بن عقبة بوصية منه

ومات فدفن هنالك على البَليخ[1]. فلما حضرت الوليدَ بن عقبة الوفاةُ أوصى أن يدفن إلى جنب أبى زبيد. وقد قيل: إن أبا زبيد مات بعد الوليد، فأوصى أن يدفن إلى جنب الوليد.

[قال ابن الكلبيّ فى خبره الذى ذكره إسحاق عنه:

هرب أبو زبيد من الإسلام فجاور بهراء فاستأجر منهم أجيرًا لإبله فكان يقبِّله[2] حلبَ الجُمان والقيس[3]، وهما ناقتان كانتا له. فلما كان يوم حابس، وهو اليوم الذى التقت فيه بهراء وتغلب خرج أجيرُ أبى زُبيد مع بهراء، فقتل وانهزمت بهراء، فمرّ أبو زبيد به وهو يجود بنفسه، فقال فيه هذه القصيدة[4]].

أخبرنى محمد بن يحيى ويحيى بن على الأبوابىُّ المدائنىّ قالا حدّثنا عقبة المِطرقُ قال:

كنا فى الحمام ومعى آبن السَّعْدِىّ وأنا أقرأ القرآن، فدخل سعد الرُّواسى[5] فغنى:

قد كنت فى منظرٍ ومستمَعٍ * عن نصر بهراء غيرَ ذى فرس

فقال آبن السعدىّ: آسكت آسكت! فقد جاء حديث يأكل الأحاديث.

أوصى له الوليد ابن عقبة حين احتضر بالخمر ولحوم الخنازير

[أخبرنى عمى والحسن بن علىّ قالا حدّثنى العمرى قال حدّثنى أحمد ابن حاتم قال حدّثنى محمد بن عمرو الجمّاز قال حدّثنى أبو عبيدة عن يونس وأبى الخطّاب النحوى: أن الوليد بن عقبة بن أبى معيط أوصى لما احتُضر لأبى زُبيد بما يُصلِحه فى فِصحِه[6] وأعياده، من الخمر ولحوم الخنازير وما أشبه ذلك. فقال أهله وبنوه لأبى زُبيد: قد علمتَ أنه لا يحلُّ لنا هذا فى ديننا، وإنما فعله إكرامًا

(١) البليخ: نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون (انظر معجم ياقوت).
(٢) من قولهم قبلت العامل العمل، أى جعلته فى كفالته. (٣) فى الأصول: «الحار والعلس». وانظر ما سبق فى صفحة ١٣٥. (٤) التكملة من نسخة ف. (٥) ما عدا ف: «الرواس».
(٦) أى فى عيد الفصح، وهو عيد من أعياد النصارى. وانظر تحقيقه فى الحيوان (٤: ٥٣٤).

لك وتعظيماً لحقك، فقدّره لنفسك ماشئت أن تعيش، وقوّم ما أوصى به لك حتى نعطيك قيمته ولا تفضحنا وتفضح آباءنا بهذا ، واحفظه واحفظنا فيه ، ففعل أبو زبيد ذلك، وقبله منهم](1) .

* * *

صــــوت

٢٩/١١

هل تعرفُ الدار من عامين أو عام * دارٌ لهند بجزع الحُرج(2) فالدام
تحنو لأطلائها عينٌ مُلَمَّعةٌ(3) * سُفْعُ الخدود بعيدات من الرامى

الحرج والدام : موضعان ، ويروى « مذ عامين » . وهذا الأجود ، وكلاهما رُوِى . وعِين : بقر . وأطلاؤها : أولادها، واحدها طلا . ويروى : «بعيدات من الذام » هو الذى يذم .

الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعرى حين توليته العراق

الشعر للحطيئة يمدح به أبا موسى الأشعريّ لما ولّاه عمرُ بنُ الخطاب رضى الله عنه العراق(4) . والغناءُ لمالك، خفيفُ رملٍ مطلقٌ فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر أنّ فيه لابن جامع أيضا صنعةً .

قال محمد بن حبيب : أتى الحطيئة أبا موسى يسأله أن يكتبه معه ، فأخبره أنّ العِدّة قد تمت ، فمدحه الحطيئة بهذه القصيدة التى ذكرتها ، وأولها :

هل تعرِف الدار من عامينِ أو عامِ * دار لهند بجـزعِ الحرج فالدامِ

وفيها يقول :

وجحفلٍ كسواد الليلِ منتجعٍ * أرضَ العدوّ ببؤسٍ بعد إنعامِ
جمعتَ من عامرٍ فيه ومن أسدٍ * ومن تميم ومن حاء ومن حامِ
— حاء من مذحج، وحام من خثعم —
وما رضيتَ لهم حتى رَفَدتهم(5) * من وائل رهطِ بِسطامٍ بأصرامِ

(1) التكلة من ف . (2) ف : «دارا» بالنصب . والحرج ضبطه ياقوت بالفتح ، والبكرى بالضم . على أن الذى يقرن بالدام هو الخرج بالخاء، كما عند البكرى . (3) الملمعة : التى فيها بقع تخالف سائر لونها وقيل بقعة من السواد خاصة . (4) ف : «الكوفة» . (5) أصرام : جماعات .

فيه الرماح وفيه كلّ سابغة * جدلاءَ مُحكَمَةٍ من نسج سلّامِ

— يعنى سليمان النبي —

وكُلّ أجرَدَ كالسِّرحان[1] أضمره * مسحُ الأكُفّ وسقى بعد إطعامِ

مستحقباتٍ[2] رواياها جحافلَها * يسمو بها أشعرىٌّ طرفه سامِ

— الروايا : الإبل التى تحمل أثقالهم وأزوادهم ، وتجنب[3] الخيل إليها فتضع جحافلها[4] على أعجاز الإبل —

لا يزجُرُ الطّيرَ إن مرّت به سُنُحًا * ولا يُفيض على قِدْحٍ بأزلامِ[5]

وقال المدائنى : لما مدح الحطيئةُ أبا موسى رضى الله عنه بهذه القصيدة وصله أبو موسى — وقد كان كتب من أراد وكملت العدّةُ — فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب يلومُه، فكتب إليه : إنى اشتريت منه عِرضى ، فكتب إليه : أحسنتَ . قال : وزاد فيه حمّاد الراوية أنه — يعنى نفسه — أنشدها بلالَ ابن أبى بردة ولم يكن عرفها فوصله .

أخبرنى القاضى أبو خليفة إجازةً قال حدّثنا محمد بن سلام قال أخبرنى أبو عبيدة عن يونس قال :

قدِم حماد الراوية البصرة على بلال بن أبى بُردة وهو عليها فقال له : ما أطرفتنى شيئا يا حمّادُ! فعاد إليه فأنشده قول الحطيئة فى أبى موسى، فقال له : ويحك! يمدح الحطيئةُ أبا موسى وأنا أروى شعره كله ولا أعلم بهذه؟ أَدَعْها تذهبْ فى الناس .

وكانت ولاية أبى موسى الكوفة بعد أن أخرج أهلُها سَعيد بن العاص عنها ، وتحالفوا ألا يُوَلّوا[6] عليها إلا من يريدون .

(١) السرحان : الذئب . (٢) مستحقبات ، من استحقب الشىء : شدّه فى مؤخر الرحل واحتمله خلفه . (٣) تجنب إليها : تقاد إلى جنبها . (٤) جحافلها : شفاها .
(٥) الأزلام : جمع زلم ، وهو القدح الذى كان يستقسم به . (٦) فى ف : «يختارون» .

وجوه أهل الكوفة من القراء يختلفون إلى سعيد بن العاص واختلافهم فى تفضيل السهل على الجبل وما ترتّب على ذلك

٣٠ / ١١

أخبرنى بالسبب فى ذلك أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهرىُّ قال حدّثنى عمر بن شبّة قال حدّثنا المدائنى عن أبى مِخْنف عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحق قال :

كان قوم من وجوه أهل الكوفة من القُرّاء يختلفون إلى سعيد بن العاص ويسألونه ، فتذاكروا يوما السهلَ والجبل ، فقال حسّانُ بنُ محدوج : سهلنا خير من جبلنا : أكثرُ بُرًّا وشعيرا ، فيه أنهارٌ مطّرِدة ، ونخل باسِقات ، وقلّت فاكهةٌ يُنبِتُها الجبل إلا والسهل ينبت مثلها . فقال له عبد الرحمن بن حبيش : صدقتم ، ووددت أنه للأمير وأنّ لكم أفضلَ منه . فقال الأشتر : تمنّ للأمير أفضلَ ولا تتقرّب إليه بأموالنا ، فقال : ما ضَرّكَ ذلك . والله لو يشاء أن يكون له لكان . قال : كذبت والله لو أراد ذلك ما قدر عليه . فقال سعيد : والله ما السوادُ إلا بستانٌ لقريش ، ما شئنا أخذنا منه ، وما شئنا تركنا . فقال له الأشتر : أنت تقول هذا أصلحك الله وهذا من مركز رماحنا وفيئنا ! ثم ضربوا عبد الرحمن ابن حُبَيْش حتى سقط .

قال المدائنى فحدّثنى علىُّ بنُ مجاهد عن محمد بن إسحاق عن الشعبى [ومجالد بن حمزة ابن بيض عن الشعبىّ][1] قال : بينا القرّاء عند سعيد بن العاص وهم يأكلون تمرا وزُبْدًا إذ قال سعيد : السواد بستان قريش ، فما شِئنا أخذنا منه وما شئنا تركنا . فقال له عبدالرحمن بن حبيش وكان على شرطة سعيد : صدَق الأمير . فوثب عليه القرّاء فضربوه ، وقالوا له : يا عدوّ الله ، يقول الباطل وتصدقه ! فقال سعيد : اخرجوا من دارى . فخرجوا ، فلما أصبحوا أتوا المسجدَ فداروا على الحلَق فقالوا : إن أميركم زعم أنّ السواد بستان له ولقومه وهو فيئنا ومركزُ رماحنا ، فوالله ما على هذا بايعنا ولا عليه أسلما . فكتب سعيد إلى عثمان رضى الله عنه : إنّ قِبَلى قوما يُدْعَون القرّاء وهم السفهاء، وثبوا على صاحب

(١) التكلة من ف .

شرطتى فضربوه وآستخفوا بى . منهم عمرو بن زرارة، وكُمَيْل بنُ [زياد، والأشتر وحُرقوص بن هبيرة ، وشريح بن أوفى ، ويزيد بن] المكفّف ، وزيد وصعصعة ابنا صُوحان وجُندب بن عبد الله . فكتب إليهم عثمان رضى الله عنه يأمرهم أن يخرجوا إلى الشام ويغزوا مغازيَهم . وكتب إلى سعيد : قد كفيتك الذى أردت فاقرئهم كتابى فإنى أراهم لايخالفون إن شاء الله، واتق الله جَلَّ وعز وأحسن السيرة . فأقرأهم الكتاب ، فخرجوا إلى دمشق فأكرمهم معاوية وقال: إنكم قدمتم بلداً لايعرف أهله إلا الطاعةَ فلا تجادلوهم فتدخلوا الشكَّ قلوبَهم . فقال له الأشتر: إن الله جل وعز قد أخذ على العلماء فى علمهم ميثاقا أن يبيّنوه للناس ولايكتموه؛ فإن سألنا سائل عن شىء نعلمه لم نكتمه . فقال : قد خفتُ أن تكونوا مُرْصِدين للفتنة، فاتقوا الله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَٱخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ . فقال عمرو بنُ زُرارة : نحن الذين هدى الله . فأمر معاوية بحبسهم . فقال له زيدُ بن صُوحان : إن الذين أشخصونا إليك لم يَعجِزوا عن حبسنا لو أرادوا . فأحسِنُوا جِوارنا ، وإن كنا ظالمين فنستغفر الله ، وإن كنا مظلومين فنسأل الله العافية . فقال له معاوية : إنى لا أرى حبسك أمرا صالحا، فإن أحببتَ أن آذن لك فترجع إلى مصرك وأكْتب إلى أمير المؤمنين بإذنك فعلت . قال: حسبى أن تأذن لى وتكتبَ إلى سعيد . فكتب إليه، فأذن له ، فلما أراد زيد الشخوص كلّمه فى الأشتر وعمرو بن زرارة فأخرجهما . وأقام القوم بدمشق لايرون أمرا يكرهونه، ثم أشخصهم معاويةُ إلى حِمْص، فكانوا بها، حتى أجْمَعَ أهلُ الكوفة على إخراج سعيد فكتبوا إليهم فقدموا .

قال أبو زيد قال المدائنى حدّثنى الوقاصى عن الزّهرى :

أن أهل الكوفة لما قدموا على عثمان يشكون سعيدا قال لهم : أكتب إليه وأجمع بينكم وبينه . ففعل، فلم يحقّقوا عليه شيئا إلا قولَه : « السوادُ بستانُ

(١) التكلة من ف .

قريش » ، وأثنى الآخرون عليه . فقال عثمان : أرى أصحابكم يسألون إقراره ،
ولم يثبتوا عليه إلا كلمةً واحدة ، لم يَنْتهك بها لأحد حرمةً . ولا أرى عزله إلا أن
تُثبتوا عليه ما لايحلّ لأحد تركُه معه . فانصرفوا إلى مصركم . فرجع سعيد والفريقان
معه ، وتقدّمهم علىُّ بنُ الهيثم السدوسىُّ حتى دخل رحبةَ المسجد فقال : يا أهل الكوفة
٥ إنا أتينا خليفتنا فشكونا إليه عاملنا ، ونحن نرى أنه سيصرفه عنا ، فردّه إلينا وهو
يزعم أن السواد بستان له . وأنا امرؤ منكم أرضى إذا رضيتم . فقالوا : لا نرضى .

الأشتر يخطب محرضاً على عثمان

وجاء الأشتر فصعد المنبر فخطب خطبة ذكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم
وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، وذكر عثمان رضى الله عنه . فحرّض عليه ثم قال :
من كان يرى أن لله جل وعز حقا فليصْبِح بالجَرَعَة ، ثم قال لكُمَيْل بن زياد :
١٠ انطلق فأخرج ثابتَ بن قيس بن الخَطِيم . فأخرجه . واستعمل أهلُ الكوفة
أبا موسى الأشعرىّ .

أخبرنى أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عفّانُ قال حدّثنا أبو مِحْصَنٍ قال
حدّثنا حصينُ بن عبد الرحمن قال حدّثنى جُهَيْمٌ قال :

عثمان يخضع لقوة الرأى فيعزل سعيدا ويولى أبا موسى

أنا شاهد للأمر، قالوا لعثمان : إنك استعملت أقاربكَ . قال : فليقم أهلُ كلّ
١٥ مصر فليُسْلِمُوا صاحبهم . فقام أهل الكوفة فقالوا : اعزل عنا سعيدا واستعمل
علينا أبا موسى الأشعرىّ . ففعل .

ثناء امرأة على سعد بن أبى وقاص

قال أبو زيد : وكان سعيدٌ قد أبغضه أهل الكوفة لأمور : منها أن عطاء
النساء بالكوفة كان مائتين مائتين فحطّه سعيد إلى مائة مائة . فقالت امرأة من
أهل الكوفة تذمّ سعيدا وتثنى على سعد بن أبى وقّاص :

٢٠ فليتَ أبا إسحاق[1] كان أميرَنا * وليت سعيدا كان أولَ هالك
يُحَطِّطُ أشراف النساء ويتقى * بأبنائهن مُرْهَفَات النَّيازك[2]

(١) أبو إسحاق : كنية سعد بن أبى وقاص كما فى الإصابة (ج ٣ ص ٨٣) .
(٢) النيازك : جمع نيزك ، وهو الرمح القصير .

هدية سعيد ابن العاص إلى على ابن أبي طالب.

حدّثنى العباس بن على بن العباس ومحمدُ بن جرير الطبرى قالا حدّثنا يحيى بن معين قال حدّثنا أبو داود وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا شعبة بن عمرو بن مُرّة قال سمعت أبا وائل يحدّث عن الحارث بن حُبَيْش قال: بعثنى سعيدُ بنُ العاص بهدايا إلى المدينة وبعثنى إلى على عليه السلام وكتب إليه: إنى لم أبعث إلى أحد بأكثر مما بعثت به إليك إلا شيئا فى خزائن أمير المؤمنين. قال: فأتيت علياً فأخبرته، فقال: لشدّ ما تَحْظُر بنو أمية تراث محمد صلى الله عليه وسلم. أما والله لَئِنْ وليتُها لأَنْفُضَنَّها نفضَ القصّاب لتراب الوذَمة.

قال أبو جعفر: هذا غلط إنما هو لِوِذام التَّرِبة (١).

قال أبو زيد وحدّثنى عبد الله بن محمد بن حكيم الطائى عن السعدى عن أبيه قال: بعث سعيد بن العاص مع ابن أبى عائشة مولاه بصلةٍ إلى علىّ بن أبى طالب عليه السلام؛ فقال: والله لا يزالُ غلامٌ من غِلْمان بنى أمية يبعث إلينا مما أفاءَ اللهُ على رسوله بمثل قوتِ الأرملة، واللهِ لئن بَقِيتُ لأَنْفُضَنَّها نَفْضَ القصّاب لوذام التربة. هكذا فى هذه الرواية.

صوت

رُبَّ وَعدٍ منكَ لا أنساه لى * أَوْجَبَ الشُّكرَ وإن لم تَفْعَلِ
أَقْطعُ الدهرَ بظنٍّ حَسَنٍ * وأُجَلِّى غَمْرةً ما تَنْجلى
كلّما أمّلتَ يومًا صالحًا * عَرَضَ المكروهُ لى فى أَمَلى
وأرى الأيّامَ لا تُدْنِى الّذى * أرتَجِى منكَ وتُدْنِى أَجَلى

عروضه من الرمل، الشّعرُ لمحمد بن أميّة، والغناءُ لأبى حَشيشة، رملٌ طُنْبورىّ. وفيه لحنٌ لحسين بن مُحْرِز ثانى ثقيلٍ بالوُسْطى عن أبى عبد الله الهشامىّ.

(١) الوذام: جمع وذمة: قطعة الكرش. والتربة: الكرش. اللسان (وذم).

أخبارُ محمّد بن أميّة وأخبارُ أخيه علىّ بن أمية وما يُغَنَّى فيه من شعرهما

نسب محمد بن أمية

سألتُ أحمدَ بنَ جعفرٍ جَحْظةَ عن نسبه قُلتُ له : إنّ النّاسَ يقولون ٱبنُ أمية وابنُ أبى أمية؛ فقال : هُوَ محمّدُ بنُ أمية بن أبى أميّة .

منادمته إبراهيم بن المهدى

قال : وكان محمدٌ كاتبا شاعرا ظريفا، وكان ينادمُ إبراهيمَ بنَ المَهْدىّ، وربما عاشَرَ علىَّ بنَ هِشام، إلّا أنّ ٱنقطاعَه كان إلى إبراهيمَ، ورُبّما كتبَ بين يديه . وكان حَسَنَ الخطّ والبَيان . وكان أميّةُ بنُ أبى أمية يكتُبُ للمَهْدِىّ على بيْتِ المـال. وكان إليه خَتْمُ الكُتُبِ بحَضرته، وكان يأنسُ به لأدبِه وفَضْلِه، ومَكانِه من وَلائه، فزامَلَه أرْبعَ دَفَعاتٍ حَجّها فى ٱبتدائه ورُجُوعه .

قال جَحْظةُ : وحدّثنى بذلك أبو حَبَيشَة .

إعجاب أبى العتاهية به فى حضرة إبراهيم ابن المهدى

وحدّثنى جحظـة أيضا قال حدّثنى أبو حشيشة عن محمـد بن علىّ بن أمية قال حدّثنى عمى محمد بن أمية قال :

كنتُ جالسا بين يدىْ إبراهيم بن المهدىّ، فدخل إليه أبو العتاهية وقد تَنَسَّك ولبِسَ الصوفَ وترك قولَ الشعر إلّا فى الزُّهْد، فرفعه إبراهيم وسُرَّ به، وأقبل عليه بوجهه وحديثه ؛ فقال له أبو العتاهية : أيُّها الأمير بلغنى خبرُ فتًى فى ناحيتك ومن مواليك يُعْرَف بابن أمية يقول الشعرَ، وأنْشِدْتُ له شعرا أعجبنى، فما فعَل؟ قال : فضحك إبراهيم ثم قال : لعله أقربُ الحاضرين مجلسا منك . فالتفت إلىّ فقال لى : أنت هو فَدَيْتُك؟ فتشوّرت[(1)] وخجلت وقلت له : أنا محمد بنُ أميـة جُعلت فداءك! وأمّا الشعر فإنما أنا شابٌّ أعبثُ بالبيت والبيتين والثلاثة كما يعبث الشابُّ؛ فقال لى : فديتك، ذلك

(١) تشوّرت : استحييت .

والله زمانُ الشعر و إبّانه ،وما قيل فيه فهو غُرَرُه وعيونُه، وما قَصُر من الشعر وقيل فى المعنى الذى تومئ إليــه أبلغُ وأملحُ. وما زال ينشّطنى و يؤنِسنى حتى رأى أنى قد أنِست به ،ثم قال لإبراهيم بن المهدىّ : إنّ رأى الأمير — أكرمه الله — أن يأمره بإنشادى ما حضر من الشعر . فقال لى إبراهيم : بحياتى يا محمد أنشِده. فأنشدته :

رُبَّ وعد منــكِ لا أنساهُ لى * أوجبَ الشكر و إن لم تفعــلى ٥

وذكر الأبيات الأربعــة . قال : فبكى أبو العتاهيةِ حتى جرت دموعُه على لحيتــه وجعل يُرَدّد البيت الأخير منها و ينتحِب ، وقام فخرج وهو يردّده و يبكى حتى خرج إلى الباب .

هو وخداع جارية خال المعتصم وأشعاره فيها

أخبرنى عمى قال حدّثنى يعقوب بن إسرائيل قرقارةُ قال حدّثنى محمد بن علىّ آبن أمية قال : ١٠

كان عمى محمــدُ بنُ أمية يهوى جاريةً مغنّيــة يقال لهـا خِداعُ كانت لبعض جوارى خالِ(١) المعتصم ، فكان يدعوها، ويعاشِره إخوانه إذا دعوه بها آتّباعا لمسرّته. وأراد المعتصم الخروجَ والتأهُّبَ للغزو،وأمر الناس جميعا بالخروج والتأهب، فدعاه بعضُ إخوانه قبل خروجهم بيوم،فلما أضحى النّهار جاءَ من المطرِ أمرٌ عظيمٌ(٢) لم يقدِرْ معه [أحد](٣) أن يُطلِــعَ رأسَه من داره، فكاد محمد أن يموت غمًّا ، فكتب إلى صديقه الذى دعاه [وقد كان ركِب إليه ثم رجعَ لشدّة المطر](٣)، ولم يقدِر على لقائه : ١٥

٣٣
١١

تمــادى القَطْرُ وآنقطع السبيلُ * من الإلفين إذ جرتِ السيولُ
على أنى ركِبتُ إليــكَ شوقا * ووجهُ الأرض أوديةٌ تجــول
وكان الشوقُ يَقْدُمُنى دليلًا * وللمشتاق معــتَزمًا دليـــلُ

(١) كلمة « خال » ساقطة من ف . (٢) كذا فى ف . وفى سائر النسخ : «فلما أصبحوا جاء المطر أمرا عظيما» . (٣) التكلة من ف . ٢٠

فلم أجد السبيلَ إلى حبيبٍ * أودّعه وقد أفِدَ[1] الرحيلُ
وأرسلْتُ الرسولَ فغاب عنّى * فيالله ما فعل الرسول!

وقال فى ذلك أيضا :

مجلس يُشْفَى به الوطرُ * عاق عنه الغيمُ والمطرُ
رَبِّ خُذْ لِى منهما فهُما * رحمةٌ عمّت ولى ضرر
ما على مولاى مَعْتَبةٌ[2] * عذره بادٍ ومستتِر
شُغِلتْ عينى بعبرتها * واستمالت قلبيَ الفِكر

قال : ثم بِيعت خِداعُ هذه فآشتراها بعضُ ولد المهدىّ وكان ينزل شارع الميدان، فحُجِبت عنه وآنقطع ما بينهما إلّا مكاتبةً ومُراسلةً .

قال محمدُ بن علىّ : فأنشدنى يوما عمّى محمد لنفسه فيها :

خطراتُ الهوى بذكرِ خِداعٍ * هِجْنَ شوقى لا دارساتُ الطلولِ
حُجِبتْ أن تُرَى فلستُ أراها * وأرى أهلَها بكل سبيل
وإذا جاءها الرسولُ رآها * ليتَ عينى مكان عينِ الرسول
قد أتاكِ الرسول ينْعتُ ما بى * فآسمعى منه ما يقول وقولى

وقال فيها أيضا :

بناحية المَيْدان دربٌ لو آننى * أسمّيه لم أرشُد وإن كان مُفْسدى
أخافُ على سكّانه قولَ حاسدٍ * يشير إليهم بالجفون وباليد

---

(١) أفد : دنا . (٢) المعتبة : الموجدة والسخط .

وصائفُ أبكارٌ وعُونٌ(١) نواطِقٌ * بألسنةٍ تشفِى جَوَى الهائم الصَّدِى
يُقَارِبْن أهلَ الوُدِّ بالقول فى الهوى * وما النجمُ من معروفهن بأبعـدِ
يزِدن أخا الدنيا مُجُونا وفتنـة * ويَشْغَفن(٢) قلب الناسك المتعبِّـد
وليلة وافى النوم طيف سَرَى به * إلىَّ الهوى منهن بعد تجـرُّدِ
فقاسَمْتُـه الأشجان نِصفين بيننـا * وأورَدْتُه من لوعةِ الحب مَوْرِدى
ونِلْتُ الذى أمَّلتُ بعـد تمنُّـع * وعاهدتُه عهـدَ آمرئٍ متوكِّدِ(٣)
فلما آفترقنـا خاس(٤) بالعهد بيننـا * وأعرضَ إعراضَ العروسِ من الغدِ
فوا ندما ألا أكونَ آرتهنتُـه * لأَخْبُرَهُ فى حفظِ عهـدٍ وموعد

إعجاب أبى العتاهية بشعره

أخبرنى الحسن بن علىّ وعمى قالا حدّثنا محمدُ بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنى حذيفةُ بن محمد قال قال لى محمدُ بن أبى العتاهية :

سمع أبى يوما مخارقا يغنِّى :

أحبُّـكِ حُبًّـا لو يُفَضُّ(٥) يَسِـيرُه * على الخَلْقِ ماتَ الخلقُ من شِدَّة الحُبِّ
وأعْـلَمُ أنِّى بعـدَ ذاكَ مقصِّـرٌ * لأنَّكِ فى أعْـلى المَراتِبِ مِنْ قَلْبى

فطرِبَ ثم قال له : من يقولُ هذا يا أبا المُهَنَّا ؟ قال : فتى من الكُتّاب يخدُمُ الأميرَ إبراهيمَ بنَ المهدىّ . فقال : تَعْنِى محمدَ بنَ أميَّة ؟ قال : نعم . قال : أحْسَنَ والله ، وما يزال يأتى بالشَّىء المليح يبدُو له .

أخبرنى عمى قال حدّثنا أحمدُ بنُ أبى طاهرٍ قال حدّثنى أحمد بن أمية بن أبى أمية قال :

---

(١) الوصائف : جمع وصيفة وهى الجارية دون المراهقة . عون : جمع عوان وهى المرأة النصف .
(٢) فى ط : « ويشعفن » . (٣) فى س، ب . « متأكد » .
(٤) خاس بالعهد : نقضه وخانه . (٥) يفض : يفرق .

مزاحه مع مسلم ابن الوليد

لَقِيَ أخى محمّدُ بنُ أُميّة مُسْلِمَ بنَ الوليدِ وهُوَ يَمْشى وطويلته(١) مع بعض رواته، فسلم عليه ثم قال له: قد حضرنى شىءٌ؛ فقال: هاتِه؛ فقال: على أنّه مِزاح لا يُغْضَبُ منه؛ قال: هاتِه ولو أنه شتم. فقال:

مَنْ رَأى فيما خَلَا رجُلًا * تِيهُـهُ يُرْبِى على جِدَتِهْ(٢)
يَتَباهى راجــلًا وله * شاكِرِىٌّ(٣) فى قُلُنْسِيَتِــه

فسكَتَ عنه مُسلِمٌ ولم يُجِبْه، وضحِك منه محمدٌ وٱفترقا.

مداعبة مسلم له حين نفق برذونه

قال: وكان لمحمدبن أميّة بِرْذَون يركبه، فلقيَه مسلمٌ وهو راجلٌ فقال: مافعل بِرذونُك؟ قال: نَفَق. قال: الحمدُ لله، فَنُجازِيك إذًا على ما كان منك إلينا. ثم قال مسلم:

قل لٱبن مىٍّ(٤) لا تكن جازعا * لن يرجِع البِرذونُ بٱللَّيْتِ(٥)
طامَنَ أحشاءَك فِقــدانُه(٦) * وكنتَ فيــه عالىَ الصوت
وكنتَ لا تَنزِلُ عن ظهْـــرِهِ * ولَوْ من الحُشِّ(٧) إلى البيتِ
ما مات من حتف(٨) ولكنّــهُ * مات من الشَّوْق إلى الموت

تعلقه بإحدى الجوارى وما كان بينهما

أخبرنى أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمار قال حدّثنا يعقوبُ بن إسرائيل قال حدّثنى محمد بن علىّ بن أمية قال حدّثنى حسين بن الضحاك قال:

دخلت أنا ومحمدُ بنُ أميّةَ منزل نخّاس بالرّقة أيامَ الرشيد وعنده جاريةٌ تغنّى فوقعت عينُها على محمد، ووقعت عينُه عليها، فقال لها: يا جاريةُ، أتغنّين هذا الصوت:

---

(١) الطويلة: يراد بها قلنسوة طويلة. (٢) فى ف: «أربى على جدته» وجدته، أى مقدار ما هو عليه من الغنى. (٣) الشاكرى: الأجير والمستخدم. والقلنسية والقلنسوة: من لباس الرأس. (٤) كذا فى ف وديوان مسلم (ص ٢١٥) طبع ليدن. وفى سائر الأصول: «أمى» تحريف. (٥) الليت: أراد به التمنى. ورواية هذا الشطر فى الديوان: «ليت على البرذون من فوت». (٦) رواية الديوان: «طأطأ من تيهك فقدانه». (٧) الحش (بتثليث الحاء): يكنى به عن بيت الخلاء. (٨) فى ف: «من سقم». والحتف: الهلاك، تقول العرب: مات فلان حتف أنفه، أى بلا ضرب ولا قتل.

خبّريني مَن الرسولُ إليكِ * واجعليه من لا ينمّ عليكِ
وأشيرى إلىّ من هو بالله * ظِ ليخفى على الذين لديكِ
وأقلّي المزاح في المجلس اليو * م فإن المزاح بين يديكِ

فقالت له : ما أعرفه ، وأشارت إلى خادمٍ كان على رأسها واقفًا. فمكثا زمانا والخادمُ[1] الرسولُ بينهما . قال : والشعر لمحمد بن أمية .

تغنى بشعر له عمرو الغزال فتطير إبراهيم بن المهدى وعلم من فى المجلس بنكبة البرامكة

حدّثنى جَحْظةُ قال حدّثنى ميمونُ بنُ هارون قال حدّثنى بعضُ من كان يختلط بالبرامكة قال :

كنتُ عند إبراهيمَ بنِ المهدىّ ، وقد اصطبحنا[2] وعنده عمرو بن بانة ، وعبيدُ الله بن أبى غسان ، ومحمد بن عمرو الرومى ، وعمرو الغزّال ، ونحن فى أطيب ما كنا عليه إذ غنّى عمرو الغزّالُ ، وكان إبراهيمُ بن المهدى يستثقله ، إلا أنه كان يتخفّف بين يديه ويَقْصِدُه ، ويُبْلغه عنه تقديمٌ له وعصبيّة ، فكان يحتملُ ذاك منه ، فاندفع عمرو الغزال ، فتغنّى فى شعرِ محمد بن أمية :

ماتمّ لى يومُ سرورٍ بمنْ * أهواهُ مُذْ كنتُ إلى الليلِ
أغبطَ ما كنتُ بما نلته * منهُ أتتنى الرسْلُ بالويْل
لا والذى يعلَمُ كلّ الذى * أقولُ ذى العِزّة والطَّوْل
ما رُمْتُ مذ كنتُ لكم سَخْطَةً * بالغَيْب فى فعلٍ ولا قَوْل

قال : فتطيّر إبراهيمُ ، ووضع القدَح من يده ، وقال : أعوذُ بالله من شر ما قلتَ . فوالله ما سكَتَ - وأخذنا نتلاقى إبراهيمَ - إذ أتى حاجبُه يعدو فقال : ما لكَ[3]؟ فقال : خرج الساعة مسرورٌ من دار أميرِ المؤمنين حتى دخل إلى جعفر بن يحيى ، فلم يلبث أن خرج ورأسُه بين يديه وقبض على أبيه وإخوته[4] . فقال إبراهيم : ﴿ إنّا لله وإنّا إليه راجعون ﴾ ارفع يا غلام ارفع. فرفع ما كان بين أيدينا ، وتفرقنا فما رأيت عمرًا بعدها فى داره .

٣٥
――
١١

(١) فى ف : « والخادم الاسود » . (٢) اصطبحنا : شربنا الصبوح .
(٣) فى ف : « ما الخبر » . (٤) فى ف : « وإخوته وأهله » .

كان يستطيب الشراب عند هبوب الجنوب

أخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال حدّثنى الحسين بن يحيى الكاتب قال حدّثنى محمد بن يحيى بن بُسْخُنَّر قال :

كنت عند إبراهيم بن المهدى بالرَّقّة وقد عزمنا على الشراب ومعنا محمد بن أميّة فى يوم من حزيران ، فلما هممنا بذلك هبّت الجَنُوب ، وتلطّخت السماءَ بغيم ، وتكدّر ذلك اليوم، فترك إبراهيمَ بنُ المهدى الشُّرْبَ ولحقه صُداع ، وكان يناله ذلك مع هبوب الجنوب، فآفترقنا ؛ فقال لى محمّدُ بن أمية : ما أحَبَّ إلىّ ما كرِهتُموه من الجنوب ! فإن أنشدتُك بيتين مليحين فى معناهما تساعدنى على الشرب اليوم ؟ قلت : نعم . فأنشدنى :

إنّ الجنوبَ إذا هبّت وجدتُ لها * طِيباً يذكّرنى الفردوسَ إنْ نَفَحَا

لمّا أتَتْ بنسيم منك أعرِفُه * شوْقًا تَنَفَّستُ وآستقبلتُها فَرِحا

فآنصرفتُ معه إلى منزله ،وغنّيتُ فى هذين البيتين وشربنا عليهما بقيةَ يومنا .

ما قاله فى تفاحة أهدتها إليه خداع

وجدْتُ فى بعض الكتب بغير إسناد : أهدَتْ جاريةٌ يقال لها خِداعُ إلى محمد ابن أُميّة — وكان يهواها — تفاحةً مُفَلَّجةً[(1)] منقوشةً مطيّبة حَسنةً، فكتب إليها محمد :

خِداعُ أهديتِ لنا خُدْعةً * تُفّاحةً طيّبةَ النَّشْرِ

مازلتُ أرجوكِ وأخشَى الهوى * مُعتصِمًا بالله والصَّبر

حتى أتتنى منكِ فى ساعةٍ * زَحْزَحَتِ الأحزانَ عن صَدرى

حشوتِها مِسْكا ونقّشتِها * ونَقْشُ كفيكِ من السِّحر

سَقْيًا لها تفاحةً أُهْدِيَت * لو لم تكُنْ[(2)] من خُدَعِ الدّهر

التقى بجارية يهواها وشعره فى ذلك

أخبرنى الحسنُ بن علىّ قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثنى عبدُ الله بنُ جعفر اليقطينى قال حدّثنى أبى جعفر بن علىّ بن يقطينَ قال :

(1) مفلجة : مقسمة . (2) فى ف : «إن لم تكن» .

كنتُ أسيرُ أنا ومحمدُ بن أمية فى شارع المَيْدان، فاستقبلتْنا جاريةٌ — كان محمدٌ يهْوَاها ثم بِيعتْ — وهى راكبةٌ، فكلَّمها، فأجابتْه بجواب أخفَتْه فلم يفهمه، فأقبل علىّ وقد تغيَّر لونُه فقال :

ياجعفرُ بن علىّ وآبن يقطينِ * أليْس دونَ الذى لاقيتَ يكْفِينى
هـذا الذى لم تزلْ نفسى تخوِّفُنى * منها فأيْنَ الذى كانتْ تُمَنِّينى
خاطَرْتُ إذ أقبلتْ نحوى وقلتُ لها * تَفْدِيكِ نفسى فداءً غيرَ ممنونِ
فخاطبتنى بما أخْفَتْه فانصرفتْ[1] * نفسى بظنَّيْنِ مخشىٍّ ومأمونِ

٣٦/١١

تمثل المنتصر ببيت له

حدّثنى محمدُ بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى أحمدُ بن يزيد المهلبىّ قال حدّثنى أبى قال :

كنت بَين يدى المنتصر جالسًا فجاءتْه رُقْعَة لا أعلمُ مِمَّن هى ، فقرأها وتبسَّمَ ثم إنه أقبل علىَّ وأنشد :

لطافةُ كاتبٍ وخشوعُ صبٍّ * وفِطْنةُ شاعرٍ عنـدَ الجوَاب

ثم أقبل علىّ فقال : من يقول هذا يايزيد ؟ فقلتُ : محمدُ بن أميّة يا أمير المؤمنين. فضحك وقال : كأنه والله يصفُ ما فى هذه الرُّقْعة .

عاتبه أخوه وابن قنبر لما لحقه من وله كالجنون لبيع جارية يحبها

أخبرنى الحسنُ بن علىّ قال حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويه قال حدّثنى حذيفةُ بنُ محمّد قال :

كنت أنا وابن قنبر عندَ محمد بن أُميّة بعقِب بَيْع جاريةٍ كان يحبُّها وقد لحقه عليْها ولَهٌ كالجنون ، فجعل ابن قنبرٍ وأخوه علىّ بنُ أمية يعاتبانه على مايظهر منه ، فأقبل بوجهه عليهما ثم قال :

(١) فى ف : « وانصرفت » .

لو كنتَ جَرَّبْتَ الهوى يٱبن قَنبرٍ * كوصفك إياه لألهاك عن عذلى
أنا وأخى الأدنى وأنت لها الفِدا * وإن لم تكونا فى مودّتها مثلى
أأنْ تُحِبتْ عنى أجود لغيرها * بودّى وهل يُغْرى المحبَّ سوى البُخْل
أسَرّ بأن قالوا تَضَنّ بودّها * عليك ومن ذا سُرّ بالبخل من قبلى

٥ قال: فضحك ابنُ قَنبر، وقال: إذا كان الأمرُ هكذا فكن أنتَ الفداء لها، وإن ساعدك أخوك فاتّفِقا على ذلك، وأما أنا فلستُ أنشط لأن أساعدك على هذا. وٱفترقنا.

قطع الصوم بينه وبين خداع فقال شعرا

أخبرنى على بن سليمان الأخفشُ قال أنشدنى محمد بن الحسن بن الحَزَوَّر[(1)] لمحمد ٱبن أميّةَ فى جارية كان يهواها، وقطَع الصوْمُ بينهما، فقال يخاطب محمدَ بن عثمان ١٠ ٱبن خُرَيْمٍ المرّىّ:

قِفا فابكيا إن كنتُما تجدان * كوَجْدِى وإن لم تَبْكِيا فدَعانى
ففى الدَّمع مما تُضمِر النفسَ راحةٌ * إذا لم أطِقْ إظهارَه بلسانى
أَغَصُّ بأسرارى إذا ما لقيتُها * فأُبْهَتُ مشدوها أعضّ بنانى
فيابن خُرَيم يا أخى دون إخوتى * ومن هُوَ لى مِثلى بكل مكان
١٥ تأمّلْ أحظّى من خِداعَ وحُبِّها * سوى خُدَعٍ تُذْكِى الهوى وأمانى
وأصبح شهرُ الصوم قد حال بيننا * فياليتَ شوّالا أتى بزمان

شعر له فيها استحسنه ابن المعتز

أنشدنى جعفرُ بن قُدامة قال أنشدنى عبدُ الله بن المعتزّ قال أنشدنى أبو عبد الله الهشامىّ لمحمد بن أمية، وفيه غناء لمتيَّم، قال واستحسنه عبد الله:

---

(١) فى ف: «الحرون».

صـــوت

عَجَبًا عجبتُ لمُــذنبٍ متغضِّبِ * لولا قبيــحُ فَعالِه لم أعْجَبِ
أخداعُ، طالَ على الفراش تقلُّبى * وإليـك طولُ تشـوّقى وتطرّبى
لهـفى عليـــك وما يردّ تلهـفى * قصرت يداى وعزّ وجه المطلب (١)

الغناء لمتيّم، فيه لحنان: رملٌ عن ابن المعتز، وخفيفُ رمل عن الهشامى. وهذا من شِعْر محمد فيها بعد أن بيعت. قال: وغنتنا هَزَارُ هذا الصوت (٢) يومئذ.

٣٧/١١

أشعاره فيها إذ فقدها وحين وجدها

حدّثنى عمّى قال حدّثنا أحمد بن محمد الفيرزان (٣) قال حدّثنى شيبةُ بنُ هِشَام قال:

دعانا محمـدُ بن أُميَّـةَ يوما وَوَجَّه إلى جارية كان يحبها فدعاها، وبعث إلى مولاها يُحْـدِرها (٤) مع رسـوله، فأبطأ الرسولُ حتّى انتصف النهارُ ثم عاد وليست معـه وقال: أخذوا منى الدراهم ثم ردوها علىّ، ورأيتهـم مُخْتَلِطين، ولهم قصة لم يُعرِّفُونيها، وقالوا: ليستْ ها هنا فإن عادت بَعَثْنا بها إليكم. فتنغَّص عليـه يومُه وتغيّر وجهُه وتجمّل لنا؛ ثم بكّرنا من غد بأجمعنا إلى منزل مولاها فإذا هى قد بِيعت، فوَجم طويلا (٥)، وسار حتى إذا خلا لنا الطريق اندفع باكيا. فما أنسى حُرْقَة بكائه وهو ينشدنى:

تخطَّى إلىَّ الدهرُ من بين من أرى * وسـوءُ مقـاديرٍ لهنَّ شـئونُ
فشتَّتَ شملى دون كلِّ أخِى هوًى * وأقصَـدَنى (٦) بلْ كلُّهم سيَبِين
ومهما تكُن من ضَحْكة بعد فَقْدها * فإنّى وإنْ أظهرتُها لحزينُ
سـلامٌ على أيَّامنـا قبـل هـذه * إذِ الدارُ دارٌ والسرورُ فنونُ

(١) هذا البيت ساقط من ط. (٢) كذا فى ف. وفى سائر الأصول: «هذا اللحن». (٣) كذا فى ط، ف. وفى سائر الأصول «أحمد بن المرزبان». (٤) يحدرها: يريد يرسلها. (٥) فى ف: «قليلا». (٦) أقصدنى: طعننى ولم يخطئنى

قال : ومضتْ على ذلك مدّةٌ . ثم أخبرنى أنه ٱجتاز بها ، وهى تنظُرُ من وراء شُبّاكٍ ، فسلّم عليها فأومأتْ بالسلام إليه ودخلتْ ، فقال :

تُطالِعُنى على وجَلٍ خِداعُ * من الشّبّاكِ التى عُملت حَدِيدَا
مُطَالِعَتى ، قِفى بالله حتّى * أزوّدَ مقلَتى نظراً جديدا
فقالتْ إنْ سَها الواشون عنّا * رجَوْنا أن تَعُودَ وأن نَعودا

٥

وأنشدنى أيضا فى ذلك :

صــوت

يا صاحبَ الشّبّاكِ الذى اسْـ * ـتخْفَى ، مكانُكَ غيرُ خافِ
أفَما رأيتَ تلدُّدى[1] * بِفِناءِ قصْرِكَ وٱختلافى
أو ما رحمتَ تخشُّعى[2] * وتلفُّتِى بَعْدَ ٱنصرافى

١٠

صــوت

[3]إنّ الرجالَ لهم إليكِ وسيلةٌ * إنْ يأخذوكِ تكحّلى وتخضّبى
وأنا ٱمرؤٌ إن يأخذونى عَنْوةً * أُقْرَنْ إلى سَيْرِ الرِّكاب وأُجْنَبِ
ويكون مَرْكَبُكِ القعودَ وحِدْجَه[4] * وٱبنُ النّعامةِ يومَ ذلك مَرْكَبى

عروضه من الكامل . قال ٱبن الأعرابىّ فى تفسير قوله :

١٥

* وٱبنُ النعامةِ يومَ ذلك مَرْكَبى *

ٱبن النعامة : ظِلّ الإنسان أو الفَرَس أو غيْره . قال جرير :

إذ ظَلّ يحسَبُ كلّ شيءٍ[5] فارسا * ويرى نعامةَ ظِلّه فيَحُولُ[6]

(١) تلددى : مكثى ووقوفى . واختلافى : ترددى . (٢) تخشعى : تضرعى . (٣) هذا الشعر وما يليه حتى أوّل ترجمة المتوكل وأخباره ساقط من نسختى ط ، م . (٤) الحدج (بالكسر) : مركب من مراكب النساء نحو الهودج . (٥) فى الديوان : « كل شخص » . (٦) كذا فى ف ، وفى سائر الأصول : « إن ضل ... ... * ورأى ... ... » .

٢٠

يعنى بنعامة ظِلّه جسَده . وقال أبو عمرو الشيبانىّ : النّعامةُ ما يلى الأصابع[1] فى مُقَدّم الرِّجل . يقول: مَركَبى يومئذٍ رِجْلِى . وقال الجاحظ : ذكر علماؤنا البصريون : أنّ النعامةَ آسمُ فرسِه . يقول : إنّى أشُدُّ على ركابى السرج فإذا صارَ للفرس — وهو الذى يُسَمّى النعامةَ — ظلّ وأنا مقرونٌ إليه صار ظله تحتى فكنتُ راكبًا له . وجعل ظلها ها هنا آبنَها .

الشعر للحارث بن[2] لوذان بنِ عوف بن الحارث بن سدوس بن شيبانَ بنِ ذهلِ ابن ثعلبة . وقال آبن سلام : لحُزَز[3] بن لَوْذان . ومن الناس من ينسب هذا الشعر إلى عنترةَ ، وذلك خطأ . وأحد من نسبه إليه إسحاق الموصلىّ . والغناء لعزةَ المَيْلاءِ . وأوّل لحنها :

لِمَن الديارُ عرفتها بالشُّرْبُبِ[4] * ذهب الذين بها ولمّا تذهبِ

وبعده « إن الرجال » .

وطريقتُه من خفيف الثقيل الأوّل بالبنصر من روايتى حمّادٍ وآبن المكىّ . وفيه للهذيل خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامىّ . وفيه لعريبَ خفيفُ رمل . وفيه لعزةَ المرزوقيّة لحن . وقال هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبدالملك الزيات : هذا اللحنُ لربق ، سلخت لحن « ومخنث شهِد الزفافَ وقبله[5] » فجعلته لهذا ، وهو لحنٌ محرّكٌ يشبه صنعة آبن سُرَيج وصنعةَ حَكَمٍ فى محركاتهما ، فمن هنا يغلط فيه و يظن أنه قديم الصنعة .

ابن أبى عتيق يعجب بغناء عزة الميلاء

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدّثت عن صالح بن حسان قال: كان آبن أبى عتيق معجبا بغناء عزة الميلاء كثيرَ الزيارة لها ، وكان يختار عليها قوله :

* لمن الديار عرفتها بالشُّرْبُبِ *

(١) فى ب ، س : « عامل الأصابع » . (٢) فى ف : « الحارث بن لوداد » . وفى سائر النسخ : « لحزبن لوذان » . والصواب ما أثبتنا من الجمع بينهما . (٣) كذا فى ف ، والحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ٣٦٣ طبعة الحلبى) . وفى سائر الأصول : « الجرود بالراء » . (٤) الشربب : وادفى ديار بنى ربيعة ، وفى س ، ب : « الشرنب » تحريف . (٥) كذا فى ف ، وفى سائر الأصول : « وله » .

فسألها يوما زيارته فأجابته إلى ذلك ومضت نحوه، فقال لها بعد أن آستقرّ بها المجلسُ: ياعزة، أحبُّ أن تغنيني صوتي الذى أنا له عاشق. فغنته هذا الصوت، فطرِب كل الطرب وسرّ غاية السرور.

جارية ابن أبى عتيق ومعابثة فتى لها

وكانت له جارية، وكان فتى من أهل المدينة كثيرا ما يعبث بها؛ فأعلَمتْ [ابنَ أبى عتيق بذلك؛ فقال لها: قولى له: وأنا أحبُّكَ؛ فإذا قال لك: وكيف لى بك؟ فقولى له: مولاى يخرج غدًا إلى مال له، فإذا خرج أدخلتُكَ المنزل. وجمع[1]] آبن أبى عتيق ناسا من أصحابه فأجلسهم فى بيتـه [وممهم عزة الميلاء[1]]، وأدخلَت الجاريةُ [الرجلَ. وقال لعزة: غنى فأعادت الصوت. وخرجت الجاريةُ[1]] فمكثت ساعة ثم دخلت البيت كأنها تطلب حاجة، فقال لها: تعالىْ. فقالت: الآن آتيك. ثم عادت فدعاها فآعتلّت[2]، فوثب فأخذها فضرب بها الحجلة[3]، فوثب آبنُ أبى عتيق عليه هو وأصحابُه، فقال لهم وهو غيرُ مكترث: يافسّاقُ ما يُجلسكم هاهنا مع هذه المغنية! فضحك آبن أبى عتيق من قوله وقال له: آستر علينا ستر الله تعالى عليك. فقالت له عَزّةُ: يابنَ الصِّدِّيق[4]، ما أظرف هذا لولا فسقه! فاستحيا الرجل فخرج، وبلغه أن آبنَ أبى عتيق قد آلى إن هو وقع فى يده أن يصير به إلى السلطان. فأقبل يعبث بها كلما خرجت، فشكت ذلك إلى مولاها، فقال لها: أو لم يرتدع من العبث بك! قالت: لا. قال: فَهَيِّئِى الرحى وهيئى من الطعام طحينَ ليلة إلى الغداة. فقالت: أفعَلُ يامولاى. فهيّأت ذلك على ما أمرها به ثم قال لها: عِديه الليلة فإذا جاء فقولى له: إن وظيفتى الليلة طحنُ هذا البُرّ كلّه ثم آخرجى من البيت وآتركيه. ففعلت، فلما دخل طحنت الجاريةُ قليلا، ثم قالت[5]

(١) الزيادة عن ف. (٢) اعتلت: اعتذرت. (٣) الحجلة بالتحريك: بيت كالقبة يستر بالثياب و يكون له أزرار كبار، وحجلة العروس: بيت يزين بالثياب والأسرّة والستور. (٤) تريد ابن أبى عتيق وهو عبد الله بن أبى عتيق محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر. تهذيب التهذيب (ج ٦ ص ١١). (٥) فى ب، س: «كفت».

له : إن كفّتْ الرحى فإن مولاى جاء إلىّ أو بعض من وكله بى ، فاطحن حتى نأمنَ أن يجيئنا أحدٌ ، ثم أصيرَ إلى قضاءِ حاجتك . ففعل الفتى ومضت الجاريةُ إلى مولاها وتركته . وقد أمر ٱبنُ أبى عتيق عِدّة من مولياته أن يتراوحن[1] على سهر ليلتهن ويتفقّدن أمرَ الطحين ويحثثن الفتى عليه كلما أمسك ، ففعلن ، وجعلن ينادينه كلما كفّ : يافلانة إنّ مولاك مستيقظ ، والساعةَ يعلم أنك كففتِ عن الطحن ، فيقومُ إليك بالعصا كعادته مع من كانت نوبتها قبلك إذا هى نامت وكفّت عن الطحن . فلم يزل الفتى كلّما سمع ذلك الكلامَ يجتهد فى العمل والجارية تتعهد وتقول : قد ٱستيقظ مولاى . والساعةَ ينام فأصير إلى ما تحب . فلم يزل الرجل يطحن حتى أصبح وفرغ من جميع القمح . فلما فرغ وعلمت الجارية أتته فقالت : قد أصبحت فانجُ بنفسك . فقال : أوقد فعلتِها يا عدوّة الله ! فخرج تعبا نصبا فأعقبه ذلك مرضًا شديدا أشرف منه على الموت ، وعاهد الله تعالى ألّا يعودَ إلى كلامها ، فلم تر منه بعد ذلك شيئا يُنكَر[2] .

صـــوت

أجَدَّ اليومَ جيرتُك ٱحتمالا * وحثَّ حُداتُهمْ بهمُ عِجالا

وفى الأظعان آنسة لعوب[3] * ترى قتلى بغير دمٍ حلالا

عروضه من الوافر . الشعر للمتوكل الليثىّ ، والغناء لابن مُحرِز ثانى ثقيل بالسبابة فى مجرى الوُسْطى عن إسحاق . وفيه لابن مِسْجَح ثانى ثقيل آخرُ بالخِنْصَر فى مجرى البِنصر عنه . وذكر حَبَشٌ أن هذا اللحن لابن سُرَيْج ، وفيه لإسحاقَ هزجٌ .

(١) يتراوحن : يتناوبن . (٢) كذا فى ف . وفى سائر النسخ : «فلم ير بعد ذلك منه شيئا كثيرا» . (٣) الأظعان : جمع ظعينة وهى المرأة فى الهودج ، سميت به على حد تسمية الشىء باسم الشىء لقربه منه ، لأن الظعينة : الهودج تكون فيه المرأة ، وقيل : « أو لم تكن » .

نسب المتوكّل الليثى وأخباره

نسبه

هو المتوكل بن عبد الله بن نَهْشل بن مُسَافِع بن وهْب بن عمرو بن لَقِيط ابن يَعْمَر بن عَوْف[1] بن عامر بن لَيْث بن بكر بن[2] عبد مناة بن كِنانة بن خُزَيمة ابن مدرِكة بن إلياس بن مضَر بن نِزار، من شعراء الإسلام، وهو من أهل الكوفة.

٥

كان فى عصر معاوية وآبنه يزيد، ومدحهما. ويكنى أبا جهمة. وقد اجتمع مع الأخطل وناشده عند قَبِيصة بن والِق، ويقال عند عكرمة بن رِبْعى الذى يقال له الفَيّاض، فقدمه الأخطل.

وهذه القصيدة التى أولها الغناء قصيدة هجا بها عِكرمة بن رِبْعىّ وخبره معه[3] يذكر بعد.

١٠

أخبرنى بذلك الحسن بن علىّ عن أحمد بن سعيد الدمشقىّ عن الزبير بن بَكّار عن عمه.

تناشد هو والأخطل الشعر

وأخبرنى الحسن[4] بن علىّ عن أحمد بن سعيد الدمشقىّ قال حدّثنى هارون آبن محمد بن عبد الملك قال أخبرنى هارون بن مسلم قال حدّثنى حفص بن عمر العُمَرِىّ عن لَقيط بن بُكَير[5] المحاربىّ قال:

١٥

قدم الأخطل الكوفة فنزل على قَبِيصةَ بنِ والق، فقال المتوكّل بن عبد الله اللّيثىّ[6] لرجل من قومه: انطلق بنا إلى الأخطل نستنشده ونسمع من شعره. فأتياه فقالا: أنشِدنا يا أبا مالك. فقال: إنى لخاثر[7] يومى هذا. فقال له المتوكل: أنشدنا أيها الرجل، فوالله لا تُنشدنى قصيدة إلا أنشدتك مثلها أو أشعر منها من

(١) فى معجم الشعراء للرزبانى: «عوف بن كعب بن عامر». (٢) إلى هذه الكلمة ينتهى النسب فى ف. (٣) فى ف: «وخبره يذكر بعد». (٤) فى ف: «وأخبرنى الحسن قال». وفى حـ: «عن محمد بن سعيد». (٥) فى جـ: «ابن بكر». وفى ف: «ابن بكير قال». (٦) كلمة «الليثى» ليست فى ف. (٧) يقال خثرت نفسه بالفتح: غثت وخبثت وثقلت واختلطت.

٢٠

شعرى . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا المتوكل[١] . قال : أنشدنى[٢] ويحك من شعرك ! فأنشده :

للغانياتِ بذى المجاز[٣] رسومُ * فببطنِ مكةَ عهدُهنّ قديمُ

فبِمَنْحَرِ البُدْنِ المقلَّد من مِنًى * حِلَلٌ[٤] تلوح كأنهنّ نجومُ

لا تنهَ عن خُلُقٍ وتأتىَ مثله * عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ[٥]

والهمُّ إن لم تُمضِه لسبيله * داءٌ تضمَّنه الضلوعُ مُقيمُ[٦]

غنّى فى هذه الأبيات سائبُ خاثرٍ من رواية حمادٍ عن أبيه ولم يُجنّسه .

قال وأنشده أيضا :

الشِّعْر لُبُّ المرءِ يَعرِضُه * والقولُ مثلُ مواقعِ النَّبْلِ

منها المقصِّرُ عن رَميّته * ونوافذٌ يذهبْن بالخَصْلِ[٧]

قال وأنشده أيضا :

إنّا معشرٌ[٨] خُلِقنا صُدورا * من يسوّى الصُّدورَ بالأذنابِ

فقال له الأخطل : ويحك يامتوكل[٩] ! لو نبحت الخمر فى جوفك كنت أشعر الناس .

ما قاله فى زوجه رهيمة حين طلبت الطلاق

قال الطوسىّ قال الأصمعىّ : كانت للمتوكل بن عبد الله الكِنانىّ امرأةٌ يقال لها رُهَيمة — ويقال أُمَيمة — وتُكْنى أمَّ بكرٍ ، فأُقعِدت ، فسألته الطلاق ، فقال : ليس هذا حينَ طلاق . فأبت عليه ، فطلقها ، ثم إنها برِئت بعد الطلاق ، فقال فى ذلك :

(١) فى جـ : « قال : المتوكل » . (٢) فى ف : « ويحك ! أنشدنى » .

(٣) ذو المجاز : موضع سوق بعرفة ، وماء لهذيل بعرفة . (٤) الحلل : جمع حلة ، وهى جماعة بيوت القوم . كأنهن نجوم ؛ أى تبدو بدوا ضئيلا كما يبدو النجم ، أو هى متفرقة تفرق النجم .

(٥) هذا البيت يروى لأبى الأسود الدؤلى . (٦) فى ف : « قديم » .

(٧) الخصل : الخطر ، وهو السبق الذى يتراهن عليه . (٨) فى جـ : « إنا معشر » .

(٩) هذه العبارة ، ساقطة من ف .

طربتُ وشاقنى يا أمَّ بكرٍ * دعاءُ حمامةٍ تدعو حَماما
فبتُّ وبات همِّى لى نجِيًّا * أُعزِّى عنكِ قلبا مُستهاما
إذا ذُكرتْ لقلبكَ أمُّ بكرٍ * يبيت كأنما اغتبق المُداما
خَدَلَّجة ترِفُّ غُروبُ فيها * وتكسو المَتْن ذا خُصَلٍ سُخاما (١)
أبَى قلبى فما يهوى سِواها * وإن كانت مودّتها غراما (٢)
ينام الليلَ كلُّ خلِىٍّ همٍّ * [وتأبَى العينُ منِّى أنْ تناما
أُراعِى التالياتِ من الثريّا] (٣) * ودَمعُ العينِ مُنحدِرٌ سِجاما (٤)
على حينَ ارعويت وكان رأسى * كأنَّ على مفارقه ثَغاما (٥)
سعى الواشون حتى أزعجوها * ورثَّ الحبل فانجذم انجذاما
فلستُ بزائلٍ ما دمتُ حيًّا * مُسِرًّا من تذكُّرِها هُيَاما
تُرجِّيها وقد شَحطت نَواها * ومنَّتك المُنَى عاما فعاما
خَدَلَّجة لها كَفَلٌ وثِير * ينوءُ بها إذا قامت قِياما
مُخَصَّرةٌ ترى فى الكشح منها * على تثقيل أسفلِها انهضاما
إذا ابتسمت تلألأ ضوءُ برقٍ * تهلّل فى الدُّجُنّة ثم داما
وإن قامت تأمّل رائياها * غمامةَ صيِّفٍ ولجت غماما (٦)

---

(١) الخدلجة : الممتلئة الذراعين والساقين . وترف : تبرق . وغروب الفم : ماؤه . والخُصل : جمع خُصلة ، وهى اللفيفة من الشعر . والسُّخام : اللين الحسن والأسود .

(٢) الغرام : العذاب . وصدر البيت فى جـ : « أيا قلبى فما تهوى سواها » .

(٣) زيادة عن ف .

(٤) ورد هذا الشطر فى أكثر النسخ عجزا للبيت السابق وفيه تحريف . والتصويب عن نسخة ف .

(٥) الثغام كسحاب : نبت ، ويقال أثغم الرأس إذا صار كالثغامة بياضا .

(٦) الصيف : المطر الذى يجىء صيفا .

إذا تمشى تقـولُ دبيبُ أَيْم (١) * تعـــرّجَ ساعةً ثم آســتقاما
وإن جلست فدُمْيةُ بيتِ عِيد * تُصانُ ولا تُرى إلا لمـاما
فـلو أشكو الذى أشكو إليها * إلى حجـرٍ لراجـعنى الكلاما
أحبُّ دُنُــوّها وتُحِبّ نأيى * وتعتـــام التنائى (٢) لى آعتياما
كأنى من تذكّر أم بكـرٍ * جريحُ أسنّةٍ يشـكو كِلاما
تَسـاقَطُ أنفُسا نفْسى عليهـا * إذا شحَطت (٣) وتغتـمّ آغتماما
غشِيتُ لها منـازلَ مقفِراتٍ * عفَتْ إلا الأياصرَ (٤) والثُّماما
ونؤيا (٥) قـد تهـدّم جانبـاه * ومبنـاها بذى سلمٍ خِيـاما
صِـليني واعلمِى أنى كريمٌ * وأنّ حَـلاوتى خُلِطت عُراما (٦)
وأنى ذو مُجامحـةٍ صَـليبٌ * خُلِقت لمن يمـاكِسنى (٧) لِحـاما
فلا وأبيـكِ لا أنسـاكِ حتى * تُجاوِبَ هَامتى فى القـبر هاما (٨)

٥

١٠

شعر آخر له فى امرأته يمدح فيه حوشبا الشيبانى

والقصيدة التى فيها الغناء المذكور فى أوّل خبر المتوكل يقولها أيضا فى آمرأته هذه ويمدح فيها حَوْشَبا الشَّيبانىّ، ويقول فيها :

٤١ / ١١

إذا وعدَتْكَ معـــروفا لـوتْه * وعَجّلتِ التّجــرُّم (٩) والمطـالا
لها بشرٌ نقِىّ اللونِ صافٍ * ومتْنٌ خُطّ (١٠) فآعتـدل آعتدالا

١٥

(١) كذا فى ف . وفى ط ، ب ، م : «دبيب سيل» . وفى سائر النسخ : «دبيب شول» . والأيم : الحية .
(٢) فى ف : «وتعتام التباعد» . وتعتام : تختار . (٣) شحطت : بعدت . (٤) الأياصر : جمع أيصر، وهو وتد الطنب، أو حبل صغير يشدبه أسفل الخباء . والثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص، وربما حشى وسد به خصاص البيوت . (٥) النؤى : الحفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل . فى ف : «بذى السلم الخياما» . وفى ط ، م : «تهدم جانباها» . (٦) عراما : شراسة وأذى . وفى س ، ج : «عزاما» . (٧) يماكسنى : يشاكسنى . وفى ف : «يشاكسنى» .
(٨) الهامة : الرأس . والهام : جمع هامة، وهى طائر يزعمون أنه يخرج من رأس القتيل فيظل يصيح : اسقونى اسقونى، حتى يؤخذ بثأره . (٩) تجرم عليه : ادعى عليه الجرم .
(١٠) يقال : جارية مخطوطة المتن ؛ أى ممدودة .

٢٠

إذا تمشى تأوّدَ جانباها (١) * وكاد الخصر ينخزل انخزالا
تنوء بها روادفها إذا ما (٢) * وُشاحاها على المتنين جالا
فإن تصبح أميمةُ قد تولّتْ * وعاد الوصل صرْما واعتلالا
فقد تدنو النوى بعد اغتراب (٣) * بها وتفرّق الحىَّ الحِلالا
تُعبِّسُ لى أميمة بعد أُنس * فما أدرى أسخطا أم دلالا
أبِينى لى فربّ أخ مصافٍ (٤) * رزئتُ وما أُحِب به بِدالا
أصرمٌ منكِ هذا أم دلال (٥) * فقد عَنِى الدلال إذًا وطالا
أم استبدلتِ بى ومللتِ وصلى (٦) * فبُوحى لِى به ودعى المِحالا
فلا وأبيكِ ما أهوى خليلا * أقاتِله علَى وصلِي قتالا
وكم من كاشحٍ يا أمّ بكرٍ * من البغضاء يأتكل ائتكالا
لبستُ على قناعٍ من أذاه (٧) * ولولا اللهُ كنتُ له نَكالا

ومما يغنى به من هذه القصيدة قوله :

صوت

أنا الصقر الذى حُدّثتَ عنه (٨) * عِتاق الطير تنْدَخل اندخالا
رأيت الغانياتِ صدفْن لما * رأين الشيبَ قد شَمِل القَذالا
فلم يُلووا إذا رحلوا ولكن (٩) * تولّت عِيرُهم بهم عِجالا

---

(١) تأود : انعطف . وينخزل : ينقطع . (٢) فى ف : « روادفها تنوء بها إذا ما » . والوشاح ينسج من أديم عريضا ويرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها . (٣) النوى : البعد ، وهى مؤنثة . الحلال : القوم الذين يحلون ، وضعا وفيهم كثرة . (٤) المصافى : المخلص . (٥) عنى ، من العناء : وهو التعب والنصب . (٦) المحال : الكيد والمكر . (٧) لم يذكر هذا البيت فى حـ . (٨) عتاق الطير : جوارحها . (٩) فى ف : « وقد رحلوا » .

غنّى فيه عمر الوادىّ خفيفَ رمل عن الهشامىّ . وذكر حبش أنّ فيه لابن مُحرِز ثانى ثقيل بالوسطى، وأحسبه مضافا إلى لحنه الذى فى أوّل القصيدة .

هجاء معن بن حمل فترفع عنه ثم هجاه واعتذر

وقال الطوسى قال أبو عمرو الشيبانى :

هجا معنُ بن حمل بن جَعونة(1) بن وهب، أحد بنى لقيط بن يَعمَر المتوكل بن عبد الله الليثى؛ وبلغ ذلك المتوكل، فترفع عن أن يجيبه، ومكث معن سنين يهجوه والمتوكل معرض عنه . ثم هجاه بعد ذلك وهجا قومه من بنى الديل هجاء قَذِعا استحيا منه وندم، ثم قال المتوكل لقومه يعتذر ويمدح يزيد بن معاوية :

خليلىّ عُوجا اليومَ وانتظرانى * فإن الهوى والهمّ أمُّ أبانِ
هى الشمسُ يدنو لى قريبا بعيدُها * أرى الشمس ما أسْطيعُها وترانِى
نأت بعد قربٍ دارُها وتبدّلت * بنا بَدَلا والدهرُ ذو حَدَثانِ
فهاج الهوى والشوقَ لى ذكرُ حُرّةٍ * من المرْجَحِنّات(2) الثقالِ حَصانِ

غنى فى هذه الأبيات ابن مُحرز من كتاب يونس ولم يجنسه(3) :

سيعلم قومى أننى كنتُ سُورةً * من المجد إنْ داعى المنون دَعانى
ألا ربّ مسرورٍ بموتىَ لو أتى(4) * وآخرَ لو أنْعى له لبَكانِى
خليلىّ ما لَامَ امرأً مثلُ نفسه * إذا هى لامت فاربَعا(5) ودعانِى
ندمتُ على شتمى العشيرةَ بعد ما * تغنّى بها غَورِى(6) وحنّ يمانى

(1) فى ف : « معونة » . (2) مرجحنات : جمع مرجحنة، وهى المرأة السمينة . حصان : عفيفة . (3) فى ف : «ولم يجنسه يقول فيها» . (4) فى ف : «إذا أتى» .
(5) اربعا : توقفا وكفا وارفقا . (6) كذا فى ط، وفيه تخفيف المشدد ثم إسكانه . وفى ب، س، حـ : « عود »، وفى ف :
« ... ... بعدما * حدا بالقوافى مشئم ويمانى » .

قلبت لهم ظهرَ المجنّ وليتنى * رجعتُ بفضلٍ من يدى ولسانى

على أننى لم أرمِ فى الشعرِ مسلما * ولم أهجُ إلا من روى وهجانى (١)

هُمُ بَطِرُوا الحلمَ الذى من سجيّتى * فبدّلت قومى شدّةً بليان (٢)

ولو شئتُمُ أولادَ وهبٍ نزعتُمُ * ونحنُ جميعٌ شملُنا أخوانِ

نهيتُمْ أخاكم عن هجائى وقد مضى * له بعد حول كاملٍ سنتان

فلجّ ومنّاه رجالٌ رأيتُهُم * إذا قارنونى يكرهون قرانى (٣)

وكنتُ امرأً يأبى لىَ الضيمَ أننى * صَرومٌ إذا الأمرُ المُهِمُّ عنانى (٤)

وَصُولٌ صرومٌ لا أقول لِمُدْبر * هلمَّ إذا ما اغتشّنى وعصانى

خليلىّ لو كنتُ امرأً بىَ سقطةٌ * تضعضعْتُ أو زلّتْ بِىَ القدمان

أعيش على بغىِ العُداةِ ورغمِهم * وآتى الّذى أهوَى على الشنآن

ولكنّنى ثَبْتُ المَريرة حازمٌ * إذا صاح طُلّابى ملأْتُ عِنانى (٥)

خليلىّ كم من كاشحٍ قد رميته * بقافيةٍ مشهورةٍ ورمانى

فكان كذات الحيض لم تُبْقِ ماءها * ولم تُنْقِ عنها غُسْلَها لأوان (٦)

ثم إنه يقول فيها ليزيد بن معاوية :

أبا خالدٍ حنّت إليك مطيّتى * على بعدِ منتاب وهَوْل جَنان

أبا خالد فى الأرض نأىٌ ومَفْسَح * لِذِى مِرّة يُرمى به الرَّجَوان (٧) (٨)

فكيفَ ينام الليلَ حرٌّ عطَاؤه * ثلاثٌ لرأس الحولِ أو مائتان

(١) فى حـ : «ولا أهج إلا من ذوى وهجانى» . (٢) بطروا : كرهوا . (٣) كذا فى ف . وفى سائر النسخ : « صارمونى» . (٤) فى حـ : « دعانى» . (٥) فى ف : «جازم * إذا ماج» . (٦) كذا فى أكثر الأصول ، وفى بـ : «لم يبق ماؤها * ولم يبق عنها» (٧) كذا فى حـ ، وفى سائر الأصول : «بذى مرة» . (٨) الرجا : ناحية كل شىء ، وخص بعضهم به ناحية البئر من أعلاها إلى أسفلها ، و يرمى به الرجوان ؛ أى استهين به ؛ فكأنه يرمى به هنالك و يطرح فى المهالك . انظر اللسان (رجا) .

تناهتْ قَلُوصى بعد إسآدِ السُّرى * إلى ملِكٍ جزلِ العطاءِ هِجانِ (١)

ترى الناس أفواجا ينوبون بابَه * لِبِكرٍ من الحاجات أو لعوانِ (٢)

معن أجابه مفتخرا

فأجابه مَعْن بن حَمَلٍ فقال :

ندِمتَ كذاك العبدُ يندم بعد ما * غُلِبتَ وسار الشعر كلَّ مكانِ

ولاقيت قَرْما فى أَرُومةِ ماجدٍ * كريما عزيزا دائمَ الخَطَرانِ (٣)

أنا الشاعر المعروف وجهى ونِسبتى * أعفُّ وتحمينى يدى ولسانى

وأغلِبُ من هاجيتُ عفوا وأنتمى * إلى معشرٍ بِيضِ الوجوه حِسانِ (٤)

فهاتِ إذًا يا بنَ الأتانِ كصاحبِ الـ * ـملوك أبى ، أسيِّدَ كَهُانِ !

فهاتِ كزيدٍ أو كَسَيْحانَ لا تجِدْ * لهم كفُوًّا أو يُبْعثَ الثقلانِ

هجوه عكرمة بن ربعى

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا العتبىّ عن العباس بن هشام عن أبيه عن عَوانة قال : (٥)

٤٣/١١

أتى المتوكل الليثى عِكرمةَ بن رِبعىّ الذى يقال له الفياضُ ، فامتدحه لحرمه ، فقيل له : جاءك شاعر العرب لحرمته ! فقال : ماعرفْتُه . فأرسل إليه بأربعة آلاف درهم ، فأبى أن يقبلها وقال : حرمنى على رءوس الناس ويبعث إلىّ سرا .

نسيبه بحسناء وهو يعانى الرمد وهجاؤه عكرمة

فبينا المتوكل بالحِيرة وقد رمِد رمَدا شديدا ، فمّر بِه قَسٌّ منهم فقال : مالك ؟ قال : رمِدتُ . قال : أنا أعالجك . قال : فافعل . فذَرّه ، فبينا القس عنده وهو مذرور العين مستلْقٍ على ظهره ، يفكر فى هجاء عِكرمة — وذلك غير مطَّرِدٍ له ولا القولُ فى معناه — إذ أتاه غلام له فقال : بالباب امرأة تدعوك . فسح عينيه وخرج إليها ، فسَفَرت عن وجهها فإذا الشمس طالعةً (٦) (٧)

(١) الإسآد : الإسراع فى السير . والسرى : السير آخر الليل . والهجان : الرجل الحسيب .
(٢) فى جـ : «غير عوان» . (٣) القرم من الرجال : السيد المعظم . (٤) فى م، ط، ب، س : « وإنتى » . (٥) كذا فى ط، م . وفى سائر الأصول : « العكلى » . (٦) الذر : طرح الذرور فى العين ، وهو الكحل ونحوه . (٧) فى ف : « فإذا الشمس حسنا » .

حُسْنا ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : أُميةُ. قال : فمن أنت؟ فلم تخبره . قال : فما حاجتك ؟ قالت : بلغنى أنك شاعر فأحببت أن تنسب بى فى شعرك . فقال : أسفرى . ففعلت فكرَّ(١) طرفه فى وجهها مُصعِّدا ومصوِّبا ، ثم تلثَّمت وولَّت عنه ، فاطَّرد له القولُ الذى كان استصعَبَ عليه فى هجاء عِكرمة وافتتحه بالنسيب فقال :

أَجَدَّ اليومَ جيرتُكَ احتمالا * وحثَّ حُداتُهم بِهِمُ الجِمالا(٢)

وفى الأظعان آنسةٌ لَعُوبٌ(٣) * ترى قتلى بغير دمٍ حلالا

أُمَيَّةُ يوم دَيْرِ القَسّ ضنَّت * علينا أن تُنوِّلنا نَوالا

أَبِينى لى فربَّ أخٍ مصافٍ * رُزِئتُ وما أحب به بِدالا

وقال فيها يهجو عكرمة :

أقلنى يا ابن رِبعىّ ثَنائى * وهبْها مِدحةً ذهبت ضَلالا

وهبْها مِدحة لم تُغنِ شيئا * وقولاً عاد أكثرُه وَبالا

وجدنا العِزّ من أولاد بكرٍ * إلى الذُّهْلَيْن يرجع والفَعالا(٤)

أعكرِمَ كنتُ كالمبتاع داراً(٥) * رأى بيعَ الندامةِ فاستقالا

بنو شيبان أكرمُ آل بكرٍ * وأمتنُهم إذا عقدوا حِبالا

رجال أُعطيتْ أحلامَ عادٍ * إذا نطقوا وأيديَها الطوالا

وتيمُ الله حىٌّ حىُّ صِدقٍ * ولكنّ الرَّحَى تعلو الثِّفالا(٦)

---

(١) كذا فى ف ، ط . وفى سائر النسخ : « فكر » . (٢) فى ف : « عجالا » .

(٣) فى ف ، حـ : « كعوب » . (٤) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى ف ، ط : « الفر » .

(٥) كذا فى ف ، وهو الصواب . وفى سائر النسخ : « داء » .

(٦) الثفال : ما وقيت به الرحى من الأرض .

صـــــوت

سـقى دِمنتين لم نجـد لهما أهلا * بحقلٍ لكم يا عزّ قـد رابنى حقلا(١)

فيا عزّ إن واشٍ وشى بىَ عنـدكم * فلا تُكرِميه أنـ تقولى له مهلا

كما نحن لو واشٍ وشى بكِ عندنا * لقلنـا تزحزحْ لا قريبـا ولا سهْلا

ألم يأن لى ياقلبِ أن أترك الجهلا * وأن يُحدِث الشيبُ الملِمُّ لىَ العقلا ٥

على حينَ صار الرأس منّى كأنمـا * علت(٢) فوقه ندّافةُ العُطُبِ الغـزْلا

عروضه من الطويل . الدِّمن : آثار الديار ، واحدتها دِمنة . والحقل : الأرض التى يزرع فيها . والعُطُب هو القطن .

الشعر لكثيّر كلّه إلا البيت الأوّل فإنه آنتحله ، وهو للأفوه الأوْدِىّ . والغناء لابن سريج ثانى ثقيـلٍ بالوسطى عن الهِشامىّ فى الثلاثة الأبيات الأُوَل متوالية . ١٠
وذكر حبش أنه(٣) لمعبـد . وفى الرابع والخامس والثانى والثالث لحنين ثقيل أوّل بالسّبابة فى مجرى البنصر(٤) عن اسحاق، وفيه ثقيل أوّل بالبنصر؛ ذكر ابن المكىّ أنه لمعبد ، وذكر الهِشامى أنه من منحول(٥) يحيى المكىّ .

٤٤/١١

(١) نسب ياقوت هذا البيت لكثير وقال : « حقل مكان دون أيلة بستة عشر ميلا كان لعزة صاحبة كثير فيه بستان » . وروايته : « قد زانتا » . (٢) كذا فى الأصول . والبيت لم يرد فى ف . ١٥
(٣) كذا فى ف ، وفى سائر الأصول : « إنها » . (٤) فى ف : « الوسطى » .
(٥) فى س ، ط : « أنه منحول » .

نسب الأفوَه الأوديّ وشيء من أخباره

نســبه

الأفوه لقب، وآسمه صَلاءة[(١)] بن عمرو بن مالك بنِ عوف بنِ الحارث بن عوف ابنِ منبِّه بن أَوْد بن الصعب[(٢)] بن سعد العشيرة . وكان يقال لأبيه عمـرو بن مالك فارس الشوهاء ؛ وفى ذلك يقول الأفوه :

٥ أبى فارسُ الشوهاء[(٣)] عمرو بن مالكٍ * غـداة الوغى إذ مال بالجـد عاثِر

كان سـيد قومه وقائدهم وشاعرهم

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا ابن أبى سعد عن علىّ بن الصَّباح[(٤)] عن هشام بن محمد الكلبىّ عن أبيه قال :

كان الأفوه من كبار الشعراء القدماء فى الجاهلية ، وكان سـيد قومِه وقائدَهم فى حروبهم ، وكانوا يصدُرون عن رأيه . والعرب تعدّه من حكمائها . وتعدّ داليّته ؛

١٠ معاشر ما بنـوا مجـدا لقومهمُ[(٥)] * وإن بنى غيرُهم ما أفسدوا عادوا

أبياته التى أخذ منها كثير بيتا

من حكمة العـرب وآدابها[(٦)] . فأمّا البيت الذى أخذه كثيّر من شعر الأفوه وأضافه إلى أبياته التى ذكرناها وفيها الغناء آنفا فإنّه من قصيدة يقول فيها :

نُقـاتِل أقواما فنسْبِى نساءَهم * ولم يرَ ذو عِزٍّ لِنسوتنا حِجْـلا[(٧)]

نقود ونأبى أن نُقَاد ولا نرى * لقومٍ علينـا فى مُكارَمةٍ فضلا

١٥ وإنا بِطـاء المشى عند نسائنا * كما قَيِّدتْ[(٨)] بالصّيف نَجْدِيّةٌ بُزْلا

---

(١) فى ف : « كما قدت » . (٢) فى ف ، ب ، حـ : « صلاة » . وفى س : « صلات » .

(٣) فى ف : « بن صعب » . (٤) الشوهاء : اسم فرس . والشوهاء : من الخيل الطويلة الرائعة .

(٥) فى ب ، س ، حـ : « الهشامى » . (٦) فى حـ : « يا معاشر لم يبنوا » . وفى ف :

لنـا معاشر لم يبنـوا لقومهـم * وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا

٢٠ (٧) من أوّل نسب الأفوه حتى هذه الكلمة لم يرد فى نسخة ط .

(٨) الحجل ، بالكسر : الخلخال .

نظل غيارى عند كل ستيرة * تقلّب جيدا واضحا وشوى عبلا (١)

وإنا لنعطى المال دون دمائنا * ونأبى فما نستام دون دم عقلا (٢)

سبب هذه الأبيات

قال أبو عمرو الشيبانى: قال الأفوه الأودى هذه الأبيات يفخر بها على قوم من بنى عامر، كانت بينه و بينهم دماء، فأدرك بثأره وزاد، وأعطاهم ديات من قتل فضلا على قتلى قومه، فقبلوا وصالحوه.

بنو أود وبنو عامر

وقال أبو عمرو (٣): أغارت بنو أود — وقد جمعها الأفوه — على بنى عامر، فمرض الأفوه مرضا شديدا، فخرج بدله زيد بن الحارث الأودى وأقام الأفوه حتى أفاق من وجعه، ومضى زيد بن الحارث حتى لقى بنى عامر بتضارع (٤)، وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب. فلما التقوا عرف بعضهم بعضا، فقال لهم بنو عامر: ساندونا فما أصبنا كان بيننا و بينكم. فقالت بنو أود — وقد أصابوا منهم رجلين —: لا والله حتى نأخذ بطائلتنا (٥). فقام أخو المقتول، وهو رجل من بنى كعب بن أود فقال: يا بنى أود، والله لتأخذن بطائلتى أو لأنحين على سيفى. فاقتتلت أود و بنو عامر، فظفرت أود وأصابت منها كثيرا. فقال الأفوه فى ذلك:

صوت

ألا يا لهف لو شهدت قناتى * قبائل عامر يوم الصبيب

غداة تجمعت كعب إلينا * حلائب بين أفناء الحروب (٦)

فلما أن رأونا فى وغاها * كآساد الغريفة والجبيب (٧)

---

(١) الستيرة: المرأة المستورة. الشوى: اليدان. العبل: الممتلىء التام الخلق.

(٢) العقل: الدية. (٣) من هذه الكلمة حتى البيت الثانى من الصفحة التالية لم يرد فى ط.

(٤) هذه الكلمة ساقطة من جميع الأصول عدا س، ب، وفيهما «يتصارعون» تحريف. وتضارع: موضع بالحجاز ذكره الأفوه فى بيت من الأبيات المذكورة، قال:

وجرد جمعها بيضا خفافا * على جنبى تضارع فاللهيب

وانظر اللسان (لهب) و ياقوت (اللهيب).

(٥) الطائلة: الثأر والوتر. (٦) كذا فى ف، وفى سائر النسخ: «بين أبناء الحروب». والحلائب: الجماعات، والأفناء: الأخلاط. (٧) ورد هذا البيت فى ف. والغريفة: الأجمة. والجبيب: موضع.

٤٥
١١

تداعَوْا ثم مالُوا عن ذراها * كفعل الخامعات من الوجيب (١)
وطاروا كالنَّعام ببطن قَوٍّ * مُواءلَةً على حذر الرقيب (٢)

صوت

كأن لم ترَىْ قبلى أسيرا مكبَّلا * ولا رَجُلا يرمَى به الرَّجَوانِ (٣)
كأنى جوادٌ ضمّه القيدُ بعدما * جرى سابقا فى حَلْبةٍ ورهانِ

٥

الشعر لرجل من لُصوص بنى تميم يعرف بأبى النَّشْنَاش، والغناء لابن جامع ثانى ثقيل بالبِنصر من روايتَى علىّ بن يحيى والهِشامىّ.

* * *

النشناش واعتراضه القوافل وهربه بعد الظفر به، وما كان بينه وبين اللهبى

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سعيد السكرىّ عن محمد ابن حبيب قال:

١٠

كان أبو النَّشناش من مَلَاصِّ (٤) بنى تميم، وكان يعترض القوافل فى شُذَّاذٍ من العرب بين طريق الحجاز والشامِ فيجتاحها. فظفِر به بعض عمال مروان فحبسه وقيده مدّة، ثم أمكنه الهربُ فى وقت غِرّة فهرب، فمر بغرابٍ على بانةٍ ينتِف ريشه وينعَب، فجزِع من ذلك. (٥) ثم مر بحىٍّ من لِهْبٍ فقال لهم: رجل كان فى بلاءٍ وشرّ وحبس وضِيق فنجا من ذلك، ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئا، ونظر عن يساره فرأى غرابا على شجرة بانٍ ينتِف ريشه وينعب. فقال له اللِّهْبىّ: إن صدقتَ

١٥

(١) كذا فى ف. والخامعات: الضباع؛ سميت بذلك لأنها تخمع فى مشيها، أى تعرج، وهى موصوفة بالحمق والجبن. والوجيب: الخوف. وفى سائر الأصول: «كفعل معانت أمن الرجيب».
(٢) كذا على الصواب فى ف؛ وفى سائر النسخ: «كالبغام». وبطن قو موضع. المواءلة: طلب النجاة.
(٣) انظر التعليق (رقم ٨ ص ١٦٥) من هذا الجزء. (٤) ملاص: جمع ملصة (بفتح الميم)، وهو اسم جمع للص. (٥) فى ج: «فجزع من ذلك ثم نظر عن يمينه».

٢٠

الطير يُعاد[1] إلى حوسه وقيده، و يطول ذلك به، و يقتل و يصلب . فقال له : بفيك الحجر[2] . قال : لا بل بفيك . وأنشأ يقول :

وسائلةٍ أين آرتحالى وسائلٍ[3] * ومن يسأل الصُّعلوكَ أين مذاهبُهْ!

مذاهبه أنّ الفِجاج عريضةٌ * إذا ضنّ عنه بالنّوال أقاربُه

إذا المرءُ لم يسرحْ سَوَاما ولم يُرح * سَواما ولم يبسُط له الوجهَ صاحبه[4]

فَلَلموْت خيرٌ للفتى من قُعُوده * عديما ومن مولًى تُعاف مشاربُه[5]

ودَوّيّةٍ[6] قفرٍ يَحارُ بها القطا * سرَت بأبى النّشْناش فيها ركائبُهْ

لِيُدرِكَ ثأرا أو ليكْسِب مغنَما * ألا إنّ هذا الدهرَ تترى عجائبه

فلم أر مثلَ الفقرِ ضاجَعه الفتى * ولا كسواد الليل أخفق طالبُه

فعِش مُعذِرا أو مت كريما فإننى * أرى الموت لا يبقِي على من يطالبه[7]

صــــوت

أصادِرةٌ حُجّاج كعبٍ ومالكٍ * على كل فتلاء الذراعين[8] محنِق

أقام قناةَ الودّ بينى و بينــه * وفارقنى عن شيمة لم ترنّق[9]

عروضه من الطويل. الصادر: المنصرف، وهو ضدّ الوارِد، وأصله من ورودِ المـاء والصَّدَرِ عنه، ثم يقال لكل مقبِلٍ إلى موضع ومنصرِف عنه. وكعب : من خزاعة.

(١) فى ف : « فقال له اللهبى : يؤخذ فيعاد » . (٢) فى ف : « بفيك التراب » .
(٣) فى حـ ، ب : « ارتحال » . (٤) فى ف : « ولم يرح * إليه » .
(٥) فى ف . « من حياته * فقيرا » . وفى جـ : « تدب عقاربه » . (٦) الدوية : المفازة ، وفى ف : « رنانيــة الأرجاء طامسة الصوى » . (٧) المعـذر : الذى له عذر . وفى حـ : « مقترا » . (٨) فى أكثر الأصول : « الذراع » . وقد أثبتنا رواية ف ، حـ .
(٩) فى حـ : « أقيم قناة » .

ومالكٍ : يعنى مالك بن النضر بن كنانة . وكان كثير ينتمى[1] وينمى خزاعة إليهم . ومحنِق : ضامرة . والشيمة : الخلق والطبيعة . وترنَّق : تكدر . والرنَق : الكدر .

الشعر لكثيّر عزّة يرثى خَنْدقًا الأسدىّ ، والغناء للهذلىّ ثانى ثقيلٍ بالخنصر فى مجرى البنصر من رواية إسحاق . وفى الثانى من البيتين ثم الأول لِسياطٍ رملٌ بالبنصر عنه وعن الهشامىّ وعمرو . وفيهما لمعبد لحنٌ ذكره يونس ولم يجنسه . وفى رواية حماد عن أبيه أنّ لحن الهذلى من الثقيل الأول، فإن كان ذلك كذلك فالثقيل الثانى لمعبد . وذكر أحمد بن عبيد أن الذى صح فيه ثقيل أوّل أو ثانى ثقيلٍ .

٤٦ / ١١

(١) فى ف : « كان كثير ينتمى إليهم » .

خبر كثيّر وخَنْدَقٍ الأسدىّ

الذى من أجله قال هذا الشعر

كانا يقولان بالرجعة

حدّثنى محمد بن العباس اليزيدىّ قال حدّثنى محمد بن حبيب. وأخبرنى وكيعٌ قال حدّثنا علىّ بن محمد النوفلىّ عن أبيه. وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة عن آبن داحة، قالوا :

كان خَنْدَقُ بنُ مرة الأسدىّ — هكذا قال النوفلىّ. وغيره يقول : خندق ابن بدر — صديقا لكثيّر، وكانا يقولان بالرجعة[1]، فاجتمعا بالموسم فتذاكرا التشيع. فقال خندق: لو وجدت من يضمن لى عيالى بعدى لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمد صلى الله عليه وسلم، وظلم الناس لهم وغَصْبَهم إياهم على حقهم، ودعوت إليهم وتبرأت من أبى بكر وعمر. فضمن كثيّر عياله، فقام ففعل ذلك وسب أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما وتبرأ منهما.

قال عمر بن شبة فى خبره فقال : أيها الناس إنكم على غير حق، قد تركتم أهل بيت نبيكم، والحقُّ لهم وهم الأئمة — ولم يقل إنه سب أحدا — فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه. ودفن خندق بِقَنَوْنَى[2]. فقال إذ ذاك كثيّر يرثيه :

أصادِرة حُجّاج كعبٍ ومالكٍ * على كل عَجْلَى ضامرِ البطن مُحْنِقِ[3]

بمرثيةٍ فيها ثناء مُحَبَّرٌ * لأزهرَ من أولاد مرة مُعْرِقِ

كأنّ أخاه فى النوائب مُلْجَأً * إلى علمٍ من ركن قُدْسَ المُنطَّقِ[4]

ينال رجالاً نفعه وهو منهمُ * بعيدٌ كعَيُّوقِ[5] الثريّا المعلَّقِ[6]

(١) بعده فى ف : «وكانا خَشَبيَّين جميعا» . وفى حـ : «وكانا حسنيين» . (٢) قنونى : واد من أودية السراة يصب إلى البحر فى أوائل أرض اليمن من جهة مكة . (٣) فى ف : «على كل فتلاء الذراعين محنق» . عجلى : مسرعة . (٤) قدس : جبل عظيم بنجد . والمنطق : المرتفع . (٥) العيوق : نجم أحمر مضىء فى أطراف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها . (٦) فى ف : «المحلق» .

تقول ٱبنة الضَّمرىّ مالكَ شاحبا * ولونُكَ مصفرٌّ وإن لم تَخلَّق (١)

فقلت لها لا تعجبى ، من يمُتْ له * أخٌ كأبى بدرٍ وجَـدِّك يُشْفِق (٢)

وأمرٍ يهُمّ الناسَ غِبُّ نِتَاجِه * كفَيْتَ وكرْبٍ بالدّواهى مطـرِّق (٣)

كشفتَ أبا بدرٍ إذا القوم أحجموا * وعضّت ملاقِى أمرِهم بالمخنَّـق (٤)

٥ وخَصمٍ أبا بدر ألدَّ أبَتَّـه * على مثـل طعم الحنظـل المتفلق (٥)

جزى الله خيرا خَندقا من مكافئٍ * وصاحبِ صِدقٍ ذى حِفاظٍ ومَصْدق

أقام قناةَ الودّ بينى وبينـه * وفارقنى عن شيمـةٍ لم تُرنَّق

حلفت – على أن قد أجنّتكَ حفرةٌ * ببطن قَنُونَى – لو نعيش فنلتـقِى (٦)

لألفيتَنى بالوُدّ بعـدك دائما * على عهـدنا إذ نحن لم نتفرّق

١٠ إذا ما غدا يهتزّ للمجد والنّـدى * أشمُّ كغصن البانة المتـورِّق

وإنى لجازٍ بالذى كان بيننا * بنى أسـدٍ رهطَ ٱبنِ مرةَ خَنْدق

كثير وإنكار الطفيل انتسابه إلى كنانة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز (٧) قال حدّثنا عمر بن شَبّة :

إن كثيِّرا لمـا ٱنتمى إلى قريش وجرى بينه وبين الحَزِين الدِّيلىّ من المُواثبة والهجاء ما جرى بلغ ذلك الطُّفيلَ بن عامر بن واثلةَ وهو بالكوفة ، فأنكر أمرَ كثيّر وٱنتسابَه

١٥ إلى كنانة وتصييرَه خُزاعةَ منهم ، وما فعله الحزين ، فحلف لئن رأى كثيّرا ليضربنه

(١) فى جـ : «حاشبا» . وتخلق : تطيب بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أكثر أجزائه من الزعفران . (٢) يشفق : يجزع ؛ وفى ط : «يسبق» . وفى ف : «يشتق» .
(٣) مطرق : من قولهم طرقت القطاة : حان خروج بيضها . (٤) المخنق : موضع حبل الخنق من العنق . (٥) أبته : الفعل أصله أبات ثم أسند إلى تاء المخاطب ؛ يقال : أباتك
٢٠ الله إباتة حسنة . (٦) فى جـ : «عهدت» . (٧) فى ف : «ابن عبد العزيز الجوهرى» .

٤٧
―
١١

بالسيف أو ليطعننه بالرمح ، فكلمه فيه خندق الأسدىّ — وكان صديقا له ولكثير — فوهبه له ، وآجتمعا بمكة فجلسا مع آبن الحنفية . فقال طفيل : لولا خندق لوفّيت لك بيمينى . فقال يرثيه ، وعنه كان أخذ مقالته :

ونال رجالا نفعُــهُ وهو منهــمُ * بعيــدٌ كعيّوق الثريا المعــلّق[1]

وذكر باقى الأبيات .

٥

نسيبه بعزة

أخبرنى الحَرَمىّ بنُ أبى العــلاء قال حدّثنــا الزبير بن بكار قال حدّثنى محمد آبن إسماعيل قال حدّثنى حُميــدُ بن عبد الرحمن أحد بنى عِتــوارَةَ بن جُدَىّ[2] قال : كان كثيّر قد سلّطه الله يَنْسُب بعزّةَ بنتِ عبد الله، أحدِ بنى حاجب بن عبد الله آبن غِفار[3]، قال : وكان نسوانهم قد لَقِينَها وهى سائرة فى نسائهم فى الجلاء[4]، فى عام أصابت أهلَ تهامةَ فيه حَطْمةٌ شديدةٌ ، وكانت عزّة من أجمل النساء وآدبهن وأعقلهن[5]، ولا والله ما رأى لها وجها قطّ ، إلا أنه استُهِيمَ بها قلبُه لِمَا ذُكر له عنها . فلقيه رجال من الحى لِمَا بلغهم ذلك عنه ، فقالوا له : إنك قد شهرْت نفسك[6] وشهرتنا وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك . قال : فإنى لا أذكرها بما تكرهون . فخرجوا جالِينَ إلى مصرَ فى أعوام الجلاء . فتبعهم على راحلته فزجروه ، فأبى إلا أن يلحقهم بنفسه ، فجلس له فِتيةٌ من جُدَىّ ، قال : وكان بنوضَمْرةَ كلّهم يهونُ عليهم نسيبُه لما يعرفون من براءتها ، إلا ما كان من بنى جُدَىّ[7] فإنهم كانوا صُمعا غُيُرا[8]. فقعد له عون ، أحد بنى جدىّ فى تسعة نفر على مَحالج[9]، فلما جاز بهم تحت الليل أخذوه ، ثم عدلوا به عن الطريق إلى جيفة حمار

١٠

١٥

(١) فى حـ ، ط ، ف : « المحلق » . (٢) لم يذكر محمد بن إسماعيل فى حـ .
(٣) فى حـ : «أحد بنى حاجب من بنى غفار» . (٤) فى بعض الأصول : «الحلاس» ، وصوابه فى ف . (٥) فى حـ ، ط : « من أجمل نساء وآدبه وأعقله » . وفى ف : « من أجمل نساء الناس » . (٦) فى حـ : «شهرت نفسك فاكفف» . (٧) ما بعده إلى «عون» ساقط من ف . (٨) صمع : ذوو حزم . غير : جمع غيور . (٩) فى ف : « مخالج » وفى ط : « محالخ » . والمحالج : جمع محلج كمنبر ، وهو الخفيف من الحمر .

٢٠

كانوا يعرفونها من النهار، فأدخلوه فيها وربّطوا يديه ورجليه، ثم أوثقوا بطن الحمار، فجعل يضطرب فيه ويستغيث، ومضوا عنه، فاجتاز به خندق الأسدىّ، فسمع استغاثته — وهو خَنْدق بن بدر — فعدل إلى الصوت حين سمعه، فوجد فى الجيفة إنسانا، فسأله مَنْ هو وما خبره؟ فأخبره. فأطلقه وحمله وألحقه ببلاده. فقال كُثَيِّر فى ذلك ٥ — قال الزبير أنشدنيها عُمر بن أبى بكر المؤمّلىّ عن عبدالله بن أبى عبيدة مَعْمَر بن المثنّى —

أصادِرةٌ حُجّـاجُ كعبٍ ومالكٍ * على كلّ فتْـلاءِ الذراعين مُحنِق

وذكر القصيدة كلّها على ما مضت.

أخبرنى الحَرَمىّ[1] بن أبى العـلاء قال حدّثنا الزبيرُ قال حدّثنا عمر بن أبى بكر المؤمّلى عن أبى عبيدة قال:

١٠ خَنْدقٌ الأسدىّ هو الذى أدخل كُثيِّرا فى مذهب الخَشَبيّة[2].

كثير يرثى خندقا حين قتل بعرفة

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدىّ قال حدّثنا محمد بن حبيب قال:

لمـا قُتِل خَنْدقٌ الأسدىّ بعرفة رثاه كثيّر فقال:

شجـا أظعانُ غاضرةَ الغوادى * بغيـر مَشُورةٍ عَرَضًـا فؤادى

أغاضِرُ لو شهِـدتِ غداة بِنْتم * حُنُوَّ[3] العائداتِ على وِسـادى

١٥ أويتِ[4] لعاشـقٍ لم تَشْكُيه * نوافِـذه تَـلذّع بالزِّناد

ويومَ الخيلِ قد سفَرت وكفّت * رِداءَ[5] العَصْب عن رَتَلٍ بَراد

(١) فى ط، ف: «الحرمى قال». (٢) الخشبية: قوم من الجهمية يقولون إن الله تعالى لا يتكلم، وإن القرآن مخلوق. وقال ابن الأثير: هم أصحاب المختار بن أبى عبيد. ويقال: هم ضرب من الشيعة، سموا بذلك لأنهم حفظوا خشبة زيد بن على حين صلب. انظر شرح القاموس (مادة خشب).
٢٠ (٣) فى حـ: «جنوء العائدات». (٤) أويت: رثيت وأشفقت. لم تشكيه: لم تجازيه. النوافذ: الفم وثقبا الأذنين والأنف. وفى الديوان: «جوانحه».
(٥) البراد: البارد. وفى ف: «رداء العضب».

ــ الرَّمل : الثغر المستوى النبتُ (١) ــ

وعن نجلاءَ تَدْمَعُ فى بياض (٢) * إذا دَمعت وتنظُر فى سواد

وعن متكاوِسٍ فى العَقْصِ جَثْلٍ * أثِيثِ النبتِ ذى عُذَرٍ جِعاد (٣)

وغاضِرةُ الغداةَ و إن تأتْنا * وأصبح دونها قُطر البِلاد

أحبُّ ظعينةٍ وبناتُ نفسى * إليها لو بَلَلْن بها صَوادِى (٤)

ومن دونِ الذى أمّلت وُدّا (٥) * ولو طالبتُها خَرْطُ القَتاد

وقال الناصحون تحلَّ منها * ببذل قبْل شيمتها الجماد

ــ تحلَّ : أصِب . يقال : ما حَلِيت من فلان بشىءٍ ولا تحلّيت منه بشىء ، ومنه حُلوان الكاهن والراقى وما أشبه ذلك (٦) ــ

فقد وعدَتْك لو أقبلتَ وُدًّا * فلجَّ بك التدلُّل فى تَعادِ (٧)

فأسررتَ الندامةَ يوم نادَى * بردّ جِمال غاضِرةَ المُنادى

تمادى البعدُ دونهمُ فأمستْ * دموعُ العين لجّ بها التّمادى

لقد منَع الرقادُ فبِتُّ لَيْلِى * تجافينى الهمومُ عن الوِساد

عَدانى أن أزورَكِ غيرَ بُغضٍ * مُقامُكِ بين مُصْفِحَةٍ شِداد (٨)

وإنى قائل إن لم أزره * سَقتْ دِيَمُ السَّوارى والغوادى

محلَّ أخى بنى أسدٍ قَنَوْنَى * فما والى إلى بِرْكِ الغِماد (٩)

(١) لم ترد هذه العبارة فى ف. (٢) فى ف : «تلمع فى بياض» . (٣) المتكاوس : المتراكب . والجثل : الشعر الكثير . والأثيث : الكثير العظيم . والعذرة : الناصية ؛ وقيل : الخصلة من الشعر . (٤) فى ط : «لو تلين لها» . (٥) فى ف : «أملت منها» . (٦) العبارة : «وما أشبه ذلك» ساقطة من حـ ، ف . (٧) فى ف : «فى بعاد» . والتعادى : التباعد . (٨) المصفحة : العريضة ، ويريد حجارة القبر . (٩) برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلى البحر .

مقيم بالمجازة من قنونى (١) * وأهلك بالأجيفر والثماد (٢)

فلا تبعد فكل فتى سيأتى * عليه الموت يطرق أو يغادى

وكل ذخيرة لابد يوما * ولو بقيت تصير إلى نفاد

يعز علىّ أن نغدو جميعا * وتصبح ثاويا رهنا بواد

فلو فوديت من حدث المنايا * وقيتك بالطريف و بالتلاد

فى هذه القصيدة عدة أصوات هذه نسبتها قد جمعت .

صوت

أغاضر لو شهدت غداة بنتم * حنو العائدات على وسادى

رثيت لعاشق لم تشكميه * نوافذه تلذع بالزناد

عدانى أن أزورك غير بغض * مقامك بين مصفحة شداد

فلا تبعد فكل فتى سيأتى * عليه الموت يطرق أو يغادى

لمعبد فى البيتين الأولين لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو وآبن المكى والهشامى . وفيهما لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن الهشامى وأحمد بن عبيد . وفيهما للغريض ثانى ثقيل عن ابن المكى . ومن الناس من ينسب لحن مالك إلى معبد أيضا . وفى الثالث والرابع لابن عائشة ثانى ثقيل مطلق فى مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو وغيرهما . ويقال : إن لآبن سريج وآبن محرز وآبن جامع فيهما ألحانا .

غاضرة هذه التى ذكرها كثير مولاة لآل مروان بن الحكم ، وقد روى فى ذكره إياها غير خبر مختلف .

(١) المجازة : منزل من منازل طريق البصرة . (٢) الأجيفر : موضع فى أسفل السبعان من بلاد قيس . والثماد : موضع فى ديار بنى تميم .

فأخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى عمر بن أبى بكر المؤمّلى قال حدّثنى عبد الله بن أبى عبيدة قال :

٤٩ / ١١

أم البنين وما كان بينها وبين وضاح وكثير

حجّتْ أمّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروانَ فقالت لكثيّر ووضّاح : آنسُبابِى . فأمّا وضّاح فنسب بها ، وأما كثيّر فنسب بجاريتها غاضرةَ حيث يقول :

شجا أظعانُ غاضرةَ الغوادِى * بغير مشورة عرضا فؤادِى (١)

قال : وكانت زوجة (٢) الوليد بن عبد الملك ، فقتل وضّاحا ولم يجد على كُثَيِّر سبيلا (٣) .

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزُّهرىّ عن مُحرِز بن جعفر عن أبيه عن بُديح قال :

قدمتْ أمّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان ـ وهى عند الوليد بن عبد الملك ـ حاجّة ، والوليد إذ ذاك خليفة . فأرسلت إلى كثيّر ووضّاح أن آنسُبا بى (٤) . فنسب وضّاح بها ونسب كثيّر بجاريتها غاضرة فى شعره الذى يقول فيه :

* شجا أظعانُ غاضرة الغوادى *

قال : وكان معها جَوارٍ قد فتنّ الناسَ بالوَضاءة .

لابن قيس الرقيات فى أم البنين

قال بُديح : فلقيت عُبيد الله بن قيس الرقيّاتِ فقلتُ له : بمن نسبتَ من هذا القِطِين (٥) ؟ فقال لى :

ما تصنعُ بالشرِّ * إذا لم تك مجنونا
إذا قاسيت ثِقْل الشـ * ـرّ حسّاكَ الأمرّينا (٦)
وقد هِجت بما قد قُلْـ * ـتَ أمرا كان مدفونا

(١) فى حـ ، ط ، م ، ف : «مشية» سهل مشيئة . (٢) فى ف : «وكانت أم البنين زوجة» .
(٣) كذا فى حـ ، ف . وفى سائر النسخ : «ولم يجد لكثير سبيلا» . (٤) فى حـ ، ط ، م : «انسبابى» . (٥) القطين : الحشم والإماء . (٦) الأمرين ؛ بكسر الراء مشددة : الشر والأمر العظيم . حساه : سقاه إياه . وفى جـ : «حباك» .

قال بُديح : ثم أخذ بيدى لخـلا بى وقال لى : يا بديح ، آحفظ عنى ما أقول لك فإنك موضع أمانة ؛ وأنشدنى :

أصحوتَ عن أمّ البنيـ * ـن وذِكرِها وعَنائها
وهجرتَها هجرَ امرئٍ * لم يَقْلِ حمـلَ إخائها
من خيفةِ الأعداء أن * يُوهُـوا أديمَ صفائهـا
قُرشيّةٌ كالشّمس أشـ * ـرقَ نورُهـا ببهائهـا
زادت على البِيض الحسا * نِ بحسنهـا ونقائهـا
لمـا آسبكرّت للشّـبا * ب وقُنّعت بردائهـا (١)
لم تلتفت لِلِداتهـا * ومضت على غُلَوائهـا

غنّى آبن عائشة فى الثلاثة الأبيات الأُوَل لحنا من الثقيل الأول عن الهشامىّ عن يحيى المكىّ . وفى الرابع وما بعده لحُنينٍ لحنان : أحدهما ثانى ثقيل بالبنصر، والآخرُ خفيف ثقيل بالبنصر عن آبنه وغيره . وغنّى إبراهيم الموصلىّ فى الأربعة الأول لحنا آخر من الثقيل الأولِ وهو اللحن الذى فيه آستهلال . وذكر الهشامىّ أن الثقيل الثانى لآبن مُحرز .

قال : فقتل الوليد وضّاحا ولم يجد على كثيّر سبيلا . قال : وحجّت بعد ذلك وقد تقدّم الوليد إليها وإلى من معها فى الحجاب ؛ فلقينى آبن قيس حيث خرجتْ ولم تكلّم أحدا ولم يرها ، فقال لى : يا بُديح :

صـــوت

بان الخليطُ الذى به نَثِـقُ * وآشـتدّ دون المليحة القَلَقُ (٢)
من دون صفراء فى مفاصِلها * لِينٌ وفى بعض بطشها خُرُقُ
إن خَتَمت جاز طينُ خاتَمها * كما تجـوز العَبْديّةُ العُتُـقُ (٣)

(١) اسبكرت : استقامت واعتدلت . (٢) كذا فى ف ، ط . ورواية الديوان : «العلق» .
(٣) العتق : جمع عتيق ، وهى كل نفيس قديم .

غنّى فى هذه الأبيات مالك بن أبى السّمْح لحنا من الثقيل الأوّل بالبنصر، عن عمرو ويونس. وفيها لابن مُسجِح - ويقال لابن مُحرز، وهو مما يشبه غناءهما جميعا وينسب إليهما - خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر. والصحيح أنه لابن مِسجح. وفيها ثانى ثقيلٍ لابن محرز عن ابن المكّىّ. وذكر حبش أن لسياطٍ فيها لحنا ماخُورِيًّا بالوُسطى.

٥ وفى هذه الأبيات زيادة يُغَنَّى فيها ولم يذكرها الزبير فى خبره، وهى :

إنّى لأخْلِي لها الفِـــراش إذا * قَصَّعَ[١] فى حِضْنِ زوجه الحَمِق
عن غير بغضٍ لهـا لدىّ ولـ * ـكن تلك مِنّى سَجِيّـــة خُلُق

قال الزبير : أراد بقوله فى هذه الأبيات :

* إن ختمت جاز طينُ خاتَمِها *

١٠ أنها كانت عند سلطان جائزِ الأمر. والعبدية هى الدنانير، نسبها إلى عبد الملك. ثم وصل ابنُ قيس الرقيات هذه الأبياتَ - يعنى الهائية - بأبياتٍ يمدح بها عبد الملك فقال :

صـــوت

إسمـــعْ أميرَ المؤمنيـ * ـن لِمدحتى وثَنائها[٢]
أنت ابن عائشـة التى * فَضَلت أُرُوم[٣] نسائهـا
متعطّف الأعْياص[٤] حو * لَ سـريرها و فِنائهـا
١٥ وَلَدَتْ أغرَّ مُبـاركا * كالبدر وسْطَ سمائهـا

غنّاه ابن عائشة من رواية يونس ولم يجنّسه. وهذا الشعر يقوله ابن قيس الرقيّات فى عبد الملك لا الوليد.

---

(١) قصع : لزم البيت ولم يبرحه. وفى الأصـول : «قطع»، تحريف، صوابه عن الديوان ١٦١، ولسان العرب (مادة قصع).
٢٠ (٢) هذه الأبيات : ساقطة من جـ.
(٣) الأروم : جمع أرومة، وهى الأصل.
(٤) الأعياص من قريش : أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر، وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص.

إصرار ابن قيس الرقيات على كلمة فى شعره وما كان بينه وبين عبد الملك فى ذلك

أخبرنى الحسين وآبن أبى الأزهر عن حماد عن أبيه عن المدائنىّ : أن عبد الملك لما وهب لآبن جعفر جُرم عبيد الله بن قيس الرقيات وأمّنه ، ثم تواثب أهل الشام ليقتلوه ، قال : يا أمير المؤمنين ، أتفعل هذا بى وأنا الذى أقول :

اِسمــع أمير المؤمنيــ * ــن لِمدحتى وثنائهــا
أنتَ آبن مُعْتلَج البِطا * ح كُدَيِّها وكَدائهــا[1]
ولِبَطْن عائشةَ التى * فضَلَت أرومَ نسائهــا

فلما أنشد هذا البيت قال له عبد الملك : قل «ولنسل عائشة» ، قال : لا بل «ولبطن عائشة» ، حتّى ردّ[2] ذلك عليه ثلاث مرات وهو يأبى إلّا «ولبطن عائشة» . فقال له عبد الملك : اِستحنفر[3] الآن . قال : وعائشة أمّ عبد الملك بنت معاوية بن المغيرة آبن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس . هذه رواية الزبير بن بكّار .

وقد حدّثنا به فى خبر كثيّر مع غاضرةَ هذه بغير هذا محمد بن العباس اليزيدىّ . قال : حدّثنا محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبىّ .

محاورة السائب بن حكيم لغاضرة ولم يكن قد عرفها

وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن آبن الكلبىّ عن أبى عبد الرحمن الأنصارىّ عن السائب بن حكيم السَّدُوسى راوية كثيّر قال :

والله إنى لأسير يوما مع كثيّر ، حتى إذا كنّا ببطن جِدار (جبلٍ من المدينة على أميال) إذ أنا بامرأة فى رِحالةٍ[4] متنقَبة ، معها عبيد لهــا يسعون معها ، فمرّت جَنابى فسلّمتْ ثم قالت : ممن الرجل[5] ؟ قلت : من أهل الحجاز . قالت : فهل تروى لكثير

٥١
١١

(١) كدى وكداء : موضعان بمكة . وقيــل : جبلان . كذا ذكر فى اللسان واستشهد بالبيت .
(٢) فى ف ، جـ : « ردد » . (٣) استحنفر الرجل فى منطقه : مضى فيه ولم يتمكث .
(٤) الرحالة : مركب من جلود لا خشب فيه . (٥) فى ط ، ف ، جـ : «من الرجل » .

شيئا ؟ قلت : نعم . قالت : أما والله ما كان بالمدينة من شىء هو أحب إلىّ من أن أرى كثيّرا وأسمعَ شعره ، فهل تروى قصيدته :

* أهاجك برقٌ آخرَ الليلِ واصِبُ *

قلت : نعم : فأنشدتها إياها إلى آخرها . قالت : فهل ترِوى قوله :

كأنك لم تسمعْ ولم ترقبلها * تفرُّقَ أُلّاف لهنّ حنينُ

قلت : نعم وأنشدتها . قالت : فهل تروى قوله أيضا :

* لعزةَ من أيام ذى الغُصْن شاقنى *

قلت : نعم وأنشدتها إلى آخرها . قالت : فهل تروى قوله أيضا :

* أأطلالَ سُعدَى باللوى تتعهّد *

قلت : نعم وأنشدتها حتى أتيت على قوله :

فلم أر مثلَ العين ضنّت بمائها * علىّ ولا مثلى على الدمع يَحسُدُ

قالت : قاتله الله ! فهل قال مثل قول كثير أحدٌ على الأرض . والله لأن أكون رأيت كثيّرا ، اوسمعتَ منه شعره (١) أحبّ إلىّ من مائة ألف درهم . قال : فقلت : هو ذَالِك الراكبُ أمامك ، (٢) وأنا السائب راويته . قالت : حياك الله تعالى . ثم ركضت بغلتها حتى أدركتْه فقالت : أنت كثيّر ؟ قال : مالكِ ويلك ! فقالت : أنت الذى تقول :

إذا حُسِرتْ عنه العِمامةُ راعها * جميلُ المحيّا أغفلتْه الدواهِن

والله ما رأيت عربيا قطّ أقبحَ ولا أحقرَ ولا ألأمَ منكَ . قال : أنتِ والله أقبح منى وألأم . قالت له : أولستَ القائل :

---

(١) فى جـ : « شعرا » . (٢) فى ف : « هو والله ذلك الراكب أمامك » .

تَراهنّ إلا أنْ يؤدِّين نظرةً * بمؤخِر عينٍ أو يُقلِّبن معصَما

كواظِمَ ما ينطقْن إلا مَحُورة * رجيعةَ قولٍ بعد أن يُتَفهَّما (١)

يحاذرْن منى غيْرةً قد عرفْنها * قديماً فما يضحكْن إلا تبسُّما

لعن الله من يفرَق منك (٢) . قال : بل لعنكِ الله . قالت : أو لستَ الذى تقول :

٥ إذا ضَمْرِيّةٌ عَطَست فنِكها * فإن عُطاسَها طرَفُ الوِداقِ (٣)

قال : من أنتِ ؟ قالت : لا يضرّك أن لم تعرِفنى ولا من أنا . قال : والله إنى لأراكِ لئيمة الأصل والعشيرة . قالت : حيَّاك الله يا أبا صخر ! ما كان بالمدينة رجل أحبَّ إلىّ وجها ولا لقاء منك . قال : لا حياكِ الله ، والله ما (٤) كان على الأرض أحدٌ أبغض إلىّ وجها منكِ . قالت : أتعرفنى ؟ قال : أعرف أنك لئيمة من اللئام . فتعرّفتْ إليه

١٠ فإذا هى غاضرة أمّ ولدٍ لبِشر بن مروان . قال : وسايَرَها حتى سندنا (٥) فى الجبل من قِبَل زَرود (٦) . فقالت له : يا أبا صخر ، أضمن لك مائة ألف درهم عند بِشر بن مروان إن قدِمتَ عليه . قال : أفى سبِّك إيّاى أو سبِّى إياكِ تضمنين لى هذا ؟ والله لا أخرج إلى العراق على هذه الحال ! فلما قامت تودّعه سفَرت ، فإذا هى أحسن من رأيتُ من أهل الدنيا وجها . فأمرتْ له بعشرة آلاف درهم ، فبعد شدٍّ (٧) ما قبلها (٨) وأمرت لى

١٥ بخمسة آلاف درهم . فلما ولَّوا قال : ياسائبُ أين نُغنِّى أنفسنا إلى عِكرمةَ ، انطلق بنا نأكلْ هذه حتى يأتينا الموت . قال : وذلك قوله لمّا فارقتنا :

٥٢/١١

(١) المحورة : الجواب ، يريد أنهن لا ينطقن إلا بعد أن يسألن . (٢) يفرق : يخاف .
(٣) الوداق فى كل ذات حافر : الغلمة . (٤) كذا فى ف وفى سائر النسخ : «ولكن ما» .
(٥) سندنا : علونا . (٦) زرود : اسم جبل . (٧) فى ب ، س ، جـ : «سيرما» .
٢٠ (٨) فى ف : «له» .

شجا أظعانُ غاضرةَ الغوادى * بغير مشيئةٍ[1] عرضا فؤادى

وقد روى الزبير أيضا فى خبر هذه المرأة غير هذا[2]، وخالف المعانى .

كثير وامرأة لقيها بقديد

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنى سليمان ابن عيّاش السعدىّ قال :

كان كثيّر يلق حاجّ المدينة من قريش بقُديد[3] فى كل سنة، فَغفل عاما من الأعوام عن يومهم الذى نزلوا فيه قُدَيْدًا[4] حتى آرتفع النهار، ثم ركب جملا ثقالا[5] وآستقبل الشمس[6] فى يوم صائف، فجاء قُديدًا وقد كلّ وتعب، فوجدهم قد راحوا. وتخلّف فتى من قريش معه راحلته حتى يُبرِد[7]. قال الفتى القرشىّ : فجلس كثيّر إلى جنبى ولم يسلّم علىّ، فجاءت آمرأة وسيمة جميلة، فجلست إلى خَيْمة من خيام قُديد وآستقبلت كثيّرا فقالت : أأنت كثيّر؟ قال : نعم : قالت : ابن أبى جُمعة ؟ قال : نعم . قالت : الذى يقول :

* لعزّة أطلالٌ أبت أن تكلّما *

قال : نعم . قالت : وأنت الذى تقول فيها :

وكنتُ إذا ما جئتُ أجلَلْن مجلسى * وأظهرن منّى هَيْبةً لا تجهُّما

فقال : نعم . قالت : أعلى هذا الوجه هيبة؟ إن كنت كاذبا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فضجر وقال : من أنتِ؟ فلم تجبه بشىء، فسأل المولّيات اللواتى

(١) فى ط : « بغير مشية » بالتسهيل . وفى ف : حذف الشطر الثانى من البيت .
(٢) فى ف : « فى خبر هذه المرأة غير هذه الرواية، وخالف فى معانيها » . (٣) قديد : اسم موضع قرب مكة . (٤) الكلام بعده إلى « قديدا » التالية ساقط من ط .
(٥) ثقالا : بطيئا . (٦) كلمة « الشمس » : ساقطة فى جميع الأصول ما عدا ف .
(٧) أبرد : دخل فى آخر النهار .

فى الحباء بقديد عنها ، فلم يخبرنه شيئا ، فضجر وآختلط . فلما سكن من شأوه[1] قالت : أأنت الذى تقول :

متى تحسروا عنّى العمامة تُبْصروا * جميل المُحيَّا أغفلته الدواهن

أهذا الوجه جَميل المحيّا ؟ إن كنتَ كاذبا فعليك لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين .
٥ فآختلط وقال : والله ما عرفتكِ ، ولو عرفتكِ لفعلتُ وفعلت . فسكتت ، فلما سكن من شأوه قالت : أأنت الذى تقول :

يروق العيونَ الناظراتِ كأنه * هِرَقْلِيُّ وزنٍ أحمرُ التِّبر رَاجِحُ[2]

أهذا الوجهُ يروق العيونَ الناظراتِ؟ إن كنت كاذبا فعليك لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين . فآزداد ضجرا وغيظا وآختلاطا وقال لها : قد عرفتك
١٠ والله لأقطعنّك وقومَك بالهجاء. ثم قام فآلتفتُّ فى أثره ، ثم رجعت طرْفى نحو المرأة فإذا هى قد ذهبت ، فقلت لمولاة من مولياتها بقُديد : لكِ الله علىّ إن أخبرتِنى مَن هـذه المرأة لأطوِينّ لكِ ثوبىَّ هذين إذا قضيتُ حَجّى ثم أُعطِيكِهما . فقالت : والله لو أعطيتنى زِنَتهما ذهبا ما أخبرتك مَنْ هى ؛ هذا كثيِّر وهو مولاى قد سألنى عنها فلم أُخبره. قال الفتى القرشىّ : فرُحت والله و بى أشدُّ مما بكثيّر .
١٥ قال سليمان : وكان كُثَيِّر دميما قليلا[3] أحمرَ أقَيْشِرَ[4] عظيمَ الهامةِ قبيحا .

(١) فى ف : « سكن شأوه » . والشأو : الحزن ؛ يقال : شآه ؛ أى حزنه .
(٢) الهرقلى : الدينار ؛ نسبة إلى هرقل ملك الروم ، وهو أول من ضرب الدنانير والراجح : الموزون .   (٣) فى ف : « عظيما » . والقليل من الرجال : القصير الدقيق الجثة .
(٤) الأقيشر : مصغر الأقشر ، وهو الشديد الحمرة .

نسبة ما فى هذه الأخبار من الشعر الذى يغنى به

صـــوت

منهـا :

أشاقك برقٌ آخرَ الليل واصبُ * تضمَّنه فرْش الجَبَا فالمسارِب[1]

كما أومضَتْ بالعين ثم تبسَّمت * خريع[2] بدا منها جبين وحاجب

وهَبْتُ لِليـلَى ماءه ونبـاته * كما كلُّ ذى وُدٍّ لمن ودّ واهِب

عروضه من الطويل . الواصِب : الدائم، يقال وصَب يصِب وُصُوبا أى دام . قال الله سبحانه : ﴿ وَلَهُ الدِّينُ واصِبًا ﴾ أى دائمـا .

ومنهـا :

صـــوت

لِعزّةَ من أيّامِ ذى الغُصنِ شاقنى * بِضَاحِى قَـرَارِ الرَّوضَتينِ رُسُوم[3]

هى الدار وحْشًا غير أن قد يَحُلُّها * ويَغْنَى بهـا شخـصٌ علىَّ كريمُ

فما برسوم الدّار لوكنتَ عالمـا * ولا بالتِّـلاع المُقْـوياتِ أَهِـيمُ

سألت حكيما أين شطّت بها النّوى[4] * فخـبّرنى مالا أحبُّ حكيم

أجَــدّوا فأمّا آلُ عَزّة غُـدوة * فبانـوا وأمّا واسِـط[5] فمقيـم

لعمرى لئن كان الفؤادُ من الهوى * بـغَى سَـقَمًا إنّى إذًا لَسَـقيمُ

---

(١) فرش الجبا : موضع بالحجاز، ذكره ياقوت، واستشهد بالبيت . وفى الأصول : «فرش الحيا» . وفى ف : «فالمشارب» . (٢) الخريع : المرأة الحسناء . وفى جـ : «حنين» . وفى ف : «جبين وصاحب» . (٣) جاء فى معجم البلدان فى (روضة الجام) بعد هذا البيت الآتى :

فروضــة آجام تهيج لى البكا * وروضات شوطى عهدهن قديم

(٤) فى جـ، ف : «شطت بك» . (٥) واسط : موضع أسفل من جمرة العقبة .

حكيمٌ هـذا هو أبو السائب بن حكيم راوية كثير . ذكر ذلك لنا اليزيدىّ[1] عن ابن حبيب .

فى هـذه الأبيات لمعبد لحنان ، أحدهما فى الثلاثة الأوّل خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى[2] عن الهشامى وابن المكّىّ وحَبَش ، وفى الثلاثة الأُخَر التى أوّلها :

* سألت حكيما أين شطّت بها النوى *

له أيضا ثقيل أوّل بالبنصر عن يونس وحبش . وذكر حَبَشٌ خاصةً أن فيها لكَرْدم خفيف ثقيل آخر، وفى الثالث والثانى لابن جامع خفيف رملٍ عن الهشامى . وقال أحمد بن عبيد : فيه ثلاثة ألحان : ثقيل أوّل وخفيفه ، وخفيفُ رمل .

أخبرنى الحَرَمىُّ بن أبى العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثنى المؤمّلىّ أن ابن أبى عبيدة كان إذا أنشد قصيدةَ كثيّر :

لعزّة من أيامِ ذى الغصن شاقنى * بضاحى قَرار الروضتين رسـومُ

يَتَعازنُ حتى نقول : إنه يبكى .

تمثل الحزين الكنانى بشعر لكثير

أخبرنى الحرمىّ قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى عن الضَّحّاك ابن عثمان قال : قال عروةُ بن أذينة : كان الحزين الكنانى الشاعرُ صديقا لأبى، وكان عشيرا له على النبيذ[3]، فكان كثيرا ما يأتيه ، وكانت بالمدينة قَيْنـةٌ يهواها الحزينُ ويُكثر غشيانَها ، فبيعت وأخرجتْ عن المدينة ، فأتى الحزين أبى ، وهو كئيب حزين كآسمه، فقال له أبى : يا أبا حكيم مالك؟ قال : أنا والله يا أبا عامر كما قال كثيّر :

(١) كلمة « هذا »، ساقطة من ط . (٢) فى ط : « الأول بالوسطى » .
(٣) كذا فى ف ، وفى كل الأصول : « عشيرا على النسب » .

لَعمرِى لئن كان الفؤادُ من الهوى * بَغى سَقماً إنى إذًا لَسقيمُ
سألت حكيما أين شطّت بها النوى * فخبّرنى مالا أُحبّ حكيم

فقال له أبى : أنت مجنون إن أقمت على هذا .

قصيدة كثير فى عزة لما أخرجت إلى مصر

وهذه القصيدة يقولها كثيّر فى عزة لما أُخرجت إلى مصر، وذلك قوله فيها :

ولست براءٍ نحوَ مصرَ سحابةً * وإن بَعُدَتْ إلّا قعدتُ أشيم (١)
فقد يوجَد النِّكْسُ الدنىّ عن الهوى (٢) * عَزُوفا ويصبو المرء وهْو كريم
وقال خليلى مالها إذ لقيتَها * غداةَ الشَّبا (٣) فيها عليك وُجومُ
فقلت له إن المودّة بيننا * على غير فُحْشٍ والصفاءُ قديم
وإنى وإن أعرضتُ عنها تجلُّدا * على العَهْدِ فيما بيننا لَمُقيم
وإن زمانًا فرّق الدهرُ بيننا * وبينكُمُ فى صرفه لَمَشُومُ (٤)
أفِى الحقِّ هذا أنّ قلبَك سالمٌ * صحيحٌ وقلبِى فى هواكِ سَقيم (٥)
وأنّ بجسمى منك داءً مخامرا * وجسْمُك موفورٌ عليك سليم
لعمرُكِ ما أنصفْتِنِى فى مودّتى * ولكنّنى ياعزّ عنكِ حليم
فإمّا تَرَيْنى اليومَ أُبدِى جَلادةً * فإنى لعمرى تحت ذاكِ كَليم
ولستُ ابنةَ الضَّمْرىِّ منكِ بناقمٍ * ذُنوبَ العِدَا إنى إذا لَظَلوم
وإنّى لَذُو وجْدٍ إذا عاد وصلُها * وإنّى على ربى إذا لكريم (٦)

(١) أشيم : أنظر إليها . وفى ط، ح : « تشيم » . (٢) ماعدا ط، ف : « فقد يقعد » .
(٣) الشبا : واد بالأثيل من أعراض المدينة ، وفى الأصول : « السبا » ، وصوابه عن معجم البلدان . (٤) فى ف : « فيه لجد مشوم » . (٥) فى ف : « من هواك » .
(٦) فى ف ، ط : « لئن عاد » . وفى حـ : « فانى على ربى » .

ومنها :

صـــوت

لعزة أطـلال أبت أن تكلما * تهيـج مغانيها الفـؤاد المتيما
وكنتُ إذا ماجئتُ أجللن مجلسى وأظهـرن منّى هيبـةً لا تجهُّما
يُحاذرن منّى غَيرةً قد عرفنها * قديما فما يضحكن إلا تبسُّما

عروضه من الطويل . غنّى فيه مالك بن أبى السّمح لحنين عن يونس . أحدهما ثقيل أوّل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق ، وغيرُه ينسبه إلى معبد . والآخر ثانى ثقيل بالوُسطى عن حبَش ، وفيه لابن مُحرِز خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو والهشامى . وغيره يقول : إنه لحن مالك . وفيــه لابن سُرَيج خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو والهشامى وعلى بن يحيى .

الرشيد ومسرور الخادم وما دار بينه وبين جعفر ابن يحيى حين أمره بقتله

وأخبرنى أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثنى ميمونُ بنُ هارونَ قال حدّثنى من أثق به عن مسرور الخادم :

أن الرشيد لمّا[1] أراد قتل جعفرِ بن يحيى لم يُطْلِعْ عليه أحدا بَتَّةً[2] . ودخل عليه جعفر فى اليوم الذى قتله فى ليلته فقال له : اذهب فتشاغل اليومَ بمن تأنس به واصطَبِح فإنى مصْطَبِح مع الحُرَم . فمضى جعفر ، وفعل الرشيد ذلك . ولم يزل برّ الرشيد وألطافه[3] وتُحفه وتحياته تتَابع إليه لئلا يستوحش . فلما كان فى الليل دعانى فقال لى[4] : اذهب بخفّنى الساعة برأس جعفر بن يحيى ، وضمّ إلىّ جماعةً من الغلمان ، فمضيتُ حتى هجمتُ عليه منزله . وإذا أبو زَكّار[5] الأعمى يغنّيه بقوله :

فلا تَبْعَـدْ فكل فتًى سيأتى * عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادى

(١) زايد فى ج : « رحمه الله تعالى » . (٢) هذه الكلمة ساقطة فى ف .
(٣) فى ط ، ف : « ولطفه » واللطف : بالتحريك : واحد الألطاف : وهو الهدية .
(٤) هذه الكلمة ساقطة فى ف ، ج . (٥) هذه الكلمة ساقطة فى ط ، ف .

فقلت له : فى هذا المعنى ومثله والله جئتك فأجب . فوثب وقال : ما الخبر يا أبا هاشم جعلنى الله فداءك ! قلت : قد أمرتُ بأخذ رأسك . فأكبّ على رجلى فقبّلها وقال : الله الله ، راجعْ أمير المؤمنين فىّ . فقلت : مالى إلى ذلك سبيل . قال : فأعهَدُ؟ قلت : ذاك لك . فذهب يدخل إلى النساء فمنعتُه ، وقلت : اعهد فى موضعك . فدعا بدواة وكتب أحرفا على دَهَش ثم قال لى : يا أبا هاشم بَقيتْ واحدة . قلت : هاتها . قال : خذنى معك إلى أمير المؤمنين حتى أخاطبه . قلت : مالى إلى ذلك سبيل . قال : ويحك لاتقتلنى بأمره على النبيذ . فقلت : هيهات ماشربَ[1] اليوم شيئا . قال : فخذنى واحبسنى عندك فى الدار ، وعاوِدْه فى أمرى . قلت : أفعل . فأخذته ، فقال لى أبو زكّار الأعمى : نشدتُك اللهَ إن قتلتَه إلّا ألحقتَنى به . قلت له : يا هـذا لقد آخترتَ غيرَ مختار . قال : وكيف أعيش بعده وحياتى كانت معه وبه ، وأغنانى عمّن سواه ، فما أحب الحياة بعده . فمضيت بجعفر وجعلته فى بيت وأقفلت عليه ووكّلت به ، ودخلتُ إلى الرشيد ، فلما رآنى قال : أين رأسه ويلَك ؟ فأخبرته بالخبر . فقال : يا بن الفاعلة ، والله لئن لم تجئنى برأسه الساعة لآخذنّ رأسك ! فمضيت إليه ، فأخذت رأسه ووضعته بين يديه . ثم أخبرته خبره ، وذكرت له خبر أبى زكّار الأعمى ، فلما كان بعد مدة أمرنى بإحضاره ، فأحضرته ، فوصله وبرّه وأمرَ بالجراية عليه .

* * *

صـــوت

شعر فى خولة غنى فيه

قفَا فى دار خولةَ فاسألاها * تقادمَ عهدُها وهجرتُماها
بمِحْلالٍ[2] يفوح المسكُ منه * إذا هبّت بأبْطحه صَباها

(١) فى ط : « فقلت ما شرب » .
(٢) المحلال : الأرض السهلة المخصبة ، والأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

أترْعَى حيثُ شاءَت من حِمَانا (١) * وتمنعُنا فلا نرعى حِمَاها

عروضه من الوافر . الشعر لرجل من فَزارة . والغناءُ ذكر حمادٌ عن أبيه أنه لمعبَد ، وذَكَر عنه فى موضع آخر أنه لابن مِسْجَح . وطريقتُه من الثقيل الأوّل مطلق فى مجرى الوسطى .

نسب منظور بن زبان

٥ وهذا الشعر يقوله الفَزارىّ فى خَوْلة بنتِ منظور بن زَبَّان بن سيّار بن عمرو ابن جابر بن عقيل بن هلال بن سُمَىّ بن مازن بن فَزارة بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان . وكان مَنظورُ بن زَبَّانَ سيدَ قومه غيرَ مدافَع ، أمه قَهْطم بنت هاشم بن حَرْمَلةَ — وقد ولَدَتْ (٢) أيضا زُهيرَ بن جَذِيمة — فكان آخذا بأطراف الشرف فى قومه . وهو أحد من طالَ حَمْلُ أمه به .

سبب تسميته منظورا وشعر أبيه فى ذلك

١٠ قال الزبير بن بكّار فيما أجاز لنا الحَرَمىّ بن أبى العلاء والطّوسىّ روايتَه عنهما مما حدّثا به عنه حدّثتنى مُغيرةُ بنتُ أبى عَدىّ . قال الزبير وقد حدّثنى هذا الحديث أيضا إبراهيمُ بن زِيادٍ عن محمد بن طلحة ، وحدّثنيه أحمد بن محمد بن سعيد بن عُقدة عن يحيى بن الحسن العلوىّ عن الزبير قالا جميعا :

حملت قَهْطم بنتُ هاشم بمنظور بن زبّانَ أربعَ سنين ، فولدته وقد جمع فاهُ

١٥ فسماه أبوه منظورا لذلك — يعنى لطول ما انتظره — وقال فيه على ما رواه محمد ابن طلحة :

ما جئتَ حتى قيل ليس بواردٍ * فسُميتَ منظورا وجئتَ على قَدَرِ

وإنّى لأرجو أن تكونَ كهاشمٍ * وإنى لأرجُو أن تسودَ بَنِى بَدْرِ

(١) فى ج : « إذا نرعى » . (٢) كذا فى أخبار منظور التى طبعها ردلف برونو فى الجزء

٢٠ الحادى والعشرين . وفى الأصول : « ولده » تحريف .

تزوّج مليكة زوج أبيـه ففرّق عمر بينهما فتبعتها نفسه وقال شعرا

ذكر الهيثم بن عدىّ عن ابن الكلبى وابن عيّاش، وذكر بعضه الزبيرُ بن بكّار عن عمّه عن مجالد :

أنّ منظورَ بن زبّانَ تزوّج امرأة أبيه — وهى مُلَيكةُ بنتُ سِنانَ[1] بنِ أبى حارثة المُرّىّ — فولدت له هاشما وعبد الجبّار وخَوْلةَ ، ولم تزل معه إلى خلافةِ عمـر بن الخطّابِ رضى الله عنه . وكان يشربُ الخمرَ أيضا ، فرُفِع أمرُه إلى عُمَر ، فأحضره وسأله عما قيل، فاعترف به وقال : ما علِمت أنها حرام[2] . فحبسه إلى وقت صلاةِ العصر، ثم أحلفه أنّه لم يعلم أن الله جلّ وعزّ حرّم ما فعله . فحلف — فيما ذكر — أربعين يمينا . فخلّى سبيلَه ، وفرّق بينه وبين امرأة أبيه وقال: لولا أنك حلفتَ لضربت عنقَـك .

٥٦
١١

قال ابن الكلبى فى خبره : إنّ عمرَ قال له : أتنكِحُ امرأة أبيك وهى أمك ؟ أو ما علِمتَ أن هذا نِكاح المقتِ[3] ! . وفرّق بينهما . فتزوجها محمد بن طلحة .

قال ابن الكلبى فى خبره :

فلما طلّقها أسِف عليها وقال فيها :

ألا لا أُبالِى اليومَ ما صَنَع الدهرُ * إذا مُنِعتْ منّى مُلَيكَةُ والخمـرُ
فإن تكُ قد أمستْ بعيدًا مَزارُها * فحىِّ ٱبنـةَ المُرّىِّ ما طَلَعَ الفجْرُ
لَعَمْرِىَ ما كانتْ مُلَيكةُ سَوْءَةً * ولا ضُمّ فى بيتٍ على مِثْلِها سِتْرُ

وقال أيضا :

لعمـرُ أبى ، دِينٌ يُفَرِّق بيننا * وبينَـك قَسْرًا إنّه لَعظيمُ

وقال حُجرُ بن معاوية بن عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذيفةَ لمنظور :

(١) فى ف : « مليكة بنت خارجة بن سنان » . (٢) فى ف : « ما علمت أن هذا حرام » .
(٣) نكاح المقت : هو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده .

لَبِئس ما خلفَ الآباءَ بعــدَهُمُ * فى الأمّهاتِ عِجَانُ(١) الكلبِ منظورُ
قد كنْتَ تغمِزُها والشيخ حاضِرُها * فالآن أنت بطُول الغمزِ معــذُور

تزوّجت ابنته خولة الحسن بن على بعد موت زوجها

قال أبو الفرج الأصبهانى(٢) : أخطأ ابن الكلبى فى هذا. وإنما طلحةُ بنُ عبيد الله الذى تزوّجها؛ فأما محمد فإنه تزوّجَ خــولة بنتَ منظورٍ فولدت له إبراهيم بن محمد وكان أعرجَ ، ثم قُتِل عنها يوم الجمل، فتزوّجها الحسن بن علىّ عليهما السلام ، فولدت له الحسن بن الحسن عليهما السلام. وكان إبراهيم بن محمد بن طلحةَ نازعَ بعضَ ولد الحُسين بن علىّ بعضَ ما كان بينهم وبين بنى الحسن من مال علىّ عليه السلام، فقال الحُسينىّ لأمير المدينة : هذا الظالم الضالِــع الظالِــع(٣) — يعنى إبراهيم — فقال له إبراهيم : والله إنى لأُبغِضُك(٤) . فقال له الحسينى : صادق، والله يحب الصادقين ، وما يمنعك من ذلك وقد قتَلَ أبى أباكَ وجدَّك، ونالَكَ عمى أمّك؟ — لا يَكْنِي — فأمر بهما فأُقيما من بين يدى الأمير .

لقى مليكة بعــد فراقها فتعرض لها وازوجهــا

رجع الخبرُ إلى رواية ابن الكلبى قال: فلما فرّق عمر رضى الله عنه بينهما وتزوّجت رآها منظورٌ يوما وهى تمشى فى الطريق — وكانت جميلة رائعة الحسن — فقال: ياأُمَليكَةُ، لعن الله دينا فرّق بينى و بينك! فلم تكلمه وجازت، وجاز بعدها زوجها؛ فقال له منظور: كيف رأيت أثرَ أَيرى فى حِرِ مُليكة ؟ قال : كما رأيتَ أثَرَ أيرِ أبيك فيه ، فأفحمه . و بلغ عمرَ رضى الله عنه الخبر فطلبه ليعاقبه ، فهرب منه .

رجع إلى زواج ابنته خولة بالحسن

وقال الزبير فى حديثه : فتزوّج محمــد بن طلحة بن عبيد الله خولةَ بنتَ منظورٍ فولدت له إبراهيم وداود وأمّ القاسم بنِي محمد بن طلحةَ ، ثم قتِل عنها يوم الجمــل ، فخَلَف عليها الحسنُ بن علىّ بن أبى طالب عليهما الســلام ، فولدت له الحسن بن الحسن رضى الله عنهما .

(١) العجان : الآست . (٢) فى ف : « قال مؤلف هذا الكتاب » .
(٣) الضالع : الجائر، والظالع : المتهم . (٤) فى ف : « الله يعلم أنى أبغضك » .

قال الزبير : وقال محمد بن الضحاك الحزامىّ عن أبيه :

تزوّج الحسن عليه السلام خَولة بنت منظور، زوّجه إياها عبد الله بن الزبير وكانت أختُها تحته .

وأخبرنى أحمد بن محمد بن سعيد قال حدّثنى يحيى بن الحسن قال حدّثنى موسى بن عبيد الله[(١)] بن الحسن قال :

جعلت خولةُ أمرَها إلى الحسن عليه السلام فتزوّجها، فبلغ ذلك منظورَ بن زبّان فقال : أمثلى يُفتات عليه فى ابنته ! فقدِم المدينة، فركز راية سوداء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يبق قيسىّ بالمدينة إلا دخل تحتها، فقيل لمنظور بن زبان : أين يُذْهَبُ بك ! تزوّجها الحسن بن علىّ عليه السلام وليس مثله أحد. فلم يقبل. وبلَغ الحسن عليه السلام ما فعل، فقال له : ها، شأنك بها[(٢)] . فأخذها وخرج بها . فلما كان بقُباء جعلَت خولةُ تُنَدِّمُه وتقول : الحسن بن علىّ سيد شباب أهل الجنة . فقال : تلبَّثى ها هنا، فإن كانت للرجل فيك حاجة فسيلحقنا ها هنا. قال : فلحقه الحسن والحسين عليهما السلام وابن جعفر وابن عباس ، فتزوّجها الحسن ، ورجع بها . قال الزبير : ففى ذلك يقول جفير العبسىّ[(٣)] :

إنّ النَّدَى من بنى ذُبيانَ قد عَلِموا * والجُودَ فى آل منظورِ بنِ سيّارِ
الماطرين بأيديهم نَدًى دِيَمًا[(٤)] * وكلِّ غيث من الوَسْمِىّ مِدرارِ
تَزُورُ جاراتِهم وهْنًا[(٥)] فواضِلُهم * وما فَتاهم لها سرًّا بزوّار
تَرضَى قريشٌ بهم صِهرا لأنفسهم * وهُمْ رضًا لبنى أُختٍ وأصهارِ

(١) فى ط ، ف : « عبد الله » . (٢) فى ف : « فقال له شأنك بها » .
(٣) كذا فى جميع الأصول ، والذى يعرف من أسمائهم جبفر. (٤) الوسمى : مطر الربيع الاول .
(٥) الوهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه ، والفواضل : الأيدى الجسيمة .

لما أسنت خولة بنته برزت للرجال وغناها معبد بشعر قيل فيها فطربت

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني آبن أبي أيّوب عن آبن عائشة المغنّي عن مَعْبد :

أن خولة بنت منظور كانت عند الحسن بن عليّ عليهما السلام ، فلما أسنّت مات عنها أو طلّقها ، فكشفَت قِناعَها و برزت للرجال . قال معبد : فأتيتُها ذات يوم أطالبها بحاجةٍ ، فغنيّتها لَحْني في شعرٍ قاله فيها بعض بني فَزارة ،وكان خَطَبها فلم يُنكِحها أبُوها :

قفَا في دار خولة فآسألاها * تقادم عهدُها وهَجرتُماها

بجِلالٍ كأن المسك فيه * إذا فاحت بأبطَحِه صَبَاها[1]

كأنّك مُزْنَةٌ برقت بلَيلٍ * لِحرّانٍ يُضيءُ له سَنَاها

فلم تُمطِرْ عليه وجاوزَتْه * وقد أشفَى عليها أورَجاها

وما يَسلا فُؤادى فاعلَميه * سُلُوَّ النفسِ عنكِ ولا غِنَاها

وتَرعَى حيث شاءَت من حِمانا * وتمنعُنا فلا نَرعَى حِماها

قال[2] : فطرِبت العجوز لذلك ،وقالت : يا عبد آبن قَطَن ، أنا والله يومئذ أحسَنُ من النارِ الموقَدةِ في اللّيلة القرّة[3] .

صـــوت

لله درّ عِصَابةٍ صاحبتُهم * يومَ الرُّصافةِ مثلُهم لم يُوجدِ

متقلّدين صَفائحًا هِندِيّةً * يتركْن مَن ضَربُوا كأن لم يُولَدِ

وغدا الرجال الثائرون كأنّما * أبصارهم قِطَعُ الحديدِ الموقَدِ

عروضه من الكامل . الشعر للجحّاف السُّلمى الموقِع ببنى تغلِب فى يوم البِشر . والغناء للأبجَرِ ثقيل أول بالبنصر فى مجراها عن إسحاق .

(١) كذا فى ف ؛ وفى سائر الأصول : « باحت » . (٢) زاد فى ف : « عروضه من الوافر » . (٣) القرة : الباردة .

خبر الجحّاف ونسبه وقصّته يوم البشر

نسبه

هو الجحّاف بن حَكِيم بن عاصم بن قيس بن سِباع بن خُزاعِىّ بن مُحَارِبِىّ[(١)] بن فالج ابن ذَكْوانَ بن ثَعْلَبة بن بُهْثة بن سُلَيْم بن منصور .

قصته يوم البشر وسبب ذلك

وكان السببُ فى ذلك فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدى وعلىّ بن سليمان الأخفش قالا حدّثنا أبو سعيد السكرىّ عن محمد بن حبيب عن ابنِ الأعرابى ، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىُّ وحبيبُ بنُ نصرٍ المهلّبىّ قالا حدثنا عمر بن شَبَّة، وقد جَمَعْتُ رواياتهم . وأكثرُ اللفظ فى الخبر لابن حبيب :

٥٨ / ١١

أن عُمَيرَ بنَ الحُبَاب لمّا قَتَلَتْهُ بنو تغلِب بالحَشَّاك — وهو إلى جانب الثّرْثار، وهو قريبٌ من تَكْرِيتَ - أتى تميمُ بنُ الحُباب أخوه زُفَرَ بن الحارث فأخبره بمقتل عمير، وسأله الطلب له بثاره، فكرِه ذلك زُفَرُ، فسار تميم بن الحُباب بمن تَبِعه[(٢)] من قيس، وتابعه على ذلك مسلم بن أبى ربيعة العُقَيْلى . فلما توجهوا نحو بنى تغلِبَ لقيهم الهذيل فى زراعة لهم، فقال : أين تريدون ؟ فأخبروه بما كان من زفر، فقال : أمهلونى ألْقَ الشّيخَ . فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زُفَر، فقال : ما صنعت ! والله لئن ظُفِر بهذه العصابة إنه لعارٌ عليك ، ولئن ظفِروا إنه لأشدّ ؛ قال زُفَر : فاحِبس علىّ القومَ ؛ وقام زفر فى أصحابه، فحرّضهم، ثم شخَص واستخلف عليهم أخاه أوْسا، وسار حتى انتهى إلى الثّرْثار فدفنوا أصحابهم ، ثم وجّه زُفر بن الحرث يزيد بن حُمران فى خيل، فأساء إلى بنى فَدَوْكَس من تغلب، فقتل رجالهم واستباح أموالهم، فلم يبق فى ذلك الحىّ غير امرأة واحدة يقال لها حُمَيْدة بنت امرئ القيس عاذت بابن حُمران فأعاذها. وبعث الهذيلَ إلى بنى كعبَ بن زهير فقتل فيهم قتلًا

(١) فى ب ، س : « مخازى » وفى ط : « محارى » ، تحريف ، والتصحيح من المقتضب من جمهرة النسب (الورقة ٤٥) . (٢) فى ف : « بمن معه » .

ذريعا . وبعث مُسْلِمَ بنَ رَبيعةَ إلى ناحية أخرى فأسرع فى القتل . وبلغَ ذلك بنى تَغْلِبَ واليمن ، فارتحلوا يريدون عُبورَ دجلة ، فلحقهم زُفَرُ بالْكُحَيْل — وهو نهرٌ أسفل الموصل مع المغرب — فاقتتلوا قتالا شديدا ، وتَرَجَّلَ أصحابُ زفر أجمعون ، وبقى زفر على بغل له ، فقتلوهم من لَيْلَتِهِمْ ، وبَقَرُوا ما وجدوا من النساء . وذُكِر أن من غرِق فى دجلة أكثرُ

٥ ممَّن قُتِل بالسيف ، وأنّ الدّم كان فى دجلةَ قريبًا من رَمْيةِ سهم . فلم يزالوا يقتلون مَنْ وجدوا حتى أصبحوا ، فذُكِر أن زفر دخل معهم دجلةَ وكانت فيه بُحَّةٌ ، فجعل ينادى ولا يسمعه أصحابه[1] ، ففقدوا صوته وحسبوا أن يكون قُتِل ، فتذامروا[2] وقالوا : لئن قتِل شيخُنا لمَا صَنَعْنَا شيئا ، فاتبعوه فإذا هو فى دجلة يصيح بالناس — وتغلبُ قد رمت بأنفسها تعبر فى الماء — فخرج من الماء وأقام فى موضعه . فهذه الوقعةُ الْحَرَجِيّةُ

١٠ لأنهم أحرِجوا فألقوا أنفسهم فى الماء . ثم وجّه يزيدَ بنَ حُمران وتميم بن الحُباب ومسلم بن ربيعة والهذيل بن زفر فى أصحابه ، وأمرهم ألّا يلقَوْا أحدا إلا قتلوه ، فانصرفوا من ليلتهم ، وكُلٌّ قد أصاب حاجته من القتل والمال ، ثم مضى يستقبِل الشّمال فى جماعة مِنْ أصحابه ، حتّى أتى رأس الأثيل ، ولم يُخَلِّ[3] بالكُحَيل أحدًا — والكُحَيلُ على عشرة فراسخَ من الموصل فيما بينها وبين الجنوب — فصعد قِبلَ رأس الأثيل ، فوجد

١٥ به عسكرا من اليمن وتغلب ، فقاتلهم بقية ليلتهم ، فهربت تغلبُ وصبرت اليمن . وهذه الليلةُ تسميها تَغلب ليلة الهرير . ففى ذلك يقول زُفَرُ بنُ الحارث ، وقد ذُكِرَ أنها لغيره :

ولمّا أن نعى النّاعى عُمَيْرًا * حسبتُ سماءهم دُهِيت بليلِ

دهِيت بليل ، أى أظلمت نهارا كأن ليلًا دهاها

وكان النجمُ يطلُعُ فى قَتَامٍ[4] * وخاف الذُّلَّ مِنْ يَمَنٍ سُهَيلُ

٢٠ (١) كذا فى معظم الأصول ، وفى ف : «فلا يسمع صوته ففقده أصحابه» . (٢) تذامروا : حض بعضهم بعضا على القتال . (٣) كذا فى معظم الأصول ، وفى ف : «لم يخلف أحدا» ، وفى جـ : «لم يخلف أحد» . (٤) القتام : الغبار . وفى البيت إقواء .

وكنتُ قبيلَها يا أمَّ عمرو * أُرَجِّلُ لِمَّتى[1] وأجرُّ ذيلى

فلو نُبِش المقابرُ عن عمير * فيخبَرَ مِنْ بلاء أبى الهذيل

غداةَ يقارعُ الأبطالَ حتى * جرى منهم دمًا مَرْجُ[2] الكُحَيْل

قُبَيْلٌ يَنْهَدون[3] إلى قبيلٍ * تساقَى الموتَ كيلًا بعد كيل

وفى ذلك يقول جرير يعيِّر الأخطل :

أنَسيتَ يومَك بالجزيرة بعدما * كانت عواقبُه عليك وبالا !

حملتْ عليك حُماةُ قيس خيلَها * شُعْثًا عوابسَ تحمِلُ الأبطالا

مازلتَ تحسِبُ كلَّ شىء بعدهم * خيلًا تَكُرُّ عليكمُ ورجالا

زفَرُ الرئيسُ أبو الهذيل أبادكم * فسَبَى النساءَ وأحرز الأموالا

أغراء الأخطل بشعره بأخذ الثار من تغلب ففعل وفر إلى الروم

فلما أن كانت سنة ثلاث وسبعين، وقُتِل عبدُ الله بنُ الزبير هدأتِ الفتنةُ واجتمع الناس على عبد الملك بنِ مروانَ، وتكافَّتْ قيس وتغلبُ عن المَغازى بالشام والجزيرة، وظنّ كلُّ واحد من الفريقين أنّ عنده فضلا لصاحبه، وتكلم عبدُ الملك فى ذلك ولم يُحكِم الصلح فيه، فبينا هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطلُ عبدَ الملك بن مروان وعنده وجوه قيس قولَه :

ألا سائلِ الجحّافَ هل هو ثائرٌ * بقتلَى أُصيبتْ مِنْ سُلَيْمٍ وعامرِ !

أجحافُ إنْ نهبِطْ عليك فتلتقى * عليك بحورٌ طامياتُ الزواخِرِ

تكن مثلَ أبداءِ[4] الحَبابِ الذى جرى * به البحرُ تزهاهُ[5] رياحُ الصراصِرِ

---

(١) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٢) المرج : الفضاء أو أرض ذات كلأ ترعى فيها الدواب . (٣) ينهدون : ينهضون .

(٤) كذا فى الأصول، وفى الديوان : « أقذاء الحباب » .

(٥) زهت الريح الشجر تزهاه : هزته وحركته . وفى ف : « ترفيه » .

فوثب الجحاف يجرّ مُطْرَفه وما يَعقِلُ من الغضب ، فقال عبد الملك للأخطل : ما أحسبك إلا قد كسبْتَ قومَك شرا . فافتعل الجحاف عهدا من عبد الملك على صدقات بكرٍ وتغلِب ، وصحِبه من قومه نحوٌ من ألف فارس ، فسار بهم حتى بلغ الرُّصافة - قال : وبينها وبين شط الفرات ليلةٌ ، وهى فى قِبْلة الفرات - ثم كشف لهم أمره ، وأنشدهم شعرَ الأخطل ، وقال لهم : إنما هى النارُ أو العارُ ، فمن صبرَ فليتقدّم ومن كره فليرجع ، قالوا : ما بأنفسنا عن نفسك رغبةٌ ، فأخبرهم بما يريد ، فقالوا : نحنُ معك فيما كنتَ فيه من خيرٍ وشرٍّ ، فارتحلوا فطرقوا صُهَيْن[1] بعد رُؤْبة[2] من الليل - وهى فى قِبلة الرصافة وبينهما ميل - ثم صبّحوا عاجنة الرَّحوب فى قِبلة صُهَيْن والبِشر - وهو وادٍ لبنى تغلب - فأغاروا على بنى تغلب ليلا فقتلوهم ، وبقروا من النساء من كانت حاملا ، ومن كانت غيرَ حامل قتلوها . فقال عمرُ بنُ شَبّة فى خبره : سمعت أبى يقول : صعِد الجحافُ الجبلَ - فهو يوم البِشر ، ويقال له أيضا يومُ عاجنة الرَّحوب ، ويومُ مَخاشِن ، وهو جبلٌ إلى جنب البِشر ، وهو مروج السَّلوطح لأنه بالرحوب - وقَتَل فى تلك الليلة ابنا للأخطل يقال له أبو غِياث ، ففى ذلك يقول جرير له :

شربتَ الخمر بعد أبى غِياثٍ * فلا نعِمت لك النشوات[3] بالا

قال عمرُ بنُ شبّة فى خبره خاصّةً :

ووقع الأخطلُ فى أيديهم ، وعليه عباءةٌ دَنِسة ، فسألوه فذكر أنّه عبدٌ من عبيدهم ، فأطلقوه ، فقال ابنُ صَفّار فى ذلك :

لم تنسج إلا بالتعبّد نفسُه * لمّا تيقن أنهم قومٌ عِدا

وتشابهت بُرْقُ[4] العَباء عليهمُ * فنجا ولو عرفوا عباءته هوى

(١) هكذا ضبط فى ط . (٢) رؤبة : قطعة ، وأصلها القطعة يسد بها ثلمة الإناء .
(٣) كذا فى ط ؛ وفى جـ ، ب ، س : « النشوات » . (٤) الأبرق : كل شىء اجتمع فيه سواد وبياض ، وهى برقاء والجمع برق .

وجعل يُنادى : من كانت حاملا فإلىّ ، فصعِدْنَ إليه ، فجعل يبقُرُ بطونهنّ . ثم إن الجحاف هرب بعد فعله ، وفرّق عنه أصحابه ولحق بالروم . فلحق الجحافَ عُبَيْدَةُ ابنُ همامٍ التغلبيّ دون الدَّرْبِ ، فكرّ عليه الجحاف فهزمه ، وهزم أصحابَه وقتلهم ، ومكث زمنا فى الروم ، وقال فى ذلك :

فإن تَطْرُدونى تطردونى وقد مضى * من الوِرْدِ يومٌ فى دماء الأراقم[1]
لدن ذَرَّ قرنُ الشمس حتى تلبَّسَتْ * ظلاما بركض المُقْرَبات الصلادِمِ[2]

حتّى سكن غضبُ عبدِ الملك ، وكلّمتْهُ القَيْسية فى أن يُؤمنه ، فَلاَنَ وتلكأ ، فقيل له : إنا والله لا نأمنُه على المسلمين إن طال مُقامُه بالروم ؛ فأمّنــه ، فأقبل فلما قدِم على عبد الملك لقِيه الأخطلُ فقال له الجحاف :

رجـع بعـد عفو عبدالملك عنه وتمثل بشعر الأخطل

أبا مالكٍ هل لمتنى إذ حضضتَنى * على القتل[3] أَمْ هل لامنى لك لائمى
أبا مالكٍ إنى أطعتُــك فى التى * حضضتَ عليها فعلَ حَرّانَ حازمِ
فإن تدعُنى أخرى أُجِبْك بمثلهـا * وإنى لَطَبٌّ[4] بالوغَى جِــدُّ عالمِ

قال ابن حبيب :

فزعموا أن الأخطلَ قال له : أراكَ والله شيخَ سَوْءٍ . وقال فيه جرير :

فإنّك والجحافَ يوم تَحُضُّــه * أردتَ بذاكَ المُكثَ والوِرْدُ أعجلُ
بكى دَوْبَلٌ لا يُرقِئُ اللهُ دمعَــه * ألا إنمـا يبكى مِنَ الذُّلِّ دوبلُ[5]
وما زالت القتــلى تمورُ دماؤهم * بدِجلةَ حــتى ماءُ دجلةَ أشْكَلُ[6]

(١) الأراقم : حىّ من تغلب وهم جشم ، أو هم بنو بكر وجشم ومالك والحارث ومعاوية ، سموا كذلك تشبيها لعيونهم بعيون الأراقم من الحيات . (٢) المقربات من الخيل : التى ضمرت للركوب فهى قريبة معدّة . والصلادم : جمع صلدم ، كزبرج وهو الفرس الصلب الشديد .
(٣) فى معجم البلدان «على الثأر» . (٤) الطب : الخبير الحاذق .
(٥) الدوبل : الخنزير أو ولده ، ورقأ الدمع : جف وسكن . (٦) مار الدم : جرى ، والأشكل : ما فيه بياض يضرب إلى الحمرة والكدرة .

فقال الأخطل : ما لجرير لعنـه الله! والله ما سَمَّتْنى أمى دَوْبلا إلّا وأنا صبىٌّ صغير ثم ذهب ذلك عنى لمـا كبِرت . وقال الأخطل :

لقـد أوقع الجحّاف بالبِشْر وقعةً * إلى الله منهـا المُشْتَكى والمُعَوَّلُ

فسائل بنى مروان ما بالُ ذمّـةٍ * وحبـلٍ ضعيفٍ لا يزال يُوَصَّـلُ

فإلّا تُغَـيِّرْها قريش بِملْكهـا * يكن عن قريشٍ مُستَرادٌ ومَزْحَلُ (١)

فقال عبد الملك حين أنشده هـذا : فإلى أينَ يا بنَ النَّصْرانية ؟ قال : إلى النـار قال : أولى لك لو قلتَ غيرها ! قال : ورأى عبـدُ الملك أنه إن تركهم على حالهم لم يُحْكِم الأمر ، فأمر الوليدَ بنَ عبـد الملك ، فحمل الدماء التى كانت قبـل ذلك بين قيس وتغلب ، وضمَّن الجحّاف قتل البِشر ، وألزمه إياها عقوبةً له ، فأدّى الوليد الحمالات ، ولم يكن عند الجحاف ما حُمِّل ، فلحق بالحجّاج بالعراق يسأله ما حُمِّل لأنه من هوازِن ، فسأل الإذنَ على الحجاج ، فمنعه . فلقى أسماءَ بنَ خارجة ؛ فعَصَبَ حاجته به فقال : إنى لا أقدرُك على منفعةٍ ، قد علِم الأمير بمكانك وأبى أن يأذن لك ، فقال : لا والله لا أُلْزِمُها غيرك أُنجِحتْ أو أُكْدتْ (٢) ، فلما بلغ ذلك الحجاج قال : ما له عندى شىء ، فأبلغه ذلك ؛ قال : وما عليك أن تكونَ أنت الذى تُونسه فإنه قد أبى ، فأذن له فلمّا رآه قال : أعهدتنى خائنًا لا أبا لَكَ ! قال : أنت سيدُ هوازن ، وقد بدأنا بِك ، وأنت أميرُ العراقين (٣) ، وابنُ عظيم القريتين (٤) ، وعُمالتُك فى كل سنة خمسُمائة ألف درهم ، وما بِك بعدها حاجة إلى خيانةٍ (٥) ؛ فقال : أشهد أن الله تعالى وفّقك ، وأنّك نظرت بنور الله ، فإذا صدقت فلك نصفُها العام ، فأعطاه وأدّوا البقية . قال : ثم تألّه (٦) الجحاف

حمله الوليد دية قتلى البشر فاستطاع أن يأخذها من الحجاج

٦١ / ١١

تنسك وخرج إلى الحج فى زى عجيب

(١) فى معجم البلدان : « ... بعدلها * يكن عن قريش مستماز ومزحل » . بملكها ، أى بقدرتها ، والمستراد فى الأصل : المرعى ، من استرادت الدابة : رعت ؛ ومزحل : مبعـد ، من زحل عن مكانه زال وتنحى . (٢) أكدى : أصـله من أكدى الحـافر : إذا حفر فبلغ الكدية وهى الصخرة فانقطع عن الحفر . (٣) العراقان : الكوفة والبصرة . (٤) القريتان : مكة والطائف . (٥) كذا فى ف ؛ وفى معظم الأصول « وما بك بعدها إلى خيانة فقر » . (٦) تأله : تعبد وتنسك .

بعد ذلك، واستأذن فى الحج، فأذن له، فخرج فى المشيخة الذين شهدوا معه، قد لبسوا الصوف وأحرموا، وأبزوا أنوفهم، أى خزموها وجعلوا فيها البُرى(١)، ومشوا إلى مكة فلما قدموا المدينة ومكة جعل الناس يخرجون فينظرون إليهم، ويعجبون منهم. قال: وسمع ابنُ عمر الجحاف وقد تعلق بأستار الكعبة وهو يقول: اللّهم اغفرْ لى وما أراك تفعل! فقال له ابن عمر: يا هذا، لو كنت الجحافَ ما زدت على هذا القول، قال: فأنا الجحافُ، فسكت. وسمعه محمد بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام، وهو يقولُ ذلك، فقال: يا عبد الله، قُنوطُك من عفو الله أعظمُ من ذنبك!

قال عمرُ بن شبّة فى خبره: كان مولد الجحّاف بالبصرة.

دخل على عبد الملك بعد أن أمنه وأنشده شعرا

قال عبد الله بن إسحاق النحوىّ: كان الجحافُ معى فى الكتّاب، قال أبو زيد فى خبره أيضا: ولما أمّنه عبدُ الملك دخل عليه فى جُبّة صوف، فلبث قائما، فقال له عبد الملك: أنشدْنى بعضَ ما قلتَ فى غزوتك هذه وبجْرتك، فأنشده قوله:

صبرتْ سليمٌ للطعان وعامرٌ * وإذا جزِعنا لم نجد من يصبرُ

فقال له عبدُ الملك بنُ مروان: كذبت، ما أكثرَ مَنْ يصبر! ثم أنشده:

نحنُ الذين إذا علَوا لمْ يَفْخَروا * يوم اللقا وإذا عُلُوا لم يضجروا

فقال عبدُ الملك: صدقتَ، حدّثنى أبى عن أبى سفيان بن حرب أنكم كنتم كما وصفت يومَ فتح مكّة.

عود إلى قصة يوم البشر

حُدِّثْتُ عن الدمشقىّ عن الزبير بن بكار، وأخبرنى وكيعٌ عن عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكار عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن عمرَ بن عبد العزيز بن مروان: أنه حضر الجحافُ عند عبد الملك بن مروان يومًا والأخطلُ حاضرٌ فى مجلسه ينشد:

ألا سائل الجحّافَ هل هو ثائرٌ * بقتلَى أصيبت من سليم وعامر

(١) البرى: جمع برة، وهى الحلقة فى أنف البعير.

قال : فتقبّض وجهُه فى وجه الأخطل . ثم إن الأخطل لمّا قال له ذلك قال له :

نعم سوف نبكيهم بكل مهنّد * ونبكى عميرا بالرماح الخواطر (١)

ثم قال : ظننتُ أنك يابنَ النصرانيـة لم تكن تجترئ علىّ ولو رأيتنى لك مأسورا . وأوعده ، فما برح الأخطلُ حتى حُمّ . فقال له عبد الملك : أنا جارُك منه . فقال : هذا أجرتنى منه يقظانَ ، فمن يجيرنى منه نائما ؟ قال : فجعل عبدُ الملك يضحك . قال : فأمّا قولُ الأخطل :

ألا سائل الجحّافَ هل هو ثائرٌ * بقتلى أصيبتْ من سُليم وعامر

فإنه يعنى اليوم الذى قَتَلَتْ فيه بنو تغلب عميرَ بنَ الحُبَاب السُّلَمى .

وكان السببُ فى ذلك فيما أخبرنى به علىّ بنُ سليمان الأخفش قال حدّثنى أبو سعيد السكرىُّ عن محمد بن حبيب عن أبى عبيدة عن ابن الأعرابىّ عن المفضل :

أن قيسًا وتغلب تحاشدوا لمّا كان بينهم من الوقائع منذ ابتداء الحرب بمرج راهط ، فكانوا يتغاورون (٢) ، وكانت بنو مالك بن بكر مجامعةً بالثَّوباذ وما حوله ، وجلبتْ إليها طوائفَ تغلب وجميع بطونها ، إلا أن بكر بن جُشَم بن جُدّعىء أحلافهم بن النَّمِر بن قاسط ، وحشدت بكر فلم يأت الجمعُ منهم على قدر عددهم . وكانت تغلبُ بدوًا بالجزيرة لا حاضرة لها إلا قليل بالكوفة ، وكانت حاضرة الجزيرة لقيس وقضاعة وأخلاط مضر ، ففارقتهم قضاعةُ قبل حرب تغلب ، وأرسلت تغلبُ إلى مواليها وهم بأذْرَبيجان ، فأتاهم شُعيبُ بنُ مُلَيْل فى ألفى فارس . واستنصر عمير تميما وأسدا فلم يأته منهم أحد ، فقال :

أيا أخَوَيْنا من تميم هُديتُما * ومن أسدٍ هل تسمعانِ المُنَاديا

ألم تعلما مُذْ جاء بكرُ بنُ وائل * وتغلبُ ألفافًا تَهُزُّ العواليا

(١) خطر الرمح : اهتز فهو خاطر والجمع خواطر . (٢) يتغاورون : يغير بعضهم على بعض .

إلى قومكم قد تعلمون مكانهم * وهم قُرْبُ أدنى حاضرين و باديا

وكان مَنْ حضر ذلك من وجوه بكر بن وائل المُجَشِّرُ بنُ الحارث بنِ عامرِ بنِ مرّة ابن عبد الله بن أبى ربيعة بن ذُهلِ بنِ شيبان، وكان من ساداتِ شيبانَ بالجزيرة فأتاهم فى جمع كثيرٍ من بنى أبى ربيعة . وفى ذلك يقول تميم بن الحباب بعد يوم الحشّاك .

فإن تحتجزْ بالماء بكرُ بنُ وائلٍ * بنى عمّنا فالدهر ذو متغيّرٍ
فسوف نُخيضُ الماء[1] أو سوف نلتقى * فنقتصَّ من أبناء عم المُجَشِّر

وأتاهم زِمامُ بنُ مالك بن الحصين من بنى عمرو بن هاشم[2] بن مُرّة فى جمع كبيرٍ فشهدوا يوم الثرثار، فَقُتِل . وكان فيمن أتاهم من العراق من بكر بن وائل عبيدُ الله ابنُ زيادِ بن ظَبْيان، ورهصة بنُ النعمان بن سويد بن خالد من بنى أسعد[3] بن همّام، فلذلك تحامل المُصْعَبُ بنُ الزبير على أبانِ بن زياد أخى عبيد الله بن زياد فقتله . وفى هذا السببِ كانت فُرْقَةُ عبيدالله لمصعبٍ، وجمعت تغلبُ فأكثرت، فلما أتى عميرا كثرةُ من أتى من بنى تغلب وأبطأ عنه أصحابه قال يستبطئهم :

أناديهم وقد خَذَلَتْ كلاب * وحولى من ربيعة كالجبالِ
أقاتِلُهم بحىّ بنى سُلَيْمٍ * ويَعْصُرَ[4] كالمصاعيب النِّهالِ
فِدًى لفوارس الثرثار قومى * وما جَمَّعْتُ من أهلى ومالى
فإمّا أُمْسِ قد حانت وفاتى * فقد فارقت أعصرَ غير قالِ

---

(١) أخاضه فى الماء : جعله يخوضه . (٢) فى ف : «عمرو بن همام» . (٣) فى ب، س «أسد»، وما أثبتناه عن باقى الأصول . (٤) يعصر أو أعصر : قبيلة من قيس عيلان . وجمال مصاعب ومصاعيب : جمع مصعب (كمكرم) : وهو الفحل الذى يترك من الركوب والعمل للفحلة، ونهل البعير كفرح : شرب حتى روى، وعطش : ضدّ، فهو ناهل و جمعه نهال، كنائم ونيام، ونهلان جمع نهال أيضا كعطشان وعطاش .

أَبَعْـدَ فوارس الثرثار أرجو * ثَرَاءَ المـال أو عددَ الرجال !

ثم زحف العسكران ، فأتت قيسٌ وتغلبُ الثرثار ، بين رأس الأثيل والكُحَيْل ، فشاهدوا القتال يوم الخميس . وكان شعيب بنُ مُلَيْل وثعلبةُ بنُ نِياط التغلبيان قدما في ألفي فارس في الحـديد ، فعبروا على قرية يقال لها لِبّي[1] على شاطئ دجلةَ بين تكريت و بين الموصل ، ثم توجهوا إلى الثرثار ، فنظر شعيبٌ إلى دواخِن[2] قيس ، فقال لثعلبة بن نِياط : سِر بنا إليهم ، فقال له : الرأيُ أن نسير إلى جماعةِ قومنا فيكون مقاتَلُنا واحدا ، فقال شعيبٌ : والله لا تَحَـدَّثُ تغلبُ أنى نظرت إلى دواخِنهم ثم آنصرفتُ عنهم ، فأرسـل ناسا من أصحابه قُدَّامه وعمـيرٌ يقاتِل بنى تغلِب . وذلك يوم الخميس ، وعلى تغلِب حنظلةُ بنُ هَوْبَرٍ ، أحدُ بنى كنانة بن تيم ، فجاء رجلٌ من أصحاب عمير إليه فأخبره أن طلائع شعيب قد أتته ، وأنه قد عدل إليه ، فقال عميرٌ لأصحابه : اكفونى قتال ابن هو برٍ ، ومضى هو فى جماعة من أصحابه ، فأخذ الذين قدمهم شعيبٌ ، فقتلهم كلّهم غيرَ رجل من بنى كعب بن زهير يقال له : قَتَبُ بنُ عبيد ، فقال عميرٌ : يا قتبُ ، أخبرنى ما وراءك؟ قال : قد أتاك شعيب بن مليل فى أصحابه . وفارق ثعلبةُ بنُ نِياطٍ شعيبا ، فمضى إلى حنظلة بن هو برٍ ، فقاتل معه القيْسيَّةَ ، فقُتِل ، فالتقى عمير وشعيب فاقتتلوا قتالا شديدا ، فما صُلِّيت العصر حتى قتل شعيب وأصحابه أجمعون ، وقطعت رجلُ شعيب يومئذ ، فجعل يقاتل القوم وهو يقول :

قـد علِمت قيسٌ ونحن نعلم * أَنّ الفـتى يفتِك وهْو أجذم[3]

فلما قتِـل شعيب نزل أصحابه ، فعقروا دوابَّهم ، ثم قاتلوا حتى قُتِلوا ، فلما رآه عمير قتيلا قال : من سرّه أن ينظر إلى الأسد عقيرا فها هو ذا . وجعلت تغلبُ يومئذ ترتجز وتقاتل وهى تقول :

(١) كذا فى ف ؛ وهو الصحيح ، وفى سائر النسخ : «أبا» ، تحريف .

(٢) الدواخن : جمع داخنة ، وهى المدخنة . (٣) أجذم : أقطع .

أَنْعَوا إياسًا وانْدُبوا مُجاشِعا ... كلاهما كان كريمًا فاجعا

* وَيْهِ[1] بَنى تغلب ضربا ناقعا *

وانصرف عُمَيرٌ إلى عسكره، وأبلغ بنى تغلب مقتل شعيب، فحميتْ على القتال وتذامرت على الصبر، فقال حُصَينُ بنُ حصين بن جنجور أحد الأبناء : مضيت أنا ومن أفْلَتَ من أصحاب شعيب بعد العصر، فأتينا راهبا فى صومعته، فسألنا عن حالنا، فأخبرْناه، فأمر تلميذا له، فجاءه بخِرق فداوى جراحنا، وذلك غداة يوم الجمعة . فلما كان آخر ذلك اليوم أتانا خبرُ مقتل عمير وأصحابه، وهرب من أفلت منهم .

صـــوت

إنَّ جنبي على الفراش لنابٍ ... كتجافى الأَسَرِّ فوق الظِّرَابِ

من حديث نَمَى إلىّ فما أَطْ ... عَمُ غُمْضًا ولا أُسِيغُ شرابى

لِشُرَحْبِيلَ إذ تعاوَرَه الأر ... ماحُ فى حال شِدَّة وشبابِ

فارس يطعَنُ الكُماةَ جرىء ... تحتَه قارِحٌ[2] كلون الغرابِ

عروضه من الخفيف . الأَسَرّ : البعيرُ الذى يكون به السَّرَرُ، وهى قرحةٌ تخرج فى كِرْكِرَتِه، لا يقدِرُ أن يَبْرُكَ إلا على موضع مُسْتَوٍ من الأرض، والظراب : النشوزُ والجبال الصغار، واحدها ظَرِبٌ . والشعرُ لِعَلْفَاء، وهو معديكربُ بنُ الحارث بن عمرو ابن حُجْرٍ آكِلِ المُرار الكندىّ يرثى أخاه شُرَحبيل قتيلَ يوم الكُلاب الأول، والغناء للغريض ثقيل أوّلُ بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو .

---

(١) كلمة ويه : إغراء وتحريض كما يقال : دونك يافلان . ضربا ناقعا : بالغا قاتلا .

(٢) القارح : الفرس إذا استتم السنة الخامسة ودخل فى السادسة .

وكان السببُ فى مقتله وقصّة يوم الكُلاب فيما أخبرنا به محمدُ بنُ العباس اليزيدى وعلىُّ بن سليمان الأخفش قالا حدثنا أبوسعيد السكرىُّ قال أخبرنا محمد ابنُ حبيبٍ عن أبى عبيدة قال أخبرنى إبراهيم بن سَعدان عن أبيه عن أبى عبيدة قال أخبرنى دَماذ عن أبى عبيدة قال :

كان من حديث الكُلاب الأوّل أن قُباذَ ملك فارسَ لمّا ملك كان ضعيف المُلْك ، فوثبت ربيعةُ على المنذر الأكبر بن ماء السماء — وهو ذو القرنين بن النعمان بن الشُّقَيِّقة — فأخرجوه ؛ وإنما سُمّى ذا القرنين لأنه كانت له ذُؤابتان ، فخرج هاربا منهم حتى مات فى إيادٍ ، وترك ابنه المنذرَ الأصغر فيهم — وكان أذكى ولده — فانطلقت ربيعةُ إلى كِنْدَةَ ، فجاءوا بالحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرار ، فملّكوه على بكر بنِ وائل ، وحشدوا له ، فقاتلوا معه ، فظَهَر على ما كانت العربُ تسكُنُ مِنْ أرض العراق ، وأبى قباذُ أن يُمِدَّ المنذرَ بجيشٍ . فلما رأى ذلك المنذرُ كتب إلى الحارث آبن عمرٍو : إنى فى غيرقومى ، وأنت أحقُّ مَنْ ضَمَّنِى ، وأنا مُتَحَوِّلٌ إليك ؛ فحوله إليه وزوّجه ابنته هندا . ففرّق الحارث بنيه فى قبائل العرب ، فصار شُرَحبيلُ بن الحارث فى بنى بكر بن وائل وحنظلةَ بن مالك وبنى أسيد(١) ، وطوائف من بنى عمرو بن تميم والرِّباب ، وصار معدِ يكرِبُ بن الحارث — وهو غَلْفاء — فى قيس ، وصار سَلَمةُ بن الحارث فى بنى تغلب والنَّمِر بن قاسطٍ وسعد بن زيد مَناة . فلما هلك الحارثُ تشتّت أمر بنيه ، وتفرقت كلمتهم ، ومشت الرجالُ بينهم ، وكانت المغاورةُ بين الأحياء الذين معهم ، وتفاقم الأمر حتى جمع كلّ واحد منهم لصاحبه الجموع ؛ فسار شُرَحبيل ومَنْ معه من بنى تميم والقبائل ، فنزلوا الكُلاب — وهو فيما بين

(١) كذا فى ف ؛ وفى سائر الأصول : وحنظلة بن الحارث فى بنى أسد .

الكوفة والبصرة على سبع ليالٍ من اليمامة - وأقبل سلمة بن الحارث فى تغلبَ والنَّمِر ومن معه، وفى الصنائع - وهم الذين يقال لهم بنو رقيّة، وهى أمٌّ لهم ينتسبون إليها، وكانوا يكونون مع الملوك - يريدون الكُلاب. وكان نصحاء شُرَحبيل وسَلَمة قد نَهَوهما عن الحرب والفساد والتحاسد، وحذّروهما عَثَرات الحرب وسوءَ مغبّتها، فلم يقبلا ولم يبرحا، وأبيا إلّا التتابُع واللجاجة فى أمرهم، فقال آمرؤ القيس بنُ حُجْر فى ذلك[1]:

أنَّى علىَّ آستتَبَّ لومُكما * ولم تلوما عَمْرًا[2] ولا عُصُما

كَلّا يمينَ الإله يجمعنا * شىءٌ وأخوالَنا بنى جُشَما

حتى تزور السباعُ ملحمةً * كأنها من ثمودَ أو إرَمَا

وكان أوّلَ من ورد الكُلابَ من جمع سلمةَ سفيانُ بن مُجاشع بن دارم، وكان نازلا فى بنى تغلب مع إخوته لأمّه، فقتلت بكرُ بنُ وائلٍ بنينَ له، فيهم مُرّةُ بنُ سفيان، قتله سالم بن كعب بن عمرو بن أبى ربيعة بن ذُهْل بن شيبان، فقال سفيانُ وهو يرتجز:

الشيخُ شيخٌ ثكلانْ * والجوفُ جوفٌ حَرّانْ

والوِردُ وِردٌ عجلانْ * أنْعَى مُرّةَ بنَ سُفيانْ[3]

وفى ذلك يقولُ الفرزدقُ:

شيوخٌ منهُمُ عُدُسُ بنُ زيد * وسفيانُ الذى ورد الكُلابا

وأوّلُ من ورد الماءَ من بنى تغلبَ رجلٌ مِنْ بنى عبدِ بن جُشَم يقال له النعمانُ بنُ قُرَيْع آبن حارثةَ بن معاويةَ بن عبد بن جشم، وعبدُ يغوث بن دَوْس، وهو عم الأخطل - دوسٌ والقَدَوْكَسُ أخوان - على فرس له يقال له الحَرُون، وبه كان يعرف

(١) كذا فى جميع الأصول، والذى فى شرح النقائض ص ٤٥٢، وشرح المفضليات ص ٤٢٨: «فقال سلمة». (٢) كذا فى ف، وفى سائر الأصول: «حجرا». (٣) هذا الشطر قد دخله الخزم بزيادة حرفين فى أوله.

ثم ورد سلمةُ ، بنى تغلب وسعد وجماعة الناس، وعلى بنى تغلب يومئذ السفاح — واسمه سلمةُ بنُ خالد بن كعب بن زُهَير بن تيم بن أسامةَ بن مالك بن بكر بن حبيب — وهو يقول :

٦٥/١١

إنّ الكُلاب ماؤنا نخلّوهْ * وساجراً[1] والله لن تحُلّوهُ

٥ فاقتتل القوم قتالا شديدا ، وثبت بعضُهم لبعض؛ حتى إذا كان فى آخر النهار من ذلك اليوم خَذَلَتْ بنو حنظلةَ وعمرو بن تميم والرِّبابُ بكرَ بنَ وائل، وانصرفت بنو سعد وألفافُها عن بنى تغلب ، وصبر ابنا وائل : بكرٌ وتغلبُ ليس معهم غيرُهُم ، حتى إذا غشيهم الليل نادى مُنادى سلمةَ : مَنْ أتى برأس شرحبيلَ فله مائة من الإبل، وكان شُرَحْبيل نازلا فى بنى حنظلةَ وعمرو بن تميم، ففَرُّوا عنه ،

١٠ وعَرَف مكانه أبو حَنَش — وهو عُصُمُ بنُ النعمان بن مالكِ بن غياث بن سعد ابن زهيرِ بن جُشَم بن بكر بن حبيب — فصَمَدَ نحوه ، فلما انتهى إليه رآه جالسا وطوائفُ الناس يقاتلون حوله ، فطعنه بالرمح ، ثم نزل إليه فاحتزّ رأسه وألقاه إليه . ويقال إنّ بنى حنظلةَ وبنى عمرو بن تميم والرِّباب لمّا انهزموا خرج معهم شُرَحبيلُ ، فلحقه ذو السُّنَيْنة — واسمه حبيب بن عُتَيبة بن حبيب بن بعج

١٥ ابن عتبةَ بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر وكانت له سنٌّ زائدةٌ — فالتفت شرحبيل فضرب ذا السنينة على رُكْبَته، فأطنّ[2] رجلَه ، وكان ذو السنينة أخا أبى حَنَش لأمه، أمُّهما سَلْمى بنتُ عدىّ بن ربيعة بنتُ أخى كليبٍ ومهلهلٍ ، فقال ذو السنينة : قتلنى الرجل! فقال أبو حنش: قتلنى الله إنْ لم أقتله ، فحَمَلَ عليه، فلما غَشيَه قال : يا أباحنش، أملِكًا بسوقة؟ قال: إنه قد كان مَلِكى، فطعنه أبو حنش ، فأصاب رادفة[3]

٢٠ (١) ساجر : موضع بين ديار غطفان وديار بنى تميم .
(٢) أطنّ رجله : قطعها .
(٣) رادفة السرج : مؤخرته .

السّرج، فورّعتْ[1] عنه، ثم تناوله فألقاه عن فرسه، ونزل إليه فاحتزّ رأسه، فبعث به إلى سلمة مع آبنِ عم له يقال له أبو أجَأ بنُ كعب بن مالك بن غياث، فألقاه بين يديه؛ فقال له سلمة : لو كنت ألقيته إلقاء رفيقا ! فقال : ما صَنَع بى وهو حىٌّ أشدُّ من هذا ، وعرف أبو أَجَأ الندامةَ فى وجهه والجزعَ على أخيه، فهرب وهرب أبو حنَش فتنحى عنه ، فقال معدِ يكربُ أخُو شرحبيل ، وكان صاحبَ سلامةٍ معتزلا عن جميع هذه الحروب :

ألا أبلغْ أبا حنشٍ رسولًا * فما لك لا تجىءُ إلى الثوابِ !
تعلّمْ أن خيرَ النـاس طُرًّا * قتيلٌ بين أحجار الكُلابِ
تداعت حوله جُشَمُ بن بكر * وأسلمه جعاسيسُ[2] الرِّبابِ
قتيلٌ ما قتيلُك يآبن سَلْمَى * تضُرُّبه صديقك أو تُحابِى

فقال أبو حَنَش مجيبا له :

أحاذر أن أجيئكُمُ فتَحبُو * حِباءَ أبيك يوم صُنَيْبِعاتِ[3]
فكانت غدرةً شنعاء تهفـو * تَقَلَّدها أبوك إلى المَماتِ

ويقال : إنّ الشعر الأوّل لسلمةَ بن الحارث .

وقال معد يكرب المعروفُ بغَلْفَاءَ يرثى أخاه شرحبيل بن الحارث :

إنّ جنبى عن الفراش لنـابى * كتجافى الأَسَرِّ فوق الظِّرابِ
من حديثٍ نَمَى إلىّ فـلا تر * قَأُ عـينى ولا أُسيغُ شرابى

(١) ورّعت عنه : منعت . (٢) جعاسيس : جمع جعسوس وهو القصير الدميم .

(٣) صنيبعات : موضع أو ماء نهشت عنده حية ابنا صغيرا للحارث بن عمرو ، وكان مسترضعا فى بنى تميم ؛ وبنو تميم وبكر فى مكان واحد يومئذ على صنيبعات ، فأتاه منهما قوم يعتذرون إليه ، فقتلهم جميعا .

مُرَّةٌ كالذُّعاف أكتُمها النا * سَ على حَرِّ مَلَّةٍ كالشِّهابِ[1]

٦٦/١١

من شرحبيلَ إذ تَعاوَرُه الأر * ماحُ فى حال لذّة وشبابِ

يآبن أمى ولو شهِدتُك إذ تد * عو تميما، وأنت غيرُ مجابِ

لتركتُ الحسام تجرى ظُباه[2] * من دماء الأعداء يوم الكُلابِ

٥ ثم طاعنتُ من ورائك حتى * تبلغَ الرُّحْبَ أو تُبَزَّ ثيابى[3]

يوم ثارت بنو تميم وولّت * خيلُهم يتّقين بالأذناب

ويحَكم يا بنى أسَيِّدَ إنّى * ويحكم ربُّكم وربُّ الرِّباب

أين معطيكمُ الجزيلَ وحابيـ * ـكم على الفقر بالمئين الكُبابِ[4]

فارس يضرب الكتيبةَ بالسيـ * ـف على نحره كنَضْح الملَابِ[5]

١٠ فارسٌ يطعُنُ الكماة جرىء * تحته قارحٌ كلون الغرابِ

قال : ولمّا قتِل شرحبيلُ قامت بنو سعدِ بن زيد مناةَ بن تميم دون عِياله، فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم، ودفعوا عنهم حتى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم. ولِىَ ذلك منهم عوفُ بنُ شَجْنَةَ بنِ الحارث بن عُطارِد بن عوف بن سعد بن كعبٍ، وحشد له فيه رهطُهُ ونهضوا معه، فأثنى عليهم فى ذلك آمرؤ القيس بن حُجْرٍ، ومدحهم به

١٥ فى شعره فقال :

ألا إنّ قوما كنتُم أمسِ دونهم * هم آستنقذوا جاراتكم آلَ غُدْرانِ

---

(١) الملة : الرماد الحار . (٢) الظبا : جمع ظبة، حدّ السيف . (٣) أى تنزع عنى بسوق .

(٤) كذا فى ف ؛ والكباب : الكثير من الإبل ؛ وفى سائر الأصول : «اللباب» ، ولباب الإبل : خيارها . (٥) الملاب : ضرب من الطيب ، أو الزعفران .

عُوَيْرٌ ومَن مثلُ العـويرِ ورهطِه * وأسعدَ فى يوم الهَزاهِز صَفْوانْ[(١)]

وهى قصيدة معروفة طويلة :

صـــوت

وعينُ الرّضا عن كلّ عيب كليـلةٌ * ولكنّ عينَ السخط تُبدى المساويا

وأنت أخى ما لم تكن لى حاجة * فإن عرضَتْ أيقنتُ أن لا أخَا ليا ٥

الشعرُ لعبدالله بن معاوية بن عبدالله الجعفرى، يقوله للحسين بن عبدالله بن عبيد الله ابن العباس ؛ هكذا ذكر مصعبٌ الزبيرىّ . وذكر مؤرِّج فيما أخبرنا به اليزيدىّ عن عمه أبى جعفر عن مُؤَرِّج — وهو الصحيح — أنّ عبد الله بن معاوية قال هذا الشعر فى صديقٍ له يقال له قُصَىّ بن ذَكْوان، وكان قد عتب عليه . وأوّل الشعر :

رأيت قُصَيًّا كان شيئا مُلَفَّفًا * فكشَّفَه التمحيصُ حتّى بدا ليا ١٠

فلا زاد ما بينى وبينك بعدما * بلوتُكَ فى الحاجاتِ إلّا تنائيـا

والغناء لبنـان بن عمرون رملٌ بالوسـطى . وفيه الثقيـلُ الأوّل لعَريبَ من رواية أبى العنبس وغيره .

---

(١) أسعد : أعان . الهزاهز : الفتن يهتز فيها الناس . عوير وصفوان : رجلان من القوم الذين ذكر أنهم منعوه وتحزّم بهم . وفى البيت إقواء . ١٥

خبر عبد الله بن معاوية ونسبه

نسبه

هو عبدُ الله بْن معاويةَ بنِ عبد الله بنِ جعفرِ بن أبى طالبِ بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف . وأمّ عبدِ الله بن جعفر وسائرِ بنى جعفر أسماءُ بنتُ عُمَيْس ابنِ معد بن تيم بن مالكِ بنِ قُحافةَ بن عامرِ بن ربيعةَ بن عامر بن معاويةَ بنِ زيد (1) ابن مالك بن بشر بن وهب الله بن شَهْوان بن عِفْرِس بن أَفْتَل، وهو نُمامة بن خَثْعم ابن أنمار، وأمّها هند بنتُ عوف، امرأةٌ من جُرَش. هذه الجُرَشيّة أكرمُ الناس أحماء؛ أحماؤها : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعلىٌّ وجعفرٌ وحمزةُ والعباسُ وأبو بكر رضى الله تعالى عنهم . وإنما صار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أحمائها أنه كان لها أربعُ بناتٍ : ميمونةُ زوجةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمُّ الفضل زوجةُ العباس وأم بنته، وسَلْمى زوجةُ حمزةَ بن عبد المطلب، بناتُ الحارث، وأسماءُ بنتُ عُمَيْس أختُهُنّ لأمّهنّ ؛ كانت عند جعفرِ بن أبى طالب، ثم خلف عليها أبو بكر رضى الله تعالى عنه ثم خلف عليها علىُّ بن أبى طالب عليه السلام . وولدت من جميعهم . وهنّ اللواتى قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لهنّ : " إنهنّ مؤمناتٌ " .

٦٧/١١

حدّثنى بذلك أحمدُ بن محمد بن سعيد قال حدّثنى يحيى بنُ الحسنِ العلوىُّ قال حدّثنا هارونُ بن محمد بن موسى الفروىُّ قال : حدّثنا داودُ بنُ عبدالله قال : حدّثنى عبد العزيز الدَّرَاوَرْدِىّ عن إبراهيم بن عُقبةَ عن كُرَيْب عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الأخوات المؤمناتُ : ميمونةُ، وأمُّ الفضل، وسَلْمى ، وأسماءُ بنتُ عُمَيْس أختُهُنّ لأمّهن " .

١٥

(١) فى الأصول : « معقل » ، وهو تحريف .

حدّثنى أحمد قال حدّثنى يحيى قال حدّثنا الحسن بن على قال حدّثنى عبد الرزاق قال أخبرنى يحيى بنُ العَلاء البَجَلِىُّ عن عمه شعيب بن خالد عن حنظلة بن سَمُرة ابن المسيَّب عن أبيه عن جدّه عن ابن عباس قال :

دخل النبىّ صلّى الله عليه وسلّم على فاطمة وعلىّ، عليهما السلام - ليلةَ بَنَى بها - فأبصر خيالًا من وراء السّتر، فقال : "من هذا ؟" فقالت : أسماءُ؛ قال : "بنتُ عميس"؟ قالت : نعم، أنا التى أَحْرُس بنتَكَ يا رسول الله، فإنّ الفتاة[1] ليلة بنائها لا بدّ لها من امرأة تكون قريبًا منها، إن عَرَضَتْ لها حاجةٌ أفضت بذلك إليها؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فإنى أسأل إلهى أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شِمالك مِنَ الشيطان" .

طائفة من أخبار عبد الله بن جعفر

وقد أدرك عبدُ الله بنُ جعفرٍ رحمه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه .

أدرك رسول الله وروى عنه

فمما رَوَى عنه ما حدّثنيه حامدُ بنُ محمد بن شعيب البَلْخىُّ وأحمدُ بن محمد بن الجَعْد قالا حدّثنا محمد بن بكّار قال حدّثنى إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عبد الله ابن جعفر قال : رأيت النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يأكل البِطّيخ بالرُّطَبِ .

رآه النبىّ يلعب فدعا له

حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال حدّثنا يحيى بن الحسن قال حدّثنا سلمة ابن شبيب قال حدّثنا عبد الرزاق قال أخبرنى ابن يحيى وعثمان بن أبى سليمان قالا :

مرّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بعبد اللهِ بنِ جعفرٍ وهو يصنع شيئا من طين من لُعَبِ الصبيان فقال : "ما تصنعُ بهذا"؟ قال : أبيعه، قال : "ما تصنع بثمنه"؟ قال : أشترى به رُطَبا فآكُلُه؛ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "اللهم بارك له فى صَفْقةِ يَمينه" . فكان يقال : ما اشترى شيئا إلا ربح فيه .

(١) كذا فى ف، وفى سائر الأصول : « المرأة » .

تعرض له الحزين بالعقيق وطلب منه ثيابا

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء والطُّوسىُّ قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عمى مصعب عن جدّى عبد الله بن مصعب :

أنّ الحزين قُمِر (١) فى العقيق فى غداةٍ باردةٍ ثيابه، فمرّ به عبدُ الله بن جعفر وعليه مُقَطَّعاتُ خَزٍّ، فاستعار الحزينُ من رجل ثوبا، ثم قام إليه فقال :

٦٨ / ١١

أقولُ له حين واجهتُــه * عليك الســلام أبا جعفر

فقال : وعليك السلام ؛ فقال :

فأنت المهذَّبُ من غالبٍ * وفى البيت منها الذى تُذْكَرُ

فقال : كذبتَ يا عدوّ الله، ذاك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال :

فهذى ثيــابىَ قد أخلَقَتْ * وقد عضّنى زمنٌ منكر

قال : هاكَ ثيابى، فأعطاه ثيابَه .

قال الزبير قال عمّى : أما البيتُ الثانى فحدّثنيه عمّى عن الفضل بن الربيع عن أبى، وما بقى فأنا سمعته من أبى .

تعرض له أعرابى هو على سفر عطاه راحلة بما عليها

حدّثنا أحمدُ بن محمد بنِ سعيد قال أخبرنا يحيى بن الحسن قال :

بلغنى أن أعرابياً وقف على مروان بنِ عبد الحكم أيامَ الموسم بالمدينة فسأله، فقال : يا أعرابىُّ، ما عندنا ما نصِلُك؛ ولكن عليك يآبن جعفر . فأتى الأعرابىُّ باب عبدِ الله بن جعفر فإذا ثَقَلُه (٢) قد سار نحوَ مكة، وراحلتُه بالباب عليها متاعُها وسيفٌ معلّق، فخرج عبد الله من داره وأنشأ الأعرابى يقول :

أبو جعفرٍ من أهــلِ بيت نبوّة * صــلاتُهمُ للسلمين طَهــورُ

أبا جعفــر إن الحجيــجَ ترحّلوا * وليس لرحــلى فاعلمنّ بعــير

(١) قمر : غلب فى القمار .

(٢) الثقل : المتاع والحشم .

أبا جعفر ضنّ الأميرُ بماله * وأنت على ما فى يديك أميرُ
وأنت امرؤٌ من هاشم فى صميمها * إليكَ يصيرُ المجدُ حيث تصير

فقال : يا أعرابى ، سار الثَّقَلُ فدونك الراحلةَ بما عليها ، وإياك أن تُخْدَعَ عن السَّيْفِ فإنى أخذتُه بألف دينار . فأنشأ الأعرابىّ يقول :

حبانىَ عبدُ الله ، نفسى فِداؤهُ * بأعيسَ مَوّارٍ سِباطٍ مَشافِرُهْ[1]
وأبيضَ من ماء الحديد كأنه * شِهاب بدا والليلُ داجٍ عساكِرُهْ[2]
وكلُّ امرئ يرجو نوال ابن جعفر * سيجرى له باليُمْن والبشر طائرُهْ
فيا خيرَ خلق الله نفساً ووالدا * وأكرَمَه للجار حين يجاوره
سأثنى بما أوليتنى يابن جعفر * وما شاكرٌ عُرْفاً كمن هو كافره

ذكر له شاعر أنه كساه فى المنام ، فكساه جبة وشى

وحدّثنى أحمد بن يحيى عن رجلٍ قال حدّثنى شيخٌ من بنى تميم بخراسان قال: جاء شاعرٌ إلى عبد الله بن جعفر فأنشده :

رأيت أبا جعفر فى المنام * كسانى من الخَزّ دُرّاعةْ[3]
شكوتُ إلى صاحبى أمرها * فقال ستؤتى بها الساعه
سيكسُوكَها الماجدُ الجعفرىّ * ومَن كفُّه الدهرَ نفّاعه
ومن قال للجود لا تعدُنى * فقال لك السمع والطاعه

(١) أعيس : واحد العيس وهى الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . الموار : النشيط فى سيره المفتول العضل يمور عضداه إذا ترددا فى عرض جنبيه . المشافر ، جمع مشفر كمنبر : ما يقابل الشفة فى الإنسان . وسباط ، يريد أنها لينة .

(٢) عسكر الليل : ظلمته .

(٣) الدرّاعة : جبة مشقوقة المقدم .

فقال عبدُ الله لغلامه : ادفع إليه دُرّاعتى الخزّ ثم قال له : كيف لو ترى جبتى المنسوجةَ بالذهب التى اشتريتها بثلثمائة دينارا فقال له الشاعر: بأبى دعنى أغفى إغفاءةً أخرى فلعلّى أرى هذه الجبة فى المنام، فضحك منه وقال : يا غلام ٱدفع إليه جبّتى الوشى .

٦٩ / ١١

اعترض ابن داب على شعر الشماخ فى مدحه بأنه دون شعره فى عرابة

٥ حدّثنا أحمد قال قال يحيى قال ٱبن دَأْب : وسِمع قولَ الشمّاخ بن ضِرارٍ الثعلبىّ فى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رحمه الله :

إنك يابن جعفرٍ نعم الفتى * ونعم مأوى طارقٍ إذا أتى

وجار ضيف طرق الحىَّ سُرَى * صادَفَ زادا وحديثا يُشْتَهَى

* إن الحديث طَرَفٌ من القِرى *

١٠ فقال ٱبن دأب : العجب للشمّاخ يقول مثل هذا القول لٱبن جعفر ويقول لَعرابة الأوسى :

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجــد * تلقّاها عَرابةُ باليمين

عبد الله بنُ جعفر كان أحقّ بهذا من عرابة .

جوده على أهل المدينة

قال يحيى بن الحسن وكان عبد الله بنُ الحسن يقول كان أهلُ المدينة يَدّانُون بعضُهم من بعض إلى أن يأتى عطاءُ عبد الله بن جعفر . ١٥

جوده على رجل جلب إلى المدينة سكرا كسد عليه

أخبرنى أحمد قال حدّثنى يحيى قال : حدّثنى أبو عبيد قال حدّثنى يزيدُ بنُ هارونَ عن هشام عن ابن سيرين قال :

جلبَ رجلٌ إلى المدينة سُكّرا فَكَسَدَ عليه فقيل له : لو أتيت ٱبنَ جعفر قبله منك وأعطاك الثّمن ، فأتى ٱبنَ جعفرٍ فأخبره، فأمره بإحضاره وبُسِطَ له ، ثم أمرَ به

فنُثِر، فقال: للناس انتهبوا، فلما رأى الناسَ ينتهبون قال: جعلتُ فداءك! آخذ معهم؟ قال: نعم، بجعل الرجل يَهِيلُ فى غرائره، ثم قال لعبد الله: أَعطنى الثمنَ فقال: وكم ثمنُ سكّرك؟ قال: أربعة آلافِ درهم، فأمر له بها.

أخبرنا أحمدُ قال حدّثنى يحيى بنُ على، وحدّثنى ابن عبد العزيز قال حدّثنا أبو محمد الباهلىُّ حسنُ بنُ سعيد عن الأصمعىّ نحوه وزاد فيه، قال:

فقال الرجل: ما يدرى هذا وما يعقِلُ أخذَ أم أعطى! لأطلبَنّهُ بالثمن ثانية، فغدا عليه فقال: ثمنُ سكّرى، فأطرق عبدُ الله مليّا ثم قال: ياغلامُ، أعطه أربعةَ آلاف درهم، فأعطاه إياها، فقال الرجل: قد قلتُ لكم: إن هذا الرجلَ لا يعقل: أخذ أم أعطى! لأطلبنّه بالثمن. فغدا عليه فقال: أصلحك الله! ثمنُ سكّرى، فأطرق عبدُ الله مليّا، ثم رفع رأسه إلى رجل، فقال: ادفع إليه أربعة آلاف درهم. فلما ولّى ليقبِضها قال له ابن جعفر: يا أعرابى، هذه تمام آثنَىْ عشرَ ألفَ درهم، فآنصرف الرجل وهو يعجب من فعله.

باعه رجل جملا وأخذ ثمنه مرارا فمدحه

وأخبرنى أبو الحسن الأسدىُّ عن دَماذ عن أبى عبيدة:

أن أعرابيًّا باع راحلةً من عبدِ الله بن جعفر، ثم غدا عليه فآقتضى ثمنها، فأمر له به، ثم عاوده ثلاثا، وذكر فى الخبر مثلَ الذى قبله وزاد فيه: فقال فيه:

لا خير فى المُجْتَدَى[1] فى الحين تسألهُ * فاستمطِروا من قريش خيرَ مُختَدَعِ

تخال فيه إذا حاورته[2] بَلَهًا * من جوده وهْو وافى العقل والورعِ

وهذا الشعر يروى لابن قيس الرُّقيّات.

(١) المجتدى: الذى تطلب جدواه أى عطيته.

(٢) فى ف: «حاولته».

وفاته عام الجحاف

أخبرنى الحَرَمىّ بنُ أبى العلاء والطوسىُّ قالا حدّثنا الزبير قال حدّثنى مصعبُ ابنُ عثمان قال :

لمـا ولى عبـدُ الملك الخلافة جفا عبـدَ الله بنَ جعفر، فراح يوما إلى الجمعـة وهو يقول : اللهـمّ إنك عوّدتنى عادةً جريتُ عليهـا ، فإن كان ذلك قد انقضى فاقبِضنى إليك، فتوُفِّى فى الجمعة الأخرى. قال يحيى: تُوفِّى عبد الله وهو آبْنُ سبعين سنة فى سـنةِ ثمانين وهو عامُ الجُحاف لسيلٍ كان بمكّة جَحَفَ الحاجَّ فذهب بالإبل عليها الحُمولةُ، وكان الوالى على المدينة يومئذ أبانُـ بنُ عثمان فى خلافة عبدِ الملك آبنِ مروان، وهو الذى صلّى عليه .

٧٠ / ١١

وقف عمرو بن عثمان على قبره ورثاه

حدّثنى أحمد بن محمد قال أخبرنا يحيى قال حدّثنا الحسينُ بنُ محمد قال أخبرنى محمدُ بنُ مُكْرَم قال أخبرنى أحمدُ بنُ إبراهيم بنِ إسماعيلَ بنِ داودَ قال أخبرنى الأصمعى عن الجعفرىّ قال :

لمّـا مات عبـدُ الله بنُ جعفر شهِـده أهل المدينـة كلُّهـم ، وإنمـا كان عبدَ الله بنَ جعفر مأوى المساكينِ وملجأَ الضعفاءِ ، فما تنظر إلى ذى حِجًا إلّا رأيته مُسْتَعْبِرًا قد أظهر الهلعَ والجزعَ ، فلما فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان فوقف على شَفيرِ القـبر فقال : رحمك الله يابنَ جعفر! إن كنتَ لِرَحِمك لواصلا ، ولأهل الشر لمبغضا ، ولأهل الرِّيبة لقاليا ، ولقد كنتَ فيما بينى وبينك كما قال الأعشى :

رعيتَ الّذى كان بينى وبينكم * من الوُدّ حتى غيّبتْك المقـابِرُ

فرحمك الله! يوم وُلِدتَ ويوم كنتَ رجلا ويوم متَّ ويوم تُبعثُ حيًّا ، والله لئن كانت هاشمٌ أُصيبتْ بك لقـد عمّ قريشًا كلَّها هُلْكُك ، فمـا أظنّ أن يُرَى بعـدك مثـلُك .

وقوف عمرو بن سعيد على قبره ورثاؤه

فقام عمرُو بنُ سعيد بن العاص الأشدقُ فقال : لا إله إلا الله الذى يرث الأرضَ ومَنْ عليها و إليه تُرْجعون ، ما كان أحلى العيشَ بك يا بن جعفر ! وما أسْمَجَ ما أصْبَحَ بعدك ! والله لو كانت عينى دامعةً على أحد لدمَعتْ عليك ، كان والله حديثُك غيرَ مشوبٍ بكَذِبٍ ، ووُدُّك غيرَ ممزوجٍ بكدرٍ .

نازع أحد ولد المغيرة عمرو بن سعيد على مدحه له فذمه وأسكته

فوثب ابنٌ للمُغيرة بنِ نوفلٍ ــ ولم يُثبِت الأصمعىُّ اسمه ــ فقال : يا عَمْرو ، بِمَنْ تُعَرِّضُ بمَزج الودّ وشَوْبِ الحديثِ ؟ أفبابْنَىْ فاطمةَ ؟ فهما والله خيرٌ منك ومنه ، فقال : على رِسْلِكَ يا لُكَع[(١)] ! أردتَ أن أُدخلَك معهم ؟ هيهات لستَ هُناكَ ، والله لو متَّ أنتَ ومات أبوك ما مُدِحتَ ولا ذُممْتَ ، فتكلمْ بما شئتَ فلن تجد لك مجيبا ؛ فما هو إلا أن سمعهما الناسُ يتكلمان حتى حجزوا بينهما وانصرفوا . قال يحيى :

شعر ابن قيس الرقيات فى علته التى مات فيها

وقال عبدُ الله بنُ قيس الرُّقَيَّات فى علةِ عبدِ الله بنِ جعفر التى مات فيها :

بات قلبى تَشُفُّه[(٢)] الأوجاع * من هموم تُجِنُّها[(٣)] الأضلاعُ
من حديث سمعتُه مَنَعَ النو * مَ فقلبى مما سمعتُ يُرَاعُ
إذ أتانا بما كرِهْنا أبو اللَّسْـ * ـلاسِ، كانت بنفسه الأوجاع
قال ما قال ثم راح سريعًا * أدركتْ نفسَه المنايا السِّراعُ
قال يشكو الصُّداعَ وهو ثقيلٌ * بك لا بالذى عَنَيتَ الصُّداع
ابنَ أسماءَ لا أبالَكَ تَنْعَى * أنه غيرُ هالكٍ نفّاعُ
هاشميًّا بكفِّه من سِجال الـ * ـمجد سَجْلٌ[(٤)] يهون فيه القِبَاعُ

(١) اللكع : اللئيم والأحمق . (٢) شفه الحزن : لذعه وأحرقه . (٣) أجنه : ستره .
(٤) السجل : الدلو العظيمة مملوءة . والقباع : مكيال ضخم واسع .

نشر النـاسُ كلَّ ذلك منـه * شيمة المجـد ليس فيـه خِداعُ

لم أجد بعـدك الأخِلّاءَ إلّا * كثِمادٍ به قـذًى أو نِقـاع (١)

بيتُـه من بيوت عبـدِ منافٍ * مدّ أطنـابَه المكانُ اليَفـاع (٢)

منتهى الحمـدِ والنبـوة والمجـ * ـدِ إذا قصّر اللئام الوِضـاع (٣)

٥ فستأتيك مِدحةٌ من كريم * ناله من نَدَى سِجالِك باعُ

من هذا الشعر الذى قاله ابن قيس فى عبد الله بن جعفر بيتان يغنّى فيهما ، وهما :

٧١/١١

صـــوت

قـد أتانا بمـا كرِهنـا أبو اللّـ * ـلاس كانت بنفسـه الأوجاع

قال يشكو الصداع وهو ثقيـل * بك لا بالّذى ذكرتَ الصُّـداع

١٠ غنّاه عمرُو بنُ بانةَ خفيف ثقيل ، الأول بالوسطى على مذهب إسحق . ويقال إن عمرو ابن بانة صاغ هذا اللحنَ فى هذا الشعر وغنّى به الواثق بعقب علّة نالتْـه وصُداعٍ تشكّاه ، قال : فاستحسنه وأمر له بعشرة آلاف درهم . وأمُّ معاوية بن عبد الله بن جعفر أمُّ ولد . وكان من رجالات قريش ، ولم يكن فى ولد عبد الله مثلُه .

بشروه وهو عنـد معاوية بولد فسماه باسمـه

حدّثنا محمد بنُ العبّـاس اليزيدىّ قال حدّثنا أحمـدُ بن الحارث الخرّازُ عن

١٥ المدائنىّ عن أبى عبد الرحمن القرشىّ :

أنّ معاوية بن عبدِ الله بنَ جعفر وُلِدَ وأبوه عبد الله عند معاوية ، فأتاه البشير بذلك وعرف معاويةُ الخبرَ فقال : سمِّه معاويةَ ولك مائةُ ألفِ درهم ، ففعل ، فأعطاه المـال ، وأعطاه عبدُ الله للّذى بشّره به . قال المدائنىّ : وكان عبد الله بن جعفر

(١) الثماد : الماء القليل لا مادّ له . النقاع جمع نقع : وهو الغبار .

٢٠ (٢) اليفاع : ما ارتفع من الأرض . (٣) الوضاع : جمع وضيع

لا يؤدّب ولده، ويقول : إن يُرِد الله جلّ وعزّ بهم خيرا يتأدّبوا ، فلم يُنجِبْ فيهم غيرُ معاوية .

خبر ابن هرمة مع معاوية بن عبد الله بن جعفر

أخبرنى محمدُ بنُ خلف وكيعٌ قال حدّثنا هرونُ بنُ محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنا حمادُ بنُ إسحاق عن أبيه، قال هارونُ وحدّثنى محمدُ بنُ عبد الله بن موسى آبن خالد بن الزبير بن العوّام قال حدّثنى عمرُو بنُ الحكم السّعيدىُّ و إبراهيمُ بن محمد ومحمد بنُ معنِ بنِ عَنْبسةَ قالوا :

كان معاويةُ بنُ عبد الله بن جعفر قد عوّد آبنَ هَرْمةَ البِرَّ، فجاءه يوما وقد ضاقت يدُه وأخذ خمسين دينارا بدَيْنٍ، فرفع إليه مع جاريته رقعةً فيها مديحٌ له يسأله فيه أيضا بِرّا ، فقال للجارية : قولى له : أيدينا ضَيّقةٌ، وما عندنا شىءٌ إلّا شىءٌ أخذناه بكُلْفَة، فرجعتْ جاريتُه بذلك، فأخذ الرقعة فكتب فيها :

فإنى ومدحَك غيرَ المصيـ * ـب كالكلب ينبح ضوءَ القمرْ

مدحتك أرجو لديك الثوابَ * فكنتُ كعاصِر جَنْبِ الحَجَرْ

وبعث بالرّقعة مع الجارية، فدفعتْها إلى معاوية، فقال لها : ويحك قد علِم بها أحدٌ؟ قالت : لا والله إنما دفعها من يده إلى يدى، قال : فخذى هذه الدنانير فادفعيها إليه، فخرجت بها إليه، فقال : كلّا، أليس زَعَم أنه لا يدفع إلىّ شيئا ؟

كان ابنه معاوية صديقا ليزيد بن معاوية فسمى ابنه باسمه

أخبرنى الحَرَمىّ بنُ أبى العلاء والطوسىُّ قالا حدّثنا الزبير قال حدّثنى عمّى مصعب قال :

سمّى عبدُ الله بن جعفر آبنَه معاويةَ بمعاويةَ بن أبى سفيان . قال : وكان معاويةُ بنُ عبد الله بن جعفر صديقا ليزيدَ بن معاويةَ خاصة، فسمى آبنه بيزيدَ آبن معاوية .

وصيته لابنه معاوية عند وفاته

قال الزبير: وحدّثنى محمدُ بن إسحاق بن جعفر عن عمه محمد:

أن عبدَالله بنَ جعفر لما حضرته الوفاة دعا ٱبنه معاوية فنزع شَنْفًا(١) كان فى أذنه وأوصى إليه — وفى ولده مَنْ هو أسنُّ منه — وقال له: إنى لم أزل أؤمِّلك لها. فلما تُوُفِّى احتال بدَيْنِ أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه، وقَسَمَ أموالَ أبيه بين وَلده، ولم يستأثر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما.

٧٢ / ١١

وأمُّ عبد الله بن معاوية أمُّ عون بنتُ عباس بنِ ربيعةَ بن الحارث بن عبد المُطَّلب. ويقال: بنت عياش بن ربيعة. وقد روى عباسٌ عن النبىّ صلى الله عليه وسلم وكان معه يومَ حنَيْنٍ، وهو أحد من ثَبَتَ معه يومئذ.

بعض صفات عبدالله بن معاوية

وكان عبدُ الله من فتيانِ بنى هاشم وجُوَدائهم وشعرائهم، ولم يكن محمودَ المذهب فى دينه، وكان يُرْمى بالزندقة ويستولى عليه من يُعْرَف ويُشْهَر أمرُه فيها، وكان قد خرج بالكوفة فى آخرِ أيام مروانَ بنِ محمد، ثم ٱنتقل عنها الى نواحى الجبل ثم إلى خراسان، فأخذه أبو مسلم فقتله هناك

مدح ابن هرمة لعبد الله بن جعفر

ويُكْنَى عبدُ الله بن جعفر أبا معاوية، وله يقول ٱبن هَرْمة:

أُحْبُ مدحًا أبا معاويةَ الما * جدَ لا تلقه حَصُورا(٢) عَيِيّا

بل كريمًا يرتاح للجد بسّا * مًا إذا هزّه السّؤال حَيِيا

إنّ لى عنده وإن رَغِم الأعـ * ـداءُ حظًّا من نفسه وقَفِيّا

— قفيا: أثرة، يقول: إن لى عنده لأثرة على غيرى، وقال قوم آخرون: القفىّ: الكرامة(٣) —

إن أمت تبْقَ مِدحتى وإخائى * وثنائى من الحياة مَلِيّا

يأخذ السبقَ بالتقدّم فى الجرْ * ى إذا ما النّدى انتحاه عليا

ذو وفاء عند العِدات وأوصا * ه أبوه ألّا يزالَ وفيّا

(١) الشنف: الذى يلبس فى أعلى الأذن. (٢) الحصور: الممسك البخيل الضيق، والضيق الصدر.

(٣) هذا التفسير لم يرد إلا فى ف وط.

فَرَعَى عقـدةَ الوَصاة فأكرِم * بهما مُوصِيًا وهـذا وصِيًّا

يا بن أسماءَ فاَسقِ دلوى فقد أو * ردتُها منهـلاً يشُـجُّ رَوِيّا

يعنى أمه أسماءَ، وهى أمُّ عون بنتُ العباس بن ربيعةَ بن الحارثِ بن عبد المطلب. وأوّلُ هذه القصيدة :

عاتِبِ النفسَ والفؤادَ الغَوِيّاً * فى طِلاب الصِّبا فلستَ صبيّاً ٥

قال يحيى بن علىّ فيما أجازه لنا :

أخبرنى أبو أيوب المدينىُّ وأخبرَنَاه وكيعٌ عن هارونَ بن محمد بن عبد الملك عن حماد بن إسحاقَ عن أبيه قالا : مدح ابن هرْمَة عبدَ الله بن جعفر بن أبى طالب فأتاه، فوجدالناس بعضَهم على بعض على بابه. قال آبن هرْمة : ورآنى بعض خدمه فعرفنى، فسألته عن الذين رأيتُهم ببابه فقال : عامّتُهم غُرماءُ له، فقلت : ذاك شرٌّ. ١٠ وآستؤذِن لى عليه فقلت : لم أعلم والله بهؤلاء الغرماءِ ببابك، قال : لا عليك أنشدنى. قلت : أعيذك بالله. وآستحييت أن أُنشد، فأبى إلا أن أنشده قصيدتى التى أقول فيها :

حَلَلْتَ محلَّ القلب من آل هاشم * فعُشُّك مأوَى بيضِها المتفلِّقِ

ولم تك بالمُعْزَى إليها نِصابُه[1] * لِصاقا ولا ذا المركب المُتَعلِّقِ ١٥

فمن مثلُ عبد الله أو مثلُ جعفر * ومثل أبيك الأريَحِىِّ المُرَهَّقِ[2]

فقال : مَنْ ها هنا من الغرماء ؟ فقيل : فلانٌ وفلان، فدعا باثنين منهم فسارَّهما وخرجا، وقال لى : اِتْبَعهما[3]. قال : فأعطيانى مالا كثيرا. قال يحيى : ومن مختار مدحه فيه منها قوله :

(١) كذا فى ف، وفى سائر الأصول : «ولم تك فيها بالمعزى نصابه». (٢) المرهق : ٢٠ الكريم الجواد الذى يغشاه الناس. (٣) كذا فى ف، وفى سائر الأصول : «وقال لابن هرمة».

فإلّا تُواتِ اليومَ سلمى فربما * شربنا بحوض اللهو غيرِ المرنَّقِ
فدعها فقد أعذَرْتَ(١) فى ذكر وصلها * وأجريت فيها شأْوَ غربٍ ومَشْرِق
ولكن لعبد الله فانطِق بمدحة * تُجيرُك من عُسْر الزمانِ المُطَبِّق(٢)
أخ قلت للأدْنَين لمّا مدحتُه(٣) * هَلُمُّوا وسارى الليل مِ الآن فاطْرِق(٤)
شديدُ التأنّى فى الأمور مجرّب * متى يَعْرُ(٥) أمرُ القوم يَفْرِ ويَخْلُق
ترى الخير يجرى فى أسِرّة(٦) وجهه * كالألاْءِ فى السيف جرية رَوْنق
كريم إذا ما شاء عدَّ له أبا * له نسبٌ فوق السِّماك المحلِّق
وأمّا لها فضلٌ على كلّ حرّة * متى ما تسابِق بآبنها القومَ تَسْبِقِ

ومما يغنى فيه من قصيدة آبن هرمة اليائيّة التى مدح بها آبن معاوية قوله :

صــوت

عجِبتْ جارتى لشيب علانى * عمرَكِ اللهَ هل رأيتِ بَدِيّا(٧)
إنما يُعذر الوليد ولا يُعـ * ـذَر من عاش فى الزمان عتيّا(٨)

غنّى فيهما فُلَيحٌ رملا بالبنصر مِنْ روايةِ عمرِو بن بانةَ ومن روايةِ حبش فيهما لآبن محرِزٍ خفيف ثقيل بالبنصر .

(١) أعذر : بلغ أقصى الغاية فى العذر، والشأو : الغاية . (٢) طبق الشيء : عمّ .
(٣) فى ف : «لما صحبته» . (٤) ورد فى هامش ط أمام هذا البيت : «كأنه قال : قلت لأصحابى : هلموا من الآن ولسارى الليل أطرق» . (٥) فى ف : «متى يعم» . ويفرى : يشق ويقطع . ويخلق : يقدّر، من خلق الأديم : قدّره لما يريد قبل القطع . (٦) أسرة الوجه : خطوطه، جمع سرار كسنان . لألأ البرق والنجم : أضاء ولمع، أو اضطرب بريقه، والرونق : ماء السيف وصفاؤه وحسنه . (٧) بدى مسهل بدىء، والبدىء : العجيب . (٨) عتا الشيخ عتيا : أسن وكبر .

خروج عبد الله ابن معاوية على بني أمية

حدّثنا بالسبب في خروجه أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمارٍ قال حدّثنا عليُّ بنُ محمد النوفليُّ عن أبيه وعمه عيسى، قال آبن عمار وأخبرنا أيضا ببعض خبره أحمدُ بن أبي خَيْثَمَة عن مصعبٍ الزبيريّ ، قال آبن عمار وأخبرني أحمدُ بنُ الحارث الخرّازُ عن المدائنيِّ عن أبي اليقظانِ وشهابِ بن عبد الله وغيرهما، قال آبن عمار وحدّثني به سليمانُ آبن أبي شيخ عمن ذكره. قال أبو الفرج الأصبهاني: ونسخت أنا أيضا بعضَ خبره من كتابِ محمد بن علي بن حمزة عن المدائنيّ وغيره. فجمعت معانيَ ما ذكروه في ذلك كراهةَ الإطالة :

أنّ عبد الله بنَ معاويةَ قدِم الكوفة زائرا لعبد الله بن عُمَرَ بن عبد العزيز ومستميحا[1] له ، فتزوج بالكوفة بنتَ الشرقيّ بن عبد المُؤْمن بن شَبَث بن رِبْعِيٍّ الرياحيّ، فلما وقعت العصبية أخرجه أهلُ الكوفة على بني أمية ، وقالوا له : اُخْرُجْ فأنت أحقُّ بهذا الأمرِ مِنْ غيرك، وآجتمعت له جماعةٌ، فلم يشعر به عبدُالله بنُ عمر إلا وقد خرج عليه. قال آبن عمارٍ في خبره : إنه إنما خرج في أيام يزيدَ بنِ الوليد، ظهر بالكوفة ودعا إلى الرضا من آل محمد صلّى الله عليه وسلم ولبس الصوفَ وأظهرَ سيمى الخَيْر، فاجتمع إليه وبايعه بعضُ أهل الكوفة، ولم يبايعه كلُّهُم وقالوا : ما فينا بَقِيَّةٌ، قد قُتِل جمهورنا مع أهل هذا البيتِ، وأشاروا عليه بقصدِ فارسَ وبلادِ المشرق فقبِل ذلك، وجمع جموعا من النواحي، وخرج معه عبدُالله بنُ العباس التميميُّ. قال محمدُ بنُ عليّ بن حمزةَ عن سليمانَ بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عَوانة : إن آبن معاوية قَبْلَ قَصْدِه المشرقَ ظهر بالكوفة ودعا إلى نفسه، وعلى الكوفة يومئذ عاملٌ ليزيد الناقص يقال له عبدُالله بنُ عمر، فخرج إلى ظهر الكوفة مما يلي الحيرة، فقاتل آبن معاوية قتالا شديدا. قال محمدُ بن عليّ بن حمزة عن المدائنيّ عن عامر بن حفص ، وأخبرني به آبن عمار

(١) استماحه : سأله العطاء .

عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ : أن ابن عمر هـذا دسّ إلى رجل من أصحاب ابن معاوية مَنْ وعده عنه مواعيدَ على أن ينهزم عنه وينهزمَ الناسُ بهزيمته ، فبلغ ذلك آبنَ معاوية ، فذكره لأصحابه وقال : إذا آنهزم آبن حمزة فلا يهولنكم ، فلما آلتقوا آنهزم آبن حمزة وآنهزم الناسُ معه فلم يبق غير آبن معاوية ، فجعل يقاتل وحده ويقول :

تفرّقتِ الظباءُ على خِداشٍ * فما يدرى خداش ما يصيد

ثم ولى وجهه منهزما فنجا ، وجعل يجمع من الأطراف والنواحى مَن أجابه ، حتى صار فى عِدّة ، فغلب على ماهِ الكوفة وماهِ البصرة[1] وهَمَذانَ وقُمَّ والرَّىّ وقُومَسَ وأصبَهان وفارسَ ، وأقام هو بأصبهان . قال : وكان الذى أخذ له البيعة بفارس محاربُ بن موسى مولى بنى يَشْكُر، فدخل دار الإمارة بنعل ورداء وآجتمع الناس إليه ، فأخذهم بالبيعة ، فقالوا : علام نبايع ؟ فقال : على ما أحببتم وكرِهتم ، فبايعوا على ذلك .

وكتب عبد الله بن معاوية فيما ذكر محمدُ بنُ علىّ بن حمزة عن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفرىّ عن أبيه عن عبد العزيز بن عِمران عن محمد بن جعفر بن الوليد مولى أبى هريرة ومحرِز بن جعفر : أن عبد الله بن معاوية كتب إلى الأمصار يدعو إلى نفسه لا إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : وآستعمل أخاه الحسن على إصْطَخْر ، وأخاه يزيدَ على شِيراز ، وأخاه عليًا على كَرْمانَ ، وأخاه صالحا على قُمّ ونواحيها ، وقَصَدَتْهُ بنو هاشم جميعا منهم السّفاحُ والمنصورُ وعيسى بن علىّ .

وقال آبن أبى خيثمةَ عن مصعب : وقصده وجوهُ قريش من بنى أمية وغيرهم ، فمِمّنْ قصده من بنى أمية سليمانُ بنُ هشامِ بن عبد الملك وعمرُ بنُ سُهيل بن عبد العزيز بن مروان ، فمن أراد منهم عملا قلّده ، ومن أراد منهم صِلةً وصله .

(١) يراد بماه البصرة نهاوند ، وبماه الكوفة الدينور (معجم البلدان (نهاوند) .

وجه إليه مروان ابن محمد جيشا لمحاربته بقيادة ابن ضبارة

فلم يزل مقيما فى هذه النواحى التى غَلَب عليها حتى ولِى مروانُ بنُ محمد الذى يقال له مروان الحِمار، فوجّه إليه عامرَ بنَ ضُبَارَة فى عسكر كثيف، فسار إليه حتى إذا قرب من أصبهان ندب له ابن معاوية أصحابَه وحضهم على الخروج إليه، فلم يفعلوا ولا أجابوه، فخرج على دَهَشٍ هو و إخوته قاصدين لخراسان ـ وقد ظهر أبو مسلم بها ونفى عنها نصر ابن سيار ـ فلما صار فى بعض الطريق نزل على رجل من التُّنَّاء[1] ذى مروءة ونعمة وجاهٍ[2]، فسأله معونته، فقال له : من أنت مِنْ ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أأنت إبراهيمُ الإمامُ الذى يُدْعى له بخراسان؟ قال: لا، قال فلا حاجة لى فى نصرتك.

التجأ إلى أبى مسلم فحبسه

فخرج إلى أبى مسلم وطمِع فى نصرته، فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده، وجعل عليه عينا يرفع إليــه أخباره ، فرفع إليــه أنه يقول : ليس فى الأرض أحمقُ منكم ياأهل خُراسان فى طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم إليــه مقاليدَ أموركم من غير أن تراجعوه فى شىء أو تسألوه عنه، والله ما رضِيت الملائكةُ الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته فى أمر آدمَ عليه السلام ، فقالت : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾، حتى قال لهم : ﴿ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

كتابه إلى أبى مسلم وهو فى حبسه

ثم كتب إليه عبدالله بن معاوية رسالته المشهورة التى يقول فيها : «إلى أبى مسلم، من الأسير فى يديه، بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه[3]. أما بعد، فإنك مستودَع ودائع، ومُولِى صنائع؛ وإنّ الودائع مرعِيّةٌ، وإن الصنائع عارِيَةٌ؛ فاذكر القصاص، واطلب الخلاص؛ ونبِّه للفكر قلبَك، واتقِ الله ربَّك؛ وآثِر ما يلقاك غدا على مالا يلقاك أبدا؛ فإنك لاقٍ ما سلفتَ، وغيرُ لاقٍ ما خلّفتَ؛ وفقك الله لما ينجيك، وآتاك شُكرَ ما يُبلِيك[4]» .

٥

١٠

٥

٧٥/١١

(١) التناء جمع تانئ : وهو الدهقان؛ زعيم فلاحى العجم، أو رئيس الإقليم .
(٢) كذا فى ف ، وفى سائر الأصول : « وجاه » .
(٣) كذا فى ف ، وفى سائر الأصول : « بلا ذنب ولا خلاف عليه » .
(٤) الإبلاء هنا : الإنعام والإحسان .

قتله أبو مسلم ووجه برأسه إلى ابن ضبارة

قال : فلما قرأ كتابه رمى به ، ثم قال : قد أفسد علينا أصحابنَا وأهلَ طاعتنا وهو محبوس في أيدينا ، فلو خرج وملك أمرنا لأهلَكَنا ، ثم أمضى تدبيره في قتله . وقال آخرون : بل دسّ إليه سُمّا فمات منه ، ووجّه برأسه إلى ابن ضبارة فحمله إلى مروان . فأخبرني عمر بن عبد الله العَتَكيُّ قال : حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا محمد بن يحيى أنّ عبد العزيز بنَ عمران حدّثه عن عبد الله بن الربيع عن سعيد بن عمرو بن جَعْدة ابن هُبيرةَ أنه حضر مروانَ يوم الزابِ وهو يقاتل عبد الله بن علىّ ، فسأل عنه فقيل له : هو الشابُّ المُصْفرُّ الذى كان يسبُّ عبد الله بن معاوية يوم جيء برأسه إليك فقال : والله لقد هممتُ بقتله مرارا ، كلُّ ذلك يُحال بيني وبينه ، ﴿ وكان أمرُ الله قَدَرًا مقدورا ﴾ .

كانت الزنادقة من خاصته

حدّثني أحمد بن عبد الله بن عمار قال حدّثني النوفليُّ عن أبيه عن عمه قال : كان عُمارة بنُ حمزة يُرْمى بالزندقة ، فاستكتبه ابنُ معاوية ، وكان له نديمٌ يعرف بمطيع بنِ إياس ، وكان زنديقًا مأبونا ، وكان له نديمٌ آخر يعرف بالبقلىّ وإنما سمى بذلك لأنه كانَ يقول : الإنسان كالبقلة فإذا مات لم يرجع ، فقتله المنصور لما أفضت الخلافة إليه . فكان هؤلاء الثلاثةُ خاصّته ، وكان له صاحبُ شُرْطة يقال له قيسٌ ، وكان دُهريا[1] لا يُؤمن بالله معروفا بذلك ، فكان يَعُسُّ بالليل فلا يلقاه أحد إلا قتله ، فدخل يوما على ابن معاوية فلما رآه قال :

إنّ قيسا وإن تقنّع شيبا * لَخبيثُ الهوى على شمطه[2]
ابنُ تسعين منظرا ومشيبًا * وآبنُ عشر يُعَدّ في سَقَطه

وأقبل على مطيع فقال : أجِز أنت ، فقال :

وله شُرْطَةٌ إذا جنّه اللي * ل فعوذوا بالله من شُرَطه

(١) رجل دهرى : ملحد لا يؤمن بالآخرة ، ويقول ببقاء الدهر .
(٢) الشمط : بياض الرأس يخالط سواده .

قسوته

قال ابن عمّار : أخبرنى أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنىّ عن أبى اليقْظان وشباب[1] بن عبد الله وغيرهما، قال ابن عمار وحدّثنى به سليمان بن أبى شيخ عمن ذكره :

أنّ ابن معاوية كان يغضب على الرجل فيأمر بضربه بالسياط وهو يتحدّث ويتغافل عنه حتى يموت تحت السياط، وأنه فعل ذلك برجل، فجعل يستغيث فلا يلتفت إليه، فناداه: يا زنديقُ، أنت الذى تزعم أنّه يُوحَى إليك! فلم يلتفت إليه وضربه حتى مات .

حدّثنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدّثنى النوفلىّ عن أبيه عن عمه عيسى قال :

كان ابن معاوية أقسى خلق الله قلبا ، فغضب على غلام له وأنا جالس عنده فى غرفة بأصبهان، فأمر بأن يرمى به منها إلى أسفلَ، ففعل ذلك به فتعلّق بدَرابَزِين كان على الغرفة، فأمر بقطع يده التى أمسكه بها، فقطعت ومر الغلامُ يهوِى حتى بلغ إلى الأرض فمات .

بعض شعره

وكان مع هذه الأحوال من ظرفاء بنى هاشم وشعرائهم ، وهو الذى يقول :

ألا تَزَعُ[2] القلبَ عن جهله * وعما تُؤَنَّبُ من أجله !
فأبدِل بعد الصبا حِلْمَه * وأقْصَرَ ذو العَذْل عن عذله
فلا تركبنّ الصنيعَ الذى * تلوم أخاك على مثله
ولا يعجبنّك قولُ امرئٍ * يخالِف ما قال فى فعله
ولا تُتبِع الطَّرْفَ ما لا تنال * ولكن سل اللهَ من فضله
فكم مِن مُقِلٍّ ينال الغنى * ويحمَد فى رزقه كلِّه

(١) فى ف : « شبيب » . (٢) وزعه : كفه .

أنشدنا هذا الشعر له ٱبنُ عمار عن أحمد بن خَيْثمة عن يحيى بن معين . وذكر محمد بن علىّ العلوىّ (١) عن أحمد بن أبى خيثمةَ أن يحيى بنَ معين أنشده أيضا لعبدالله آبن معاوية :

إذاآفتقرت نفسى قَصَرْتُ آفتقارَها * عليها فلم يظهر لها أبدا فَقْرى

وإن تلقنى فى الدهر مندوحةُ (٢) الغنى * يكن لأخلاقى التوسُّعُ فى اليسر

فلا العسرُ يُزْرى بى إذا هو نالنى * ولا اليسر يوما إن ظفرتُ به فخرى

وهذا الشعر الذى غنى به — أعنى قوله :

* وعين الرضا عن كل عيب كليلة *

يقوله آبن معاويةَ للحسين بنِ عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان الحسين أيضا سيئ المذهب مطعونا فى دينه .

شعره فى الحسين ابن عبد الله بن عبيد الله بن العباس

أخبرنى أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهرىُّ قال حدّثنى علىُّ بنُ محمد بن سليمان النوفلىُّ قال حدّثنى إبراهيم بنُ يزيدَ الخشاب قال :

كان ابن معاوية صديقا للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان حسين هذا وعبد الله بنُ معاوية يُرْمَيان بالزندقة . فقال الناس : إنما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما شىء من الأشياء فتهاجرا من أجله ، فقال عبد الله بن معاوية :

وإنّ حسينا كان شيئا ملفَّفا * فمحّصه التكشيفُ حتى بدا ليا

وعين الرضا عن كلّ عيب كليلةٌ * ولكن عين السخط تبدى المساويا

وأنت أخى ما لم تكن لى حاجة * فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا

(١) فى ف : « محمد بن يحيى » . (٢) المندوحة : السعة .

وله فى الحسين أشعارٌ كلُّها معاتبات، فمنها ما أخبرنى به أحمدُ بن محمد بن سعيد ابن عُقدة، قال: أنشدنى يحيى بن الحسن لعبد الله بن معاوية، يقوله فى الحسين ابن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب:

قل لذى الودّ والصفاء حسينٍ * أَقْدِرِ الوُدَّ بيننا قَدَرَهْ

ليس للدابغ المُقَرِّظ بُدٌّ * من عتاب الأديم ذى البَشَرَه(١)

قال وقال له أيضا:

إنّ ٱبن عمك وٱبنَ أُ * مِّكَ مُعْلِمٌ شاكى السلاحِ(٢)

يَقِصُ العدوَّ وليس ير * ضى حين يَبْطُش بالجناحِ(٣)

لا تحسبن أذى ٱبن عَمْـ * ـمِكَ شربَ ألبان اللِّقاحِ(٤)

بل كالشجا تحت اللَّهـا * ةِ إذا يُسَوَّغ بالقَراحِ(٥)

[فانظر لنفسك من يجيـ * ـبك تحت أطراف الرماحِ](٦)

من لا يزال يسوءُه * بالغيب أن يَلحاك لاحِ(٧)

خبره مع جده عبد الحميد بن عبيد الله

أخبرنى الحرمىّ والطوسىّ قالا حدّثنا الزبير وحدّثنى أحمد بن محمد بن سعيد قال حدّثنا يحيى بن الحسن قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى محمد بن يحيى:

(١) قرظ الأديم: دبغه بالقرظ. ضمن البيت المثل: «إنما يعاتب الأديم ذو البشرة» والمعاتبة هنا: المعاودة، وبشرة الأديم: ظاهره الذى عليه الشعر، وأصله أن الجلد إذا لم تصلحه الدبغة الأولى أعيد إلى الدباغ إذا سلمت بشرته إذ يكون فيه محتمل وقوة، أما إذا نغلت بشرته فإنه يصير ضعيفا ويترك لئلا يزيد ضعفا، ومعناه: إنما يراجع من تصلح مراجعته ويعاتب من الإخوان من لا يحمله العتاب على اللجاج. (٢) أعلم الفارس: جعل لنفسه علامة الشجعان. والشاكى: ذو الشوكة. (٣) وقصه: كسره ودقه. (٤) اللقاح: جمع لقحة، وهى الناقة الحلوب. (٥) الشجا: ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه، واللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق، والقراح: الماء الخالص، ويقال: أساغ الغصة بالماء. (٦) هذا البيت لم يذكر إلا فى ف. (٧) لحاه: لامه.

أنّ عبد الله بن معاوية مرّ بجدّه عبد الحميد فى مزرعته بصرام(١) وقد عطش فآستسقاه، فخاض(٢) له سويق لوز فسقاه إياه، فقال عبد الله بن معاوية :

شربتُ طَبَرْزَذًا(٣) بغريض مُزْنٍ * كذوب الثلج خالطه الرُّضابُ

قال يحيى قال الزبير : الرضاب ماء المسك ، ورضاب كل شئ : ماؤه . فقال عبد الحميد بن عبيد الله يجيب عبدَ الله بن معاوية على قوله :

ما إن ماؤُنا بغريض مُزْنٍ * ولكنّ المِلاح بكم عِذابُ

وما إن بالطَّبرزذ طاب لكن * بمَسّك لا به طاب الشراب

وأنت إذا وطئت تراب أرضٍ * يطيب إذا مشيتَ بها الترابُ

لأن نداك يُطفِي المَحْلَ(٤) عنها * وتُحييها أياديك الرِّطاب

تغنى إبراهيم الموصلى فى شعره

قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات حدّثنى حماد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم الموصلى قال :

بينا نحن عند الرشيد أنا وآبن جامع وعمرو الغَزالُ إذ قال صاحب السِّتارة لآبن جامع : تَغَنَّ فى شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، قال : ولم يكن آبنُ جامع يغنى فى شئ منه، وفطنت لِما أراد من شعره، وكنت قد تقدّمت فيه، فأُرْتِجَ على آبن جامع، فلما رأيت ما حلّ به اندفعت فغنّيت :

صــــوت

يَهيم بجُمْلٍ وما إن يرى * له من سبيل إلى جُمْلِه

كأن لم يكن عاشق قبله * وقد عشق الناس من قبلِه

فمنهم مَن الحب أودَى به * ومنهم مَن آشفَى(٥) على قتلِه

(١) صرام ، قال فى معجم البلدان : « هو رستاق بفارس وأصله چرام فعربوه هكذا » .
(٢) خاض : خلط ، والسويق : ما يعمل من الحنطة والشعير . (٣) الطبرزذ : السكر ، والغريض : ماء المطر . (٤) المحل : القحط والجدب . (٥) أشفى : أشرف .

فإذا يد قد رفعت الستارة، فنظر إلىّ وقال: أحسنت والله! أعد، فأعدته فقال: أحسنت! حتى فعل ذلك ثلاث مرّات، ثم قال لصاحب الستارة كلاما لم أفهمه، فدعا صاحب الستارة غلاما فكلمه، فمرّ الغلامُ يسعى فإذا بَدْرةُ دنانيرَ قد جاءت يحملها فرّاش، فوضعَتْ تحت فخذى اليسرى وقيل لى: آجعلها تُكَأَتَكَ[1]، قال: فلما آنصرفنا قال لى آبن جامع: هل كنتَ وضعت لهذا الشعر غناءً قبل هذا الوقت؟ فقلت: ما شعر قيل فى الجاهلية ولا الإسلام يدخل فيه الغناء إلا وقد وضعت له لحنا خوفا من أن ينزل بى ما نزل بك. فلما كان المجلسُ الثانى وحضرنا قال صاحب الستارة: يابن جامع، تغنّ فى شعر عبد الله بن معاوية، فوقع فى مثل الذى وقع فيه بالأمس، قال إبراهيم: فلما رأيت ما حلّ به آندفعت فغنيت:

صــــوت

يا قوم كيف سِواغُ عيـ * ـشٍ ليس تؤمَن فاجِعاتُهْ
ليست تزالُ مطِـلَّةً * تغـدو عليك منغِّصاته
المـوت هولٌ داخـلٌ * يوما على كُرْهٍ أناتُهْ
لا بـدّ للحـذر النفـو * سِ منَ آن تقنّصَهُ رُماتُهْ
قـد أمنح الود الخليـ * ـلَ بغـير ما شئ رزاته[2]
وله أقـيمُ قنـاةَ و دّ * ى ما آستقامت لى قناته

قال: فأومأ إلىّ صاحب الستارة أن أمسك، ووضع يده على عينه كأنه يومئ إلىّ أنه يبكى، قال: فأمسكت ثم آنصرفنا[3]، فقال لى آبن جامع: ما صبَّ أميرُ المؤمنين

(١) كذا فى م: وفى سائر الأصول «تكأك». (٢) أصله رزأته فسهل، ورزأه ماله: أصاب منه شيئا. (٣) كذا فى ف، وفى سائر الأصول: «ثم انصرفت».

على آبن جعفر؟ قلتُ : صبه الله عليه لبـــدرةِ الدنانير التى أخذتُها ، قال ثم حضر بعد ذلك ، فلما آطمأنّ بنـا مجلسنا قال آبن جامع بكلام خفىّ : اللهم أَنْسِه ذِكْرَ ابن جعفر ، قال فقلت : اللهم لا تستجب ، فقال صاحبُ الستـارة : يابن جامع تَغَنّ فى شعر عبد الله بن معاوية ، قال : فقال ابن جامع : لو كان عندهم فى عبد الله ابن معاوية خيرٌ لطار مع أبيـه[1] ولم يُقْبِل على الشعر ، قال إبراهيم : فسمعنا ضحكة من وراء الستارة ، قال إبراهيم : فاندفعت أغنى فى شعره :

صـــــوت

سـلا ربّةَ الخِدر ما شأنُهـا * ومن أيِّمـا شأنِنَـا تعجب ؟
فلستُ بأوّل مَن فاته * على إِرْبِه[2] بعضُ ما يَطْلُبُ
وكائن تعرّض من خاطب * فَزُوِّج غـيرَ التى يخطب
وأُنكِحَها[3] بعـده غـيرُه * وكانت له قبـله تُحجَب
وكنّا جـديثًا صَـفِيَّيْن لا * نخـاف الوشـاةَ وما سبّبوا
فإن شطّتِ الدار عنّا بهـا * فبانت وفى الناس مُستَعتَبُ[4]
وأصبح صدعُ الذى بيننـا * كصدع الزجاجةِ ما يُشْعَب[5]
وكالدَّرِّ[6] ليست له رجعـة * إلى الضَّرْع من بعدما يُحلَب

غنى فى البيتين الأوّلين إبراهيمُ الموصلىُّ خفيف ثقيل الأوّل بالوسطى من روايةِ أحمدَ ابن يحيى المكّىّ ووجدتهما فى بعض الكتب خفيف رملٍ غيرَ منسوب ، قال : فقال

(١) يريد جـده جعفر بن أبى طالب وكان يلقب بالطيار وبذى الجناحين لأنه قاتل يوم مؤتة حتى قطعت يداه فقتل ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : إن الله قد أبدله بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث يشاء . (٢) الإرب : العقل والدهاء . (٣) أنكحها : زوّجها . (٤) شطت : بعدت . مستعتب : استرضاء . (٥) يشعب : يصلح . (٦) الدرهنا : اللبن .

لى صاحب الستارة: أعِد فأعدته، فأحسِب أميرَ المؤمنين نظر إلى آبن جامع كاسفَ البـال، فأمر له بمثل الذى أمر لى بالأمس، وجاءونى ببدرة دنانير فوضعت تحت فخذى اليسرى أيضا، وكان ابنُ جامع فيه حسد ما يستتر منه، فلمـا انصرفنا قال: اللهم أرِحنا من ابنِ جعفرٍ هذا، فمـا أشدَّ بُغْضِى له، لقد بَغَّضَ إلىّ جدّه، فقلت: ويحك! تدرى ما تقول! قال: فمن يدرى ما يقول؟ إذًا لودِدتُ أنى لم أر إقباله عليك وعلى غنائك فى شعر هذا البغيض ابن البغيضة، وأنى تصدّقت بها — يعنى البدرة.

وهذا الصوت الأخير يقول شعره عبد الله بن معاوية فى زوجته أم زيد بنت زيد[1] بن على بن الحسين عليهما السلام.

أخبرنى الطوسى والحرمىّ قالا حدّثنا الزبير بن بكار عن عمه قال:

79/11 شمتت به امرأته حين خطب امرأة وتزوجها غيره فقال فى ذلك شعرا

خطب عبدُ الله بنُ معاوية رُبَيْحَـةَ بنتَ محمد بن عبد الله بن علىّ بن عبد الله آبن جعفر، وخطبها بكّارُ بن عبـد الملك بن مروان، فتزوجت بكارا، فشمِتت بعبد الله آمرأتُه أمّ زيد بنتُ زيد[1] بن على بن الحسين، فقال فى ذلك:

سلا ربَّةَ الخِـدْر ما شأنُها * ومِنْ أيِّمـا شأننـا تعجب

فقال آبن أبى خيثمة فى خبره عن مصعب قالت له: والله ماشِمِتُّ ولكنى نَفِست[2] عليك، فقال لها: لا جَرَم! والله لا سُؤْتُكِ أبدا ماحييتُ:

صـــــوت

طاف الخيالُ من آمّ شَيْبَةَ فاعترى * والقومُ من سِـنةٍ نَشاوَى[3] بالكرى
طافت بخُوصٍ[4] كالقِسِىّ وفتيـةٍ * هجعوا قليـلا بعـد ماملُّوا السُّرى

الشعر لأبى وَجْزة السعدىّ، والغناء لإسحاق، ثقيل أوّل بالبنصر.

(1) كذا فى ب، س، حـ، وفى باقى الأصول: «أم زيد بنت على». (2) نفس عليه بخير: حسد.
(3) نشاوى: جمع نشوان، وهو السكران. (4) الخوص: جمع أخوص وهو الغائر العينين.

أخبارُ أبى وجزة ونسبه

نســبه

آسمه يزيدُ بنُ عُبيد فيما ذكره أصحاب الحديث . وذكر بعض النسابين أنّ اسمه يزيد بن أبى عبيد، وأنه كان له أخٌ يقال له عبيد، وانتسب إلى بنى سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم .

دخل مع أبيه فى بنى سعد

٥ وأصله من سُليم من بنى ضَبيس بن هلال بن قُدَم بن ظَفَر بن الحارث بن بُهْثة ابن سُلَيم ؛ ولكنه لحِق أباه وهو صبى سِباءٌ فى الجاهلية ، فبِيع بسوق ذى المَجاز ، فابتاعه رجل من بنى سعد، وآستعبده ، فلما كبِر آستعدى عمر رضى الله عنه وأعلمه قصته، فقال له : إنه لا سِباء على عربىّ ، وهذا الرجل قد آمتنّ عليك فإن شئت فأقم عنده ، وإن شئت فالحق بقومك ، فأقام فى بنى سعْد وآنتسب إليهم هو وولده[1] .

كان بنو سعد أظآر رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٠ وبنو سعد أظآرُ[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان مُسْتَرْضَعًا فيهم عند آمرأة يقال لها حليمة، فلم يزل فيهم عليه السلام حتى يَفَعَ، ثم أخذه جدّه عبد المطلب منهم فردّه إلى مكة، وجاءته حليمةُ بعد الهجرة، فأكرمها وبرّها و بسط لها رداءه فجلست عليه . وبنو سعد تَفْتَخِرُ بذلك على سائر هوازن، وحقيقٌ بكل مَكْرُمَة وفخر من اتصل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأدنى سبب أو وسيلة .

آثر أبوه الانتساب إلى بنى سعد دون قومه بنى سليم

١٥ أخبرنى بخبره الذى حكيتُ جملا منه فى نسبه وولائه أبو دُلَف هاشمُ بنُ محمد الخزاعىُّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل العَتَكىُّ قال حدّثنا محمدُ بنُ سلّام الجمحىُّ عن يونس . وأخبرنى أبو خليفة فيما كتب به إلىّ عن محمد بن سلّام عن يونس وأخبرنى به عمى عن الكُرَانىّ عن الرِّيَاشىّ عن محمد بن سلام عن يونس وأخبرنى علىّ بن سليمان الأخفشُ عن أبى سعيد السكّرىّ عن يعقوب بن السِّكّيت قالوا

٢٠ جميعا سوى يعقوب .

(١) كذا فى ف ، وفى سائر الأصول : « والده » .
(٢) أظآر : جمع ظئر وهى العاطفة على ولد غيرها المرضعة له .

كان عبيدٌ أبو أبى وجزة السعدىّ عبداً يباع بسوق ذى المجاز فى الجاهلية فابتاعه وُهَيبُ بن خالدِ بنِ عامر بنِ عُمَير بنِ ملّانَ بنِ ناصرةَ بنِ قُصَيّةَ بنِ نصيرِ بنِ سعدِ بنِ بكرِ بنِ هوازن، فأقام عنده زمانا يرعى إبله، ثم إن عبيدا ضرب ضَرْعَ ناقةٍ لمولاه فأدماه، فلطم وجهه، فخرج عبيدٌ إلى عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه مستعديا فلما قدِم عليه قال : يا أمير المؤمنين، أنا رجلٌ من بنى سُلَيْم، ثم من بنى ظَفَر أصابنى سِباء فى الجاهلية كما يصيب العرب بَعْضَها من بعض، وأنا معروفُ النسب، وقد كان رجل من بنى سعد آبتاعنى، فأساء إلىّ وضرب وجهى، وقد بلغنى أنه لا سِباء فى الإسلام، ولا رِقّ على عربىّ فى الإسلام. فلمّا فرَغَ مِنْ كلامه حتّى أتى مولاه عمرَ آبن الخطاب رضى الله تعالى عنه على أثره، فقال : يا أمير المؤمنين، هذا غلامٌ آبتعتُهُ بذى المجاز، وقد كان يقومُ فى مالى، فأساء فضربته ضربة والله ما أعلَمُنِى ضربتُه غيرَها قطّ، و إن الرجل ليضرب آبنَه أشدَّ منها فكيف بعبده، وأنا أشهدك أنه حرٌّ لوجه الله تعالى، فقال عمر لعبيد : قد آمتن عليك هذا الرجل، وقطع عنك مؤنة البيّنة، فإن أحببت فأقم معه، فله عليك مِنّة ، وإن أحببت فالحق بقومك، فأقام مع السعدىّ وآنتسب إلى بنى سعدِ بنِ بكر بن هوازن ، وتزوّج زينبَ بنتَ عُرْفُطَة المُزَنيّة ، فولدت له أبا وجزة وأخاه، وقال يعقوب : «وأخاه عبيدا» وذكر أن أباهما كان يقال له أبو عبيد، ووافق من ذكرتُ روايتَه فى سائر الخبر، فلما بلغ آبناه طالباهُ بأن يلحق بأصله ويَنْتَمِى إلى قومه من بنى سليم، فقال : لا أفعلُ ولا ألحقُ بهم فيعيّرونى كلَّ يوم ويدفعونى، وأترك قوما يُكرمونى ويشرّفونى، فوالله لئن ذهبتُ إلى بنى ظَفَرٍ لا أرعى طُمّة[1]، ولا أرِد جَمّة ، إلا قالوا لى : يا عبدَ بنى سعدٍ قال : وطُمّة : جبل لهم . فقال أبو وجزة فى ذلك :

(١) كذا ضبط فى ط ، وفى معجم ما استعجم : « طمية » ، بضم الطاء وفتح الميم .

أنْمِى فأعْقِلُ فى ضَبِيسٍ مَعقلاً * ضخْمًا مناكِبُه تمـيمَ الهـادى (١)

والعَقْـدُ فى مَلَّانَ غـير مُزَلَّجٍ (٢) * بقُوَى متيناتِ الحبالِ شِـدادِ

كان من التابعين وروى عن جماعة من أصحاب رسول الله

وكان أبو وجزةَ من التابعين، وقد روى عن جماعة من أصحاب رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، ورأى عُمَرَ بنَ الخطاب رضى الله تعـالى عنه، ولم يسنِد إليـه حديثا؛ ولكنه حدّث عن أبيه عنه بحديث الآستسقاء، ونقل عنه جماعة من الرواة .

أخبرنى محمدُ بن خَلَف وكيعٌ وعمى قالا حدّثنا عبـدُ الله بنُ شبيب قال حدّثنى إبراهيم بن حمزة قال حدّثنى موسى بنُ شَيْبَةَ قال :

سمعتُ أبا وجزة السعدىّ يقول قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "ليس شعرُ حسانَ بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبدِ الله بن رَواحةَ شعرا، ولكنه حكمةٌ" .

فأما خبرُ الاستسقاء الذى رواه عن أبيه عن عمر فإن الحسنَ بنَ علىّ أخبرَنا به قال حدّثنا محمـد بنُ القاسم قال حدّثنى عبدُ الله بن عمـرو عن على بن الصبّاح عن هشامِ بن محمدٍ عن أبيـه عن أبى وجزة السعدىّ عن أبيـه قال :

شهِدتُ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنـه وقد خرج بالناس ليستسقِىَ عامَ الرَّمادة؛ فقام وقام الناس خلفه، فجعل يستغفِرُ الله رافعا صوتَه لا يزيد على ذلك؛ فقلت فى نفسى : ماله لا يأخذ فيما جاء له؛ ولم أعلم أنّ الاستغفار هـو الاستسقاء فما برحنا حتى نشأَتْ (٣) سحابة وأظلّتنا، فسقِىَ الناس، وقلّدتْنا (٤) السماء قَلْدا، كل خمس عشرة ليلة، حتى رايت الأرِينةَ (٥) تأكلها صِغارُ الإبل من وراء حِقاقِ العُرفُط (٦) .

(١) نماه ينميه : نسبه ، وعقل : لجأ إلى معقل ، والهادى : العنق ، والتميم : التام والشديد .

(٢) المزلج : كل مالم تبالغ فيه ولم تحكمه . (٣) نشأ السحاب : ارتفع وبدا ، وذلك فى أول ما يبدأ .

(٤) قلدتنا : مطرتنا ، والقلد (بالكسر) : الحظ من الماء ، و (بالفتح) المصدر . (٥) الأرينة : نبت عريض الورق . (٦) العرفط : شجر العضاه ، وحقاق العرفط : صغارها وشوابها ؛ تشبيها بحقاق الإبل ، والحق (بالكسر) : البعير إذا استكمل السنة الثالثة ودخل فى الرابعة ، والأنثى حقة .

مات سنة ثلاثين ومائة

وأخبرنى أبو الحسن الأسدىّ وهاشمُ بن محمد الخزاعىّ جميعا عن الرياشىّ عن الأصمعىّ عن عبدالله بن عمر العُمَرىّ عن أبى وجزة السعدىّ عن أبيه، وذكر الحديث مثله. وأخبرنى به إبراهيمُ بنُ أيوب عن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، واللفظ متقارب وزاد الرّياشىّ فى خبره: فقلت لأبى وجزة: ما حِقاق العُرفُط؟ قال: نبات سنتين وثلاث. وزاد ابن قتيبة فى خبره عليهم قال: ومات أبو وجزة سنة ثلاثين ومائة.

٨١
١١

هو أحد من شبب بعجوز

وهو أحد من شبّب بعجوزٍ حيث يقول:

يأيّها الرجلُ الموكّلُ بالصبا * فيم ابنُ سبعينَ المعمَّرُ من دَدِ؟[(1)]
حتّام أنت موكّلٌ بقديمةٍ * أمست تجدّدُ كاليمانى الجيّد
زان الجلالُ كمالَها ورسا بها * عقلٌ وفاضلةٌ وشيمةُ سيّد
ضنّت بنائلها عليك وأنتما * غِرّان فى طلب الشباب الأغيد
فالآن ترجو أن تثيبك نائلا * هيهات! نائلُها مكانَ الفرقدِ

روى صورة استسقاء عمر عن أبيه

وأخبرنا الحرمىّ بن أبى العلاء والطوسىّ جميعا قالا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى محمدُ بن الحسن المخزومىّ عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبى وجزة السعدىّ عن أبيه قال:

استسقى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، فلما وقف على المنبر أخذ فى الاستغفار، فقلت: ما أراه يعمل فى حاجته! ثم قال فى آخر كلامه: اللهم إنى قد عجزتُ وما عندك أوسعُ لهم. ثم أخذ بيد العباس رضى الله تعالى عنه، ثم قال: وهذا عمّ نبيّك، ونحن نتوسل إليك به. فلما أراد عمر رضى الله تعالى عنه أن ينزل قلَب رداءه، ثم نزل فتراءى الناس طُرّةً[(2)] فى مغرب الشمس، فقالوا: ما هذا!

(١) الدد: اللهو واللعب. (٢) الطرة: الطريقة من السحاب.

وما رأينا قبلَ ذلك قَزَعة[1] سحاب أربع سنين ؟ قال : ثم سمعنا الرعد، ثم انتشر، ثم اضطرب ، فكان المطر يَقلِدنا قَلْدا فى كل خمس عشرة ليلة، حتى رأيت الأرِبَّـة خارجة من حِقاق العُرْفُط.تأكلها صغار الإبل .

مدح بنى الزبير وأكرموه

أخبرنى الحرمىّ بنُ أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى عمى عن جدّى قال :

خرج أبو وَجْزة السعدىّ وأبو زيد الأسلمىّ يريدان المدينة ، وقد امتدح أبو وجزة آل الزبير، وامتدح أبو زيد إبراهيم بن هشام المخزومىّ ، فقال له أبو وجزة : هل لك فى أن أشاركك فيما أصيب من آل الزبير، وتشارِكنى فيما تصيب من إبراهيم ؟ فقال : كلا والله، لَرجائى فى الأمير أعظم من رجائك فى آل الزبير. فقدما المدينة، فأتى أبو زيد دار إبراهيم ، فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلَّب، فقال إبراهيم لبعض أصحابه : أخرج إلى هذا الأعرابى الجلف فاضربه وأخرجه ، فأُخرج وضُرب . وأتى أبو وجزة أصحابه فمدحهم وأنشدهم، فكتبوا له إلى مال لهم بالفُرع[2] أن يعطى منه ستين وَسْقا[3] من التمر، فقال أبو وجزة يمدحهم :

راحت قَلُوصى رواحا وهى حامدة * آلَ الزبير ولم تَعدِل بهم أحدا
راحت بستّين وَسْقا فى حقيبتها * ما حُمِّلت حِملَها الأدنى ولا السَّدَدا[4]
ذاك القِرى لا كأقوامٍ عهِدتهمُ * يَقرون ضيفَهم الملويّةَ الجُدُدا

يعنى السياط .

(١) القزعة : القطعة من السحاب . (٢) الفرع : قرية من نواحى الربذة بينها وبين المدينة أربع ليال على طريق مكة . وفى ف : « الفرج » ، وهى قرية من عمل الفرع .
(٣) الوسق : حمل بعير . (٤) السدد : الوفق .

قال أبو الفرج الأصفهانى : قول أبى وجزة :

* راحت بستّين وسقا فى حقيبتها *

أنها حملت ستّين وَسْقا ولا تحمل ناقة ذلك ولا تُطيقه ولا تدمقه، وإنما عَنَى أنه انصرف عنهم وقد كتبوا له بستّين وسقا فركب ناقته والكِتاب معه بذلك قد حملته فى حقيبتها، فكأنّها[1] حاملة بالكتاب ستّين وَسْقا ؛ لا أنها أطاقت حَمْلَ ذلك . وهذا بيت معنى يُسأل عنه .

وقال يعقوب بن السكيت فيما حكيناه من روايته التى ذكرها الأخفش لنا عن السكرى فى شعر أبى وجزة وأخباره :

أحسن عمرو بن زياد جواره فمدحه

كان أبو وجزة قد جاور مُزَيْنة، وانتجع بلادهم لِصِهره فيهم، فنزل على عمرو بن زياد بن سُهَيل بن مُكَدَّم بن عُقَيل بن وهب بن عمرو بن مُرّة بن مازن بن عوف ابن ثور بن هُذْمة بن لاطم بن عثمان ، فأحسن عمرو جِواره وأكرم مثواه، فقال أبو وجزة يمدحه :

لمن دِمنةٌ بالنَّعْف عافٍ صَعيدُها * تَغَيَّر باقيها وَمَحَّ جديدُها[2]

لِسَعدة من عام المزيمة إذ بنا * تصافٍ وإذ لمّا يَرُعْنا صُدودُها

وإذ هى أمّا نفسُها فأريبه[3] * لِلَهوٍ، وأما عن صِبًا فتَذُودُها

تَصَيَّدُ ألبابَ الرجالِ بدَلِّها * وشيمتُها وَحْشيةٌ لا نَصيدُها

كباسقه الوَسْمِيِّ ساعةَ أسبلتْ * تلألأ فيها البرقُ وابيضَّ جيدُها[4]

— الباسقة : التى فضلت غيرها من الغمام وطالت عليه، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ والنَّخلَ بَاسِقَاتٍ ﴾[5] —

(١) كذا فى ف، وفى سائر الأصول : « فكانت » . (٢) النعف : موضع، وأصله : ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادى . عاف : دارس ممحو . محّ : بلى .
(٣) كذا فى جميع الأصول ما عدا جـ ففيها « فأبية » . (٤) الوسمى : مطر الربيع الأوّل . أسبلت : أمطرت . (٥) هذا التفسير لم يرد إلا فى « ف » .

كبِكرٍ تُرانِى فَرقَدين بقفْرة * من الرمل أو فَيحانَ لم يَعْسُ عُودُها[1]

لعمرو الندى عمرو بن آل مكدّم * [كثيرُ عليّاتِ الأمور جليدها][2]

[فتًى بين مَسْروجٍ وآلِ مُكدّمٍ][2] * وعمرٌو فتى عثمانَ طُرًّا وسيدُها[3]

حليم إذا ما الجهلُ أفرط ذا النهى * على أمره، حامى الحَصاة شديدُها[4]

وما زال يحذو فعلَ مَنْ كان قبله * مِنَ آبائه يَجْنى العلا ويُفيدها

فكم من خليلٍ قد وصلتَ وطارقٍ * وقرَبْتَ مِنْ أدماءَ وارٍ قصيدُها[5]

وذى كربةٍ فرّجتَ كُربةَ همّه * وقد ظل مُسْتَدًّا عليه وصيدُها[6]

تزوج زينب بنت عرفطة وقال فيها رجزا فأجابته برجز مثله

أخبرنى عمى قال حدّثنى العَنَزِىّ قال حدّثنا محمد بن معاوية عن يعقوب بن سلام بن عبد الله بن أبى مسروج قال :

تزوّج أبو وجزة السعدىّ زينب بنت عُرْفُطة بن سهل بن مكدّم المزنيّة فولدت له عُبيدا وكانت قد عنّست[7] ، وكان أبو وجزة يُبغضها ، وإنما أقام عليها لشرفها ، فقال لها ذات يوم :

أعطى عُبَيْدًا وعبيدٌ مَقْنعٌ * من عِرمِسٍ مَحْزِمُها جَلنفَعُ[8]

---

(١) بقرة بكر : فتية . ترانى : من الرنو ، وهو إدامة النظر مع سكون الطرف . الفرقد : ولد البقرة . فيحان : اسم أرض . عسا : يبس وصلب . (٢) ما بين المربعين تكملة من ف .

(٣) السيد : الأسد . (٤) أفرطه : أعجله ، والحصاة : العقل .

(٥) ناقة أدماء : بيضاء سوداء المقلتين . وار : سمين . القصيد : سنام البعير إذا سمن . وفى ف : « قربت قرى » . (٦) الوصيد : فناء الدار . (٧) عنست : طال مكثها فى منزل أهلها بعد إدراكها . (٨) العرمس : الناقة الصلبة الشديدة . المحزم : ما وضع عليه الحزام ، يعنى البطن . جلنفع : واسعة البطن .

ذاتِ عساسٍ ما تكاد تَشْبَع * تجتلِدُ الصحْنَ وما إنْ تَبْضَع[1]
تمــرّ فى الدار ولا تورَّعُ * كأنهـا فيهـمْ شجاعٌ أقـرعُ[2]

فقالت زينب أمّ وجزة تجيبه :

أَعْطِى عُبيدا من شُيَيْخ ذى عَجَرْ * لا حَسَنِ الوجه ولا سمْحٍ يَسرْ[3]
يشرب عُسَّ المَذْق فى اليوم الخَصِر * كأنما يقــذف فى ذات السَّعر[4]
* تقاذفَ السيلِ من الشِّعبِ المُضِرّ[5] *

قال فى ابنه عبيد رجزا فأجابه برجز أيضـا

قال : وقال أبو وجزة لابنه عُبيد :

يا راكب العَنْسِ كمِرداة العَلَمْ * أصلحك الله وأدنى ورحِمْ[6]
إن أنت أبلغتَ وأدّيتَ الكَلِمْ * عنى عُبيــدَ بنَ يزيدَ لو علِمْ
قــد علِم الأقــوام أن سيَنْتَقِم * منــك ومن أمّ تلقّتك وعم
ربٌّ يجازى السيئاتِ مَن ظَلَمْ * أنذرْتُك الشّدّةَ مِن لَيثٍ أضِمْ[7]
عادِ أبى شِبلين فَرْفارٍ لَحِمْ * فارجع الى أمّك تُفرِشك ونَمْ[8]
الى عجوز رأسُها مثـل الإرَم * واطعَمْ فإنّ الله رزّاق الطُّعَمْ[9]

٨٣
١١

(١) عساس : جمع عس (بالضم)، وهو القدح الضخم . اجتــلد الإناء : شرب كل ما فيــه . والصحن : العس العظيم ، وفى جميع الأصول عدا ف : « الصخر » تصحيف . بضع من المـاء وبه : روى وامتلأ . (٢) تورّع : تحرّج . الشجاع : ضرب من الحيات دقيق ، وشجاع أقرع : قد تمعط جلد رأسه لكثرة سمه وطول عمره . (٣) العجر (بالتحريك) : عظم البطن . (٤) المذق : اللبن المخلوط . الخصر : البارد . الســعر : حرّ النار . (٥) الشعب : مسيل المـاء فى بطن الأرض . المضرّ : الدانى القريب يقال : سحاب مضر : مسف، وأضر السيل من الحائط : دنا منه .
(٦) العنس : الناقة الصلبة . المرداة : الحجر الثقيل . العلم : الجبل .
(٧) الشدّة : الحملة . أضم : غضوب . (٨) فرفار : يفرفر كل شىء، أى يكسره . لحم : كثير لحم الجسد . وأفرشه : فرش له . (٩) الإرم : الحجارة .

فقال عبيد لأبيه :

دعها أبا وجزةَ واقعــد فى الغنمْ * فسوف يكفيك غــلامٌ كالزَّلَمْ(١)

مشمِّر يُرقِــلِ فى نعـلٍ خَـذِمْ(٢) * وفى قَفـاه لقمــة من اللقمْ(٣)

قــد ولِهتْ ألّافها غيرَ لَمَمْ * حتى تناهت فى قَفَا جَعْدٍ أحَمّْ(٤)

هجاء أبو المزاحم وعيره بنسبه فرد عليه

٥ قال يعقوب : وقال أبو المزاحم يهجو أبا وجزة ويعيّره بنسبه :

[دَعَتْك سُليمٌ عبدها فأجبتَهـا * وسعدٌ، وما ندرى لأيهما العبــدُ؟

فأجابه أبو وجزة فقال(٥)] :

أعيّرتمونى أنْ دعتـنى أخامُ * سليمٌ وأعطتنى بأيمانها سـعدُ

فكنتُ وسيطا فى سُلَيم معاقِداً * لسعد، وسعدٌ ما يُحَلّ لها عَقْدُ(٦)

مدح عبد الله بن الحسن وإخوته فأكرموه

١٠ أخبرنى أبو جعفر أحمدُ بن محمد بن نصر الضُّبَعىّ إجازةً قال حدثنا محمدُ بن مسعود الزُّرَقِىّ عن مسعود بن المفضّل مولى آل حسن بن حسن قال :

قدم أبو وجزة السعدى على عبد الله بن الحسن وإخوته سُوَيقةَ(٧)، وقد أصابت قومه سنة مجدبة، فأنشده قوله يمدحه :

---

(١) الزلم : القدح (بالكسر) الذى لا ريش عليه .

١٥ (٢) أرقل : أسرع فى سيره ، خذم : مقطع .

(٣) كذا فى معظم الأصول . وفى ف : « لحمة من اللهم » ، وهو غير واضح .

(٤) ولهت : أحزنت وحيرت . والم : الجنون . الجعد : البخيل اللئيم . الأحم : الأسود .

(٥) ما بين القوسين ساقط من جميع الأصول ما عدا ف .

(٦) الوسيط : الحسيب فى قومه .

٢٠ (٧) سويقة : موضع قرب المدينة كان يسكنه آل على بن أبي طالب رضى الله عنه .

أُثْنِي على ابْنَيْ رسول الله أفضلَ ما * أَثْنَى به أحـــدٌ يوما على أحـــد
السيدينِ الكريمَيْ كلِّ مُنْصَـرَفٍ * من والِدين ومن صِهـر ومن ولد
ذريّةٌ بعضُها من بعضها عَمِـرَت * فى أصلِ مجد رفيع السَّمْك والعَمَدِ
ما ذا بنى لهـمُ من صالح حسنٌ * وحَسَنٌ وعلىّ وابتَنَـوْا لغَـد (١)
فكرَّم الله ذاك البيتَ تكرِمَـةً * تَبـقَى وتخـلُد فيـه آخـرَ الأبد
هُمُ السَّدَى والنَّدَى، ما فى قناتهمُ * إذا تعـوّجت العِيـدانُ من أَوَد (٢)
مهـذّبون هِجـانٌ أمهـاتُهمُ * إذا نُسِبن زُلالُ البـارق البَرِد (٣)
بين الفواطم ماذا ثَمَّ من كرم * إلى العـواتك مجـد غير مُنتقَـد (٤)
ما ينتهى المجـد إلا فى بنى حسن * وما لهـم دونه من دار مُلتحَـد (٥)

---

(١) هذا البيت دخله الخبل فى أوّل الشطر الثانى ، وهو حذف الثانى والرابع من مستفعلن .

(٢) فى جميع الأصول « ثم » وهو تحريف . والسدى : المعروف ، يقال : أسدى إليه سدى . والأود : الاعوجاج .

(٣) هجان : كرام . البـارق : السحاب ذو البرق . البرد : ذو البرد .

(٤) يقال للحسن والحسين رضى الله عنهما ابنا الفواطم : أمهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدّتهما فاطمة بنت أسد بن هاشم أم أبيهما على بن أبى طالب وكانت أسلمت ، ومن الفواطم : فاطمة بنت عبد الله بن عمرو بن عمران بن مخزوم جدّته صلى الله عليه وسلم لأبيه . والعواتك : جدّات النبي صلى الله عليه وسلم ، قال يوم حنين : "أنا ابن العواتك من سليم" والعواتك من سليم ثلاث وهنّ : عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان أمّ عبد منـاف بن قصى جدّ هاشم ، وعاتكة بنت مرّة ابن هلال بن فالج بن ذكوان أمّ هاشم بن عبد مناف ، وعاتكة بنت الأوقص بن مرّة بن هلال بن فالج ابن ذكوان أمّ وهب بن عبد مناف بن زهرة جدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) الملتحد : الملجأ .

قال : فأمر له عبد الله بن الحسن وحسن وإبراهيمُ بمائةٍ وخمسين دينارا وأوقروا له رواحلَه بُرًّا وتمرا، وكسوه ثوبين ثوبين .(١)

فرض له عبدالملك ابن يزيد السعدى عطاء فى الجند وندبه لحرب أبى حمزة فقال فى ذلك رجزا

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعىّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّةَ قال حدّثنى أبو غسان والمدائنىّ جميعا :

أن عبد الملك بن يزيد بن محمد بن عطية السعدىّ كان قد نُدِب لقتال أبى حمزة الأزدى الشارى لما جاء إلى المدينة فغلب عليها ، قال : و بعث إليه مروانُ بن محمد بمال ، ففرّقه فيمن خفّ معه من قومه ، فكان فيمن فُرِض (٢) [له] منهم أبو وجزة وابناه ، فخرج معترضا للعسكر على فرس، وهو يرتجز ويقول :

قل لأبى حمزة هِيدِ هِيدِ * جئناك بالعاديَةِ الصِّنْديد (٣)

بالبطل القَرْم أبى الوليد * فارسِ قيسٍ نَجِدِها المعدودِ (٤)

فى خيل قيسٍ والكُماةِ الصِّيدِ (٥) * كالسيف قد سُلَّ من الغُمود

محضٍ هِجانٍ ماجدِ الجدودِ * فى الفَرعِ من قيسٍ وفى العمودِ (٦)

فِدًى لعبد الملك الحميد * مالى من الطارِفِ والتليد

يوم تَنادى الخيل بالصعيد * كأنه فى جُنَنِ (٧) الحديد

* سِيدٌ (٨) مُدِلٌّ عَزَّ كلَّ سِيدِ *

---

(١) أوقر الدابة : حملها وقرا (بالكسر)؛ وهو الحمل الثقيل . (٢) فرض له فى العطاء : جعل له فريضة ونصيبا . (٣) هيد هيد؛ كتب فوق هاتين الكلمتين فى ط : « النجا ، النجا » ، وهو تفسير لها ، وأصله فى زجر الإبل . و « جئناك » فى جـ ، وهامش ط ، وفى سائر الأصول : « أتاك » والتاء فى « العادية » للمبالغة . (٤) القرم : السيد المعظم . النجد : الشجاع الشديد البأس الماضى فيما يعجز عنه غيره . (٥) الصيد : جمع أصيد وهو الذى يرفع رأسه كبرا .

(٦) محض : خالص . رجل هجان : كريم الحسب نقيه . فرع كل شىء : أعلاه .

(٧) جنن جمع جنة ، وهى : كل ما وقى . (٨) السيد : الأسد . عز : فاق وغلب .

قال : وسار ابن عطية فى قومه ، ولحقت به جيوش أهل الشأم ، فلقى أبا حمزة فى آثنى عشر ألفا ، فقاتله يوما إلى الليـل حتى أصاب صناديد عسكره ، فنادوه : يابن عطية ، إن الله جل وعز قد جعل الليل سَكَنًا ، فاسكنوا حتى نسكن ، فأبى وقاتلهم حتى قتلهم جميعا .

كان منقطعا لابن عطية [illegible]

قال : وكان أبو وجزة منقطعا إلى ابن عطية ، يقوم بقوت عياله وكسوته ويعطيه ويُفْضِلُ عليه ، وكان أبو وجزة مداحا له ، وفيه يقول :

حَنَّ الفؤاد إلى سُعدى ولم تُنِبِ * فيم الكثيرُ من التَّحْنَان والطرِبِ
قالت سعادُ أرى من شيبه عجبًـا * مهلًا سعادُ فما فى الشيب من عجب

غنّى فى هذين البيتين إسحاق خفيف ثقيل أول بالوسطى فى مجراها من كتابه :

إمّا تَرَيْنِى كسانى الدهرُ شـيبتَه * فإنّ ما مرّ منه عنك لم يَغِبِ
سَقْيًا لسعدى على شيب ألمّ بنـا * وقبل ذلك حين الرأسُ لم يشبِ
كأنّ رِيقتَها بعـد الكرى اغتبقت * صوبَ الثريا بماء الكَرْم من حَلَبِ (١)

وهى قصيدة طويلة يقول فيها :

أَهدى قِلاصًا عناجيجًا أضرَّبها * نَصُّ الوجيف وتقحيمٌ من العُقَبِ (٢)
يقصِدْن سيِّدَ قيسٍ وابنَ سيدها * والفارسَ العِدَّ منها فيرَ ذى الكذبِ (٣)

---

(١) اغتبق : شرب الغبوق وهو ما يشرب بالعشى . والصوب : المطر .

(٢) العناجيج هنا : الإبل ، واحده عنجوج كعصفور . نص ناقته : استخرج أقصى ما عندها من السير . والوجيف : ضرب من سير الخيل والإبل . والتقحيم : أن تقتحم الإبل المراحل واحدة بعد الأخرى تطويها فلا تنزل فيها . والعقب : جمع عقبة وهى قدر فرسخين ، أو قدر ما تسيره .

(٣) العدّ هنا : الذى لا تنفد شجاعته ، من قولهم ماء عدّ ، أى دائم لا تنفد مادّته .

محمد وأبوه وابنه صنعوا * له صنائعَ من مجد ومن حَسَب
إنى مدحتهمُ لمّا رأيت لهمْ * فضلا على غيرهم من سائر العرب
ألّا تُثِبْنِي بِه لا يَجْزِنى أحد * ومَن يُثِيبُ اذا ما أنت لم تُثِبِ!

والأبيات التي ذكرتُ فيها الغناءَ المذكورَ معه أمرُ أبي وجزة من قصيدة له مدح بها أيضا عبدَ الملك بن عطية هذا . ومما يختار منها قوله :

حتى إذا هَجَدوا ألمّ خيالُها * سرًّا ، ألا بإلمامه كان المُنَى
طَرَقَتْ بَرَيًّا روضةٍ من عالجٍ (١) * وَسْمِيَّةٍ عَذُبت وَبيّتها النّدَى
يا أمّ شيبة أىّ ساعةِ مَطْرَقٍ * نَبَّهتِنا ، أين المدينة مِن بَدَا؟ (٢)
أنى متى أقضِ اللُّبانة أجتَهِدْ * عَنَقَ العتاق الناجياتِ على الوجى (٣)
حتى أزورَك إن تيسّر طائرى * وسلمتُ من ريب الحوادث والردى

وفيها يقول :

فَلَأَمدحنّ بنى عطيةَ كلّهم * مدحا يوافى فى المواسم والقُرَى
الأكرمين أوائلًا وأواخرا * والأحلمين إذا تُخُولِجَتِ الحُبا (٤)
والمانعين من المَضِيمة جارَهُم * والجامعين الراقعين لما وهى (٥)
والعاطفين على الضَّرِيك بفضلهم (٦) * والسابقين إلى المكارم مَنْ سعى

(١) الريا : الرائحة الطيبة . عالج : رملة بالبادية . وسمية : مطرت الوسمى وهو مطر الربيع الأوّل .
(٢) بدا : موضع بالشام قرب وادى القرى . (٣) العنق : ضرب من سير الإبل . الناجيات : المسرعات . الوجا : شدّة الحفا . (٤) تخولجت : تنوزعت . الحبا : جمع حبوة ، من احتبى : جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ، وتنازع الحبا يكون عند الخصومة ؛ يريد أنهم يحلمون حين يجهل غيرهم .
(٥) المضيمة : الظلم والغصب . وهى : تخرّق وتشقق .
(٦) الضريك : الزمن والضرير والفقير السيئ الحال .

وهى قصيدة طويلة يمدح فيها بنى عطية جميعا و يذكر وقعتهم بأبى حمزة الخارجى، ولا معنى للإطالة بذكرها .

٨٥
—
١١

مدح عبد الله بن الحسن فغضب ابن الزبير فصالحه بشعر مدحه فيه

أخبرنى محمد بن مزيد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدى قال .

كان أبو وجزة السعدىّ منقطعا إلى آل الزبير، وكان عبدُ الله بن عروة بنُ الزبير خاصّةً يُفضِل عليه و يقوم بأمره . فبلغه أن أبا وجزة أتى عبدَ الله بنَ الحسَن آبنِ الحسن بنِ علىّ بنِ أبى طالب عليهم السلام، فمدحه فوصله، فاطّرحه ابن عروة، وأمسك يده عنه، فسأل عن سبب غضبه فأخبره به الأصمّ بن أرطاة، فلم يزل أبو وجزة يمدح آل الزبير، ولا يَرْجِعُ له عبدُ الله بن عروة إلى ما كان عليه ولا يرضى عنه حتى قال فيه :

آل الزبير بنو حُرّة * مَرَوا بالسيوف صدورا خِنافا[1]

سَلِ الجُرْدَ عنهم وأيامها * إذا امتعطوا المُرهَفاتِ الخِفافا

— امتَعَطُوا : سَلّوا، ومنه ذئبٌ أمعطُ، مُنْسَلٌّ من شعره —

يموتونَ والقَتْلُ داءٌ لهم * ويَصلَوْنَ يومَ السِّياف السِّيافا[2]

إذا فرج القتلُ عَنْ عِيصِهِمْ * أبى ذلكَ العِيصُ إلّا التفافا[3]

مطاعيمُ تُحمَدُ أبياتُهُمْ * إذا قَنّعَ الشاهقاتُ الطِّخافا[4]

وأجبنُ مِنْ صافرٍ كلبُهُمْ * إذا قرعته حصاةٌ أضافا[5]

فلما أنشد ابن عروة هذه الأبيات رضى عنه وعاد له إلى ما كان عليه .

---

(١) هذا البيت دخله الخرم . مرى الدم : استخرجه وأساله ومنه قوله :

* مروا بالسيوف المرهفات دماءهم *

خنافا : جمع خانف؛ خنف بأنفه : شمخ بأنفه من الكبر .

(٢) سايفه : جالده بالسيف وضاربه . (٣) العيص : الشجر الكثير الملتف .

(٤) قنعت : غطى رأسها . والطخاف : السحاب المرتفع .

(٥) الصافر : طائر يتعلق من الشجر برجليه و ينكس رأسه خوفا من أن ينام فيؤخذ، فيصفر منكوسا طول ليلته . وأضاف : خاف وأشفق وحذر، وفى الأصول : «أصاف» تصحيف .

صـــــوت

من المـائة المختـارة

ألا هَلْ أسيرُ المـالكيّة مُطْلَقُ * فقد كاد لو لم يُعْفِهِ الله يَغْلَقُ[1]

فلا هو مقتولٌ، ففي القتل راحة * ولا مُنْعَمٌ يوما عليـه فَمُعتَـقُ

الشـعر لعقيل بن عُلَّفَـةَ البيتُ الأوّلُ منه، والثانى لشبيب بنِ البَرْصاء، والغناء لأحمدَ بنِ المَكّيّ، خفيف ثقيل بالوُسْطى من كتابه، وفيه لدُقاق رملٌ بالوسطى من كتاب عمرو بن بانةَ، وأوّله :

سـلا أمّ عمرو فيمَ أَضْحَى أسـيرُها * يُفَادَى الأسارى حَوْله وهو مُوثَقُ

وبعده البيتُ الثانى وهو :

فلا هو مَقتولٌ ففى القَتْلِ راحةٌ * وَلا مُنْعَمٌ يَوْمًا عليـــه فَمُعتَـقُ

والبيتان على هذه الرواية لِشبيب بن البَرْصاءِ .

(١) يغلق، من غلق الرهن : إذا بقى فى يد المرتهن لا يقدر راهنه على تخليصه .

أخبار عَقيل بن عُلَّفة

نسبه

عَقيل بن عُلَّفـة بن الحارث بن معاوية بن ضِباب بن جابر بن يَرْبوع بن غَيْظ ابن مرة بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سعد بن قَيس عَيلان ابن مُضر، ويكنى أبا العمَلَّس[1] وأبا الجَرباء .

وأمّ عَقيل بن عُلَّفة العَوْراء ، وهى عَمْرة بنتُ الحارث بن عوف بن أبى حارثة ابن مُرّة بن نُشْبَة بن غَيْظ بن مُرّة . وأمها زينبُ بنتُ حِصن بن حذيفة . هـذا قولُ خالد بن كُلثوم والمدائنى . وقال ابنُ الأعرابى : كانت عَمْرة العَوْراء أمّ عَقيل ابن عُلَّفة والبرصاءُ أمُّ شبيب بن البَرْصَاء أختين ، وهما ابنتـا الحارث بن عوف . واسم البَرْصَاء قِرْصافة، أمها بنت تَجْبة بن ربيعة بن رِياح بن مالك بن شَمْخ .

٨٦ / ١١

كان يعتد بنسبه وكانت قريش ترغب فى مصاهرته

وعَقيل شاعر مُجيد مقلّ، من شعراء الدولة الأموية . وكان أعرج جافيا شديدَ الهَوَج والعَجْرَفية والبَذْخ[2] بنسَبِه فى بنى مرّة ، لا يرى أنّ له كفئا . وهو فى بيتِ شرف فى قومه من كلا طرفيه . وكانت قريشٌ ترغبُ فى مصاهرته . تزوج إليه خلفاؤها وأشرافها ، منهم يزيد بن عبد الملك، تزوج ابنته الجَرْباء ، وكانت قبله عنـدَ ابن عم لعَقيل يقال له مطيعُ بن قُطْعةَ بن الحارث بن معاوية . وولدت ليزيد بُنَيًّا دَرَج[3] . وتزوّج بنته عَمْرَة سَلَمَةُ بنُ عبد الله بن المغيرة، فولدت له يعقوب ابن سلَمة، وكان من أشراف قريش وجُودائها . وتزوج أمَّ عمرو بنته ثلاثةُ نفر من بنى الحَكَم بن أبى العاص : يحيى والحارث وخالد .

(١) فى ب، س: «أبا العميس»، تحريف . (٢) البذخ : الكبر وتطاول الرجل بكلامه وافتخاره . (٣) درج : مات .

خطب إليه والى المدينة إحدى بناته فأنكر عليه فضربه فقال شعرا

أخبرنى محمد بن جعفر النحوىّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابىّ عن المفضّل قال :

دخل عَقِيل بن عُلَّفة على عثمان بن حَيّان وهو يومئذ على المدينة، فقال له عثمانُ : زوّجنى ابنتك، فقال : أبَكْرَةٌ من إبلى تَعْنى؟ فقال له عثمان : ويلك ! أمجنونٌ أنت ! قال : أىّ شىء قلتَ لى؟ قال : قلتُ لك : زوّجنى ابنتك، فقال : أفملُ إن كنتَ عَنَيْتَ بَكْرَةً من إبلى . فأمر به فوُجِئَت[1] عُنُقه . فخرج وهو يقول :

كما بنى غَيْظ الرجالِ فأصبحتْ * بنــو مالك غَيْظًا وصرنا كمالكِ

لحى الله دهرًا ذَعْذَع[3] المالَ كلَّه * وســوّد أشباه[2] الإماء العَوارك

خطب إليه رجل من بنى سلامان فكتفه وألقاه فى قرية النمل

أخبرنى هاشمُ بن محمد الخُزاعى قال حدّثنا أبو غسان دَماذ عن أبى عبيدة قال :

كان لعَقِيل بن عُلَّفة جارٌ من بنى سَلامانَ بن سعد، فخطب إليه ابنته، فغضب عَقِيل، وأخذ السّلامانىّ فكتّفه[4]، ودهن استَهُ بشحم، وألقاه فى قرية[5] النمل، فأكلن خُصْيَيْه حتى ورم جَسَدُه، ثم حلّه وقال : يخطب إلىّ عبد الملك فأردّه، وتجترئُ أنت علىّ ! قال : ثم أجدبتْ مراعى بنى مُرّة، فانتجع عَقِيل أرض جُذامَ وقُربهم عُذْرة. قال عَقِيل : فجاءنى هُنَىٌّ مثلُ البعرة، فخطب إلىّ ابنتى أمّ جعفر. فخرجتُ إلى أكمة قريبة من الحىّ، فجعلت أنبحُ كما ينبحُ الكلب، ثم تحملت وخرجت، فاتّبعنى جمعٌ من حُنّ (بطن من عُذْرة) فقالوا : اختر، إن شئت

(١) وجأه باليد وبالسكين : ضربه . والعنق يذكر ويؤنث .

(٢) فى الأصول : « أستاه » وهو تحريف . (٣) ذعذع المال : فرّقه وبدّده .

وسوّده : جعله سيدا . والعوارك : الحيّض ، ومنه قول بعضهم :

أفى السلم أعيارا جفاء وغلظة * وفى الحرب أمثال النساء العوارك

والبيت فى اللسان (ذعع) ينسبه إلى علقمة بن عبدة .

(٤) كتف الرجل يكتفه (بالكسر)، وكتّفه (بالتشديد) : شدّ يديه من خلفه بالكتاف وهو ما شدّ به . (٥) قرية النمل : مجتمع ترابها .

حبسناك ، وإن شئت حَدَرْناك[(١)] وبُعَيْرةً من رأس الجبل ، فإن سبقتها خلّيناعنك .
فأرسلوا بعيرةً فسبقتُها ، فخلّوا سبيلى ، فقلت لهم : ما طمعتم بهذا من أحد ! قالوا :
أردنا أن نضع منك حيثُ رغبتَ عنّا . فقلت فيهم :

لقد هزِئتْ حُنٌّ بنا وتلاعبتْ * وما لعبت حُنٌّ بذى حسَب قبلى
رويدًا بنى حُنّ تَسِيحوا وتأمنوا * وتنتشر الأنعامُ فى بلد سهلِ

والله لأموتنّ قبل أن أضعَ كرائمى إلّا فى الأكْفاء .

خرج إلى الشام مع أولاده ثم عادوا منها فقال شعرا أجازه ابنه وابنته رمى ابنيه بسهم فعقره

أخبرنى الحَرَمىّ بنُ أبى العلاء قال حدّثنا الزبيرُ بنُ بكّار قال حدّثنى محمد ابن الضحّاك عن أبيه قال :

وجدتُ فى كتاب بخطّ الضحّاك قال : خرج عَقيل بن علّفة وابناه : علّفة وجَثّامةُ ، وابنتُه الجرباء حتى أتوا بنتا له ناكحًا[(٢)] فى بنى مَرْوان بالشام فآمت[(٣)] ، ثم إنهم قفلوا بها حتّى كانوا ببعض الطريق ، فقال عَقيل بنُ عُلّفة :

قضتْ وطرا من دير سعدٍ[(٤)] وطالما * على عُرُضٍ ناطحْنَهُ بالجماجم
إذا هبطتْ أرضا يموت غرابُها * بها عطشا أعطينَهم بالخزائم[(٥)]

ثم قال : أنفِذ ياعلّفة ، فقال علّفة :

فأصبحن بالمَوماة[(٦)] يحملن فِتْيةً * نَشاوَى من الإدلاج مِيلَ العمائم
إذا عَلَمٌ[(٧)] غادرْنَه بتَنُوفة * تذارعن بالأيدى لآخر طاسم

٨٧ / ١١

(١) حدرناك ، من الحدر : وهو الحط من علو إلى سفل . (٢) ناكح وناكحة : ذات زوج .
(٣) آمت المرأة : فقدت زوجها . (٤) دير سعد : بين بلاد غطفان والشام .
(٥) الخزائم : جمع خزامة ، وهى حلقة من شعر تجعل فى أحد جانبى منخرى البعير ليقتاد بها . يريد أن الإبل منقادة . ومنه الحديث : « ومرهم أن يعطوا القرآن بخزائمهم » . قال ابن الأثير : يريد الانقياد لحكم القرآن . (٦) الموماة : المفازة الواسعة . نشاوى : سكارى . الإدلاج : السير من أوّل الليل . (٧) العلم : شىء ينصب فى الفلوات تهتدى به الضالة . التنوفة : المفازة . تذارعن : سرن ، وأصله أن يذرع البعير بيديه فى سيره ذرعا ؛ إذا سار على قدر سعة خطوه . رسم طاسم : دارس .

ثم قال : أنفذى يا جرباء، فقالت : وأنا آمنة ؟ قال نعم . فقالت :

كأنّ الكرى ســقّاهمُ صَرْخَديّةً * عُقَارا تمشّى فى المطا والقــوائم[1]

فقال عَقيل: شربتَها وربِّ الكعبة ! لولا الأمانُ لضربت بالسيف تحت قُرْطك، أما وجَدْتِ من الكلام غير هذا! فقال جَثّامة: وهل أساءت! إنما أجازت. وليس غيرى وغيرُك . فرماه عَقيل بسهم فأصاب ساقَه وأنفذ السهم سَاقَه والرَّحلَ، ثم شدّ على الجَرْباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقةِ جَثّامة وتركه عَقيرًا مع ناقة الجرباء. ثم قال : لولا أن تسبَّنى بنو مرّة ما ذقتِ الحيـاة . ثم خرج متوجّها إلى أهـله وقال : لئن أخبرتِ أهلَك بشأنِ جثّامة ، أو قلتِ لهم إنه أصابه غيرُ الطاعون لأقتلنـك . فلما قدِموا على أهل أُبَيْر(وهم بنو القَيْن) ندم عَقيل على فعله بجثّامة . فقال لهم : هل لكم فى جَزور آنكسرت؟ قالوا : نعم . قال: فآلزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجَزور، فخرج القــوم حتّى انتهوا إلى جَثّامة فوجدوه قد أنزفه الدم ، فاحتملوه وتقسّموا الجزور، وأنزلوه عليهم، وعالجوه حتى برأ، وألحقوه بقومه .

ونسخت هـذا الخبرَ من كتاب أبى عبـد الله اليزيدىّ بخطه ولم أجِده ذكر سماعه إياه من أحد قال :

قرِئ على علىّ بن محمد المدائنى عن الطِّرِمّاح بن خليل بن أبرد ، فذكر مثل ما ذكره الزبير منــه وزاد فيه : أن القوم احتملوا جَثّامة ليلحقوه بقومه ؛ حتى إذا كانوا قريبا منهم تغنى جَثّامة :

أيُعْذَر لاهِينا[2] ويُلْحَيْن فى الصِّبا * وما هنّ والفِتيانُ إلا شقائِقُ

---

(١) الصرخدية : نسبة إلى صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق . العقار : الخمر . المطا : الظهر . (٢) فى الأصول : «لاحينا» وهو تحريف، صوابه من الأمالى لأبى على القالى فى حديث رجل كان قد عضل بناته (٢ : ١٠٥) ، وروايته فيه :

أيزجر لاهينا ونلحى على الصبا * وما نحن والفتيان إلا شقائق

فقال له القوم : إنما أفلتّ من الجراحة التى جرحك أبوك آنفا، وقد عاودتَ ما يكرهُه، فأمسكْ عن هذا ونحوِه إذا لقيته لا يلحقك منه شرّ وعرّ[1] . فقال : إنما هى خَطْرةٌ خَطرَتْ، والراكب إذا سار تغنّى .

أصابه القولنج فى المدينة فنعتت له الحقنة فأبى فقال ابنه شعرا فى ذلك

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى أحمدُ بن سعيد الدمشقىّ قال حدّثنا الزبير ابنُ بكار قال حدّثنى عبد الله بن إبراهيم الجمحىّ قال :

قدم عَقِيلُ بنُ عُلَّفة المدينةَ فنزل على آبن بنته يعقوب بن سلَمَةَ المخزومىّ، فمرض وأصابه القولنج[2]، فنُعِتَتْ له الحُقنة ، فأبى . وقدِم ابنه عليه فبلغه ذلك، فقال :

لقــد سرنى واللهُ وقّاك شرَّها * نجاؤك منها حين جاء يقودُها
كفى خزْيةً ألّا تزال مُجَبِّيا[3] * على شَكْوة[4] تُوكَى وفى آستك عُودُها

شد على ابنه علفة بالسيف فحاد عنه وقال فى ذلك شعرا

أخبرنى عبيد الله بن محمد الرازىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا علىّ بنُ محمد عن زيد بن عياش التغلبى والربيع بن ثُمَيْل قالا :

غدا عَقِيل بن عُلَّفة على أفراس له عنــد بيوته فأطلقها ثم رجع ، فإذا بنوه مع بناتِه وأُمِّهم مجتمعون، فشدّ على علّس فحاد عنه ، وتغنى علّفة فقال :

قفى يا آبنةَ المُرّىّ أسألكِ ما الذى * تريدين فيما كنتِ منّيتِنا قبــلُ
نخــبّرْكِ إن لم تنجزى الوعدَ أننا * ذَوَا خُلّة لم يبــق بينهما وصــلُ
فإن شئتِ كان الصُّرمُ ما هبّت الصبا * وإن شئتِ لا يفنى التكارم والبذل

(١) عرّه بمكروه : أصابه به وساءه . (٢) القولنج : مرض معوىّ .
(٣) كذا فى ب، س، ط، م . وفى حـ «مجنبا» ، وفى ف «محبيا» ، تصحيف ، يقال : جبّى فلان، إذا أكب على وجهه باركا . (٤) الشكوة : القربة الصغيرة . وتوكى : تربط .

فقال عَقيل: يا بن الخَنّاء(١)، متى منّتك نفسك هذا ! وشدّ عليه بالسيف — وكان عملّس أخاه لأمه — فحال بينه وبينه ، فشدّ على عمَلّس بالسيف وترك عُلّفة لا يلتفت إليه(٢)، فرماه بسهم ، فأصاب ركبته ، فسقط عَقيل وجعل يتمّعك(٣) فى دمه ويقول :

إنّ بَنِيَّ سَرْبَلُونى بالدّمِ(٤) * من يَلْقَ أبطالَ(٥) الرجال يُكْلَمِ
ومَنْ يكن ذا أَوَدٍ يُقَوَّمِ * شِنْشِنةٌ(٦) أعرِفها من أخزمِ

قال المدائنى : "شِنشنة أعرِفها من أخزم" مَثَلٌ ضربه . وأخزمُ : فحلٌ كان لرجل من العرب ، وكان منجبًا ، فضرب فى إبل رجلٍ آخر — ولم يعلم صاحبُه — فرأى بعد ذلك من نسله جملا، فقال : شِنْشِنة أعرِفها من أَخْزَم(٧) .

عاتبه عمر بن عبد العزيز فى شأن بناته فأجابه

أخبرنى محمدُ بنُ خلف وكيعٌ قال حدّثنى سليمانُ المدائنىّ قال حدّثنى مصعب ابن عبد الله قال :

قال عمر بن عبد العزيز لعَقيل بن عُلّفة : إنك تخرج إلى أقاصى البلاد وتدع بناتك فى الصحراء لا كالِئَ لهنّ ، والناس ينسُبونك إلى الغيرة ، وتأبى أن تزوّجهنّ إلا الأكفاء . قال : إنى أستعين عليهنّ بخَلّتين تَكْلاَنِهِنّ ، وأستغنى عن سواهما . قال : وما هما ؟ قال : العُرْىُ والجوعُ .

نسخت من كتاب محمدِ بنِ العباس اليزيدىّ :

---

(١) الخنّاء، من الخَنَن، (بالتحريك)، وهو النتن . (٢) كذا فى ف، وفى سائر الأصول: «عليه» . (٣) يتمعك فى دمه : يتمرغ . (٤) رواية اللسان مادة شتن : «زملونى» . (٥) رواية اللسان : «آساد» . (٦) الشنشنة : الخليقة . (٧) المثل فى اللسان منسوب إلى أبى أخزم الطائىّ، قال : «قال ابن برى : كان أخزم عاقا لأبيه فمات وترك ابنين عقوا جدهم وضربوه وأدموه، فقال ذلك» .

يماه ابنه عملس أصاب ركبتـه، غضب وخرج إلى الشام، وقال فى ذلك شعرا

قال خالدُ بنُ كلثوم : لما رمى عملَّس بنُ عَقيل أباه فأصاب ركبتـه غضب وأقسم ألّا يساكن بنيه، فآحتمل وخرج إلى الشّام، فلما آستوى على ناقته المسماة بأطلال بكت ابنته جرباء وحنّت ناقته، فقال :

ألم تريا أطـلالَ حَنّتْ وشاقَها * تفرُّقُنا يـومَ الحَبيبِ على ظهـر[1]

وآسبل من جرباءَ دمعٌ كأنّه * جُمانٌ أضاع السلكَ أجْرَتْه فى سطر[2]

لعمرُك إنى يـوم أغدو عَملَّسا * لكالمتربِّى حَتفَه وهو لا يدرى[3]

وإنى لأسـقيه غَبـوقى وإننى * لَغَرْثانُ منهـوكُ الذِّراعين والنحرِ[4]

خرج ابنه علفة إلى الشام أيضا وكتب إلى أبيه شعرا

قال : ومضى علّفة أيضا، فافترض[5] بالشام وكتب إلى أبيه :

ألا أبلغا عنّى عَقيـلًا رسالةً * فإنك من حربٍ علىّ كريمُ

أما تذكر الأيامَ إذ أنت واحد * وإذ كلُّ ذى قُربى إليك ذميمُ

وإذ لا يَقيك الناسُ شيئا تخافُه * بأنفسهم إلا الذين تَضيـمُ

تَناول شأْوَ الأبعـدين ولم يقم * لشأوك بين الأقربين أديمُ

فأمّا إذا عضَّتْ بك الحربُ عَضّةً * فإنك معطوفٌ عليك رحيـمُ

وأمّا إذا آنسْتَ أمنا ورخْوَةً * فإنك للقُـرْبَى ألدُّ ظَلـومُ[6]

فلما سمـع عقيل هذه الأبيات رضى عنه، وبعث إليه فقدم عليه .

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا الرياشىّ عن محمد بن سلّام قال حدّثنى ابن جُعْدُبة قال :

---

(١) حبيب : بلد من أعمال حلب بالشام . (٢) الجمان : اللؤلؤ الصغار أو حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ . (٣) تربه وترباه : أحسن القيام عليه ووليه . (٤) غرثان : جائع . النحر : الصدر . (٥) افترض الجند : أخذوا عطاياهم . (٦) الألد : الخصم الجدل الذى لا يرجع إلى الحق .

٨٩ / ١١

سب عمر بن عبدالعزيز ابن أخته فعاتبه فى ذلك

عاتب عمر بن عبد العزيز رجلا من قريش، أمّه أختُ عقيل بن عُلَّفة فقال له : قَبحك الله ! أشبهتَ خالَك فى الجفاء . فبلغتْ عَقيلا فجاء حتى دخل على عمر فقال له : ما وجدْتَ لابن عمِّك شيئا تُعَيِّره به إلا خُؤولتى ! فقبح الله شرّ كما خالا . فقال له صُخَير بنُ أبى الجَهْم العَدَوِىُّ (وأمه قُرشية) : آمين يا أمير المؤمنين . فقبح الله شرّ كما خالا ، وأنا معكما أيضا . فقال له عمر : إنك لأعرابىٌّ جِلْف جافٍ ، أما لو كنتُ تقدّمتَ إليك لأدّبتك . والله لا أراك تقرأ من كتاب الله شيئا ، قال : بلى ، إنى لأقرأُ ، قال : فاقرأ . فقرأ : ﴿ إذا زُلْزِلتِ الأرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ حتى بلغ إلى آخرها فقرأ : فمن يعمل مِثقال ذرةٍ شرا يره ومن يعمل مِثقال ذرةٍ خيرا يره ، فقال له عمر : ألم أقل لك إنك لا تحسن أن تقرأ ؟ قال : أولم أقرأ؟ قال : لا ، لأنّ الله جلّ وعزّ قدّم الخير وأنك قدّمت الشر . فقال عقيل :

قرأ شيئا من القرآن فأخطأ فاعترض عليه عمر فأجابه

خذا بَطْنَ هَرْشَى أو قَفاها فإنه * كِلا جانبىْ هَرْشَى لهنّ طريق (١)

فجعل القوم يضحكون من عَجْرَفِيّته .

وروى هذا الخبر علىُّ بنُ محمد المدائنىّ ، فذكر أنه كان بين عُمَر بن عبد العزيز وبين يعقوب بن سلَمة وأخيه عبد الله كلامٌ ، فأغلظ يعقوبُ لعمر فى الكلام فقال له عمر : اسكت فإنك ابنُ أعرابيّة جافيِة . فقال عَقيل لعمر : لعن الله شرَّ الثلاثة ، منى ومِنك ومِنه ! فغضب عمرُ ، فقال له صُخَير ابنُ أبى الجَهْم : آمين . فهو والله أيها الأمير شرُّ الثلاثة . فقال عمر : والله إنى لأراك لو سألته عن آية من كتاب الله ما قرأها . فقال : بلى والله إنى لقارئٌ لآية وآياتٍ فقال : فاقرأ ، فقرأ : إنّا بعثنا نوحا إلى قومه ، فقال له عمر : قد أعلمتك

(١) هرشى : ثنية فى طريق مكة قريبة من الجحفة .

أنك لا تُحسِن . ليس هكذا قال الله، قال : فكيف قال ؟ قال : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ فقال : وما الفرق بين أرسلنا و بعثنا !

خذا أنف هَرْشَى أو قَفاها فإنه * كلا جانبي هَرْشى لهنّ طريقُ

دخل المسجد بخفين غليظين وجعل يضرب بهما فضحك الناس منه

أخبرنى عُبيد الله بن أحمد الرازىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنى على بن محمد المدائنىّ عن عبد الله بن أسلم القرشىّ قال :

قدِم عقِيل بن عُلَّفة المدينة، فدخل المسجد وعليه خُفّانِ غليظانِ، فجعل يضربُ برجْلَيه، فضحكوا منه فقال : ما يُضحِكُكم ؟ فقال له يحيى بنُ الحكم — وكانت ٱبنة عَقيل تحته — : يضحكون من خُفّيك وضرْبِك برجليك وشدّةِ جفائك . قال : لا، ولكن يضحكون من إمارتك، فإنّها أعجبُ من خُفّى . فجعل يحيى يضحك .

خبره مع يحيى بن الحكم أمير المدينة وزواج ابنته

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ قال حدّثنى عمى عن عبد الله بن مُصْعَب قاضى المدينة قال :

دخل عَقيلُ بن عُلّفة على يحيى بنِ الحكم، وهو يومئذ أميرُ المدينة . فقال له يحيى : أَنكِح ٱبن خالى — يعنى ابنَ أوفَى — فلانةَ ٱبنتك ؟ فقال : إن ٱبنَ خالك لَيَرْضَى منى بدون ذلك، قال : وما هو ؟ قال : أن أكُفّ عنه سَنَن(1) الخيل إذا غشيَتْ سَوَامه(2). فقال يحيى لحرسيَّيْن بين يديه : أخرِجاه. فأخرجاه، فلما ولّى قال : أعيداه إلىّ، فأعاداه، فقال عقيل له : مالك تُكرِّرنى إكرار الناضح(3) ؟ قال : أما والله إنى لأ كرك أعرج جافيا . فقال عَقيل : كذلك قلت :

(١) السنن : استنان الخيل، وهو عدوها لمرحها ونشاطها .

(٢) السوام : كل ما رعى من المال فى الفلوات إذا خلى يرعى حيث شاء .

(٣) الناضح : الدابة يستقى عليها الماء .

تَعَجَّبَتْ إذ رأت رأسى تَجَلَّلَــه * من الروائع شيبٌ ليس من كِبَرِ
ومِن أديمٍ تولّى بعـد جِدّته * والجفنُ يَخْلُق فيــه الصّارِمُ الذَّكَرُ [1]

٩٠/١١

فقال له يحيى، أنشِدنى قصيدتَك هذه كلها . قال : ما انتهيتُ إلّا إلى ما سمعت .
فقال : أما والله إنك لتقول فتقصّر، فقال: إنّما يكفى من القلادةِ ما أحاط بالرقبة .
٥ قال : فأنكِحنى أنا إحدى بناتِك . قال: أمّا أنت فنعم . قال : أما واللهِ لأملأنّك مالا
وشرفا . قال: أما الشّرف فقد حمّلتُ ركائبى منه ما أطاقت، وكلفتها تجشّمَ ما لم تطِقْ،
ولكن عليك بهذا المـال فإن فيه صلاحَ الأيِّم ورضا الأبيّ . فزوّجه ثم خرج فهداها
إليه ، فلما قدِمت عليه بَعَث إليها يحيى مولاةً له لتنظر إليها ، فجاءتها فجعلت تغمز
عضُدها، فرفعت يدها، فدقّت أنفها، فرجعت إلى يحيى وقالت: بعثتنى إلى أعرابية
١٠ مجنونةٍ صنعتْ بى ما ترى ! فنهض إليها يحيى، فقال لها : مالك ؟ قالت: ما أردتَ
أن بَعَثْتَ إلىّ أمة تنظر إلىّ ! ما أردتُ بمـا فعلتُ إلا أن يكون نظرك إلىّ قبل
كلّ ناظر، فإن رأيتَ حسنًا كنتَ قد سبقتَ إلى بهجته، وإن رأيتَ قبيحا
كنتَ أحق مَنْ ستره . فسرّ بقولها وحظِيتْ عنده .

وذكر المدائنى هذا الخبر مثلَه ، إلا أنه قال فيه : فإن كان ما تراه حسنا كنت
١٥ أوّلَ من رآه، وإن كان قبيحا كنت أوّلَ من واراه .

زواج يزيد بن عبد الملك ابنته الجرباء

اخبرنى ابنُ دريد قال حدّثنا عبدُ الرحمن عن عمه قال :
خطب يزيدُ بنُ عبد الملك إلى عَقيل بن عُلّفة ابنتَه الجرباء ، فقال له عَقيل :
قد زوّجتكها، على أن لا يَزُفّهـا إليك أعلاجُك [2]، أكونُ أنا الذى أجىءُ بها إليك .

(١) الذكر والذكير من الحديد : أيبسه وأشده وأجوده ، وفى البيت إقواء .
٢٠ (٢) أعلاج : جمع علج (بكسر فسكون) : الرجل الشديد الغليظ .

قال : ذلك لك . فتزوّجها ، ومكثوا ما شاء الله . ثم دخل الحاجبُ على يزيد فقال له : بالباب أعرابىٌّ على بعير ، معه آمرأةٌ فى هَوْدج قال : أراه والله عَقيلا . قال : فجاء بها حتى أناخ بعيرَها على بابه ، ثم أخذ بيدها فأذعنت ، فدخل بها على الخليفة فقال له : إن أنتما وُدِنَ[1] بينكما ، فبارك الله لكما ، وإن كرهتَ شيئا فضع يدها فى يدى كما وضعتُ يدها فى يدك ثم برئت ذمتك . فحملت الجرباء بغلام ففرح به يزيد ونَحَله[2] وأعطاه . ثم مات الصبىّ ، فورثت أمه منه الثُّلث ، ثم ماتت فورثها زوجها وأبوها فكتب إليه : إن آبنك وآبنتك هلكا ، وقد حسبت ميراثك منهما فوجدته عشرةَ آلافِ دينارٍ ، فهَلُمَّ فاقبِضه . فقال : إن مصيبتى بابنى وآبنتى تَشغَلنى عن المال وطلبه ، فلا حاجةَ لى فى ميراثهما ، وقد رأيتُ عندك فرسًا سَبقتَ عليه الناس ، فأعطنيه أجعله فحلا لخيلى . وأبى أن يأخذ المال ، فبعث إليه يزيد بالفرس .

موت ابنته وامتناعه عن أخذ ميراثها

أخبرنا عبيدُ الله بنُ محمد قال حدّثنا الخزاز عن المدائنىّ عن إسحاق بن يحيى قال :

قال لرجل من قريش بالرفاء والبنين فأنكر عليه ذلك

رأيت رجُلًا من قريش يقول له عَقيل بن عُلَّفة : بالرِّفاء والبنين والطائرِ المحمودِ . فقلت له : يابن عُلَّفة ، إنه يُكرَه أن يُقالَ هذا . فقال : يآبن أخى ، ما تريد إلى ما أُحدِثَ ! إنّ هذا قولُ أخوالك فى الجاهلية إلى اليوم لا يعرِفون غيره . قال : فحدّثتُ به الزُّهرىّ فقال : إنّ عَقيلا كان من أجهل الناس . قال : وإنما قال لإسحق بن يحيى بن طلحة : «هذا قول أخوالك» ، لأن أم يحيى بن طلحة مُرِّيّة .

(١) الودن والودان : حسن القيام على العروس ؛ ويقال : ودن العروس : أحسن القيام عليها .
(٢) نحله ، من النحل (بالضم) ، وهو العطية والهبة .

خطب إليه رجل كثير المال مغموز فى نسبه فقال فيه شعرا

٩١ / ١١

قال المدائنى وحدّثنى علىّ بنُ بشير الجُشَمِىّ قال قال الرُّمَيْحُ :

خطب إلى عَقِيلٍ رجل من بنى مرّة كثيرُ المال، يُغْمَزُ فى نسبه، فقال :

لَعَمْرى لئن زوّجتُ من أجل ماله * هَجِينًا[1] لقد حُبَّتْ إلىّ الدراهم

أأُنكِحُ عبدا بعدَ يحيى وخالدٍ * أولئك أكفائى الرجالُ الأكارمُ

أبى لىَ أنْ أرضى الدنيّةَ أننى * أُمُدُّ عِنانا لم تخنْه الشكائمُ[2]

خطب إليه رجل من بنى مرة فطعن ناقته بالرمح فصرعته

نسخت مِن كتاب محمد بن العباسِ اليزيدىّ بخطّه يأثُره[3] عن خالد بنِ كلثوم بغير إسناد متصل بينهما :

أن رجلاً من بنى مُرّة يقال له داودُ أقبل على ناقةٍ له، فخطب إلى عَقِيل ابن عُلَّفة بعضَ بناتِه، فنظر إليه عَقِيل — وإنّ السيف لا يناله — فطعن نَاقَتَهُ بالرمح فسقطت وصرعته، وشدّ عليه عَقِيلٌ فهرب، وثار عَقِيلٌ إلى ناقته فنَحَرها، وأطعمها قومه وقال :

ألم تقلْ يا صاحبَ القَلُوصِ * داودَ ذا الساج[4] وذا القميص

كانت عليه الأرض حِيصَ بيصِ[5] * حتى يَلُفَّ عِيصَه[6] بعِيصِى

* وكنتُ بالشبان ذا تقميص *

فقال داود فيه من أبيات :

أراه فتى يَجْعَلُ الحلالَ ببيته * حرامًا ويَقْرِى الضيفَ عَضْبًا مهنّدا

(١) الهجين : العربىّ ابن الأمة . (٢) الشكيمة فى اللجام، الحديدة المعترضة فى فم الفرس .

(٣) يأثره : ينقله ويرويه . (٤) الساج : الطيلسان الضخم الغليظ .

(٥) حيص بيص فى الأصل : جحر الفأر؛ ويقال : إنك لتحسب علىّ الأرض حيصا بيصا، بفتح الحاء والباء، وحيص بيص بكسرهما : أى ضيقة، وفى اللفظتين لغات مدّة لاتنفرد إحداهما عن الأخرى .

(٦) عيص المرء : أصله .

فرت منه زوجته الأنمارية فردّها إليه عامل فدك

وقال المدائنى حدّثنى جوشن بن يزيد قال :

لما تزوّج عَقيلُ بن عُلَّفة زوجَتَه الأنمارية — وقد كَبِر — فرّت منه ، فلقيها جَحّافٌ ، أحدُ بنى قِتالِ بنِ يَرْبوع ، فحملها إلى عامل فَدَك ، وأصبح عقيلٌ معها ، فقال الأمير لعَقيل : ما لهـذه تستعدى عليك يا أبا الجَرْباء ؟ فقال عقيلٌ : كَلَّ ذَكَرى ، وذهب ذَفَرى[1] ، وتغايبَ نفَرى ، فقال : خذ بيدها ، فأخذها وانصرف ، فولدت له بعد ذلك عُلَّفة الأصغر .

شعره يحرض بنى سهم على بنى جوشن

أخبرنى هاشمُ بنُ محمد الخُزاعىّ قال حدثنا دَماذ عن أبى عبيدة قال :

لما نشبت الحرب بين بنى جوشن و بين بنى سهم بنِ مرة رهط عَقيل بن عُلَّفة المرىّ — وهو من بنى غَيْظ بن مرة بن سهم بن مُرَّة إخوتهم — فاقتتلوا فى أمر يهودىّ خَمّارٍ كان جارالهم ، فقتلته بنو جَوْشَنٍ من غطفان ، وكانوا متقاربى المنازل وكان عقيل بن عُلّفة بالشأم غائبا عنهم ، فكتب إلى بنى سهم يُحَرِّضُهم[2] .

فإمّا هلكتُ ولم آتِكُمْ * فأَبْلِغْ أماثلَ سَهْمٍ رَسُولا
بأن التى سامكُمْ قومكُمْ * لقد جعلوها عليكم عُدولا
هوان الحياة وضَيْمُ المَمات * وكلّا أراه طعامًا وبيلا
فإن لم يكن غيرُ إحداهما * فسيروا إلى الموت سيرا جميلا
ولا تقعدوا وبكم مُنّةٌ * كفى بالحوادث للمرء غُولا[3]

قال : فلما وردت الأبياتُ عليهم تكفّل بالحربِ الحُصينُ بن الحُمَام المُرّىّ أحد بنى سهم ، وقال : إلىّ كتبَ وبى نَوّهَ ، خاطَبَ أماثلَ سهم وأنا من أماثلهم . فأبلى فى تلك الحروبِ بلاءً شديدا . وقال الحصين بن الحُمَام فى ذلك من قصيدة طويلة له :

(١) الذفر : شدة ذكاء الريح .
(٢) وردت بعض هذه الأبيات فى المفضليات (طبع أوروبا ص ٨٨) منسوبة إلى بشامة بن عمرو ، مع اختلاف فى بعض ألفاظها .
(٣) الغول : كل ما أهلك الإنسان .

يَطَأْن من القتلى ومن قِصَد القَنا * خَبارًا فما ينهضن إلا تَقَحُّما (١)

عليهن فِتْيانٌ كساهم مُحرِّقٌ * وكان إذا يكسو أجاد وأكرما (٢)

صفائحَ بُصْرى أخلصتْها قُيونُها * ومطَّرِدًا من نسج داود مُحكَما (٣)

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجدْ * لنفسى حياة مثلَ أن أتقدما

٩٢/١١

نهب بنو جعفر إبلا لجاره فردها إليه وقال شعرا فى ذلك

٥ وقال المدائنى قال جَرّاح بن عِصام بن بُجَيْر :

عَدَتْ بنو جعفر بن كلاب على جار لعَقيل فأطردتْ إبله وضربوه ، فغدا عَقيل على جار لهم فضربه ، وأخذ إبلَه فأطردها ، فلم يردّها حتى ردّوا إبل جاره وقال فى ذلك :

إن يَشْرَق الكلبىّ فيكم بريقه * بنى جعفر يُعْجَلْ لجارِكمُ القتلُ

١٠ فلا تحسبوا الإسلام غيَّر بعدكم * رماحَ مواليكم فذاك بكم جهلُ

بنى جعفر إن ترجعوا الحرب بيننا * نَدِنْكم كما كنا نَدِينُكمُ قبلُ

بدأتم بجارى فانثنيتُ بجاركم * وما منهما إلا له عندنا حَبْلُ

وذكر المدائنى أيضا :

أسره بنو سلامان وأطلقه بنو القين

أن عَقيلا كان وحده فى إبله ، فمر به ناس من بنى سَلامان فأسَروه ، ومروا به

١٥ فى طريقه على ناس من بنى القَيْن ، فانتزعوه منهم ، وخلَّوْا سبيله . فقال عقيل فى ذلك :

أسعدَ هُذَيم إنّ سعدا أباكُمُ * أبى لا يوافى غاية القَيْن من كلب

---

(١) القصد : جمع قصدة ، وهى القطعة من القناة المتكسرة . الخبار من الأرض : مالان واسترخى .

(٢) محرق : لقب عمرو بن هند و إنما سمى بذلك لأنه حرق مائة من بنى تميم .

(٣) قيون : جمع قين : وهو الحداد ، ومطردا : أى درعا مطردا (والدرع قد تذكر) . اطرد الشىء :

٢٠ تبع بعضه بعضا ، والمعنى تتابعت حلقاتها واتصلت .

وجاء هُـذيمٌ والركاب مُناخـةٌ * فقيل تأخَّر ياهـذيمُ على العَجْب(١)

فقال هذيم إن فى العَجْبِ مركبى * ومركب آبائى وفى عَجْبها حَسْبى

قال : وسعد هذيم هم عُذرةُ وسَلامان والحارثُ وضَبّة .

مات ابنه علفة بالشام فرثاه

أخبرنى الحسن بن على قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرُويَه قال حدثنى أبو مسلم عن المدائنى عن عبد الحميد بن أيوب بن محمد بن عُمَيلة قال :

مات عُلَّفة بن عَقيل الأكبر بالشأم ، فنعاه مُضَرِّس بن سَوادة لعَقيل بأرض الجنَاب ، فلم يصدّقه وقال :

قَبَح الآلهُ ـ ولا أقبِّح غيره ـ * ثَفَرَ(٢) الحمار مضرِّس بنَ سَوادِ

تَنعَى امرأً لم يَغلُ أمّـك مثلُهُ * كالسَّيف بين خَضارِمٍ(٣) أنجاد

ثم تحقق الخبر بعد ذلك ، فقال يرثيه :

لَعَمْرى لقد جاءتْ قوافل خبّرت * بأمرٍ من الدنيا علىّ ثقيـلِ

وقالوا ألا تبكى لمصرعِ فارس * نعتْـه جنودُ الشام غـيرِ ضئيل

فأقسمتُ لا أبكى على هُلْك هالكٍ * أصاب سبيلَ اللهِ خـيرَ سبيلِ

[كأن المنايا تبتغى فى خيارِنا * لها نسباً أو تهتـدى بدليـل](٤)

تَحُـلُّ المنايا حيثُ شاءت فإنهـا * مُحَلَّلَةٌ بعـد الفـتى ابن عَقيـل

فـتًى كان مـولاه يَحُـلُّ بِرَبْوَةٍ * فحَـلَّ المـوالى بعـده بمَسيلِ

(١) العجب : أصل الذنب وهو العصعص .

(٢) الثفر : السير الذى فى مؤخر السرج تحت ذنب الدابة .

(٣) خضارم ، جمع خضرم : الجواد الكثير العطية .

(٤) هذا البيت لم يرد فى ط و جـ .

حطم رجل من بنى صرمة بيوته فأقبل ابنـه عملس من الشام فانتقم له

أخبرنى محمدُ بنُ الحسن بنُ دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبى عبيدة : قال : كان عَقيل بن عُلّفة قد أطردَ بنيه ، فتفرقوا فى البلاد وبقى وحده . ثم إن رجلا من بنى صِرْمة، يقال له بَجِيل — وكان كثير المال والماشية — حَطّم بيوتَ عَقيل بماشيته، ولم يكن قبل ذلك أحد يقرُب من بيوت عَقيل إلا لَقِىَ شرا. فطردت صافنةُ (أمةٌ له) الماشيةَ، فضربها بَجِيلٌ بعصا كانت معه فشجّها . فخرج إليه عَقيل وحده — وقد هرِم يومئذ وكبرتْ سِنّه — فزجره فضربه بَجِيل بعصاه، وآحتقره. فجعل عَقيل يصيح : يا عُلّفة، يا عَمَلّس، يا فلان، يا فلان، بأسماء أولاده مستغيثا بهم، وهو يحسبهم لهرمه أنهم معه . فقال له أرطاة بن سُهَيّة :

٩٣ / ١١

أكلتَ بنيكَ أكلَ الضبِّ حتى * وجدتَ مرارةَ الكلأ الوبيلِ

ولو كان الألى غابوا شهودا * منعتَ فِناءَ بيتِك من بَجيلِ

وبلغ خبرُ عَقيلٍ آبنَه العَمَلّس وهو بالشام، فأقبل إلى أبيه حتى نزل إليه، ثم عمَد إلى بَجِيل فضربه ضربا مبرِّحا، وعقر عِدّة من إبله وأوثقه بحبل، وجاء به يقوده حتى ألقاه بين يدى أبيه، ثم ركب راحلتَه، وعاد من وقته إلى الشام، لم يَطعَم لأبيه طعاما، ولم يشرب شرابا .

خبر ابنه المقشعر مع أعرابى نزل

أخبرنى عمى قال حدّثنا الكُرانى قال حدّثنا آبن عائشة قال :

نزل أعرابى على المُقشَعِرّ بن عَقيل بن عُلّفة المرّى فشربا حتى سكِرا وناما، فانتبه الأعرابىّ مُرَوَّعا فى الليل وهو يهذِى، فقال له المُقْشَعِرُّ : مالك ؟ قال : هذا ملك الموتِ يقبِض روحى. فوثب آبن عقيل فقال: لا والله ولا كرامة ولا نِعمة[1]

(١) نعمة عين : قرتها .

عينٍ له ! أيقبِض رُوحَك وأنت ضيفى وجارى ! فقال : بأبى أنتم وأمى ! طال والله ما منعتم الضّيم . وتلفّف ونام .

تمت أخبار عقيل ولله الحمد والمِنة .

قد مضت أخبارُ عقيلٍ فيما تقـدّم من الكتاب ، ونذكرها هنا أخبارَ شَبيب ابن البَرْصاء ونسـبه، لأن المُغَنين خلطوا بعضَ شعره ببعض شِـعر عَقِيل فى الغناء المـاضى ذِكْرُه، ونعيدُ ها هنا من الغناء ما شعرُه لشبيبٍ خاصـةً وهو :

صـــوت

من المـائة المختارة

سَـلَا أمّ عمرٍو فيم أضحى أسيرُها * تُفادَى الأسارى حوله وهو موثَقُ

فلا هو مقتول ففى القتـل راحَةٌ * ولا منعَمٌ يوما عليـه فمطْـلَقُ[1]

ويروى :

* ولا هو مَمْنونٌ عليه فمطلَقُ *

الشـعرُ لشبيبِ بن البَرْصاء، والغناءُ لِدُقاق جاريةِ يحيى بن الرَّبيع . رملٌ بالوسطى عن عمرو . وذكر حبشٌ أن فيه رملا آخر لطويس .

(١) فى جـ « فمعتق »

أخبار شَبيب بن البَرْصاء ونسبه

نســبه

هو شبيبُ بنُ يزيد بنِ جمرةَ، وقيل جبرة بن عوف بن أبى حارثةَ بن مرّة بن نُشْبة بن غَيْظ بن مرة بن سعد بن ذُبيان. والبَرْصاء أمه، واسمها قِرْصافة[1] بنتُ الحارث آبن عوف بن أبى حارثة، وهو آبن خالة عقيل بن عُلّفة، وأم عقيلٍ عَمْرَة بنت الحارث آبن عوف، ولُقِّبَتْ قِرصافةُ البَرْصاءَ لبياضِها، لا لأنها كان بها برص .

هاجى عقيــل بن علفــة

وشبيبٌ شاعرٌ فصيح إسـلامىٌّ من شعراء الدولة الأموية، بَدَوِىّ لم يَحْضُر إلا وافدا أو منتجعا . وكان يُهاجى عَقِيلَ بن عُلَّفة ويُعاديه لشراسة كانت فى عَقِيل وشرعظيم . وكلاهما كان شريفا سـيّدا فى قومه، فى بيت شرفهم وسُؤْدُدهم . وكان شَبيب أعور، أصاب عينه رجل من طيئ فى حَرْب كانت بينهم .

هاجى أرطاة بن سهيــة

أخبرنا محمدُ بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم السِّجِسْتانىّ عن أبى عُبيدة قال :

دخل أرْطاة[2] بن سُهَيّة على عبـد الملك بن مروان — وكان قد هاجى شَبِيب بن البرصاء — فأنشده قوله فيه :

أبِى كان خيرا من أبيك ولم يزلْ * جنيبًا[3] لآبائى وأنت جَنِيبُ

فقال له عبد الملك : كذبت! ثم أنشده البيت الآخر فقال :

وما زلتُ خيرًا منك مذ عضّ كارها * برأسِـكَ عادِىُّ النِّجادِ[4] رَكُوبُ[5]

٩٤ / ١١

(١) وقيل : إن اسمها أمامة وهو قول ابن الكلبى وقيل إنها لقبت البرصاء لأن أباها الحرث بن عوف جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فخطب إليه صلى الله عليه وسلم ابنته فقال : إن بها وضحا فرجع وقد أصابها ولم يكن بها وضح (تاج العروس وشرح الأمالى وشرح الحماسة للتبريزى) .

(٢) الخبر فى الأمالى لأبى على القالى جـ ٢ ص ٣٤ طبعة دار الكتب المصرية .

(٣) الجنيب : المنقاد التابع . (٤) كذا فى جـ ، وفى سائر النسخ «البجاد» بالباء، تصحيف .

(٥) قال أبو على القالى فى شرح البيت : « ما زلت خيرا منك مذ عض برأسك فعـل أمك (والفعل بالفتح : فرج كل أنثى)، أى مذ ولدت . والعادىّ : القديم، والنجاد : جمع نجد : وهو الطريق =

فقال له عبد الملك : صدقت . وكان أرطاة أفضل من شبيب نفسا، وكان شبيب أفضل من أرطاة بيتا .

فاخره عقيل بن علفة فقال شعرا يهجوه

أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال حدّثنا الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبى عمرو عن أبيه قال :

فاخر عَقِيل بن عُلّفة شَبِيب بن البرصاء فقال شبيب يهجوه ، ويُعيِّره برجلٍ من طيئ كان يأتى أمه عَمْرَةَ بنتَ الحارث يقال له حَيَّانُ ، ويهجو غيظ بن مرّة :

ألسنا بفُرْعٍ قد علمتم دِعامةً * ورابيةً تنشقّ عنها سيولُها (1)

وقد علمتْ سعد بن ذُبيان أننا * رحاها (2) الذى تأوى إليها وجُولها (3)

إذا لم تَسُسْكم فى الأمور ولم تَكُنْ * لحربٍ عَوانٍ لاقحٍ مَنْ يَسُوُلها (4)

فلستم بأهدَى فى البلاد من التى * تَرَدَّدُ حَيْرَى حين غاب دليلُها

دعت جُلُّ يربوع عقيلا لحادثٍ * من الأمر فاستخفى وأعيا عقيلُها

فقلت له : هلّا أجبتَ عشيرةً * لطارقِ ليلٍ حين جاء رسولُها!

وكائِن لنا من رَبْوة لا تنالها * مَراقيك أو جُرثومةٍ لا تطولُها

فَخَرتَ بأيامٍ لغيرك فخرُها * وغُرّتُها معروفةٌ وحُجُولُها

إذا الناس هابوا سَوْءَةً عَمَدتْ لها * بنو جابرٍ شُبّانُها وكُهولُها

= المرتفع ؛ والركوب : المركوب الموطوء ، وهو فعول فى معنى مفعول . وإنما هذا تشبيه ؛ يجعل ما عض برأسه من فرجها مثل الطريق القديمة المركوبة فى كثرة من يسلكها ؛ يريد أنه قد ذلل حتى صار كذلك» .

(١) الفرع (بضم الفاء وسكون الراء المهملة ثم عين مهملة) : عدة قرى آهلة على أربعة أيام من المدينة .

(٢) رحى القوم : سيدهم الذى يصدرون عن رأيه وينتهون إلى أمره . (٣) الجول : الصخرة التى فى الماء يكون عليها الطىّ فإن زالت تلك الصخرة تهوّر البئر . (٤) حرب عوان : قوتل فيها مرة كأنهم جعلوا الأولى بكرا ، وحرب لاقح : من لقحت الناقة إذا حملت فهى لاقح ، على التشبيه بالأنثى الحامل التى لا يدرى ما تلد ، قال الحرث بن عباد : * لقحت حرب وائل عن حيال * وقال الأعشى : إذا شمرت بالناس شهباء لاقح * عوان شديد همزها وأظلت يسولها : يسوسها ، و « من » خبر « تكن » ؛ أى سائسين لها .

فَهَلّا بنى سعدٍ صَبَحْتَ بغارةٍ * مُسَوَّمةٍ قد طار عنها نَسيلُها (١) !

فَتُدرِكَ وِترا عند آلأم (٢) واترٍ * وتُدرِكَ قتلى لم تُحَمَّ عقولُها (٣)

افتخر عليه عقيل بمصاهرته للملوك فهجاه

وقال أبو عمرو : اجتمع عَقِيل بن عُلَّفة وشبيب بن البرصاء عند يحيى بن الحَكَم فتكلّما فى بعض الأمر، فآستطال عقيلٌ على شبيب بالصِّهر الذى بينه و بين بنى مروان وكان زَوّج ثلاثا من بناته فيهم ، فقال شبيب يهجُوه :

ألا أبلغ أبا الجَرْباء عَنّى * بآياتِ التباغُض والتَّقالِى

فلا تذكُرْ أباك العبدَ وانخر * بأمّ لست مُكرِمَها وخال

وهبها مُهْرةً لَقِحت ببغل * فكان جنينُها شرَّ البغال

إذا طارت نفوسُهُمُ شَعاعا * حَمَيْنَ المُحْصَنات لدى الحِجالِ (٤)

بطعنٍ تعثُرُ الأبطالُ منه * وضربٍ حيث تُقتنَصُ العَوالِي (٥)

أبَى لى أنّ آبائى كرام * بَنَوْا لى فوق أشرافٍ طِوالِ (٦)

بيوتَ المجد ثم نموت (٧) منها * إلى علياءَ مُشْرِفةِ القَذالِ

تَزِلُّ حِجارةُ الرامين عنها * وتقصُر دونها نَبْلُ النِّضال

أبا الحُفّاثِ (٨) شرَّ الناس حيًّا * وأعناقِ الأُيورِ بنى قِتال

رفعتَ مُساميا لتنالَ مجدًا * فقد أصبحتَ منهم فى سَفالِ

(١) الغارة : الخيل المغيرة . مسوّمة : مرسلة وعليها ركبانها ، أو معلمة . النسيل : ما سقط من شعر وصوف . (٢) كذا فى ط ، ف، م ، وفى س ، ب «آلم» . (٣) العقول : جمع عقل ، وهو الدية . (٤) شعاعا : متفرقة . والحجال جمع حجلة كقبة : وهى الكلة تهيأ للعروس (٥) العوالى : جمع عالية وهى أعلى الرمح . (٦) أشراف : جمع شرف ، وهو المكان العالى .
(٧) كذا فى ء ، وفى ط ، م « بنيت » وفى ب ، س « نبوت » تصحيف .
(٨) الحفاث : حية ، على تشبيه قوم عقيل بها .

٩٥ / ١١

قال أبو عمرو: بنو قِتال إخوةُ بنى يربوع رهطِ عقيل بن علّفة وهم قوم فيهم جفاء، قال أبو عمرو : مات رجل منهم فلفّه أخوه فى عباءة له، وقال أحدهما للآخر : كيف تحمِله ؟ قال : كما تُحْمَلُ القربة . فعمَد إلى حبل فشدّ طرَفه فى عنقه وطرفه فى ركبتيه وحمله على ظهره كما تُحمَل القربة، فلما صار به إلى الموضع الذى يريد دفنه فيه حفر له حَفيرة، وألقاه فيها، وهال عليه التراب حتى واراه . فلما آنصرفا قال له : ياهناه، أنَسِيتُ[1] الحبل فى عنق أخى ورجليه، وسيبقى مكتوفا إلى يوم القيامة . قال : دعه يا هناه، فإن يرد الله به خيرا يَحُلُّه .

خطب بنت يزيد ابن هاشم فردّه ثم قبله فأبى

وقال أبو عمرو : خطب شَبيب بن البرصاء إلى يزيد بن هاشم بن حَرْملة المُرّىّ ثم الصِّرْمىّ ابنتَه، فقال : هى صغيرة، فقال شبيب : لا، ولكنك تبغى أن تردّنى، فقال له يزيدُ : ما أردتُ ذاك، ولكن أَنظِرنى هذا العام، فإذا آنصرم فعلىّ أن أزوّجك . فرحل شبيبٌ من عنده مُغْضَبًا، فلما مضى قال ليزيدَ بعضُ أهله : والله ما أفلحتَ ! خطب إليك شبيبٌ سيّدُ قومك فرددتَه ! قال : هى صغيرة، قال : إن كانت صغيرة فستكبَر عنده . فبعث إليه يزيد : ارجع فقد زوّجتك، فإنى أكره أن ترجع إلى أهلك وقد رددتك، فأبى شبيبٌ أن يرجع وقال :

لَعَمْرى لقد أشرفتُ يوم عُنَيْزةٍ * على رغبةٍ لو شدّ نفسى مَرِيرها[2]
ولكنّ ضعفَ الأمر ألّا تُمِرّه[3] * ولا خير فى ذى مِرّةٍ لا يُغيرها
تَبَيَّنُ أدبارُ[4] الأمور إذا مضت * وتُقبِلُ أشباهًا عليك صدورُها

(١) هن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان ، فإذا ناديت مذكرا بغير التصريح باسمه قلت : يا هن أقبل ، وقد تزاد الألف والهاء فى آخره فى النداء خاصة فيقال : يا هناه أقبل ، أى يا فلان ، وتضم الهاء على تقدير أنها آخر الأسم ، وتكسر لاجتماع الساكنين .
(٢) المرير والمريرة : العزيمة ، وعنيزة : موضع ، وهى هضبة سوداء ببطن فلج بين البصرة وحمى ضرية .
(٣) أمر الحبل : أحكم فتله . والمرة : القوة من قوى الحبل . وأغار الحبل : أحكم فتله .
(٤) رواية الحماسة : «أعقاب» .

تُرَجّى النفوسُ الشيءَ لا تستطيعُه * وتَخشى من الأشياء ما لا يَضيرُها

ألا إنما يَكْفِى النفوس إذا اتّقت * تُقَى الله ممّا حاذَرتْ فيُجيرُها

ولا خَيرَ فى العِيدان إلا صِلابُها * ولا ناهِضاتِ الطير إلا صُقورُها

ومستنبِحٍ يدعو وقد حال دونه * من الليل سِجْفَا ظُلمةٍ وسُتورُها (١)

رفعتُ له نارى فلما اهتدى لها * زَجرتُ كلابى أن يَهِرّ عَقُورُها (٢)

فبات وقد أسرَى من الليل عُقْبَةً * بليلةِ صِدْقٍ غاب عنها شُرورُها (٣)

وقد علِم الأضياف أنّ قِراهُمُ * شِواءُ المَتالِى عندنا وقَديرُها (٤)

إذا افتخرت سعدُ بنُ ذُبيانَ لم يَجِد * سوى ما بنينا ما يَعُدّ فَخورُها

وإنى لتَرّاكُ الضغينةِ قد بدا * ثَراها من المَوْلَى فلا أستثيرُها (٥)

مَخافةَ أن تجنِى علىّ وإنما * يَهِيج كبيراتِ الأمور صغيرُها

إذا قِيلت العَوراءُ ولّيتُ سمعَها * سواى ولم أسمع بها ما دَبيرُها (٦)

وحاجةِ نفسٍ قد بلغتُ وحاجةٍ * تركتُ إذا ما النفسُ شحّ ضَميرُها

حياءً وصبرا فى المواطن إننى * حيِىٌّ لَدَى أمثالِ تلك سَتِيرُها (٧)

وأحبِس فى الحق الكريمةَ إنما * يقوم بحق النائبات صَبورُها (٨)

أُحابِى بها الحىَّ الذى لا تُهِمُّه * وأحسابَ أمواتٍ تُعَدّ قبورُها (٩)

ألم تر أنّا نورُ قومٍ وإنما * يُبيِّن فى الظلماء للناس نورُها

(١) السجف : الستر . (٢) هرير الكلب : صوته وهو دون النباح . (٣) العقبة : قدر فرسخين ، أو قدر ما تسيره . (٤) ناقة متلية ومتل : يتلوها ولدها أى يتبعها ، أو هى التى تنتج فى آخر النتاج . والقدير : اللحم المطبوخ فى القدر . (٥) ثراها : أثرها ، يقال : إنى لأرى ثرى الغضب فى وجه فلان : أى أثره ، والمولى : الصاحب وابن العم . (٦) العوراء : الكلمة القبيحة . ويريد بدبيرها ما وراءها ، وأصل الدبير فى الفتل ضد القبيل ، فالقبيل : ما أقبل به الفاتل على صدره ، والدبير : ما أدبر به عن صدره . (٧) الستير : العفيف . (٨) يريد الناقة الكريمة . (٩) حاباه : نصره .

٩٦/١١

تمثل محمد بن مروان بشعره

أخبرنى محمد بن عِمران الصَّيْرفى قال حدّثنا الحسنُ بن عُلَيْل العَنَزِىّ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشَم العبدىّ قال :

كانت بين بنى كلب وقوم من قيس دِياتٌ ، فمشى القوم إلى أبناء أخواتهم من بنى أمية يستعينون بهم فى الحَمَالة(١) ، فحملها محمد بن مروان كلَّها عن الفريقين ، ثم تمثل بقول شبيب بن البرصاء :

ولقد وقفتُ النفسَ عن حاجاتِها * والنَّفسُ حاضِرةُ الشَّعاعِ تَطَلَّعُ(٢)

وغرِمت فى الحَسَب الرفيع غَرامةً * يَعيا بها الحَصِر الشَّحيحُ ويَظْلَعُ(٣)

إنّى فتًى حرٌّ لِقَــدْرِىَ عارفٌ * أُعطِى به وعليــه مِمّا أمنَــع

نزل هو وأرطاة ابن زفر وعويف القوافى على رجل من أشجع فلم يكرم ضيافتهم فهجوه

أخبرنى محمد بن خلف وكيعٌ قال ، حدّثنا إسحاق بن محمد النَّخَعى قال ، حدّثنى الحِرمازِىّ قال :

نزل شبيبُ بن البرصاء وأرطاةُ بنُ زُفَر وعُوَيْفُ القوافى برجل من أشْجَعَ كثيرِ المال يُسَمَّى عَلْقَمةَ ، فأتاهم بشربة لبن ممذوقةٍ(٤) ولم يَذْبح لهم ، فلما رأوا ذلك منه قاموا إلى رواحلهم فركبوها ثم قالوا : تعالَوْا حتى نهجوَ هذا الكلب . فقال شبيب :

أفِى حَدَثانِ الدهر أَمْ فى قديمه * تعلّمتَ ألّا تَقرِىَ الضيفَ علقما(٥)؟

(١) الحمالة : الدية يحملها قوم عن قوم . (٢) نفس شعاع : متفرقة قد تفرقت همها ، قال قيس بن ذريح :

فلم ألقفلك من شبع ولكن * أقضى حاجة النفس الشعاع

(٣) الحصر : البخيل ، وظلع كمنع : غمز فى مشيه ، وهو شبيه بالعرج . (٤) ممذوقة : مخلوطة بالماء . (٥) حدثان : مصدر حدث ، وهو هنا بمعنى حديث ، وفى المعجمات : « وأما حدثان الأمر (أى أوّله وابتداؤه) فبكسر الحاء وسكون الدال » وهنا موضعه ، لكن يمنع منه وزن البيت .

وقال أرطاة :

لبثنا طويلًا ثم جاء بمَذْقَةٍ * كماء السَّلا فى جانب القَعْبِ أثْلَمَا (١)

وقال عُوَيف :

فلما رأينا أنه شرّ منزلٍ * رمينا بهنّ الليلَ حتى تَخَرَّما (٢)

عاد من سفر فعلم بموت جماعة من بنى عمه فرثاهم

أخبرنى هاشمُ بنُ محمدٍ الخُزاعىّ قال: حدّثنا عيسى بنُ إسماعيلَ عن القَحْذَمىّ قال : غاب شبيبُ بنُ البرصاء عن أهله غيبةً، ثم عاد بعد مدّة، وقد مات جماعة من بنى عمّه، فقال شبيب يرثيهم :

تخرَّم الدهرُ إخوانى وغادرنى * كما يُغَادَرُ ثورُ الطارد الفَئِدُ (٣)

إنى لباقٍ قليلا ثم تابِعُهُم * وواردٌ مَنْهلَ القومِ الذى وَرَدُوا

هاجى رجلا من غنى فأعانه أرطاة ابن سهية عليه

قال أبو عمرو : هاجَى شبيبُ بنُ البرصاء رجلا من غَنِيّ، أو قال من باهلةَ، فأعانه أرطاة بن سُهَيّة على شبيب، فقال شبيب :

لعمرى لئن كانت سهيةُ أوضَعَت * بأرطاةَ فى رَكْبِ الخيانة والغدر (٤)

فما كان بالطِّرْف العَتيقِ فيُشْتَرَى * لِفِحلته، ولا الجوادِ إذا يجرى (٥)

أتنْصُرُ منى معشرا لستَ منهم * وغيرُك أولى بالحِياطةِ والنصر!

ويروى : « وقد كنت أولى بالحياطة » وهو أجود .

استعدى عليه رهط أرطاة عثمان بن حيان لهجائه إياهم فهدده ابن حيان بقطع لسانه

وقال أبو عمرو : استعدى رهطُ أرطاةَ بن سُهَيّة على شبيب بن البرصاء إلى عثمان ابن حَيّان المرّى وقالوا له : يعُمُّنا بالهجاء ويشتمُ أعراضنا ، فأمر بإشخاصه إليه

(١) السلا : الجلدة الرقيقة فيها الولد من الناس والمواشى، إن لم تنزع عن وجه الولد قتلته . والقعب : القدح يروى الرجل، وثلم الإناء كفرح : صارت فيه ثلمة فهو أثلم . (٢) تخرم : استؤصل وانقضى . (٣) الفئد : الذى يشكو فؤاده . (٤) أوضعت : أسرعت . (٥) الطرف : الفرس الكريم الأطراف، أى الآباء والأمهات .

فأُشخص ، ودخل إلى عثمان وقد أُتى بثلاثة نفرٍ لصوص قد أفسدوا فى الأرض يقال لهم بَهْدَل ومثغورٌ وهَيْصَم ، فقتل بهدلا وصلبه ، وقَطَع مثغورا والهيصم ، ثم أقبل على شبيبٍ فقال : كم تَسُبُّ أعراض قومك وتستطيل عليهم ! أقسمُ قسما حقا لئن عاودت هجاءهم لأقطعنّ لسانك ، فقال شبيب :

سجنتَ لسانى يابن حيّانَ بعدما * تَوَلّى شبابى، إنّ عَقْدك مُحْكَمُ
وَعيدُك أبقى من لسانى قُذَاذَةً[1] * هَيُوبًا، وصَمْتًا بعدُ لا يتكلم
رأيتك تَحْلَوْلِى إذا شئت لامرئٍ * ومُرًّا مُرَارًا[2] فيه صابٌ وعَلْقم
وكلّ طريدٍ هالكٌ مُتَحَيِّرٌ * كما هلك الحيرانُ والليل مظلم
أصبتَ رجالا بالذنوب فأصبحوا * كما كان مثغورٌ عليك وهَيْصَمُ
خطاطيفُك اللاتى تخطّفن بَهْدَلًا * فأوفى به الأشرافَ[3] جِذعٌ مقوَّمُ
يداك يَدَا خيرٍ وشرٍّ فمنهما * تَضُرّ وللأخرى نَوالٌ وأنعُمُ

ذهب دعيج بن سيف بإبله فخرج فى طلبها فرماه دعيج فأصاب عينه

وقال أبو عمرو : استاق دُعَيجُ بن سيف[4] بن جَذِيمة بن وهب الطائىُّ ثم الجَرْمىُّ إبلَ شبيب بن البرصاء فذهب بها ، وخرج بنو البرصاء فى الطلب ، فلما واجهوا بنى جَرْم قال شبيب : اغتنموا بنى جَرْم ، فقال أصحابه : لسنا طالبين إلا أهل القَرْحة[5] ، فمضَوا حتى أتوا دُعيجا وهو برأس الجبل ، فناداه شبيب : يادعيج ، إن كانت الطِّراف حيّة فلك سائر الإبل ، فقال : يا شبيب ، تبصَّرْ رأسها من بين الإبل ، فنظر

(١) القذاذة من كل شىء : ما قطع منه . (٢) احلولى : حلا . المرار : شجر مرّ .
(٣) أشراف الإنسان : أعلاه . (٤) فى الأصول «شبيب» تحريف . (٥) القرحة فى الأصل : الجراحة والمراد هنا الذين استاقوا إبلهم وآذوهم .

فأبصرها، فقال شبيب: شدّوا عليه واصعدوا وراءه، فأبوا عليه، فحمل شبيب عليه وحده، ورماه دُعيجٌ فأصاب عينَه، فذهب بها — وكان شبيبٌ أعورَ ثم عمِيَ بعد ما أسنّ — فانصرف وآنصرف معه بنو عمه، وفاز دعيج بالإبل، فقال شبيب:

أَمرتُ بنى البرصاء يومَ حُزَابَةٍ * بأمرٍ جميعٍ لم تَشتَّتْ مصادرُه

بشَوْل ابن معروف وحسّانَ بعدما * جَرَى لى بيُمْنٍ قد بدا لىَ طائرُه[1]

٥

أيرجِع حُرٌّ دون جَرْم ولم يكن * طِعانٌ ولا ضربٌ يُذَعذِع عاسِرُه؟[2]

فأذهَبَ عينى يوم سفح سَفِيرةٍ * دُعَيجُ بنُ سيفٍ، أعوزتْه معاذرُه[3]

ولمّا رأيت الشّولَ قد حال دونها * من الهَضْب مُغْبَرٌّ عنيفٌ عمائرُه[4]

وأعرض ركنٌ من سَفيرةَ يتّقى * بشُمِّ الذُّرا لا يعبُدُ اللهَ عامِرُه[5]

أخذت بنى سيفٍ ومالكَ مَوْقَعٍ * بما جَرّ مولاهمْ وجَرّت جرائرُه[6]

١٠

ولو أنّ رَجْلى يوم فرّ ابنُ جَوْشنٍ * عَلِقن آبن ظبى أعوزتْه مَغاوِرُه[7]

أخبرنى عمى قال حدّثنى الكُرَانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن عاصم بن الحَدَثان قال:

هجاء أرطاة بن سهية ونفاه عن بنى عوف

هجا أرطاةُ بن سهيّة شبيبَ بن البرصاء ونفاه عن بنى عوف فقال:

فلو كنتَ عَوفيا عميتَ وأسهلَتْ * كُدَاكَ ولكنّ المُريبَ مُرِيبُ[8]

---

١٥ (١) الشول: النوق أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فشال لبنها أى ارتفع. (٢) يذعذع: يبدّد و يفرّق. العاسر: الناقة ترفع ذنبها فى عدوها، والضمير فيه يعود على «حر». (٣) سفيرة: ناحية من بلاد طيء، وقيل: صهوة لبنى جذيمة من طيء يحيط بها الجبل، كذا فى جـ، وفى سائر الأصول «شفيرة» تصحيف. (٤) الهضب: جبل ينبسط على الأرض. عمائر جمع عمارة (بالفتح والكسر) وهى أصغر من القبيلة. (٥) الذرا الشم: العالية الرءوس. عامره: يعنى به دعيجا.

٢٠ (٦) موقع: اسم موضع. جر جريرة: اقترف ذنبا. (٧) الرجل: جماعة الرجالة. (٨) فى الأصول ماعدا ف: طبع الدار. والكدى: جمع كدية وهى الأرض الصلبة. «كشاك»، وفى ف «لذاك» وهو تحريف، والتصويب عن الأمالى ج ٢ ص ٣، والتنبيه ص ٨٨

قال : فعمى شبيب بن البرصاء بعد موت أرطاة بن سهيّة ، فكان يقول : ليت ابن سهية حيًّا حتى يعلم أنى عَوفِيّ ، قال : والعمى شائع فى بنى عوف ، إذا أسنّ الرجل منهم عمِىَ، وقلّ من يفلت من ذلك منهم .

امتدح شعره عبد الملك بن مروان وفضله على الأخطل

وحدّثنى عمى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى علىّ بن الصباح عن ابن الكلبىّ قال :

أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قوله :

بَكَر العواذِل يبتدِرْن ملامتى * والعاذِلون فكلُّهم يَلْحانى (١)

فى أنْ سبقتُ بشَربة مَقَدِيّةٍ * صرفٍ مُشَعْشَعَةٍ بماءِ شُنانِ (٢)

فقال له عبد الملك : شبيبُ بن البرصاء أكرم منك وصفا لنفسه حيث يقول :

وإنى اسهلُ الوجه يُعرَف مجلسى * إذا أحزَنَ القاذورةُ المتَعَبِّس (٣)

يضىءُ سَنَا جودى لمن يبتغى القِرَى * وليلُ بخيلِ القوم ظلماءُ حِندِس

ألِينُ لذى القُربى مِرارا وتلتوى * بأعناقِ أعدائى حبالٌ تَمَرَّس (٤)

كان عبد الملك يتمثل بشعره فى بذل النفس عند اللقاء ويعجب به

قال : وكان عبد الملك يَتمثّل بقول شبيبٍ فى بذل النفس عند اللقاء ويُعجَب به :

دعانِى حِصنٌ للفِرار فساءنى * مواطِنُ أن يُثْنَى علىّ فأُشْتَما

فقلت لحِصنٍ نَحِّ نفسَك إنما * يذُود الفتى عن حوضه أن يُهدَّما

---

(١) يلحانى : يلومنى . (٢) مقدية : فى الأصول « مقدبة » وهو تصحيف ، ونحو مقدية : نسبة إلى مقد وهى قرية بالأردن . صرف : خالصة . مشعشعة : ممزوجة . الشنان : الماء البارد . (٣) أحزن : صار فى الحزن (بالفتح)، وهو ضد السهل ، والمراد هنا تشدد ، والقاذورة : السيئ الخلق . (٤) تمرّس : يشتد التواؤها .

تأخّرتُ أَستبقى الحيــاةَ فلم أجد * لنفسى حياةً مثــلَ أن أتقدّما

سيكفيك أطرافَ الأسنّة فارسٌ * إذا رِيعَ نادَى بالجـواد وبالحِمَى

إذا المرءُ لم يَغْشَ المكارِهَ أوشكَتْ * حِبالُ الهُوَيْنَى بالفتى أن تَجَـذَّما (١)

نسختُ من كتاب أبى عبد الله اليزيدىّ ولم أقرأه عليه، قال خالدُ بنُ كلثوم:

سبب مهاجاته عقيل بن علفة

كان الذى هاج الهجاءَ بين شبيب بن البرصاء وعقيل بن علّفة أنه كان لبنى نُشْبَة ٥ جار من بنى سَلامان بن سعد، فبلغ عقيلا عنه أنه يطوف فى بنى مرّة يتحدّث إلى النساء فامتلأ عليه غيظا، فبينا هو يوما جالس وعنده غِلمان له وهو يجُزّ إبلا له على الماء ويَسِمُها إذ طلع عليه السّلامانى على راحلته، فوثب عليه هو وغِلمانه فضربوه ضربا مبرّحا، وعقر راحلته، وانصرف من عنــده بشرّ، فلم يعد إلى ذلك الموضع، ولَجَّ الهجاء بينهما. وكان عقيلٌ شَرِسا سيّئ الخلق غَيُورا. ١٠

(١) تجذم: تقطع.

أخبـار دُقاق[1]

تزوجت يحيى بن الربيع ثم بعدة من القواد والكتاب فماتوا بعدهم

كانت دقاق مُغَنِّيَة محسنة جميلةَ الوجهِ قد أخذت عن أكابر مُغَنِّى الدولة العباسية ، وكانت ليحيى بن الربيع ، فولدت له أحمدَ آبنه ، وعُمِّر عمرا طويلا وحدّثنا عنه جحظةُ ونظراؤه من أصحابنا ، وكان عالما بأمر الغناء والمغنين ، وكان يغنّى غناء ليس بمُسْتَطاب ولكنه صحيح . ومات يحيى بنُ الربيع فتزوجت بعده من القوّاد والكُتّاب بِعِدّة ، فماتوا وورِثَتْهم .

هجاها عيسى بن زينب

حدّثنى عمى قال حدّثنى أحمدُ بن الطيب السَّرَخْسِيُّ قال :

كانت دقاق — أمّ ولد يحيى آبن الربيع أحمد المعروف بآبن دقاق — مغنيةً محسنة متقنةَ الأداءِ والصّنعة ، وكانت قد انقطعت إلى حَمْدونةَ بنتِ الرشيد ثم إلى غَضيض ، وكانت مشهورة بالظَّرف والمجون والفتوّة . قال أحمد بن الطيب : وعَتَقَتْ[2] دقاق فتزوّجها بعدَ مولاها ثلاثةٌ من القوّاد من وجوههم ، فماتوا جميعا ، فقال عيسى بنُ زينبَ يهجوها :

قلتُ لمّا رأيتُ دارَ دقاقِ * حسنُها قد أضرّ بالعشاقِ
حذّروا الرابعَ الشّقِيَّ دقاقا * لا يكوننّ نجمُه فى مِحاقِ[3]
ألهُ عن بَضعها[4] فإن دُقاقا * شُؤْمُ حِرْها قد سار فى الآفاقِ
لم تضاجِع بعلا فهبّ سليما * بل جريحا وجُرحُه غير راقِ[5]

(١) كذا فى ف ، وهو يوافق ما فى تاج العروس وفى سائر الأصول : « دفاق » تصحيف .
(٢) عتق العبد كضرب : خرج عن العتق . (٣) المحاق : آخر الشهر ، إذا امحق الهلال فلم ير .
(٤) البضع (بالفتح) : التزوج ، والبضع (بالضم) النكاح .
(٥) راق مسهل راقئ ، من رقأ الدم أو الدمع : جف .

كتبت إلى حمدون تصف هنها فردّ عليها

٩٩
١١

أخبرنى الحسين بن القاسم الكوكبىّ قال حدّثنى الهَدَادِىّ الشاعر قال حدّثنى أبو عبد الله بنُ حمدون وأخبرنى جحظةُ عن ابن حمدون — وروايةُ الكوكبى أتمّ — قال :

كتبتْ دقاق إلى أبى تصفُ هَنَها[1] صفةً أعجزه الجوابُ عنها ، فقال له صَديق له : ابعث إلى بعض المُخَنَّثين حتى يصف متاعك، فيكون جوابَها، فأحضر بعضَهم وأخبره الخبر ، فقال : اكتب إليها : عنـدى القُوقُ البُوق[2] ، الأصلع المزبوق[3] ، الأقرع المفروق ، المنتفخُ العروق، يسدّ البُثُوقَ[4] ، ويفتُق الفُتوق ، ويرُمّ[5] الخُروق، ويَقْضِى الحقوق، أسدٌ بين جملين ، بغلٌ بين حَمَلَيْن ، منارةٌ بين صخرتين ، رأسه رأس كاب ، وأصله مِتْرَس[6] دَرْب ، إذا دخل حَفَر ، وإذا خرج قَشَر ، لو نطح الفيلَ كوّره، ولو دخل البحر كدّره، إذا رقَّ الكلامُ، وتقاربتِ الأجسام، والتفتِ الساقُ بالساق، ولُطِخ باطنُها[7] بالبُصاق، وقُرِع البَيْضُ[8] بالذكور، وجَعلت الرماح تَمُور، بطعن الفِقاح[9]، وشقِّ الأَحْراح[10]، صبرنا فلم نجزع، وسلّمنا طائعين فلم نُخْدع . قال : فقطعَها.

مجلس بين ابنها وبين أبى الجاموس اليعقوبىّ

حدّثنى عمى قال حدّثنى أحمد بن الطيب قال حدّثنى أحمد بن علىّ بن جعفر قال : حضرتُ مرّة مجلسا وفيه ابنُ دقاق وفيه النصرانىّ المعروفُ بأبى الجاموس اليعقوبىّ البزّاز قرابة بلال قال : فعبث ابن دقاق بأبى الجاموس ، فلما أكثر عليه

(١) هن المرأة : فرجها . (٢) القوق : الفاحش الطول . والبوق : الذى ينفخ فيه ويزمر .
(٣) المزبوق : المنتوف ، وفى ف « المربوق » وفى سائر الأصول « المزنوق » تصحيف .
(٤) البثوق : الشقوق . (٥) يرم : يصلح . (٦) المترس : خشبة توضع خلف الباب .
(٧) فى ب ، جـ ، س : « رأسه » . (٨) أخذه من قول مهلهل يرثى أخاه كليبا :

فلولا الريح أسمع أهل حجر * صليل البيض تقرع بالذكور

والبيض فى البيت : بيض الحديد الذى يلبس على الرأس . والذكور : السيوف من حديد غير أنيث .
(٩) الفقاح : جمع فقحة (بالفتح) ، وهى حلقة الدبر .
(١٠) الأحراح : جمع حرح (بكسر فسكون) وهو الفرج .

قال: اسمعوا منى، ثم حلف بالحنيفية أنه لا يكذب، وحدثنا قال: مضيت وأنا غلام مع أستاذى إلى باب حمدونة بنت الرشيد، ومعنا بَزٌّ نعرضه للبيع، فخرجت إلينا دقاقُ أمُّ هذا تُقاوِلنا[1] فى ثمن المتاع، وفى يدها مِرْوحة على أحد وجهيها منقوشٌ: الحِرُ إلى أَيْرين أحوجُ من الأير إلى حِرَين، وعلى الوجه الآخر: كما أن الرّحا إلى بغلين أحوج من البغل إلى رَحَوَيْن، قال: فأسكته والله سكوتًا علمنا معه أنه لو خرِس لكان الخرَس أصونَ لعرضه مما جرى.

كان لها غلامان خلاسيان فرماها الناس بهما

قال أحمد: وفى دقاق يقول عيسى بن زينب وكان لها غلامان خِلاسِيان[2] يروّحانها فى الخَيش، فتحدّث الناس أنها قالت لواحد منهما أن يَنِيكها، فعجَز فقالت له: نِكني وأنت حرّ، فقال لها: نيكيني أنتِ و بيعيني فى الأعراب، فقال فيها عيسى بن زينب:

أحسنُ من غَنّى لنا أو شَدَا * دقاقُ فى خفضٍ من العيش

لها غلامان ينيكانِها * بعِـلّة الترويح فى الخيش

قال فيها إبراهيم ابن المهدى شعرا

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى هبة الله بن إبراهيم بن المهدى قال:

كانت دقاقُ جارية يحيى بن الربيع تواصل جماعة كانوا يميلون إليها وتُرى كلّ واحد منهم أنها تهواه، وكانت أحسنَ أهلِ عصرها وجها، وأشأمهم على من رَابَطها[3] وتزوّجها، فقال فيها أبو إسحاق — يعنى أباه:

صـــوت

عدِمتُك يا صـديقةَ كلِّ خَلْقٍ * أكلَّ الناسِ ويحـك تعشَقينا؟

فكيف إذا خلطتِ الغَثّ منهم * بلحـيم سمينِهـم لا تبشَمينا[4]

(١) تقاولنا: تفاوضنا. (٢) الخلاسىّ: الولد بين أبوين أبيض وأسود.

(٣) رابطها: لازمها. (٤) بشم، كفرح: اتخم وفى ط، ب: «تسمينا».

قال فيها أبو موسى الأعمى شعرا

فيه خفيف رملٍ ينسب إلى إبراهيم بن المهدى وإلى رَيِّق وإلى شارِيَةَ .

أخبرنى عَمّى قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال حدّثنا أبو هَفّان قال :

خرج يحيى بن الربيع مولى دقاق — وكانت قد ولدت منه آبنه أحمد بن يحيى — إلى بعض النواحى، وترك جاريته دقاق فى داره، فعملت بعده الأوابِد[1]، وكانت من أحسن الناس وجها وغناء، وأشأمِه على أزواجها ومواليها ورُبَطائها، فقال أبو موسى الأعمى فيه :

١٠٠ / ١١

قل ليحيى نعمْ صَبَرْتَ على المو * ت ولم تخشَ سهْمَ ريبِ المَنونِ
كيف قل لى أطَقْتَ ويحك يايحـ * ـيى على الضَّعف منك حملَ القُرونِ!
ويحُ يحيى ما مرّ باستِ دُقاقٍ * بعد ما غاب من سِياط البطونِ

صوت من المـائة المختارة

تكاشرنى كُرْهًا[2] كأنك ناصحٌ * وعينُك تُبْدِى أنَّ صدرك لى دَوِى
لسانُكَ لى حلوٌ وعينك علقمٌ * وشَرُّك مبسوط وخيرُك مُلْتوِى[3]

الشعر ليزيد بن الحكم الثقفىّ والغناء لإبراهيم ثقيل أوّل مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لجهم العطار خفيف ثقيل عن الهشامىّ :

---

(١) الأوابد : جمع آبدة، وهى الداهية يبقى ذكرها على الأبد .

(٢) كاشره : ضحك فى وجهه وباسطه . دوى كفرح : مرض، يقال إنه لدوى الصدر .

(٣) كذا فى أكثر الأصول، وفى ف : « منطوى » .

نسب يزيد بن الحكم وأخباره

نسبه وبعض أخبار آبائه

هو يزيدُ بنُ الحكم بنِ عثمان بن أبى العاص صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، كذلك وجدت نسبه فى نسخة ابن الأعرابىّ . وذكر غيره أنه يزيد بن الحكم آبن أبى العاص، وأن عثمان عمُّه، وهذا هو القول الصحيح . وأبو العاص بنُ بِشر آبنِ عبد دُهْمان بن عبد الله بن همّام بن أَبان بن يَسار بن مالك بن حُطَيط بن جُشَم آبن قَسِىّ وهو ثقِيفُ .

روى جده عثمان الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعثمان جدُّه أو عم أبيه أحدُ من أسلم من ثقيف يوم فتح الطائف هو وأبو بكْرَة، وشطُّ عثمان بالبصرة منسوب إليه، كانت له هناك أرض أُقْطِعها وابتاعها وقد رَوَى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الحديث، وروى عنه الحسنُ بن أبى الحسن ومُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير وغيرهما من التابعين .

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا بشر بن موسى قال حدّثنا الحُمَيْدىّ قال حدّثنا سفيان، سمعه من محمد بنِ اسحاق، وسمعه محمدٌ من سعيد بن أبى هند، وسمعه سعيدُ بن أبى هند من مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير قال :

سمعت عثمانَ بنَ أبى العاص الثقفىّ يقول : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أُمَّ قومَك واقدُرْهم بأضعفهم فإن منهم الضعيفَ والكبيرَ وذا الحاجة" . قال الحُمَيدىّ وحدّثنا الفُضَيْل بن عِياض عن أشعبَ عن الحسن عن عثمان بن أبى العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتخذوا مؤذّنا ولا يأخذ على أذانه أجرا".

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا العلاء بنُ الفضل قال حدّثنى أبى قال :

مرّ به الفرزدق وهو ينشد شعرا فامتدحه

مرّ الفرزدق بيزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفيّ وهو يُنْشد في المجلس[(1)] شعرا فقال: من هذا الذي يُنشِد شعرا كأنه من أشعارنا؟ فقالوا: يزيدُ بن الحكم، فقال: نعم؛ أشهد بالله أن عمّتي ولدته. وأم يزيد بَكرةُ بنتُ الزِّبْرِقان بن بدر، وأمها هُنَيدةُ بنتُ صَعْصَعة بن ناجية. وكانت بكرة أوّلَ عربيّة ركبت البحر فأُخرِجَ بها إلى الحكم وهو بتوّج[(2)]، وكان الزبرقان يكنى أبا العباس، وكان له بنون منهم العباسُ وعيّاش.

خبره مع الحجاج وقد ولاه كورة فارس

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عبد الله بن شبيب قال حدّثنا الحِزامي قال:

دعا الحجاجُ بن يوسف بيزيد بن الحكم الثقفيّ، فولّاه كورةَ فارسَ، ودفع إليه عهدَه بها، فلما دخل عليه ليودّعه قال له الحجّاج: أنشِدْني بعضَ شعرك، وإنما أراد أن يُنشِده مديحًا له، فأنشده قصيدةً يفخر فيها ويقول:

وأبي الذي سلب ٱبنَ كسرى رايةً * بيضاءَ تَخْفُقُ كالعُقاب الطائر

فلما سمع الحجّاج فخره نهض مُغْضَبًا، فخرج يزيدُ من غير أن يودّعه، فقال الحجاج لحاجبه: ارتجِعْ منه العهد، فإذا ردّه فقل له: أيهما خيرٌ لك: ما ورّثك أبوك أم هذا؟ فردّ على الحاجب العهد وقال: قل له:

ورِثتُ جدّي مجدَه وفَعالَه * وورثتَ جدّك أعنُزًا بالطائف

خرج عن الحجاج مغضبا ولحق بسليمان ابن عبد الملك ومدحه

وخرج عنه مغضبا، فلحق بسليمانَ بن عبد الملك ومدحه بقصيدته التي أوّلها:

(1) في ف: «في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

(2) توّج: بلد بفارس.

أمَسى بأسماءَ هذا القلبُ مَعْمُودَا * إذَا أقـول صَحَـا يَعْتـادُه عِيـدَا[(١)]

يقول فيها :

سُمِّيتَ باسم امرئٍ أشبَهْتَ شيمَتَه * عدلا وفضـلا سـليمانَ بنَ داودا[(٢)]

أَحْمِدْ به فى الوَرَى الماضينَ من مَلِكٍ * وأنت أصبحت فى الباقين محمودا

لا يَبْرأُ الناس من أن يحمدوا مَلِكا * أولاهُمُ فى الأمور الحلمَ والجـودا[(٣)] ٥

فقـال له سليمان : وكَمْ كان أجرَى لك لعِمالة فارس ؟ قال : عشرين ألفا . قال : فهى لك علىّ ما دمتَ حيا . وفى أوّل هذه القصيدة غناء نسبته :

صـــوت

أمسى بأسماءَ هذا القلب معمودا * إذا أقـول صحـا يعتـاده عيـدا

كأنّ أحورَ من غِزلان ذى بَقَرٍ * أهدَى لهـا شَبَهَ العينين والجِيـدا[(٤)] ١٠

أُجرِى على موعـدٍ منهـا فتُخلِفُنى * فلا أمَـلُّ ولا تُوفِى المواعيـدا

كأننى يـــوم أُمْسِى لا تُكَلِّمُنى * ذُو بُغْيـة يبتغى ما ليس موجودا

ومن الناس من ينسب هذه الأبيات إلى عمر بن أبى ربيعة وذلك خطأ .

---

(١) معمود : هدّه العشق .

(٢) رواية لسان العرب « عود » : ١٥

سميت باسم نبى أنت تشـبهه * حلما وعلـما سليمان بن داودا

(٣) رواية اللسان : « لا يعذل الناس فى أن يشكروا ملكا » .

(٤) ذو بقر : موضع ، والحور : شدّة سواد المقلة فى شدّة بياضها ، وفى اللسان : « سنة العينين والجيدا » — والسنة : الصورة — وقد عقب على البيت فقـال : « وكان أبو على يرويه : « شـبه العينين والجيدا » — كما فى رواية الأغانى — أراد وشبه الجيـد فحذف المضاف وأقام المضاف إليـه مقامه . وقد قيل : إن أبا علىّ صحفه » .

عَروضُه من البسيط ، والغناءُ للغريض، ثقيل أوّل بالبنصر في مجراها عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانةَ أنه لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى .

حديثه مع الحجاج وقد سمع شعره في رثاء ابنه عنبس

أخبرنا محمدُ بنُ العباس اليزيدى قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنى العمرىّ عن الهيثم بن عدى قال أخبرنا ابنُ عياش عن أبيه قال :

٥ سمعت الحجّاج — واستوى جالسا — ثم قال : صدق والله زهيرُ بن أبى سُلمَى حيث يقول :

وَما العفوُ إلّا لامرئٍ ذى حفيظة * متى يَعْفُ عن ذنب امرئ السّوءِ يَلْجَجِ

فقال له يزيد بن الحَكَم : أصلح الله الأمير ، إنى قد رثيت ابنى عَنْبَسا ببيت ، إنه لشبيهٌ بهذا . قال : وما هو؟ قال قلت :

١٠ ويأمنُ ذو حِلْمِ العشيرة جهلَه * عليه ، ويخشى جهلَه جُهلاؤها

قال : فما منعك أن تقولَ مِثلَ هذا لمحمد ابنى ترثيه به ؟ فقال : إن ابنى واللهِ كان أحبَّ إلىّ من ابنك .

وهذه الأبياتُ من قصيدة أخبرنى بها عمّى عن الكُرانىّ عن الهيثم بن عدىّ . قال : كان ليزيد بن الحكم ابنٌ يقال له عَنْبَس ، فمات فجزِع عليه جزعا شديدا

١٠٢ / ١١٠

١٥ وقال يرثيه :

جزَى اللهُ عنى عَنْبَسا كلَّ صالحٍ * إذا كانت الأولادُ سَيْئًا[1] جزاؤها

هو ابنى وأمسى أجرُه لى وعزّنى * على نفسه ربٌّ إليه وَلاؤها

جهولٌ إذا جَهْلُ العشيرة يُبتغَى * حليمٌ ويَرضَى حلمَه حُلَماؤها

(١) كذا فى ف ، جـ ، وفى باقى الأصول : « شيئا » تحريف .

فضله عبد الملك بن مروان على شاعر ثقيف فى الجاهلية

وبعد هذا البيتُ المذكور فى الخبر الأوّل .

أخبرنى عمى قال حدّثنا الكُرَانى قال حدّثنا العُمَرىّ عن لَقِيط قال قال عبد الملك ابنُ مروان :

كان شاعرُ ثقيف فى الجاهليّة خيرا من شاعرهم فى الإسلام، فقيل له : من يَعْنى أميرُ المؤمنين؟ فقال لهم : أمّا شاعرهم فى الإسلام فيزيدُ بنُ الحكم حيث يقول : ٥

فما منك الشبابُ ولستَ منه * إذا سألتْــك لحيتُــك الخِضَابا

عقائلُ من عقائل أهلِ نَجْــدٍ * ومكّةَ لم يُعَقِّلْنَ الرِّكابا

ولم يَطْـرُدْن أبقـعَ يـوم ظعنٍ[1] * ولا كلبا طـردن ولا غرابا

وقال شاعرهم فى الجاهليّة :

والشـيب إن يظهـرْ فإنّ وراءه * عُمُــرًا يكون خــلالَه مُتَنَفَّسُ ١٠

لم يَنتقِص مــنّى المَشيبُ قُلَامَةً * وَلَمَا بَـقِى مِنّى أَلَبُّ وأَكْيَسُ[2]

شعره ليزيد بن المهلب حين خلع يزيد بن عبد الملك

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن لقيط قال قال يزيد بن الحكم الثقفى ليزيدَ بن المهلب حين خَلَعَ يزيد بن عبد الملك :

أبا خالد قـد هِجْتَ حربا مَرِيرةً * وقـد شمرتْ حربٌ عوانٌ فشمِّرِ

فقال يزيد بنُ المهلّب : بالله أستعين ، ثم أنشده ، فلمّا بلغ قوله : ١٥

فإنّ بنى مروان قـد زال مُلكُهم * فإن كنتَ لم تَشْعُر بذلك فاشْـعُرِ

فقال يزيدُ بن المهلب : ما شعَرت بذلك ، ثم أنشده فلما بلغ قوله :

فمت ماجدا أوعش كريما فإن تَمُتْ * وسـيفك مشهور بكفك تُعـذَرِ

فقال : هذا ما لا بدّ منه .

(١) كذا فى ف ، وفى م ، ط : « كلب » ، وفى ب ، جـ : « نجد » . والغراب الأبقع : ما كان فيه سواد وبياض . (٢) ألب وأكيس : أكثر عقلا وحزما . ٢٠

قال العمرى : وحدّثنى الهيثم بن عدى عن ابن عيّاش أن يزيدَ بن المهلّب إنّما كتب إليه يزيدُ بن الحكم بهذه الأبيات ، فوقّع إليه تحت البيت الأوّل : أستعين بالله . وتحت البيت الثانى : ما شعرت . وتحت البيت الثالث : أمّا هذه فنعم .

مدح يزيد بن المهلب وهو فى سجن الحجاج فأعطاه نجما حل عليه

أخبرنى محمدُ بنُ خلف وكيعٌ قال حدّثنى الغَلّابى قال حدّثنى ابنُ عائشة قال : دخل يزيدُ بنُ الحكم على يزيد بن المهلّب فى سجن الحجّاج وهو يعذَّب ، وقد حلّ عليه نَجْمٌ كان قد نُجِّم[1] عليه ، وكانت نجومه فى كلّ أسبوع ستّةَ عشر ألفَ درهم فقال له :

أصبح فى قَيْدِك السماحةُ والجو * دُ وفضلُ الصّلاح والحَسَبُ
لا بَطِرٌ إن تتابعتْ نِعَمٌ * وصابرٌ فى البلاء محتَسِبُ
بَرَزْتَ سَبْقَ الجيادِ فى مَهَلٍ * وقصَّرتْ دون سَعْيك العربُ

قال : فالتفت يزيدُ بنُ المهلب إلى مولًى له ، وقال : أعطه نجمَ هذا الأسبوع ، ونصبرُ على العذاب إلى السبت الآخر .

وقد رُوِيتْ هذه الأبيات والقصّة لحمزةَ بنِ بِيْض مع يزيد .

روى ابنه العباس بعض شعره لجرير فأكرمه

أخبرنى عمى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدّثنى هارونُ بنُ مُسلِم قال حدّثنى عثمانُ بنُ حفص قال حدّثنى عبد الواحد عَرِيفُ ثقيف بالبصرة : أن العباسَ بنَ يزيد بن الحكم الثقفىّ هرب من يوسفَ بنِ عمر إلى اليمامة ، قال : فجلست فى مسجدها وغشِيَنى قومٌ من أهلها ، قال : فوالله إنى لكذلك إذا أنا بشيخ قد دخل يترجَّح فى مشيته ، فلما رآنى أقبل إلىّ ، فقال القومُ : هذا جريرٌ

(١) تنجيم الدين : أن يقدر دفعه فى أوقات معلومة متتابعة مشاهرة أو مساناة ، وأصله أن العرب كانت تجهل مطالع منازل القمر مواقيت حلول دينها .

فأتانى حتى جلس إلى جنبى، ثم قال لى : السّلامُ عليك، مِمَّنْ أنت ؟ قلت : [رجل من ثقيف . قال : أعْرَضْتَ الأديمَ[1]، ثمّ ممن؟ قلت :] رجل من بنى مالك، فقال: لا إله إلا الله ! أمثلُك يعرِّفُ بأهل بيته ! فقلت : أنا رجل من ولد أبى العاصى، قال : ابن بِشْر؟ قلت : نعم . قال : أيُّهُمْ أبوك ؟ قلت : يزيد بن الحكم . قال: فمن الذى يقول :

فَـنِىَ الشّــبابُ وكُلّ شىء فانِ * وعــلا لِدَاتِى شيبُهم وعــلانى

قلت : أبى، قال : فمن الذى يقول :

ألا لا مرحبا بفراق ليــلى * ولا بالشيب إذ طَرَدَ[2] الشبابا

شــبابٌ بان محمــودا وشَيبٌ * ذمــيمٌ لم نجِــد لهما اصــطحابا

فما منك الشبابُ ولستَ منه * إذا سألتك لِحيتُــك الخضابا

قلت : أبى ، قال : فمن الذى يقول :

تعالَوْا فعُــدّوا يعــلم الناسُ أيُّنــا * لصاحبــه فى أوّل الدهر تابــعُ

تزيّـــدُ يربوعٌ بــكم فى عِدادها * كما زِيد فى عَرْض الأديم الأكارعُ[3]

قال : قلت : غفر الله لك، كان أبى أصْوَنَ لنفسه وعِرضه من أن يدخل بينك و بين آبن عمك، فقال: رحم اللهُ أباك، فقد مضى لسبيله، ثم آنصرف، فنزّلنى بكبشين، فقال لى أهل اليمامة : مانزّل أحدا قبلك قط .

أخبرنى محمد بنُ مَزْيد بنِ أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن إبراهيم الموصلى عن يزيد حَوْراءَ المغنّى قال :

---

(١) أعرض الشىء وعرّضه : جعله عريضا أى وسّعه . وما بين القوسين وارد فى ف ، ساقط من غيرها . (٢) كذا فى ف و جـ . وفى باقى الأصول : « طرق » .

(٣) الأكارع : جمع كراع ، وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدق الساق .

شعره فى جارية مغنية كان يهواها وقد ارتحلت عنه

كان يزيدُ بنُ الحكم الثقفى يَهْوَى جاريةً مغنّية، وكانت غيرَ مطاوِعة له، فكان يهيم بها، ثم قدِم رجل من أهل الكوفة فاشتراها، فمرّت بيزيد بن الحكم مع غِلمة لمولاها وهى راحلة، فلما علم بذلك رفع صوته فقال:

يأيها النازحُ الشَّسُوع[1] * ودائعُ القلب لا تَضيع
أَستودِعُ اللهَ مَنْ إليه * قلبى على نأيه نَزُوعُ[2]
إذا تذكرتُه آستهلت * شوقا إلى وجهه الدموعُ

كتاب الجارية له

ومضت الجاريةُ وغاب عنه خبرها مدّة، فبينا هو جالسٌ ذات يوم إذ وقف عليه كهل فقال له: أأنت يزيدُ بنُ الحكم؟ قال: نعم، فدفع إليه كتابا مختوما، ففضّه فإذا كتابها إليه وفيه:

لئن كوى قلبَكَ الشُّسوعُ * فالقلبُ منّى به صُدوعُ
وبى وربِّ السماءِ فاعلم * إليك يا سيدى نُزوعُ
أعزِزْ علينا بما تلاقى * فينا وإن شفّنا الوَلوعُ
فالنفس حَرّى عليك وَلْهَى * والعين عَبْرَى لها دموع
فموتنا فى يد التنائى * وعيشُنا القربُ والرجوعُ
وحيثما كنتَ يا منايا * فالقلب منّى به خُشوعُ
ثم عليك السلام منّى * ما كان من شمسها طلوعُ

١٠٤ / ١١

قال: فبكى والله حتى رحمه من حضر، وقال لنا الكهل: ما قصتُه؟ فأخبرناه بما بينهما، فجعل يستغفر الله مِنْ حَمْلِه الكتاب إليه، وأحسب أن هذا الخبر مصنوع؛ ولكن هكذا أخبرنا به ابن أبى الأزهر.

(١) الشسوع: الشاسع البعيد. (٢) النزوع: المشتاق.

شعر نسب إليه وإلى طرفة بن العبد

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعىّ قال حدّثنا أبو غسان دَماذُ عن أبى عبيدة قال أنشدنى أبو الزعراء — رجلٌ من بنى قيس بن ثعلبة — لطرفة بن العبد :

تُكاشرنى كرها كأنك ناصح * وعينك تُبدى أن صدرك لى جَوِى

قال : فعجبت من ذلك وأنشدته أبا عمرو بن العلاء وقلت له : إنى كنت أرويه ليزيدَ بن الحكم الثقفىّ فأنشدنيه أبو الزعراء لطرفةَ بن العبد، فقال لى أبو عمرو : إنّ أبا الزعراء فى سنّ يزيد بن الحكم ، ويزيد مولَّد يجيد الشعر، وقد يجوز أن يكون أبو الزعراء صادقا .

قال مؤلّف هذا الكتاب : ما أظن أبا الزعراء صدق فيما حكاه، لأنّ العلماء من رواة الشعر رووْها ليزيد بن الحكم، وهذا أعرابى لا يحصِّل ما يقوله، ولو كان هذا الشعر مشكوكا فيه أنه ليزيد بن الحكم — وليس كذلك — لكان معلوما أنه ليس لطرفة، ولا موجودا فى شعره على سائر الروايات، ولا هو أيضا مشبِها لمذهب طرفة ونمطه، وهو بيزيد أشبه، وله فى معناه عِدّة قصائد يعاتِب فيها أخاه عبد ربِّه بن الحكم وابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبى العاصى . ومن قال إنه ليزيد بن الحكم بن عثمان قال إنّ عمه عبد الرحمن هو الذى عاتبه، وفيه يقول :

وَمَوْلًى كذئب السّوء لو يستطيعنى * أصاب دمى يومًا بغير قتيلِ
وأُعْرِضُ عما ساءه وكأنما * يقاد إلى ما ساءنى بدليلِ
مجامَلةً منّى وإكرامَ غيره * بلا حَسَنٍ منه ولا بجميلِ
ولو شئت لولا الحلمُ جدّعتُ أنفه (١) * بإيعاب جَدْعٍ باديٍ وعليلِ
حفاظًا على أحلام قوم رُزِئْتُهم * رِزانٍ يَزِينون النّدىَّ كُهولِ

(١) جدعت : قطعت ، وأوعبه إيعابا : استوعبه .

وقال فى أخيه عبد ربّه :

أخى يُسِرُّ لىَ الشّحناءَ يُضْمِرها * حتى وَرَى جَوْفَه من غِمْـرِه الداءُ (١)

حَرّانُ ذو غُصّة جُرِّعتُ غُصّتَه * وقد تعرّض دون الغصة الماءُ

حتى إذا ما أساغ الريقَ أنزلنى * منه كما يُنزِل الأعداءَ أعداءُ

أسعى فيكفُرُ سعيى ما سعيتُ له * إنى كذاك من الإخوان لَقّاءُ

وكم يدٍ ويدٍ لى عنده ويدٍ * يعدّهن تِراتٍ وهْىَ آلاءُ

فأمّا تمام القصيدة التى نسبت إلى طرفة فأنا أذكر منها مُختارها لِيُعْلَم أنّ مرذول كلام طرفة فوقه :

١٠٥ / ١١

تُصافِحُ من لاقيتَ لى ذا عداوةٍ * صِفاحًا وعنّى بينُ عينيك مُنْزَوِى (٢)

أراك إذا لم أهْوَ أمرًا هَوِيتَه * ولستَ لِما أهوَى من الأمرِ بالهَوِى

أراك آجتويتَ الخيرَ منى وأجتوِى * أذاكَ، فكلٌّ يجتوى قُرْبَ مجتوِى (٣)

فليت كَفافا كان خيرُك كلّه * وشرُّك عنى ما آرتوى الماءَ مرتوِى (٤)

عدوّك يخشى صولتى إن لقيتُه * وأنت عدوّى، ليس ذاك بمستوِى

وكم موطنٍ لولاى طِحتَ كما هَوَى * بأجرامه من قُلّة النِّيق مُنْهوِى (٥)

(١) يقال : ورى القيح جوفه : أفسده . الغمر : الحقد والغل . (٢) بين، مرفوع بالابتداء، ومنزوى خبره (وانظر الخزانة ١ : ٤٩٧) . (٣) اجتواه : كرهه .

(٤) الكفاف : الذى لا يفضل عن الشىء، ويكون بقدر الحاجة إليه، وهو خبر مقدّم لكان واسم ليت محذوف أو ضمير الشأن .

(٥) طاح يطيح ويطوح : هلك . هوى وانهوى : سقط . أجرام : جمع جرم وهو الجسم . القلة : أعلى الجبل . النيق : أرفع موضع فى الجبل .

إذا ما ابتنى المجدَ ابنُ عمك لم تُعِن * وقلتَ ألا ياليت بنيانَه خَوِى (١)

كأنك إن نال ابنُ عمِّك مَغْنَمًا * شَجٍ أو عميدٌ أو أخو غُلَّة لَوِى (٢)

وما بَرِحتْ نفسٌ حسودٌ حُشِيتَها * تُذيبُك حتى قيل هل أنتَ مكتوى (٣)

جمعتَ وفُحشًا غِيبةً ونميمةً * ثلاثَ خصال لستَ عنهن ترعوِى

ويدعو بك الداعى إلى كلّ سَوْءةٍ * فيا شرَّ من يدعو إلى شرِّ مُدَّعِى (٤)

بدا منك غِشٌّ طالما قد كتمته * كما كتمتْ داءَ ابنها أمّ مُدْوِى (٥)

وهذا شعرٌ إذا تأمّله مَنْ له فى العِلم أدنى سَهْمٍ عَرَف أنّه لا يَدخل فى مذهب طَرفَة ولا يقاربه .

صوت من المائة المختارة

أَبَى القلب إلا أُمَّ عوفٍ وحُبَّها * عجوزا، ومن يعشَقْ عجوزا يُفَنَّد

كثوب يمانٍ قد تقادمَ عهدُه * ورُقعتُه ما شئتَ فى العين واليد

الشّعر لأبى الأسودَ الدّؤلى والغناء لعَلّويه ، ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة .

---

(١) خوى المنزل : خلا من أهله . (٢) شج : حزين . العميد : المريض لا يستطيع الجلوس من مرضه حتى يعمد من جوانبه بالوسائد (أى يقام) . لوى : أصابه اللوى ؛ وهو وجع فى الجوف ، والغلة : حرارة الجوف . (٣) يقال حشى الرجل بنفسه وحشيها ، (بالبناء للجهول) من حشا الوسادة إذا ملأها . (٤) فى جميع الأصول :

و يدعو بك الداعى الى كل سوءة * فيا شر من يدعو الى شر من دعى

والتصويب عن الخزانة (ج ١ ص ٤٩٩) .

(٥) ادّوى : أكل الدواية (بالضم والكسر) ، وهى جليدة رقيقة تعلو اللبن والمرق ، وذلك أن خاطبة من الأعراب خطبت على ابنها جارية فجاءت أمها الى أم الغلام لتنظر إليه ، فدخل الغلام فقال : أأدوى يا أمى ؟ فقالت : اللجام معلق بعمود البيت ، أرادت بذلك كتمان زلة الابن وسوء عادته .

أخبار أبى الأسود الدؤلى ونسبه

نسبه

آسمه ظالم بن عمرو بن سُفيان بن جَندل بن يَعْمَر بن حِلْس بن نُفَاثة بن عدِىّ ابن الدُّئِل بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر ابن نِزار، وهم إخوة قريش، لأن قريشا مختلَف فى الموضع الذى آفترقت [فيه][1] مع أبيها، فخُصَّت بهذا الاسم دونهم، وأبعدُ مَن قال فى ذلك مَدًى مَن زعم أن النضر ابن كِنانة منتهى نسب قريش ؛ فأمّا النّسّابون منهم فيقولون إن من لم يلِده فِهْر ابن مالك بن النضر فليس قرشيّا .

كان من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدّثيهم

وكان أبو الأسود الدؤلى من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدّثيهم . وقد روى عن عمر بن الخطاب وعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما[2] فأكثر، وروى عن ابن عباس وغيره، وآستعمله عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وكان من وجوه شيعة علىّ . وذكر أبو عبيدة أنه أدرك أول الإسلام وشهِد بدرا مع المسلمين[3]. وما سمعتُ بذلك عن غيره .

ولاه علىّ البصرة

وأخبرنى عمى عن آبن أبى سعد عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السُّلَمىّ عن أبى عبيدة مِثلَه .

وآستعمله علىّ رضى الله عنه على البصرة بعد آبن عباس ، وهو كان الأصلَ فى بناء النحو وعقَد أصوله .

١٠٦/١١

كان أول من وضع النحو ورسم أصوله

أخبرنا أبو جعفر بن رُسْتم الطَّبَرى النحوىّ بذلك عن أبى عثمان المازِنىّ عن أبى عمر الجَرْمىّ عن أبى الحسن الأخفش عن سيبويه عن الخليل بن أحمد

---

(١) زيادة من ف . (٢) الدعاء فى ف : « صلوات الله عليه وآله » .

(٣) فى ف : « مع المشركين » .

عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمىّ عن عَنْبَسة الفِيل وميمون الأقرن عن يحيى بن يَعْمَر الليثى .

أنّ أبا الأسود الدؤلى دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له : يا أبتِ ما أشدُّ الحرّ! (رفَعَتْ أشدّ) فظنّها تسأله وتستفهم منه : أىُّ زمان الحرّ أشدُّ ؟ فقال لها : شهر ناجِر ؛ [يريد شهر صفر . الجاهلية كانت تسمى شهور السنة بهذه الأسماء[1]] . فقالت : يا أبتِ إنما أخبرتك ولم أسألك . فأتى أميرَ المؤمنين علىَّ بن أبى طالب عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهبتْ لغة العرب لمّا خالَطَت العَجَم ، وأوشك إن تَطاولَ عليها زمان أن تضمحِلّ ، فقال له : وما ذلك ؟ فأخبره خبر ابنته ، فأمره فاشترى صحفا بدرهم ، وأملّ عليه : الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعلٍ وحرفٍ جاء لمعنى . (وهذا القول أول كتاب سيبويه)، ثم رسم أصول النحو كلّها، فنقلها النحويّون وفرّعوها . قال أبو الفرج الأصبهانىّ : هذا حفِظته عن أبى جعفر وأنا حديث السنّ ، فكتبتُه من حِفْظى ، واللفظ يزيد ويَنقص وهذا معناه .

أمره زياد أن ينقط المصاحف فنقطها

أخبرنى عيسى بن الحسين قال حدّثنا حمّاد بنُ إسحاق عن أبيه عن المدائنى قال : أمر زياد أبا الأسود الدؤلى أن ينقط المصاحف ، فنقَطَها ورَسَم من النحو رسوما ، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه فى حدود العربية ، ثم زاد فيها بعده عَنبسةُ بن مَعْدانَ المَهْرىّ ، ثم جاء عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمىُّ وأبو عمرو ابن العلاء فزادا فيه ، ثم جاء الخليل بن أحمد الأزدىُّ وكان صليبة[2] فلحب الطريق . ونَجَم على بن حمزة الكسائى مولى بنى كاهلٍ من أسدٍ فرسم للكوفيّين رسوما هم الآن يعملون عليها .

(١) هذه الزيادة عن ف . (٢) صليبة : فى أساس البلاغة « عربى صليب : خالص النسب . وامرأة صليبة : كريمة النسب عريقة » والمعنى : وكان ذا نسبة صليبة . لحب الطريق : بينه .

أخذ النحو عن على ابن أبى طالب

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد النحوىّ قال حدّثنا التّوّزىّ والمَهْرىّ قالا حدّثنا كَيْسان بن المعرّف الهُجَيْمىّ أبو سليمان عن أبى سفيان ابن العلاء عن جعفر بن أبى حرب بن أبى الأسود الدؤلىّ عن أبيه قال :

قيل لأبى الأسود : من أين لك هذا العِلم ؟ — يعنون به النحو — فقال : أخذت حدوده عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام .

٥

خبره مع زياد فى سبب وضع النحو

أخبرنى أحمد بن العباس العسكرىّ قال حدّثنى عبيد الله بن محمد عن عبدالله بن شاكر العنبرىّ عن يحيى بن آدم عن أبى بكر بن عيّاش عن عاصم بن أبى النجود قال :

أوّل مَنْ وضع العربيّة أبو الأسود الدؤلىّ ، جاء إلى زياد بالبصرة فقال له : أصلح الله الأمير ، إنى أرى العرب قد خالطتْ هذه الأعاجم ، وتغيّرتْ ألسنتهم ، أفتأذن لى أن أضع لهم عِلما يقيمون به كلامَهم؟ قال : لا . قال : ثم جاء زيادا رجل فقال : مات أبانا وخلّف بنون ، فقال زياد : مات أبانا وخلّف بنون ! ردّوا إلىّ أبا الأسود الدؤلىّ ، فرُدّ إليه ، فقال : ضع للناس ما نهيتُك عنه . فوضع لهم النحو . وقد رَوى هذا الحديث عن أبى بكر بن عياش يزيدُ بن مِهْران ، فذكر أنّ هذه القصّة كانت بين أبى الأسود و بين عبيد الله بن زياد .

١٠

أول باب وضعه فى النحو باب التعجب

أخبرنى أحمد بن العبّاس قال حدّثنا العَنَزىّ عن أبى عثمان المازنىّ عن الأخفش عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبى إسحاق عن أبى حرب بن أبى الأسود قال :

١٥

أوّل باب وضعه أبى من النحو باب التعجب .

كان معدودا فى طبقات من الناس وهو فى كلها مقدم

١٠٧/١١

وقال الجاحظ : أبو الأسود الدؤلىّ معدود فى طبقات من الناس ، وهو فى كلّها مقدّم ، مأثورٌ عنه الفضلُ فى جميعها ؛ كان معدودا فى التابعين والفقهاء

٢٠

والشعراء والمحدّثين والأشراف والفُرسان والأمراء والدّهاة والنحويّين والحاضِرِى الجواب والشيعة والبخلاء والضُّلع الأشراف والبُخْر الأشراف .

حديثه عن عمر ابن الخطاب

فما رواه من الحديث عن عمر مسندا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، حدّثنا حامد بن محمد ابن شعيب البَلْخىّ قال حدّثنا أبو خَيْثمة زُهير بن حرب قال حدّثنا يونس بن محمد قال حدّثنا داود بن أبى الفُرات عن عبد الله بن أبى بُرَيْدة عن أبى الأسود الدؤلى قال:

أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع فيها مرض فهم يموتون موتا ذريعا ، فجلستُ إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فمرّت به جنازة فأُثْنِىَ على صاحبها خير ، فقال عمر رضى الله عنه : وَجَبتْ ، ثم مرّ بأخرى فأثنِى على صاحبها بشرّ ، فقال عمر: وَجَبتْ ، فقال أبو الأسود : ما وَجَبتْ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قلت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيّما مسلم شهِد له أربعة بخير أدخله الله الجنة" فقلنا : وثلاثة؟ قال: "وثلاثة"، فقلنا : واثنان؟ قال: "واثنان"، ثم لم نسأله عن الواحد.

حدّثنى حمّاد بن سعيد قال حدّثنا أبو خيثمة قال حدّثنا معاذ بن هشام قال حدّثنى أبى عن قَتادة عن أبى الأسود الدؤلىّ قال :

خطب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الناسَ يوم الجمعة فقال : إنّ نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تزال طائفةٌ من أمّتى على الحقّ منصورة حتى يأتى أمر الله جلّ وعزّ " .

حديثه عن على ابن أبى طالب

ومما رواه عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمىّ قال حدّثنا هَنّاد بن السَّرِىّ قال حدّثنا عَبْدة بن سليمان عن سعيد بن أبى عَرُوبة عن قَتادة عن أبى حرب بن أبى الأسود الدؤلىّ عن ابيه أبى الأسود الدؤلىّ عن علىّ كرم الله وجهه أنه قال فى بول الجارية : يُغْسَل ، وفى بول الغلام : يُنْضَح ما لم يأكلا الطعام .

تبع ابن عباس حين خرج من البصرة إلى المدينة ليردّه فأبى

أخبرني محمّد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا البَغَويّ قال حدّثنا عليّ بن الجعْد قال حدّثنا مُعَلًّى بن هلال عن الشَّعْبيّ وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا المدائنيّ جميعا قالوا :

لمّا خرج ابن عباس رضي الله عنهما إلى المدينة من البصرة تبعه أبو الأسود في قومه ليردّه، فاعتصم عبد الله بأخواله من بني هِلال فمنعوه، وكادت تكون بينهم حرب ، فقال لهم بنو هلال : نَنْشُدُكم اللهَ ألّا تَسفِكوا بيننا دماء تَبقَى معها العداوة إلى آخر الأبد، وأمير المؤمنين أولى بابن عمه، فلا تُدخلوا أنفسكم بينهما ، فرجعت كنانة عنه، وكتب أبو الأسود إلى عليّ عليه السلام فأخبره بما جرى، فولّاه البصرة.

كان كاتبا لابن عباس على البصرة

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي ووكيع وعمي قالوا جميعا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عِمران الضَّبّيّ قال حدّثني خالد بن عبد الله قال حدّثني أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى قال :

كان أبو الأسود الدؤلي كاتبا لابن عباس على البصرة، وهو الذي يقول :

وإذا طلبتَ من الحوائج حاجةً * فادْعُ الإلٰه وأحسِن الأعمالا
فَلَيُعْطِيَنَّك ما أراد بقدرة * فهو اللطيف لِما أراد فَعالا
إن العبادَ وشأنَهم وأمورَهم * بيدِ الإله يقلِّب الأحوالا
فدعِ العبادَ ولا تكن بِطِلابِهم * لَهِجًا تَضَعْضَعُ[1] للعباد سؤالا

١٠٨ / ١١

كان يكثر الخروج والركوب في كبره وتعليله ذلك

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ عن محمد بن سلام قال :

كان أبو الأسود الدؤلي قد أسنّ وكبِر، وكان مع ذلك يركب إلى المسجد والسُّوق ويزور أصدقاءه، فقال له رجل: يا أبا الأسود، أراك تُكثر الركوب وقد ضعُفتَ عن الحركة وكبِرتَ ، ولو لزمتَ منزلك كان أودعَ لك . فقال له أبو الأسود : صدقتَ

(١) تضعضع : تخضع وتذل، وحذفت التاء الأولى .

ولكنّ الركوب يشدّ أعضائى، وأسمعُ من أخبار الناس ما لا أسمعه فى بيتى، وأستنشى الريح، وألقى إخوانى، ولو جلست فى بيتى لاغتمّ بى أهلى، وأنِس بى الصبىّ، واجترأ علىّ الخادم، وكلّمنى من أهلى من يَهاب كلامى، لإلفهم إيّاى، وجلوسهم عنـدى؛ حتى لعلّ العنز أن تبول علىّ فلا يقول لها أحد : هَسْ[1] .

سأله بنو الديل المعاونة فى دية رجل فأبى وعلل امتناعه

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ قال حدّثنى أبى قال حدّثنا أبو عكرمة قال :

كان بين بنى الديل و بين بنى ليث منازعة، فقتلت بنو الديل منهم رجلا، ثم آصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدّوا دِيته، فاجتمعوا إلى أبى الأسود يسألونه المعاونة على أدائها، وألحّ عليه غلام منهم ذو بيانٍ وعارِضة، فقال له : يا أبا الأسود، أنت شيخ العشيرة وسيّدهم، وما يمنعك من معاونتهم قِلّة ذاتِ يدٍ ولا سؤددٍ ولا جود، فلما أكثر أقبل عليه أبو الأسود، ثم قال له : قد أكثرت يابن أخى فآسمع منى : إنّ الرجل والله ما يعطى مالَه إلا لإحـدى خِلالٍ : إما رجلٌ أعطى مالَه رجاءَ مكافأةٍ ممن يعطيه، أو رجلٌ خاف على نفسه فوقاها بمـاله، أو رجل أراد وجه الله وما عنده فى الدار الآخرة، أو رجل أحمقُ خُدِع عن ماله، ووالله ما أنتم إحدى هذه الطبقات، ولا جئتم فى شىء من هـذا، ولا عمُّك الرجل العاجز فينخدع لهؤلاء، ولمّـا أفدتك إياه فى عقلك خيرٌ لك من مال أبى الأسود لو وصل الى بنى الديل، قوموا إذا شئتم . فقاموا يبادرون الباب .

استهزأ به رجل فردّ عليه فأفحمه وقال فى ذلك شعرا

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال :

كان طريق أبى الأسود الدؤلىّ إلى المسجد والسوق فى بنى تيم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجلٌ متفحش يكثر الاستهزاء بمن يمرّ به، فمرّ به أبو الأسود الدؤلىّ يوما

(١) هس : زجر للغنم .

فقال لقومه : كأنّ وجهَ أبي الأسود وجهُ عجوزٍ راحت إلى أهلها بطلاقٍ ، فضحك القوم، وأعرض عنهم أبو الأسود. ثم مرّ به مرّة أخرى، فقال لهم : كأنّ غُضونَ قفا أبي الأسود غُضونُ الفِقاحِ (١) ، فأقبل عليه أبو الأسود فقال له : هل تعرف فَقْحة أمّك فيهنّ ؟ فألجمه ، وضحك القوم منه ، وقاموا إلى أبي الأسود، فاعتذروا إليه ممـا كان، ولم يعاوده الرجل بعـد ذلك، وقال فيه أبو الأسود بعد ذلك حين رجع إلى أهله :

وأهْـوَجَ مِلْجاجٍ تصامَمْتُ قبـله * أنْ أسمعَـه وما بِسَمْعِيَ من باسِ
ولو شئت قد أعرضتُ حتى أصيبَه * على أنفـه حَدباءَ تُعْضِل بالآسِي (٢)
فإن لساني ليس أهونَ وقْعةً * وأصغرَ آثارا من النحتِ بالفاسِ
وذي إحنـةٍ لم يُبْـدِها غيرَ أنه * كذي الخَبْلِ تأبى نفسُه غيرَ وَسْواسِ (٣)
صفَحتُ له صفحا جميلا كصفحه * وعيني ـ وما يدري ـ عليه وأحراسي
وعنـدي له إن فار فَوّارُ صـدرِه * فَحَـا جَبَلِيٌّ لا يعـاوده الحاسِي (٤)
وخَبٍّ لحومُ النـاس أكثرُ زادِه * كثيرِ الخَنا صَعْبِ المحَالةِ هَمّاسِ (٥)
تركتُ له لحمي وأبقيتُ لحمَـه * لمن نابه من حاضر الجنّ والناسِ
فكَرَّ قليـلا ثم صـدّ كأنمـا * يَعَضُّ بصُمٍّ من صَفَا جبلٍ راسي (٦)

(١) الفقاح : جمع فقحة وهي حلقة الدبر .
(٢) حدباء : صعبة شـديدة . الآسي : المداوي . أعضل به الأمر : ضاقت عليه الحيل فيه .
(٣) الإحنة : الضغينة والعـداوة . (٤) الفحا : توابل القـدور كالفلفل والكمون ونحوهما . (٥) الخب : الخدّاع .
(٦) صم : جمع أصم وهو الحجر الصلب المصمت . وفي الاصول « من صدى » وهو تحريف .

خبره مع أعرابى جاء يسأله

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدى قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا المدائنىّ قال :

خرج أبو الأسود الدؤلى ومعه جماعةُ أصحابٍ له إلى الصيد، فجاءه أعرابىّ فقال له : السلام عليك . فقال له أبو الأسود : كلمة مَقُولة. قال : أَدخلُ ؟ قال : وراؤك أوسعُ لك . قال : إن الرَّمْضاء قد أحرقتْ رِجلى، قال : بُلْ عليها أو آئتِ الجبل يَفِىء عليك . قال : هل عندك شىء تُطعِمُنيه ؟ قال : نأكل ونطعم العيال، فإن فَضَل شىء فأنت أحقّ به من الكلب . فقال الأعرابى : ما رأيت قطُّ ألأمَ منك . قال أبو الأسود : بلى قد رأيت، ولكنك قد أُنسيتَ .

خبره مع ابن أبى الحمامة

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعىّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن المدائنىّ بهذا الخبر فقال فيه :

كان أبو الأسود جالسا فى دِهليزه وبين يديه رُطَب، فجاز به رجل من الأعراب يقال له آبن أبى الحمامة، فسلّم ثم ذكر باقى الخبر، مثلَ الذى تقدّمه، وزاد عليه فقال : أنا آبن أبى الحمامة . قال : كن آبن أبى طاوسة[(1)]، وآنصرف. قال : أسألك بالله إلا أطعمتنى مما تأكل، قال : فألقى إليه أبو الأسود ثلاث رُطَبات، فوقعت إحداهنّ فى التراب، فأخذها يمسحها بثوبه، فقال له أبو الأسود : دعها فإن الذى تمسحها منه أنظف من الذى تمسحها به، فقال : إنما كرِهتُ أن أدَعَها للشيطان، فقال له : لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعُها .

أخبرنى محمد بن عِمران الضبىُّ الصَّيْرفىُّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل قال حدّثنا محمد بن معاوية الأسدىّ قال ذكر الهيثمُ بنُ عدىّ عن ابن عياش قال :

---

(1) كذا فى أكثر الأصول، وفى ف : « كن ابن أبى طائرشلت » .

خطب امرأة من عبد القيس فنعها أهلها وزوجوها ابن عمها فقال أبو الأسود شعرا فى ذلك

خطب أبو الأسود الدؤلى امرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد ابن غنيم ، فأسرّ أمرها إلى صديق له من الأزد يقال له الهيثم بن زياد، فحدّث به ابن عم لها كان يخطبها — وكان لها مال عند أهلها — فمشى ابن عمها الخاطب لها إلى أهلها الذين مالها عندهم، فأخبرهم خبر أبى الأسود، وسألهم أن يمنعوها من نكاحه ، ومن مالها الذى فى أيديهم ، ففعلوا ذلك ، وضارّوها حتى تزوّجت بابن عمها ، فقال أبو الأسود الدؤلى فى ذلك :

لعمري لقد أفشيتُ يوما فخانني * إلى بعض من لم أخش سِرّا مُمنَّعا
فمزّقه مَزْقَ العَمِى وهو غافل * ونادى بما أخفيتُ منه فأسمعا
فقلت ولم أُفحش لَعًالك عاثرا[1] * وقد يعثُر الساعى إذا كان مسرعا
ولستُ بجازيك الملامةَ إننى * أرى العفو أدنَى للرشاد وأوسعا
ولكن تعلّمْ أنه عهدُ بيننا * فبِنْ[2] غيرَ مذموم ولكن مُودَّعا
حديثا أضعناه كلانا فلا أرى * وأنت نجيًّا[3] آخرَ الدهر أجمعا
وكنتَ إذا ضيعتَ سرك لم تجد * سواك له إلا أشتَّ وأضيعا

قال : وقال فيه :

أمِنتُ امرأً فى السرّ لم يك حازما * ولكنه فى النصح غيرُ مُريب
أذاع به فى الناس حتى كأنه * بعلياءَ نارٌ أُوقدتْ بثَقوب[4]
وكنتَ متى لم تَرْعَ سرَّك تلتبسْ * قوارعُه[5] من مخطئٍ ومُصيب
فما كل ذى نصح بمؤتيك نُصحَه * وما كل مؤتٍ نصحَه بلبيب
ولكن إذا ما استجمعا عند واحدٍ * فحُقَّ له من طاعةٍ بنصيب

(١) لعالك : كلمة يدعى بها للعاثر أن ينتعش . (٢) البين : الفراق . (٣) النجىّ : المسارّ . (٤) الثقوب : ما أثقبت به النار أى أوقدتها به . (٥) القارعة : النازلة الشديدة .

اشترى جارية حولاء، فعابها أهله فدحها فى شعره

أخبرنى عمى قال حدّثنى الكُرانى قال حدّثنا العمرى عن الهيثم بن عدىّ عن ابن عيّاش قال :

اشترى أبو الأسود جارية ، فأعجبته — وكانت حولاء — فعابها أهله عنده بالحوَل، فقال فى ذلك :

يَعيبونها عندى ولا عيبَ عندها * سوى أن فى العينين بعضَ التأخّر

فإن يك فى العينين سوء فإنهـا * مُهَفْهَفَـةُ الأعلى رَدَاحُ المـؤخّر[1]

تحاكم إليه ابنا عم وأحدهما صديق له فحكم على صديقه فقال فى ذلك شعرا

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد الأزدى قال حدّثنا عبـد الرحمن بن أخى الأصمعى عن عمه قال :

كان لأبى الأسود الدؤلىّ صديق من بنى تميم ثم من بنى سعد يقال له مالك بن أصرم ، وكانت بينه و بين ابن عمّ له خصومة فى دار له ، وأنهما اجتمعا عنـد أبى الأسود فحكّماه بينهما ، فقال له خصم صديقه : إنى بالذى بينك و بينه عارف، فلا يحملنك ها ذاك على أن تحيف علىّ فى الحكم — وكان صديق أبى الأسود ظالمـا — فقضى أبو الأسود على صديقه لخصمه بالحقّ، فقال له صـديقه : والله ما بارك الله لى فى صـداقتك ، ولا نفعنى بعلمك وفقهك ، ولقـد قضيت علىّ بغـير الحقّ ، فقال أبو الأسود :

إذا كنتَ مظلوما فـلا تُلْفَ راضيا * عن القوم حتى تأخذ النَّصْف[2] واغضبِ

وإن كنت أنت الظالمَ القوم فاطّرِحْ * مقالتهم واشغَبْ بهـم كلَّ مَشْغَب

وقارِبْ بذى جهـل وباعد بعـالم * جَلوبٍ عليـك الحقّ من كل مَجْلَب

فإن حدِبوا فاقعَسْ وإن هم تقاعسوا[3] * ليستمكنوا ممـا وراءك فاحـدَبِ

(١) مهفهفة : ضامرة البطن . رداح : ضخمة العجيزة ثقيلة الأوراك . (٢) النصف : الانتصاف . (٣) حدب : خرج ظهره ودخل بطنه . وقعس : نقيضه .

ولا تدْعُنِي للجَورِ واصبِر على التي * بها كنتُ أقضى لِلبعيد على أبِي
فإني امرؤ أخشى إلهى وأتَّقِي * مَعادِى وقد جرّبتُ ما لم تجرّبِ

كتب مستجديا إلى نعيم بن مسعود فأجابه ، وإلى الحصين بن أبي الحر فرمى كتابه فقال فى ذلك شعرا

كتب إلىّ أبو خليفة يذكر أن محمد بن سلام حدّثه ، وأخبرنى محمد بن يحيى الصولى عن أبى ذَكوان عن محمد بن سلام قال :

٥ وجه أبو الأسود الدؤلىّ إلى الحصين بن أبى الحُرّ العَنبرىّ جد عبيد الله بن الحسن القاضى، وهو يلى بعض أعمال الخراج لزياد، وإلى نُعَيم بن مسعود النَّهشَلىّ وكان يلى مثل ذلك برسول، وكتب معه إليهما وأراد أن يَبَرّاه، ففعل ذلك نعيم بن مسعود، ورمى الحصين بن أبى الحر بكتاب أبى الأسود وراء ظهره، فعاد الرجل فأخبره، فقال أبو الأسود للحصين :

١٠ حسِبت كتابى إذ أتاك تعرُّضًا * لسَيْبك(1)، لم يذهب رجائى هنالكا
وخبّرنى من كنتُ أرسلتُ أنما * أخذتَ كتابى مُعرِضًا بشمالكا
نظرتَ إلى عنوانه فنبذْتَه * كنبذِك نعلا أخلقتْ من نعالِكا
نُعَيمُ بن مسعود أحقُّ بما أتى * وأنت بما تأتى حقيق بذلكا
يصيبُ ومايدرى ويُخطِى ومادرى * وكيف يكون النَّوْك(2) إلا كذلكا؟

١٥ قال محمد بن سلام : فتقدّم رجل إلى عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبى الحر — وهو قاضى البصرة — مع خصم له نخالط فى قوله ، فتمثل عبيد الله بقول أبى الأسود:
يصيب وما يَدرى ويُخطى وما درى * وكيف يكون النَّوْك إلا كذلكا

فقال الرجل : إن رأى القاضى أن يُدنينى منه لأقول شيئا فعل . فقال له : ادنُ ، فقال له : إن أحق الناس بستر هذا الشعر أنت ، وقد علمتَ فيمن قيل، فتبسم

١١١/١١

٢٠ (1) السيب : العطاء . (2) النوك : الحمق .

عبيد الله وقال له : إني أرى فيك مُضْطَنِعا(1) فقم إلى منزلك، وقال لخصمه : رح إليّ، فغرِم له ما كان يطالب به .

أراد السفر إلى فارس في الشتاء فأبت عليه ابنته فقال في ذلك شعرا

أخبرني عمي قال حدّثنا الكراني عن ابن عائشة قال :

أراد أبو الأسود الدؤلي الخروج إلى فارس، فقالت له ابنته : يا أبت إنك قد كبِرت، وهذا صميم الشتاء، فانتظر حتى ينصرم وتسلك الطريق آمنا، فإني أخشى عليك ، فقال أبو الأسود :

إذا كنتَ معنيّاً بأمرٍ تُريده * فما للقضاءِ والتوكل من مِثْلِ
توكل وحَمِّل أمرَك اللهَ إن ما * تُرادُ به آتيك فاقنع بذى الفضل
ولا تحسبنّ السيرَ أقربَ للردى * من الخفض في دار المُقامة والثَّمْلِ(2)
ولا تحسبيني يا بُنيّ عزّ مذهبي * بظنك، إن الظن يكذِبُ ذا العقلِ
وإني ملاقٍ ما قضى اللهُ فاصبِرى * ولا تجعلِ العِلْمَ المحقّق كالجهلِ
وإنك لا تدرين : هل ما أخافه * أبعدِىَ يأتى في رحيلىَ أو قبلى؟
وكم قد رأيتَ حاذرا متحفّظا * أُصيبَ وألفته المنيةُ في الأهلِ

خبره مع صديقه نسيب بن حميد وشعره في ذلك

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إبراهيم العَتَكى(3) قال حدّثنا ابن عائشة عن أبيه قال :

كان لأبي الأسود صديق من بني سُليم يقال له نُسَيب بن حُمَيْد، وكان يغشاه في منزله، ويتحدث إليه في المسجد، وكان كثيرا ما يحلف له أنه ليس بالبصرة أحد من قومه ولا من غيرهم آثرَ عنده منه، فرأى أبو الأسود يوما معه مُسْتُقَةً مُخْمَلةً(4) أصبهانية

---

(1) أي محلا للصنيعة والجميل . (2) الثمل : الإقامة والمكث . (3) في ف « اسماعيل » . (4) المستقة : فروة طويلة الكم، معربة وأصلها بالفارسية مشته . وثوب مخمل : له خمل (كشمش) ، أي هدب كهدب القطيفة .

من صوف، فقال له أبو الأسود : ما تصنع بهذه المُستُقة ؟ فقال : أريد بيعها، فقال له أبو الأسود : انظر ما تبلغ فعرِّفنيه حتى أبعثَ به إليك، فإنها من حاجتي، قال : لا بل أكسوكَها، فأبى أبو الأسود أن يقبلها إلا بثمنها، فبعث بها إلى السوق فقومت بمائتي درهم، فبعث إليه أبو الأسود بالدراهم، فردّها وقال: لست أبيعها إلا بمائتين وخمسين درهما، فقال أبو الأسود :

يَعِنِي نُسَيبُ ولا تُثِبْنِي إنني * لا أستثيبُ ولا أُثِيبُ الواهبا
إن العطيـة خيرُ ما وجَّهتها * وحسِبتَها حمدا وأجرا واجبا
ومن العطية ما يعود غرامةً * وملامـة تَبقَى ومَنًّا كاذبا
وبلوتُ أخبارَ الرجال وفعلَهم * فمُلئتُ علما منهمُ وتجاربا
فأخذتُ منهم ما رضيتُ بأخذه * وتركتُ عَمْدا ما هنالك جانبا
فإذا وعدتُ الوعدَ كنتُ كغارمٍ * دَيْنًا أقرّ به وأحضر كاتبا
حتى أنفِّذَه على ما قلتُه * وكفى عليّ به لنفسِيَ طالبا
وإذا فعلتُ فعلت غيرَ محاسِب * وكفى بربك جازيا ومحاسِبا
وإذا منعتُ منعتُ منعا بيِّنا * وأرحتُ من طول العَناء الراغبا
لا أشترى الحمدَ القليلَ بقاؤه * يوما بذم الدهرِ أجمعَ واصبا (١)

١١٢ / ١١

ضرط في مجلس معاوية فطلب منه أن يسترها عليه، فوعده، ولكنه لم يفعل

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد الرازي ومحمد بن العباس اليزيدي وعمي قالوا حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال :

زعم أبو بكر الهذلي أن أبا الأسود الدؤلي كان يحدّث معاوية يوما فتحرك فضَرَط، فقال لمعاوية : استرها عليّ، فقال : نعم، فلما خرج حدّث بها معاوية

(١) واصبا : دائما .

عمرو بن العاص ومروانَ بن الحكم، فلما غدا عليه أبو الأسود قال عمرو : ما فعلَتْ ضَرْطتك يا أبا الأسود بالأمس ؟ قال : ذهبتْ كما تذهب الريح مقبلةً ومدبرةً، من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها ، وكل أجوف ضروط ، ثم أقبل على معاوية فقال : إن امرأ ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بألا يؤمن على أمور المسلمين .

تزوج امرأة برزة فخانته وأفشت سره، فطلقها وقال فى ذلك شعرا

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا سليمان بن أبى شيخ قال حدّثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال :

كان أبو الأسود يجلس إلى فِناء امرأة بالبصرة فيتحدّث إليها، وكانت برزة [١] جميلة، فقالت له : يا أبا الأسود، هل لك فى أن أتزوّجك ؟ فإنى صَناع الكفّ [٢] ، حسنة التدبير، قانعة بالميسور، قال : نعم ، فجمعت أهلها فتزوّجته ، فوجد عندها خلاف ما قدّره ، وأسرعت فى ماله ، ومدّت يدها إلى خيانته، وأفشت سرّه، فغدا على مَنْ كان حضر تزويجه إياها ، فسألهم أن يجتمعوا عنده ففعلوا ، فقال لهم :

أرَيتَ امرأً كنت لم أَبْلُهُ [٣] * أتانى فقال اتّخذْنى خليلا

فخاللتُه ثم أكرمته * فلم أستفد من لدنْه فتيلا

وألفيتُه حين جرّبتُه * كذوبَ الحديث سروقا بخيلا

فذكّرته ثم عاتبتُه * عتابا رفيقا وقولا جميلا

فألفيتُه غيرَ مستعتِب [٤] * ولا ذاكرِ الله إلا قليلا

ألستُ حقيقا بتوديعه * وإتباع ذلك صَرما طويلا؟

---

(١) امرأة برزة : كهلة جليلة تبرز للقوم فيجلسون إليها ويحدّثون . (٢) امرأة صناع اليدين : حاذقة ماهرة بعمل اليدين . (٣) أريت : أصله أرأيت ، يقولون : أرأيتك (والتاء مفتوحة) بمعنى أخبرنى . بلاه يبلوه : اختبره وامتحنه . (٤) استعتبه : استرضاه .

فقالوا : بلى والله يا أبا الأسود ! قال : تلك صاحبتكم ، وقد طلقتها لكم ، وأنا أحبّ أن أستر ما أنكرته من أمرها ، فانصرفت معهم .

أنكر عليه معاوية بخره فرد عليه

حدّثنا اليزيدى قال حدّثنا البغَوى قال حدّثنا العمرى قال :

كان أبو الأسود أبخر ، فسارّ معاوية يوما بشيء فأصغى إليه ممسكا بكمّه على أنفه ، فنحّى أبو الأسود يده عن أنفه ، وقال : لا والله لا تسود حتى تصبر على سِرار المشايخ البُخْر .

عابه زياد عند علىّ فقال فى ذلك شعرا

أخبرنى عبد الله بن محمد الرازىّ قال حدّثنا محمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا المدائنىّ عن أبى بكر الهذلىّ قال :

كان علىّ بن أبى طالب عليه السلام استعمل أبا الأسود على البصرة ، واستكتب زياد بن أبيه على الديوان والخراج ، فجعل زياد يَسبَع[1] أبا الأسود عند علىّ ويقع فيه ويبغى عليه ، فلما بلغ ذلك أبا الأسود عنه قال فيه .

رأيت زيادا ينتحينى بشرّه * وأُعرِض عنه وهو بادٍ مَقاتِلُهْ

وكل امرئٍ ، والله بالناس عالم * له عادة قامت عليها شمائلُهْ

تعوّدها فيما مضى من شبابه * كذلك يدعو كلَّ أمرٍ أوائلُهْ

ويُعجِبُه صفحى له وتجمّلى * وذوالجهل يحذوا[2] الجهلَ مَن لا يعاجِلُهْ

فقلت له دعنى وشأنىَ إننا * كلانا عليه مَعْمَلٌ[3] هو عامِلُهْ

فلولا الذى قد يُرتجَى من رجائه * لجرّبتَ منى بعضَ ما أنت جاهله

لجرّبتَ أنّى أمنع الغىَّ مَن غَوَى * علىّ وأجزِى ما جَزَى، وأطاوِلُهْ

(١) سبعه : شتمه ووقع فيه . (٢) حذاه : أعطاه . (٣) معمل : عمل .

وقال لزياد أيضا فى ذلك :

نُبِّئْتُ أن زيادا ظلّ يَشْــتُمنى * والقولُ يُكْتَبُ عند الله والعملُ

وقــد لقِيتُ زيادا ثم قلت له * وقبــلَ ذلك ما خَبَّت به الرسـل (١)

حتّــام تَسرِقنى فى كل مَجْمَعَــة * عِرضى،وأنت إذا ماشئت منتفِل

كل امرئٍ صائر يوما لشيمته * فى كل منزلة يُبْــلَى بهـا الرجلُ

قال : فلما ادّعى معاوية زيادا وولّاه العراق كان أبو الأسود يأتيه فيسأله حوائجه، فربمـا قضاها وربمـا منعها لمـا يعلمه من رأيه وهواه فى علىّ بن أبى طالب عليـه السـلام ، وما كان بينهما فى تلك الأيام وهما عاملان ، فكان أبو الأسـود يترضّاه ويداريه ما استطاع ويقول فى ذلك :

رأيت زيادا صــدّ عنّى وجهَه * ولم يك مرْدُودا عن الخير سائلُهْ

ينفِّذ حاجاتِ الرجال ، وحاجتى * كداء الجَـوَى فى جوفه لا يزايلُهْ

فــلا أنا ناسٍ ما نسِيتُ فآيِسٌ * ولا أنا راءٍ ما رأيت ففاعِــلُهْ

وفى اليأس حزم لِلَّبيب وراحــة * من الأمر لا يُنْسَى ولا المرء نائلُهْ

أكرمه عبد الرحمن ابن أبى بكرة وأفضل عليه فقال يمدحه

وقال المدائنىّ : نظر عبـد الرحمن بن أبى بَكْرة (٢) إلى أبى الأسـود فى حال رَثّة فبعث إليــه بدنانير وثياب ، وسأله أن ينبسط إليــه فى حوائجه ويستمنحه إذا أضاق (٣)، فقال أبو الأسود يمدحه :

أبو بحــرٍ أمَنُّ النـاسِ طُــرًّا * علينـا بعــد حىّ أبى المُغــيرهْ (٤)

لقــد أبقى لنـا الحَدَثانُ منــه * أخا ثقــةٍ منافعُــه كثيره

(١) خبت : سارت .

(٢) أبو بكرة : هو أخو زياد لأمّه .

(٣) أضاق : ذهب ماله .

(٤) ورد هذا البيت فى اللسان مادة «حيى» ، وأبو المغيرة كنية زياد (انظر الطبرى ٦ : ١٣١) .

قريبَ الخير سهلًا غيرَ وعرٍ * وبعضُ الخير تمنعُه الوُعوره
بَصُرتَ بأنّنا أصحابُ حقّ * نُـدِلّ به وإخوانٌ وجيره
وأهلُ مَضيعةٍ[1] فوجدتَ خيرا * من الخُلّان فينا والعشيره
وإنك قد علمت وكلُّ نفس * تُرَى صَفَحاتُها ولها سَريره
لذو قلبٍ بذى القُربَى رحيم * وذو عين بما بلَغتْ بصيره ٥
لعمرك ما حَباك الله نفسا * بها جَشَعٌ ولا نفساً شَريره[2]
ولكن أنت لا شَرِسٌ غليظ * ولا هَشِمٌ[3] تُنازِعه خُثوره
كأنا إذ أتيناه نزلنا * بجانب روضةٍ رَيًّا مَطِيرَه

كان عبيد الله بن زياد يماطله فى قضاء حاجاته فعاتبه فى ذلك

قال المدائنىّ : وكان أبو الأسود يدخل على عُبيد الله بن زياد ، فيشكو إليه أنّ عليه دينا لا يجد إلى قضائه سبيلا ، فيقول له : إذا كان غد فارفع إلىّ حاجتك ١٠ فإنى أحب قضاءها ، فيدخل إليه من غد ، فيذكر له أمره ووَعْده فيتغافل عنه ، ثم يعاوده فلا يصنع فى أمره شيئا ، فقال فيه أبو الأسود :

دعانى أميرى كى أفوه بحاجتى * فقلت فما ردّ الجواب ولا ٱستمَعْ
فقمت ولم أحسُس بشىء ولم أصُنْ * كلامى وخيرُ القول ما صِينَ أو نفَعْ
وأجمعتُ يأسا لا لُبانة بعده * ولَليأسُ أدنَى للعفاف من الطمع ١٥

ساله رجل فنعه فأنكر عليه فاحتج ببيت لحاتم

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدىّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تِينةَ قال حدّثنى ابن عائشة قال :

---

(١) مضيعة : ضياع واطراح وهوان . (٢) شريرة : ذات شرّ .
(٣) هشم : هشيم رخو . خثورة : ضعف وفتور .

سأل رجل أبا الأسود شيئا فمنعه، فقال له : يا أبا الأسود ما أصبحتَ حاتميا ؟ قال : بلى قد أصبحت حاتميا من حيث لا تدرى، أليس حاتم الذى يقول :

أماوِىّ إمّا مانِـعٌ فمبيّنٌ * وإمّا عطاء لا يُنَهْنِهُه الزجرُ (١)

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا آبن عائشة قال :

شعره فى جار له كان يحسده ويذمه

كان لأبى الأسود جار يحسِدُه وتبلغه عنه قوارِصُ، فلما باع أبو الأسود داره فى بنى الديل، وآنتقل إلى هُذَيل، قال جار أبى الأسود لبعض جيرانه من هذيل : هل يسقيكم أبو الأسود من ألبان لِقاحه ؟ وكانت لا تزال عنده لَقحة (٢) أو لَقحتان، وكان جاره هذا يصيب من الشراب، فبلغ أبا الأسود قوله، فقال فيه :

إن امرأً نُبِّئْتُه من صديقنا * يسائل هل أسقى من اللبن الجارا؟

وإنى لأسقى الجار فى قعر بيته * وأشرب مالا إثمَ فيه ولا عارا

شرابا حلالا يترك المرء صاحِيًا * ولا يتولّى يَقْلِسُ الإثمَ والعارا (٣)

أخبرنى عبيد الله بن محمد الرازىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا المدائنىّ قال :

قصد صديقه حوثرة ابن سليم فأعرض عنه فهجاه

كان لأبى الأسود صديق من بنى قيس بن ثعلبة يقال له حَوْثَرة بن سُلَيم، فآستعمله عبيد الله بن زياد على جَىّ (٤) وأصبهان، وكان أبو الأسود بفارس، فلما بلغه خبره أتاه فلم يجد عنده مايقدّره، وجفاه حوثرة؛ فقال فيه أبو الأسود وفارقه :

(١) نهنهه : كفه . (٢) اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

(٣) أصله من قلست الكأس : قذفت بالشراب لشدّة الامتلاء، وقلست النحل العسل : مجته، والمعنى هنا : يعقب الإثم . (٤) جىّ : مدينة ناحية أصبهان .

نروحتَ من رُستاق جَىٍّ عشـية * وخلّفتَ فى رستاق جَىٍّ أخًا لكا

أخا لك إن طال التنائى وجدتَه * نسيًّا وإن طال التعاشُر ملّكا

ولو كنتَ سيفا يُعجِب الناسَ حدُّه * وكنتَ له يوما من الدهر فَلّكا[1]

ولو كنتَ أهدى الناس ثم صحبتَه * وطاوعته ضلَّ الهوى وأضلّكا

٥ إذا جئته تبغى الهدى خالف الهدى * وإن جُرت عن باب الغَواية دلّكا

ساومه جار له فى شراء لقحة وعابها فأبى عليه وقال فى ذلك شعرا

قال المدائنى : وكان لأبى الأسود جار، يقال له وَثاق من خُزاعة، وكان يحبّ اتّخاذ اللقاح ويغالى بها ويصفها، فأتى أبا الأسود وعنده لِقْحة غزيرة يقال لها : الصَّفوف[2] فقال له : يا أبا الأسود ما بلقحتك بأسٌ لولا عيب كذا وكذا، فهل لك فى بيعها ؟ فقال أبو الأسود : على ما تذكر فيها من العيب ؟ فقال : إنى أغتفر ١٠ ذلك لها لِما أرجوه من غزارتها، فقال له أبو الأسود : بئست الخَلّتان فيك؛ الحِرص والخِداع، أنا لعيب مالى أشدّ اغتفارا ؛ وقال أبو الأسود فيه :

يريد وَثاقٌ نافتى ويعيبها * يخادِعنى عنها وثاقُ بن جابرِ

فقلت تعلّمْ يا وثاقُ بأنها * عليك حِمًى أُخرى الليالى الغوابِرِ

بصُرتَ بها كَوماءَ حَوساءَ جَلْدةً[3] * من المُولياتِ الهامَ حدَّ الظواهِرِ

١٥ فحاولتَ خَدْعى والظنونُ كواذبٌ * وكم طامعٍ فى خَدعتى غيرُ ظافِرِ

ساومه رجل من سدوس فى لقحة له وعابها فأبى عليه بيعها وقال فى ذلك شعرا

قال : وكانت له لقحة أخرى يقال لها الطَّيفاء، وكان يقول : ما ملكت مالا قط أحبّ إلىّ منها، فأتاه فيها رجل من بنى سَدوس يقال له أوس بن عامر، فجعل

(١) فل السيف : ثلمه . (٢) كذا فى جـ، وفى باقى الأصول : « الصعوف » ، تصحيف .

(٣) الكوماء : الناقة العظيمة السنام، والحوساء : الشديدة النفس، والجلدة : القوية .

يماكر أبا الأسود ويَعيبها ، فألفاه بهـا بصيرا وفيها منافِسا ، فبذل له فيها ثمنا وافيا ، فأبى أن يبيعه وقال فيه :

أتانِىَ فى الطيفاء أوسُ بن عامرٍ * ليخدعنى عنهـا بجِنّ ضِراسِهـا[1]

فسام قليــلا ناسئا غــير ناجز * وأُحصِر نفسا وآنتهى بِمكاسهـا[2]

فأُقسمُ لو أعطيتَ ما سمتَ مِثلَه * وضِعفا له لمـا غَدوتَ براسِهـا

أغرّك منهـا أن نَحرتُ حُوارها * لجيرانِ أمّ السَّكنِ يوم نِفاسِها[3]

فولّى ولم يطمع وفى النفس حاجةٌ * يردّدها مردودةً بإيا‌سِـــها

جـوابه لسـائل ملحف

أخبرنا اليزيدىّ قال حدّثنا عيسى عن آبن عائشة والأصمعىّ :

أنّ رجلا سأل أبا الأسود الدؤلىّ فردّه فألحّ عليه ، فقال له أبو الأسود : ليس للسائل الملحِف مثل الردّ الجامِس . قال : يعنى بالجامس الجامد .

خطب امرأة من بنى حنيفة فعارضه ابن عم لها فقال فى ذلك شعرا

وقال المدائنى : خطب أبو الأسود آمرأة من بنى حنيفة ــ وكان قد رآها فأعجبته ــ فأجابته إلى ذلك وأذِنت له فى الدخول إليها ، فدخل دارها فخاطبها بما أراد ، فلمـا خرج لقِيه آبن عمّ لها قد كان خطبها على أخيـه ، فقال له : ما تصنع ها هنا ؟ فأخبره بخطبته المرأة ، فنهاه عن التعرّض لها ، ووضع عليها أرصادا ، فكان أبوالأسود ربّما مرّ بهم وآجتاز بقبيلتهم ، فدسّوا إليه رجلا يوبّخه فى كل محفِل يراه فيه ، ففعل ، وأتاه وهو فى نادى قومه فقال له : يا أبا الأسود ، آنت رجل شريف ، ولك سنّ وخَطَر وعِرْض ، وما أرضى لك أن تلِمّ بفلانة ، وليست لك بزوجة

(١) يقولون فى الناقة : « هى بجنّ ضراسها » ، أى بحدثان نتاجها ، وإذا كانت كذلك حامت عن ولدها ، وعضت حالبها . وفى اللسان (ضرس) « الضبعاء » ، وأورد البيت .

(٢) فى الأصـول : « بائسا غير ناجز * وأحضر » وهو تصحيف ، ونجـز الحاجة : قضاها ، وأحصره العدوّ : ضيق عليـه . والماكسة والمكاس فى البيع : انتقاص الثمن واستحطاطه .

(٣) الحوار : ولد الناقة إلى أن يفطم . وفى ف بعد هذا البيت : « وأم السكن امرأته » .

ولا قرابة، فإنّ أهلها قد أنكروا ذلك وتشكّوه، فإمّا أن تتزوجها أو تُضرب عنها، فقال له أبو الأسود :

لقد جدّ في سلمى الشكاةُ وللّذي * يقولون لو يبدو لك الرشدُ أرشدُ
يقولون لا تمذُل بعرضك واصطنع * معادك إنّ اليوم يتبعه غد (١)
وإياك والقومَ الغضابَ فإنهم * بكل طريق حولهم تترصّد
تلام وتُلحى كل يوم ولا ترى * على اللوم إلا حولها تتردّد!
أفادتكها العينُ الطموحُ وقد ترى * لك العينُ ما لا تستطيع لك اليدُ

وقال أبو الأسود :

دعوا آل سلمى ظِنّتي وتعنّتي * وما زلّ مني، إنّ ما فات فائت (٢)
ولا تُهلكوني بالملامة إنما * نطقتُ قليلا ثم إني لساكتُ
سأسكت حتى تحسبوني أنني * من الجهد في مرضاتكم متماوتُ
ألم يكفكم أنْ قد منعتم بيوتكم * كما منع الغيلَ الأسودُ النواهتُ! (٣)
تصيبون عِرضي كل يوم كما ملا * نشيطٌ بفأس معدِنَ البُرْم ناحت (٤)

جفاه ابن عامر لهواه في علي بن أبي طالب فقال في ذلك شعرا

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدّثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عديّ عن مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال :

كان ابن عباس يكرم أبا الأسود الدؤلي لما كان عاملا لعليّ بن أبي طالب عليه السلام على البصرة ويقضي حوائجه، فلما ولي ابن عامر جفاه وأبعده ومنعه حوائجه لما كان يعلمه من هواه في عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال فيه أبو الأسود :

(١) مذلت نفسه بالشيء : سمحت . (٢) الظنة : التهمة . (٣) النواهت : جمع ناهت ؛ يقال : نهت الأسد نهيتا ، وهو صوت الأسد دون الزئير . الغيل : الأجمة وموضع الأسد .
(٤) البرم : جمع برمة ، وهي قدر من حجارة .

ذكرتُ ٱبنَ عباس بباب ٱبنِ عامر * وما مَرَّ من عيشى ذكرتُ وما فَضَلْ

أميرين كانا صاحِبيَّ كلاهما * فكلٌّ جزاه الله عنى بما فعل

فإن كان شرا كان شرا جزاؤه * وإن كان خيرا كان خيرا إذا عدل

كان لابنه صديق من باهلة فكره صداقته له

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا عبدالله بن شبيب قال حدّثنا إبراهيم ٱبن المنذر الحِزامىّ قال حدّثنا محمد بن فُلَيح بن سليمان عن موسى بن عقبة قال قال أبو الأسود الدؤلى لابنه أبى حرب — وكان له صديق من باهِلة يكثر زيارته — فكان أبو الأسود يكرهه ويستريب منه :

أحبِبْ إذا أحببتَ حبا مُقارِبا * فإنك لا تدرى متى أنت نازِع

وأبغِض إذا أبغضت بغضامقاربا * فإنك لا تدرى متى أنت راجع

وكن معدِنا للحلم وٱصفح عن الخنا * فإنك راءٍ ما عمِلتَ وسامِع

آذاه جار له فباع داره واشترى دارا فى هذيل وقال فى ذلك شعرا

وقال المدائنى حدّثنى أبو بكر الهذلىّ قال :

كان لأبى الأسود جار من بنى حُلَيس بن يَعمُر بن نُفاثة بن عدِىّ بن الديل، من رهطه دِنيةً — ومنزل أبى الأسود يومئذ فى بنى الديل — فأولع جاره برميه بالحجارة كلما أمسى، فيؤذيه . فشكا أبو الأسود ذلك إلى قومه وغيرهم، فكلموه ولاموه، فكان ما ٱعتذر به إليهم أن قال : لست أرميه، وإنما يرميه الله لقطعه للرحم وسرعته إلى الظلم فى بخله بماله، فقال أبو الأسود: والله ما أجاور رجلا يقطع رحِمى ويكذب على ربى . فباع داره وٱشترى دارا فى هذيل، فقيل له : يا أبا الأسود، أبِعت دارك! قال: لم أبع دارى، ولكن بِعت جارى، فأرسلها مثلا وقال فى ذلك:

رمانىَ جارى ظالما برميّة * فقلتُ له مهلا فأنكَرَ ما أتى

وقال الذى يرميك ربُّك جازيا * بذنبك، والحَوْباتُ تُعقِب ما ترى (١)

فقلت له لــو أن ربى برميــة * رمانى لمـا أخطا إلهىَ ما رمى

جزى الله شرّا كلَّ من نال سوءة * ويَنْحَــلُ فيها ربَّه الشرَّ والأذى (٢)

وقال فيه أيضا :

لَحَى الله مولى السّوءِ لا أنت راغب * إليـه ولا رامٍ به من تحاربه

وما قُربُ مولى السوء إلا كبعده * بل البعدُ خير من عدوٍّ تُصاقِبه (٣)

وقال فيه أيضا :

وإنى لَتَثنينى عن الشتم والخنا * وعن سبِّ ذى القربى خلائقُ أربعُ

حياء وإســلام ولطف وأننى * كريم، ومثلى قــد يضرّ وينفع

فإن أعف يوما عن ذنوب أتيتَها * فإن العصا كانت لِذِى الحِلم تُقــرَع (٤)

وشتّان ما بينى وبينــك إننى * عــلى كل حال أســتقيم وتَظلَع (٥)

قصته مع جار له آذاه، وشعره فى ذلك

أخبرنى عمى قال حدّثنا الكُرانىّ قال حدّثنا الرياشىّ عن العتبى قال : كان لأبى الأسود جار فى ظهر داره له باب إلى قبيلة أخرى، وكان بين دار أبى الأسود وبين داره باب مفتوح يخرج منه كل واحد منهما إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها، وكان الرجل ابن عمّ أبى الأسود دِنيةً، وكان شرسا سيئ الخلق، فأراد سدّ ذلك الباب، فقال له قومه : لا تفعل فتضرَّ بأبى الأسود وهو شيخ، وليس عليك فى هذا الباب ضرر ولا مُؤْنة، فأبى إلا سدّه، ثم ندم على ذلك لأنه أضرّ به، فكان إذا أراد سلوك الطريق التى كان يسلكها منه بعُد عليه، فعزم على فتحه، وبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال فيه :

(١) الحوبة : الإثم . (٢) نحله : نسبه إليه . (٣) صاقبه : قاربه .
(٤) يشير إلى المثل : « إن العصا قرعت لذى الحلم »، ومعناه أن الحكيم إذا نبه انتبه . وأوّل من قرعت له العصا عامر بن الظرب لما طعن فى السن أنكر من عقله شيئا، فقال لبنيه : إذا رأيتمونى خرجت من كلامى وأخذت فى غيره فاقرعوا لى المجن بالعصا . (٥) ظلع : غمز فى مشيه .

صــــوت

بُليت بصاحبٍ إنْ أدنُ شِبرا * يَزِدنى فى مباعـــدةٍ ذِراعا

وإن أمدُدْ له فى الوصل ذَرْعى * يَزِدنى فوق قِيس الذرع باعا(١)

أبت نفسى لـــه إلا اتّبـاعا * وتأبى نفســـه إلا امتنـاعا

كلانا جاهـــد أدنو وينأى * فذلكَ ما آستطعتُ وما آستطاعا

٥

الغناء فى هــذه الأبيات لإبراهيم ثقيل أوّل بالبنصر، وفيــه لعريب خفيف رمل . ولعلويه لحن غير منسوب . قال وقال أبو الأسود أيضا فى ذلك :

لنا جِـيرة سـدّوا المجَـازة بيننا * فإن أذكَروك السدَّ فالسدُّ أكْيسُ

ومن خير ما ألصقتَ بالجار حائط * تزِلُّ به سُفْعُ الخطاطيف أملسُ(٢).

١٠

وقال أيضا فى ذلك :

أخطاتَ حـــين صرمتَنى * والمـــرء يعجِـــزُ لا محالَهْ(٣)

والعبـــد يُقـــرَع بالعصا * والحـــر تكفيه المقالهْ

نزل فى بنى قشير فآذوه فقال فيهم شـعرا

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمــد بن القــاسم بن مَهْرُويه قال حدّثنى إسحاق بن محمد النخعى عن ابن عائشة عن أبيه وأخبرنى به محمد بن جعفر النحوىّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم البَزّى قال حدّثنى إسحاق بن محمد النخعىّ عن ابن عائشة ولم يقل عن أبيه قال :

١٥

---

(١) قيس : قدر . (٢) سفع : سود تضرب إلى الحمرة . (٣) لا محالة : لا بدّ ، وفى لسان العرب مادة (حول) : « وأنشد ابن برى لأبى دواد يعاتب امرأته فى سماحته بماله :

حاولت حـــين صرمتنى * والمـــرء يعجز لا المحاله

والمحالة : الحيلة » .

٢٠

كان أبو الأسود الدؤلي نازلا في بني قُشَير، وكانت بنو قشير عثمانية، وكانت امرأته أمّ عوف منهم، فكانوا يؤذونه ويسُبّونه وينالون من عليّ عليه السلام بحضرته ليغيظوه به، ويرمونه بالليل، فإذا أصبح قال لهم: يا بني قشير، أيُّ جوارٍ هذا! فيقولون له: لم نرمِك، إنما رماك الله لسوء مذهبك وقبح دينك، فقال في ذلك:

٥ يقول الأرذلون بنو قشير * طَوالَ الدهر لا تنسى عليّا!

فقلت لهم: وكيف يكون تركى * من الأعمال مفروضا علَيّا؟

أُحِب محمدا حبا شديدا * وعباسا وحمزةَ والوصيّا (١)

بنِي عمّ النبي وأقربيه * أحبُّ الناس كلِّهم إليّا

فإن يك حبّهم رُشْدا أُصِبه * ولست بمخطئٍ إن كان غيّا

١٠ هُمُ أهل النصيحة غيرَ شكّ * وأهل مودّتي ما دمت حيّا

هَوًى أُعطِيتُه لمّا استدارت * رحى الإسلام لم يُعْدَل سَوِيّا (٢)

أحبهمُ لحبّ الله حتّى * أَجِيء إذا بُعِثتُ على هَوِيّا (٣)

رأيت الله خالقَ كلِّ شيءٍ * هداهم واجتبى منهم نبيّا

ولم يخصُص بها أحدا سواهم * هنيئا ما اصطفاه لهم مريّا

١٥ قال: فقالت له بنو قشير: شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول:

* فإن يك حبهم رشدا أُصِبه *

---

(١) الوصى: على بن أبى طالب رضى الله عنه.

(٢) الطريق السوىّ: المستقيم.

(٣) على هويا: على هواى، جرى فيه على لغة هذيل؛ يقلبون الف المقصور ياء ويدغمونها

٢٠ في ياء المتكلم، قال أبو ذؤيب الهذلي يرثى أولاده:

سبقوا هوىّ وأعنقوا لهواهم * فتخرّموا ولكل جنب مصرع

فقال: أما سمعتم قول الله عزّ وجلّ: ﴿وإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾. أفترى الله جلّ وعزّ شكّ فى نبيه! وقد روى أنّ معاوية قال هذه المقالة، فأجابه بهذا الجواب.

تهكم معاوية به فأجابه بشعره

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو عثمان الأُشْنانْدانىّ عن الأخفش عن أبى عمر الجَرمى قال:

دخل أبو الأسود الدؤلىّ على معاوية، فقال له: لقد أصبحت جميلا يا أبا الأسود، فلو علّقت تميمة تَنفى عنك العينَ! فقال أبو الأسود:

أفنى الشباب الذى فارقتُ جِدّتَه * كرُّ الجديدين من آتٍ ومنطلِقِ
لم يتركا لىَ فى طول آختلافهما * شيئا تُخاف عليه لَذْعةُ الحَدَقِ

خبره مع فتى دعاه أن يأكل معه فأتى على طعامه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى الحارث بن محمد قال قال حدّثنا المدائنىّ عن علىّ بن سليمان قال:

كان أبو الأسود له على باب داره دُكّان يجلس عليه، مرتفِع عن الأرض إلى قدر صدر الرجل، فكان يوضع بين يديه خُوان على قدر الدكان، فإذا مرّ به مارّ فدعاه إلى الأكل لم يجد موضعا يجلس فيه، فمرّ به ذات يوم فتى فدعاه إلى الغَداء، فأقبل فتناول الخوان فوضعه أسفلَ، ثم قال له: يا أبا الأسود، إن عزمت على الغداء فانزِل، وجعل يأكل وأبو الأسود ينظر إليه مغتاظا حتى أتى على الطعام، فقال له أبو الأسود: ما آسمك يا فتى؟ قال: لقمان الحكيم، قال: لقد أصاب أهلك حقيقة آسمك.

قال المدائنى: وبلغنى أنّ رجلا دعاه أبو الأسود إلى طعامه وهو على هذا الدكان، فمدّ يده ليأكل، فشب به فرسه فسقط عنه فوُقِص[1].

(١) وقص: دقت عنقه وكسرت.

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا دَماذُ عن أبي عبيدة قال :

كان أبو الجارود صديقا له فلما ولي ولاية جفاه فقال فيه شعرا

كان أبو الجارود سالم بن سَلَمة بن نَوفل الهذليّ صديقا لأبي الأسود ، يهاديه الشعر، ويجيب كل واحدٍ منهما صاحبه، ويتعاشرانِ ويتزاورانِ، فولِي أبو الجارود وِلاية ، بجفا أبا الأسودِ وقطعه، ولم يبـدأه بالمكاتبة ولا أجابه عنهـا، فقال فيـه أبو الأسود :

أبلـغْ أبا الجارود عـنى رسـالة * يَرُوح بها الغادى لرَبْعك أو يغدو

فيخبرَنا ما بالُ صَرمك بعــد ما * رضِيتَ وما غيّرْتَ من خُلق بعدُ

أأَنْ نِلتَ خيرا سَرّنى أن تنـاله * تنكّرتَ حتى قلتُ ذو لِبـدةٍ وردُ؟[1]

فعيناك عينـاه وصوتك صـوته * تُمثّله لى غـيرَ أنك لا تعـدو

لئن كنت قد أزمعت بالصُّرم بيننا * لقـد جعلَتْ أشراطُ أوّله تبـدو[2]

فإنى إذا ما صاحبٌ رَثَّ وصـلُه * وأعرَضَ عنى قلّ منى له الوَجدُ

خبره مع الحارث ابن خليد وشعره فيـه

قال المدائنيّ: كان لأبي الأسود صديق يقال له الحارث بن خُلَيد ، وكان في شرف من العطاء، فقال لأبي الأسود : ما يمنعك من طلب الديوان؟ فإنّ فيه غنى وخيرا، فقال له أبو الأسود : قد أغناني الله عنه بالقناعة والتجمل، فقال : كلا، ولكنك تتركه إقامةً على محبة ابن أبي طالب وبغضِ هؤلاء القوم . وزاد الكلام بينهما ، حتى أغلظ له الحارث بن خليـد ، فهجره أبو الأسود، وندِم الحارث على ما فرط منه، فسأل عشيرته أن تصلِح بينهما ، فأتَوا أبا الأسود في ذلك وقالوا له : قـد ٱعتذر إليك الحارث مما فرطَ منه وهو رجل حديد،[3] فقال أبو الأسود في ذلك :

(١) اللبدة : الشعر المتراكب بين كتفى الأسد . والورد : الأسد .

(٢) أشراط : جمع شرط، كسبب ؛ وهو العلامة . (٣) حديد : حاد اللسان .

لنا صاحب لا كليلُ اللسان * فيَصمُتَ عنا ولا صارِمُ

وشرُّ الرجال على أهله * وأصحابه الحَمِقُ العارِمُ

وقال فيه :

إذا كان شىء بيننا قيل إنه * حديدٌ نخالِف جهلَه وترفَّق

شنِئتُ من الأصحاب من لستُ بارحا * أُدامِله(١) دَمْلَ السقاءِ المخرَّق

وقال المدائنىّ :

كتب إلى الحصين كتابا فتهاون به فقال فيه شعر

ولَّى عبيد الله بن زياد الحصينَ بن أبى الحُرّ العنبرىّ مَيْسانَ ، فدامت وِلايته إياها خمس سنين ، فكتب إليه أبو الأسود كتابا يتصدّى فيه لِرفده ، فتهاون به ولم ينظر فيه ، فرجع إليه رسوله فأخبره بفعله ، فقال فيه :

ألا أبلغا عنّى حُصَيْنا رسالةً * فإنك قد قطّعتَ أحرى خِلالِكا

فلو كنتَ إذ أصبحتَ للخَرج(٢) عاملا * بميسانَ تُعطِى الناسَ من غيرِ مالِكا

سألتك أو عرّضتُ بالود بيننا * لقد كان حقًّا واجبا بعضُ ذلِكا

وخبّرنى من كنت أرسلت أنما * أخذتَ كتابى مُعْرِضا بشِمالِكا

نظرتَ إلى عنوانه ونبَذته * كنبذك نعلا أخلقَتْ من نِعالِكا

حسِبت كتابى إذ أتاك تعرّضا * لَسَيْبِك، لم يذهب رجالى هنالِكا

يُصيب وما يدرى ويُخطِى ومادرى * وكيف يكون النَّوْك إلا كذلِكا

فبلغت أبيات أبى الأسود حصينا ، فغضب وقال : ما ظننت منزلة أبى الأسود بلغَتْ ما يتعاطاه من مساءتنا وتوعّدنا وتوبيخنا ، فبلغ ذلك أبا الأسود فقال فيه :

(١) داملة : داراه ليصلح ما بينه و بينه . (٢) الخرج : الخراج .

أَبلِغ حصينا إذا جئتــه * نصيحةَ ذى الرأى للمجتنيها

فلا تك مثل التى آستخرجت * بأظلافها مُـــدية أو يفيهـا (١)

فقـام إليهـا بهـا ذابح * ومن تَدْعُ يوما شَعوبُ يجيها (٢)

فظلت بأوصالها قِــدرُها * تَحُشّ الوليـدةُ أو تشتويهـا (٣)

٥ وإن تأبَ نصحى ولا تنتهى * ولم تر قــولى بنصح شبيهـا

أُجرّعْك صابا وكان المُرا * ر والصاب قِدْمًا شرابا كريها

خبره مع معاوية ابن صعصعة وشعره فى ذلك

وقال خالد بن كلثوم :

كان معاوية بن صعصعة يلق أبا الأسود كثيرا فيحادثه ويظهر له المودّة ، وكانت تبلغه عنه قوارص فيذكرها له فيجحدها أو يحلف أنه لم يفعل ، ثم يعاوِد

١٠ ذلك ، فقال فيه أبو الأسود :

ولى صاحب قد رابنى أو ظلمته * كذلك ما الخصمان بَرٌّ وفاجر

وإنى آمرؤ عندى وعمدا أقوله * لآتِيَ ما يأتى آمرؤ وهـو خابر

لسانان معسـولٌ عليـه حلاوة * وآخر مسموم عليـه الشَّراشِر (٤)

فقلت ولم أبخـل عليه نصيحتى * وللمـرء ناهٍ لا يـلام وزاجر

١٥ إذا أنت حاولت البراءة فاجتنب * عواقب قــول تعتريه المعاذر

فكم شاعرٍ أرداه أنْ قال قائل * له فى اعتراض القول إنك شاعر

عطفتُ عليه عطفة فتركته * لما كان يرضَى قبلها وهو حاقر

---

(١) يشير إلى المثل : « كباحثة عن حتفها بظلفها » ، وأصله أن رجلا كان جائعا بالفلاة القفر ، فوجد شاة ولم يكن معه ما يذبحها به ، فبحثت الشاة الأرض بأظلافها فسقطت على شفرة فذبحها بها .

٢٠ (٢) شعوب : المنية . (٣) حش النار : أوقدها . (٤) يريد أنه حاد ، وفى اللسان : شرشر السكين أحدها .

بقافيــة حذّاءَ سهــلٍ رويُّهــا * وللقــول أبوابٌ تُرَى ومحــاضر (١)
تَعَزَّى بها من نومه وهو ناعِس * ـإذآنتصفالليلُـالمكلُّالمسافِر (٢)
إذا ما قضـــاها عاد فيهـا كأنه * للـــذته سكران أو متساكـر

شعره فى عبد الله بن عامر وكان مكرما له ثم جفاه لتشيعه

أخبرنى عمى قال حدّثنا الكرانى قال حدّثنى العمرىّ عن العتبىّ قال :

كان عبـد الله بن عامر مكرما لأبى الأسود ثم جفاه لمـا كان عليه من التشيع ٥ فقال فيه أبو الأسود :

ألم تر ما بيـــنى و بين آبن عامر * من الودّ قد بالت عليـه الثعالبُ
وأصبح باقى الودّ بيـنى و بينـه * كأن لم يكن، والدهرُ فيه عجائب
إذا المـرء لم يُحْبِبك إلا تكرُّهًـا * بدا لك من أخلاقه ما يغالِب
فَلَلنأى خير من مُقـامٍ على أذى * ولا خيرَ فيما يســتقل المعـاتب ١٠

قصته مع زوجتيه القشيرية والقيسية وشعره فى ذلك

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدّثنا عبيد الله بن محمد قال حدّثنا آبن النطاح قال ذكر الحِرْمازىّ عن رجل من بنى الديل قال :

كانت لأبى الأســود الدؤلى آمرأة من بنى قُشَــير وآمرأة من عبد القيس، فأسنّ وضعف عما يطيقه الشباب من أمر النساء، فأما القشيرية فكانت أقدمهما عنــده وأسنهما، فكانت موافقــة له صابرة عليــه، وهى أم عوف القشيرية التى ١٥ يقول فيها :

١٢١/١١

أبى القلب إلا أم عوف وحبهـا * عجوزا ومن يحبب عجوزا يفنّــد
كَسَحْقِ يمـانٍ قــد تقادم عهده * ورُقعته ما شئت فى العين واليد (٣)

(١) حذاء : سيارة أو منقحة لا يتعلق بها عيب . (٢) أكله : أتعبه .
(٣) السحق : الثوب البالى . ٢٠

وأما الأخرى التي من عبد القيس فهي فاطمة بنت دُعْمِيّ ـ وكانت أشبّهما وأجملهما ـ فالتوت عليه لما أسنّ، وتنكرت له وساءت عشرتها، فقال فيها أبو الأسود :

تعاتبني عِرسي على أن أطيعها * فقد كذبتها نفسُها ما تمنّتِ

وظنت بأني كلُّ ما رضيتْ به ضيتُ به، يا جهلها كيف ظنت!

٥ وصاحبتُها ما لو صحبتُ بمثله * على ذعرها أُرْوِيةً لاطمأنتِ(١)

وقد غرَّها مني على الشيب والبِلى * جنوني بها، جُنّت حِيالي وحُنّتِ

ـ يقال : جُنّ وحُنّ، وهو من الأتباع كما يقال : حسنٌ بَسَن ـ

ولا ذنب لي قد قلتُ في بدء أمرنا * ولو علمت ما عُنِّمَتْ ما تعنّتِ(٢)

تَشَكَّى إلى جاراتها وبناتها * إذا لم تجد ذنبا علينا تجنّتِ

١٠ ألم تعلمي أني إذا خفت جفوة * بمنزلةٍ أبعدتُ منها مطيّتي

وأني إذا شقَّت عليّ حليلتي * ذَهَلتُ ولم أحنِنْ إذا هي حنّتِ(٣)

وفيها يقول :

أفاطِم مهلا بعضَ هذا التعبس * وإن كان منك الجِدّ فالصَّرْمُ مؤنسي

تَشَتَّمُ لي لما رأتني أحبها * كذي نعمة لم يُبْدِها غيرَ أبؤس

١٥ فإن تنقُضي العهد الذي كان بيننا * وتَسلوى به في ودّك المتحلّس(٤)

فإني ـ فلا يغرُرْكِ مني تجملي ـ * لأسلّ البعاد بالبعاد المكنّس(٥)

وأعلم أن الأرض فيها مَنادح * لمن كان لم تُشْدَد عليه بمحبس(٦)

وكنت امرأً لا صحبةَ السوء أرتجي * ولا أنا نوام بغير معرس(٧)

(١) الأروية : الأنثى من الوعول . (٢) تعنّاه : عناه وأوقعه في العناء . (٣) شق عليه :
٢٠ أوقعه في المشقة . ذهله وعنه : سلاه وطابت نفسه عن إلفه . (٤) تحلس بالمكان : أقام به .
(٥) يقال : سلاه وسلا عنه، وسليه وسلى عنه . (٦) مناذح : جمع مندوحة :
وهي السعة . (٧) المعرس : موضع التعريس ؛ وهو نزول القوم في السفر آخر الليل للاستراحة .

أرسل غلامه يشترى له جارية فأخذها لنفسه فقال شعرا فى ذلك

وقال المدائنى :

كان لأبى الأسود الدؤلى مولى يقال له نافع و يكنى أبا الصبّاح ، فذُكرت لأبى الأسود جارية تباع ، فركب فنظر إليها فأعجبته، فأرسل نافعا يشتريها له فاشتراها لنفسه وغدر بأبى الأسود ، فقال فى ذلك :

إذا كنت تبغى للأمانة حاملا * فدع نافعا وانظر لها من يُطيقها
فإن الفتى خَبٌّ كذوب و إنه * له نفس سَوء يحتويها صديقُها
متى يخلُ يوما وحده بأمانة * تُغَل جميعا أو يُغَل فريقها
على أنه أبقى الرجال سَمانة * كما كلُّ مسمان الكلاب سَروقها

خطبته فى موت علىّ بن أبى طالب

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبىّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا على بن محمد المدائنىّ عن أبى بكر الهذلىّ قال :

أتى أبا الأسود الدؤلى نعيُ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام ، فقام على المنبر فخطب الناس ونعى لهم عليا عليه السلام فقال فى خطبته :

١٢٢ / ١١

« و إن رجلا من أعداء الله المارقة عن دينه، اغتال أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه ومثواه فى مسجده وهو خارج لتهجده فى ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله ، فيا لله هو من قتيل ! وأكرِمْ به و بمقتله ورُوحه من روح عَرَجت إلى الله تعالى بالبر والتقى والإيمان والإحسان ! لقد أطفأ منه نور الله فى أرضه لا يبين بعده أبدا ، وهدم ركنا من أركان الله تعالى لا يشاد مثله ؛ فإنا لله و إنا إليه راجعون ، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين ، وعليه السلام ورحمة الله يوم ولد و يوم قتل و يوم يبعث حيا » .

ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه ، ثم قال :

« وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه وسليله وشبيهه فى خلقه وهديه ، وإنى لأرجو أن يجبر الله عز وجل به ما وَهَى ، ويسدّ به ما انثلم ، ويجمع به الشمل ، ويطفئ به نيران الفتنة ، فبايعوه تَرْشُدوا » .

٥ فبايعت الشيعة كلها ، وتوقف ناس ممن كان يرى رأى العثمانية ولم يظهروا أنفسهم بذلك ، وهربوا إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية ودس إليه رسولا يُعلمه أن الحسن عليه السلام قد راسله فى الصلح ، ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة ، ويعده ويُمَنِّيه ؛ فقال أبو الأسود :

كتب إليه معاوية يدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة فقال شعرا يرثى فيه على بن أبى طالب

ألا أبلغ معاوية بن حرب * فلا قَرّت عيون الشامتينا

١٠ أفى شهر الصيام فجعتمونا * بخير الناس طُرًّا أجمعينا

قتلتم خيرَ من ركب المطايا * وخيّسها(١) ومَن ركب السفينا

ومن لبس النعال ومن حَذاها(٢) * ومن قرأ المثانى والمئينا

إذا استقبلت وجه أبى حسين * رأيت البدر راق الناظرينا

لقد علمت قريش حيث حلت * بأنك خيرها حَسَبا ودينا

١٥ أخبرنى أبو الحسن الأسدى قال حدّثنا الرياشىّ عن الهيثم بن عدىّ عن أبى عبيدة قال :

لزم ابنه المنزل فحثه على العمل والسعى فى طلب الرزق

كان أبو حرب بن أبى الأسود قد لزم منزل أبيه بالبصرة لا ينتجع أرضا ، ولا يطلب الرزق فى تجارة ولا غيرها ، فعاتبه أبوه على ذلك ، فقال أبو حرب : إن كان لى رزق فسيأتينى ، فقال له :

---

٢٠ (١) خيسها : ذللها . (٢) حذاه نعلا : أعطاه إياها .

وما طلب المعيشـة بالتمنّى * ولكن ألق دلوك فى الدِّلاء

تجئـك بملئهـا يوما و يوما * تجئـك بحمْأة وقليـل ماء(1)

شعره فى ابن مولاته لطيفة

وقال المدائنى :

كانت لأبى الأسود مولاة يقال لها لطيفة ، وكان لها عبد تاجر يقال له مُسلِم فآبتاعت له أمة وأنكحته إياها ، فجاءت بغلام فسمته زيدا ، فكانت تؤثره على كل أحد ، وتجد به وجْدَ الأم بولدها ، وجعلته على ضيعتها ، فقال فيه أبو الأسود، وقد مرضت لطيفة :

وزيد هالكٌ هُلْكَ الحُبارَى * إذا هلكت لطيفة أو مُسلِمُ(2)

تبنّتـه فقـال وأنتِ أمى * فأنّى بعـدها لك زيدُ أمُّ!

تَرُمُّ متاعه وتزيد فيـه * وصاحبها لما يحوى مِضَمُّ(3)

ستلقى بعـدها شرا وضرا * وتُقْصَى إن قَرُبت فلا تُضَمُّ

وتلقـاك الملامة كلَّ وجه * سلكتَ وينتحى حالَيْك ذم

123/11

قال : فماتت لطيفة من علتها تلك ، وورثها أبو الأسود ، فطرد زيدا عما كان يتولاه من ضيعتها ، وطالبه بما خانه من مالها فارتجعه ، فكان بعد ذلك ضائعا مهانا بالبصرة كما قال فيه وتوعده

---

(1) الحمأة : الطين الأسود المنتن . (2) جاء فى لسان العرب : « الحبارى : طائر ، ومن أمثالهم فيه : « فلان ميت كَمَد الحبارى » ، وذلك أنها تحسر مع الطير أيام التحسير فتلق الريش ، ثم يبطئ نبات ريشها ، فإذا طار سائر الطير عجزت عن الطيران فتموت كمدا » .

وفى حياة الحيوان الكبرى للدميرى : « وهى من أكثر الطير حيلة فى تحصيل الرزق ، ومع ذلك تموت جوعا لهذا السبب » . (3) مضم : شديد الضم .

اشترى جارية للخدمة فتعرضت له فقال فى ذلك شعرا

وقال المدائنى أيضا :

اشترى أبو الأسود أمة للخدمة، فجعلت تتعرض منه للنكاح وتتطيب وتشتمل بثوبها، فدعاها أبو الأسود فقال لها : اشتريتك للعمل والخدمة، ولم أشترك للنكاح، فأقبلى على خدمتك، وقال فيها :

٥ أصلاحُ إنى لا أريدك للصِّبا * فدعى التشملَ حولنا وتبذَّلى[1]

إنى أريدك للعجين وللرحا * ولحمل قربتنا وغَلْى المِرْجَل

وإذا تروَّح ضيفُ أهلك أوغدا * فخذى لآخَرَ أهبةَ المستقبل

أهدى إليه المنذر ابن الجارود ثيابا فقال شعرا يمدحه فيه

أخبرنا الحسن بن الطيب الشجاعى قال حدّثنا أبو عُشّانة عن ابن عباس قال :

كان المنذر بن الجارود العبدى صديقا لأبى الأسود الدؤلى تعجبه مجالسته

١٠ وحديثه ، وكان كل واحد منهما يغشى صاحبه ؛ وكانت لأبى الأسود مُقَطَّعة[2] من برود يكثر لُبسها ، فقال له المنذر : لقد أدمنت لبس هذه المقطعة ، فقال له أبو الأسود : رب مملول لا يستطاع فراقه ؛ فعلم المنذر أنه قد احتاج إلى كسوة فأهدى له ثيابا، فقال أبو الأسود يمدحه :

كساك ولم تستكسه فحمدتَه * أخ لك يعطيك الجزيل وناصر

١٥ وإن أحق الناس إن كنت حامدا * بحمدك من أعطاك والعِرض وافر

أبيات أوصى فيها ابنه

أنشدنى محمد بن العباس اليزيدى عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب لأبى الأسود يوصى ابنه، وفى هذه الأبيات غناء :

---

(١) تبذل : لبس البذلة ؛ وهى ثوب الخدمة والاعتمال . تشمل بالشملة (بالفتح) : تغطى بها ، وهى كساء دون القطيفة يلتحف به .

(٢) المقطعات من الثياب : شبه الجباب من الخز وغيره .

صــــوت

لا ترسلن رسالة مشهورة * لا تستطيع إذا مضت إدراكَها

أكرِمْ صديق أبيك حيث لقيته * واحْبُ الكرامة مَن بدَا لحباكَها

لا تبدينّ نميمة حُـدّثتها * وتحفّظنّ من الذى أنباكها

اعتذر لزياد فى شىء جرى بينهما فلم يقبل عذره فقال فى ذلك شعرا

أخبرنى محمد بن خلف بن مرزبان قال حدّثنا أبو محمد المروزى عن القَحْذَمى عن بعض الرواة أن أبا الأسود الدؤلى آعتذر إلى زياد فى شىء جرى بينهما، فكأنه لم يقبل عذره فأنشأ يقول: ٥

إننى مجـرم وأنت أحـق النـ * ـاس أن تقبل الغَـداةَ آعتذارى

فاعف عنى فقد سُفِهتُ وأنت الـ * ـمرء تعفو عن الهَنات الكبار

فتبسم زياد وقال: أما إذا كان هذا قولك فقد قبلت عذرك وعفوت عن ذنبك. ١٠

استشير فى رجل أن يولى ولاية فقال شعرا

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنى عبد الرحمن آبن أخى الأصمعىّ عن عمه عن عيسى بن عمر قال:

سئل أبو الأسود عن رجل، وآستشير فى أن يولَّى ولاية، فقال أبو الأسود: هو ما علمتُـه: أهْيَسُ أَلْيَسُ، الدُّ[1] مِلْحَس، أن أعطى انتهر[2]، وإن سـئل أَزِرّ[3]. قال الأصمعى: الأهيس: الحادّ، ويقال فى المثل: ١٥

* إحدى لياليكِ فهِيسى هِيسى *

---

(١) ألدّ: جدل شديد الخصومة. والملحس: الحريص، والذى يأخذ كل شىء يقدر عليه، والشجاع كأنه يأكل كل شىء يرتفع له. (٢) انتهره: زجره.

(٣) أزرّ، كضرب: تضام وتقبض من بخله.

قال : ويقال ناقة لَيْساء : إذا كانت لا تبرح من المبرك ، قال : وهو مما يوصف به الشجاع[1] ، وأنشد فى صفة ثور :

١٢٤
١١

* أَلْيَسُ عن حَوبائه سَخِىّ[2] *

ضمن له كاتب ابن عامر أن يقضى حاجة ثم نكث فقال شعرا فى ذلك

أخبرنى أحمد بن محمد بن عِمران الصيرفىّ قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزىّ قال حدّثنى أحمد بن الأسود بن الهيثم الحنفى قال حدّثنا أبو مُحَلِّم عن مؤرِّج السدوسىّ عن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يَسار قال — وكان من أفصح أهل زمانه — قال :

أوصى أبو الأسود الدؤلى كاتبا لعبد الله بن عامر بحاجةٍ له فضمن له قضاءها ثم لم يصنع فيها شيئا ، فقال أبو الأسود :

لعمرِى لقد أوصيتُ أمسِ بحاجتى * فتى غيرَ ذى قصدٍ علىّ ولا رَؤُف[3]

ولا عارفٍ ما كان بينى وبينه * ومن خيرِ ما أدلى به المرء ما عُرِف

وما كان ما أمّلتُ منه ففاتنى * بأول خيرٍ من أخى ثقةٍ صُرِف

جفاه أبو الجارود فقال فيه شعرا

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى قال حدّثنى محمد بن القاسم مولى بنى هاشم قال حدّثنى أبو زيد الأنصارى سعيد بن أوس قال حدّثنى بكر بن حبيب السهمى عن أبيه ، وكان من جاساء أبى الأسود الدؤلى قال :

كان أبو الجارود سالم بن سَلَمة بن نوفل الهذلى شاعرا ، وكان صديقا لأبى الأسود الدؤلى ، فكان يهاديه الشعر ، ثم تغير ما بينهما ، فقال فيه أبو الأسود :

---

(١) الأليس : الشجاع الذى لا يبالى الحرب . (٢) الحوباء : النفس .

(٣) رؤف : رءوف .

آبلغ أبا الجارود عنى رسالة * يروح بها الماشى ليلقاك أو يغدو
فيخبرنا ما بالُ صَرمك بعد ما * رضيت وما غيّرت من خُلُق بعد
أأن نلت خيرا سرنى حين نلته * تنكرتَ حتى قلت ذو لِبدة وَرْدُ؟
فعيناك عيناه وصوتك صوته * تُمثله لى غيرَ أنك لا تَعْدو
فإن كنت قد أزمعت بالصَّرم بيننا * وقد جعلت أسباب أوّله تبدو ٥
فإنى إذا ما صاحب رَثَّ وصله * وأعرض عنى قلت بالأبعدِ الفقدُ

وفاته

وكانت وفاة أبى الأسود فيما ذكره المدائنىّ فى الطاعون الجارف سنة تسع وستين وله خمس وثمانون سنة . قال المدائنىّ : وقد قيل إنه مات قبل ذلك؛ وهو أشبه القولين بالصواب ، لأنا لم نسمع له فى فتنة مسعود وأمر المختار(1) بذكر ، وذكر مثل هذا القول بعينه ، والشك فيه هل أدرك الطاعون الجارف أولا ، عن يحيى بن مَعين ، ١٠
أخبرنى به الحسن بن علىّ عن أحمد بن زهير عن المدائنىّ و يحيى بن مَعين :

صوت

لعمرك أيها الرجل * لأى الشكل تنتقل
أتهجر آل زينب أم * تزورهمُ فتعتدل؟
هُمُ رَكْبٌ لقُوا ركبا * كما قد تَجْمع السُّبُل ١٥
فذلك دأبنا وبذا * ك تجرى بيننا الرسُل

الشعر لأبى نَفيس بن يَعْلَى بن مُنْية ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى ، وفيه لابن سريج رمل بالوسطى ، ولجميلة خفيف رمل بالبنصر .

---

(1) هو المختار بن أبى عبيد بن مسعود الثقفى ، كان قد خرج يطلب بدم الحسين رضى الله عنه ، ونشبت بينه و بين مصعب بن الزبير وقائع انتهت بقتله سنة ٦٧ . ٢٠

أخبار أبى نفيس ونسبه

١٢٥
١١

نسبه

آسمه حُيَىّ بن يحيى بن يَعْلَى بن مُنْية، وقيل بل اسم أبى نفيس يحيى بن ثعلبة بن منية، ومنية أمّه، ذكر ذلك الزبير بن بكّار عن عمرو بن يحيى بن عبد الحميد . قال الزبير : وكان عمى يقول : آسمه ميمون بن يعلى، وأمّه منية بنت غَزْوان أخت عُتْبة ابن غزوان، وأبوه أميّة بن عَبدة بن همام بن جُشَم بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم، وجدت ذلك بخطّ أبى محلِّم النسابة . قال: ويقال لبنى زيد بن مالك بنو العدويّة ؛ وهى فُكَيْهة بنت تميم بن الدئل بن حِسل بن عدىّ ابن عبد مناة بن تميم، ولدت لمالك بن حنظلة زيدا وصُدَيّا ويربوعا، فهم يُدْعون بنى العدوية .

بعض أخبار جدّه يعلى بن منية

وكان يعلى بن مُنْية حليفا لبنى أميّة وعديدا[1] لهم ، وبينه وبينهم صِهر ومناسبة ، وقد أدرك النبىّ صلى الله عليه وسلم وسمع منه حديثا كثيرا وروى عنه حديثا كثيرا ، وعمِّر بعده ؛ وكان مع عائشة يوم الجمل على أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام .

أخبرنى عمّى قال حدّثنا أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنىّ عن أبى مِخْنف عن عبد الرحمن بن عبيد عن أبى الكنود قال : قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : مُنيت – أو بليت – بأطوع الناس فى الناس عائشة، وبأدهى الناس طلحة، وبأشجع الناس الزبير، وبأكثر الناس مالا يَعْلَى بن منية، وبأجود قريش عبدِ الله ابن عامر؛ فقام إليه رجل من الأنصار فقال : والله يا أمير المؤمنين لَأَنت أشجع من الزبير، وأدهى من طلحة، وأطوع فينا من عائشة، وأجود من آبن عامر، ولَمال الله أكثر من مال يعلى بن منية، وليكونن كما قال الله جل وعز : ﴿ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ

(١) العديد : الذى يعد من أهلك وليس منهم .

تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ) . فسر علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بقوله :
ثم قام إليه رجل آخر منهم فقال :

أما الزّبير فأكفيكَه * وطلحةُ يكفيكه وَحْوحهْ
ويَعْلَى بن منية عند القتالِ * شديد التثاؤب والنحنحه
وعائش يكفيكها واعظ * وعائش فى الناس مستنصَحه ٥
فلا تجزعنّ فإن الأمور * إذا ما أتيناك مستنجَحه
وما يصلح الأمر إلا بنا * كما يصلح الجبن بالإنْفَحهْ (١)

قال : فسرّ علىّ عليه السلام بقوله، ودعا له وقال : بارك الله فيك . قال : فأما الزبير فناشده علىّ عليه السلام فرجع فقتله بنو تميم، وأما طلحة فناشده وحوحة، وكان صديقه وكان من القرّاء، فذهب لينصرف، فرماه رجل من عسكرهم فقتله . ١٠

فأما ما رواه عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فكثير، ولكنى أذكر منه طرفا كما ذكرت لغيره .

روى يعلى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم

أخبرنى أحمد بن الجعد قال حدّثنى محمد بن عباد المكىّ قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء بن أبى رباح عن صفوان بن يعلى ابن منية عن أبيه أنه سمع النبىّ صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر: (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) . وقد روى يَعْلَى عنه صلى الله عليه وسلم حديثا كثيرا اقتصرت منه على هذا لتعرف روايته عنه . ١٥

أقرض يعلى الزبير ابن العوام يوم الجمل مالا، فقضاه عنه ابنه عبد الله بعد مقتله

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدّثنا سليمان بن أبى شيخ قال حدّثنا محمد بن الحكم عن أبى مخنف قال : أقرض يَعْلَى بن منية الزبير بن العوّام حين خرج ١٢٦/١١

(١) الإنفحة : شىء يستخرج من بطن الجدى الراضع أصفر فيعصر فى صوفة مبتلة فى اللبن فيغلظ كالجبن . ٢٠

إلى البصرة فى وقعة الجمل أربعين ألف دينار ، فقضاها ابن الزبير بعد ذلك لأن أباه قتل يومئذ ولم يقضه إياها .

قال : ولما صاروا إلى البصرة تنازع طلحة والزبير فى الصلاة، فاتفقا على أن يصلى آبن هذا يوما وابن هذا يوما، وقال شاعرهم فى ذلك :

٥ تبارى الغلامانِ إذ صَلَّيَا * وشَحَّ على الملك شيخاهما

ومالى وطلحةَ وآبن الزبير * وهذا بذى الجِزع مولاهما (١)

فأمّهما اليــوم غَرَّتهما * ويَعلَى بن منيــة دلّاهمــا (٢)

رثى يعلى زوجه حين توفيت بتهامة

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى محمد بن يحيى عن جدّه عبد الحميد قال :

١٠ كان يعلى بن منية — ويكنى أبا نفيس ، وسمعت غير جدّى يقول آسمه يحيى وهو من بنى العدوية من بنى تميم من بنى حنظلة — تزوج امرأة من بنى مالك بن كنانة يقال لها زينب ، ولهم حِلف فى بنى غِفارٍ، وهى من بنات طارق اللاتى يقلن :

نحن بنـات طارقِ * نمشى على النمـارقْ (٣)

فتوفيت بِتِهامة فقال يرثيها :

١٥ يارَبِّ ربَّ الناس لمـا نَحَّبوا (٤) * وحين أفضَوا من مِنًى وحَصَّبوا

لا يُسْقَيَنَّ مَلَــحٌ وعُلَيِّبٌ (٥) * والمُسْتَرادُ لاسَــقاه الكوكب

* من أجل حُمّاهن ماتت زينب *

(١) جزع الوادى : منعطفه . (٢) أمهما : يعنى عائشة أم المؤمنين . (٣) النمارق : جمع نمرقة وهى البساط . (٤) نحبوا : ساروا سيرا سريعا دائبا (يعنى الحجيج) . حصبوا : رموا بالحصباء ؛ وهى الجمار . (٥) ملح : موضع من ديار بنى جعدة باليمامة . وعليب : موضع ٢٠ بين الكوفة والبصرة . والمستراد : موضع فى سواد العراق من منازل إياد . والكوكب : الماء .

قال الزبير: وأنشدنيها عمى مصعب لأبى نفيس بن يعلى بن منية، قال: واسمه ميمون، وكان عمى يقول: اسم أبى نفيس ميمون بن يعلى، وقال فى الأبيات:

* لايسقين عنبُ وعليبُ[1] *

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى محمد بن يحيى عن جدّه غسّان ابن عبد الحميد قال:

رأت عائشة زوج النبىّ صلّى الله عليه وسلم بنات طارق اللواتى يقلن:

نحن بنات طارقِ * نمشى على النمّارقِ

فقالت: أخطأ من يقول: الخيل أحسن من النساء.

قال: وقالت هند بنت عُتْبة لمشركى قريش يوم أُحُد:

نحن بنات طارقِ * نمشى على النمارقِ

الدُّرّ فى المخانقِ[2] * والمسك فى المَفارقِ

إن تُقْبِلوا نُعانِقِ * أو تُدْبِروا نفارِقِ

* فِراقَ غير وامِقِ *

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى محمد بن يحيى بن عبد الملك الهُدَيْرِىّ قال:

جلست ليلة وراء الضحّاك بن عثمان الحزامىّ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا متقنع، فذكر الضحاكُ وأصحابه قولَ هند يوم أحد:

* نحن بنات طارقِ *

---

(١) عنبب: اسم موضع.

(٢) المخنقة موضع: القلادة.

فقال : وما طارق ؟ فقلت : النجم . فالتفت الضحاك فقال : أبا زكريا ، وكيف بذاك؟ فقلت : قال الله عز وجل : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ . فقالت : إنما نحن بنات النجم، فقال : أحسنت .

صـــوت

١٢٧ / ١١

خليليَّ قوما في عَطَالَةَ فَآنظرا * أنارًا أرى من نحو يَبْرِينَ أَم برقا (١)

فإن يك برقا فهو في مُشْمَخِرَّةٍ * تغادِر ماءً لا قليــلا ولا طَرْقا (٢)

٥ وإن تك نارا فهى نار بملتقًى * من الريح تَسفيها وتَصْفِقها صَفْقا (٣)

— ويروى : « تَزْهاها وتَعْفِقها عَفْقا » — (٤)

لِأُمِّ علىٍّ أوقَدَتْهــا طَاعــةً * لِأَوبة سَفْر أن تكون لهم وَفْقا

١٠ الشعر لِسُويد بن كُرَاع ، والغنــاء لابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن يحيى المكى، وذكر غيره أنه لابن مسجح .

---

(١) عطالة : جبل منيف بديار بنى سعد . (٢) المشمخر : الجبل العالى . الطرق : الماء المجتمع الذى خيض فيه فكدر فهو مطروق وطرق . (٣) صفقته الريح : ضربته وحركته . (٤) زهت الريح النبات : هزته غب الندى . وعفقها : جمعها وضمها .

أخبار سويد بن كراع ونسبه

سُويد بن كُراع[1] العُكْلِيّ، أحد بنى الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكْل. شاعر فارس مقدم من شعراء الدولة الأموية . وكان فى آخر أيام جرير والفرزدق.

وذكر محمد بن سلام فى كتاب الطبقات فيما أخبرنا عنه أبو خليفة قال :

كان شاعرا محكما وكان رجل بنى عكل وذا الرأى والتقدّم فيهم

كان سويد بن كراع شاعرا مُحْكِما ، وكان رجلَ بنى عُكْل وذا الرأى والتقدّم فيهم ، وعُكْل وضَبّة وعدِىّ وتَيْم هم الرِّباب .

قال : وكان بعض بنى عدِىّ ضرب رجلا من بنى ضَبّة ، ثم من بنى السِّيد، وهم قوم نُكُدٌ شُرْس[2]، وهم أخوال الفرزدق، فآجتمعوا حتى ألمّ أن يكون بينهم شرّ، فجاء رجل من بنى عدىّ فأعطى يده رهينة[3] لينظروا ما يصنع المضروب، فقال خالد بن علقمة (ابن الطَّيفان[4]) حليف بنى عبد الله بن دارم :

أسالِمُ إنى لا إخالك سالما * أتيتَ بنى السِّيد الغُواةَ الأشائما
أسالِم إن أفلتَّ من شرّ هذه * فوائِلْ[5] فِرارًا إنما كنتَ حالما
أسالم ما أعطى آبنُ مامةَ مثلها * ولا حاتمٌ فيما بلا الناسُ حاتِما

قال شعرا يردّ به على خالد بن علقمة

فقال سويد بن كراع يجيبه عن ذلك :

أشاعرَ عبدِ الله إن كنتَ لائما * فإنى لما تأتى من الأمر لائمُ
تُحَضِّض أفناء[6] الرِّباب سفاهَةً * وعِرضُك موفور وليلُك نائمُ

(١) كراع : اسم أمه لا ينصرف ، واسم أبيه عمرو ، وقيل : سلمة العكلى (تاج العروس) .
(٢) نكد : جمع أنكد ، وهو الرجل العسر الشديد الشرّ . (٣) أعطى يده رهينة : أسلم نفسه للاسر . (٤) الطيفان : أم خالد بن علقمة . (٥) وائل : طلب النجاة .
(٦) أفناء : أخلاط .

وهل عَجَبٌ أن تدرك السِّيدُ وِتْرَها * وتصبِرَ للحق السَّراةُ الأكارمُ![1]

رأيتك لم تمنع طُهَيَّةَ حكمَها * وأعطيتَ يربوعا وأنفُك راغِمُ[2]

وأنت امرؤ لا تقبل النصحَ طائعا * ولكن متى تُقْهَرْ فإنك رائِمُ[3]

ووجدت هذا الخبر فى رواية أبى عمرو الشيبانى أتمّ منه هاهنا وأوضح فذكرته؛ قال:

٥ كان بين بنى السِّيد بن مالك، من ضبة، وبين بنى عدىّ بن عبد مناة تَرامٍ على خَبْراء بالصَّمّان[4] يقال لها ذات الزِّجاج، فرُمى عمرو بن حَشَفة أخو بنى شُيَيْم فمات، ورمت بنو السِّيد رجلا منهم يقال له مُدْلِج بن صَخْر العدوىّ فمكث أياما لم يمت، فمرّ رجل من بنى عدىّ يقال له مُعَلَّل على بنى السيد وهو لا يعلم الخبر، فأخذوه فشدّوه وَثاقا فأفلت منهم، ومشى بينهم عِصمة بن أُبَيْر[5] التيمىّ سفيرا، فقال لسالم بن فلان

١٠ العدوىّ: لو رهنتَهم نفسك فإن مات مدلج كان رجل برجل، وإن لم يمت حملت دية صاحبهم، ففعل ذلك سالم على أن يكون عند أخثم بن حِمْيَرىّ أخى بنى شُيَيم من بنى السيد، فكان عنده. ثم إن بنى السيد لما أبطأ عليهم موتُ مدلج أتوا أخثم لينتزِعوا منه سالما ويقتلوه، فقوّض عليه أخثم بيته ثم قال: ياآل أمّى — وكانت أمّه من بنى عبد مناة بن بكر — فمنعه عبد مناة. ثم إن بنى السيد قالوا لأخثم: إلى كم تمنع

١٥ هذا الرجل! أما الدية فوالله لا نقبلها أبدا. فجعل لهم أجلا إن لم يمت مدلج فيه دفع إليهم سالما فقتلوه به. فلما كان قبل ذلك الأجل بيوم مات مدلج، فقتلوا[6] سالما، فقال فى ذلك خالد بن علقمة أخو بنى عبد الله بن دارم، وهو ابن الطَّيفان:

أسالمُ ما مَنّتك نفسك بعدما * أتيت بنى السِّيد الغواة الأشائما؟

128/11

(١) يريد بالحق هنا القصاص. (٢) طهية، من بنى حنظلة، وبنو يربوع بن حنظلة أبناء عمومتهم. (٣) رائم: محب آلف. (٤) الخبراء: منبت الخبر، وهو شجر السدر، والصمان: جبل فى أرض تميم. (٥) كذا فى جـ، وفى باقى الأصول: «وئير»، تصحيف. (٦) فى الأصول: «فقتلوا به».

٢٠

أسالمَ قد منتك نفسك أنما * تكون دياتٌ ثم ترجعُ سالما

كذبتَ ولكن ثائرٌ متبسِّل (١) * يُلقِّيك مصقولَ الحديدة صارما

أسالِمُ ما أعطَى ٱبنُ مامةَ مِثلَها * ولا حاتِمٌ فيما بلا الناسُ حاتما

أسالِمُ إن أفلتَّ من شرِّ هذه * فوائلْ فِرارا إنما كنت حالما

وقد أسلمتْ تيمٌ عديًّا فأربعتْ (٢) * بدلْتُ لأسباب المنيّة سالما

فأجابه سويد بن كراع بالأبيات التي ذكرها ٱبن سلّام ، وزاد فيها أبو عمرو :

دعوتم إلى أمر النَّواكة دارما * فقد تركتكم والنواكةَ دارمُ

وكنتَ كذاتِ البَوِّ شُرِّمت آستُها (٣) * فطابقتَ لما خرّمتك الغمائم

فلو كنت مولى مسلت ما تجللت (٤) * به ضبع في ملتقى القوم واحِمُ

ولم يدرك المقتولُ إلا مجرَّه (٥) * وما أسْأرت منه النسورُ القشاعم

عليك ٱبنَ عوف لا تدعه فإنما * كفاك موالينا الذى جرَّ سالم

أتذكر أقواما كفوك شئونهم * وشأنك إلا تركه متفاقم

(١) تبسل : عبس غضبا أو شجاعة . (٢) أسلمت : خذلت . أربعت : اطمأنت ، من قولهم : أربع القوم إذا أقاموا فى المربع . دلت من التدلية ، يقال : دلاه فى حفرة القبر أى أرسله فيه ، والأسباب : الحبال . (٣) البوّ : جلد الحوار يحشى تبنا فيقرب من الناقة فتعطف عليه فتدر . وشرمت استها : شققت . وانظر اللسان (شرم) وفى الأصول «سرمت» . وطابقت : أذعنت و خضعت . الغمامة : خرقة كالكرة تدخل فى أنف الناقة لئلا تشمّ . (٤) زعموا أن الرجل إذا ضربت عنقه سقط على وجهه فإذا انتفخ انتفخ غرموله وعظم ، فقلبه عند ذلك على القفا ، فإذا جاءت الضبع لتأكله فرأته على تلك الحال استدخلت غرموله وقضت وطرها منه ثم أكلته . الحيوان ٥ : ١١٧ (طبعة الحلبى) وتجلل الفحل الناقة : علاها ، وفى الأصول «تحللت» تصحيف ، والواحم : المشتهية للضراب .
(٥) أسأرت : أبقت . نسر قشعم : مسنّ .

قال : وقال سويد بن كراع فى ذلك :

أرى آل يربوع وأفناء مالكٍ * أعضُّوك فى الحرب الحديدَ المُنقَّبا (١)

همُ رفعوا فأسَ اللِّجام فأدركت * لَهَاتَك حتى لم تدعْ لك مَشْرَبا (٢)

فإن عُدْت عادوا بالتى ليس فوقها * من الشرّ إلا أن تبيتَ مُحجَّبا

٥ وتصبح تُدْرَى الكُعْكُبِيَّةَ قاعدا * ويُنتَف من لِيتَيْك ما كان أزغبا (٣)

ـــ تدرى : تمشط بالمِدْرى (٤) كما يفعل بالنساء، والكعكبية : مشطة معروفة ـــ

فهل سألوا فينا سَواءَ الذى لهم * وهل نحن أعطينا سِواه فتَعْجبا (٥)

ويروى : * فهل سألونا خَصلةً غيرَ حقهم *

وهو أجود .

١٠ قال : فآستعدتْ بنو عبد الله سعيدَ بن عثمان بن عفّان على سويد بن كراع فى هجائه إياهم ، فطلبه ليضربه ويحبسه ، فهرب منه ، ولم يزل متواريا حتى كُلِّم فيه ، فأمّنه على ألّا يعاوِد ، فقال سويد بن كراع :

استعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان عليه

تقول آبنةُ العوفىّ ليلَى ألا ترى * إلى آبن كراعٍ لا يزال مُفَزَّعا

مخافةُ هذين الأميرين سهَّدتْ (٦) * رُقادى وغَشَّتْنى بياضا تفرَّعا

١٢٩ / ١١

١٥ على غير جُرْم غيرَ أنْ جارَ ظالمٌ * علىّ بجَهزتُ القصيدَ المفزّعا

(١) المنقب : المثقب . أعضوك الحديد : جعلوك تعضه .

(٢) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق . فأس اللجام : الحديدة القائمة فى الحنك .

(٣) الليت : صفحة العنق . الزغب : صغار الشعر . (٤) المدرى : المشط .

(٥) سواء وسوى واحد . (٦) يريد سعيد بن عثمان ومن ينوب عنه أو يحضر معه ، كما

٢٠ جاء فى لسان العرب (جزز) . وفيه أن العرب ربما خاطبت الواحد بلفظ الاثنين . وروايته : «بياضا مقزعا» ورجل مقزع : دقيق شعر الرأس متفرقه لا يرى على رأسه إلا شعرات متفرقة تتطاير مع الريح .

وقـد هابنى الأقوام لما رميتُهم * بفاقرةٍ إن همَّ أن يتشجعا (١)

أبيتُ بأبواب القـوافى كأنما * أُصادِى بها سِربا من الوحش نُزَّعا (٢)

أُكالِئُهـا حتى أُعَرِّس بعـدما * يكونـ سُحَيرٌ أو بُعَيـدُ فأهجعا (٣)

فخشّمنى خوفُ آبن عثمان رَدَّها * ورِعْيَتَهـا صـيفا جديدا ومَربعا

نهانى آبنُ عثمانَ الإمامِ وقد مضت * نوافِذُ لو تَرْدِى الصـفا لتصدعا (٤)

عوارِقُ ما يَترُكن لحمـا بعَظْمه * ولا عظمَ لحم دون أن يتمـزّعا (٥)

أحقًّا هداك الله أن جار ظـالم * فانكَرَ مظلوم بأن يؤخذا معـا

وأنت آبنُ حُكّام أقاموا وقوّموا * قُـرُونا وأعطَوا نائلا غيرَ أقطعا (٦)

أخبرنى محمد بن مزيد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدىّ عن حمّاد الراوية قال :

انتجع بقومه أرض بنى تميم

آنتجع سويد بن كراع بقومه أرض بنى تميم ، بجاور بنى قُرَيع بن عوف بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم ، فأنزله بغيض بن عامر بن شماس بن لأْى بن أنف الناقة بن قُرَيع وأرعاه ، ووصله وكساه . فلم يزل مقيما فيهم حتى أحيا (٧) ، ثم ودّعهم وأتى بغيضا وهو فى نادى قومه وقد مدحه فأنشده قوله .

قال حماد : ومن لا يعلم يروى هـذه القصيدة للحطيئة لكثرة مدحه بغيضا ، وهى لسويد بن كراع :

---

(١) فاقرة : داهية تكسر الفقار . (٢) صاداه : داراه وساتره . (٣) أكالئها : أراقبها وأراعيها . (٤) رداه : رماه . الصفا : الحجارة الصلدة الضخمة واحدتها صفاة .
(٥) عوارق : جمع عارقة ، من عرق العظم : أكل ما عليه من اللحم . وفى ط : « يتجزعا » .
(٦) الاقطع فى الأصل : المقطوع اليد . (٧) أحيا : حسنت حال مواشيه .

ارتعتُ للـزَّورِ إذ حيَّا وأرَّقنى * ولم يكن دانيا منَّا ولا صَـدَدا (١)

ودونه سَبْسَبٌ تُنْضَى المطىُّ به * حتى ترى العَنْسَ تُلْقِى رحلها الأُجُدا (٢)

إذا ذكرتكِ فاضت عبرتى دِرَراً * وكاد مكتومُ قلبى يَصدع الكبِدا

وذاك منّى هوًى قـد كان أَضْمَرَه * قلبى فما ازداد من نقص ولا نفدا

٥ وقـد أرانا وحالُ الناس صالحةٌ * نحتـلُّ مربوعةً أُدمانَ أو بَردَى (٣)

ليت الشباب وذاك العصر راجَعَنا * فـلم نزل كالذى كنّا به أبـدا

أيام أعـلم كم أعملتُ نحـوكُمُ * من عِرمِسٍ عاقدٍ لم ترأَمِ الولدا (٤)

تُصيخ عند السُّرى فى البيد ساميةً * سطعاءَ تنهض فى ميتائها صُعُـدا (٥)

كأنَّ رَحلى على حُمْشٍ قوائمه * برمل عِرْنانَ أمسى طاويا وحَدا (٦)

١٠ هاجت عليـه من الجوزاء ساريةٌ * وَطْفاء تحمِـل جَوْنا مُرْدَفا نَضَدا (٧)

---

(١) الزور : الطيف . الصدد : القصد والقرب . (٢) سبسب : مفازة . أنضاه السفر: أهزله . العنس : النـاقة الصلبة . ناقة أجد : قوية موثقة الخلق متصلة فقار الظهر .

(٣) أدمان : شـعبة بينها وبين بدر ثلاثة أيام . بردى : جبل بالحجـاز . ربعت الأرض فهى مربوعة : أصابها مطر الربيع . (٤) العرمس : الناقة الصلبة . ناقة عاقد : تعقد بذنبها عنـد

١٥ اللقاح . رئمت النـاقة ولدها : عطفت عليه ولزمتـه . (٥) أصاخ له : استمع . سطعاء : طويلة العنق . الميتاء : الطـريق المسلوك . (٦) على حمش قوائمـه ، أى على ثور وحشى قوائمه حمش أى دقاق ، وهو فى ذلك يتأثر قول النابغة الذبيانى :

كأنّ رحلى وقـد زال النهـار بنا * بذى الجليـل على مستأنس وحد

من وحش وجرة موشىّ أكارعه * طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد

٢٠ سرت عليه من الجوزاء سارية * تزجى الشمال عليهـا جامد البرد

وعرنان : اسم واد دون وادى القرى إلى فيـد ، كثير الوحش ، وفى الأصـول : « يزيل غرثان » تصحيف . طاويا : ضامرا . وحدا : وحيـدا منفردا . (٧) الجوزاء : من بروج السماء . السارية : السحابة تسرى ليـلا . سحابة وطفاء : مسترخية لكثرة مائها ، أو هى الدائمة السح الحثيثة . والجون يطلق على الأسود والأبيض . مردفا : متتابعا متواليا . النضد : السحاب المتراكم .

فألجأته إلى أرطاةِ عانكةٍ * فَيْحاءَ ينهال منها تُرْبُ ما ٱلتبدا [1]

تخال عِطْفيه من جَوْل الرَّذاذِ به * منظَّما بِيَــدَىْ دارِيَّةٍ فَــرِدا [2]

حتى إذا ما ٱنجلت عنــه دُجُنَّتُه * وكشَّف الصبحُ عنه الليلَ فاطَّردا [3]

غدا كذى التــاج حلَّتــه أساوِرةٌ * كأنما ٱجتاب فى حَرِّ الضحى سَنَدا [4]

وهى طويلة ٱختصرتها، يقول فيها :

لا يُبْعِــد اللهُ إذ ودَّعت أرضَهــمُ * أخى بَغيضا ولكــن غيرُه بَعِــدا [5]

لا يبعد اللهُ من يعطى الجزيل ومن * يحبو الخليل وما أكْدَى وما صَلَدا [6]

ومن تُلاقيه بالمعروف معــترفا * إذا اجْرَهَدَّ صفا المذمومِ أو صلَدا [7]

لاقيتُــه مُفْضِــلا تَنْــدَى أنامــلُه * إن يُعطك اليومَ لا يمنعْك ذاك غدا

تجىء عفــوا إذا جاءت عطيَّتُــه * ولا تُخــالِطُ تَزْنيقًــا ولا زَهَــدا [8]

أَوْلاهُ بالمَفخَر الأعــلى وأعظَمُه * خُلقــا وأوسَعُه خــيرا ومُتَّقَدا [9]

إذا تكلَّف أقــوامٌ صــنائِعَه * لاقوا ـ ولم يُظْلَموا ـ مِن دونها صَعَدا [10]

---

(١) الأرطاة : واحدة الأرطى وهو شجر ينبت بالرمل، وعانك الرمل : تعقد وارتفع فلم يكن فيه طريق، ورملة عانك : فيها تعقد لا يقدر البعير على المشى فيها إلا أن يحبو، وفى الأصول «عاتكة» تصحيف . فيحاء : واسعة . التبد : تلبد بعضه على بعض . (٢) العطف : الجانب . جول : جولان . الدارية : المنسوبة إلى دارين . فرد : (كسبب وعنق) : متقطع القرين لا مثل له فى جودته . (٣) الدجنة : الظلمة . (٤) اجتاب القميص : لبسه . السند : ضرب من البرود . (٥) بعد : هلك . (٦) أكدى : بخل وقل خيره . صلد : بخل . (٧) اجرهدت الأرض : لم يوجد فيها نبت ولا مرعى . صلد الزند : صوّت ولم يور، ويقال للبخيل : صلدت زناده . (٨) التزنيق : التكدير، والزهد : القلة . (٩) يقال فى ماله متقد، أى سعة . (١٠) الصعد : المشقة .

بَحْرٌ إذا نَكَّسَ الأقوامُ أو ضَجِروا[1] * لاقيتَ خيرَ يديه دائمًا رَغَدا
لا يَحسِبُ المدحَ خَدْعًا حين تَمدَحه * ولا يَرَى البُخلَ مَنْهاةً له أبدا
إنّى لَرافِدُه وُدِّى ومَنْصَرتى * وحافظٌ غيبَه إن غاب أو شَهِدا

صـــوت

حَنَتْنى حانياتُ الدهرِ حتّى * كأنّى خاتِلٌ يدنو لِصَيْدِ
قريبُ الخَطْوِ يَحسِبُ من رآنى * — ولستُ مقيّدًا — أنّى بقَيْدِ

عروضه من الوافر . الخاتل : الذى يتقتّر[2] للصيد ويَخفى حتى لا يُرَى . ويقال لكل من أراد خِداع صيدٍ أو إنسانٍ : ختله ، وَرّى أمرَه فلم يُظهِره . ومن رواه : «كأنى حابل» فإنه يعنى الذى يَنصِب حِبالةً للصيد . الشعر لأبى الطَّمَحان القَيْنى . والغناء لإبراهيم ماخورىّ وهو خفيف الثقيل الثانى بالوسطى . وذكر ابن حبيب أن هذا الشعر للمسجاح بن سِباع الضبىّ ، فإن كان ذلك على ما قال فلأبى الطمحان ممّا يُغنَّى فيه من شعره ولا يُشَكّ فيه أنّه له قوله :

صـــوت

أضاءتْ لهُمْ أحسابُهم ووُجُوهُهم * دُجَى اللّيلِ حتّى نَظَّمَ الجزعَ ثاقبُهْ

الغناء لعريب ثانى ثقيل وخفيف رمل ، وذكر ابن المعتزّ أن خفيف الرمل لها ، وأن الثقيل الثانى لغيرها .

تم الجزء الثانى عشر ويليه الجزء الثالث عشر
وأوّله أخبار أبى الطمحان القينىّ

---

(١) نكس رأسه : طأطأه . (٢) يتقتر : يتهيأ .

مطابع كوستاتسوماس وشركاه

٥ شارع وقف الخربوطلى بالظاهر - ٩٠١١٨

القاهرة

بيان

روجع هـذا الجزء على النُّسـخ التى رُمِز إليها فى الأجزاء السابقة بالحروف : ا ، ج ، م ،ب ، سـ ، طـ ؛ وقد وُصِفت جميعُ هذه النسخ فى مقدّمة الجزأين : الأوّل والثانى من هذه الطبعة . وروجع أيضا على نسخة مصـوّرةٍ بدار الكتب المصرية برقم ١٩٠١٨ ز، مأخوذة من معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربيـة عن النسخة الخطّيّة المحفوظة بمكتبة « فيض الله » بالآستانة تحت الأرقام : ١٥٦١ ، ١٥٦٢ ، ١٥٦٣ ، ١٥٦٤ . وقد رُمِز إليها بالحرف « ف » .

وأصْل هذه النّسخة نسخة تقع فى أربعة وعشرين مجلدا ، كتبت سنة ٥٢٦ ، وجاء فى آخرها ما نصه : « كتب هذا الجزءَ والأجزاء التى قبلَه ، التى تشتمل على جملة الكتاب ، وهى أربعـة وعشرون جزءا هبـةُ الله بن على بن مسعود بن إبراهـيم ابن عبد الحميد الطبيب ، حامدا اللهَ تعالى ، مصلّيًا على نبيّه محمد المصطفى ، وعلى آله الأخيار ، وسلّم تسليما . وفرغ منها فى جمادى الأولى من سنة ست وعشرين وخمسمائة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . ربِّ أنعمتَ فزِد ، واختم بخيرٍ فى طاعتك » .

والموجود من أجزائها : الثامن ، والتاسع ، والثـانى عشر ، والخـامس عشر ، والسادس عشر ، والتـاسع عشر ، والحـادى والعشرون ، والثالث والعشرون ، والرابع والعشرون .

وفى أوّل كل جزء نصّ وقفيّة للكتاب كلّه ، وقفَها عبد الباسط بن خُليل الشافعىّ على خزانته بالخانِقاه التى أنشأها ، بخُطّ الكافورى ، مؤرّخةٍ فى ١٤ شعبان سنة ٨٢٦ .

وبالصفحة الأولى من كلّ جزء حِليةٌ منقوشةٌ بنقوشٍ عربيةٍ، بداخلها بيانُ الجزء وآسم مؤلّف الكتاب، وبكلّ جزء فهرس بمحتوياته .

وهذه النسخة مكتوبةٌ بالخطّ النّسْخ، ومِسْطرتُها ١٥ سطرا .

وورد فى آخر الجزء الثانى عشر هذه العبارة : « طالع الفقيرُ فى هذا المجلّد . وآنتقى منه ما آحتاجه لشرح شواهد مغنى اللبيب، وشرح شواهد الرضىّ على الكافية الحاجبيّة . كتبه عبد القادر البغدادى سنة ١٠٧٣ » .

وفى آخر الجزء السادس عشر، والثالث والعشرين أيضا ما يثبت مطالعة عبد القادر البغدادى لها .

* * *

ويبدأ الجزء الثامن ببقية أخبار «جميل»، وينتهى بآخر أخبار «سلّامة القَسّ» وقد ذكرت فى هذا الجزء أخبارُ حارثة بنِ بدر، وهى مما لم تذكر فى طبعة بولاق، وقد أورد «برونو» هذه الأخبار فيما أسماه الجزء الحادى والعشرين. وفى هذا الجزء سَقط يقع بعد النصف الأوّل من لوحة ٨٨، يحتوى على آخر أخبار حارثةَ بن بدر وأخبار أبى دُلَف .

والجزء التاسع يبدأ بأخبار العباس بنِ الأحنف ، وينتهى بأخبار الأشهب ؛ وفى أخبار الأشهب سَقْط يقع بعد نهاية لوحة ١٦٥، وهو يوافق ص١٦٨سطر١٧ إلى ص ١٦٩ سطر ١٦ من الجزء الثامن من طبعة بولاق .

والجزء الثانى عشر يبدأ بأخبار «علوية» وينتهى بأخبار «أبى الأسود الدؤلى» . وفى أخبار « أبى وجزة » بعد نهاية لوحة ١٥١ سقط يوافق ص ٨٥ س ٧ إلى ص ٨٦ س ٥ من الجزء الحادى عشر من بولاق، ويوجد بعد نهاية لوحة ١٥٦ أيضا سقط يوافق فى بولاق ص ٩٠ س ٢٠ إلى ٩٧ س ٢١ من الجزء الحادى عشر .

والجزء الخامس عشر يبدأ بذكر «حبابة» وينتهى بأخبار « يوم الكديد وقتل ربيعة بن مكدم» وفى ترجمة «عمرو بن معد يكرب»سقط يقع بعد النصف الأول من لوحة ٥٠ إلى آخر ترجمته، وهو فى بولاق من ص٣٢س ١٧ إلى ص ٣١ س ٢٠ من الجزء الرابع عشر . ويلاحظ أن السقط الموجود فى بولاق ص ١٢٩ موجود فى آخر هذا الجزء وأول الجزء السادس عشر .

والجزء السادس عشر يبدأ بأخبار « عنترة » ، وينتهى بأخبار « ذات الخال » . ويلاحظ أن أخبار عنترة الموجودةَ فى هذا الجزء تقع فى الجزء السابع ص ١٤٨ — ١٥٣ من بولاق . وفى ترجمة « أحمد بن يحيى المكى » بعد نهاية لوحة ١٢١ سقط يوافق فى بولاق ص ٦٦ س ٤ وينتهى فى ص ٦٧ س ٣ من الجزء الخامس عشر . وفى أخبار « ذات الخال » بعد نهاية اللوحة ١٣٨ سقط يوافق فى بولاق من ص ٨٢ س ٢٧ إلى ص ٨٣ س ٢٦ من الجزء الخامس عشر .

والجزء الثامن عشر يبدأ بأخبار « أبى عطاء السندى » وينتهى بأخبار « أشجع السلمى »، وفى آخر أخبار أبى عطاء سقط يتناول آخر أخباره وأول أخبار « خالد بن يزيد ورملة » ويوافق فى بولاق ص ٨٣ س ٢ إلى آخر ص ٨٩ من الجزء الخامس عشر . وفى أخبار « ذى الرمّة » بعد نهاية لوحة ٤٤ سقط يقع فى بولاق ص ١٢٥ س ٤ إلى ص ١٢٦ س ١ من الجزء الخامس عشر .

والجزء التاسع عشر يبدأ بأخبار « يزيد بن مفرّغ » وينتهى بأخبار « عويف القوافى » ، وفيه ترجمة كاملة « لمسلم بن الوليد » وهى غير موجودة فى بولاق . وتوافق مانقله المستشرق « دى غويه » فى آخر ديوان مسلم بن الوليد المطبوع فى ليدن سنة ١٨٧٥ نقلا عن نسخ ميونخ ؛ وفى هذا الجزء أيضا أخبار عروة

آبن أذينة ، ومخارق ، وأبى محجن ، وزهير بن جناب ؛ ممـا لم يذكر فى بولاق ، وهو مما نشره « برونو » فى الجزء الذى أسماه الحادى والعشرين .

والجـزء الحادى والعشرون يبدأ بأخبـار « خالد بن زيد الكاتب » و ينتهى بأخبار « هدبة بن خشرم » . وفيه أخبار تأبط شرا . وفيـه من أخبـار خالد بن زيد الكاتب ، والمسدود ، وسلمة بن عيّاش وأم جعفر، وأيمن بن خريم، وحجيّة ابن المضرّب،وأبى المندى،وسعيد بن وهب، ورؤبة بن العجاج،وعمرو بن براق، والشنفرى، والخليل بن عمرو، وعلقمة بن عبدة، وأبى خراش الهذلى. وآبن دارة، ومسعود بن خرشـة ، وبحر بن العلاء ، وهدبة بن خشرم ؛ ممـا لم يذكر فى طبعة بولاق ؛ وهى ممـا أورده «برونو» أيضا فى الجزء الحادى والعشرين .

والجزء الثالث والعشرون يبـدأ بأخبار « مرّة بن محكان » ، وينتهى بأخبار « محمد بن الحارث » وفيـه زيادة عن طبعة بولاق أخبار أبى حشيشة ، وعنان ، والحسن بن وهب ، وفيـه أخبار محمد بن عبد الملك الزيات تزيد عمـا فى بولاق بمقدار ٨ صفحات .

والجزء الرابع والعشرون يبـدأ بأخبار « مانى الموسوس » ، وينتهى بأخبـار «عمارة» ، وفيه زيادة عن بولاق أخبار «أبى صخر الهُذَلى» — ممـا هو موجود فى الجزء الحادى والعشرين — وأخبار « يحيى بن أبى طالب » وهى غير موجودة فى بولاق . وهذا الجزء هو آخر الكتاب فى هذه النسخة .

